المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته في التفسير جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه

إعداد:

البندري بنت عبدالرحمن بن عبدالله الهويمل

إشراف:

أ.د. العباس بن حسين بن علي الحازمي

الأستاذ في قسم القرآن وعلومه

العام الجامعي

١٤٣٩هـ

المقــدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فكتاب الله هو الحبل المتين، والصراط المستقيم، والذكر الحكيم، والحجة الشافية، والمعجزة الخالدة، به أحيا الله القلوب، وأنار البصائر، وأخرج الأمة من ظلمات الجهل والشرك والضلال والرذيلة إلى نور العلم والإيمان والهدى والفضيلة، من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنها زل وهوى، فحمل علماء الأمة على حفظه، وتدبره، ومدارسته، وتفسيره، والبحث عن أسراره التي لا تنفد، وعجائبه التي لا تنقضي.

ومن هؤلاء العلماء الذين كان لهم دور بارز في خدمة كتاب الله - تعالى -، والكشف عن معانيه، المفسر النحوي أبو الحسن علي بن أحمد الوَاحِدِيّ الشافعي المتوفى سنة (٤٦٨هـ) من أعيان القرن الخامس الهجري، فقد ألف في التفسير فأكثر ولوَّن، وبسط وأوجز، وجمع وحقق، يشهد لذلك تفاسيره الثلاثة: (البسيط والوسيط والوجيز) فالبسيط من أوسعها بحثاً، وأكثرها مسائل، فيه من التدقيق والتحقيق والإطناب ما ليس في الآخرين، بسط فيه الأقوال، وذكر اختلاف وجوهها مع الاستدلال ودقة اختيار الراجح منها عند تعارضها وعدم إمكان الجمع بينها. بينما اختصر ذلك في (الوسيط) واقتصر في (الوجيز) على قول واحد معتمداً لابن عَبَّاس -رضي الله عنه- أو من هو في درجته.

فكتابه (البسيط) زاخر بكثير من الاختيارات التي تجلت فيها بصيرة هذا الإمام، وطول باعه في علوم شتى، منها: التفسير، واللغة، وعلوم القرآن، والفقه، وغيرها، مع حصافة رأي، وسعة أفق، وعمق بحث، ورسوخ ملكة.

فعزمت بعد الاستخارة والاستشارة على دراسة اختيارات هذا الإمام التفسيرية ومقارنتها بأقوال أئمة التفسير؛ لتكون مجال دراستي وبحثي في رسالة الدكتوراه، ووسمتها بـ(اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته في التفسير جمعاً ودراسة). وقد وقفت من خلال

الاستقراء العام على (٢٣٢) اختياراً، وترجيحاً.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تعدُّ تفاسير الوَاحِدِيّ (البسيط والوسيط والوجيز) مصدراً أصيلاً من تفاسير القرن الخامس الهجري نقل عنها كثير ممن جاء بعده من المفسرين، كما أن (البسيط) مرجع هام لنصوص كثيرة من كتب مفقودة.
٢. المكانة العلمية المعروفة التي نالتها هذه التفاسير حيث صارت مرجعاً للعلماء، وبغية للطالبين، تتداولها الأيدي، ويَتنافس على اقتنائها المؤلفون، وينهل من معينها المستفيدون، يشهد لذلك ثناء العلماء اللاحقين عليها إذ جمع في طياته محاسن جمة.
٣. حسن اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته ودقة بحثه للمسائل وتحريرها، فلم يكن ناقلاً همه الجمع والتأليف بين المنقولات، بل كان ناقلاً ناقداً، يرجح ويختار، ويرد ويناقش، يصحح الأقوال ويضعفها.

أهداف البحث:

١. الوقوف على اختيارات الإمام الوَاحِدِيّ وترجيحاته التفسيرية من خلال تفاسيره الثلاثة: (البسيط والوسيط والوجيز) وجمعها في مؤلف مستقل؛ ليسهل الرجوع إليها للباحثين، والدارسين.
٢. دراسة اختياراته من خلال مقارنتها بأقوال أئمة التفسير من المتقدمين والمتأخرين.
٣. استخراج قواعد الترجيح والاختيار التي اعتمدها الوَاحِدِيّ في تفسيره، مع ذكر صيغ الترجيح ووجوهه التي استدل بها عند ترجيحه لقول من الأقوال.
٤. الموازنة بين اختياراته وترجيحاته في تفاسيره الثلاثة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على فهارس الرسائل العلمية، وبعد الرجوع إلى مراكز البحوث، وسؤال أهل الخبرة والاختصاص، لم أجد من تعرض لبحث اختيارات الإمام الوَاحِدِيّ التفسيرية. وإنما جملة ما بحث في تفاسير هذا الإمام منصب على تحقيق الكتاب أو بيان منهجه في التفسير أو العقيدة أو الدراسات اللغوية والنحوية، وتلك الدراسات كالتالي:

١. تحقيق كتاب «البسيط» بوصفه مشروعاً في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد قامت عمادة البحث العلمي بجهد كبير في إخراج هذا الكتاب وطباعته، ويقع في خمسة وعشرين مجلداً.

٢. منهج الوَاحِدِيّ في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير البسيط، إعداد: سامي عبدالله أحمد، رسالة دكتوراة، جامعة عين شمس ١٤٠٤هـ.

٣. الوَاحِدِيّ ومنهجه في التفسير، إعداد: جودة محمد المهدي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر– أصول الدين – التفسير.

٤. الوَاحِدِيّ ومنهجه في العقيدة، إعداد: مها عبد الرحمن، دكتوراة،جامعة أم القرى ١٤٢٨هـ.

٥. الوَاحِدِيّ النحوي من خلال كتابه البسيط، إعداد: صالح الفراج، رسالة دكتوراة، كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – قسم النحو والصرف.

٦. البحث النحوي عند الإمام الوَاحِدِيّ، إعداد: عبد المجيد كاظم، جامعة بغداد الإسلامية.

٧. أثر علم أسباب النزول عند الوَاحِدِيّ في تفسيره البسيط، إعداد: أحمد بن مرجي الفالح، جامعة الملك سعود ١٤٢٩هـ.

٨. تحقيق كتاب الوسيط في تفسير القرآن المجيد، مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩. النحو في الوسيط للوَاحِدِيّ، إعداد: عبدالرحمن البارقي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

١٠. تحقيق كتاب الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، صفوان عدنان داوودي، دار القلم – بيروت.

وهذه الدراسات السابقة لا تعلق لها بدراسة اختيارات الإمام الوَاحِدِيّ في التفسير كما هو ظاهر.

١١. سجلت عدة رسائل في ترجيحات الوَاحِدِيّ في البسيط لتكون مشروعاً في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة (بحوث تكميلية مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير)، ولا يزال هذا المشروع قائماً.

وهناك عدة فروق بين رسالتي وهذا المشروع، منها:

أ. تقدم التسجيل، حيث سجلت موضوع دراستي في جامعة الإمام عام ١٤٣٣هـ، في حين سُجِّل هذا المشروع في جامعة طيبة عام ١٤٣٤هـ.

ب. اقتصار هذا المشروع على ترجيحات الوَاحِدِيّ في كتابه (البسيط) دون بقية كتبه في التفسير، فيما شمل بحثي على ترجيحاته التفسيرية في كتبه الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز) فقد تناولت دراسة بعض المسائل التي لم يرد فيها ترجيح في البسيط.

ج. اقتصرت في بحثي على الترجيحات التفسيرية الصريحة في تفاسيره الثلاثة، بَيْدَ أنَّ بعض الرسائل التي اطلعت عليها شملت ترجيحات الوَاحِدِيّ الصريحة وغير الصريحة.

د. بحثي توحَّد فيه المنهج والأسلوب لاتحاد الباحث، أمَّا مشروع جامعة طيبة فبتعدد الباحثين تتعدد المناهج والأساليب.

هـ. جمعت في بحثي هذا اختيارات الوَاحِدِيّ في رسالة واحدة يسهل الرجوع إليها، فيما اقتصرت بعض رسائل المشروع على سبعة وعشرين اختياراً فقط.

مجال البحث وحدوده:

هذا البحث يعنى بجمع اختيارات الإمام الوَاحِدِيّ وترجيحاته التفسيرية الصريحة في تفاسيره الثلاثة (البسيط والوسيط والوجيز) ودراستها ومقارنتها باختيارات المفسرين الآخرين، ثم محاولة الوصول إلى أقرب الأقوال إلى الصواب وأرجحها، بحسب الأدلة والمرجحات المعتبرة في قواعد الترجيح.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس، وبيانها على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومجال البحث وحدوده، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه:

- حياة الوَاحِدِيّ الشخصية والعلمية.
- القيمة العلمية لتفسير الوَاحِدِيّ.

- **القسم الأول: منهج الوَاحِدِيّ في الاختيار والترجيح؛ وفيه ثلاثة فصول:**

الفصل الأول: صيغ الاختيار والترجيح وأساليبه عند الوَاحِدِيّ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح والفرق بينهما، وأهميتهما في مسائل الخلاف.

المبحث الثاني: صيغ الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ.

المبحث الثالث: أساليب الاختيار والترجيح وطرقه عند الوَاحِدِيّ.

الفصل الثاني: وجوه الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ؛ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاختيار والترجيح بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: الاختيار والترجيح بالسنة النبوية.

المبحث الثالث: الاختيار والترجيح بالإجماع.

المبحث الرابع: الاختيار والترجيح بأقوال السلف.

المبحث الخامس: الاختيار والترجيح باللغة العربية.

الفصل الثالث: قواعد الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

المبحث الثاني: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالسنة والآثار.

المبحث الثالث: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بلغة العرب.

- **القسم الثاني**: دراسة اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته في تفاسيره (البسيط والوسيط والوجيز) من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، ومقارنتها بأقوال أئمة التفسير واختياراتهم، مع بيان القول الراجح في المسألة ووجه رجحانه.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس الفنية للبحث، وهي على النحو الآتي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس الألفاظ الغريبة.
- فهرس الفرق والقبائل.
- فهرس البلدان والأماكن.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سأسلك في القسم الأول المنهج الوصفي التحليلي، وأمَّا القسم الثاني فسأسلك فيه المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك وفق ما يلي:

١- جمع اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته التفسيرية الصريحة من تفاسيره، وترتيبها وفق ترتيب الوَاحِدِيّ وعرضه لها في كتابه (البسيط) لكونه شاملاً لما ورد في (الوسيط) و(الوجيز) إلا إذا كان ثمة إضافة علمية في أحد كتابيه أنبه إلى ذلك وأشير إليه.

٢- دراسة هذه الاختيارات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال المفسرين، وذلك على النحو التالي:

أ. ذكر نص الآية التي ورد فيها الاختيار.

ب. ترقيم مسائل الاختيار برقم تسلسلي عام، يبدأ من أول الدراسة التطبيقية إلى نهايتها.

ج. ذكر نص كلام الوَاحِدِيّ في تفسير الآية، وذلك لأمرين:

الأول: إبراز الصيغ التي استخدمها الوَاحِدِيّ في الاختيار.

الثاني: إطلاع القارئ الكريم على كلام الوَاحِدِيّ بنصه.

د. ذكر أقوال من وافق الوَاحِدِيّ من المفسرين، ومن خالفه، مدعمة أقوالهم بذكر الأدلة التي استدلوا بها – إن وجدت – وإن كان في الآية أقوال لم ينص عليها الوَاحِدِيّ ذكرتها مع نسبتها إلى من قال بها من السلف ما أمكن، ثم النظر في أدلة كل قول والحجج التي استندوا إليها؛ لبيان القول الراجح في المسألة حسب الجهد والطاقة مع بيان وجه رجحانه.

٣- توثيق المادة العلمية على النحو التالي:

أ. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف.

ب. توثيق القراءات الواردة في متن الرسالة من كتب القراءات.

ج. تخريج الأحاديث الشريفة من الكتب المعتمدة في ذلك فإن كان الحديث في

الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن فيهما، فمن مظانِّه من كتب السنة الأخرى مع بيان أقوال العلماء فيه.

د. تخريج الآثار الواردة في المتن من الكتب المعتمدة.

هـ. توثيق النقول والأقوال، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

و. تخريج الأبيات الشعرية من دواوين قائليها إن وجدت وإلا فمن المعاجم التي تذكرها مع عزوها إلى قائليها.

ز. الترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة، ترجمة مختصرة تفيد التعريف بهم، وأما من جاء ذكره عرضاً إما في إسناد أو في سياق كلام فلا ألتزم بالترجمة له؛ ما لم يكن هناك حاجة إلى ذلك.

ح. تعريف الفرق، والطوائف، والأماكن غير المعروفة التي وردت في الرسالة من الكتب المعتمدة في ذلك.

ط. بيان معاني الكلمات الغريبة، وذلك بالرجوع إلى كتب الغريب والمعاجم.

ي. ضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط، مما تشكل قراءته، ويلتبس لفظه.

ك. عند ذكر المراجع في الحاشية لا أذكر وصف المرجع كاملاً من حيث تاريخ طباعته، ومكانه، والمحقق، ونحو ذلك من الأمور اللازمة؛ وذلك لكثرة المراجع من جهة، ولأنه يؤدي إلى تضخيم الرسالة من جهة أخرى، واقتصرت على وصفه كاملاً في ثبت المصادر والمراجع. كما لم ألتزم بنسبة الكتاب إلى مؤلفه في الحاشية إلا عند ظن اللبس.

ل. سيكون تخريج الأحاديث والآثار التي وردت في نص كلام الوَاحِدِيّ في القسم الثاني – الدراسة التطبيقية – من الرسالة؛ لمناسبته للمقام.

م. تذييل البحث بفهارس علمية كاشفة؛ لتيسير الوصول إلى المعلومة، مرتبة حسب الترتيب الهجائي، ما عدا فهرس الآيات القرآنية فقد رتبتها حسب ترتيب المصحف.

وفي الختام أحمد الله -تعالى- وأشكره، وأثني عليه الخير كلَّه على ما مَنَّ به عليَّ، ويسَّر وأعان على إتمام هذا البحث.

وبعد شكر المولى -ﷻ-، أرى لزاماً عليَّ أن أُزْجِي الشكر الوافر، والثناء العاطر إلى كلِّ مَنْ أعانني على إتمام هذا العمل.

وأخصُّ بالذكر والديَّ الكريمين اللذين بذلا كلَّ مستطاعٍ لأجلي، وكان دعاؤهما معي ومِنْ حولي يضيء لي السبيل، فجزاهما الله عنِّي كلَّ خيرٍ، ومتَّعهما بطول العمر وحسن العمل.

كما أتقدَّم بجزيل الشكر ومزيد العرفان لزوجي الذي تحمَّل معي أعباء هذا البحث فمنحني مِنْ وقته وجهده الكثير، ولم يبخل في تقديم النصح والمشورة الصادقة والتوجيهات القيِّمة لرفع مستوى هذا البحث، أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وأوجِّه جزيل الشكر وعظيم الامتنان وفائق التقدير والاحترام لفضيلة أ.د. العباس بن حسين الحازمي، الذي أشرف على هذه الرسالة، والذي غمرني بعلمه وفضله، وحسن خلقه، ورحابة صدره، وأمدَّني بتوجيهاته القيِّمة، وملاحظاته المفيدة، وإرشاداته السديدة حتى أنهيت رسالتي، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء، وأمدَّ في عمره على طاعته. والشكر موصولٌ إلى فضيلة الشيخين المناقِشَين حيث تفضَّلا بقراءة الرسالة وإبداء الملاحظات والتوجيهات المفيدة فجزاهما الله عنِّي خيراً .

وأشكر كلَّ مَنْ أبدى لي نصحاً أو مساعدةً برأيٍ أو مشورةٍ أو توجيهٍ أو إعارةِ كتابٍ أو نحوه، فلهم منِّي عظيم الشكر والثناء، وأسأل الله لهم السداد والتوفيق وحسن الجزاء.

وإنِّي لأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ إلى ما قصدت مِنْ خيرٍ، وأن ينفع الله به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، فما كان فيه من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان فيه مِنْ خطأ وزللٍ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله تعالى منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمـهيد

- حياة الوَاحِدِيّ الشخصية والعلمية.
- القيمة العلمية لتفسير الوَاحِدِيّ.

حياة الوَاحِدِيّ الشخصية والعلمية

اسمه ونسبه وأسرته:

هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي الوَاحِدِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ [١] الشافعي [٢]، وزاد بعضهم فنسبه إلى (مَتُّويه [٣]) أحد أجداده[٤].

يكنى " أبا الحسن " وانفرد القِفطِي[٥] بتكنيته " أبا الحسين"[٦]، ولعله تصحيف عن " الحسن "، وهذا يحصل كثيراً في كتب التراجم بين اسمَي " الحسن " و" الحسين ".

وأصله من سَاوَه [٧] من أولاد التجار، ولد بنيسابور، ولا يُعرف على وجه التحديد

---

[١] ينظر: معجم الأدباء (١٦٥٩/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٨)، وطبقات الشافعية للسبكي(٢٤٠/٥)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٣٠٣/٢)، وغاية النهاية في طبقات القراء (٤٦٣/١)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٥٦/١)، وبغية الوعاة (١٤٥/٢)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٦.

والنيسابوري: نسبة إلى نيسابور أهم مدن خرسان، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، وتقع اليوم شرق إيران. ينظر: معجم البلدان (٣٣١/٥)، وإيران لمحمود شاكر ص٤٤.

[٢] ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٨).

[٣] مَتُّويَه: بفتح الميم وتشديد التاء المثناة من فوقها وضمها وسكون الواو، وهذه النسبة إلى "مت" وهو جد أبي إسحاق محمد بن عبد الله بن جبريل بن مت المتي من أهل "نسف"، سمع إسحاق بن عمر بن بشر الزاهد وأبا سهل هارون بن أحمد الأستراباذي. ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب (١٦٣/٣).

[٤] ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب (١٦٣/٣)، ووفيات الأعيان (٨٥/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٩٤/١).

[٥] علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد، القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبو الحسن ابن القفطي، ولد بقفط بالديار المصرية، وأقام بحلب وولي الوزارة فيها، من تصانيفه: كتاب إنباه الرواة، وتاريخ مصر، والكلام على صحيح البخاري. توفي سنة ٦٤٦هـ.

ينظر: معجم الأدباء (٢٠٢٢/٤)، وفوات الوفيات (١١٧/٣)، وبغية الوعاة (٢١٢/٢).

[٦] ينظر: إنباه الرواة (٢٢٣/٢).

[٧] سَاوَه: بلدة وناحية إيرانية، تقع بين الري وهمذان، سنية شافعية، كان فيها دار كتب عظيمة أحرقت أيام المغول. ينظر: معجم البلدان (١٧٩/٣)، والقاموس الإسلامي (٢١٥/٣).

تاريخ ولادته، إلا أن بعض من ترجموا له ذكروا أنَّه عند وفاته كان من أبناء السبعين [١].

قيل: وهذا غير مستغرب في تاريخ الميلاد عند أغلب العلماء؛ وذلك أن العَالِم حين ولادته لم يظهر له نبوغ يذكر، ولا أثر يستحق التسجيل، فلا تنبعث الهمم لحفظ تاريخ ميلاده، ما لم يقم بذلك أهله، خلافاً للوفاة التي تكون بعد اشتهار العالم، وشيوع ذكره [٢].

وقد جمع الدكتور محمد بن صالح الفوزان قرائن استدل من خلالها على سنة ولادته؛ وذلك على وجه التقريب، وهي سنة ٣٩٥هـ [٣].

ولم تذكر كتب التراجم من أسرة الوَاحِدِيّ سوى أخوين له هو ثالثهما، وهما عبد الرحمن [٤]، وهو يكبر الإمام الوَاحِدِيّ، والثاني: سعيد [٥]، وجميعهم قد تفقه بالعلم وحدَّث[٦].

[١] كالذهبي في العبر (٢٦٩/٣)، وابن العماد في شذرات الذهب (٣٢٩/٣).

[٢] ينظر: مقدمة تحقيق البسيط (٢٦/١).

[٣] ينظر: تفسير البسيط سورة الفاتحة والبقرة إلى آية ٧٤، لأبي الحسن الوَاحِدِيّ، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح الفوزان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٩هـ، (١٥/١).

[٤] عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن متَّويه الوَاحِدِيّ، أبو القاسم، مستورٌ صالحٌ، أخو الإمام الوَاحِدِيّ الأكبر منه. توفي سنة ٤٨٧هـ. ينظر: المنتخب من السياق ص٣٤٣، وسير أعلام النبلاء (٣٤٢/١٨).

[٥] سعيد بن أحمد بن محمد السمسار، أبو بكر الواحدي، أخو الإمام المفسر علي الوَاحِدِيّ، شيخ ثقةٌ، مستورٌ، عفيفٌ، كان يحترف السمسرة، سمع من أصحاب الأَصَمِّ. ينظر: المنتخب من السياق ص ٢٥٤.

[٦] ينظر: المنتخب من السياق ص٣٤٣، وسير أعلام النبلاء (٣٤٢/١٨).

مذهبه وعقيدته:

يُعدُّ الإمام الوَاحِدِيّ من أئمة فقهاء المذهب الشافعي؛ فقد ذُكر في طبقات الشافعية[1]، ونقلت بعض كتب الفقه الشافعي أقواله على أنه عَلم من أعلام هذا المذهب يعتمد على قوله ويذكر خلافه[2].

أمَّا عقيدته فتشهد تفسيراته على أشعريته[3] المرتبطة بمذهبه الشافعي، فالعلاقة بين المذهبين كانت وثيقة في أواخر القرن الرابع وأول الخامس؛ وذلك أنَّ معظم حاملي عقيدة الأشعرية من الشافعية[4]، وهذا هو العصر الذي عاش فيه الإمام الوَاحِدِيّ؛ ولا ريب أن المرء يتأثر بما شاع في بيئته التي نشأ فيها.

---

[1] ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٤٠)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/٣٠٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/٢٥٦).

[2] ينظر على سبيل المثال: المجموع شرح المهذب (٢/١٩٠)، (٣/٦٦)، (٣/٣٢٢)، وأسنى المطالب في شرح روض الطالب (٤/١٧٥)، (٤/١٨٣).

[3] ينظر على سبيل المثال: تفسير البسيط (٤/٩٧)، (٤/٣٥٨)، وتفسير الوسيط (١/٧٠)، (٣/٣)، (٤/٤٨٤).

والأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وقد سلكوا طريقاً بين الإثبات الذي هو مذهب السلف، وبين النفي الذي هو مذهب المعتزلة، فأثبتوا سبع صفات سموها صفات المعاني ويدعون ثبوتها بالعقل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. ووافقوا المعتزلة في نفي ماعدا هذه الصفات الخبرية التي صح بها الخبر، وقد رجع أبو الحسن عن مذهبه وسلك مذهب السلف في إثبات الصفات.

ينظر: الملل والنحل (١/٩٤)، والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (١/٣٠٥)، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٨٣) .

[4] ينظر: التاريخ السياسي والفكري ص١٣٨.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

تنوعت مشارب الإمام الوَاحِدِيّ العلمية، وتعددت، ونهل العلم من منابعه، فأحكم أصوله وأتقنها، وفي ذلك يقول:«وإنني لم آلُ جهداً في إحكام أصول هذا العلم على حسب ما يليق بزماننا هذا، وَتَسَعُهُ سِنُو عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله -تعالى- وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانِّه، وأخذته من معادنه»[1].

فطاف -رَحِمَهُ اللَّهُ- على شوامخ أعلام الأئمة وتتلمذ على جهابذة العلم وأساطينهم، حتى كثر شيوخه وعزَّ حصرهم، يقول عن نفسه:« ولو أثبتُّ المشايخ الذين أدركتهم واقتبست منهم هذا العلم، من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطأتها؛ طال الخطب وملَّ الناظر»[2].

وسأعرض في هذه العجالة بعض شيوخه الذين اشتهر أخذه عنهم، مرتبين على حروف المعجم [3]:

١. أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثَّعْلَبِيّ، المفسر المشهور، توفي سنة ٤٢٧هـ، وهو من كبار شيوخ الوَاحِدِيّ سمع منه التفسير وأخذه عنه[4]، حتى اشتهر بتلميذ الثَّعْلَبِيّ[5]، قال عنه الوَاحِدِيّ:«كان حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل بدرهم،

---

[1] مقدمة البسيط (٤١٧/١).

[2] المصدر السابق (٤٢١/١).

[3] للاستزادة يراجع في ذلك: مقدمة البسيط (٥٦/١)، ومقدمة الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢٤/١)، ومقدمة الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣/١).

[4] ينظر: وفيات الأعيان (٩٧/١)، والمنتخب من السياق ص ٨٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٧.

[5] ينظر: وفيات الأعيان (٣٠٤/٣).

وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم»[١]. وتفسيره "الكشف والبيان" أحد أهم مصادر الوَاحِدِيّ في بسيطه.

٢. أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف العَروضي، أبو الفضل النَّيْسَابُوْرِيّ الشافعي، شيخ أهل الأدب في عصره، توفي بعد سنة ٤١٦هـ[٢]، لازمه الوَاحِدِيّ سنين، وقرأ عليه الكثير من كتب اللغة ودواوين الشعر، قال عنه:«أمَّا اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العَروضي، وكان قد خنَّق[٣] التسعين في خدمة الأدب...»[٤].

٣. سعيد بن محمد الْحِيرِيُّ الزَّعْفَرَانِيُّ، أبو عثمان المقرئ، توفي سنة ٤٢٧هـ، أخذ عنه الوَاحِدِيّ، ومدحه بغزارة العلم، وارتفاع السند[٥]، قال عنه:« ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي–رحمهما الله– وكانا قد انتهت إليهما الرئاسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ، وكثرة التلامذة، وغزارة العلوم، وارتفاع الأسانيد، والوثوق فيها، فقرأت عليهما، وأخذت من كل منهما حظّاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه»[٦].

٤. علي بن أحمد البَسْتِيُّ، أبو القاسم المقرئ، أحد شيوخه في القراءات[٧] كما ذكر الوَاحِدِيّ ذلك في مقدمته:«وأمَّا القرآن وقراءات أهل الأمصار، واختيارات الأئمة،

---

[١] مقدمة البسيط (١/٤٢٤).

[٢] ينظر: مقدمة البسيط (١/٤١٧)، والمنتخب من السياق ص ٨٨، ومعجم الأدباء (٢/٤٩١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/٣٨٩)، والعَروضي نسبة إلى علم العَروض.

[٣] فلانٌ خنَّق الأربعينَ: كادَ يَبْلُغُها. ينظر: القاموس المحيط ص٨٨١، وتاج العروس (٢٥/٢٦٩)، مادة (خنق).

[٤] مقدمة البسيط (١/٤١٧).

[٥] ينظر: مقدمة البسيط (١/٤٢١)، والمنتخب من السياق ص٢٤٨.

[٦] مقدمة البسيط (١/٤٢٢).

[٧] ينظر: مقدمة البسيط (١/٤٢٠)، ومعرفة القراء (١/٣٤٨)، وغاية النهاية (١/٤٦٣).

فإني اختلفت أولاً إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البَسْتِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى»[١].

٥. علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله القُهُنْدُزِي[٢]، الضرير، أبو الحسن، نحوي أديب، سمع الحديث الكثير، وقرأ عليه الأئمة[٣]، أخذ عنه الوَاحِدِيّ النحو، قال عنه:« وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل الْمُشْكِلَةِ، وسمعت منه أكثر مصنفاته، في النحو والعروض والعلل...»[٤].

٦. علي بن محمد بن عبدالله، أبو الحسن الفارسي المقرئ، كان من حذّاق القراء، توفي سنة ٤٣١هـ، أخذ عنه الوَاحِدِيّ[٥]، وهو ممن انتهت إليه الرئاسة في علم القراءات[٦].

٧. عمران بن موسى، أبو الحسن المغربي المالكي، نحوي كبير، كثير المحفوظ، قدم نيسابور، وأفاد واستفاد، توفي قريباً من الخمسمائة [٧]. قال عنه الوَاحِدِيّ:« كان واحدَ عصره، وبَاقِعَة [٨] دهره في علم النحو، لم يلحق أحدٌ ممن سمعنا شأوَه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا حتى استنزفت غُزْر ما عنده»[٩].

---

[١] مقدمة البسيط (٤٢١/١).

[٢] القُهُنْدُزِي: بضم القاف والهاء وسكون النون والدال المهملة وفي آخرها الزاي، نسبة إلى قهنْدز نيسابور، وقهندز المدينة الداخلة المسورة، أي: القلعة أو الحصن. ينظر: الأنساب (٥٦٦/٤).

[٣] ينظر: مقدمة البسيط (٤١٧/١)، وإنباه الرواة (٣١٠/٢)، ومعجم الأدباء (١٩٥٨/٥)، وبغية الوعاة (١٨٦/٢).

[٤] مقدمة البسيط (٤٢٠/١).

[٥] سبق نقل تصريح الوَاحِدِيّ بالأخذ عنه عند الحديث عن شيخه سعيد الزَّعْفَرَانِيّ ص٦.

[٦] ينظر: مقدمة البسيط (٤٢١/١)، والمنتخب من السياق ص٢٤٨، وغاية النهاية (٥٠٥/١).

[٧] ينظر: بغية الوعاة (٢٣٣/٢).

[٨] البَاقِعَةُ: الرجل الدَّاهية، والذَّكي العارف الذي لا يفوته شيء.
ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢٨٢/١)، وتهذيب اللغة (١٨٨/١)، مادة (بقع).

[٩] مقدمة البسيط (٤٢١/١).

ثانياً: تلاميذه:

بعدما قضى الإمام الوَاحِدِيّ أيام شبابه في تحصيل العلم، والاغتراف منه، وطاف على أعلام الأمة، حتى أتقن الأصول على الأئمة، قعد للإفادة والتدريس، فقصده الطلاب من كل صوب، ينهلون من معين علمه، ويقتبسون من نور معرفته.

يقول أحد تلاميذه:« قعد الوَاحِدِيّ للإفادة والتدريس سنين، وتخرج به طائفة من الأئمة، سمعوا منه وقرأوا عليه، وبلغوا محل الإفادة»[١].

ويقول القِفطِي: «سار الناس إلى علمه واستفادوا من فوائده»[٢].

وسأذكر بعض تلاميذه مرتبين على حروف المعجم[٣]:

١. إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي، أبو إسحاق المروَرُّوذِي[٤]، أحد أئمة المسلمين، سمع الحديث الكثير، وحدَّث بالكتب الكبار، سكن مرو، وقتل بها في إحدى الفتن سنة ٥٣٦هـ. روى عن الوَاحِدِيّ كتابيه: "الوسيط" و"طراز المغازي"[٥].

٢. أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الفضل الميداني، شيخ الأدب في عصره، كان فاضلاً عارفاً باللغة، له كتاب "الأمثال" و"السامي في الأسامي"، اختص بصحبة

---

[١] نقله عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (١٦٦٠/٤).

[٢] إنباه الرواة (٢٢٣/٢).

[٣] للاستزادة يراجع في ذلك: مقدمة البسيط (٦٩/١)، والرسائل العلمية التي حققت كتاب البسيط، ومقدمة الوجيز (١٣/١).

[٤] المرْوَرُّوذِي: بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو بعدها راء مشددة مضمومة وواو ساكنة، وفي آخرها ذال، نسبة إلى مرو الروذ، هي أشهر مدن خراسان ومبنية على نهر، والنهر بالفارسية (رُوْذ).
ينظر: الأنساب (٢٦٢/٥)، واللباب في تهذيب الأنساب (١٩٨/٣).

[٥] ينظر: الأنساب (٤٧٩/٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣١/٧)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٩٨/١).

الوَاحِدِيّ، والأخذ عنه، روى عنه "تفسير الوسيط"[١]. توفي سنة ٥١٨هـ[٢].

٣. عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخُوَاري[٣]، أبو محمد البيهقي، إمام جامع نيسابور المَنِيْعِيِّ[٤]، أحد الراسخين في المذهب الشافعي، كان إماماً فاضلاً مفتياً متواضعاً، سمع أبا الحسن الوَاحِدِيّ وغيره، وهو أكبر من حَدّث عنه، توفي سنة ٥٣٦هـ[٥].

٤. عبد الغَافِر بن إسماعيل بن عبد الغَافِر، أبو الحسن الفارسي النَّيْسَابُوْرِيّ، الفقيه الشافعي الحافظ الأديب، خطيب نيسابور وإمامها، كان إماماً في الحديث واللغة، من مصنفاته:" السياق لتاريخ نيسابور"[٦]، توفي سنة ٥٢٩هـ[٧]. قال عبد الغَافِر عن الوَاحِدِيّ: « وأجاز لي جميع مسموعاته »[٨].

---

[١] ذكره الرافعي في تاريخ قزوين (٣٣٩/١).

[٢] ينظر: وفيات الأعيان (١٤٨/١)، ومعجم الأدباء (٥١١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٨٩/١٩)، وبغية الوعاة (٣٥٦/١).

والميداني: نسبة إلى ميدان زياد بن عبدالرحمن بنيسابور؛ لأنَّه كان يسكن في محلة في أعلى ذلك الميدان.

ينظر: الأنساب (٤٢٩/٥)، ومعجم الأدباء(٥١١/٢).

[٣] الخُوَاري: نسبة إلى خوار الري، وقرية ببيهق في خرسان، والمذكور منسوب إلى هذه القرية.

ينظر: الأنساب (٤٠٩/٢).

[٤] سمي الجامع المنيْعِيَّ نسبة إلى الرئيس أبي علي حسان بن سعيد بن منيع المخزومي المنيعي الذي عمَّره.

ينظر: معجم البلدان (٢١٧/٥).

[٥] ينظر: المنتخب من السياق ص٣٧٤، وسير أعلام النبلاء (٧١/٢٠)، (٣٣٩/١٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٤٥/٧) .

[٦] وهو ذيل على كتاب" تاريخ نيسابور" للحاكم النَّيْسَابُوْرِيّ، اختصره إبراهيم بن محمد الصريفيني وسماه: (المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور)، وهو مطبوع. ينظر: المنتخب من السياق ص١٥- ٥٤١.

[٧] ينظر: المنتخب من السياق ص ٥٤١، وطبقات الشافعية للسبكي (١٧٢/٧)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣٠٥/١).

[٨] نقله عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (١٦٦٠/٤).

٥. عمر بن عبدالله بن أحمد، أبو العباس الأَرْغِياني[١]، الأحدب، تفقه على إمام الحرمين، كان حسن السيرة كثير العبادة، سمع من أبي الحسن الوَاحِدِيّ وغيره، توفي سنة ٥٣٤هـ[٢].

٦. محمد بن عبدالله بن أحمد، أبو نصر الأَرْغِياني، الفقيه الشافعي، مفتي نيسابور في عصره، أخو الإمام أبي العباس الأَرْغِياني، كان إماماً ورعاً كثير العبادة، سمع الحديث من أبي الحسن الوَاحِدِيّ وغيره. توفي سنة ٥٢٨هـ[٣].

٧. يوسف بن علي بن جُبارة، أبو القاسم الهذلي، من وجوه القراء ورءوس الأفاضل، عالم بالقراءات كثير الروايات، كان مقدماً في النحو والصرف، من مصنفاته: الكامل في القراءات، توفي سنة ٤٦٥هـ. قرأ على الوَاحِدِيّ، وروى عنه القراءة[٤].

[١] الأَرْغِياني: نسبة إلى أَرْغِيان، وهي اسم لناحية من نواحي نيسابور بها عدة قرى. ينظر: الأنساب (١/١١٢).

[٢] ينظر: الأنساب (١/٨٧)، وطبقات الشافعية للسبكي (٧/٢٤٨)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١/٦١).

[٣] ينظر: وفيات الأعيان (٤/٢٢١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٦/١٠٨)، وطبقات الشافعية للأسنوي (١/٤٤).

[٤] ينظر: معجم الأدباء (٦/٢٨٤٩)، والمنتخب من السياق ص ٥٣٩، ومعرفة القراء الكبار(١/٤٢٩)، وغاية النهاية (٢/٣٤٥).

مكانته العلمية :

تبوأ الإمام الوَاحِدِيّ مكانة علمية مرموقة بين أهل عصره، فقد كرَّس حياته للعلم والمطالعة والتأليف، وألزم نفسه الجِدَّ والمصابرة عليه حتى استقامت له؛ فبرز في علوم شتى لا سيما اللغة والأدب، والتفسير، والقراءات، وعلوم القرآن، وقد أثنى عليه كل من ترجم له، وشهدوا له بالفضل والمعرفة، ووصفوه بغزارة العلم ونُبْل الخُلُق.

أثنى عليه تلميذه عبد الغَافِر، فقال:« الإمام المصنف المفسِّر النحوي، أستاذ عصره، وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة...»[١].

ونعته البَاخَرْزِيُّ[٢] صاحبه بأوصاف تدل على تبحره، وتفننه في كلام العرب، وعلم القرآن، فقال:« مشتغل بما يعنيه، وإن كان استهدافه للمختلفة إليه يُعَنِّيه، وقد خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبْطَ عصا الراعي فروع الغَرَب[٣]، وألقَى الدِّلاء في بحارهم حتى نزفها، ومدَّ البنان إلى ثمارهم إلى أن قطفها، وله في علم القرآن، وشرح غوامض الأشعار تصنيفات...»[٤].

---

[١] معجم الأدباء (١٦٦٠/٤)، والمنتخب من السياق ص ٤٢٣.

[٢] علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البَاخَرْزِيُّ، أبو الحسن، الفقيه الشافعي، أديب من الشعراء الكتاب، من أهل باخرز من نواحي نيسابور، تفقه على الشيخ أبي محمد الجويني، اشتهر بكتابه (دمية القصر وعصرة أهل العصر)، قتل بباخرز سنة ٤٦٧ هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٣٧٨/٣)، والأنساب (٢٤٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٣/١٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٥٦/٥).

[٣] الغَرَب: ضَرْب من الشَّجَر، واحِدَته غَرَبَةٌ. ينظر: العين (٤١٢/٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥١٠/٥).

[٤] دمية القصر (١٠١٧/٢).

ومدحه الذَّهَبِيّ[1] بقوله:« الإمام، العلَّامة الأستاذ، إمام علماء التأويل، المفسر، أحد من برع في العلم، وأنَّه كان رأساً في العربية واللغات، طويل الباع في علم اللغة، وأنَّه واحد عصره في التفسير»[2].

وقال القِفطِي عنه:« الإمام المصنف المفسر النحوي أستاذ عصره، قرأ الحديث على المشايخ وأدرك الإسناد العالي، وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده»[3].

ووصفه جمعٌ من المترجمين بأنَّه إمام في التفسير واللغة، وأنَّه واحد عصره في التفسير[4].

مؤلفاته:

ترك الإمام الوَاحِدِيّ تراثاً عظيماً يتجلى في مصنفاته القيمة التي تنوعت تبعاً لتنوع معارفه، فألَّف في اللغة والتفسير والنحو والأدب والتأريخ وغيرها .

وكانت تلك المصنفات موطن إعجاب الناس، فهذا ابن خَلِّكَان[5] يقول عنها :« ورزق

---

[1] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهَبِيّ، أبو عبد الله، مُحدِّث، مؤرخ، أتقن الحديث ورجاله، ونظر في علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، له عدة تصانيف، منها: سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وطبقات الحفاظ، توفي سنة ٧٤٨ هـ.
ينظر : فوات الوفيات (٣/٣١٥)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/٥٥).

[2] سير أعلام النبلاء (١٨/٣٣٩).

[3] إنباه الرواة (٢/٢٢٣).

[4] ينظر: وفيات الأعيان (٣/٣٠٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٤٠)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/٣٠٣)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٦٣)، وطبقات الشافعية لابن شهبة (١/٢٥٧)، والنجوم الزاهرة (٥/١٠٤)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٦، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١٢٧.

[5] أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي، أبو العباس، كان فاضلاً بارعاً متفنناً عارفاً بالمذهب، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، تولى القضاء بمصر ثم بالشام ، وولي التدريس في دمشق، له كتاب (وفيات الأعيان) من أشهر كتب التراجم. توفي سنة ٦٨١هـ.
ينظر: الوافي بالوفيات (٧/٢٠١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٨/٣٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/١٦٨).

السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم »[1].

وفيما يلي بيان لبعض مؤلفاته التي أشارت إليها كتب التراجم[2] من غير تفصيل في التعريف بها، فقد بُذلت فيها جهود تغني عن التكرار[3].

١. أسباب النزول، وهو من أشهر ما ألف في هذا الفن[4].

٢. تفسير البسيط.

٣. الوسيط في تفسير القرآن المجيد.

٤. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

وأصبحت هذه التفاسير الثلاثة علماً على الوَاحِدِيّ، ولا يكاد يترجم له مترجم إلا ويذكرها.

٥. تفسير النبي -ﷺ-، ويذكر أحياناً باسم تفسير أسماء النبي -ﷺ- [5].

٦. التحبير في شرح أسماء الله الحسنى.

٧. الدعوات.

---

[1] وفيات الأعيان (٣/٣٠٣).

[2] ينظر: معجم الأدباء (٤/١٦٦٠)، وفيات الأعيان (٣/٣٠٣)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٣٤٠)، وطبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٤١)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٢/٣٠٣)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٦٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/٢٥٧)، وبغية الوعاة (٢/١٤٥)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٦.

[3] ذكر الأساتذة الفضلاء الذين حققوا كتاب البسيط في مقدمات رسائلهم العلمية عرضاً مفصلاً لمصنفات الوَاحِدِيّ وما يقطع بنسبته إليه وما لا يقطع، والمطبوع منها والمخطوط. كذلك من حقق كتاب الوسيط والوجيز وأسباب النزول وغيرها من كتب الوَاحِدِيّ؛ مما يغني عن ذكرها هنا.

[4] اعتمده الحافظ ابن حجر في كتابه المشهور:(العجاب في بيان الأسباب)، واختصره أبو إسحاق الجعبري فحذف أسانيده.

[5] ذكره القاضي ابن شهبة في طبقات الشافعية (١/٢٥٧)، وتبعه ابن العماد في شذرات الذهب (٣/٣٢٩).

٨. شرح ديوان المتنبي.

٩. الإغراب في الإعراب.

١٠. المغازي.

١١. نفي التحريف عن القرآن الشريف.

وهناك مصنفات منسوبة للوَاحِدِيّ؛ ولكنَّها غير ثابتة في نسبتها له، أعرضت عن ذكرها للاختصار.

وفاته:

توفي أبو الحسن الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن مرض طويل في جمادى الآخرة سنة ٤٦٨هـ بمدينة نيسابور [١].

[١] ينظر: معجم الأدباء (١٦٥٩/٤)، ووفيات الأعيان (٣٠٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (٣٤٢/١٨)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢٤١/٥)، وطبقات الشافعية للأسنوي (٣٠٤/٢)، وغاية النهاية في طبقات القراء (٤٦٣/١)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٥٧/١)، وبغية الوعاة (١٤٥/٢)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٦.

القيمة العلمية لتفسير الوَاحِدِيّ

▪ مقارنة بين تفاسير الوَاحِدِيّ الثلاثة:

اشتهرت تفاسير الوَاحِدِيّ الثلاثة: (البسيط والوسيط والوجيز) وأصبحت علماً عليه، وتلقاها الناس بالقبول وتداولوها، ولاقت إعجاب الكثيرين، من ذلك ما قيل للإمام الغَزَالِيّ[1]: «لمَ لا تصنف في التفسير؟ فقال: يكفي ما صنف فيه شيخنا الإمام أبو الحسن الوَاحِدِيّ »[2]. ولعل هذا الإعجاب من الغَزَالِيّ حمله على أن يسمي تواليفه الثلاثة في الفقه بأسماء كتب الوَاحِدِيّ الثلاثة في التفسير.

وسأذكر أهم الفروق بين هذه التفاسير في النقاط التالية:

١. "البسيط" أطول هذه التفاسير، وأوسعها، وأقدمها تأليفاً، يقع في خمسة وعشرين مجلداً مطبوعاً[3].

وقد مدحه القِفطِي بقوله: «وصنف التفسير الكبير وسماه "البسيط"، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، ومن رآه عَلِم مقدار ما عنده من علم العربية» [4].

ثم ألَّف الوجيز قبل أن يُتم البسيط؛ ليحقق رغبة من قصرت همتهم، وهو كتاب مختصر يقع في مجلدين[5]، يقول الوَاحِدِيّ في مقدمة الوجيز:« فإني كنتُ قد ابتدأتُ بإبداع

---

[1] محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد الفقيه الشافعي، المتصوف، رحل إلى نيسابور وغيرها في طلب العلم، من كتبه: إحياء علوم الدين، والمستصفى، وتهافت الفلاسفة، توفي سنة ٥٠٥ هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٢١٦/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٩١/٦).

[2] مرآة الجنان (١٥٥/٢).

[3] حُقق كتاب «البسيط» كمشروع في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد شارك في تحقيقه خمسة عشر باحثاً وباحثة.

[4] إنباه الرواة (٢٢٣/٢).

[5] تحقيق: صفوان عدنان داودي.

كتاب في التفسير لم أُسْبَق إلى مثله، وطال علي الأمر في ذلك لشرائط تقلَّدتها ومواجب لحق النصيحة لكتاب الله تحمَّلتها، ثم استعجلني قبل إتمامه والتَّقصِّي عمَّا لزمني من عهدة أحكامه نفرٌ متقاصرو الرغبات، منخفضو الدرجات، أولو البضائع المزجاة إلى إيجاز كتاب في التفسير يقرب على من يتناوله، ويسهل على من يتأمَّله من أوجز ما عُمل في بابه، وأعظمه عائدةً على مُتحفِّظيه وأصحابه»[1].

ثم ألَّف "الوسيط" وهو وسط بين "البسيط" و"الوجيز" ولهذا قال في مقدمته: «وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط ينحط عن درجة "البسيط" الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة " الوجيز" الذي اقتصر فيه على الإقلال، بتصنيف ما رُسِم من تفسير، أعفيه من التطويل والإكثار، وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار، وآتي به على النمط الأوسط، والقصد الأقوم، حسنة بين السيئتين، ومنزلة بين المنزلتين، لا إقلال ولا إملال»[2].

وقال عنه القِفطِي: « وهو مختار من البسيط – أيضاً –، غاية في بابه»[3]. وهذا يدل على أنَّ المادة العلمية في "الوسيط" إجمالاً منتقاة من "البسيط".

٢. استطرد الوَاحِدِيّ في البحوث اللغوية والنحوية في "البسيط"، بينما نجدها مختصرة على وجه كاف في "الوسيط"، ولم يعرِّج عليها في "الوجيز".

٣. جانب الرواية يكثر في "الوسيط"، ويقلُّ في "البسيط"، ولا وجود له في "الوجيز"، فقد ساق الوَاحِدِيّ أسانيد كثيرة في الوسيط، سواء في الأحاديث أو الآثار المروية عن الصحابة والتابعين، وإن كان جانب الحديث أقلَّ، وقد أتى في تفسيره ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة كحديث فضائل السور الذي أورده في الوسيط؛ لذا انتقده

---

[1] الوجيز (١/٨٧).

[2] الوسيط (١/٥٠).

[3] إنباه الرواة (٢/٢٢٣).

جملة من العلماء، فهذا ابن تَيْمِيَّة[١] يقول:« وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثَّعْلَبِيّ والوَاحِدِيّ والزَّمَخْشَرِيّ[٢] في فضائل سور القرآن سورة سورة فإنَّه موضوع باتفاق أهل العلم»[٣].

وقال ابن الصلاح[٤]:«...وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروى عن أُبَيّ بن كعب عن النبي -ﷺ- في فضل القرآن سورة فسورة، بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنَّه وجماعة وضعوه وإن أثر الوضع لبين عليه، ولقد أخطأ الوَاحِدِيّ المفسر، ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم - والله أعلم -»[٥].

٤. توسع الوَاحِدِيّ بذكر وجوه القراءات وتوجيهها والاحتجاج لها في "البسيط"،

---

[١] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرَّاني، أبو العباس، شيخ الإسلام، سيف مسلول على المخالفين، وإمام قائم ببيان الحق ونصرة الدين، أفتى ودرّس وصنف وهو دون العشرين، له تصانيف كثيرة، منها: كتاب الإيمان، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، توفي سنة ٧٢٨ هـ.
ينظر: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ص٢٥، والبداية والنهاية (١٣٥/١٤).

[٢] محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم الزَّمَخْشَرِيّ الخُوَارِزْمِيّ، النحوي اللغوي المفسر، كان واسع العلم، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، مجاهراً به، من تصانيفه: الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، توفي سنة ٥٣٨هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (١٦٨/٥)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص٢٢٠، وطبقات المفسرين للداودي (٣١٤/٢).

[٣] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٥٤/١٣).

[٤] عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشَّهْرُزُورِيّ، أبو عمرو، المعروف بابن الصلاح، الفقيه الشافعي، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، من كتبه: معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، توفي سنة ٦٤٣هـ.
ينظر: وفيات الأعيان(٣١٢/١)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣٢٦/٨)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١١٣/٢).

[٥] مقدمة ابن الصلاح ص٥٨.

واعتمد في أغلبها على كتاب "الحجة" لأبي عَلِيّ الْفَارِسِيّ[1]، بينما نجده مقلاً في "الوسيط"، ولا يكاد يذكر شيئاً منها في "الوجيز".

٥. غالباً ما يستوعب الوَاحِدِيّ الأقوال في "البسيط" فيذكرها بطولها، ويبيِّن اختلاف وجوهها مع الاستدلال والترجيح في الغالب، بينما نجده يختصر ذلك في "الوسيط"، ويقتصر في "الوجيز" على قول واحد معتمد لابن عباس[2] - رضي الله عنهما - أو من هو في مثل درجته، وأحياناً يذكر في الآية قولين أو أكثر خلافاً لما اشترطه في مقدمة "الوجيز" من ذكر قولاً واحداً.

- **أثر الوَاحِدِيّ فيمن بعده:**

ترك الإمام الوَاحِدِيّ -رحمه الله- أثراً واضحاً في كثير ممن جاء بعده من مفسرين، وفقهاء، وغيرهم، ويبدو هذا الأثر جلياً في انتفاعهم بتفاسيره من خلال النقول الكثيرة عنها.

وسأذكر أهم من تأثر بأقوال الوَاحِدِيّ واستفاد من تفاسيره، مرتبين حسب الوفاة.

١. ابن الجَوْزِيّ (ت: ٥٩٧هـ)[3]، في تفسيره ‹ زاد المسير في علم التفسير ›[4].

---

[1] الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان، أبو علي الفارسي، ويعرف بالفسوي نسبة إلى فسّا مدينة من بلاد فارس، إمام وقته في علم النحو، من تصانيفه: كتاب الإيضاح، والتذكرة، والحجة للقراء السبعة، توفي سنة ٣٧٧هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٢/٨٠)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٣٧٩)، وبغية الوعاة (١/٤٩٦).

[2] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حبر هذه الأمة، ولد بمكة، لازم النبي -صلى الله عليه وسلم- فدعا له بالتفقه في الدين وتعلّم التأويل، توفي سنة ٦٨هـ، وقيل: ٦٩هـ. ينظر: الاستيعاب (٣/٩٣٣)، وأسد الغابة، (٣/١٨٦)، والإصابة (٤/١٤١).

[3] عبد الرحمن بن علي بن محمد الجَوْزِيّ القرشي البغدادي، أبو الفرج، فقيه حنبلي، علّامة عصره وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، مشهور بكثرة التصنيف، من كتبه: زاد المسير، والموضوعات، والمنتظم،توفي سنة٥٩٧هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، وغاية النهاية (١/٣٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٨).

[4] ينظر على سبيل المثال: زاد المسير (٥/٤٤٤)، (٥/٤٦٧)، (٧/٢٦٧)، (٧/٣٩٨)، (٧/٤١٢).

٢. فخر الدين الرَّازِيّ [١] (ت: ٦٠٦هـ) في تفسيره ‹ مفاتيح الغيب ›:

يُعدُّ الرَّازِيّ من أكثر المفسرين تأثراً بالوَاحِدِيّ، ويظهر ذلك جلياً في كثرة نقوله عنه مؤيداً ومعجباً، وربما ناقشه ورد عليه قوله، وكثيراً ما ينص على اسم "البسيط"[٢]، ونادراً ما يذكر "الوسيط "[٣]، وقد ينقل عنه ولا يسمي كتابه[٤]، وقد يغفل ذلك فينقل عنه دون عزو[٥].

٣. النَّوَوِيّ [٦] (ت: ٦٧٦هـ) نقل عن الوَاحِدِيّ في العديد من كتبه، منها: ‹ المجموع شرح المهذب ›[٧]، و‹ تحرير ألفاظ التنبيه › [٨]، و ‹ وشرح صحيح مسلم › [٩]، و‹ روضة الطالبين وعمدة المفتين › [١٠]، و‹التبيان في آداب حملة القرآن› [١١].

---

[١] محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطَّبَرَستَانِيّ، أبو عبدالله، الفقيه الشافعي، المفسِّر، المتكلم، الأصولي، من تصانيفه: التفسير الكبير، والمحصول، وشرح الأسماء الحسنى، نقل عنه الذهبي قوله في وصيته:" لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن"، توفي سنة٦٠٦ هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٠٠/٢١)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٠.

[٢] ينظر على سبيل المثال: مفاتيح الغيب (٧٥/٥)، (١٠٠/٦)، (١٥٩/٧)، (١٤٤/٨)، (١٢١/٢٩).

[٣] ينظر على سبيل المثال: المرجع السابق (٥٥/٩).

[٤] ينظر على سبيل المثال: المرجع السابق (١٨١/٤)، (١١/٥)، (٨٢/٧)، (١١٥/٨)، (١٠/٩).

[٥] ينظر على سبيل المثال: المرجع السابق (١٦٣/٢).

[٦] يحي بن شرف النووي الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، علَّامة في الفقه والحديث، صنف التصانيف النافعة: كشرح مسلم، وشرح المهذب، والمنهاج، والأذكار، توفي عام ٦٧٦هـ.

ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٩٥/٨)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٥٣/٢).

[٧] ينظر على سبيل المثال: المجموع (٣٠٩/١)، (٦٦/٣)، (٢٦٣/٣)، (٣٢١/٣).

[٨] ينظر على سبيل المثال: تحرير ألفاظ التنبيه ص٦٤، ص١٢٦، ص١٦٦، ص٣٢٤.

[٩] ينظر على سبيل المثال: شرح صحيح مسلم (٨١/١)، (٥/٢)، (٨٦/٢)، (١٥٥٨/٣)، (٧٨/٧).

[١٠] ينظر على سبيل المثال: روضة الطالبين (٣٥٦/٥)، (٤٢٨/٧)، (٤٣٤/٧).

[١١] ينظر على سبيل المثال: التبيان في آداب حملة القرآن ص ٥٨، ص٧٥، ص١١٧.

٤. النَّيْسَابُوْرِيّ [١] (ت: ٧٢٨هـ) في تفسيره ‹ غرائب القرآن ورغائب الفرقان › [٢].

٥. الخَازِن [٣] (ت: ٧٤١هـ) في تفسيره ‹ لباب التأويل في معاني التنزيل› [٤].

٦. أبو حيَّان [٥] (ت: ٧٤٥هـ) في تفسيره ‹ البحر المحيط › [٦].

٧. ابن القَيِّم [٧] (ت: ٧٥١هـ) نقل عن الوَاحِدِيّ في العديد من كتبه كـ‹ التبيان في أقسام القرآن› [٨]، و‹حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح› [٩]، و‹عدة الصابرين› [١٠].

---

[١] حسن بن محمد بن حسين القمي النَّيْسَابُوْرِيّ، المعروف بالنظام الأعرج، مفسر، مقرئ، متصوف، من تصانيفه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، وشرح الشافية في التصريف، توفي سنة ٧٢٨هـ.
ينظر: بغية الوعاة (٢٥٥/١)، وهدية العارفين (٢٨٣/١).

[٢] ينظر على سبيل المثال: غرائب القرآن (٥١٢/١)، (٦٠٤/١)، (١٨/٢)، (١٢٣/٢)، (١٤٣/٣).

[٣] علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، أبو محمد، المعروف بالخازن،كان من أهل العلم، وقد خلف كتباً جمة في فنون مختلفة، منها: لباب التأويل في معاني التنزيل، وشرح عمدة الأحكام، ومقبول المنقول، توفي سنة ٧٤١هـ. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤٢/٣)، وطبقات المفسرين للداودي (٤٢٦/١).

[٤] ينظر على سبيل المثال: لباب التأويل (٣٧١/١)، (٤١٨/١)، (٢٦٣/٢)، (١٤٣/٣)، (٧٩/٤).

[٥] محمد بن يوسف بن علي بن حيَّان، أثير الدين الأندلسي الجَيَّانِي الغرناطي، المقرئ النحوي، برع في العربية والتفسير والقراءات والفقه والحديث والتراجم، له تصانيف مفيدة، منها: البحر المحيط، وعقد اللآلئ في القراءات، والتجريد لأحكام سيبويه، توفي سنة ٧٤٥هـ .
ينظر: طبقات السُبْكي (٢٧٦/٩)، والدرر الكامنة (٥٨/٦)، وبغية الوعاة (٢٨٠/١).

[٦] ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٤٠٤/٢)، (٤١٩/٢)، (٤٠٢/٤)، (٧٠/٥)، (٣٤٨/٨).

[٧] شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعِي الدمشقي الحنبلي، أحد كبار العلماء، كان بارعاً في عدة علوم ما بين تفسير وفقه وعربية ونحو وحديث وأصول وفروع، لزم شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ منه علماً كثيراً، صنف تصانيف كثيرة، منها: التبيان في أقسام القرآن، والصواعق المرسلة، وإعلام الموقعين، توفي سنة ٧٥١ هـ.
ينظر: النجوم الزاهرة (٢٤٩/١٠)، وبغية الوعاة (٦٢/١).

[٨] ينظر على سبيل المثال: التبيان في أقسام القرآن (١٤/٢)، (٦٣/٢)، (٧٠/٢)، (١١٤/٢)، (١١٧/٢).

[٩] ينظر على سبيل المثال: حادي الأرواح ص١٤٣، ص١٤٤، ص١٥١، ص٢٨٠.

[١٠] ينظر على سبيل المثال: عدة الصابرين ص١٥٥، ص١٥٧، ص١٥٩.

٨. السَّمِين الحَلَبِيّ [١] (ت:٧٥٦هـ) في ‹ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون›[٢].

٩. بدر الدين الزَّرْكَشِيّ [٣] (ت: ٧٩٤هـ) في كتابه ‹ البرهان في علوم القرآن› [٤].

١٠. الثَّعَالِبِيّ [٥] (ت: ٨٧٥هـ) في تفسيره ‹ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ›[٦].

١١.ابن عادل الدمشقي[٧] (ت: ٨٨٠هـ) في تفسيره ‹اللباب في علوم الكتاب›[٨].

١٢.جلال الدين السُّيوطِيّ[٩](ت: ٩١١هـ) في كتابه ‹الإتقان في علوم القرآن›[١٠].

---

[١] شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد، تلميذ أبي حيان، مقرئ، مفسر، نحوي، فقيه شافعي، من مصنفاته: الدر المصون وعمدة الحفاظ وشرح الشاطبية، توفي في القاهرة سنة ٧٥٦ هـ .
ينظر: غاية النهاية (١٣٨/١)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٨/٣)، والنجوم الزاهرة (٣٢١/١٠).

[٢] ينظر على سبيل المثال: الدر المصون (٥٠٣/١)، (٦١٧/٢)، (٦١٦/٢)، (٤٠/٣)، (٨٦/٣)، (١٦٧/٣).

[٣] محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ، بدر الدين أبو عبد الله، شافعي المذهب، فقيه، أصولي، مُحدِّث، أديب، له مؤلفات كثيرة، منها: البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، توفي سنة ٧٩٤هـ.
ينظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٦٧/٣)، والدرر الكامنة (١٣٣/٥).

[٤] ينظر على سبيل المثال: البرهان في علوم القرآن (١٧١/١)، (٥٠٦/٢)، (٢٧٧/٣)، (٣٣٨/٤).

[٥] عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسر، من أعيان الجزائر، من كتبه: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وجامع الأمهات في أحكام العبادات، توفي سنة ٨٧٥هـ.
ينظر: الضوء اللامع (١٥٢/٤)، والأعلام (٣٣١/٣)، وهدية العارفين (٥٣٢/١).

[٦] ينظر على سبيل المثال: الجواهر الحسان (٣٠١/٢)، (٣٦٣/٢)، (٣٧٧/٢)، (١٠٥/٣)، (١٤٢/٤).

[٧] عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني، أبو حفص، مفسِّر، من تصانيفه: اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن. توفي سنة ٨٨٠ هـ. ينظر: هدية العارفين (٧٩٤/١) ، والأعلام (٨٥/٥) .

[٨] ينظر على سبيل المثال: اللباب في علوم الكتاب (١٢٢/٣)،(١٧١/٣)، (٤٥٥/٣)، (٤٠/٤)، (٢١٤/٥).

[٩] عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السُّيوطِيّ الشافعي، أبو الفضل، كان إماماً حافظاً مؤرخاً أديباً، من أعلم أهل زمانه بالحديث، نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، من مؤلفاته: الدر المنثور في التفسير المأثور، والإكليل في استنباط التنزيل، والإتقان في علوم القرآن، توفي سنة ٩١١هـ.
ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (٥١/١)، وشذرات الذهب (٥١/٨) .

[١٠] ينظر على سبيل المثال: الإتقان في علوم القرآن (٤٥/١)، (١٤٥/١)، (٢٣٥/١)، (٣٩/٣).

ولعل الزَّرْكَشِيّ كان واسطة بينه وبين الوَاحِدِيّ في أغلب المواضع؛ لأنَّه بنى كتابه على البرهان.

١٣. الخطيب الشِّرْبِينِيّ[١] (ت: ٩٧٧هـ) في تفسيره ‹ السراج المنير›[٢]، وكتابه ‹ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ›[٣].

١٤. أبو السُّعُود[٤] (ت: ٩٨٢هـ) في تفسيره ‹إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ›[٥].

١٥. ابن عجيبة[٦] (ت: ١٢٢٤هـ) في تفسيره ‹ البحر المديد ›[٧].

١٦. والآلُوسِيّ[٨] (ت:١٢٧٠هـ) في تفسيره ‹روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

---

[١] محمد بن أحمد الشِّرْبِينِيّ، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسِّر، نحوي، من أهل القاهرة، من كتبه: السراج المنير، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، توفي سنة ٩٧٧ هـ.
ينظر: الأعلام (٦/٦)، وهدية العارفين (٢٥٠/٢).

[٢] ينظر على سبيل المثال: السراج (١٦٤/١)،(٤٣٧/١)، (١١٤/٢)، (٤٤٢/٣)، (٧٤/٤).

[٣] ينظر على سبيل المثال: مغني المحتاج (١٦١/١)، (٣٦٩/١)، (٧٩/٣).

[٤] محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السُّعُود، فقيه حنفي، أصولي، مفسِّر، شاعر، اشتغل بالتدريس والإفتاء والقضاء، من تصانيفه: إرشاد العقل السليم، وتهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي، توفي سنة ٩٨٢هـ.
ينظر: البدر الطالع (٢٦١/١)، والأعلام (٥٩/٧).

[٥] ينظر على سبيل المثال: إرشاد العقل السليم (٢١٩/١)، (١٣١/٢)، (١٦٤/٣)، (٦٣/٦)، (١٢٨/٩).

[٦] أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الإدريسي الشاذلي، مفسر صوفي من أهل المغرب، من كتبه: البحر المديد، وشرح على الآجرومية في النحو، توفي ١٢٢٤هـ. ينظر: الأعلام (٢٤٥/١)، ومعجم المؤلفين (٣٠٠/١).

[٧] ينظر على سبيل المثال: البحر المديد (٥٧٥/٢)، (٢٧٧/٣)، (١٢٦/٣)، (١٤٥/٤)، (٤٩١/٨).

[٨] شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلُوْسِيّ، أبو الفضل، مفسِّر، محدِّث، أديب، ولد في بغداد وتوفي فيها، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، من مصنفاته: روح المعاني، ودقائق التفسير، وله حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام، توفي سنة ١٢٧٠هـ. ينظر: هدية العارفين (٤١٨/٢)، والأعلام (١٧٦/٧)، ومعجم المؤلفين (٨١٥/٣).

والسبع المثاني› [1].

- **مصادر الوَاحِدِيّ في تفاسيره:**

المتتبع لتفسير الإمام الوَاحِدِيّ يجده قد استقى تفسيره من مصادر عدة، ورجع إلى أمهات الكتب، وأفاد منها فنقل منها بالمعنى حيناً، وبالنص أحياناً، فهناك مصادر أكثر في الأخذ منها، وأخرى أخذ منها بإقلال. وتظهر هذه المصادر بشكل واضح عند تتبع تفسيره "البسيط"، لاسيما أنه أول تفسير صنفه، ويليه " الوسيط"، أمَّا " الوجيز" فلا تكاد تراه يشير إلى قول مفسر أو نحوه؛ لأنه سلك فيه مسلك الإيجاز.

وسأعرض لتلك المصادر باختصار، فقد دُرست في عدة رسائل علمية بما يغني عن تفصيلها[2]، ويمكن تقسيمها إلى الآتي:

أولاً: المصادر الرئيسة:

١. تفسير ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - (ت:٦٨هـ):

صرح الوَاحِدِيّ في مقدمة "البسيط" باعتماده على تفسير ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما -، حيث قال:«وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عَبَّاس ما وجدت له نصاً»[3]، وقال في مقدمة الوجيز:«وتاركٌ ما سوى قولٍ واحدٍ معتمدٍ لابن عَبَّاس، أو مَن هو في مثل درجته» [4]. وقد التزم الوَاحِدِيّ هذا الشرط في تفسيره، فنجده يصدر كل آية حين تفسيرها بقول ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - بغض النظر عن صحة تلك الرواية أو ضعفها؛ إذ لم يكن من شأن الوَاحِدِيّ العناية بهذا الجانب[5].

---

[1] ينظر على سبيل المثال: روح المعاني (١/١٠٥)، (٢/١٤٦)، (٥/١٧)، (١٣/٦٠)، (١٤/١٣٨).

[2] ينظر: مقدمات الرسائل العلمية التي عنت بتحقيق البسيط.

[3] مقدمة البسيط (١/٤٢٧).

[4] مقدمة الوجيز (١/٤٢٧).

[5] ينظر: مقدمة تفسير البسيط، تحقيق:د.محمد بن عبدالعزيز الخضيري (١/٩١)، وكذا تحقيق: د. محمد بن صالح الفوزان، رسائل علمية (١/١٤٠)، فقد تحدثا بشكل موسع عن الروايات التي اعتمدها الوَاحِدِيّ عن ابن عَبَّاس.

٢. تفسير مُقَاتِل[١] (ت: ١٥٠هـ):

أخذ الوَاحِدِيّ عن مُقَاتِل الكثير من أقواله التفسيرية، والغالب أنَّه يصرح باسمه سواء في كتابه " البسيط" [٢] أو "الوسيط" [٣].

٣. معاني القرآن للفَرَّاء[٤] (ت: ٢٠٧هـ):

أفاد الوَاحِدِيّ كثيراً من كتاب الفَرَّاء، وضمَّن تفاسيره العديد من أقواله، ويظهر ذلك جلياً في "البسيط" [٥]، " والوسيط"[٦]، أمَّا "الوجيز" [٧] فلم يذكره إلا نادراً .

٤. مجاز القرآن لأبي عُبَيْدَة [٨] (ت: ٢١٠هـ):

كتاب أبي عُبَيْدَة هذا من أهم مصادر الوَاحِدِيّ في بسيطه ووسيطه، فقد نقل عنه الكثير من مسائل اللغة والتفسير، والغالب أنَّه يعزو إليه [٩].

---

[١] مقاتل بن سليمان الأَزْدِيّ الخرساني البَلْخِي، أبو الحسن، من أعلام المفسرين، من كتبه: التفسير الكبير، ومتشابه القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٥٠هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٢٥٥/٥)، وسير أعلام النبلاء (٢٠١/٧).

[٢] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٤٨٢/٤)، (٢٩٤/٧).

[٣] ينظر على سبيل المثال: الوسيط (١١٧/١) ، (٦٩/٢)، (١٨٧/٣).

[٤] يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي، أبو زكريا، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو، واللغة، وفنون الأدب، من مصنفاته: معاني القرآن، وغريب الحديث، والكافي في النحو، توفي سنة ٢٠٧هـ .
ينظر: وفيات الأعيان (١٧٦/٦)، وإنباه الرواة (٧/٤)، وسير أعلام النبلاء (١١٨/١٠).

[٥] ينظر على سبيل المثال: البسيط (١٩١/٢)، (٢٣٦/٣)، (٢٧٠/٦).

[٦] ينظر على سبيل المثال: الوسيط (١٠٩/١)، (١٥٤/١)، (٢٠١/٣).

[٧] ينظر: الوجيز (١٣٥/١).

[٨] مَعْمَرُ بن المثنى، التميمي بالولاء، البصري النحوي العلَّامة، أول من صنف في غريب الحديث، له عدة مصنفات، منها: غريب القرآن، ومجاز القرآن، ومعاني القرآن، توفي سنة ٢٠٩هـ، وقيل: ٢١٠هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٢٣٥/٥)، وإنباه الرواة (٢٧٦/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٥/٩).

[٩] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٤٠٢/٤)، (٢١٢/٤)، (٤٢٢/٦)، والوسيط (٨٦/١)، (٩٧/٣).

٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطَّبَرِيّ[١] (ت: ٣١٠هـ):

يُعدُّ تفسير الطَّبَرِيّ مرجعاً هاماً لكثير من التفاسير، فكل من جاء بعده عدّه مصدراً رئيساً له، والوَاحِدِيّ نقل عنه كثيراً من أقواله وناقشها، كما نقل عنه آثار السلف، وبعض القراءات، والمسائل اللغوية، وغير ذلك [٢].

٦. معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج [٣] (ت: ٣١١هـ):

أفاد الوَاحِدِيّ من أقوال الزَّجَّاج في معاني القرآن، واللغة، والنحو، فهو من أهم مصادره في تفسيره، وقلَّ أن يعرض لتفسير آية دون أن يذكر قول الزَّجَّاج أو توجيهه [٤].

٧. كتب أبي بكر الأَنْبَارِيّ[٥] (ت: ٣٧٠هـ):

أقوال ابن الأَنْبَارِيّ في معاني القرآن، واللغة، والنحو، وغيرها، مصدرٌ رئيسٌ في تفسير الوَاحِدِيّ، فكثيراً ما يعزو إليه دون التصريح باسم كتابه[٦].

---

[١] محمد بن جرير بن يزيدَ بن كَثِيرٍ الطَّبَرِيّ، كان إماماً في فنون كثيرة، منها: التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وكان من الأئمة المجتهدين، له مصنفات في فنون عديدة: منها: تفسيره جامع البيان الذي لم يصنف مثله، وتاريخ الأمم والملوك وهو أصح التواريخ وأثبتها، وتهذيب الآثار، توفي سنة ٣١٠هـ .
ينظر: وفيات الأعيان (١٩١/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١١٠/٢).

[٢] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٣٢/٢)، (١٤٧/٢)، (٣٨١/٢)، والوسيط (٣٣٨/١).

[٣] إبراهيم بن محمد بن السَّرِيّ بن سهل الزَّجَّاج النحوي، أبو إسحاق، كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، لزم المبرِّد وأخذ عنه، من مصنفاته: معاني القرآن وإعرابه، والاشتقاق، ومختصر النحو، توفي سنة ٣١١هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٤٩/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)، وطبقات المفسرين للداودي (٩/١).

[٤] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٤٠٤/٣)، (٣٣٦/٣)، والوسيط (٣٧٧/٣)، (٣٨١/٣).

[٥] محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأَنْبَارِيّ، أبو بكر، من أعلم الناس بالنحو والأدب، ومن أكثرهم حفظاً، صنف كتباً كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، منها: المشكِل في معاني القرآن، ورسالة المشكِل، وإيضاح الوقف والابتداء، توفي سنة ٣٢٨ هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٣٤١/٤)، وإنباه الرواة (٢٠١/٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥).

[٦] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٣٤/٢)، (٣٧٣/٢)، والوسيط (٥٩١/٢)، (٣٣/٣).

٨. تهذيب اللغة لأبي منصور الأَزْهَرِيّ[١] (ت: ٣٧٠هـ):

يُعدُّ تهذيب اللغة مصدراً هاماً للوَاحِدِيّ في مجال اللغة واشتقاق الكلمات، كما أفاد من كتابه في الجانبين اللغوي والتفسيري إفادة واضحة[٢]، بل إن كثيراً من أقوال أئمة اللغة إنما عبر إليها الوَاحِدِيّ من طريق التهذيب[٣].

٩. الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفَارِسِيّ (ت: ٣٧٧ هـ):

اعتمد الوَاحِدِيّ اعتماداً كبيراً على كتاب أبي علي في توجيه القراءات، كما نقل عنه في اللغة، والتفسير، وغيرها، وقد صرح بذلك في مقدمة "البسيط" فقال:« وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الْحِيرِيُّ عنه»[٤]؛ لذا فإن الوَاحِدِيّ قد يهمل العزو إليه[٥] اعتماداً على ما ذكره سابقاً في مقدمته، وقد يعزو إليه أحياناً[٦].

١٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثَّعْلَبِيّ (ت: ٤٢٧هـ):

أثنى الوَاحِدِيّ على تفسير شيخه الثَّعْلَبِيّ في مقدمة "البسيط" فقال:«وله التفسير الملقب بـ‹ الكشف والبيان عن تفسير القرآن›، الذي رفعت به المطايا في السهل

---

[١] محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأَزْهَرِيّ الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، فقيهٌ شافعي المذهب، عارفٌ وماهرٌ في علم الحديث، من تصانيفه: التهذيب في اللغة، وتفسير ألفاظ مختصر المزَنِيّ، والتقريب في التفسير، توفي سنة ٣٧٠هـ.

ينظر : وفيات الأعيان (٣٣٤/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦) ، وبغية الوعاة (١٩/١).

[٢] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٥٤٩/٢)، (٢٧٢/٣)، (٣٩٤/٦)، والوسيط (٣٧/٤)، (٢٢٨/٤).

[٣] ينظر: مقدمة تفسير البسيط، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالعزيز الخضيري، رسالة علمية (١٠٠/١).

[٤] مقدمة البسيط (٤٢٧/١).

[٥] ينظر: البسيط (٥٠٠/١)، والحجة للقراء السبعة (١٣/١).

[٦] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٣٣٢/٢)، (٢٨٧/٦)، والوسيط (٢٩٦/٢)، (٤٣٦/٤).

والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهب هبوب الرياح في الأقطار ...»[1]، ولا غرو أن يكثر النقل عنه، لاسيما في نقل الأحاديث والآثار المروية بسنده، ويظهر ذلك جلياً في تفسيره "الوسيط"[2]؛ لأنَّه تميز بكثرة الرواية، كما أفاد منه في جانب تفسير الآية، والأحكام الفقهية، والأخبار وبعض الإسرائيليات واللغة والنحو، ولكنَّه في أغلب الأحيان لا يعزو إليه، وإذا قال: "قال المفسرون" فإنَّه في الغالب يريد الثَّعْلَبِيّ[3].

ثانياً: المصادر الأخرى:

هناك مصادر أخرى أخذ منها الوَاحِدِيّ واستفاد منها، لكنها أقلُّ من سابقتها. أذكر منها على سبيل المثال:

١. معاني القرآن لأبي الحسن الأَخْفَش[4] (ت: ٢١٥ هـ):

نقل الوَاحِدِيّ عن الأَخْفَش بعض المسائل النحوية، وتفسيره لبعض معاني القرآن، وغالباً ما يصرح باسمه [5].

٢. كتب ابن قُتَيْبَة[6] (ت ٢٧٦ هـ):

أفاد الوَاحِدِيّ من كتابي ابن قُتَيْبَة " تأويل مشكِل القرآن" و "تفسير غريب القرآن"،

---

[1] مقدمة البسيط (١/٤٢٤).

[2] ينظر على سبيل المثال: الوسيط (٢/١٩٣)، (٢/٥٠٥)، (٤/٤٨٥).

[3] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٢/٦٣٠)، وينظر: تفسير الثعلبي (١/٢١١).

[4] سعيد بن مَسْعَدَة المجَاشِعِيّ البَلْخِي، المعروف بالأَخْفَش الأوسط، أبو الحسن، من أئمة العربية وأحد نحاة البصرة، أخذ النحو عن سيبويه، وكان معتزلياً، من مصنفاته: تفسير معاني القرآن، والأوسط في النحو، والعروض، توفي سنة ٢١٥هـ، وقيل: ٢٢١هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٢/٣٨٠)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/٣٦).

[5] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٤/٣١٧)، (٤/٢١٤)، والوسيط (٣/٤٩٦)، (٤/٢٦١).

[6] عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِيّ، أبو محمد، كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ديناً فاضلاً، صاحب التصانيف المشهورة، منها: غريب القرآن، وغريب الحديث، وتأويل مشكِل القرآن، توفي سنة ٢٧٦هـ. ينظر: تاريخ بغداد (١٠/١٧٠)، ووفيات الأعيان (٣/٤٢)، وبغية الوعاة (٢/٦٣).

في تفسيره، والغالب أنَّه يعزو إلى ابن قُتَيْبَة دون التصريح بالمصدر[١].

٣. نَظْم القرآن لأبي عَلِيٍّ الجُرْجَانِيّ[٢].

كتاب الجُرْجَانِيّ من الكتب المفقودة التي لم تصل إلينا، وقد نقل الوَاحِدِيّ عنه في مواضع عدة في تفسيره؛ لذا فإن تفسير الوَاحِدِيّ مرجعٌ لكثير من أقوال أبي علي الجُرْجَانِيّ، وغالباً ما يعزو إليه، وغالباً ما يذكره بقوله:"قال صاحب النَّظْم" [٣].

والحديث عن مصادر الوَاحِدِيّ يطول؛ فقد ضمّن تفسيره العديد من أقوال الصحابة والتابعين، وآراء أهل اللغة والنحو كسِيبَوَيْهِ[٤]، والْمُبَرِّدِ [٥]، وأبي جعفر النَّحَّاس[٦]، وأبي عبيد القاسم بن سلَّام[٧]، وغيرهم.

---

[١] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٢٩٩/٦)، (٤١١/٦)، والوسيط (٤٣٤/١) (٣٢٧/٤).

[٢] الحسن بن يحيى بن نصر الجُرْجَانِيّ، له تصانيف عدة، منها:"نظم القرآن" مجلدان، توفي في القرن الرابع تقريباً. ينظر: تاريخ جرجان ص١٨٧، والأنساب (٨٠/٢)، ومعجم البلدان (١٥٩/٢).

[٣] ينظر على سبيل المثال: البسيط (٢١٢/٧)، (٤/ ٤٢٧) ، والوسيط (٣٥٨/٢)، (٧٠/٣).

[٤] عمرو بن عثمان بن قَنْبَرٍ الفارسيّ البصريّ، الملقب بسِيبَوَيْهِ، أبو بِشْر، إمام النحو، حجة العرب، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل عصره، ألف كتابه المنسوب إليه في النحو، الذي لم يسبقه إليه أحد، توفي على الأصح سنة ١٨٠ هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٢٢٠/٢)، وإنباه الرواة (٣٤٦/٢).

[٥] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأَزْدِيّ، أبو العباس، ولد بالبصرة، كان إماماً في النحو واللغة، أخذ عن أبي عثمان المازِنِيّ وأبي حاتم السِّجِسْتَانِيّ، من تصانيفه: الكامل في الأدب، والروضة، والمقتضب، توفي سنة ٢٨٥هـ. ينظر: طبقات النحويين واللغويين ص١٠١، ووفيات الأعيان (٣١٤/٤)، وبغية الوعاة (٢٦٩/١) .

[٦] أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المُرَادي النَّحَّاس، أبو جعفر، النحوي المصري، رحل إلى العراق، وسمع من الزَّجَّاج، وأخذ عنه النحو، صنَّف في علوم القرآن والأدب، فزادت تصانيفه على خمسين مصنفاً منها: معاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، والكافي في النحو، توفي سنة ٣٣٧هـ، وقيل: ٣٣٨هـ .
ينظر : وفيات الأعيان (٩٩/١)، وإنباه الرواة (١٣٦/١).

[٧] القاسم بن سلَّام البغدادي، اللغوي الفقيه،كان حافظاً للحديث، إماماً في القراءات، فاضلاً في دينه وعلمه، من تصانيفه: فضائل القرآن، والناسخ والمنسوخ، ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث، توفي سنة ٢٢٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٦٠/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٩٠/١٠)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٢/٢) .

القسم الأول

منهج الوَاحِدِيّ في الاختيار والترجيح

الفصل الأول

صيغ الاختيار والترجيح وأساليبه عند الوَاحِدِيّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح والفرق بينهما، وأهميتهما في مسائل الخلاف.

المبحث الثاني: صيغ الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ.

المبحث الثالث: أساليب الاختيار والترجيح وطرقه عند الوَاحِدِيّ.

المبحث الأول
تعريف الاختيار والترجيح والفرق بينهما
وأهميتهما في مسائل الخلاف

أولاً: تعريف الاختيار:

الاختيار في اللغة: مصدر اختار يختار، و«الخاء والياء والراء أصله العَطْف والمَيْل»[1]، وخار الشيءَ واختاره: انتقاه، والاخْتِيَارُ: الاصطفاء، وكذلك التَّخَيُّرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥][2].

والاختيار كذلك: طلبُ ما هو خيرٌ، وفعلُه [3].

قال الإمام ابن تَيْمِيَّة:« والاختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل، والانتقاء، والاصطفاء، كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ إلى قوله:﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه: ١١- ١٣] »[4].

والاختيار عند المفسرين يمكن أن يعرَّف بأنَّه: الاقتصار على قول واحد في معاني الآيات والإعراض عن غيره، أو تمييزه عن غيره بتقديم، أو تعليل مختصر بنحو أولى، أو أظهر...[5].

---

[1] معجم مقاييس اللغة (٢/٢٣٢)، مادة (خير).

[2] لسان العرب (٢/٢٦٤)، مادة (خير) .

[3] مفردات ألفاظ القرآن ص٣٢٩، مادة (خير).

[4] جامع الرسائل (١/١٣٧).

[5] معجم مصطلحات علوم القرآن ص١٤.

ثانياً: تعريف الترجيح:

الترجيح في اللغة: الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح إذا رزن[١]، وحِلْم راجح: يَرْزُن بصاحبه فلا يُخِفُّه شيء[٢]، ورجح الشيء بيده رَزَنَه ونظر ما ثِقْلُه، وأَرْجَحَ الميزانَ: أَثقله حتى مال[٣].

وعُرف الترجيح في اصطلاح الأصوليين بأنَّه: «تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل»[٤].

وقيل:«بيان اختصاص الدليل بمزيد قوة عن مقابله ليعمل بالأقوى»[٥].

ثالثاً: الفرق بين الاختيار والترجيح.

لم أرَ من فرَّق بينهما من المتقدمين، وقد نهجت بعض الدراسات العلمية المتأخرة منهج التفريق بينهما، فقد عرَّف الدكتور حسين الحربي الترجيح بقوله:« تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية على غيره لدليل، أو تضعيف ما سواه من الأقوال».

والاختيار بقوله:« الميل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية، مع تصحيح بقية الأقوال»[٦]. وسار على ذلك بعض الباحثين.

فالفرق بينهما حسب التعريفين السابقين أنَّ الترجيح تقوية لأحد الأقوال؛ ليُعلم الأقوى؛ فيُعمل به، ويُطرح الآخر، بخلاف الاختيار؛ فإنَّه ميل إلى المختار، وليس فيه طرح للأقوال الأخرى.

ويُبنى على هذا أنَّ الترجيح يُصار إليه عندما يكون الخلاف أو الاختلاف بين

---

[١] معجم مقاييس اللغة (٤٨٩/٢)، مادة (رجح).

[٢] تهذيب اللغة (٨٧/٤)، مادة (رجح).

[٣] لسان العرب (٤٤٥/٢)، مادة (رجح).

[٤] شرح الكوكب المنير (٦١٦/٤).

[٥] البحر المحيط للزركشيّ (٤٢٥/٤).

[٦] منهج الإمام ابن جَرِير الطَّبَرِيّ في الترجيح، د. حسين الحربي، ص٥٧.

الأقوال من قبيل التضاد، والاختيار يُصار إليه عندما يكون الاختلاف بين الأقوال من قبيل التنوع.

والذي يظهر – والله أعلم – أنَّ المفسرين لا يفرقون بينهما في الاستعمال، بل إنَّهم يوقعون أحدهما بمعنى الآخر، ويعبرون بهما معاً في بعض المواضع[1]، والتعريف اللغوي يَعْضُد ذلك؛ فإنَّ الميل إلى أحد الأقوال يقتضي تضعيف غيره، بغض النظر عن درجة التضعيف؛ إذ لو كان القولان متساويين عند الناظر فيهما لم يختر، أو يرجح أحدَهما، بل يتوقف.

فالاختيار والترجيح درجات[2]، فأحياناً يقطع المفسِّر بصواب أحد الأقوال، ورجحانه على غيره، ويبطل ما سواه أو يضعِّفها تضعيفاً شديداً، وأحياناً لا يتوفر له من الأدلة ما يجعله يقطع بصوابه وصحته، ولا يقوم بأدلة الأقوال الأخرى من الضَّعفِ ما يجعلها غير معتبرة، ولكن عند الموازنة تَرْجِحُ كفَّةُ أحد الأقوال.

والحقيقة أنَّ استنباط الفرق بين المصطلحين، وتميز أحدهما عن الآخر يحتاج إلى استقراء عمل المفسرين.

والذي ظهر لي بعد استقراء تفسير الإمام الوَاحِدِيّ أنَّه لا يفرق بينهما بل نجده يستعمل لفظ الاختيار في محل الترجيح بين قولين متضادين.

---

[1] أمَّا تعبيرهم عن القول الراجح الذي قد ضعِّف غيره بأنَّه اختيار، فينظر على سبيل المثال: مفاتيح الغيب (١٤٠/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٢٢/٥).

ومن أمثلة إطلاقهم الترجيح على الاختيار الذي ليس فيه إشارة إلى تضعيف بقية الأقوال ما ذكره ابن كثير (٣٠٦/١) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]، حيث ذكر الأقوال فيها، ثم قال عن القول الأخير: وقد رجحه ابن جرير مع توجيه غيره»، وحينما نذهب إلى تفسير ابن جرير (٢٣٧/٢) نجده يقول: « ولكلٍّ مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجه ومخرج في كلام العرب، غير أنَّ أعجب الأقوال إليّ في ذلك ما قلناه أولاً ... ».

وأحياناً يعبرون بقولهم: (الراجح المختار)، ونحو ذلك من العبارات. ينظر على سبيل المثال: المحرر الوجيز (٢٥٥/٣)، والجواهر الحسان (٢٣٨/٢).

[2] ينظر: التسهيل (١٠/١).

• فمثلاً عند تفسير الوَاحِدِيّ لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١١٥]، ذكر قولين للعلماء في حقيقة نزول المائدة، فمن العلماء من قال بنزولها، ومنهم من قال خلاف ذلك، ثم قال: « **والصحيح المختار** قول من قال إنَّها نزلت؛ لتظاهر الآثار بذلك؛ ولكثرة من قال بها من العلماء»[١].

فالوَاحِدِيّ ذكر في نزول المائدة قولين متضادين، ومع ذلك استعمل لفظ (المختار) حين رجح أنَّها نزلت مما يدل على أنَّه لا يفرق في الاستعمال بينهما.

• ومن ذلك أيضاً ما ذكره من اختلاف المفسرين في رجوع الكناية من ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ حيث رجح بعض المفسرين رجوع الضمير على النبي -ﷺ-، وأكثرهم قال بعوده على أبي بَكْر[٢]، ثم قال الوَاحِدِيّ:« **والاختيار** أن تكون الكناية راجعة على أبي بَكْر»[٣].

وكثيراً ما يستدل الوَاحِدِيّ بأقوال أهل اللغة كالزَّجَّاج والفَرَّاء، ويذكر ما رجحوه في الآية بلفظ الاختيار سواء كانت الأقوال التي سيقت في تفسير الآية متضادة أو تتفاوت قوة وضعفاً من جهة ترجيحها[٤].

---

[١] ص٢٣٤ من البحث.

[٢] عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو الْقُرَشِيّ التَّمِيمِيّ، أبو بَكْر الصديق بن أبي قُحَافَةَ، خليفة رسول الله -ﷺ- صحب النبي -ﷺ- قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها، توفي سنة ١٣هـ. ينظر: الاستيعاب (٩٦٣/٣)، والإصابة (١٦٩/٤).

[٣] ص٣٠١ من البحث.

[٤] ينظر على سبيل المثال: البسيط (١٥٢/٦)، (٤٢٣/١٣)، (٣٤٤/٢١).

أهمية الترجيح والاختيار في مسائل الخلاف

تظهر أهمية دراسة الترجيحات ومعرفة الأوجه والأقوال الراجحة في تفسير الآيات في مسائل الخلاف من عدة وجوه:

١- أنَّ تحقيق أقوال المفسرين، والتمييزِ بينَها، ومعرفةِ مراتبِها من مقاصد التفسير. وقد نص على ذلك بعض المفسرين، منهم ابن جُزَي الْكَلْبِيّ[(١)]؛ فقد ذكر في مقدمة تفسيره أنَّ من مقاصد تصنيفه: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح.

قال مبيناً وجه هذا المقصد:« وذلك أن أقوال الناس على مراتب، فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً »[(٢)].

٢ - أنَّ دراسة الأقوال والمعاني التي قيلت في الآية بعد استيفائها وفق منهج علمي يساعد على طرح الأقوال الضعيفة والشاذة التي قيلت بلا مستند أو دليل، ويقوي الصحيحة منها بإسناد الدليل إليها؛ وبذلك يُحَدُّ من النزاع والخلاف فيما لا طائل تحته.

قال ابن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ- تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]« فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَّفَ القولين الأولين وسكت

---

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَي الْكَلْبِيّ الغرناطي، أبو القاسم، من أهل غَرْنَاطَة، كان فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب، حافظاً للتفسير، من مصنفاته: التسهيل لعلوم التنزيل، ووسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، توفي سنة ٧٤١هـ.
ينظر: الدِّيباج المذهَّب ص ٢٩٥، وطبقات المفسرين للداودي (٨١/٢).

(٢) مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل (١٠/١) .

عن الثالث، فدلَّ على صحته؛ إذ لو كان باطلاً لَرَدَّهُ كما ردَّهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحتَه، فقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنَّه ما يعلم بذلك إلا قليلٌ من الناس ممن أَطْلَعَهُ الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرٗا﴾ أي: لا تُجْهِدْ نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنَّهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب. فهذا أحسنُ ما يكون في حكاية الخلاف: أن تُسْتَوْعَبَ الأقوالُ في ذلك المقام، وأن يُنَبَّهَ على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتُذْكَرَ فائدةُ الخلاف وثمرتُه؛ لئلا يطولَ النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم. فأمَّا من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقصٌ؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقصٌ أيضًا. فإن صَحَّحَ غيرَ الصحيحِ عامداً فقد تعمَّد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، وكذلك من نصبَ الخلافَ فيما لا فائدةَ تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظًا ويَرْجِعُ حاصلها إلى قولٍ أو قولين معنىً، فقد ضيع الزمان، وتَكَثَّرَ بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور[1]، والله الموفق للصواب»[2].

٣- أنَّ دراسة مواضع الخلاف في التفسير، وبيان الصحيح من الأقوال وتحديد الراجح منها هو السبيل الأمثل لتنقية كتب التفسير من رديء الأقوال، وضعيف الروايات، وشواذ المسائل.

---

[1] ثبت في صحيح البخاري في كتاب النكاح، باب من تشبع بما لم ينل وما يُنْهى من افتخار الضَّرة، عن أسماء أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ »، رقم الحديث (٤٩٢١)، (٥/ ٢٠٠١)، وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط، رقم الحديث (٥٧٠٥)، (١٦٨/٦).

[2] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٩٧/١٣).

وعليه فإن الترجيح الصحيح هو صفوةُ التفسير وخُلاصَتُهُ، خاصة إذا أعطي صاحبه قوة في الترجيح والاستدلال.

٤- أنَّ اختيار القول الأقوى معنى، والأكثر دلالة على المقصود من الآية يفيد في حمل كلام الله -تعالى- على أكمل الوجوه[١].

[١] ينظر: اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة الإسراء ص٢٥، بتصرف.

المبحث الثاني

صيغ الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ

صيغ الاختيار والترجيح: هي الألفاظ والعبارات التي يستخدمها المفسِّر في ترجيح قولٍ على آخر أو اختياره، سواء كان هذا الترجيح بتصحيح قولٍ أو تضعيف آخر.

وقد استعمل الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عدة صيغٍ في التعبير عن القول الراجح عنده والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: الترجيح بلفظ صريح:

- **التصريح بتصحيح أحد الأقوال أو تصويبه أو اختياره، كقوله:**
- الصحيح: وهذا القول يجب أن يكون الصحيح، والصحيح ما عليه المفسرون.
- الصواب: والصواب القول الأول، والصواب في تفسير هذه الآية.
- الاختيار: وهذا القول هو اختيارنا، والمختار، وهذا القول هو الاختيار.
- القول: وهذا هو القول، والقول ما عليه الجماعة، والقول عندي.
- الوجه: والوجه القول الأول، والوجه ما عليه عامة المفسرين.

وهذه الصيغ ونحوها تدل على ترجيح الوَاحِدِيّ لهذا القول وتقديمه على غيره من الأقوال بلفظٍ صريحٍ وتضعيفِ ما سواه.

ومن أمثلة ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ [الأحقاف: ١٧]، قال الوَاحِدِيّ:« المفسرون على أنَّها نزلت في عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ[١] قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام...**والصحيح** أنَّ الآية نزلت في كافر عاق لوالديه»[٢].

---

[١] عَبْد الرَّحْمَنِ بن عبد الله بن عثمان بن عامر التَّيْمِيّ القُرَشِيّ، أبو محمد، صحابي جليل، أكبر ولد الصديق، وشقيق عائشة - رضي الله عنهما -، أسلم قبيل الفتح، وكان فارسًا من أشجع قريش وأرماهم بسهم، شهد اليمامة والفتوح، توفي سنة ٥٣هـ، أو بعدها. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٨٢٤)، والإصابة (٤/ ٣٢٥).

[٢] ص٦٩٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى من البحث: ص١٠٠، ٣٥٢، ٤٤٠، ٥٦٠، ٧٤١، ٨١١.

- عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالكنز أحدهما: أنَّ كل ما أدّي زكاته فليس بكنز، والثاني: أنَّ المراد بهذا جمع المال وإن أدّيت الزكاة، ثم قال:« **والصواب القول الأول**؛ لأنَّه لا وعيد لمن جمع المال من الحلال وأدّى الزكاة..»[١].

- ذكر الوَاحِدِيّ قولين في معنى الخُلَّة، ثم قال:« والخُلَّة: الحاجة، من الإخلال الذي يلحق الإنسان، والخُلَّة الصداقة؛ لأنَّ كل واحد من الخليلين يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة إليه. فهذان القولان ذكرهما أهل المعاني، **والاختيار هو الأول**؛ لأنَّ الله -ﷻ- خليل إِبْرَاهِيْم، وإِبْرَاهِيْم خليل الله»[٢].

- عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ذكر الوَاحِدِيّ أقوال المفسرين في المراد بالمبطلين، القول الأول: أنَّهم كفار قريش، والثاني: أنَّهم كفار اليهود، ثم رجح القول الأخير وعلل اختياره بقوله:« **وهذا هو القول**؛ لأنَّ أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي -ﷺ- بنعته وصفته حقاً يقيناً، وإنَّما يجحدون نبوته بعد اليقين...»[٣].

- ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالعذاب العقيم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]، وهما أنَّ المراد: يوم بدر، أو يوم القيامة، ثم قال:« **والوجه القول الأول**؛ لأنَّ ذكر القيامة قد تقدَّم في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾[الحج: ٥٥]»[٤].

---

[١] ص٢٩٥ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٧١، ٦٨٨.

[٢] ص٢٠٣ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٣٥، ٢١٥، ٣٠١، ٣٥٥، ٤٥٠.

[٣] ص٥٨٩ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٢٧، ٢٥٥، ٣٠٩، ٦٤٨، ٧٥٣.

[٤] ص٥٠٥ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٨٧، ٢٤٣، ٣٤٣، ٦٠٥، ٧٩٣.

- **التصريح بتفضيل قول على غيره، كقوله:**

- أجود: وهذا القول أجود، والأول أجود، وهذا أجود ما قيل في تفسير الآيات.
- أحسن: والأحسن في تفسير الآية، وهذا أحسن ما قيل.
- أصح: وهذا أصح، والقول الأول أصح، وهذا هو الأصح.
- أظهر: وهذا أظهر التأويلين، والأظهر هو القول الأول، والأول أظهر.
- أقرب: وهذا أقرب، وهو أقرب، ولعل الأقرب هذا القول.
- أقوى: وهو أقوى القولين، والأول أقوى، والوجه الثاني أقواهما.
- أليق: والقول الأول أليق بنظم الآية، وهذا القول أليق بالمعنى.
- أولى: والتأويل الأول أولى، وهذا القول أولى، وهذا أولى الأقوال.

وهذه الصيغ ونحوها تدل على أن في الآية أقوالاً أخرى محتملة ولها وجه من الصحة، فإن الحكم على أحد القولين بأنَّه أصح أو أظهر أو أقوى أو غير ذلك، لا يدل على فساد القول الآخر أو بطلانه؛ بل يحتمل الصحة، ولكن القول الآخر أصحُّ أو أظهر، وهذا ما يسمى عند المفسرين بـ(تقديم الأولى)، فإذا كانت الأقوال المختلفة في الآية محتملة، وليس بينهما تعارض، وكان أحدهما أقوى في الدلالة سواءً في لفظ الآية أو السياق أو دليل من السنة أو لغة العرب أو غير ذلك؛ فإنَّه يقدم على غيره من الأقوال.

قال العِزّ بن عَبْدِ السَّلَام[1] :« وأولى الأقوال ما دلّ عليه الكتاب في موضع آخر أو السنة أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين؛ وكان حمله على أحدهما أوضح وأشدُّ موافقة للسياق كان العمل عليه أولى» [2].

---

[1] عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، أبو محمد السُّلمي الدمشقي الشافعي شيخ المذهب، الملقب بسلطان العلماء، فقيه، أصولي، مفسِّر، له قدم صدق في إنكار المنكر على العامة والسلاطين، من مصنفاته: تفسير القرآن، ومجاز القرآن، والقواعد الكبرى والصغرى، وتوفي سنة ٦٦٠هـ.
ينظر: طبقات الشافعية للسُبْكي (٢٠٩/٨)، وطبقات المفسرين للداودي (٣١٥/١).

[2] الإشارة إلى الإيجاز (٤٧٧/١٥).

وذكر الماوَرْدِيّ[1] قبله في معرض بيانه لضروب الترجيح: «والضرب الثاني: أن يكون دليلاً على صحة أحد المعنيين، فيثبت حكمه ويكون مراداً، ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر، ويجوز أن يكون مراداً»[2].

وإليك الأمثلة على ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ [السجدة: ٢٧]، بيَّن الوَاحِدِيّ معنى الأرض الجرز في اللغة، ثم ذكر أنَّ بعض المفسرين خصَّها بأرض معينة، ومنهم من قال بالعموم، ثم اختاره معللاً ذلك بقوله:« وهذا القول كان **أجود**؛ لأنَّه أشبه بنظائر هذه الآية من الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة، ولم يأت شيء منها في أرض بعينها»[3].

- عند قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود: ٥٨]، اختار الوَاحِدِيّ أنَّ المراد بالعذاب الغليظ في الآية هو عذاب الآخرة لا عذاب الدنيا، فقال:« وقال بعضهم: يعني عذاب يوم القيامة، **وهذا أحسن**؛ لأنَّ الإنجاء من عذاب الدنيا قد سبق، كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب»[4].

- عند قوله تعالى: ﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ**﴾ [آل عمران: ٨١]، من المفسرين من قال بعموم الآية، ومنهم من جعلها خاصة بالنبي -ﷺ-، واختار الوَاحِدِيّ الأخير، فقال:« وهذا **هو الأصح**؛ لأنَّ المراد بالآية التنويه بذكر محمد -ﷺ- بما أخذ على النبيين

---

[1] علي بن محمد الماوَرْدِيّ البصري، أبو الحسن، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، من تصانيفه: الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، وتفسيره النكت والعيون، والأحكام السلطانية، توفي سنة٤٥٠هـ.
ينظر: طبقات الشافعية للسُبْكي (٢٦٧/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (٤٢٧/١).

[2] النكت والعيون (٤٠/١).

[3] ص٦١١ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٠٨، ٤١٨.

[4] ص٣٢٤ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٤٢٥، ٧٤٨، ٧٧٧.

من التصديق به، واعتقاد النصرة له، مع الاحتجاج على أهل الكتاب باتِّبَاع سبيلِ النبيين فيه»[1].

- ذكر الوَاحِدِيّ قولين في مرجع هاء الكناية في (له) من قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥]، الأول: رجوعه على المتصدِّق، وهو المجروح أو ولي الدم، والثاني: رجوعه على المتصدَّق عليه، أي: الجارح. ثم قال:« والقول **الأول أظهر**؛ لأنَّ العائد فيه يرجع إلى مذكور وهو (من)، والثاني يعود إلى مدلول عليه، وهو المتصدَّق عليه، دلَّ عليه قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾»[2].

- عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، من المفسرين من خص (أمر الله) في الآية بفتح مكة، ومنهم من قال أنَّ المراد: العقوبة العاجلة أو الآجلة، واختاره الوَاحِدِيّ، فقال:«**وهذا أقرب**؛ لأنَّه أليق بالوعيد»[3].

- بيَّن الوَاحِدِيّ معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ١٢٤]، فذكر قولين في الآية؛ أحدهما: أنَّهم طلبوا النبوة والرسالة كما كانت لمحمد -ﷺ-، والآخر: لم يطلبوا النبوة؛ ولكن قالوا لا نصدقك حتى يأتينا جِبْرِيْل والملائكة يخبروننا بصدقك، ثم قال: « **والأول أقوى**؛ لقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]»[4].

- عند قوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]، نقل الوَاحِدِيّ قولين للسلف في تفسير الآية، الأول: أن أم مُوْسَى لما ولدته أرضعته أشهراً فلما خافت أن يسمع الجيران بكاءه ألقته في اليمِّ، والثاني: أنَّها أُمرت أن

---

[1] ص١٦١ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١١٨، ١٦٤، ٢٦٧، ٢٧٣.

[2] ص٢١٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١١٣، ٢٠٥، ٤١٣، ٧١٦، ٧٩٨.

[3] ص٢٩٣ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٣٧٤، ٤٦٣، ٥٣٧، ٥٥٥، ٦٥١.

[4] ص٢٥١من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٧٠، ٣٦٨.

ترضعه بعد ولادتها إياه وتلقيه في اليمِّ، ثم صرح باختياره للقول الأول، فقال:« **والقول الأول أليق** بنظم الآية؛ للفصل بين الإلقاء والإرضاع بالخوف، وخوفها ما ذكروا أنها خافت أن يسمع الجيران بكاء الصبي»[1].

- عند قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، قال الوَاحِدِيّ:« قيل: المصيبات في الدنيا، وقيل: القتل ببدر، وقيل: عذاب القبر، وقيل: الجوع سبع سنين، **والأولى** المصيبات والجوع؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾»[2].

وجميع هذه الصيغ ظاهرة في الدلالة على الترجيح؛ لأنَّها تنص على أفضليةِ قولٍ على آخر، وإن كان بينها تفاوت في الجزالة والقوة؛ وذلك يعود إلى اختلاف الأقوال من حيث القوة والضَّعْف، فكلما كان القول المختار ظاهر الرجحان كانت العبارة أقوى بخلاف عبارة اختيار قولٍ من جملة أقوالٍ كلُّها متقاربةٌ في القوة.

فمثلاً لفظ الصحيح والصواب يدل على أنَّ القول الآخر ضعيف لوجه من الوجوه؛ لذا جاءت العبارة قوية. أمَّا لفظ أولى فيدل على أنَّ الأقوال الأخرى في الآية لها وجه من الصحة، ولكن قوي دليل أحدها مما جعل الوَاحِدِيّ يرجحها على غيرها.

- **وقد تأتي ألفاظ الترجيح صريحة مؤكدة، مثل:**

١- الصحيح المختار.

٢- الأظهر والأصح، وأظهر من هذا القول وأصح.

٣- حسن مختار.

وهذه الألفاظ ونحوها تدل دلالة مؤكدة على ترجيح الوَاحِدِيّ لهذا القول، وقوته في نظره. **ومن أمثلة ذلك:**

---

[1] ص٥٦٣ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٣٢١، ٥٥٨.

[2] ص٦٠٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٢٩، ١٩٦، ٢١٧، ٥٥٢، ٦٦٧.

- ما قاله الوَاحِدِيّ بعد أن ذكر أقوال العلماء في نزول المائدة من السماء: « **والصحيح المختار** قول من قال إنَّها نزلت؛ لتظاهر الآثار بذلك، ولكثرة من قال بها من العلماء»[1].

- عند قوله تعالى: ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في مرجع الضمير في ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾، أحدهما: أنَّه ولي السفيه والعاجز والطفل، والآخر: أنَّه ولي الحق، ثم اختار القول الأول، فقال: « وهو **الأظهر والأصح**»[2].

- عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ [القصص: ٥٨]، اختار الوَاحِدِيّ العموم في القرى، ولم يخصها بالقرى التي حول مكة، فبعد أن ساق قول قَتَادَة[3] في تخصيص القرى، قال: «**وأظهر من هذا القول وأصح**: أنَّ القرى على عمومها، والمراد بأمها: أعظمها»[4].

- عند قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]، اختار الوَاحِدِيّ أن المراد بالحياة الطيبة القناعة، فقال:« فقول من قال: إنَّه القناعة، **حسن مختار**؛ لأنَّه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع، والمكدود بطلبها لا تطيب حياته»[5].

---

[1] ص٢٣٤ من البحث.

[2] ص١٥٢ من البحث.

[3] قَتَادَة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السَّدُوسي، أبو الخطاب البصري، الحافظ، المفسر، التابعي الجليل، كان مع حفظه وعلمه بالحديث رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، توفي بالطاعون سنة ١١٧هـ. وقيل: ١١٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٨٥/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٩/٥)، وطبقات المفسرين للداودي (٤٣/٢).

[4] ص٥٨١ من البحث.

[5] ص٣٨٥ من البحث.

القسم الثاني: ألفاظ التَّضْعِيف:

وهذه الطريقة تحصر الصواب والراجح فيما عدا الأوجه التي أبطلها الوَاحِدِيّ أو ضعَّفها أو حكم بفسادِها أو شذوذِها، وهذا معروفٌ عند المفسرين، وقد استعملوه في الترجيح. فهذا ابن جرير يقرر ذلك في سياق ترجيحه لأحد الأقوال في التفسير حيث يقول :« وإذا فسد هذان الوجهان صحَّ الثالثُ، وهو ما قلناه»[1].

وقد استعمل الوَاحِدِيّ عدة ألفاظ في تضعيف بعض الأقوال أو ردِّها، منها:

بعيد، ضعيف، غلط، فاسد، لا يصح.

ومن أمثلة ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، قال الوَاحِدِيّ:« قال المفسرون يعني: الأصنام، وقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد الملائكة[2]، **وهذا القول ضعيف** من جهتين؛ إحداهما: إن المشركين في ذلك الوقت كانوا يعبدون الأصنام لا الملائكة؛ ولأنَّه قال بعد هذه الآية: ﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، فدلت هذه أنَّه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية»[3].

- عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [النحل: ١٢٤]، قال الوَاحِدِيّ:« أي: اختلفوا فيه على نبيهم مُوْسَى؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم، أي: لأجله؛ لأنَّهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره، وهذا مما أشكل على كثيرٍ من المفسرين حتى قال بعضهم:

---

[1] جامع البيان (٥١٦/١٨).

[2] عطاء بن أبي رباح، أبو محمد بن أسلم القرشي، أحد الأئمة الأعلام من التابعين، مفتي أهل مكة ومحدثهم، القدوة العلم، مولاهم المكي، ولد في خلافة عثمان -رضي الله عنه-، وقيل: في خلافة عمر -رضي الله عنه-، توفي سنة ١١٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٢٦١/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١٤.

[3] ص٢٧٦ من البحث.

معنى الاختلاف في السبت أنَّ بعضهم قال: هو أعظم الأيام حرمة؛ لأنَّ الله فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: لا بل الأحد، لأنَّ الله ابتدأ خلق الأشياء فيه، **وهذا غلط**؛ لأنَّ اليَهُوْد لم يكونوا فريقين في يوم السبت، وإنَّما اختار النَّصَارَى الأحد بعدهم بزمانٍ طويل....»[1].

- عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالنسيان في الآية؛ أحدهما: أنَّه الترك، والآخر: أنَّه ضد الذكر، ثم ردَّ هذا القول معللاً ذلك، بقوله:« **ولا يصح هذا**؛ لأنَّ الناسي لا يؤاخذ بنسيانه؛ ولأنَّ إبليس حين استغواهما ذكَّرهما النهي، فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠]»[2].

من خلال عرض صيغ الترجيح عند الإمام الوَاحِدِيّ، نجد أنه استخدم الألفاظ الصريحة ليدُلَّ على أن هذا هو الرأي الراجح من وجهة نظره، وقد يوافق غيره من المفسرين في هذا وقد يخالفهم، فما كان راجحاً عنده قد يكون مرجوحاً عند غيره، أو العكس، أمَّا إذا استخدم ألفاظ التَّضْعِيف لقولٍ من الأقوال سواء ساق الدليل أو القرينة لبيان ضَعْفه أولم يسق ذلك، فإنه وجه قصده لردّ هذا القول دون القطع برجحان ما سواه، إلا إذا لم يكن في المسألة سوى قولين أو اقتصر على إيراد قولين وأغفل ما سواهما؛ فإن تضعيفه لأحد القولين يدل على أن ما سواه هو الراجح.

[1] ص٣٩٢ من البحث.

[2] ص٤٦٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى في ألفاظ التضعيف: ص٤٠١، ٤٠٨، ٤٢٥، ٤٨٢، ٤٩٥، ٦٧٩.

المبحث الثالث

أساليب الاختيار والترجيح وطرقه عند الوَاحِدِيّ

سلك الوَاحِدِيّ في التعبير عن اختياراته التفسيرية أساليب شتى تتنوع في طرائقها وفائدتها، وتتفق كلها في الدلالة على إرادة القول المختار عنده، وبسبر تلك الاختيارات الواردة في تفسير الوَاحِدِيّ يمكن ذكر الأساليب التي استعملها الوَاحِدِيّ في التعبير عن اختياراته فيما يلي:

١- التنصيص على ترجيح قول مع التدليل أو التعليل أو الجمع بينهما:

معنى هذا الأسلوب: أن ينص المفسِّر على قولٍ بأنَّه الصواب أو الصحيح أو ما في معناهما مع تأييد ما نص عليه بالجمع بين الدليل والعلة، أو الاقتصار على أحدهما.

والتنصيص:« مأخوذ من النص على الشيء، وهو ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان ذلك نصاً في بيان محبته، فهو الذي لا يحتمل إلا معنىً واحداً، وقيل: ما لا يحتمل التأويل»[١].

وقد أكثر الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- من استعمال هذا الأسلوب، فهو غالباً ما ينص على ترجيحه بإحدى الصيغِ السابقِ ذكرها [٢] مع بيان سبب ترجيحه بالأدلة من القرآن الكريم، أو السنة النبوية، أو الإجماع، أو أقوال السلف، أو أقوال العرب.

وسيكون الحديث عن هذا الأسلوب من خلال الآتي:

---

[١] التعريفات ص٣٠٩.

[٢] ص٤٦، وما بعدها من البحث.

- **النص على الرأي الراجح مع الجمع بين الدليل والعلة:**

قد يجمع الوَاحِدِيّ بين الدليل والعلة؛ ليقوي ما ذهب إليه. **ومن أمثلة ذلك:**

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤٢]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالآية، الأول: أنَّها السفن، والآخر: الإبل، ثم اختار القول الأول، وعلل اختياره بقوله:« لأنَّه قال: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ والسفن هي التي تشبه ما عمله نُوح، وهي أيضاً من الخشب الذي هو من خشب سفينة نُوح. ومن ذهب إلى الإبل احتاج أن يجعل (مِنْ) زائدة، ويجعل الإبل مثل السفينة في أنَّها تحمل الإنسان في البر كما تحمله في البحر، فهو مثلها في العمل والحمل لا في الصورة والخلقة، ويدل على صحة القول الأول قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ [يس: ٤٣]، والإغراق يكون بالماء في البحر، والمراد بهذا أنَّ الله -تعالى- ذكر منته على أنَّه خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نُوح وركبوه للتجارات»[1].

- عند قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]، ذكر الوَاحِدِيّ عدة أقوال في الآية، ثم قال: « **والاختيار** قول مُجَاهِد[2]، يقول: تفتح القرى ومكة على مُحَمَّد -ﷺ- حتى يعرفوا أنَّ الذي أتى به من القرآن هو من عند الله؛ لأنَّهم بذلك يعرفون أنَّه مؤيد من قبل الله بعدما كان واحداً لا ناصر له، وإنَّما كان الاختيار هذا القول؛ لأنَّهم لم يكونوا رأوا فتح القرى ومكة ثم رأوه فيما بعد، وأمَّا الشمس والقمر وهلاك الأمم، فهو مما قد رأوه فلا يقال فيه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ إلا أن يحمل على معنى سنعرفهم ونفتح أبصار قلوبهم حتى

---

[1] ص٦٣٠ من البحث.

[2] مُجَاهِدُ بنُ جَبْر، أَبُو الحَجَّاجِ المَكِّيُّ الأَسْوَد، شيخ القراء والمفسرين، من تلاميذ ابن عباس، له تفسير رواه عنه شبل بن عبَّاد المكي، توفي سنة١٠١ هـ، وقيل: بعدها.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/٣٠٥).

يستدلوا بها على توحيد صانعها، وليس يليق هذا المعنى بما قبله وهو قوله: ﴿ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ [فصلت: ٥٢] - والمراد به القرآن - ولا بما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾»[1].

- **النص على الرأي الراجح مع الاقتصار على التدليل دون ذكر العلة:**

قد يكتفي الوَاحِدِيّ عند اختياره لأحد الأقوال في تفسير الآية بذكر الدليل الذي من أجله رجح هذا القول دون أن يذكر تعليلاً آخر لاختياره هذا القول.

ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٧]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالنذير في الآية، الأول: أنَّه النبي مُحَمَّد -ﷺ-، والثاني : أنَّه الشَّيْب، واختار الأول، فقال:« والقول هو الأول؛ لقوله تعالى في صفة مُحَمَّد -ﷺ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]»[2].

- عند تفسير قوله تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر: ٣]، أورد الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالتسبيح في الآية، الأول أنَّ المعنى: صل لربك واحمده، والثاني: نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك إياه، ثم قال:« وهذا هو الأولى؛ لما روى عَبْد اللَّه[3]، وعَائِشَة، وأُمّ سَلَمَة[4] أنَّ النبي -ﷺ- كَانَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ

---

[1] ص٦٧٢ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٣٨، ٢٧٣، ٣٩٦، ٥٩٢، ٧١٣، ٧٣٧، ٧٧٠.

[2] ص٦٢٥ من البحث.

[3] عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُوْدِ بن غَافِلِ الهُذَلِيُّ، فقيه الأمة، من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد بعدها، لازم النبي -ﷺ- وكان صاحب نعليه وحدَّث عنه الكثير، توفي سنة ٣٢هـ، ودفن في البقيع. ينظر: الاستيعاب (٩٨٧/٣)، والإصابة (٢٣٣/٤) .

[4] هِنْدُ بنت أبي أميَّة بن المغيرة القرشيَّة، أم المؤمنين، تزوجها النبي -ﷺ- في السنة الرابعة، وكانت زوجة من قبل لأبي سلمة بن عبد الأسد هاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة ولما مات بالمدينة تزوجها الرسول -ﷺ-. ينظر: الاستيعاب (١٩٢٠/٤)، والإصابة (٢٢١/٨).

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»»[1].

يلاحظ أن الوَاحِدِيّ استدل على اختياره في المثال الأول بالقرآن الكريم، وفي المثال الثاني بالسنة النبوية.

- **النص على الرأي الراجح مع الاقتصار على ذكر العلة دون ذكر الدليل:**

وهذا الأسلوب كثير عند الوَاحِدِيّ كسابقه، **ومن الأمثلة على ذلك:**

- عند قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[الأنبياء: ٧]، رجح الوَاحِدِيّ أن المراد (بأَهْل الذِّكْرِ) اليَهُوْد والنَّصَارَى، لا كما قال بعض المفسرين أن المراد بهم من آمن بمُحَمَّد -ﷺ- وعلل اختياره، بقوله:« والوجه القول الأول؛ لأنَّ الله -تعالى- أمر المشركين بهذا السؤال لا المسلمين وهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي -ﷺ- من أهل الكتاب أقرب منهم إلى تصديق من آمن. واليَهُوْد والنَّصَارَى لا ينكرون أنَّ الرسل كانوا بشراً وإن أنكروا مُحَمَّداً -ﷺ-. وهذا السؤال مختص بالكفار في هذه المسألة فقط. فأمَّا المسلمين فلا يجوز لهم مراجعة أهل الكتاب في شيء من الدين»[2].

- عند قوله تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: ٣٤]، قال الوَاحِدِيّ:« قال الكَلْبِيّ[3]، ومُقَاتِل: نزلت في أبي جَهْلٍ[4]، وهو الذي بينه وبين النبي -ﷺ- عداوة، فأمر النبي -ﷺ- أن يقابل ما يلقى منه من المكروه بالعفو

---

[1] ص٨٣٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٥١، ٣٧٦، ٥٢٠، ٥٦٠، ٦٤٤، ٦٧٦.

[2] ص٤٧١ من البحث.

[3] محمد بن السَّائِب بن بشر الكَلْبِيّ، أبو النَّضر الكوفي، صاحب التفسير وعلم النسب، اتهم بالكذب، ورمي بالرفض، قال ابن عدي:"حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، أما في الحديث فعنده مناكير"، توفي سنة ١٤٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣٠٩/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٤٨/٦)، وميزان الاعتدال (٥٥٨/٣).

[4] عَمْرُو بن هشام بن المغيرة المخْزُوْمِيُّ القرشيّ، أحد سادات قريش وأشدهم عداوة للنبي -ﷺ-، وأكثرهم أذى له ولأصحابه، كنيته أبو الحكم، قتله ابنا عفراء، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود في موقعة بدر الكبرى. ينظر: الكامل في التاريخ (٦٧٠/١)، وسمط النجوم العوالي (٩٥/٢).

والصفح. وقال مُقَاتِل بن حَيَّان: هو أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ[1]، وهذا أولى؛ لأنَّه لان للمسلمين بعد عداوته بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي -ﷺ- ثم أسلم وصار ولياً في الإسلام حميماً بالقرابة، وأبو جَهْل لعنه الله لم يصر بهذه الصفة حتى قتل كافراً»[2].

٢- التنصيص على الترجيح دون ذكر السبب:

يدعِّم الوَاحِدِيّ ترجيحاته في الغالب بالجمع بين الدليل والعلة أو الاقتصار على أحدهما، لكنَّه في بعض الأحيان قد يرجح دون أن يؤيد ترجيحه، بل يذكره مجرداً، مما يجعل القارئ لكتابه لا يعلم لِمَ رجَّح هذا القول وقدمه على غيره، ولعل الوَاحِدِيّ فعل ذلك طياً له لظهوره عند العلماء. وهذا الأسلوب ليس في قوة سابقه لافتقاده إلى ما يقويه من الأدلة.

ومن أمثلة ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤]،

قال الوَاحِدِيّ:« قوله: ﴿ بِٱلۡعَذَابِ ﴾ يعني: بالسيوف يوم بدر...وقال الكَلْبِيّ، والضَّحَّاك[3]: يعني بالجوع سبع سنين حين دعا عليهم رسول الله -ﷺ-، والقول هو الأول»[4].

---

[1] صَخْرُ بن حَرْبِ بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابي جليل، والد معاوية رأس الدولة الأموية، من سادات قريش في الجاهلية، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف، توفي سنة ٣١هـ.
ينظر: الاستيعاب (٢/ ٧١٤) ، والإصابة (٤١٢/٣).

[2] ص٦٦٧ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٢٩، ١٦١، ٢٠٨، ٣٢٩، ٤٠٥، ٦٥٨، ٧٣٥.

[3] الضَّحَّاكُ بنُ مُزَاحِمٍ الهِلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، تابعي من أهل الكوفة، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، توفي بخراسان سنة ١٠٥ هـ، وقيل: ١٠٦هـ.
ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٠٠/٦)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨).

[4] ص٥١١ من البحث.

- عند قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، قال الوَاحِدِيّ:«واختلفوا في المَعْنِيِّينَ بقوله: ﴿وَهُم﴾ فأكثر المفسرون على أنَّ ﴿وَهُم﴾ كناية عن يَأْجُوج وَمَأْجُوج، وهو قول ابن مَسْعُود. وقال آخرون: ﴿وَهُم﴾ يعني الخلق كلهم يحشرون إلى أرض الموقف فهم يسرعون من كُلِّ وُجْهَةٍ...**والظاهر هو الأول**»[1].

في المثال السابق نجد أنَّ الوَاحِدِيّ اختار أنَّ المراد بالعذاب في الآية السيوف يوم بدر، ولم يُبيِّن سبب اختياره لهذا القول، كما اختار عَوْد الضمير ﴿وَهُم﴾ في المثال الثاني على يَأْجُوج وَمَأْجُوج دون أنْ يذكر حجَّة ترجيحه.

٣- ترجيح قولٍ، أو أكثر بِردِّ ما سواه من الأقوال:

معنى هذا الأسلوب: تعقب الأقوال المذكورة في تفسير الآية، وذلك بعبارات تدل على ضَعْف هذه الأقوال، بينما يترك القول الراجح عنده مذكوراً دون تعقيب أو نقد، ودون تنصيص على ترجيحه له.

وهذا القول الذي لم يتعقبه يعبر عن ترجيحه؛ لأنَّه تعرض لجميع ما قيل في الآية بالنقد والتضعيف دون هذا القول.

والمراد بهذه الطريقة حصرُ القولِ الراجحِ فيما عدا الأقوال المردودة، فإذا قام الدليل على ردِّ بعض الأقوال فالصواب منحصرٌ فيما عداها، فالترجيح كما يكون بالنص على صواب قول وصحته، يكون بردِّ بعض الأقوال الواردة في الآية المفسَّرة، وإنْ لم ينص المفسِّر على اختياره وترجيحه.

---

[1] ص٤٨٧ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٥٧، ٢٦٢، ٣٠٥، ٥٥٢، ٦٣٩، ٧٦٧، ٧٨٥.

وهذه الطريقة معتبرة معروفة عند العلماء، بل حكى الإمام ابن عَبْد البَرِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-[1] الإجماع على مضمونها حيث قال:« ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أنَّ المسألة إذا كان فيها وجهان، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أنَّ الحق في الوجه الآخر، وأنَّه مستغنٍ عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلان ضده»[2].

وقد صرح الإمام ابن جَرِيْر بمضمون هذه الطريقة في أكثر من موضع، من ذلك ما قاله بعد أن بَرْهَن على بطلان بعض الأوجه:« فإذا كانا فاسدين هذان التأويلان بما عليه دَلَّلْنَا من فسادِهما، فَبيِّنٌ أنَّ الصحيح من التأويل هو الثالث»[3].

وقد استعمل الوَاحِدِيّ هذا الأسلوب للدلالة على الترجيح في بعض المسائل، وإن لم يكن بقوة الترجيح الصريح كما سبق.

ومن أمثلة ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالنسيان في الآية؛ أحدهما: أنَّه الترك، والآخر: أنَّه ضد الذكر، ثم ردَّ هذا القول معللاً ذلك بقوله:« **ولا يصح هذا**؛ لأنَّ الناسي لا يؤاخذ بنسيانه؛ ولأنَّ إبليس حين استغواهما ذكَّرهما النهي، فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠] »[4].

- عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، قال الوَاحِدِيّ:« قال المفسرون يعني: الأصنام، وقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد الملائكة، **وهذا**

---

[1] يوسف بن عمر بن عبد البر بن عبد الله النَّمَرِيُّ القُرْطُبِيّ، أبو عمر، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، من مصنفاته: التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، توفي سنة ٤٦٣ هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٧/ ٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨)، والدِّيباج المذهَّب ص ٣٥٧.

[2] التمهيد لابن عبد البر (١٩٩/٢٠) .

[3] جامع البيان (٤٥٦/٣) .

[4] ص٤٦٨ من البحث.

القول ضعيف من جهتين؛ إحداهما: إن المشركين في ذلك الوقت كانوا يعبدون الأصنام لا الملائكة؛ ولأنَّه قال بعد هذه الآية: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، فدلت هذه أنَّه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية» [١].

فالوَاحِدِيّ في الأمثلة السابق ذكر قولين في كل آية، ثم تعرض لأحدهما بالنقد ودلّل على ضَعْفه أما القول الآخر فذكره دون انتقاد أو تعقيب مما يدل على ترجيحه له.

٤- التنصيص على الترجيح، مع التصريح بردِّ ما سواه من الأقوال:

قد يجمع الوَاحِدِيّ بين النص على اختياره بإحدى صيغ الترجيح مع التصريح بتضعيف الأقوال الأخرى في الآية أو ردَّها. وهذا الأسلوب مع قلَّته؛ إلا أنَّه أقوى من الاقتصار على أحدهما.

ومن أمثلة ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ [الواقعة:١]، قال الوَاحِدِيّ:« قال ابن عَبَّاس: إذا قامت القيامة...وهذا هو **الصحيح**؛ لأنَّ المعنى أنَّها ستقع، وأمَّا ما قال مُقَاتِل في تفسير الواقعة أنَّها الصيحة وهي النفخة الأخيرة، **فبعيد**؛ لأنَّ الله -تعالى- وصفها بعد بقوله: ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة:٣]، وهي من صفة القيامة لا من صفة الصيحة»[٢].

وقد يصرح الوَاحِدِيّ بترجيحه، ويردُّ بعض الأقوال، مع السكوت عن بعضها.

مثال ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾[الحج: ١٩]، قال الوَاحِدِيّ:« يعني: الفرق الخمسة الكافرة والمؤمنون، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحج: ١٧] [٣]...وهذا قول

---

[١] ص٢٧٦ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٣٦٥، ٤٦٨، ٤٨٠.

[٢] ص٧٥٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٤٥٣، ٧٩٦.

[٣] وتمام الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

مُجَاهِد، والحَسَن[1]، وابن عَبَّاس في رواية عَطَاء، وأكثر المفسرين، واختيار الزَّجَّاج، والفَرَّاء، قالوا: الخصمان هم المؤمنون والكافرون. وروي عن أبي ذَرٍّ، وعَلِيّ - رضي الله عنهما - أنَّهما قالا: نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين. **والظاهر هو الأول** للإشارة بقوله: ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى الفئتين المذكورتين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ورُوي عن عِكْرِمَة[2] أنَّه قال: الخصمان هما الجنة والنار، **وهذا ليس بالقوي ولا المرضي**»[3].

فالوَاحِدِيّ ذكر في المثال السابق ثلاثة أقوال في المراد بالخصمين في الآية، رجح الأول منها، وسكت عن الثاني، وانتقد قول من جعل الخصمين الجنة والنَّار، ووصفه بأنَّه قول غير مرضٍ ولا قوي.

[1] الحسن بن أبي الحسن يَسَار البصري، مولى زيد بن ثابت، ولد في زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع، له كتاب في التفسير رواه عنه الجماعة، وكتاب في الرد على القدرية، توفي سنة ١١٠هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٦٩/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، وطبقات المفسرين للداودي (١٥٠/١).

[2] عِكْرِمَة بن عبد الله، أبو عبد الله البَرْبَرِيّ ثم المدني الهاشمي، مولى ابن عباس -رضي الله عنه-، وهو ثقة ثبت، عالم بالتفسير، روى له الجماعة، توفي بالمدينة سنة ١٠٤هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٢٦٥/٣)، وتذكرة الحفاظ (٧٣/١)، وطبقات المفسرين للداودي (٣٨٦/١).

[3] ص٤٩٤ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٤٣، ٣٨١، ٤٢٥، ٤٥٣، ٥٩٦، ٧٥٨، ٨٢٣.

الفصل الثاني

وجوه الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ؛

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاختيار والترجيح بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: الاختيار والترجيح بالسنة النبوية.

المبحث الثالث: الاختيار والترجيح بالإجماع.

المبحث الرابع: الاختيار والترجيح بأقوال السلف.

المبحث الخامس: الاختيار والترجيح باللغة العربية.

وجوه الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ

بعد أن ذكرت في الفصل السابق الأساليب والطرق التي سلكها الوَاحِدِيّ في التعبير عن رأيه وترجيحاته، أتناول هنا الوجوه التي اعتمد عليها في تلك الترجيحات.

والوجوه في اللغة: تطلق على عدة معانٍ: جمعها الزُّبَيْدِيّ[1] في قوله:« الوجوه جمع وجه، والوَجْهُ: مُسْتَقْبَلُ كلِّ شيءٍ، ومنه قَوْلُه تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ...والوَجْهُ: نَفْسُ الشَّيءِ، ومنه قَوْلُه تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] قالَ الزَّجَّاجُ: أَرادَ إلاَّ إيَّاهُ. ويقالُ: هذا وَجْهُ الرَّأْيُ، أَي: هو الرَّأْيُ نَفْسُه...والوَجْهُ من الدَّهْرِ: أَوَّلُهُ...والوَجْهُ من النَّجْمِ: ما بَدَا لك منه...والوجه من الكلام: السبيل المقصود به»[2]. ولعل الأقرب هنا؛ أنَّ المراد هو الطريق والسبيل.

وتعرف اصطلاحاً بأنَّها: ضوابط وأمور أغلبيّة يُتَوَصّل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كلام الله - ﷻ -[3].

ولم ينص الوَاحِدِيّ على وجوه الترجيح عنده وإنَّما عمل بموجبها، وهي لا تبعد عن تلك الوجوه المشتركة بين علماء التفسير، وسأعرض لتلك الوجوه بشكل موجز في هذا الفصل، مبيِّنة أهمية كل وجه، مع ضرب بعض الأمثلة عليه، ثم يأتي مزيد بيان لتلك الوجوه في الفصل الذي يليه؛ وذلك بذكر القواعد التي تندرج تحت تلك الوجوه والتي اعتمد عليها الوَاحِدِيّ في ترجيحاته، فهي أوسع في الحديث، وألصق بكلام المؤلف؛ لذا أفردتها بالحديث في فصل مستقل.

---

[1] محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزُّبَيْدِيّ، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علَّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من مصنفاته: تاج العروس، وأسانيد الكتب الستة، توفي بالطاعون سنة ١٢٠٥هـ.
ينظر: هدية العارفين (٣٤٧/٢)، والأعلام (٧٠/٧).

[2] تاج العروس (٥٣٥/٣٦)، مادة (وجه).

[3] قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣٩/١).

المبحث الأول
الاختيار والترجيح بالقرآن الكريم

إنَّ أفضل طرق التفسير وأصحها على الإطلاق تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنَّ قائل الكلام أدرى بمعانيه ومقاصده من غيره، فالناظر في القرآن يشاهد أنَّ فيه الإيجاز والإطناب والإطلاق والتقييد والعام والخاص؛ لذا كان لزاماً على من أراد أن يخوض غمار التفسير أن يبدأ في جمع كل ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض؛ ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، ويفهم ما جاء مبهماً بواسطة ما جاء مبيناً وهكذا، وبهذا يكون قد فسَّر القرآن بالقرآن.

وقد قرر هذا الوجه جملة من العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة:« أصحُّ الطرقِ في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فإنَّه قد فُسِّر في موضعٍ آخر، وما اختصر في مكانٍ فقد بُسِط في موضعٍ آخر»[1].

وتبعه في ذلك تلميذه ابن القَيِّم بقوله:« إنَّ تفسير القرآن بعضه ببعض هو أولى التفاسير ما وجد إليه السبيل؛ ولهذا كان يعتمده الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون، والأئمة بعدهم» [2].

وقد دلت الأدلة على اعتبار هذا الوجه في الترجيح، وأنَّ القول الذي تؤيده آياتٌ من القرآن الكريم مقدَّمٌ على غيره.

ومن تلك الأدلة:

اعتبار النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذا الوجه في تفسيره لبعض الآيات، فقد جاء في حديث ابن مَسْعُود -رضي الله عنه- أنَّه لما نزل قوله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شقَّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول

---

[1] مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، شرح: فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١٣٠.

[2] مختصر الصواعق المرسلة (٣/١٠٢٠).

الله، وأيُّنا لا يظلم نفسه، قال: « ليس ذلك، إنَّما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لُقْمَان لابنه وهو يعظه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] »[١].

فهذا الحديث كما أنَّه أصل في تفسير القرآن بالقرآن، فهو أصل في ترجيح ما دل عليه ظاهر اللفظ القرآني، فالنبي -ﷺ- بيَّن لأصحابه أنَّ المراد بالظلم في الآية هو الشرك استناداً على ما ورد في آية لُقْمَان لا كما فهموه من عموم الظلم.

واعتبره أصحاب النبي -ﷺ- من بعده، فاستعملوه في تفسيرهم.

ثبت أنَّ عُمَر بن الخطَّاب[٢] -رضي الله عنه- رُفِع إليه امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبي -ﷺ-، فقال عَلِيّ[٣] -رضي الله عنه-:« ألا ترى أنَّه يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤]، فكان الحمل ها هنا ستة أشهر فتركها»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ [لقمان: ١٢]، رقم الحديث (٣٢٤٦)، (١٢٦٢/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث (٣٤٢)، (٨٠/١).

[٢] عُمَر بن الخطَّاب بن نُفَيْلِ بن عبد العُزَّى القُرَشِيُّ، العَدَوِيُّ، أَبُو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، توفي سنة ٢٣هـ. ينظر: الاستيعاب (١١٤٤/٣)، والإصابة (٥٨٨/٤).

[٣] عَلِيّ بن أبي طَالب بن عبد المطَّلب الهَاشِمِيُّ، القُرَشِيُّ، أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي -ﷺ- وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، من أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، توفي سنة٤٠هـ. ينظر: الاستيعاب (١٠٨٩/٣)، والإصابة (٥٦٤/٤).

[٤] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب الطلاق، باب التي تضع لستة أشهر، رقم (١٣٤٤٣)، (٣٤٩/٧)، وأخرجه البيهقي بنحوه في السنن الكبرى، كتاب العدد، باب ما جاء في أقل الحمل، رقم (١٥٣٢٦)، (٤٤٢/٧)، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم، (٨٢٥/٢) عن عثمان وعلي - رضي الله عنهما -.

فاستنباط عَلِيّ -رضي الله عنه- أقل مدة الحمل من الآيتين السابقتين، وقبول عُمَر -رضي الله عنه- له دليلٌ واضحٌ على اعتمادهم هذا الوجه.

أيضاً أجمع العلماء على أنَّ أعلى أنواع التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن.

يحكي الإمام الشَّنْقِيطِيّ [1] الإجماع على هذا الوجه، فيقول:« واعلم أن من أهم المقصود بتأليف هذا الكتاب أمرين، أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أنَّ أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله -عز وجل- من الله -عز وجل-»[2].

وقد سار الوَاحِدِيّ -رحمه الله- على نهج من سبقه من المفسرين فاعتنى بهذا النوع من التفسير واعتمد عليه في الكثير من اختياراته، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

❖ عند قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ [القصص: ٢٣]، قال الوَاحِدِيّ: ﴿ تَذُودَانِ ﴾ تحبسان غنمهما. هذا قول أكثر المفسرين» ثم قال بعد أن ساق بقية الأقوال في الآية:« والقول هو الأول؛ لقوله: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾...فلولا أنَّهما كانتا تحبسان غنمهما عن الماء في وقت السقي ما سألهما مُوْسَى عن شأنهما، ألا ترى أنَّ في جوابهما دليلًا على أنَّه سألهما عن السبب في ترك السقي مع الناس، وهو قوله: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾»[3].

---

[1] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشَّنْقِيطِيّ، أحد كبار العلماء في القرن الماضي، من أشهر مؤلفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، توفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ.

ينظر: أضواء البيان (١٨/١٠) بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم (ملحق في آخر الجزء العاشر)، وترجمة الشيخ محمد الأمين الشَّنْقِيطِيّ ص١٠.

[2] أضواء البيان (٥/١).

[3] ص٥٧٤ من البحث.

❖ عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] قال الوَاحِدِيّ:« عامة المفسرين على أنَّ هذا القول لعِيْسَى -عليه السلام- إنَّما يكون في القيامة، إلا السُّدِّيّ[١]، وقُطْرُب[٢]، فإنهما ذهبا إلى أن الله -تعالى- قال ذلك لعِيْسَى -عليه السلام- حين رفعه إليه، وتعلقا بظاهر قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ وإذ تستعمل لما مضى. والصحيح ما عليه العامة؛ لأنَّ الله -تعالى- عقب هذه القصة بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة: ١١٩]، وأراد به يوم القيامة، وإنَّما خرج هذا مخرج المضي وهو للمستقبل؛ تحقيقاً لوقوعه كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ولم ينادوا بعد، لكنه بمنزلة ما قد مضى»[٣].

❁ ❁ ❁ ❁

[١] إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السُّدِّيّ، أبو محمد الحجازي الكوفي، الإمام المفسِّر، تابعي، أحد موالي قريش، حدَّث عن أنس بن مالك وابن عباس وغيرهم، توفي سنة ١٢٧هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)، وطبقات المفسرين للداودي (١/١٠٩).

[٢] محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، مولى سالم بن زيادة، المعروف بقطرب، النحوي اللغوي البصري، أخذ الأدب عن سيبويه وجماعة من العلماء البصريين، من مصنفاته: معاني القرآن، وكتاب الاشتقاق، توفي سنة ٢٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/٨٥)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص٧٢.

[٣] ص٢٣٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١١٣، ٢٣٨، ٣٧١، ٥٤٧، ٦١٤، ٧٦٥.

المبحث الثاني
الاختيار والترجيح بالسنة النبوية

جاءت السنة النبوية مُبيِّنة للقرآن الكريم في مواطن كثيرة، فالنبي -ﷺ- أُمِر أن يُبيِّن للناس كلام الله - ﷻ-، ويفسِّر لهم ما أَشْكل عليهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وبيانه شامل لتبليغ ألفاظه وبيان أحكامه ومعانيه.

فعلى المفسِّر أن يطلب تفسير القرآن الكريم منه، فإن أعْيَاه ذلك فعليه بالسنة فهي شارحةٌ لمعانيه، ومُبيِّنةٌ لمجمله، ومخصصةٌ لعمومه إلى غير ذلك من أوجه البيان.

يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة:« فإن أعْيَاك تفسير القرآن بالقرآن فعليك بالسنة، فإنَّها شارحةٌ للقرآنِ، وموضِّحةٌ له»[1]، ويقول أيضاً:« السنة تفسر القرآن، وتدل عليه، وتعبر عنه...والسنة الثابتة لا تخالف كتاب الله بل تُوَافِقُهُ وَتُصَدِّقُهُ، ولكن تُفَسِّرُهُ وَتُبَيِّنُهُ لِمَنْ قَصُرَ فَهْمُهُ عن فَهْمِ القرآنِ، فإنَّ القرآن فيه دلالاتٌ خفيةٌ تخفى على كثير من الناس، وفيه مواضعُ ذكرت مجملةً تفسِّرُها السنةُ وتُبَيِّنُهَا»[2].

وقد اعتنى المفسرون بهذا الوجه في تفاسيرهم واعتمدوا عليه في ترجيحاتهم، والوَاحِدِيّ سار على نهج من سبقه من المفسرين، واستدل على اختياراته للعديد من الأقوال بهذا الوجه، ومن أمثلة ذلك:

❖ عند قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر: ٣]، قال الوَاحِدِيّ:« قال ابن عَبَّاس: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ صَلِّ لربك واحمده. وقال آخرون: نزهه عما لا يجوز

[1] مقدمة في أصول التفسير ص ١٣٠.

[2] دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (٢/٢٦).

عليه مع شكرك إياه. وهذا هو الأولى لما روى عَبْد اللَّه، وعَائِشَة، وأُمّ سَلَمَة أنَّ النبي -ﷺ- كَانَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ:« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»»[1].

❖ عند قوله تعالى :﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧]، قال الوَاحِدِيّ :« قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد ثماني عشرة سنة، وهو قول قَتَادَة. وقال الحَسَن: أربعين سنة...وقال ابن عَبَّاس في رواية مُجَاهِد: يعني ستين سنة. وهذا أولى الأقاويل؛ لما روى أبو هُرَيْرَة[2] أنَّ النبي -ﷺ- قال:«إذا بَلَغَ الرجل سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ»»[3].

❖ عند قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الحج: ٣٣]، قال الوَاحِدِيّ:« قوله: ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ في الشعائر، منافع بركوبها وشرب لبنها إن احتاج إليه، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى أن ينحر، فهذا قول عَطَاء بن أبي رَبَاح ، ومذهب الشَّافِعِيّ[4]، وعنده أن المُهْدي لو ركب هدية ركوباً غير فادحٍ فلا بأس، والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أن المنافع من رِسْلها[5]، ونسلها، وركوب ظهرها، وأصوافها، وأدبارها، إنَّما يكون قبل أن يسميها هدياً، فإذا سماها هدياً انقطعت المنافع بعد ذلك، وهو قوله:﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ...والقول هو الأول؛ لقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر،

---

[1] ص٨٣٨ من البحث.

[2] عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ الدَّوْسِيُّ، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، كُنِيَ بأبي هُرَيْرَة لهرةٍ وجدها فحملها في كُمِّه، أسلم عام الفتح، ولازم النبي -ﷺ- وحمل عنه علماً كثيراً، حَدَّثَ عنه خَلْقٌ كَثِيْرٌ من الصحابة والتابعين، توفي سنة ٥٧هـ، وقيل: بعدها. ينظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨)، والإصابة (٤٢٥/٧).

[3] ص٦٢٢ من البحث.

[4] محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيّ، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة، وأول من تكلم في أصول الفقه، من مصنفاته: الأم في الفقه، والرسالة في أصول الفقه، توفي سنة ٢٠٤هـ. ينظر: طبقات الفقهاء ص٧١، ووفيات الأعيان (١٦٣/٤)، وطبقات الشافعية للسُبْكي (١٩٢/١).

[5] الرِّسْل: اللبن. ينظر: جمهرة اللغة (٧١٩/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٩٢/٢)، مادة (رسل).

ولما روى أبو هُرَيْرَة أنَّ رسول الله -ﷺ- رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ:«ارْكَبْهَا، فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فقَالَ: ارْكَبْهَا وَيْحَكَ، أَوْ وَيْلَكَ»»[1].

استدل الوَاحِدِيّ في المثالين السابقين على اختياره للقول الأول بحديث النبي -ﷺ-، وفي المثال الثالث أيَّد ترجيحه بسياق الآية القرآنية، والحديث الثابت عن النبي -ﷺ-.

[1] ص٤٩٩ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١١٧، ٢٣٤، ٢٩٥، ٤٠٩، ٥١٥، ٦١٤.

المبحث الثالث

الاختيار والترجيح بالإجماع

عني المفسرون بذكر المسائل المجمع عليها في كل موطن استدعى ذكر الإجماع، فقلَّ أنَّ يطَّلعوا على إجماع في مصدر من المصادر التي يعتمدونها في تفاسيرهم إلا ويقوم المفسِّر بنقل الإجماع للاستدلال به؛ لعلمه بعظم هذا الأصل، وقوة حجيته.

وقد أكثر الوَاحِدِيّ من ذكر الإجماع في تفسيره، والاستدلال به في صحة ما اختاره من الأقوال. والمتتبع لتفسيره يجد أنَّه قد سلك منهجاً في حكايته للإجماع، فما خالف الجمع؛ فإنَّه لا يعتبره مخالفًا بل هو قول منفرد، لا صحة له، ولا يؤثر على الإجماع؛ لذا فإنَّه يقرر الإجماع اعتمادًا على صحة القول، وشهرته، وكثرة قائليه، وعدم مخالفته اللغة.

ومن أمثلة ذلك:

❖ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٩]، قال الوَاحِدِيّ :« يعني جِبْرِيل في قول الجميع»[(١)].

في المثال السابق ذكر الوَاحِدِيّ الإجماع على أنَّ المراد بالرسول الكريم في آية التكوير هو جِبْرِيل -عليه السلام-، مع أنَّ هناك قولاً آخر في الآية، وهو أنَّ المراد به النبي مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-[(٢)]. والقول الذي حكى الوَاحِدِيّ الإجماع عليه، نسبه ابن عَطِيَّة، وأبو حيَّان إلى الجمهور[(٣)]، وهذا القول المخالف للجمهور لم يعتد به الوَاحِدِيّ، ولم ينظر إليه، واعتبر قول الجمهور والغالبية هو قول بالإجماع.

---

(١) البسيط (٢٧٢/٢٣).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٢١٨/٦)، والمحرر الوجيز (٤١٧/٥)، ومفاتيح الغيب (٦٧/٣١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٠/١٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٠٨/٢)، والبحر المحيط (٤٢٥/٨)، وفتح القدير (٥٥١/٥).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٤١٧/٥)، والبحر المحيط (٤٢٥/٨).

❖ عند قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[البقرة: ٥٧]، قال الوَاحِدِيّ:« والسلوى بمعنى العسل صحيح في اللغة، وإن أنكره أبو إِسْحَاق[١]، ولكن الذي في الآية المراد به الطائر، لإجماع أهل التفسير عليه»[٢].

احتج الوَاحِدِيّ بإجماع المفسرين على أنَّ المراد بالسلوى في الآية الطائر، وهو موافق لما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين، على اختلاف بينهم في نوع الطير، كما نقل ابن عَطِيَّة[٣] الإجماع على ذلك؛ لكن تَعَقَّبَهُ القُرْطُبِيّ[٤] بأنَّ دعوى الإجماع لا يصح؛ وذكر القول الآخر في تفسير السلوى، وهو العسل[٥]. ونقل ابن كَثِيْر[٦]، والشَّوكَانيّ[٧] تَعَقُّب القُرْطُبِيّ دون نكير[٨].

---

[١] أبو إِسْحَاق: يعني به الزَّجَّاج.

[٢] ص١٠٠ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٧٧، ٢٠٩، ٣٣٩، ٤٦١، ٥٧٧، ٦٢٧.

[٣] عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحَارِبِيّ الأندلسي الغَرْنَاطي، أبو محمد، من العلماء البارعين في علوم القرآن والسنة والمتبحرين في الفقه والأدب، من مؤلفاته: كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وبرنامج ضمنه مروياته وأسماء شيوخه، توفي سنة ٥٤١ هـ، وقيل: ٥٤٢ هـ.
ينظر: الدِّيباج المذهَّب ص ١٧٤، وطبقات المفسرين للداودي (٢٦٠/١)، وشجرة النور الزكية (٣١٥/١).

[٤] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الْأَنْصَارِيّ الْخَزْرَجِيّ المالِكِيّ، أبو عبد الله، مُفسِّر، إمام متفنن متبحر في العلم، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والتقريب لكتاب التمهيد، توفي سنة ٦٧١هـ.
ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص٧٩، وطبقات المفسرين للدَّاوُدِيّ (٦٥/٢).

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٠٧/١).

[٦] إسماعيل بن عمر بن كَثِيْر بن ضوء بن كَثِيْر الدِّمَشْقِيّ، الحافظ عماد الدين، أبو الفداء، الفقيه الشَّافِعِيّ، المحدِّث، المؤرخ، المفسِّر، من مصنفاته: تفسير القرآن العظيم، ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح، والبداية والنهاية في التاريخ، توفي سنة ٧٧٤ هـ.
ينظر: الدرر الكامنة (٤٤٥/١)، وطبقات المفسرين للدَّاوُدِيّ (١١٠/١).

[٧] محمد بن علي بن محمد الشَّوكَاني، فقيهٌ، أصوليٌ، مفسِّرٌ، من كبار علماء اليمن، ولي قضاء صنعاء، كان نابذاً للتقليد داعياً للاجتهاد، من مصنفاته: فتح القدير، ونيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، توفي سنة ١٢٥٠هـ. ينظر: هدية العارفين (٣٦٥/٢)، والأعلام (٢٩٨/٦).

[٨] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/ ٢٧٢)، وفتح القدير (١٣٨/١).

وقد يحكي الوَاحِدِيّ ما أجمع عليه العلماء حقيقة دون وجود المخالف.

مثال ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ [الليل: ١٧]، نقل الوَاحِدِيّ الإجماع على أنَّ المعْنِيَّ بالآية أبو بَكْر الصديق -رضي الله عنه- [١].

وقد نقل الإجماع على ذلك ابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، وابن كَثِيْر، وابن عَاشُور[٢].

والآية وإن كانت نازلة في أبي بَكْر الصديق -رضي الله عنه- فهي عامة في كل من اتصف بما دلت عليه الآية.

قال ابن عَطِيَّة :« ولم يختلف أهل التأويل أنَّ المراد بالأتقى إلى آخر السورة أبو بَكْر الصديق، ثم هي تتناول كل من دخل في هذه الصفات»[٣].

[١] ينظر: البسيط (٨٨/٢٤)، والوسيط (٥٠٥/٤).

[٢] ينظر: زاد المسير (١٥٢/٩)، ومفاتيح الغيب (٣١ / ١٨٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٢٢/٨)، والتحرير والتنوير (٣٠/ ٣٤٥).

وابن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، عيّن شيخاً للإسلام مالكياً، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، من مصنفاته: التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وموجز البلاغة، توفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام (١٧٤/٦)، ومعجم المؤلفين (٣٦٣/٣).

[٣] المحرر الوجيز (٥/ ٤٦٤).

المبحث الرابع
الاختيار والترجيح بأقوال السَّلف

يحسن في بداية هذا المبحث أن أعرف بمفهوم السلف.

السَّلف في اللغة:

«سَلَفَ يَسْلُفُ سَلَفاً وسُلُوفاً تقدَّم...والسَّلَفُ والسَّلِيفُ والسُّلْفَةُ الجماعَةُ المتقدمون...السَّلَفُ أَيضاً من تقدَّمَك من آبائك وذوي قَرابَتِك الذين هم فوقَك في السنِّ والفَضْل واحدهم سالِفٌ... ولهذا سمي الصدْر الأَول من التابعين السَّلَف الصالح»[1].

السَّلف في الاصطلاح:

إذا أُطْلِقَ السَّلف عند العلماءِ فإنَّما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أو الصحابة والتابعين، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة من الأَئمَّةِ الأَعلامِ المشهودِ لهم بالإِمامةِ والفضلِ واتباعِ السنة والإِمامةِ فيها، واجتناب البدعةِ والحذر منها، وممن اتفقت الأُمّةُ على إِمامتهم وعظيم شأنهم في الدِّين، ولهذا سمي الصدرُ الأول بالسَّلف الصالح[2].

فالصحابة - رضي الله عنهم - أعلم الناس بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بألفاظ القرآن ومعانيه، فقد سمعوا القرآن منه -صلى الله عليه وسلم-، وشاهدوا التنزيل، وعايشوا أحداثه، إضافة إلى معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها، وقوة أفهامهم، وصفاء أذهانهم، وسعة إدراكهم، وسلامة مقصدهم.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وامتدح من اتبعهم وسار على نهجهم، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

[1] ينظر: لسان العرب (١٥٨/٩)، وتهذيب اللغة (٢٩٩/١٢)، والقاموس المحيط ص١٠٦٠، مادة (سلف).

[2] ينظر: لوامع الأنوار البهية (٢٠/١)، والوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة ص٢١.

وأخبر النبي -ﷺ- أنَّ خير القرون قرنه، فقال: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[1].

وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير؛ فكان الواجب على من تعذر عليه تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة النبوية أن يرجع إلى أقوال الصحابة - رضي الله عنهم -وإذا لم يجده عندهم رجع إلى أقوال التابعين – رحمهم الله – فإنَّهم قد تتلمذوا على يد الصحابة، وتلقوا عنهم العلم، وأخذوا عنهم التفسير.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة -رحمه الله-:« وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنَّهم أدرى بذلك بما شاهدوه من القرآن، والأحوالِ التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح؛ لاسِيَّما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمةِ الأربعةِ الخلفاءِ الراشدين، والأئمةِ المهديين، مثل عَبْد اللَّه بن مَسْعُود»[2]، وقال أيضاً: « إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عند الصحابة، فقد رجع كثيرٌ من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[3].

وقد اعتنى كثير من المفسرين بأقوال السَّلف في التفسير ورجعوا إليها إذا لم يجدوا للآيات تفسيراً في الكتاب والسنة، كما اعتمدوا عليها في الاستدلال على صحيح الأقوال وضعيفها.

وقد نهج الوَاحِدِيّ نهج من سبقه من المفسرين، فاهتم بأقوال الصحابة والتابعين وأوردها عند تفسيره للآيات واعتنى بها، وقدمها على غيرها، بل صرح بذلك في مقدمة تفسيره البسيط قائلًا: «وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عَبَّاس ما وجدت له

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي -ﷺ-، باب فضائل أصحاب النبي -ﷺ- ومن صَحِب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، رقم الحديث (٣٤٥١)، (١٣٣٥/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله عنهم -، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم الحديث (٦٦٣٥)، (١٨٥/٧).

[2] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٩٥/١٣).

[3] المصدر السابق (١٩٨/١٣) .

نصًّا، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية»[1].

وقد كان لأقوال حَبر الأمة وإمام التأويل ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - منزلة خاصة عند الوَاحِدِيّ فقد كان شغوفاً بنقلها، وذكرها ما وجد له نصاً؛ ولذا اقتصر في تفسيره الوجيز على قول معتمد لابن عَبَّاس، أو من هو في مثل درجته يقول في مقدمة الوجيز:« وهذا كتاب أنا فيه نازل إلى درجة أهل زماننا تعجيلاً لمنفعتهم، وتحصيلاً للمثوبة في إفادتهم ما تمنوه طويلاً فلم يغنِ عنهم أحد فتيلاً، وتارك ما سوى قول واحد معتمد لابن عَبَّاس أو من هو في مثل درجته»[2].

ومن أمثلة ذلك:

❖ عند قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١]، قال الوَاحِدِيّ -رحمه الله-:« والذي تولى كبره مختلف فيه: فقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: هو عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ[3]. وقال قوم: الذي تولى كبره هو حَسَّان بن ثَابِت[4]. والقول هو الأول؛ لما رُوي عن الشَّعبيّ: أنَّه قيل لعَائِشَة: إنَّ حَسَّان بن ثَابِت هو الذي تولى كبره؟ فقالت: معاذ الله، سمعت رسول الله يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّد حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ في شعره»»[5].

---

[1] البسيط (١/٢٧٠).

[2] الوجيز ص٨٥.

[3] عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سَلُول، وسَلُول جدته لأبيه من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها، ولما مات سنة ٩هـ، تقدم النبي -صلى الله عليه وسلم- فصلى عليه، فنزلت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤]. ينظر: المحبَّر ص ٢٣٣، والأعلام (٤/٦٥).

[4] حَسَّانُ بن ثَابِت بن المُنْذِر بن حَرَام الأَنْصَارِيّ، أبو الوليد، شاعر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، توفي سنة ٥٤هـ، وقد عمي بصره قبيل وفاته. ينظر: الاستيعاب (١/٣٤١)، والإصابة (٢/٦٢).

[5] ص٥٢٠ من البحث.

❖ عند قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، اختار الوَاحِدِيّ عَوْد الضمير في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ على زَكَرِيَّا وزوجه وابنه يَحْيَى، بخلاف من قال إنَّ الضمير يعود على جميع الأنبياء الوارد ذكرهم في السورة، وعلل اختياره بقوله:« الظاهر أنَّ الكناية تعود إلى زَكَرِيَّا ويَحْيَى وامرأة زَكَرِيَّا؛ ويدل على هذا ما رُوي أنَّ أبا بَكْر -رضي الله عنه- خطب فقال في خطبته:«وإن الله أثنى على زَكَرِيَّا وأهل بيته فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾»[1].

❖ عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة: ٣٤]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في المراد بالكنز في الآية، الأول: أنَّه جمع المال الذي لا تؤدى زكاته، والثاني: جمع المال وإن أديت الزكاة، ثم رجح الأول، فقال:«والصواب القول الأول؛ لأنَّه لا وعيد لمن جمع المال من الحلال وأدَّى الزكاة؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-:« مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ»، وقوله -صلى الله عليه وسلم-:« نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْرجلِ الصَّالِحِ »، وقول ابن عُمَر وقد سئل عن هذه الآية، فقال:«مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلٌ لَهُ، مَا أُبَالِي لَوْ كَانَ لِي أُحُدٌ ذَهَبًا أَعْلَمُ عَدَدَهُ وَأُزَكِّيهِ وَأَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ - عز وجل-»[2].

في المثال الأول رجَّح أنَّ الذي تولى حادثة الإفك هو عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ خلافاً لمن قال إنَّه حَسَّان بن ثَابِت للأثر المروي عن عَائِشَة -رضي الله عنها-. وفي المثال الثاني استدل الوَاحِدِيّ على صحة اختياره بالأثر المروي عن أبي بَكْر الصديق -رضي الله عنه-. وفي المثال الثالث استشهد على أنَّ ما أدّيت زكاته من المال فليس بكنز بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقول ابن عُمَر -رضي الله عنهما-.

---

[1] ص٤٨٥ من البحث.

[2] ص٢٩٥ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٠٣، ٣٥٥، ٤٤٠، ٤٧٥.

المبحث الخامس

الاختيار والترجيح باللغة العربية

تفسير كتاب الله -تعالى- بمقتضى لغة العرب من أهم مصادر التفسير؛ إذ إن القرآن نزل بلغتهم وعلى سُنَنِهِم وطرائقهم في الكلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف : ٢]، وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥].

لذا كان حقاً على كلِّ من أراد تفسيرَ كلامِ الله، وفهمَ معانيه، وإدراكَ مراميه أن يكون عالماً باللغة العربية وقواعدها.

أُثِر عن ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - أنَّه قال:«إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ»[(١)].

وقد شدَّد السَّلف – رحمهم الله – على من تجرأ على تفسير القرآن وهو غير عالم بلغة العرب، روي عن مَالِك بن أَنَس[(٢)] -رحمه الله- أنَّه قال:«لا أُوتَى برجلٍ غيرِ عالمٍ بلغةِ العربِ يفسرُ كتابَ اللهِ إلا جعلتُه نكالاً»[(٣)].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في طلب العلم، رقم (١٦٨٣)، (٢/٢٥٨)، وفي السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب شهادة الشعراء، رقم (٢٠٩١٣)، (١٠/٢٤١).

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري، أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، قال عنه الشافعي: " لولا مالك والليث لضللنا "، وهو أول من صنف تفسير القرآن بالإسناد على طريقة الموطأ، وله كتاب المناسك، والتفسير لغريب القرآن، توفي سنة ١٧٩ هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٤/١٣٥)، والدِّيباج المذَهّب ص١٧، وطبقات المفسرين للداودي (٢/٢٩٣).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن، رقم (٢٢٨٧)، (٢/٤٢٥).

وينبغي لمن أراد أن يفسر كلام الله - ﷻ - باللغة العربية أن يراعي الآتي:

" إذا ورد عدة معانٍ لغوية صحيحة تحتملها الآية بلا تضاد جاز تفسير الآية بها.

وإن كان اللفظ القرآني لا يحتمل إلا أحد معانيه في اللغة فهناك ضوابط تدل على اختيار هذا المعنى دون غيره، وهي كالتالي:

١- أنْ تكون اللفظة المفسِّرة صحيحة في اللغة، فلا يجوز تفسير القرآن بما لا يعرف في لغة العرب.

٢- أنْ يفسّر القرآن على الأغلب المعروف من لغة العرب دون الشاذ أو القليل.

٣- أنْ يراعي المفسِّر عند تفسيره السياق، فلا يختار إلا ما يناسب معه.

٤- أنْ يعرف ملابسات النزول إذا احتاجها عند تفسير لفظة ما؛ لكي يعرف المراد بها في الآية.

٥- أنْ يقدم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي إذا تعارضا، إلا إذا دلَّ الدليل على إرادة المعنى اللغوي؛ لأنَّ القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة" [١].

والوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- من الذين نالوا حظاً وافراً من هذا العلم فهو يتحاكم كثيراً إلى اللغة العربية، ويستدل باستعمالات العرب في كلامها وأساليب مخاطبتها في ترجيحاته، كما يُضَعِّف بها بعض الأقوال المخالفة لما هو معروفٌ في اللغة.

يقول الوَاحِدِيّ في مقدمة كتابه البسيط مبينًا أهمية اللغة لفهم القرآن وتفسيره:«والله - تعالى ذكره -، أنزل كتابه على قوم عرب، أولي بيان فاضل، وفهم بارع. أنزله -جل ذكره- بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه..وبيَّن النبي-ﷺ- للمخاطبين من أصحابه - رضي الله عنهم - ما عسى بهم الحاجة من معرفة بيان مجمل الكتاب، وغامضه ومتشابهه، وجميع وجوهه التي لا غنى بهم وبالأمة عنه. فاستغنوا بذلك عما نحن

[١] فصول في أصول التفسير ص٤٣.

إليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها، الاجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب وورد البيان»[1].

ويقول: «وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة إليها، في معرفة ما في الكتاب، ثم في السنن والآثار وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية، فإن من جهل لسان العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها جهل جمل علم الكتاب»[2].

ويقول:«وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه لخاتم النبيين وسيد المرسلين -ﷺ- وعلى آله الطيبين في زمان أهله يتحلون بالفصاحة، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح»[3].

ومن هذه النصوص وغيرها مما قال في مقدمة كتابه البسيط ندرك مدى اهتمام الوَاحِدِيّ باللغة، فهو يطوع المباحث اللغوية لخدمة التفسير، ويوجه الأقوال ويرجع بعضها على بعض بما يملك من ملكه لغوية.

ومن أمثلة ذلك:

❖ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١]، قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ذكر بعض أهل التفسير أنَّ الكناية عن قوله: ﴿فِيهَا فِجَاجًا﴾ عائدة إلى الأرض. **والأولى** أن تعود إلى الجبال؛ لما ذكرنا أنَّ الفَجَّ في اللغة: الطريق بين الجبلين، وابن عَبَّاس أيضاً قال في تفسير هذه الآية: وجعلنا من الجبال طرقاً؛ حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار للتجارات وغيرها»[4].

---

[1] البسيط (١/٣٩٧).

[2] المصدر السابق (١/٣٩٨).

[3] المصدر السابق (١/٤١١).

[4] ص٤٧٥ من البحث.

❖ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨٢]، ذكر الوَاحِدِيّ قولين في معنى الضد، الأول ما عليه الجمهور، وهو أنَّ المراد به الأعداء، ثم قال:«ورُوي عن قَتَادَة أنَّه قال في قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ قال: قرناء في النار...**والصحيح** ما عليه الجماعة؛ لقوله: ﴿عَلَيْهِمْ ﴾ ولو قال: (لهم ضِدّا) احتمل ما قاله قَتَادَة؛ لأنَّ الضِّدَّ قد ورد في اللغة بمعنى مثل الشيْءِ...فلما قال: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ كان المعنى: أنَّهم عون عليهم أعداء لهم، ويَبعُد أن يفسر بالقرناء»[1].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] ص٤٥٣ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٨٩، ٢١٨، ٣٦٨، ٥٠٨، ٦٨٨، ٨٣٥.

الفصل الثالث

قواعد الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ؛

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

المبحث الثاني: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالسنة والآثار.

المبحث الثالث: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة باللغة العربية.

المبحث الأول

قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالنص القرآني

اعتمد الوَاحِدِيّ على القرآن الكريم في ترجيحاته في التفسير، وسأتحدث عن ذلك من خلال الآتي:

١- الترجيح بدلالة السِّياق القرآني:

السِّياق في اللغة: قال ابن فَارِس:« السِّين والواو والقاف أصلٌ واحدٌ، وهو حَدْوُ الشيءِ. يقال: سَاقهُ يَسُوقُهُ سَوْقاً، والسَّيِّقةُ ما اسْتِيْقَ من الدوابِّ، ويقال: سُقْتُ إلى امرأتي صَدَاقَها وأسَقْتُهُ، والسُّوْقُ مشتقَّةٌ من هذا لما يُسَاقُ إليها من كلِّ شيءٍ والجمع أسواق» [١].

وقال الزُّبَيْدِيّ:« وأصل السِّياقِ سواق، قُلِبَت الواو ياءً لكَسرَةِ السِّينِ...ومن المجازِ: هو يَسُوقُ الحَدِيثَ أَحْسَن سِياقٍ، وإِليكَ يُساقُ الحَدِيثُ، وكلام مَساقُهُ إلى كذا، وجِئْتُك بالحَدِيث على سَوْقِهِ، على سَرْدِه»[٢].

وعلى هذا فسياق الكلام: «تتابعه وأُسلوبُه الذي يجري عليه» [٣].

والمقصود بالسِّياق القرآني:

«بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن الكلام السَّابق[٤] واللاحق[٥]،

---

[١] معجم مقاييس اللغة (١١٧/٣)، مادة (ساق).

[٢] العروس (٤٧٠/٢٥)، مادة (سوق).

[٣] المعجم الوسيط (٤٦٥/١)، مادة (ساق).

[٤] السابق: قال الكفوي: السِّباق - بالموحدة - ما قبل الشيء.

ينظر: الكليات ص ٥٠٨. والمراد بالسباق هنا: الكلام الذي يوضِّح ويبيِّن ما بعده.

[٥] اللحاق: اللام والحاء والقاف أصلٌ يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لَحِقَ فلانٌ فلاناً فهو لاحِقٌ، وأُلْحِقَ بمعناه...وربما قالوا: لَحِقْتُه اتَّبَعْتُه وأَلْحَقْتُهُ وصلت إليه".

ينظر: مقاييس اللغة (٢٣٨/٥)، مادة (لحق). وعليه فالمراد باللحاق هنا: الكلام الذي يوضِّح ويبيِّن ما قبله.

إلا بدليل صحيح يجب التسليم له [1]»[2].

والنظر في سياق الآية من حيث سابقها ولاحقها يُعِين على تحديد المعنى المراد في الآية لاسيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى، وقد اهتم كثير من المفسرين بسياق الآية ومدلوله في ترجيح القول أو رَدِّه، فالقول الذي يؤيده السِّياق مقدمٌ على غيره من الأقوال المحتملة؛ لأنَّه الأولى والأقرب إلى مدلول الآية.

وهذا الوجه من وجوه الترجيح له أصلٌ في السنة النبوية، وهو قول النبي -ﷺ- لعائشة -رضي الله عنها- لـمَّا سألته عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فقالت: أَهُم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال:« لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»[3].

فالنبي -ﷺ- في هذا المثال حَلَّ المُشْكِل في الأذهان باستعمال اللاحق من الآيات في معرفة المعنى للجملة المفسَّرة.

وقد سار الوَاحِدِيّ على نهج من سبقه من العلماء فرجَّح بدلالة السِّياق في عدة مواضع من كتابه، واعتمد القول الذي يحمل الآيات على دلالة سياق الكلام فيها، دون ما خرج به عن ظاهر دلالته.

---

[1] بيَّن الطَّبَرِيّ في جامع البيان (٢٦٨/٧) الدليل الصارف للكلام عن سابقه ولاحقه في معرض تقريره لهذه القاعدة، فذكر أنَّ الدليل خبر صحيح متصل السند يفسر الآية، أو إجماع من أهل التأويل على تفسير الآية. وذلك التفسير يخرج الآية عن سابقها ولاحقها.

[2] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، ص ٦٢.

[3] أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة المؤمنون، رقم الحديث (٣١٧٥)، ص ١٩٧٤، وأخرجه ابن ماجه بنحوه، كتاب الزهد، باب التوقي عن العمل، رقم الحديث (٤١٩٨)، ص ٢٧٣٢. وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المؤمنون، رقم (٣٤٨٦)، (٤٢٧/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم (٣١٧٥)، (٢٨٧/٣).

مثال السباق:

قال الوَاحِدِيّ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[النساء: ٣]:« معنى ﴿ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾: تميلوا وتجوروا، عن جميع أهل التفسير واللغة...وعن الشَّافِعِيّ أنَّه قال: معناه ألا يكثر عيالكم...وهذا القول وإن صح، فالاختيار القول الأول؛ لقوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ فأطلق الآية من ملك اليمين، والأقل والأكثر منها، وهن كلهن عيال تتصل بهن المؤونة، وسواء كثر العيال من الحرائر أو الإماء، فلا معنى إذاً أن يقول: ذلك أدنى أن لا يكثر عيالكم بعد إباحة الكثير من السراري، ودليل آخر، وهو أنَّه قال: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ ولم يقل: أن تفتقروا، فكان الجواب معطوفاً على هذا الشرط، ولا يكون جوابه إلا بضد العدل وهو الجور، لا لكثرة العيال» [1].

في المثال السابق استدل الوَاحِدِيّ بسباق الآية، وهو قوله: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾؛ ليؤكد أنَّ معنى ﴿ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾: ألا تميلوا عن الحق وتجوروا؛ لأنَّ كثرة النفقة والعيال يحصل بالتسري كما يحصل بالزوجات، ومع هذا فقد أباح مما ملكت اليمين ما شاء الإنسان بغير عدد؛ لأنَّ المملوكات لا يجب لهن قسم ولا يستحققن على الرجل وطئا [2].

مثال اللحاق:

قال الوَاحِدِيّ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦]:« عامة المفسرين على أنَّ هذا

---

[1] ص١٦٧ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص٢٧٠، ٣٥٢، ٤٥٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٥، ٦٨٦.

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١١/٢)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٣٥٠/٢)، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٧٠/٣٢)، وتفسير القرآن العظيم (٢١٢/٢).

القول لعِيْسَى -عليه السلام- إنَّما يكون في القيامة إلا السُّدِّيّ، وقُطْرُب، فإنَّهما ذهبا إلى أن الله تعالى قال ذلك لعِيْسَى -عليه السلام- حين رفعه إليه، وتعلقا بظاهر قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ وإذ تستعمل لما مضى. والصحيح ما عليه العامة؛ لأنَّ الله تعالى عقب هذه القصة بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[المائدة: ١١٩]، وأراد به يوم القيامة»[1].

في المثال السابق استدل الوَاحِدِيّ على صحة ما رجحه بلحاق الآية، وهو قوله تعالى بعد ذلك:﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ أي: أنَّ هذا القول كان يوم القيامة، ولم يكن حين رفعه الله إليه.

٢- الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية أخرى:

إذا تعددت الأقوال في المراد بآية ما، فالقول الذي تؤيده آيات قرآنية أخرى مقدمٌ على غيره[2]؛ لأنَّ تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته، فالقرآن يفسِّر بعضه بعضاً.

يقول العِزّ بن عَبْدِ السَّلَام في معرض بيانه لضروب التفسير والترجيح:« وقد يتردد بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض، ويترجح بعضها على بعض، وأولى الأقوال ما دلَّ عليه الكتاب في موضع آخر...»[3].

ومن خلال تتبعي لترجيحات الوَاحِدِيّ أجد أنَّه تميز بأمرين يتطلبهما من قصد الاستدلال ببيان القرآن بالقرآن، وهما:

الأول: مقدار استظهار المفسِّر لآيات القرآن الكريم، وبراعته في ذلك.

الثاني: صحة نظر المفسِّر، وقوة استنباطه.

---

[1] ص٢٣٨ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٤٧، ٢٥١، ٣٤٩، ٤٦٣، ٤٩٩، ٥٦٠، ٦٧٠.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[3] الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص٢٢٠.

لذا بنى الوَاحِدِيّ جملة من ترجيحاته على هذا الوجه، شأنه في ذلك شأن من سبقه من المفسرين.

مثال هذه القاعدة:

قال الوَاحِدِيّ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠]:«﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي: حاجز من قدرة الله -تعالى-، فلا يبغي الملح على العذب فيفسده، ولا يبغي العذب على الملح فيختلط به، والمعنى لا يطلبان أن يخرجا مما حدَّ لهما، هذا قول مُقَاتِل، وأكثر المفسرين. وقال الحَسَن، وقَتَادَة: (برزخ) يعني الأرض التي بينهما وهي الحاجز. ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يَطِمَّان على الناس بالغرق، والقول هو الأول؛ لقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣]»[1].

مثال آخر:

قال الوَاحِدِيّ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧]:« قال ابن عَبَّاس: يريد أرضاً باليمن ليس فيها بحار ولا أنهار، يأتيها السيل من حيث لا يعلمون، فيزرعون عليه كلما أحبوا من الحبوب...وقال السُّدِّي في هذه الآية: هي الأرض الميتة التي لا نبات لها، حتى إذا جاء الماء أنبتت ما يأكل الناس والدواب، ونحو هذا قال مُقَاتِل. وهذا القول كان أجود؛ لأنَّه أشبه بنظائر هذه الآية من الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة، ولم يأت شيء منها في أرض بعينها»[2].

---

[1] ص ٧٥٥ من البحث.

[2] ص٦١١ من البحث، وللزيادة ينظر أمثلة أخرى: ص١٧٥، ٢١٧، ٣٩٦، ٤٥٧، ٦٢٥، ٦٤٨.

في المثال الأول استدل الوَاحِدِيّ على صحة اختياره بآية الفرقان، وفي المثال الثاني استشهد بالآيات الواردة في الاستدلال على البعث وتقريبه وإمكانه، بإخراج النبت من الأرض، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]، فهذه الآيات ونظائرها لم يأت شيء منها في أرض بعينها؛ بل جاءت عامة في الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة؛ فكذا آية السجدة.

المبحث الثاني
قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالسنة والآثار

اعتنى الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ببيان السنة للقرآن، وبأقوال السلف في توضيح معاني الآيات القرآنية، وجعلها من دلائل ترجيحه، فقدَّم القول الذي يؤيده خبر عن النبي -ﷺ-، أو يقوِّيه قول صحابي أو تابعي، كما رَدَّ بعض الأقوال الواردة في تفسير الآية أو ضعَّفها لمخالفتها ذلك، وهو بهذا قد سلك سبيل مَنْ سبقه من العلماء.

وسأذكر بعض القواعد المتعلقة بذلك من خلال الآتي:

- **إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه**[1].

مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٦]، قال الوَاحِدِيّ:« واختلفوا فيم يرثه هذا الولي؟ فقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يرث النبوة، وهو قول أبي صَالِحٍ: يكون نبياً كما كان آباؤه أنبياء...وقال قوم: أراد وراثة المال...والصحيح القول الأول...وفيما أثر عن رسول الله -ﷺ- من أنَّه قال:« نحن معاشر الأنبياء لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » دلالة على أنَّ الذي سأل أن يرثه وليه ليس المال؛ فإذا بطل هذا ثبت الوجه الآخر، على أنَّه لا يجوز على نبي الله أن يقول: أخاف أن يرثني بنو عمي وعصبتي على ما فرضته لهم»[2].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[2] ص٦١١ من البحث.

- **كل طعن في مقام النبوة ومقام الرسالة فهو مردود**[1].

مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، حيث ردَّ الوَاحِدِيّ تأويل من قال إنَّ معنى الآية: فظن أنَّه يُعجز ربه فلا نقدر عليه، فقال:« وهذا التأويل بعيد، ولا يجوز مثله على الأنبياء. قال أبو الهَيْثَمِ: من اعتقد أنَّ يُونُس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر؛ لأنَّ يُونُسَ رسول، لا يجوز ذلك الظن عليه، وقال الأَزْهَرِيُّ: قوله: ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ لا يجوز أن يكون من القدرة؛ لأنَّ من ظن هذا فقد كفر، والظن شك، والشك في قدرة الله كفر، وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأوِّل، ولا يتأول مثله إلا جاهل بكلام العرب ولغاتها»[2].

- **كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد** [3].

مثالـه: عنـد تفـسير قولـه تعـالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، حكى الوَاحِدِيّ الإجماع على أنَّ المراد بالمقام المحمود: مقام الشفاعة؛ كما فسره النبي -ﷺ- بذلك، ثم قال:« ورُوي عن مُجَاهِد في تفسير قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ قال: يجلس معه على العَرْش...وقول مُجَاهِد: (معه) قولٌ موحشٌ فضيعٌ، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير؛ والبعث لا يكون بمعنى الإجلاس، ومن فَسَّر البعث بالإجلاس فقد فَسَّره بضد ما وُضع له؛ لأنَّ البعث وضع للإثارة...؛ ولأنَّ الله قال: ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ ولم يقل: مقعداً، والمقام موضع القيام...وإذا فسد هذا الفساد الظاهر لم يُعد به»[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٥١٦/١٨)، والمحرر الوجيز (٢٩٤/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٩/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٩١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٥/١).

[2] ص٤٨٠ من البحث.

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٤٣/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/ ٤٢٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩١/١).

[4] ص٤٠٨ من البحث.

- **إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجِّح لما وافقه من أوجه التفسير**[1].

مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، قال الوَاحِدِيّ:« قال عامة أهل التفسير: كان أهل الجاهلية في أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم نَقَبَ في بيته نَقْباً من مُؤَخَّره يخرج منه ويدخل، إلا قريشاً ومن دانوا بدينهم، فبينما رسول الله -ﷺ- وهو محرم، ورجل محرم فرآه دخل من باب حائط، فاتبعه ذلك الرجل، فقال له: تنح عني، قال: ولم؟ قال: دخلت من الباب وأنت محرم! فوقف ذلك الرجل فقال: إني رضيت بسنتك وهديك، وقد رأيتك دخلت فدخلت على إثرك، فقال النبي -ﷺ-: إني أحْمَس[2]، يعني: قرشي، وكانت قريش لا تفعل ذلك، قال الرجل: فإن كنت أحْمَس، فإني أحْمَس ديننا واحد، فأنزل الله هذه الآية[3]. وذهب أبو عُبَيْدة في تفسير هذه الآية إلى غير ما ذكرنا، وهو أنَّه قال: معناه: ليس البرّ بأنْ تطلبوا الخير من غير أهله، وتلتمسوا الأمر من غير بابه ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ أي: اطلبوا الخير من وجهه والأمر من بابه[4]، والقول ما عليه العامة»[5].

---

[1] ينظر: الناسخ والمنسوخ ص٤٤٨، والمحرر الوجيز (٥٧٠/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٢/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢١٥/١).

[2] الحُمْس: قبائل من العرب سميت بالحمس؛ لتشددهم وتحمسهم في الدين، أو لالتجائهم بالحمساء وهي الكعبة، فكانت تستظل أيام منى ولا تدخل البيوت من أبوابها، وكانوا يمنعون الحجاج أن يأكلوا إلا من طعام قريش، والحُمْس: قريش، وكِنَانَة، ومن دان بدينهم، من بني عامر بن صَعْصَعة.
ينظر: التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب ص٥٢، ومعجم قبائل العرب (٣٠١/١).

[3] ذكره الوَاحِدِيّ في أسباب النزول ص١٦٤، وقال الحَافِظ ابن حَجَر في العجاب (٤٥٨/١): "وهذا جمعه من آثار مفرقة، ولم أجده عن واحد معين".

[4] ينظر: مجاز القرآن (٦٨/٢).

[5] ص ١٣٨ من البحث.

المبحث الثالث

قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة باللغة العربية

ذكرت في الفصل السابق أهمية اللغة العربية في تفسير كلام الله - ﷻ-، والمتتبع لتفسير الوَاحِدِيّ لا يخفى عليه ماله من باع طويل في هذا العلم، كما يلحظ مدى عنايته به وتوظيفه في بيان معنى الآية، فتارةً يستدل باللغة على بيان أصح الأقوال وأولاها في تفسير كلام الله -تعالى-، وتارةً يسقط بها بعض المعاني ويستبعدها لضَعْفها في لغة العرب.

وإليك بعض القواعد اللغوية التي سار عليها الوَاحِدِيّ في ترجيحه لبعض الأقوال، مع ضرب بعض الأمثلة عليها.

قد يصرح الوَاحِدِيّ بتلك القاعدة مستشهداً بها على صحة اختياره، لكنَّه في الغالب يرجح بمضمونها دون أن يصرح بها.

- **يجب حمل كلام الله -تعالى- على المعروف المشهور من كلام العرب دون القليل والشاذ**[1].

مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٧]، قال الوَاحِدِيّ:« قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد لا جبل ولا بناء ولا شجر ولا ماء...وقال عَطَاء: قد برز الذين كانوا في بطنها فصاروا على ظهرها...والقول الأول هو الأولى، وهذا لا يصح إلا على بُعْد. واستكره بأن يجعل بَرَزَ بمعنى: أَبْرَز... ويكون معنى الآية على هذا: وترى الأرض مبرزة ما

---

[1] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

فيها، كما قال: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق: ٤]، وهذه لغة شاذة لا يفسر بها كتاب الله»[١].

- **إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية قدمت العرفية**[٢].

مثاله: ما ذكره الوَاحِدِيّ عند تفسيره لمقام إِبْرَاهِيْم -عليه السلام-، حيث أورد عدة أقوال في المعنى، ثم قال:« والمقام في اللغة: موضع القدمين حين يقوم عليه...وذلك الحجر هو مقام إِبْرَاهِيْم الذي يعرفه الناس اليوم، وإذا أطلق مقام إِبْرَاهِيْم لم يفهم إلا الذي هو اليوم في المسجد»[٣].

- **أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص**[٤].

مثاله: ما قاله الوَاحِدِيّ عند تفسيره لآية القمر:« ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[القمر:٥٠]، قال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال الكَلبِيّ عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا واحدة كطرف البصر...وعلى هذا يختص الكلام بأمر الساعة...والأحسن في معنى الآية أنَّ هذا عام في كل ما يخلقه الله -تعالى- ويريد تكوينه»[٥].

---

[١] ص٤٢٢ من البحث.

[٢] ينظر: النكت والعيون (١/ ٣٩)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١/ ١٤٢)، وأضواء البيان (٦/ ١٩٥)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٦٤/٢).

[٣] ص١٢٢ من البحث.

[٤] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[٥] ص٧٤٨ من البحث.

- **توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها** [1]:

مثاله: ما ذكره الوَاحِدِيّ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[الحاقة:١٢]، حيث قال:« قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ قال الفَرَّاء: لنجعل السفينة لكم تذكرة وعظة، وليس هذا بالوجه، والوجه ما قال أبو إِسْحَاق[2]: لنجعل تلك الفعلة من إغراق قوم نُوح، ونجاة من آمن معه تذكرة لكم، أي: عبرة وموعظة. ويدل على صحة هذا الوجه قوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾»[3].

فالوَاحِدِيّ في هذا المثال لم ينص على هذه القاعدة؛ ولكنَّها تفهم من استدلاله بقوله: ﴿وَتَعِيَهَآ﴾؛ لأنَّ الضمير في:﴿وَتَعِيَهَآ﴾ عائد إلى الواقعة والحالة التي هي نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين، فكذلك الضمير الأول في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ يعود إلى ما عاد إليه الضمير الثاني؛ ولا يمكن عود الضمير في ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ إلى السفينة؛ فكذا الضمير الأول.

- **الأصل إعادة الضمير وما شابهه[4] إلى أقرب مذكور، مالم يرد دليل بخلافه**[5].

مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١]، قال:« قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ﴾ اختلفوا في المشبه به، والمشار إليه، فقال الزَّجَّاج: يجوز أن

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز (٨/٥)، والبرهان للزركشي (٣٥/٤)، والإتقان (٣٩٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[2] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[3] ص٧٩٦ من البحث.

[4] من أسماء الإشارة ونحوها.

[5] ينظر: جامع البيان (٢٤٧/١٢)، والمحرر الوجيز (١٩٩/١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٥/٢) و(١٧٠/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٦١/١)، (٣٣٩/٢)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٢١١/٣)، (٣٢١/٤)، والكليات ص٥٦٩، وأضواء البيان (٣٩٤/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٨/٢).

يكون التقدير: وجدها تطلع على قوم، كذلك القَبِيل[1] الذي كانوا عند مغرب الشمس وأن حكمهم حكم أولئك[2]. وقال غيره: المعنى كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها. وقيل: أتبع سببا كما أتبع سببا. والقول ما قاله أبو إِسْحَاق[3]؛ لأنَّ التشبيه بالكاف يجب أن يرجع إلى أقرب المذكور إليه، والأقرب وجود القوم لا البلوغ والإتباع»[4].

- **إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى**[5].

مثاله: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[هود: ٥٨] قال الوَاحِدِيّ:« قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد الذي عُذِّب به الذين كفروا، وقال بعضهم: يعني عذاب يوم القيامة، وهذا أحسن؛ لأنَّ الإنجاء من عذاب الدنيا قد سبق، كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب» [6].

فالوَاحِدِيّ في هذا المثال ذكر قولين للمفسرين في المراد بالعذاب الغليظ، أحدهما: أنَّه عذاب الدنيا، والآخر: أنَّه عذاب يوم القيامة، ثم اختار القول الثاني، معللاً ذلك بأنَّ عذاب الدنيا سبق ذكره في أول الآية؛ فحمله على معنى جديد أولى من التأكيد على المعنى السابق.

---

[1] القَبِيلُ: الجماعة من النَّاس يكونون من الثَّلَاثَة فَصَاعِداً من قوم شَتَّى كالزنج والروم والعرب، وَقد يكونون من نَحْو وَاحِد. وربما كان القَبِيل بني أَب وَاحِد كالقبيلة.

ينظر: تهذيب اللغة (١٣٧/٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤٣٠/٦)، مادة (قبل).

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٩).

[3] يعني بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[4] ص٤٣٤ من البحث.

[5] ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٣/١)، والإحكام للآمدي (٢٧٦/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٠/٢).

[6] ص٣٢٤ من البحث.

- **القول بالاستقلال مقدَّم على القول بالإضمار**[1].

مثاله: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [النحل: ٩]، قال الوَاحِدِيّ: « واختلفوا في معنى هذه الآية، فأكثر المفسرين على أن المعنى: وعلى الله بيان قصد السبيل بالكتب والرسل والحجج...وعلى هذا فالآية من باب حذف المضاف؛ لأنَّ التقدير: وعلى الله بيان قصد السبيل... وفي الآية وجه آخر وهو أن المعنى: أن قصد السبيل الذي هو الحنفية والإسلام على الله؛ أن يؤدي إلى رضا الله وثوابه وجزائه؛ كقوله: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾ [الحجر:٤١]، أي: أنَّه يؤدي إلى جزائي وكرامتي، فهو طريق عليّ، وهذا مذهب مُجَاهِد، قال: على الله طريق الحق...وهو أقوى القولين؛ لأنَّه صحَّ من غير إضمار»[2].

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩١)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (١/ ١٥٩)، وأضواء البيان (١/ ٣٩٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٧١).

[2] ص٣٦٨ من البحث.

دراسة اختيارات وترجيحات

الوَاحِدِيّ في تفاسيره

(البسيط والوسيط والوجيز)

من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الناس

١- المراد بالمنِّ

في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[البقرة: ٥٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« المنّ: **الصحيح** أنَّه التَّرَنْجَبِين[١]، وكان كالعسل الجَامِس[٢]، حلاوة، كان يقع على أشجارهم بالأسحار عفواً بلا علاج منهم، ولا مُقَاسَاة مشقّة، ومنه قوله -ﷺ-: « الْكَمْأَةُ[٣]، مِنَ الْمَنِّ»[٤]»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمنّ في الآية:

القول الأول: أنَّ المنَّ ما سقط على الشجر فيأكله الناس، وهو قول ابن عَبَّاس[٦].

القول الثاني: أنَّ المنَّ شرابٌ، كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجِهِ بالماء، وهو قول الرَّبِيْع بن أَنَس[٧].

---

[١] التَّرَنْجَبِين: طَلٌّ يقع من السماء، ندي شبيه بالعسل. ينظر: الجامع لمفردات الأدوية والأعشاب (١٣٧/١). ويقال له: (الطَّرَنْجَبِينُ) بالطاء بدل التاء. ينظر: الوجيز للوَاحِدِيّ (١٠٧/١)، والجامع لأحكام القرآن (٤٠٦/١).

[٢] الجَامِس: اليابس والجامد، يقال: جَمَس السمنُ وجَمُس يَجْمُس جُمُوساً، أي: يَبِس وجَمَد.
ينظر: المخصص (٤٦٢/١)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٧٩/١)، ولسان العرب (٤٢/٦)، مادة (جمس) .

[٣] الْكَمأَةُ: واحدها كَمءٌ على غيرِ قياس، والكَمْءُ نَبات يُنَقِّضُ الأَرضَ فيخرج كما يَخرج الفُطْرُ، ومن أنواعه الفَقْع. ينظر: المحكم (٩٧/٧)، ولسان العرب (١٤٨/١)، (٢٥٥/٨)، مادة (كمأ)، (فقع).

[٤] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ رقم الحديث (٤٢٠٨)، (١٦٢٧/٤)، وأخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها، رقم الحديث (١٥٧)، (١٦١٩/٣).

[٥] البسيط (٥٤٦/٢).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٢/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٤/١).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٠/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٥/١).
والربيع هو: الرَّبِيْع بن أَنَس بن زِيَادٍ البَكْرِيُّ المَرْوَزِيُّ، من أهل البصرة، لقي ابن عمر وأنس بن مالك وغيرهم، عالم مرو في زمانه، توفي سنة ١٣٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١٦.

القول الثالث: أنَّ المنَّ عسل كان ينزل عليهم، وهو قول ابن زَيْد[١].

القول الرابع: أنَّ المنَّ حُلْوَة، وهو قول مُجَاهِد[٢].

القول الخامس: أنَّ المنَّ الزَّنْجَبِيل، وهو قول السُّدِّيّ[٣].

القول السادس: أنَّ المنَّ الخبز الرِّقَاق، وهو قول وَهْب[٤].

القول السابع: أنَّ المنَّ التَّرنْجَبِين، وهو قول مُقَاتِل[٥].

واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والسَّمَرْقَنْدِيّ[٧]، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب[٨]، والزَّمَخْشَرِيّ[٩]،

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠١/١)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (١٣٧/١).

وابن زَيْد هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العَدَوِيّ المدني، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة ١٨٢هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨)، وطبقات المفسرين للدَّاوُدِيّ (٢٦٥/١).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٧٦/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٠/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٤/١).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠١/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٤/١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٠/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٥/١).

ووَهْب هو: وَهْب بن مُنَبِّهِ بنِ كَامِلِ الصَّنْعَانِيّ، أبو عبد الله، عالم أهل اليمن، صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل، توفي سنة ١١٤هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣٥/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل (٥٠/١).

[٦] ينظر: البسيط (٥٤٦/٢)، واقتصر عليه في الوسيط (١٤٢/١)، والوجيز (١/ ١٠٧).

[٧] ينظر: بحر العلوم (٨١/١).

والسَّمَرْقَنْدِيّ هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السَّمَرْقَنْدِيّ، الفقيه أبو الليث، المعروف بإمام الهدى، من أئمة الحنفية، من مصنفاته: تفسير القرآن، والنوازل في الفقه، تنبيه الغافلين، توفي سنة ٣٩٣هـ.

ينظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية ص٣١٠، وطبقات المفسرين للدَّاوُدِيّ (٣٤٦/٢).

[٨] ينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن ص ٢٨.

ومَكِّيّ هو: مَكِّيّ بن أبي طالب، واسم أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القَيْسِيّ، أبو محمد، كان فقيهاً مقرئاً أديباً، غلب عليه علم القرآن، من مصنفاته: الهداية في التفسير، والموجز في القراءات، والمأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره، توفي سنة ٤٣٧ هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٢٤٧/٥)، وسير أعلام النبلاء (٥١٩/١٧).

[٩] ينظر: الكشاف (١٧٠/١).

والرَّازِيّ [١]، والبَيْضَاوِيّ [٢]، والنَّسَفِيّ [٣]، وأبو السُّعُود [٤]، والآلُوسِيّ[٥].

القول الثامن: ما يمن الله به على عبادة مما لا تعب فيه ولا نصب، وهذا القول يفيد العموم، واختاره الزَّجَّاج [٦]، وابن كَثِيْر[٧]، والسّعْدِيّ [٨]، والشَّنْقِيطِيّ [٩].

واستدل هؤلاء القائلون بالعموم بقوله -ﷺ-: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ »[١٠].

وجه الاستدلال: أنَّ المنّ: مصدر يعم جميع ما منّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع، ومنه الْكَمْأَة، فيدخل فيه ما سبق.

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٨٢/٣).

[٢] ينظر: أنوار التنزيل (٣٢٧/١).

والبَيْضَاوِيّ هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشِّيْرَازِيّ البَيْضَاوِيّ الشَّافِعِيّ، أبو الخير ناصر الدين، المفسِّر، الأصولي، اللغوي، كان إماماً مبرزاً صالحاً متعبداً زاهداً، ولي القضاء بشيراز، من مصنفاته: أنوار التأويل في التفسير، والطوالع في علم الكلام، والمنهاج في أصول الفقه، توفي سنة ٦٨٥هـ.

ينظر: طبقات الشافعية للسُبْكي (١٥٧/٨)، وطبقات المفسرين للدَّاوُدِيّ (٢٤٢/١) .

[٣] ينظر: مدارك التنزيل (٩١/١).

والنَّسَفِيّ هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِيّ، أبو البركات، فقيه حنفي، مفسِّر، كان إماماً في جميع العلوم، من مؤلفاته: مدارك التنزيل في التفسير، وكنز الدقائق في الفقه، والمنار في الأصول، توفي سنة ٧١٠هـ.

ينظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية ص١٧٤، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٢٦٣ .

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم (١٠٤/١).

[٥] ينظر: روح المعاني (٢٣٩/١٦).

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٣٨/١).

[٧] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٦٨/١).

[٨] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٥٢.

والسّعديّ هو: عبدالرحمن بن ناصر السّعديّ، نشأ يتيماً وحفظ القرآن، وجدَّ في طلب العلم، تولى القضاء وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً، من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، توفي سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٤٢٢/٢)، والأعلام (٣٤٠/٣).

[٩] ينظر: أضواء البيان (٧٥/٤).

[١٠] سبق تخريجه ص١٠٠.

وأجيب: بأنَّ قوله -ﷺ-: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ» يراد به أنَّها شبيهة بالمنِّ الذي كان يسقط على بني إِسْرَائِيْل، بجامع ما بينهما من وجود كلٍّ منهما عفواً بغير علاج[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل في الأقوال السابقة يظهر - والله أعلم - أنَّ المراد بالمنِّ شيء أنزله الله - ﷻ- عليهم من السماء كالطل يجدونه على رؤوس الأشجار أشبه بالعسل يُجمع ويُؤكل حُلْواً، ومنه التَّرنْجَبِين الذي منّ الله به على بني إِسْرَائِيْل في التِّيه، وهذا ما تدل عليه الأقوال السابقة، وإن اختلفت عبارة المفسرين إلا أنَّ المعنى متقارب، عدا القول الخامس والسادس والثامن، ويُؤَيِّد ذلك:

١. سياق الآية اللاحقة لهذه الآية، وهي مقولة بني إِسْرَائِيْل فيما حكاه الله عنهم:﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا** ﴾[البقرة: ٦١]، فقولهم هذا يَبْعُد أن تكون الْكَمْأَةُ مما أعطوه سابقاً؛ لأنَّهم سألوا الله سبحانه أن يخرج لهم نبات الأرض.

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين[2]، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[3].

---

[1] ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٧٣/٢).

[2] كما حكاه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٩٧/١)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٤٠٦/١)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣٧٤/١)، والسّعْدِيّ في تيسير الكريم الرحمن (٥٢/١).

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢- المراد بالسَّلوى

في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[البقرة: ٥٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«والسَّلوى بمعنى العسل صحيح في اللغة، وإن أنكره أبو إِسْحَاق[١]؛ ولكن الذي في الآية المراد به الطائر، لإجماع أهل التفسير عليه»[٢].

- **الدراسة:**

للمفسرين في المراد بالسَّلوى قولان:

القول الأول: أنَّ السَّلوى طيرٌ قال به جمع من الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - والتابعين، منهم ابن عَبَّاس[٣]، ومُجَاهِد[٤]، وقَتَادَة[٥]، والرَّبِيْع بن أَنَس[٦]، والضَّحَّاك[٧]، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[٨]، **على اختلاف بينهم في نوع هذا الطير**. وهو اختيار الوَاحِدِيّ[٩]، والفَرَّاء، والأَخْفَش، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[١٠].

---

[١] أبو إِسْحَاق: يعني به الزَّجَّاج.

[٢] البسيط (٥٤٩/٢).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٥/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٥/٢) .

[٤] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٧٦/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٥/١).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٥/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٥/٢) .

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٦/١)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١٢٩/١).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧٠٦/١)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٤٠٧/١).

[٨] ينظر: تفسير مُقَاتِل (٥٠/١).

[٩] ينظر: البسيط (٥٤٩/٢)، واقتصر عليه في الوسيط (١٤٢/١)، والوجيز (١٠٧/١).

[١٠] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٨/١)، ومعاني القرآن للأَخْفَش (١٠١/١)، وجامع البيان (٧٠٤/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٨/١)، وبحر العلوم (٨١/١)، والمحرر الوجيز (١٢٩/١)، ومفاتيح الغيب (٨٢/٣)، وأنوار التنزيل (٣٢٧/١)، ومدارك التنزيل (٥٤/١)، وتفسير القرآن لابن كَثِيْر (٢٧١/١)، والجواهر الحسان (٦٧/١)، وإرشاد العقل السليم (١٠٤/١)، وروح المعاني (٢٣٩/١٦)، وأضواء البيان (٧٥/٤).

القول الثاني: أنَّ السَّلوى العسل، وممن ذكر ذلك: مُؤرِّج السَّدُوسِيّ[1]، وأبو عُبَيْد[2]، والأَزْهَرِيّ [3]، وأبو عَلِيّ الفَارِسِيّ[4]، والجَوْهَرِيّ[5]، وغيرهم.

وحكى الوَاحِدِيّ الإجماع على أنَّ السَّلوى طير، وحكاه كذلك ابن عَطِيَّة، وزاد تخطئة الهُذَلِيّ[6]، فقال:«والسَّلوى طير بإجماع من المفسرين... وقد غلط الهُذَلِيّ، فقال:

وقاسمها بالله جَهداً لأنتُمُ ألَذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها[7]

ظن السَّلوى العسل» [8].

وتَعَقَّبَ بعض المفسرين[9] ابن عَطِيَّة في هذا الإجماع، يقول القُرْطُبِيّ:« ما ادعاه من الإجماع لا يصح، وقد قال المؤرِّج أحد علماء اللغة والتفسير: إنَّه العسل، واستدل ببيت

---

[1] مُؤرِّج بن عمرو بن الحارث بن ثور السَّدُوسِيّ، أبو فيد البصري، نحوي، لغوي، شاعر، من مصنفاته: غريب القرآن، وكتاب جماهير القبائل، توفي بالبصرة سنة ١٩٥هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٣٠٤/٥)، وبغية الوعاة (٣٠٥/٢).

[2] ينظر: الغريب المصنف (٤٦٥/٢).

[3] ينظر: تهذيب اللغة (٤٨/١٣)، مادة (سلا).

[4] ينظر: لسان العرب (٣٩٤/١٤)، مادة (سلا).

[5] ينظر: الصحاح (٢٣١/٧).
والجَوْهَرِيّ هو: إسماعيل بن حمَّاد التركي الأتراري، أبو نصر، يضرب به المثل في ضبط اللغة، مصنف كتاب الصحاح، توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٨٠/١٧)، وبغية الوعاة (٤٤٦/١).

[6] خالد بن زهير الهُذَلِيّ، شاعر أموي، من كبار الشعراء، ابن أخت أبي ذؤيب الهُذَلِيّ. ينظر: معجم الشعراء ص٣٧١.

[7] البيت من البحر الطويل، وهو لخالد بن زهير الهُذَلِيّ يخاطب أبا ذؤيب الهُذَلِيّ. ينظر: المستقصى في أمثال العرب (٣٢١/١)، وشرح أشعار الهذليين (٢١٥/١). ومعنى نشُورُها: نجتنيها من خليِّها. يقال: شَارَ العسلَ يَشُوره شَوْراً ومشارَةً، وذلك إذا اجْتَناه وأَخذَه. ينظر: تهذيب اللغة (٢٧٦/١١)، مادة (شار).

[8] المحرر الوجيز (١٢٩/١).

[9] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٠٧/١)، واللباب في علوم الكتاب (٨٩/٢)، وروح المعاني (٢٦٤/١).

الهُذَلِيّ، وذكر أنَّه كذلك بلغة كِنَانَة[1] سمي به؛ لأنَّه يُسلى به، ومنه عين السُّلْوان[2]، وأنشد:

لو أَشْرَبُ السُّلْوان ما سَلِيتُ ما بي غنىً عنك وإن غَنِيتُ[3]»[4]

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما تقدم - والله أعلم - أنَّ المراد بالسَّلوى في الآية طائر. هذا هو الصحيح؛ لأمور:

١. إطباق جمهور العلماء من السلف والخلف على ذلك[5]، ولم يُذكر عن السلف قولٌ غيره، فقولهم مُقدَّم على غيرهم.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ فهم السلف لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[6].

٢. أنَّ تفسير السَّلوى بالطائر أولى من العسل؛ لإفادته معنى جديداً، فالمنّ قد فسّره بعض السلف بالعسل. والقاعدة الترجيحية: أنَّ الكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[7]؛ لإفادته معنى جديداً لم يسبق في الكلام.

---

(١) كِنَانَة: قبيلة من القبائل العدنانية، وهم: بنو كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَان. ينظر: معجم قبائل العرب (٩٩٦/٣)، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص١٣٤.

(٢) عين السُّلْوان: عين نضاخة يتبرك بها، ويستشفى منها بالبيت المقدس. ينظر: معجم البلدان (٢٤١/٣).

(٣) البيت من البحر السريع، وهو لرؤبة بن العجاج، لم أجده في ديوانه. وهو في كتاب العين (٧/ ٢٩٧)، والبصائر والذخائر (١٧١/٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤٠٧/١).

(٥) ينظر: أضواء البيان (٧٥/٤).

(٦) ينظر: جامع البيان (٥٨٩/١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦١/١٣)، وإعلام الموقعين (١٦٢/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، والموافقات (٢٨٩/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٣/١).

(٧) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٣/١)، والإحكام للآمدي (٢٧٦/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٠/٢).

٣. أنَّ إطلاق السَّلوى على العسل وإن كان صحيحاً في اللغة - كما سبق -؛ لكنَّه ليس مراداً في الآية؛ لذا قال ابن الأَعْرَابِيّ[١] من أهل اللغة: «والسَّلوَى: طائر؛ وهو في غير القرآن العَسَل» [٢].

[١] محمد بن زياد، أبو عبد الله، المعروف بابن الأَعْرَابِيّ، اللغوي الكبير، من الكوفيين، من تصانيفه: النوادر، وتفسير الأمثال، توفي سنة ٢٣٠هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣٠٦/٤)، وإنباه الرواة (١٢٨/٣).

[٢] ينظر: تهذيب اللغة (٤٨/١٣).

٣- خشية الحجارة لله -ﷻ-

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

قال الوَاحِدِيّ -رحمه الله-:« قال مُجَاهِد: كُلُّ حَجَرٍ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْمَاءُ، أَوْ يَنْشَقُّ عَنْ مَاءٍ أَوْ يَتَرَدَّى مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ فهو من خَشْيَةِ اللَّهِ، نَزَلَ به الْقُرْآنُ [١]...**والصحيح** أنَّها تخشى الله كما قال مُجَاهِد، لكنا لا نقف على كيفية ذلك كسجود الجمادات لله -تعالى-، ذهب كثير من المفسرين أنَّها تسجد لله -تعالى- على الحقيقة ولا نقف عليه نحن»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في خشية الحجارة لله -ﷻ-:

القـول الأول: أنَّ هبـوط الحجـارة مـن خـشية الله علـى الحقيقـة، وهـو قـول عامـة الـسلف[٣]. واختـاره الوَاحِـدِيّ[٤]، والطَّـبَرِيّ ، والزَّجَّـاج، والـسَّمَرْقَنْدِيّ، والبَغَـوِيّ[٥]، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والشَّنْقِيطِيّ[٦] وغيرهم.

واستَدل أصحاب هذا القول بجملة من الآيات والأحاديث التي جاء التصريح فيها بأنَّ لجميع المخلوقات - ومنها الحجارة والجمادات- تسبيحاً وخشية وعبادة لله -تعالى-،

---

[١] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٨٠/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤٠/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٤٧/١).

[٢] البسيط (٧٦/٣).

[٣] تنظر أقوال السلف في جامع البيان للطَّبَرِيّ (٢٤٠/٢)، وتفسير ابن أبي حَاتِم (١٤٧/١).

[٤] ينظر: البسيط (٧٦/٣)، واقتصر عليه في الوسيط (١٥٩/١)، والوجيز (١١٣/١).

[٥] الحسين بن مسعود بن محمد، أبو محمد، الفقيه الشَّافِعِيّ، يلقب بمحيي السنة، وركن الدين، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، من تصانيفه: معالم التنزيل، وشرح السنة في الحديث، والتهذيب في الفقه، توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان (١٣٦/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

[٦] ينظر: جامع البيان (٢٣٩/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٥٧/١)، وبحر العلوم (٩٢/١)، ومعالم التنزيل (١١١/١)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦٥/١)، ولباب التأويل (٧٢/١)، والبحر المحيط (٤٣٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٠٤/١)، وأضواء البيان (٣٣٩/٣).

ولا يعلم كيفية ذلك إلا خالقها سبحانه، كقوله تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[الإسراء: ٤٤]، وقوله سبحانه :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]، وقوله: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فتصريحه -ﷻ- بأنَّ السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت؛ دليل على أنَّ ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه سبحانه ونحن لا نعلمه، كما وصف الله -تعالى- في كتابه الجبل بالخشية، فقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١] وغيرها من الآيات.

أما الأحاديث فمنها:

- قوله -ﷺ-:« إني لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إني لأَعْرِفُهُ الآنَ» [1].
- أيضاً ما ثبت من حنين الجذع الذي كان يخطب عليه -ﷺ- جزعاً لفراقه [2].

فتسليم ذلك الحجر، وحنين ذلك الجذع كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله -سبحانه-، ونحن لا نعلمه.

---

[1] أخرجه مُسْلِم في صحيحه،كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي -ﷺ- وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم الحديث (٦٠٧٨)، (٥٨/٧).

[2] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه،كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٣٩٢)، (١٣١٤/١).

- أيضاً ما ثبت أنَّه -ﷺ- نظر إلى أُحُدٍ فقال: « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ »[1].
- وحديث الحجر الذي فرّ بثوب مُوْسَى -عليه السلام- وصار يعدو خلفه ويقول:«ثوبي حَجَرُ ثوبي حَجَرُ»[2][3].

القول الثاني: أنَّ الخشية هنا مجاز؛ لأنَّ الحجارة لا توصف بعقل ولا خشية، قال به الزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وابن عَاشُور[4].

قال ابن عَاشُور:«وجُعلت – الخشية – هنا مجازاً عن قبول الأمر التكويني إمَّا مرسلاً بالإطلاق والتقييد، وإمَّا تمثيلاً للهيئة عند التكوين بهيئة المكلف؛ إذ ليست للحجارة خشية؛ إذ لا عقل لها»[5].

- **الترجيح:**

الصحيح – والله أعلم – أنَّ هبوط الحجارة من خشية الله -تعالى- على الحقيقة لا المجاز، ويُقَوِّي ذلك:

١. الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول؛ فإنَّ في هذه الآيات والأحاديث إخباراً منه -ﷻ- بحصول إدراك من هذه الجمادات، فالواجب الإيمان بذلك على حقيقته، أمَّا كيفية ذلك فعلمها عند الله -ﷻ-، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم

---

[1] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب المغازي، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم الحديث (٣٨٥٦)، (١٤٩٨/٤)، وأخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي -ﷺ- فيها بالبركة، رقم الحديث (٨٥)، (١١٤/٤).

[2] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى -عليه السلام-، رقم الحديث (٣٢٢٣)، (١٢٤٩/٣)، وأخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى -عليه السلام-، رقم الحديث (٦٢٩٦)، (٩٩/٧).

[3] ينظر لأدلة هذا القول في: البحر المحيط (٤٣٢/١)، ومعالم التنزيل (١١١/١)، وأضواء البيان (٣٣٩/٣).

[4] ينظر: الكشاف (١٨٣/١)، وأنوار التنزيل (٣٤٦/١)، والتحرير والتنوير (٥٤٨/١).

[5] التحرير والتنوير (٥٤٨/١).

على ما عدم ذلك[1]، والحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[2].

٢. أنَّ فيه حملاً للفظ على حقيقته، وهذا هو الأصل في الكلام.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة [3].

٣. أنَّ هذا هو الظاهر من ألفاظ الآية، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه[4].

قال الشَّنْقِيطِيّ بعد أنْ ساق الأدلة على هذا القول: « وَزَعْمُ من لا علم عنده أنَّ هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنَّما هي ضربُ أمثالٍ، زَعْمٌ بَاطِلٌ؛ لأنَّ نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه»[5].

٤. أنَّ هذا القول هو قول علماء السلف، وقولهم مُقَدَّم على غيرهم.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ فهم السلف لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[6].

قال الطَّبَرِيّ بعد عرضه للأقوال في الآية:« وهذه الأقوال، وإن كانت غَيْرَ بَعِيدَاتِ المعنى مما تحتمله الآية من التأويل، فإنَّ تأويلَ أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها؛

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[2] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[3] ينظر: المحرر الوجيز (٤٤٠/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣١٨/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٤٠/٢).

[4] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٤٣/٧)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣٠٧/٥)، ومفاتيح الغيب (٨٣/٣٠)، وأضواء البيان (٢٦٠/٢) (٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

[5] أضواء البيان (٣٣٩/٣).

[6] ينظر: جامع البيان (٥٨٩/١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦١/١٣)، وإعلام الموقعين (١٦٢/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، والموافقات (٢٨٩/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٣/١).

فلذلك لم نستجز صرف تأويلِ الآية إلى معنى منها»[1].

وقال البَغَوِيّ: «ومذهب أهل السنة والجماعة أنَّ لله -تعالى- عِلْماً في الجمادات وسائرِ الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيرُه، فلها صلاةٌ وتسبيحٌ وخشيةٌ...فيجب على المؤمن الإيمان به، وَيَكِلُ عِلْمَهُ إلى الله - ﷻ -»[2].

[1] جامع البيان (٢/٢٤٣).

[2] معالم التنزيل (١/١١١).

٤- المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾[البقرة:١١٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ قال ابن عَبَّاس: هم اليَهُوْد، قالوا لمحَمَّد -ﷺ-: لا نؤمن لك حتى يكلِّمنا الله أنَّك رسوله، أو حتى تأتينا بمثل الآيات التي أتت بها الرسل[١]. وقال مُجَاهِد: هم النَّصَارَى[٢]. وقال الحَسَن[٣] وقَتَادَة[٤]: هم مشركو العرب، وهذا **أظهر** الأقوال؛ لأنَّه يشاكل ما طلبوا، حيث قالوا :﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ الآيات الأربع [الإسراء: ٩٠- ٩٣]؛ ولأنَّ أهل الكتاب أهل علم به، والله -تعالى- قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّهم اليَهُوْد الذين في زمن النَّبي -ﷺ-، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-.

القول الثاني: أنَّهم النَّصَارَى، وهو قول مُجَاهِد - كما سبق -.

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥١/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٥/١).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٨٦/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥١/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٥/١).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (١٩٧/١)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥٣٦/١)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٣٧٠/١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥١/١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٥/١).

[٥] البسيط (٢٧٣/٣).

واختاره الطَّبَرِيّ، وعلل ذلك بقوله:« وأولى الآية هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل: إنَّ الله -تعالى- عَنَى بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النَّصَارَى دون غيرهم؛ لأنَّ ذلك في سياق خَبَرِ الله عنهم»[1].

وتَعَقَّبَهُ ابن كَثِيْر بقوله:« وهو اختيار ابن جرير، قال: لأنَّ السياق فيهم، وفي ذلك نظر» [2].

القول الثالث: أنَّهم مشركو العرب، وهو قول الحَسَن، وقَتَادَة - كما سبق -، والرَّبِيْع بن أَنَس، والسُّدِّيّ[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، وابن عَاشُور[5].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١- الآيات الدالة على كفر مشركي العرب، وعتوهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ الآيات الأربع [الإسراء: ٩٠- ٩٣]، وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١] إلى غير ذلك من الآيات التي بيَّنت عنادهم وعتوهم، ومشابهتهم لما قبلهم من الأمم الخالية من

---

[1] جامع البيان (٢/٥٥٢).

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/ ٣٩٩).

[3] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١/٥٥١)، وذكره أبو حيَّان في البحر المحيط (١/٥٣٦)، وابن كَثِيْر في تفسيره (١/٣٩٩).

[4] ينظر: البسيط (٣/٢٧٤)، وذكره في الوسيط (١/١٩٧) ضمن عدة أقوال دون ترجيح له، واقتصر عليه في الوجيز (١/١٢٨) .

[5] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/٣٩٩)، والتحرير والتنوير (١/٦٧٠).

أهل الكتابين وغيرهم، بأمثال قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣] [١].

٢- أنَّ الله -تعالى- وصفهم في الآية بعدم العلم، وهذا الوصف أليق بمشركي العرب من غيرهم؛ لأنَّ أهل الكتاب أهل علم بالرسول -ﷺ- [٢].

وأجيب: أنَّهم لا يعلمون التوحيد والنبوة كما ينبغي، وأهل الكتاب كانوا كذلك [٣].

وردَّ الطَّبَرِيّ هذا القول، ولم ير له برهاناً يدل على صحته من ظاهر الكتاب، ولا خبر من النبي -ﷺ- يدل عليه، فقال:« وأمّا الزاعم: أنَّ الله عَنَى بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ العرب، فإنَّه قائل قولاً لا خبر بصحته، ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب. والقول إذا صار إلى ذلك كان واضحاً خطؤه؛ لأنَّه ادعى ما لا برهان على صحته، وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد» [٤].

وهذا القول الذي نفاه الطَّبَرِيّ لا تنفيه دلالة السياق، فذكر كفار العرب قد تقدَّم في الآيات السابقة.

القول الرابع: أنَّهم جميع تلك الطوائف؛ فكلهم قد قال هذه المقالة، أو نحوها [٥].

- **الترجيح**:

الذي يظهر - والله أعلم - أنَّ لكل قولٍ من الأقوال وجهاً يشهد لصحته، ولفظ الآية يحتملها جميعاً، ولا دليل ظاهرة دلالته على إرادة أحدهما دون غيره، فالحديث في الآيات السابقة من نسبتهم لله -سبحانه- الولد في قوله:﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ

---

[١] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٣٩/١)، والتحرير والتنوير (٦٧١/١).

[٢] ينظر: البسيط (٢٧٣/٣)، ومفاتيح الغيب (٢٧/٤).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (٤/ ٢٧)، واللباب في علوم الكتاب (٢/ ٤٣٣).

[٤] جامع البيان (٥٥٢/٢).

[٥] ذُكر هذا القول في المحرر الوجيز (١/ ١٨٨)، والبحر المحيط (٥٣٦/١)، ولم أجده معزو إلى أحد.

سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾ [البقرة:١١٦]، كان عن الفرق الثلاثة، فكل منهم قال بذلك؛ فاليَهُوْد والنَّصَارَى وصفوا الله -تعالى- بالولد في قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله[١].

فكل الأقوال السابقة يشهد لها السياق، وتؤيِّدها القاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عدم ذلك[٢].

فقول ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما- أنَّ المعنِي بالآية: اليَهُوْد في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، يدل عليه أنَّهم قد شابهوا أسلافهم فيما طلبوا كما قال الله عنهم: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ [النساء: ١٥٣]؛ وبذلك تكون المماثلة في الأقوال، والمشابهة بالقلوب وهم ذرية بعضها من بعض.

وقد رجَّح الحَافِظ ابن حَجَر[٣] هذا القول من حيث السند، فقال:« ورجَّح الطَّبَرِيّ قول مُجَاهِد، والراجح من حيث السند قول ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما-»[٤].

ووجه ثالث أنَّ ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما- حبر هذه الأمة وترجمان القرآن، فقوله إذا صح الإسناد إليه قُدِّم على غيره إذا تساوت الأدلة والشواهد[٥].

وقول مُجَاهِد تؤيِّده الآيات التي سبق ذكرها في عناد أهل الكتاب وعتوهم.

---

[١] ينظر: الوسيط (١/١٩٥)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٦٤).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/٣٤)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٨١).

[٣] أحمد بن عليّ بن محمّد ابن حجر العسقلانيّ، شهاب الدين، أبو الفضل، الشَّافِعِيّ، من أئمة العلم والتاريخ، تتلمذ على يديه كثيرون، منهم: السخاويّ، والبقاعيّ، من مصنفاته: فتح الباري، والعجاب في بيان الأسباب، ولسان الميزان، توفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: الضوء اللامع (٢/٣٦)، وشذرات الذهب (٧/٢٩٦).

[٤] العجاب في بيان الأسباب (١/١٦٨).

[٥] ينظر: إيثار الحق ص١٤٦.

وقول قَتَادَة تشهد له الآيات الكثيرة التي استدل بها أصحاب هذا القول، فكفار العرب قد ماثلوا من قبلهم من اليَهُوْد والنَّصَارَى وغيرهم ممن سبقهم في تعنتهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به، وشابهوا قلوبهم في الكفر بالله والفرية عليه، كما أنَّ هذا القول هو اختيار أكثر المفسرين[1].

فالأقوال الثلاثة تحتملها الآية، وإن كان بعضها أحظى من بعض - كما سبق -؛ لذا فالقول بأنَّ المراد بالآية جميع هذه الطوائف أولى من تخصيص الآية بطائفة دون أخرى.

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/٤)، وإرشاد العقل السليم (١٥٢/١)، واللباب في علوم الكتاب (٢/ ٤٣٣).

٥- المراد بقوله: ﴿ بِكَلِمَٰتٍ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال الوَاحِدِيّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-:« عن الكَلْبِيّ عن أبي صَالح[١] عن ابن عَبَّاس[٢] قال: الكلمات التي ابتلى الله إِبْرَاهِيْم بها عشر خصال من السُّنة: خمس فِي الرأس، وخمس فِي الجسد، فالتي فِي الرأس: المضمضة، والاستنشاق، والفَرْق[٣]، والسواك، وقص الشارب، والتي فِي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، ونَتفُ الرُّفْغَيْنِ[٤]. وهذا **أصح** ما قيل في تفسير الكلمات، وعلى هذا أكثر أهل العلم»[٥].

- **الدراســـة**

تعددت أقوال المفسرين في الكلمات التي ابتلى الله - ﷻ- بها إِبْرَاهِيْم -عليه السلام-، ويمكن حصرها في خمسة أقوال:

القول الأول: أنَّها شرائع الإسلام، قال ابن عَبَّاس: «لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إِبْرَاهِيْم، ابتلاه الله بكلمات، فأتمهن»[٦].

---

[١] باذان، ويقال: باذام، مولى أم هانئ، مفسر ومن رواة الأخبار، روى عن مولاته وأبي هريرة وابن عَبَّاس وغيرهم إلا أنه ضعيف، يرسل، توفي سنة١٢٠هـ تقريبا. ينظر: الضعفاء للبخاري ص٣٤، وسير أعلام النبلاء (٣٧/٥).

[٢] هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به حجة، لكن ورد عن ابن عَبَّاس بإسناد صحيح عن عَبد الرَّزَّاق في تفسيره (٧٥/١)، عن معمر عن ابن طَاوُوْسٍ، ومن طريق عَبْد الرَّزَّاق أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٩/١).

[٣] الفَرْق: موضع المَفْرِق من الرأْس في الشعر، والمراد: فَرَقَ الشعرَ بالمشط بحيث يجعله مقسوماً. ينظر: المخصص (٧٤/١)، ولسان العرب (٢٩٩/١٠)، مادة (فرق).

[٤] الرُّفْغ: كلُّ موضع اجتمع فيه الوَسَخ، والمراد بالرُّفْغين هنا: الإِبطَين. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤٢٤/٢)، والنهاية في غريب الحديث الأثر (٢٤٤/٢)، مادة (رفغ).

[٥] البسيط (٢٨٩/٣).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٠/١). وهي رواية عكرمة عن ابن عباس.

القول الثاني: أنَّها العشر التي من الفطرة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه[1]، واختاره الوَاحِدِيّ[2].

القول الثالث: أنَّها مناسك الحج، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه[3]، وقَتَادَة، والرَّبِيْع بن أَنَس في رواية عنه[4].

القول الرابع: أنَّها الآيات المذكورة بعدها في قوله: ﴿ **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾ إلى آخرها من الآيات من رفع البيت، وتطهيره، ورفع القواعد، والدعاء ببعث مُحَمَّد-ﷺ-، وهو قول الرَّبِيْع بن أَنَس في رواية عنه[5]، ومُجَاهِد[6].

القول الخامس: هي الخلال الست: الكوكب، والقمر، والشمس، والنار، والهجرة، والختان، التي ابتلي بهن فصبر عليهن، وهو قول الحَسَن[7].

- **الترجيح**:

الذي يظهر مما تقدم – والله أعلم – أنَّ جميع الأقوال السابقة تدخل تحت معنى الآية عدا القول الأخير فإنَّ فيه بُعداً؛ فاللفظ يتناول مجموع ما ذكر؛ لأنَّ هذا كله مما ابتلي به إِبْرَاهِيْم -عليه السلام-، ولم يصح في تعيين هذه الكلمات خبر عن الرسول -ﷺ-؛ لذا وجب

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٩/١) من رواية طَاوُوْس عن ابن عباس، وذكره الواحدي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

[2] ينظر: البسيط (٢٩٠/٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٠١/١)، والوجيز (١٣٠/١).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢١/١). وهي رواية حَنَشٍ عن ابن عباس.

[4] أخرجه عنهما ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢١/١)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٦٧/١)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٤٥/١).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١١/٢)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٤٠٥/١).

[6] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٣٣١/٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١١/٢).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢١/١).

الحمل على العموم،"ونصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص" [1].

قال الطَّبَرِيّ:« يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميعَ ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك، ولا يجوز الجزمُ بشيء منها أنه المرادُ على التعيين إلا بحجة يجب التسليم لها: من خبر عن الرسول -ﷺ-، أو إجماع من الحجة. ولم يصح في شيء من ذلك خبر عن الرسول -ﷺ- بنقل الواحد، ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته» [2].

ثم قال: «ولو قال قائل: إن الذي قاله مُجَاهِد وأبو صَالِح، والرَّبِيْع بن أَنَس أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم كان مذهبًا، فإن قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وسائر الآيات التي هي نظير ذلك، كالبيان عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلى بهن إِبْرَاهِيْم» [3].

وقد تَعَقَّبَهُ ابن كَثِيْر بقوله:« والذي قاله أولاً من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر، أقوى من هذا الذي جوزه من قول مُجَاهِد ومن قال مثله؛ لأنَّ السياق يعطي غير ما قالوه والله أعلم» [4].

وقال أبو حيَّان بعد عرضه لأقول المفسرين في الآية:« وهذه الأقوال ينبغي أنْ تحمل على أن كل قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله به إِبْرَاهِيْم -عليه السلام-؛ إذ كلها ابتلاه بها، ولا يحمل ذلك على الحصر في العدد، ولا على التعيين لئلا يؤدي ذلك إلى التناقض» [5].

---

[1] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[2] جامع البيان (٢/١٢).

[3] المصدر السابق (٢/١٧).

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/ ٤٠٩).

[5] البحر المحيط (١/٥٤٧).

وقال الشيخ ابن عُثَيْمِيْن- مُرجِّحاً القول بالعموم - :« واختلف المفسرون في هذه الكلمات؛ وأصح الأقوال فيها أن كل ما أمره به شرعاً، أو قضاه عليه قدراً، فهو كلمات؛ فمن ذلك أنه ابتُلي بالأمر بذبح ابنه، فامتثل؛ لكن الله – سبحانه وتعالى- رفع ذلك عنه حين استسلم لربه؛ وهذا من الكلمات الشرعية؛ وهذا امتحان من أعظم الامتحانات؛ ومن ذلك أن الله امتحنه بأن أوقدت له النار، وأُلقي فيها؛ وهذا من الكلمات الكونية؛ وصبر، واحتسب؛ فأنجاه الله منها، وقال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]؛ وكل ما قدره الله عليه مما يحتاج إلى صبر، ومصابرة، أو أمره به فهو داخل في قوله تعالى: ﴿ بِكَلِمَاتٍ ﴾ »[1].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] تفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة البقرة) (٤١/٢).

٦- المراد بـ(مقام إِبْرَاهِيْم)

في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« والمقام في اللغة: موضع القدمين حين يقوم عليه...وذلك الحجر هو مقام إِبْرَاهِيْم الذي يعرفه الناس اليوم، وإذا أطلق مقام إِبْرَاهِيْم لم يفهم إلا الذي هو اليوم في المسجد، ويدل على هذا حديث عُمَر الذي رويناه آنفاً »[١].

وحديث عُمَر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الذي ذكره الوَاحِدِيّ هو قوله:« وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيْم مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ »[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بـ(مقام إِبْرَاهِيْم):

القـول الأول: أنَّـه الحـج كلـه، وهـو أحـد الأقـوال عـن ابـن عَبَّـاس، وعَطَـاء[٣]، ومُجَاهِد[٤]. واختاره السّعْدِيّ[٥].

القول الثاني: أنَّه عرفة والمزدلفة والجمار، وهو أحد الأقوال عن عَطَاء[٦]، ومُجَاهِد[٧].

القول الثالث: أنَّه المسجد كله، قاله يَمَان[٨].

---

[١] البسيط (٣/٣٠٤).

[٢] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة على من سها فصلى إلى غير القبلة، رقم الحديث (٣٩٣)، (١/١٥٧).

[٣] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢/٣٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١/٢٢٦).

[٤] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٣/٣٣٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢/٣٣).

[٥] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٦٥).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/١٤١)، والماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١/١٨٧).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢/٣٣)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/١٤١).

[٨] ذكره الوَاحِدِيّ في البسيط (٣/٣٠٤)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١/١٤٦).

القول الرابع: أنَّه الحرم كله، وهو أحد الأقوال عن ابن عَبَّاس، وعَطَاء[1]، ومُجَاهِد[2]. واختاره الرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ [3].

القول الخامس: الحجر الذي قام عليه إِبْرَاهِيْم -عليه السلام- وهو المكان المعروف، قال به سَعِيْد بن جُبَيْر[4]، وابن عَبَّاس، وقَتَادَة [5]، والسُّدِّيّ [6]. واختاره الوَاحِدِيّ [7]، والطَّبَرِيّ [8]، والجصَّاص [9]، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والماوَرْدِيّ [10]،

---

[1] أخرجه عنهما ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٦/١)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٤١/١).

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٤/٢)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز(١٩٣/١).

[3] ينظر: تفسير الرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ (٣١١/١).

والراغب هو: الحسين بن محمد بن المفضَّل الأصفهاني، أبو القاسم، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، من كتبه: جامع التفسير، وحل متشابهات القرآن، والمفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨)، والأعلام (٢٥٥/٢).

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٥/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٧/١).

وسعيد هو: سعيد بن جبير بن هشام، أبو عبد الله، الإمام الحافظ المقرئ المفسر، من عباد المكيين، وفقهاء التابعين، روى عن جماعة من أصحاب رسول الله -ﷺ-، توفي شهيداً قتله الحجّاج سنة ٩٥هـ.

ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص١٣٣، ووفيات الأعيان (٣٧١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٢١/٤).

[5] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٥/٢)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٢).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٥/٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٧/١).

[7] ينظر: البسيط (٣٠٥/٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٠٥/١)، والوجيز (١٣٠/١).

[8] ينظر: جامع البيان (٣٦/٢).

[9] ينظر: أحكام القرآن للجصَّاص (٩٢/١).

والجصَّاص هو: أحمد بن علي الرازي، المعروف بالجصَّاص، انتهت إليه رئاسة العلم لأصحاب أبي حنيفة ببغداد، وعنه أخذ فقهاؤها، من مصنفاته: أحكام القرآن، وشرح مختصر الطَّحَاوِيّ، وشرح مختصر شيخه الكَرْخِي، توفي سنة ٣٧٠هـ. ينظر: طبقات الفقهاء ص١٤٤، وطبقات الحنفية (٢٢٠/١).

[10] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٣١/١)، والنكت والعيون (١٨٧/١).

والسَّمْعَانِيّ [1]، والبَغَوِيّ[2]، وابن العَرَبِيّ[3]، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَاني[4].

واستُدل لهذا القول بأدلة كثيرة، أشهرها:

١- حديث عُمَر -رضي الله عنه-:« وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيْم مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾»[5].

٢- حديث جَابِر[6] -رضي الله عنه- قال:« اسْتَلَمَ رسول الله -ﷺ- الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيْم -عليه السلام- فَقَرَأَ: ﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾

---

[1] ينظر: تفسير السَّمْعَانِيّ (١/١٣٧).

والسَّمْعَانِيّ هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار السَّمْعَانِيّ التميمي، أبو المظفر، العلم الزاهد الورع، المفسِّر، المحدِّث، الفقيه الشَّافِعِيّ، صنف تصانيف كثيرة منها: تفسير القرآن، ومنهاج أهل السنة، والرد على القدرية، توفي سنة ٤٨٧هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/٢٠٩)، وطبقات الشافعية للسُبْكي (٥/٣٣٥)، وطبقات المفسرين للدَّاوُدِيّ (٢/٣٣٩).

[2] ينظر: معالم التنزيل (١/١٤٦).

[3] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/٥٣).

وابن العَرَبِيّ هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر، المعروف بابن العَرَبِيّ المالكي،كان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، انصرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه، له عدة تصانيف منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، وترتيب آي القرآن، توفي سنة ٥٤٣هـ.

ينظر : الدِّيباج المذهَّب ص٢٨١، والصلة (٢/٥٥٨)، ووفيات الأعيان (٤/٢٩٦).

[4] ينظر: زاد المسير (١/١٤١)، ومفاتيح الغيب (٤/٤٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢/١١٢)، وغرائب القرآن (١/٣٩٢)، ولباب التأويل (١/١٠٥)، والبحر المحيط (١/٥٥٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/٤١٧)، وإرشاد العقل السليم (١/١٥٧)، وفتح القدير (١/٢١٦).

[5] سبق تخريجه ص١٢٢.

[6] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي -ﷺ- وروى عنه جماعة من الصحابة، له ولأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة، توفي سنة ٧٨هـ.

ينظر: الاستيعاب (١/٢١٩)، والإصابة (١/٤٣٤).

فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فصلى ركعتين»[1]. والآثار في ذلك كثيرة، وقد فصلها ابن كَثِيْر في تفسيره [2].

٣- أنَّ المقام مختص بذلك المكان عرفاً، ولو سألت مكياً في الحرم عن المقام لساقك إلى ذلك الموضع تحديداً، بل إنَّه لا يفهم غير ذلك المكان[3]، وعلى هذا تعارف الناس حتى في الجاهلية، وفي ذلك يقول أبو طَالِب[4] في لاميته:

وَمَوْطِئُ إِبْرَاهِيْم في الصَّخْرِ رَطْبَةٌ عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ[5].

- **الترجيح:**

يظهر مما تقدم أنَّ الراجح – والله أعلم – ما ذهب إليه الجمهور، من أن المقام هو الحجر الذي قام عليه إِبْرَاهِيْم -عليه السلام- وهو المكان المعروف؛ وذلك لوجوه:

١. ظهور دلالة الأحاديث عليه،"وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه" [6].

٢. دلالة العرف الظاهرة قبل نزول القرآن وبعده على أن المراد بالمقام الموضع المعروف بالمسجد الحرام،"إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية قدمت العرفية "[7].

---

[1] أخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي -ﷺ-، رقم الحديث (٣٠٠٩)، (٣٩/٤).

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤١٤/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٣٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١١٢/٢)، وغرائب القرآن (٣٩٢/١).

[4] عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، والد علي -رضي الله عنه-، وعم النبي -ﷺ- وكافله ومربيه ومناصره، كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم، توفي بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة.
ينظر: الجوهرة في نسب النبي -ﷺ- وأصحابه العشرة (٣٢/٢)، والأعلام (١٦٦/٤).

[5] البيت من البحر الطويل. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٧٣/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤١٨/١). والبيت من البحر الطويل.

[6] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[7] ينظر: النكت والعيون (١/ ٣٩)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١/ ١٤٢)، وأضواء البيان (٦/ ١٩٥)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٦٤/٢).

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [١].

أمَّا ما قاله أصحاب الأقوال الأخرى من إدخال مشاعر الحج، أو عرفة والمزدلفة والجمار في مسمى مقام إِبْرَاهِيْم؛ لأنَّه قام فيها جمعياً فليس بظاهر؛ فهي وإنْ كانت مقامات له إلا أن الناس لم يتعارفوا على تسميتها مقام إِبْرَاهِيْم. والله أعلم.

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٧- عَوْد الضمير في ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾

في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعنون: بيت المقدس، في قول أكثر المفسرين، والضمير في قبلتهم: للنبي -ﷺ- وأصحابه. وقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد التي كان عليها إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَالأَسْبَاط[١]، وهذا على زعمهم؛ لأنَّهم كانوا يدعون أن قبلة إِبْرَاهِيم كانت بيت المقدس، وعلى هذا القول الضمير في ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾ لإِبْرَاهِيم ومن ذُكر بعده، كأنهم قالوا: ما ولّى النبي وأصحابه عن قبلة إِبْرَاهِيم وَالأَسْبَاط. **والقول هو الأول،** وعليه المفسرون»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾:

القول الأول: أنَّه يعود على النبي -ﷺ- وأصحابه. واختاره الوَاحِدِيّ[٣].

القول الثاني: أنَّه يعود على إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَالأَسْبَاط.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أصح وأقوى، وهو أنَّ الضمير في قوله: ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾ يعود على النبي -ﷺ- وأصحابه، ويُؤَيِّد هذا القول:

---

[١] لم أقف على قوله. والأَسبَاط: جمع سِبط، والسِّبْط: ولد الولد، والسِّبْط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب، وكان بنو إسرائيلَ اثنَي عَشَرَ سِبطاً، وهم بنو يعقوب بن إسحاق، لكلِّ ابنٍ منهم سِبْطٌ من ولده. ينظر: العين (٢١٨/٧)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٣٩)، مادة (سبط).

[٢] البسيط (٣٦٨/٣).

[٣] ينظر: البسيط (٣٦٨/٣)، واقتصر عليه في الوسيط (١/ ٢٢٤)، والوجيز (١/ ١٣٥).

١. ورود عدة روايات تدلّ على أنَّ قبلة إِبْرَاهِيم -عليه السلام- هي الكعبة، منها:

أ. ما رُوي عن ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - أنَّه قال: لما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة – وكان أكثر أهلها اليهود – أمره الله -تعالى- أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بضعة عشر شهراً، فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحب قبلة إِبْرَاهِيم -عليه السلام-، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ** ﴾ [البقرة: ١٤٤] [١].

ب. ما رُوي عن ابن عُمر - رضي الله عنهما - أنَّه قال في هذه الآية: ﴿ **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا** ﴾ [البقرة: ١٤٤]، قبلة إِبْرَاهِيم تحت المِيزاب[٢] يعني في الحِجر[٣].

ج. ما رُوي أنَّ زَيْداً بن عَمْرِو[٤] كان يستقبل الكعبة فيصلى ركعة وسجدتين، ثم يقول: «هذه قبلة إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل، لا أعبد حجراً ولا أصلي له»[٥].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين[٦]، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٧].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١/ ٢٤٨)، والنَّحَّاس في الناسخ والمنسوخ ص ٧١، والبَيْهَقِيّ في السنن الكبرى (١٢/٢).

[٢] المِيزاب: قناة يُصرَّف بها الماء من موضع عالٍ، ومنه ميزاب الكعبة، وهو مصب ماء المطر.

ينظر: تاج العروس (٢/ ٢٤)، مادة (أزب).

[٣] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٢/ ٢٣٨).

[٤] زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، والد سعيد بن زيد أحد العشرة، وابن عم عمر بن الخطاب، يجتمع هو وعمر في نفيل، لم يدرك الإسلام، وكان يتعبد في الجاهلية، ويطلب دين إبراهيم الخليل، سئل عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يبعث أمة وحده يوم القيامة، توفي قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- بخمس سنين.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٣٧٩)، والإصابة (٢/ ٦١٣).

[٥] أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٧٩)، وابن عساكر في تاريخه (١٩/ ٥٠٤).

[٦] ينظر: البسيط (٣/٣٦٨).

[٧] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٨- المراد بالباغي والعادي

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« لأهل التأويل في قوله: ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ طريقان:أحدهما: وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم[١]...وعلى هذا التأويل كل من عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة؛ لأنَّه باغ، وهو مذهب الشَّافِعِيّ قال:«إنَّ الإباحة إعانة له على فساده وظلمه ولكن يتوب ويستبيح»[٢]، والثاني: أن هذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل، ومعناه: غير آكله تلذُّذاً من غير اضطرار، ولا عاد: ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع...وعلى طريقة هؤلاء يباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة، وهو مذهب أهل العراق[٣]، **والتأويل الأول أولى** من حيث اللفظ والمعنى. أمَّا اللفظ: فرجوع البغي والعدوان إلى حال المضطر أولى من رجوعهما إلى أكله، وهو المفهوم من اللفظ؛ لأنَّه لم يسبق للأكل ذكر حتى يكون البغي والعدوان صفة له، راجعاً إليه...وأمَّا من حيث المعنى: فإنَّ نفس المؤمن يعاف الميتة والدم، ويستقذرهما، استقذاراً يمنعه من أكلهما؛ ولهذا لا يقام الحد على آكلهما؛ لأنَّه لم يحتج في الزجر عنهما إلى الحد، لا كالخمر فإنَّ لها دواعي النفس؛ وإذا كان كذلك فليس يتجاوز أحدٌ في أكل الميتة قدر التشبع عند الضرورة، ولا يتعدى الحلال الذي معه، فيأكلها تلذذاً من غير أن يَرِد بهذا نهي، وإن جاز ورود النهي تأكيداً»[٤].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٨٢/١)، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (١٧٩/٣).

[٢] الأم (٢٧٧/٢).

[٣] يعني به الحنفية، ينظر: أحكام القرآن للجصَّاص (٥٠٢/٣).

[٤] البسيط (٥٠٢/٣).

- **الدراسة**

تعددت أقوال المفسرين في المراد بـ(الباغي) و (العادي)، وتعود في مجملها إلى قولين:

القول الأول: أنَّ المعنى: غير باغ على المسلمين، وعاد عليهم، فيدخل في الباغي والعادي قُطَّاع السبل، والخارج على السلطان، والمسافر في قطع الرحم، والغارة على المسلمين، وما شاكله، وهو قول مُجَاهِد، وسَعِيْد بن جُبَيْر[١].

وعلى هذا التأويل: كل من عصى بسفره لم تحل له الميتة عند الضرورة، وهو مذهب الشَّافِعِيّ[٢]. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ[٤].

واستُدل له بما يلي:

١. أنَّ قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ يصدق على البغي والعدوان في كل الأمور، وتخصيصه بالأكل تخصيص من غير ضرورة، فكان على خلاف الأصل.

٢. أنَّ أصل البغي في اللغة قصد الفساد، يقال: بغت المرأة تبغي بغاء إذا فجرت، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]، وربما استعمل البغي في طلب غير الفساد[٥].

٣. أنَّ الإنسان ينفر بطبعه عن تناول الميتة والدم، وما كان كذلك لم يكن هناك حاجة إلى النهي عنه فصرف هذا الشرط إلى التعدي في الأكل يخرج الكلام عن الفائدة[٦].

---

[١] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣/٣٢٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١/٢٨٣).

[٢] ينظر: أحكام القرآن للشافعي (٢/٩٢).

[٣] ينظر: البسيط (٣/٥٠٣)، وذكر القولين في الوسيط ولم يرجح (١/٢٥٩)، واقتصر عليه في الوجيز (١/١٤٥).

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب (٥/٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٢).

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٣٢).

[٦] ينظر: البسيط (٣/٥٠٢)، ومفاتيح الغيب (٥/٢٠).

القول الثاني: أنَّ البغي والعدوان في الآية يرجعان إلى الأكل، واختلفوا في تفصيله:

فقال بعضهم: غيرَ باغ الحرامَ في أكله، ولا معتدٍ الذي أبيحَ له منه، وهو قول قَتَادَة[١]، والحَسَن[٢].

وقال السُّدِّيّ:« أمَّا الباغ: فيبغي فيه شهوته، وأمَّا العادي: فيتعدى في أكله، يأكل حتى يشبع، ولكن يأكل منه قدر ما يُمسك به نفسه حتى يبلغ به حاجته»[٣].

وقال مُقَاتِل بن حيَّان: «غير باغ: أي مستحل لها، ولا عاد: أي متزود منها»[٤].

وقال ابن عَبَّاس: «غير باغ في الميتة، ولا عاد في أكله»[٥].

وعلى هذا التأويل: يباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة، وهو مذهب أبو حَنِيْفَة[٦]. واختاره النَّحَّاس، والطَّبَرِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن عُثَيْمِيْن[٧].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣/٣٢٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١/٢٨٥).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١/٦٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣/٣٢٤).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣/٣٢٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١/٢٨٤).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢/٤٥)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١/١٨٣).

ومُقَاتِل هو: مُقَاتِل بن حيَّان النبطي، أَبُو بسطَام الْبَلْخِي، أحد الأعلام، وثقه أبو داود ويحيى بن معين، توفي سنة ١٥٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٤٠)، وطبقات الحفاظ ص٨٣.

[٥] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١/٢٨٤)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (١/٤٨٢).

[٦] ينظر: أحكام القرآن للجصَّاص (١/١٥٦).

وأبو حَنِيْفَة هو: النعمان بن ثابت بن زُوْطَي التيمي الكوفي، أحد الأئمة الأربعة، وسيد الفقهاء، ولد سنة٨٠هـ في حياة صغار الصحابة، عني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك، توفي سنة ١٥٠هـ.

ينظر: طبقات الفقهاء ص٨٦، ووفيات الأعيان (٥/٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/٣٩٠).

[٧] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٢/٥٠٩)، وجامع البيان (٣/ ٣٢٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٤/١١١)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة البقرة) (٢/٢٥١).

١. سياق الآية ومكان نزولها، فقد أنزل الله -تعالى- هذا الحكم في السور المكية: الأنعام ،والنحل، وفي المدنية؛ لبيان ما يحل وما يحرم من الأكل، وفي هذا دلالة على أنَّ الصواب حمل البغي والعدوان على الأكل[١].

٢. حمل البغي والعدوان في الآية على البغي والعدوان في الأكل أولى من حمله على المسلمين؛ وذلك لأنَّه لم يتقدم للمسلمين ذكر في الآية لا محذوفاً ولا مذكوراً، بينما لفظ الأكل يقتضيه لفظ الآية، فهو مما يتضمنه اللفظ مع حذفه، والتقدير:(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فأكل فلا إثم عليه)، فحمل الكلام على ما في مقتضى الآية أولى من حمله على معنى لم يتضمنه اللفظ [٢].

٣. أنَّ الضرورة المذكورة في الآية لا تختص بسفر ولو كانت في سفر فليس السفر المحرم مختصاً بقطع الطريق والخروج على الإمام، ولم يكن على عهد النبي -ﷺ- إمام يخرج عليه ولا من شرط الخارج أن يكون مسافراً، والبغاة الذين أمر الله بقتالهم في القرآن لا يشترط فيهم أن يكونوا مسافرين. فكيف يجوز أنْ تفسر الآية بما لا يختص بالسفر وليس فيها كل سفر محرم؟ فالمذكور في الآية لو كان كما قيل لم يكن مطابقاً للسفر المحرم؛ فإنَّه قد يكون بلا سفر وقد يكون السفر المحرم بدونه[٣].

أمَّا ما استَدل به أصحاب القول الأول، فيجاب عنه بما يلي:

١- أن قوله: ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ ليس من العام - على الراجح - بل من المجمل الذي يحتاج إلى بيان[٤].

---

[١] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١١١/٢٤).

[٢] ينظر: أحكام القرآن للجصَّاص (١٥٩/١).

[٣] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١١١/٢٤).

[٤] ينظر: أحكام القرآن للجصَّاص (١٥٦/١).

٢- أنَّ الباغي والعادي وإنْ كان كلاهما قد أتى فعلا محرمًا، فإنَّ إتيان هذا الفعل المحرم، لا يجعل قتل أنفسهما مباحًا لهما؛ إذ هو محرم عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من محارم الله عليهما [١].

٣- أنَّ المقصود بحل ما ذكر من المحرمات هو دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام، وفي حال السفر المحرم وغير ذلك [٢].

٤- أنَّ النصوص الشرعية جاءت بالنهي عن أكل الميتة والدم وتحريمها؛ وذلك دليل على أن النفس ممكن أنْ تقبل على أكلها هذه المحرمات في الظروف الاعتيادية فضلاً عن حال الضرورة.

- **الترجيح:**

بالنظر في أقوال أئمة التفسير يظهر - والله أعلم - رجحان القول الثاني، وهو أنَّ البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل؛ وذلك لما يلي:

١. قوة الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول، كما أن الاعتراضات عليه ليست بقوة الاعتراضات التي على القول الأول.

٢. أنَّ الوارد في الآية هو ذكر المحرمات من المطعومات، ولم ترد الإشارة من قريبٍ ولا من بعيدٍ إلى أن المراد بالبغي والعدوان معناهما المعروف، وهو الخروج على الإمام؛ فوجب رد معناهما إلى المعنى الذي سيقت فيه الآية، و"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له" [٣].

---

[١] ينظر: جامع البيان (٣/ ٣٢٥)، وأحكام القرآن للجصَّاص (١/١٥٧).

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/٣٥١).

[٣] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٩٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١١١).

٣. أنَّ هذا هو قول أكثر السلف، حتى أنَّ مُجَاهِداً -وهو الرأس في القول الأول- وردت عنه رواية بهذا القول[١]، وهذا القول أيضاً قول أكثر المفسرين، نسبه إليهم شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، حيث قال:«أمَّا الآية فأكثر المفسرين قالوا: المراد بالباغي الذي يبغي المحرم من الطعام مع قدرته على الحلال، والعادي الذي يتعدى القدر الذي يحتاج إليه، وهذا التفسير هو الصواب دون الأول» [٢].

[١] ينظر: جامع البيان (٣/٣٢٤).

[٢] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٤/١١١).

٩- المراد بقوله: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« معنى قوله: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ تلقون أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها...**والمختار** في هذه الآية ما ذكره الفَرَّاء، وهو أنَّه قال: المعنى: لا تصانعوا بأموالكم الحكام؛ ليقطعوا لكم حقاً لغيركم، وأنتم تعلمون أنَّه لا يحل لكم[١]»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ﴾:

القول الأول: أنَّ معناه: الإسراع بالخصومة إلى الحكام؛ لعدم البيِّنة عليها أو نحوه، وعلى هذا مرجع الضمير للخصومة، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، وقَتَادَة[٣]. واختاره الزَّجَّاج، والبَيْضَاوِيّ، وأبو السُّعُوْد، والسّعْدِيّ[٤].

واستُدل لهذا القول بأنَّ هذه الآية نزلت[٥] في خصمين اختصما إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أَرْضٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ هَذَا انْتَزَى[٦] عَلَى أَرْضِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: « بَيِّنَتُكَ » ، قَالَ: لَيْسَ لِي بَيِّنَةٌ، قَالَ: « يَمِينُهُ »، قَالَ: إِذًا يَذْهَبُ بِهَا، قَالَ: « لَيْسَ لَكَ

---

[١] نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (١٢١/١٤)، مادة(دلو)، ولم أجده في كتابه معاني القرآن.

[٢] البسيط (٦١٤/٣).

[٣] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٨/٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣٢١/١).

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٥٨/١)، وأنوار التنزيل (٤٧٣/١)، وإرشاد العقل السليم (٢٠٢/١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٨/١).

[٥] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣٢١/١) من طريق عَطَاء بن دينار عن سعيد بن جبير.

[٦] انْتَزى: استولى عليها، من النَّزْوِ وهو التسَرُّع إلى الشر. ينظر: لسان العرب (١٥/ ٣١٩)، مادة (نزا) .

إِلاَّ ذَاكَ »، فَلَمَّا قَامَ لِيَحْلِفَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:« مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا لقي اللَّهَ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[1].

وقوله -ﷺ-:« إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[2] [3].

القول الثاني: أنَّ معناه: لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم بها؛ ليقضوا لكم بأكل أموال الناس بالإثم، وعلى هذا مرجع الضمير للأموال. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، والسَّمِين الحَلَبِيّ، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَاشُور[5].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ اللفظتين متناسبتان (تدلوا) من أرسل الدلو، و(الرشوة) من الرشاء، كأنَّها يمد بها لتقضى الحاجة[6].

٢. أنَّ الهاء تعود على الأموال لذكرها في أول الكلام، أمَّا الحجة فلم يجر لها ذكر[7].

---

[1] أخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، رقم الحديث (٣٧٥)، (١/٨٦).

[2] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، رقم الحديث (٦٧٤٨)، (٦/٢٦٢٢)، وأخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم الحديث (٤٥٧٠)، (٥/١٢٨).

[3] ينظر: معالم التنزيل (١/٢١٠)، وأنوار التنزيل (١/٤٧٣).

[4] ينظر: البسيط (٣/٦١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (١/٢٨٩)، والوجيز (١/١٥٣).

[5] ينظر: المحرر الوجيز (١/٢٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢/٣٤٠)، والدر المصون (٢/٣٠٢)، والجواهر الحسان (١/١٤٨)، والتحرير والتنوير (٢/١٨٧).

[6] ينظر: المصادر السابقة.

[7] ينظر: تهذيب اللغة (١٤/١٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٢/٣٤٠).

- **الترجيح:**

بالنظر في القولين السابقين يظهر – والله أعلم – صحة حمل الآية على المعنيين؛ لأنَّها تحتملها من غير تضاد.

فالآية تنهى عن الأكل الظالم سواء أكان بالتعامل الآثم بين المتخاصمين، أو بالاستعانة بالحكام، بتضليل القضاء، أو بتحويل الحاكم عن الإنصاف بسحت من المال يقدم. والقاعدة: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها[1].

قال ابن القَيِّم :« وقوله: (فَمَا أَدْلَى إِلَيْك) أي: ما توصل به إليك من الكلام الذي تحكم به بين الخصوم، ومنه قولهم: أدلى فلان بحجته، وأدلى بنسبه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾[البقرة: ١٨٨]، أي: تضيفوا ذلك إلى الحكام وتتوصلوا بحكمهم إلى أكلها. فإن قيل: لو أراد هذا المعنى، لقيل: (وتدلوا بالحكام إليها)، وأمَّا الإدلاء بها إلى الحكام فهو التوصل بالبِرْطِيل[2] بها إليهم فترشوا الحاكم لتتوصلوا برشوته إلى الأكل بالباطل. قيل: الآية تتناول النوعين، فكل منهما إدلاء إلى الحكام بسببها، فالنهي عنهما معا»[3].

وقال الرَّازِيّ:« ولا يبعد أيضاً حمل اللفظ على الكل؛ لأنَّها بأسره أكل بالباطل »[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١)، وأضواء البيان (٤٥٧/٢)، والتحرير والتنوير (٩٨/١)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله -ﷻ- ص٥٩- ٥٦٧، وقواعد التفسير لخالد السبت (٨٠٧/٢).

[2] البِرْطِيل: حَجَر أَو حَدِيد طويل صلب خِلْقة ليس، مما يُطَوِّله الناسُ ولا يُحَدِّدونه، يطلق على الرشوة، وفي المثل (البِرْطِيلُ تنصر الأباطيل)كأنه مأخوذ من (البِرْطِيلُ) الذي هو المِعْوَلُ؛ لأنَّه يستخرج به ما استتر.
ينظر: العين (٤٧١/٧)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤٢/١)، مادة (رطل).

[3] إعلام الموقعين (٩٦/١).

[4] مفاتيح الغيب (١٠١/٥).

١٠- المراد بقوله: ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسير هذه الآية:« قال عامة أهل التفسير: كان أهل الجاهلية في أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم نَقَبَ في بيته نَقْباً من مُؤَخَّره يخرج منه ويدخل، إلا قريشاً ومن دانوا بدينهم، فبينما رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو محرم، ورجل محرم فرآه دخل من باب حائط، فاتبعه ذلك الرجل، فقال له: تنح عني، قال: ولم؟ قال: دخلت من الباب وأنت محرم! فوقف ذلك الرجل فقال: إني رضيت بسنتك وهديك، وقد رأيتك دخلت فدخلت على إثرك، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إني أحْمَس، يعني: قرشي، وكانت قريش لا تفعل ذلك، قال الرجل: فإن كنت أحْمَس، فإني أحْمَس ديننا واحد، فأنزل الله هذه الآية[١]. وذهب أبو عُبَيْدة في تفسير هذه الآية إلى غير ما ذكرنا، وهو أنَّه قال: معناه: ليس البرّ بأنْ تطلبوا الخير من غير أهله، وتلتمسوا الأمر من غير بابه ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ أي: اطلبوا الخير من وجهه والأمر من بابه[٢]، **والقول ما عليه العامة**»[٣].

- **الدراسة**

تعددت أقوال المفسرين في الآية، وبالتأمل نجدها ترجع إلى قولين:

القول الأول: أنَّ المراد بالبيوت المنازل المعروفة، والإتيان هو المجيء إليها ودخولها، وقد ورد هذا المعنى عن جماعة من الصحابة والتابعين، منهم: ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، وقَتَادَة،

---

[١] ذكره الوَاحِدِيّ في أسباب النزول ص١٦٤، وقال الحَافِظ ابن حَجَر في العجاب (٤٥٨/١): "وهذا جمعه من آثار مفرقة، ولم أجده عن واحد معين".

[٢] ينظر: مجاز القرآن (٦٨/٢).

[٣] البسيط (٦٢٠/٣).

والسُّدِّيّ، والرَّبِيْع، وغيرهم[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والبَغَوِيّ، وابن العَرَبِيّ، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، وأبو حيَّان، وابن عَاشُور[3]، وهو قول عامة المفسرين[4].

واستُدل لهذا القول بما روي في سبب نزول هذه الآية من طرق متعددة، أصحها ما ثبت في الصحيحين من حديث البَرَاء بن عَازِب[5] -رضي الله عنه- قال:« كانت الأنصار[6] إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، قال: فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه، فقيل له في ذلك فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾»[7].

القول الثاني: أن الآية مثلٌ ضربه الله -تعالى- لهم، وليس المراد ظاهره. واختلفوا في تعيين هذا المثل على أقوال:

---

[1] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٦/٣)، وذكرها عنهم الرازي في مفاتيح الغيب (١٠٨/٥)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٧٢/٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٩٣/٢).

[2] ينظر: البسيط (٦٢٠/٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٩٠/١)، والوجيز (١٥٤/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٥٦٠/٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٦٢/١)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٠٥/١)، ومعالم التنزيل (٢١١/١)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٢٢/١)، والمحرر الوجيز (٢٤٨/١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٤٦/٢)، والبحر المحيط (٧١/٢)، والتحرير والتنوير (١٩٥/٢).

[4] ينظر: البسيط (٦٢٠/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٦٣٣/١).

[5] البراء بن عازب بن الحارث الأوسي الأنصاري الأوسي، له ولأبيه صحبة، رُدّ يوم بدر لصغر سنه، روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- جملة من الأحاديث، توفي سنة ٧٢هـ. ينظر الاستيعاب (١٥٥/١)، والإصابة (١/ ٢٧٨).

[6] الأَنْصَار: من قبائل الأَزْد، وهم الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر، سموا بذلك؛ لأنَّهم آووا الرسول -صلى الله عليه وسلم- ونصروه.

ينظر: نسب عدنان وقحطان ص٢١، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص٩٣.

[7] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب العمرة، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾، رقم الحديث (١٧٠٩)، (٢/ ٦٣٩)، وأخرجه مُسْلِم في صحيحه، كتاب التفسير، رقم الحديث (٧٧٣٤)، (٢٤٣/٨).

١. أنَّ الآية مثلٌ في جماع النساء وأنَّهم أمروا بإتيانهن في القبل لا في الدبر. وسُمِّيَتِ النساء بيوتاً للإيواء إليهن، كالإيواء إلى البيوت. حكاه مَكِّيّ بن أبي طَالِب عن ابن الأَنْبَارِيّ[١]، والماوَرْدِيّ عن ابن زَيْد[٢]. وقيل غير ذلك.

٢. أنَّه ذكر إتيان البيوت من أبوابها مثلاً لمخالفة الواجب في الحج، وذلك ما كانوا يعملونه في النسيء، فإنَّهم كانوا يخرجون الحج عن وقته الذي عينه الله -تعالى-، فيحرمون الحلال ويحلون الحرام، فضرب مثلاً للمخالفة. قاله أبو مُسْلِم[٣].

٣. ما قاله أبو عُبَيْدة أنَّ المعنى: « اطلبوا البرّ من أهله ووجهه، ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين»[٤].

وقد اعترض أصحاب القول الأول على الثاني بما يأتي:

قال ابن العَرَبِيّ: «أمَّا القول إنَّ المراد بها النساء: فهو تأويل بعيدٌ لا يصار إليه إلا بدليل، فلم يوجد ولا دعت إليه حاجة »[٥].

وقال ابن عَطِيَّة:« وكون الآية مثلٌ في جماع النساء، فبعيد مغير نمط الكلام »[٦].

وقال ابن عَاشُور بعد أنْ ساق قول أبو مُسْلِم: «وفيه بعد حقيقة ومجازاً ومعنى؛ لأنَّ الآيات خطاب للمسلمين وهم الذين سألوا عن الأهلة، والنسيء من أحوال أهل الجاهلية؛ ولأنَّه يؤول إلى استعارة غير رشيقة» [٧].

---

[١] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٣٣/١).

[٢] ينظر: النكت والعيون (٢٥٠/١).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠٨/٥)، والبحر المحيط (٧١/٢)، والتحرير والتنوير (١٩٦/٢).

[٤] مجاز القرآن (٦٨/٢).

[٥] أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٢٢/١).

[٦] المحرر الوجيز (٢٤٨/١).

[٧] التحرير والتنوير (١٩٥/٢).

- **الترجيح:**

بعد عرض الأقوال في الآية يتبيَّن – والله أعلم – رجحان القول الأول، ويُقَوِّي ذلك ما يلي:

١. ما صح في سبب نزول هذه الآية، ويؤيِّده القاعدة الترجيحية " إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجِّح لما وافقه من أوجه التفسير" [١].

٢. أنَّ الأصل في الكلام الحقيقة، وحمل لفظ (البيوت) على المجاز خلاف الأصل.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[٢].

قال أبو حيَّان بعد ذكره لجملة من أسباب نزول الآية :« وهذه أسباب تظافرت على أنَّ البيوت أريد بها الحقيقة، وأنَّ الإتيان هو المجيء إليها، والحمل على الحقيقة أولى من ادعاء المجاز مع مخالفة ما تظافرت من هذه الأسباب» [٣].

٣. أن هذا قول عامة السلف والمفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [٤].

[١] ينظر: الناسخ والمنسوخ ص٤٤٨، والمحرر الوجيز (٢/٥٧٠)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/١٩٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢١٥).

[٢] ينظر: المحرر الوجيز (٢/٤٤٠)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤/٣١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٤٠).

[٣] البحر المحيط (٢/٧١).

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١١- المراد بالأيام المعدودات

في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ **الأصحُّ** أنَّ هذه الأيام يرادُ بها: أيامُ التشريق، وأيامُ رَمْي الجمار، سمَّاها معدودات؛ لِقِلَّتِهَا، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠]. وأكثر العلماء على ما ذكرنا، وهو أنَّ الأيام المعدودات: أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد النحر:

أولها: يوم القَرّ، وهو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة، يستقرُّ الناس فيه بمنى.

والثاني: يوم النَّفْر الأول؛ لأنَّ بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى.

والثالث: يوم الثالث عشر، وهو يوم النفر الثاني»[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالأيام المعدودات في الآية:

القول الأول: أنَّها أيام التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد النحر، وهو قول ابن عَبَّاس[٢]، وابن عمر[٣]، ومُجَاهِد[٤]، قَتَادَة[٥]، وإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيّ في رواية، والضَّحَّاك[٦]، والحَسَن[٧]،

---

[١] البسيط (٤/ ٦٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/ ٢٠٨)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٣/ ٣٥٩).

[٣] أخرجه ابن المنذر في الأوسط (٤/ ٣٤٢)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١/ ٢١٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/ ٢٠٩)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٣/ ٣٥٩).

[٥] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٣٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/ ٢١٠).

[٦] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/ ٢١٠)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (١/٥٦١).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/ ٢١٠)، والطَّبَراني في فضل عشر ذي الحجة ص٣٨.

وعَطَاء بن أبي رَباح، والسُّدِّي، والرَّبِيْع بن أَنَس، وابن زَيْد[1]، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[2]. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والطَّبَرِيّ، والجَصَّاص، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيّ، وإلْكِيا الهرَّاسي[4]، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[5]. وهو قول الجمهور[6]. واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ الله -تعالى- ذكر الأيام المعدودات، والأيام لفظ جمع فيكون أقلها ثلاثة، ثم قال بعده: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وهذا يقتضي أن يكون المراد ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ من هذه الأيام المعدودات[7].

---

[1] أخرج الطَّبَرِيّ آثارهم في تفسيره (٤/ ٢٠٩)، وذكرها عنهم أبو حيَّان في البحر المحيط (١١٨/٢)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (٢/ ٢٤٦).

[2] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١/ ١٠٧).

[3] ينظر: البسيط (٤/ ٦٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٠٨/١)، وفي الوجيز (١٥٨/١).

[4] إلْكِيا الهرَّاسي: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطَّبَرِيّ، شمس الإسلام عماد الدين، شيخ الشافعية، تفقه بإمام الحرمين، وبرع في المذهب وأصوله، كان إماماً قوي البحث، دقيق الفكر، ذكياً، فصيحاً، قدم بغداد وتولى النظامية واستمر بها مدرساً إلى أن توفي سنة ٥٠٤هـ، له عدة مصنفات، منها: أحكام القرآن، وشفاء المسترشدين. ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٨٨/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٥٠/١٩) .

[5] ينظر: جامع البيان (٢١١/٤)، أحكام القرآن للجَصَّاص (٣٩٣/١)، وبحر العلوم (١٦١/١)، والكشف والبيان (١١٧/٢)، وأحكام القرآن لإكيا الهرَّاسي (١٢١/١)، والمحرر الوجيز (٢٦٣/١)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٦٦/١)، ومفاتيح الغيب (١٦٤/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١/٣)، ومدارك التنزيل (٣٢٧/١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٦١/١)، والجواهر الحسان (١٥٩/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٤٤٥/٣)، وإرشاد العقل السليم (٢١٠/١)، وتيسير الكريم الرحمن ص٩٣، والتحرير والتنوير (٢٤٥/٢)، وتفسير القرآن لابن عثيمين (سورة البقرة) (٤٣٨/٢).

[6] حكاه الجَصَّاص في أحكام القرآن (٣٩٤/١)، وإلْكِيا الهرَّاسي في أحكام القرآن (١٢١/١)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣/٣).

[7] ينظر: أحكام القرآن للجَصَّاص (٣٩٥/١)، ومفاتيح الغيب (١٦٤/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٦١/١).

٢. تظاهر الأخبار عن الرسول -ﷺ- أنَّه كان يقول فيها إنَّها أيام ذكر لله -ﷻ-[١].

القول الثاني: أنَّها يوم النحر ويومان بعده، وهو مروي عن عَلِيّ[٢]، وابن عُمَر[٣].

وضعَّف الجَصَّاص هذا القول حيث ذكر أنَّه لا خلاف بين أهل العلم أن المعدودات أيام التشريق إلا رواية عن عَلِيّ أنَّه قال:«المعدودات يوم النحر ويومان بعده اذبح في أيها شئت»[٤]، ثم قال: «وقد قيل: إنَّ هذا وهم، والصحيح عن عَلِيّ أنَّه قال: ذلك في المعلومات[٥]. وظاهر الآية ينفي ذلك أيضاً؛ لأنَّه قال: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وذلك لا يتعلق بالنحر؛ وإنَّما يتعلق برمي الجمار»[٦].

القول الثالث: أنَّها أيام العشر، وهو رواية عن ابن عَبَّاس[٧]، وقال به إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيّ[٨]. واستبعده ابن عَطِيَّة بقوله: «وهذا إمَّا أن يكون من تصحيف النسخة، وإمَّا أن يريد العشر الذي بعد يوم النحر، وفي ذلك بُعد»[٩].

وَضَعَّفَه إلْكِيا الهرَّاسي بقوله: «ولا يشك أحد في أن المعدودات لا تتناول أيام العشر، فإنَّ الله – تعالى – يقول: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث»[١٠].

---

[١] ذكر الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/٢١١) بسنده مجموعة من الأخبار التي تدل على أن المعدودات أيام التشريق.

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/ ٢٠٨)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢/ ٣٦٠).

[٣] ذكر ابن كَثِيْر في تفسيره (٥/ ٤١٦) تخريج ابن أبي حَاتِم لأثر ابن عمر، ولم أجده في تفسير ابن أبي حَاتِم.

[٤] ذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (١/ ٥٦١) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن أبي حَاتِم.

[٥] أخرجه الطَّحاوي في أحكام القرآن (٢/ ٢٠١).

[٦] أحكام القرآن للجَصَّاص (١/ ٣٩٤).

[٧] ذكر الجَصَّاص في أحكام القرآن (١/ ٣٩٤) ما رواه عبدالله بن موسى عن عمارة بن ذكوان عن مجاهد عن ابن عباس أنَّه قال:« قال المعدودات أيام العشر».

[٨] أخرجه ابن الشجري في أماليه الخميسية (٢/ ٨٦).

[٩] المحرر الوجيز (١/٢٦٣).

[١٠] أحكام القرآن لإلكيا الهرَّاسي (١/١٢١).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أصح وأقوى، وهو أنَّ المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق، ليس منها يوم النحر، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. قول الرسول -ﷺ-: «أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه»[١]. وهذا صريح في أنَّ الأيام المعدودات هي أيام التشريق.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ الحديث إذا ثبت، وورد مورد التفسير والبيان للآية، فيجب المصير إليه، وحمل الآية عليه[٢].

٢. سياق الآية، فظاهر قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ الأمر بمطلق ذكر الله في أيام معدودات، ولم يبين ما هذه الأيام؛ لكن قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ يشعر أن تلك الأيام هي التي يُنْفَرُ فيها، وهي أيام التشريق[٣].

قال ابن عَطِيَّة: « ودل على ذلك إجماع الناس على أنَّه لا يَنفُر أحد يوم النَّفْر، وهو ثاني يوم النحر، وأول أيام التشريق، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن ينفر من شاء متعجلاً يوم النفر؛ لأنَّه قد أخذ بيومين من المعدودات وهذا لا يقول به أحد»[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب من لم يدرك عرفة، رقم الحديث (١٩٥١)، (٢/ ١٤١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، رقم الحديث (٣٠١٥)، (٢/ ١٠٠٣)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث (٨٨٩)، (٣/ ٢٣٧)، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الحج، باب رمي الجمار أيام التشريق، رقم الحديث (٣٨٩٢)، (٩/ ٢٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (٦٠٦/١).

[٢] ينظر: جامع البيان (٥٢٩/١٧)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٥٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٦٢/٢٠)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٨٦/٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٧١/١).

[٣] ينظر: البحر المحيط (٢/ ١١٩).

[٤] المحرر الوجيز (٢٦٣/١).

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وهو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، بل حكى غير واحد من المفسرين الإجماع على أنَّ المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق.

قال ابنُ عَبْدِ الْبَر : «ولا خلاف بين العلماء أن أيام التشريق هي الأيام المعدودات، وهي أيام منى، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر»[١].

وقال الجَصَّاص: "ولا خلاف بين أهل العلم في أن المعدودات أيام التشريق»[٢].

كما حكى الإجماع إلْكِيا الهرَّاسي[٣]، وغيرهم من أهل العلم[٤].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[٥].

٤. أمَّا مارُوي عن عَلِيّ أنَّ المعدودات يوم النحر ويومان بعده، فأجيب: بأنَّ ذلك وهمٌ من الرواة، والصحيح أنَّه قال ذلك في المعلومات[٦].

وكذلك مارُوي عن ابن عَبَّاس أنَّ المعدودات أيام العشر، أجاب عنه بعض العلماء: بأنَّه خطأ لا شك فيه، ولم يقل به أحد وهو خلاف الكتاب، فإنَّ الله – تعالى – يقول: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثلاث، وقد رُوي عن ابن عَبَّاس بإسناد صحيح أن المعلومات العشر، والمعدودات أيام التشريق[٧].

---

[١] التمهيد لابن عبد البر (١٢/١٢٩).

[٢] أحكام القرآن للجَصَّاص (١/ ٣٩٣).

[٣] ينظر: أحكام القرآن للكيا الهرَّاسي (١/١٢١).

[٤] ينظر: المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٣).

[٥] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٣/٢٤٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/ ٤٢٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩١).

[٦] ينظر: أحكام القرآن للجَصَّاص (١/ ٣٩٤).

[٧] ينظر: أحكام القرآن للجَصَّاص (١/ ٣٩٤)، وأحكام القرآن للكيا الهرَّاسي (١/١٢١)، والمحرر الوجيز (١/٢٦٣).

١٢- الأمر الذي نهين عن كتمانه

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ الرحم: منبت الولد ووعاؤه في البطن، قال عِكْرِمَة[١]، وإِبْرَاهِيْم[٢]: يعني: الحيض، وهو أنْ تكون المرأة في العدة، فأراد الرجل أنْ يراجعها، فقالت: إنِّي قد حضت الثالثة. وقال ابن عَبَّاس[٣]، وقَتَادَة[٤]، ومُقَاتِل[٥]: يعني: الحَبَل والولد. **وهذا القول أولى**؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ أدل على الولد منه على الحيض، كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [آل عمران: ٦]، ومعنى الآية: لا يحل لهن أنْ يكتمن الحمل؛ ليبطلن حق الزوج من الرجعة والولد»[٦].

---

[١] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (١٧٨/٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤١٦/٢).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥١٧/٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤١٦/٢).

وإبراهيم هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة النَّخَعِيّ، الفقيه، الكوفي، أحد الأئمة المشاهير، من كبار التابعين رأى عَائِشَة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- ودخل عليها، ولم يثبت له منها سماع، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشَّعبيّ في زمانهما، توفي سنة ٩٦ هـ .

ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص١٦٣، ووفيات الأعيان (٢٥/١)، وسير أعلام النبلاء (٥٢٠/٤).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢١/٤)، وذكره أبو حيَّان في البحر المحيط (٢/ ١٩٨)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٦٠٩/١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢١/٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤١٥/٢).

[٥] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره عن مُقَاتِلِ بن حَيَّانَ (٤١٥/٢)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٧١/٢).

[٦] البسيط (٢١٦/٤).

- **الدراسة**

للمفسرين ثلاثة أقوال في الأمر الذي نهين عن كتمانه في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ** ﴾:

القول الأول: أنَّه الحيض، وهو قول عِكْرِمَة، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ - كما سبق -.

واستُدل لهذا القول بأنَّ هذه الآية وردت عقيب ذكر الإقراء ولم يتقدَّم ذكر الحمل.

وأُجيب: بأنَّ قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ** ﴾ كلامٌ مُسْتَأْنَفٌ مستَقِلٌّ بِنَفْسِه، من غير أنْ يُرَدَّ إلى ما تقدَّم، فيجب حمله على كل ما يخلق في الرحم[١].

القول الثاني: أنَّه الحمل، قاله عُمَر[٢]، وابن عَبَّاس، وقَتَادَة، ومُقَاتِل - كما سبق -، والسُّدِّيّ[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والزَّجَّاج[٥].

واحتج أصحاب هذا القول على صحة قولهم بوجوه:

أحدها: أنَّ هذه الآية أدل على الولد منها على الحيض؛ لقوله تعالى :﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ** ﴾[آل عمران: ٦]، وقوله: ﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا** ﴾[المؤمنون: ١٤]، فهو وصف لخلق الولد[٦].

وثانيها: أنَّ الحيض خارجٌ عن الرحم لا أنَّه مخلوقٌ فيه [٧].

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٦/ ٧٩).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/٥٢٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢/٤١٥).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/٥٢٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢/٤١٥).

[٤] ينظر: البسيط (٤/٢١٦)، واقتصر عليه في الوسيط (١/٣٣٣)، والوجيز (١/١٧٠).

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٣٠٥).

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٣٠٥)، والبسيط (٤/٢١٦)، ومفاتيح الغيب (٦/ ٧٩).

[٧] ينظر: مفاتيح الغيب (٦/ ٧٩)، وروح المعاني (٢/ ١٣٣).

وثالثها: أنَّ حمل قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ على الولد الذي هو جوهر شريف أولى من حمله على الحيض الذي هو شيء في غاية الخساسة والقذر[1].

وأجيب: بأنَّ ذات الدم وإن كان غير مخلوق في الرحم، لكن الاتصاف بكونه حيضاً إنَّما يحصل له فيه[2]، وبأنَّه لما كان المقصود منعها عن إخفاء هذه الأحوال التي لا اطلاع لغيرها عليها وبسببها تختلف أحوال الحرمة والحل في النكاح؛ وجب حمل اللفظ على الكل[3].

القول الثالث: أنَّ المراد الحمل والحيض، قاله ابن عُمَر[4]، ومُجَاهِد، والرَّبِيْع بن أَنَس، والضَّحَّاك[5]. واختاره الطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، وابن عَاشُور[6]، وهو قول أكثر المفسرين[7].

واستُدل لهذا القول بأنَّ المرأة لها أغْرَاض كثِيرة في كتمانها؛ أمّا الحبل؛ فإنَّه يكون غرضها فيه أنَّ انقضاء عدَّتها بالقروء؛ لأنَّه يكون أقلَّ زماناً من انقضاء عدَّتها بوضع الحمل، فإذا كتمت الحمل، قصرت مدّة عدَّتها فتتزوَّج بسرعة، وربما كرهت مراجعة الزَّوج،

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٦/ ٧٩)، وغرائب القرآن (١/ ٦٢٧).

[2] ينظر: روح المعاني (٢/ ١٣٣).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٦/ ٧٩).

[4] عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العَدَوِيّ، أبو عبدالرحمن، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، أسلم مع أبيه وهو صغير، أول مشاهده الخندق، اشتهر بالزهد والورع والتقى، وكان كثير الاتباع لآثار الرسول -ﷺ-، توفي بمكة سنة ٧٣هـ. ينظر: الاستيعاب (٣/٩٥٠)، والإصابة (٤/١٨١).

[5] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤/٥١٨)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢/٤١٥).

[6] ينظر: جامع البيان (٤/٥٢٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١/١٩٦)، وبحر العلوم (١/١٧٦)، ومعالم التنزيل (١/٢٦٧)، والمحرر الوجيز (١/٢٩٤)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/٢١١)، وأنوار التنزيل (١/٥١٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١/٦٠٩)، والجواهر الحسان (١/١٧٥)، وإرشاد العقل السليم (١/٢٢٥)، والتحرير والتنوير (٢/٣٧٣).

[7] حكاه مَكِّيّ في الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٧٦٠)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (١/ ٦٢٧).

وربما أحبَّت التَّزويج بزوج آخر، أو أحبَّت أنْ تلحق ولدها بالزَّوج الثَّاني، فلهذه الأغراض تكتم الحمل. وأمَّا كتمان الحيض، فقد يكون غرضها إذا كانت من ذوات الإقراء أنْ تطول عدَّتها لكي يراجعها الزَّوج، وقد تحبُّ تقصير عدَّتها؛ لتبطل رجعته، ولا يتمُّ لها ذلك إلاَّ بكتمان بعض الحيض في بعض الأوقات، فوجب حمل النَّهي على مجموع الأمرين[1].

- **الترجيح:**

بعد التأمل في الأقوال ومناقشتها يظهر – والله أعلم – أنَّ الأولى والأحسن حمل اللفظ على الكل الحمل والحيض معاً، ويؤيِّد ذلك:

١. أنَّ الحيض والحمل مما خلق الله في أرحام النساء، وتخصيص أحدهما يحتاج إلى دليل صحيح، وليس ثَـمَّة دليل، كما أنَّ الضرر الذي يلحق بالرجل في كتمان أحدهما مثل ما في الآخر.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[2].

قال النَّحَّاس:« وليس ثَمَّ دليل يدل على اختصاص أحدهما فوجب أن يكون لهما جميعا، وإنما حظر عليها كتمان الحيض والحَبَل؛ لأنَّ زوجها إذا طلقها طلاقاً يملك معه الرجعة كان له أن يراجعها من غير أمرها ما لم تنقض عدتها، فإذا كرهته، قالت: قد حضت الحيضة الثالثة، أو قد ولدت لئلا يراجعها. فنهيت عن ذلك»[3].

وقال الطَّبَرِيّ في معرض ترجيحه للجمع بينهما:«ولا معنى لخصوص مَنْ خصَّ بأنَّ المراد بالآية من ذلك أحدهما دون الآخر، إذ كانا جميعًا مما خلق الله في أرحامهن، وأنَّ في كل واحدة منهما من معنى بُطُول حق الزوج بانتهائه إلى غاية مثل ما في الآخر. ويُسْأل

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٧٩/٦).

[2] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[3] الناسخ والمنسوخ للنَّحَّاس ص ٢١٩.

من خصَّ ذلك فجعله لأحد المعنيين دون الآخر عن البرهان على صحة دعواه من أصْلٍ، أو حجةٍ يجب التسليم لها، ثم يُعْكَسُ عليه القول في ذلك، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله»[1].

٢. أن هذا قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [2].

[1] جامع البيان (٤/٥٢٤).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٣- عَوْد الضمير في ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال الضَّحَّاك، وابن زَيْد[١] أي: ولي السفيه والعاجز والطفل، يعني: قَيِّمه أو وارثه أو من يقوم مقامه في حقه. وقال ابن عَبَّاس، والرَّبِيْع[٢]، ومُقَاتِل[٣]: يعني: ولي الحق، وهو صاحب الدين؛ لأنَّه أعلم بدينه...والقول الأول اختيار الزَّجَّاج وصاحب النَّظْم[٤]، **وهو الأظهر والأصح**»[٥].

- **الدراسة**

للمفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ قولان:

القول الأول: أنَّه يعود على الذي عليه الحق، والتقدير: فليملل ولي المدين، وهو قول الضَّحَّاك، وابن زَيْد - كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والزَّجَّاج، والرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي، والآلُوْسِيّ، والسّعْدِيّ[٧].

---

[١] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦/٦٠)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١/٣٥٦).

[٢] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦/٥٩)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٣٧).

[٣] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره عن مُقَاتِل بن حَيَّانَ (٢/٣٦٥)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٣٧).

[٤] هو أبو علي الجُرْجَانِيّ، وكتابه (نظم القرآن) مفقود، وكثيراً ما يشير إليه الوَاحِدِيّ بقوله:" قال صَاحِبُ النَّظْمِ".

[٥] البسيط (٤/٤٩٠).

[٦] ينظر: البسيط (٤/٤٩٠)، واقتصر عليه في الوسيط (١/٤٠٣)، والوجيز (١/١٩٤).

[٧] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٣٦٣)، وتفسير الراغب الأصفهاني (١/٥٨٩)، والكشاف (١/ ٣٥٢)، والمحرر الوجيز (١/ ٣٧٨)،وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/٢٧٦)، ومفاتيح الغيب (٧/ ٩٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٨٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٣٩)، وروح المعاني (٣/٥٧)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١١٨.

القول الثاني: أنه يعود على الحق، والتقدير: فليملل ولي الحق، أي: صاحب الدين، وهو قول ابن عَبَّاس، والرَّبِيْع، ومُقَاتِل - كما سبق -. واختاره الطَّبَرِيّ[1].

وحجة هذا القول ما ذكره الطَّبَرِيّ: أنَّ هؤلاء المذكورين هم من العقلاء الراشدين[2]، وعلى هذا فالضمير فيه عائد على ولي الحق؛ لأنَّ المدين الصحيح الرشيد لا ولاية عليه، ولا يجوز حُكم أحد في ماله إلا بأمره[3].

واعترض الزَّجَّاج على هذا القول، بقوله:« وهذا بعيد، كيف يقبل قول المدعي؟ وما حاجتنا إلى الكتاب والإشهاد والقول قوله؟»[4].

وتعقَّب ابن عَطِيَّة اختيار الطَّبَرِيّ بقوله: « وكيف تَشْهَدُ الْبَيِّنَةُ على شيءٍ، ويُدْخِلُ مالاً في ذمة السفيه، بإمْلَاءِ الذي له الدين؟ هذا شيءٌ ليس في الشريعة»[5].

وقال الرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ: «ولا يجوز أنْ يكون ولي الحق كما قال بعضهم؛ لأنَّ قوله لا يؤثر إذ هو مدع»[6].

- **الترجيح:**

مما تقدم يترجح - والله أعلم - عَوْد الضمير في ﴿ وَلِيُّهُۥ ﴾ على الذي عليه الحق، ويؤيد ذلك إضافة إلى ما سبق ما يلي:

١. أنَّ هؤلاء الثلاثة المذكورين في قوله: ﴿ **فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ** ﴾[البقرة: ٢٨٢]، قد اختلف أهل العلم في

---

[1] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٩).

[2] هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].وهذا بناء على اختياره أنَّ السفيه هو: الجاهل بالإملاء وموضع صواب ذلك من خطئه.

[3] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٩).

[4] معاني القرآن وإعرابه (٣٦٣/١).

[5] المحرر الوجيز (٣٧٩/١).

[6] تفسير الرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ (٥٨٩/١).

المراد بهم فالأكثر على أنَّهم ممن لا يحسن التصرف، فقيل في (السفيه) أنَّه: المتناهي في ضعف العقل وفساده، كالمجنون والمحجور عليه، وقيل في (الضعيف): أنَّه المدخول في عقله، و(الذي لا يستطيع أن يمل): الصغير[1]؛ فكل هؤلاء تجوز الولاية عليهم، ففي هذه الحالة يقوم وليه بالتصرف عنه، وتصرف ولي المدين هنا خير من تصرف الدائن، والشرع جاء بمراعاة مصالح الخلق.

٢. أنَّ قبول قول المدعي بمجرد الكتابة والإشهاد عليه لا يقبل شرعاً؛ إذ إن الكتابة هاهنا من طرف واحد، وهو الدائن، والمقصود بهذه الكتابة وذاك الإشهاد قطع الخصومة ورفع النزاع، وهذا لا يتحقق إلا إذ كانت كتابة الحق عن طريق الطرفين: الدائن والمدين، فإن كان أحدهما غير قادر على الكتابة أو الإملال، أَمَلَّ عنه وليه الذي رضيه أن يتولى شؤونه.

[1] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/٢٧٤)، ومفاتيح الغيب (٧/ ٩٨).

١٤- هل الكلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران: ٣٧] متصل بما قبله أم مستأنف؟

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام مَرْيَم، ويحتمل أنَّه على الابتداء **والأولى** به الاستئناف؛ لأنَّه ليس من معنى الجواب عمَّا سئلت في شيء»[١].

- **الدراســـة**

للمفسرين في الآية قولان:

القول الأول: أنَّ الآية حكاية عن قول مَرْيَم بنت عِمْرَانَ، بعد أنْ قالت: ﴿ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، أتبعته بقولها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾.

واختاره أبو حيَّان، والآلُوْسِيّ، وابن عَاشُور[٢].

القول الثاني: أنَّها من كلام الله - عَزَّ وَجَلَّ-، فهو مستأنف.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، والرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ[٤].

- **الترجيح**:

الذي يظهر – والله أعلم – أنَّ الآية تحتمل القولين، فالآية قد تكون من تمام كلام مَرْيَم بنت عِمْرَانَ، فبعد أنْ قالت: ﴿ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، جواباً على سؤال زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عن الرزق الذي يأتيها، أتبعته بقولها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ

---

[١] البسيط (٥/ ٢١٠).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٢/ ٤٦٢)، وروح المعاني (٣/ ١٤٢)، والتحرير والتنوير (٣/ ٨٩).

[٣] ينظر: البسيط (٥/ ٢١٠)، واقتصر عليه في الوسيط (١/ ٤٣٢)، ولم يذكر المسألة في الوجيز (١/ ٢٠٨).

[٤] ينظر: جامع البيان (٦/ ٣٥٩)، وتفسير الرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ (٢/ ٥٣٤).

﴿حِسَابٍ﴾، أي: أن رزق الله كثير غير محدود بحد، ولا مقدر بقدر، ولذا لا يحده الحساب، ولا تجرى عليه الأعداد التي تنتهي.

ويصح أنْ تكون هذه الجملة خبراً من الله - ﷻ- لتقرير ما قالت، وبيان أن الله أجرى عليها رزقه، فهو سبحانه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقَه بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبدَه، لا تنتقص خزائنه، ولا يعزب عنه علمُ ما يرزقه، وإنَّما يُحاسب مَنْ يخشى نقصانَ ملكه أو نفاده.

فالمعنى على القولين واحد؛ لذا فإنَّ أكثر المفسرين ذكر أنَّ الآية تحتمل الوجهين[1].

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٨/ ٢٨)، وأنوار التنزيل (٢/ ٣٤)، ولباب التأويل (١/ ٣٤٢)، والدر المصون (١٤٧/٣)، ومحاسن التأويل (٣١٣/٢).

١٥- المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء[١]: يعني بـ(الذين اتبعوه): الحواريين ومن كان على دينهم. وقال قَتَادَة، والرَّبِيْع[٢]، والكَلْبِيّ[٣]، ومُقَاتِل[٤]: هم أهل الإسلام من أمة مُحَمَّد -ﷺ-، اتَّبعوا دين المسِيْح، وصدَّقوه بأنَّه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مَرْيَم، وروح منه. فوالله ما اتبعه من دعاه ربًّا...وقال ابن زَيْد[٥]: وجاعل النَّصَارَى فوق اليَهُوْد، فاليَهُوْد: مُسْتذلُّون مقهورون، والنَّصَارَى وأهل الروم لهم الملك والبسطة. والاتِّباع على هذا القول، بمعنى:الادِّعاء والمحبَّة، لا بمعنى: اتِّباع الدين والملة. **والاختيار** ما سبق من القولين»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّهم أهل الإسلام، وهو قول قَتَادَة، والرَّبِيْع، والكَلْبِيّ، ومُقَاتِل - كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والطَّبَرِيّ، والزَّمخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، وأبو حيَّان، والخَازِن،

---

[١] لم أقف على من نسب هذه الرواية لابن عَبَّاس غير الوَاحِدِيّ، وذكرها الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٨٣/٣)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٠٢/٤) عن الضحّاك، ومحمد بن أبان.

[٢] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٢/٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣/ ١٦).

[٣] ذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٨٣/٣)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٦/٢).

[٤] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٧٢/١).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٣/٦)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣/ ٨٣).

[٦] البسيط (٣٠٧/٥).

[٧] ينظر: البسيط (٣٠٧/٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٤٢/١)، والوجيز (٢١٣/١).

وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ[1].

والظاهر أن هؤلاء المفسرين يقصرون المراد بالآية بعد بعثة النبي -ﷺ- على المسلمين، أمَّا قبله فالنَّصَارَى الموحدون داخلون فيها.

قال الرَّازِيّ:« فأمَّا الذين اتبعوا المسِيْح -عليه السلام- فهم الذين كانوا يؤمنون بأنَّه عبد الله ورسوله، وأمَّا بعد الإسلام فهم المسلمون»[2].

وقال السّعْدِيّ: «المراد بمن اتبعه: الطائفة التي آمنت به، ونصرهم الله على من انحرف عن دينه، ثم لما جاءت أمة مُحَمَّد -ﷺ- فكانوا هم أتباعه حقاً، فأيَّدهم الله ونصرهم على الكفار كلهم، وأظهرهم بالدين الذي جاءهم به مُحَمَّد -ﷺ-»[3].

واستُدل لهذا القول بأنَّهم وافقوه في التوحيد، واتبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع[4].

القول الثاني: أنَّهم النَّصَارَى، وهو قول ابن زَيْد - كما سبق -. واختاره القَاسِمِيّ[5]، والبِقَاعِيّ[6].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٤٦٢/٦)، والكشاف (٣٩٤/١)، ومفاتيح الغيب (٦١/٨)، والبحر المحيط (٤٩٧/٢)، ولباب التأويل (٣٥٧/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٨/٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩٦٧.

[2] مفاتيح الغيب (٦١/٨).

[3] تيسير الكريم الرحمن ص ٩٦٧.

[4] ينظر: الكشاف (٣٩٤/١)، والبحر المحيط (٤٩٧/٢).

[5] ينظر: محاسن التأويل (٣٢٥/٢).

والقَاسِمِيّ هو: جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، مُفسِّر، أديب، مولده ووفاته في دمشق، من مصنفاته: محاسن التأويل، ودلائل التوحيد، توفي سنة ١٣٣٢هـ.

ينظر: الأعلام (١٣٥/٢)، ومشاهير أعلام المسلمين ص١٢٩.

[6] ينظر: نظم الدرر (٩٨/٢).

والبِقَاعِيّ هو: إِبْرَاهِيْم بن عُمَر بن حسن الرُباط البِقَاعِيّ، الشَّافِعِيّ، المحدث، المفسر، الإمام، العلَّامة المؤرخ، من كتبه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، توفي سنة ٨٨٥ هـ.

ينظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٤٧، والأعلام (٥٦/١).

واعترض على هذا القول بأنَّ النَّصَارَى وإنْ أظهروا من أنفسهم موافقته، فهم مخالفون له أشَدَّ مخالفةٍ؛ لأنَّ صريح العقل والنقل يشهد بأنَّ عِيْسَى -عليه السلام- ما كان يرضى بشيء مما يقوله هؤلاء الجُهَّالُ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ جميع من آمن بعِيْسَى -عليه السلام- وصدق بنبوته، وهذا يشمل طائفتين:

الطائفة التي أدركت بعثة المسِيْح -عليه السلام- فآمنت بنبوته وبأنَّه عبد الله ورسوله، وصدقت ببشارته في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[الصف: ٦]، ولم تحرِّف ولم تبدِّل.

والطائفة الثانية هم الذين آمنوا بمُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم- بعد بعثته، لأنَّهم يؤمنون بجميع الأنبياء السابقين، فهم اتبعوا ما جاء به عِيْسَى-عليه السلام- ووصفوه بما يستحقه دون غلو.

قال ابن كَثِيْر: «لما بعث الله مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم-، كان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق، كانوا هم أتباع كُل نبي على وجه الأرض إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي، خاتم الرسل، وسيد ولد آدم، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته، الذين يزعمون أنَّهم على ملّته وطريقته، مع ما قد حَرّفوا وبدلوا، ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله بشريعته شريعة جميع الرسل بما بعث به مُحَمَّدًا -صلى الله عليه وسلم- من الدين الحق، الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا يزال قائماً منصورًا ظاهراً على كل دين؛ فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واحتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميعُ الدول، وكسروا كِسْرَى، وقَصروا قَيْصَر، وسلبوهما كُنُوزَهما، وَأُنْفِقَتْ في سبيل الله، كما أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم - عز وجل- في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٦١/٨)، ولباب التأويل (٣٥٧/١).

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]؛ ولهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسِيْح حقاً سلبوا النَّصَارَى بلاد الشام، وأَجْلَوهم إلى الروم، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة»[1].

فهذا القول تشهد له الآيات الكثيرة والأحاديث التي تدل على عزة المؤمنين وظهورهم على غيرهم.

أما قول ابن زَيْد فقد خصص المتَّبعين بالنَّصَارَى والكافرين باليَهُوْد، وهذا بعيد؛ لأنَّ النَّصَارَى لم يتبعوا عِيْسَى -عليه السلام- حقيقة بل بدَّلوا وحرَّفوا، ولو خرج عِيْسَى لقاتلهم حتى يرجعوا إلى الإسلام، ولهذا في آخر الزمان لا يقبل إلا الإسلام.

قال الشَّوكَاني:« وعلى كل حال فغلبة النَّصَارَى لطائفة من الكفار أو لكل طوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين بطوائف المسلمين كما تفيده الآيات الكثيرة بأنَّ هذه الملة الإسلامية ظاهرة على كل الملل قاهرة لها مستعلية عليها»[2].

[1] تفسير القرآن العظيم (٢/٤٨).

[2] فتح القدير (١/٥٢٠).

١٦- المراد بالرسول

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« الآية عامة في جميع النبيين على قول سَعِيْد بن جُبَيْر[١]، ومن تابعه، وخاصة في النبي -ﷺ- على قول عَلِيّ وابن عَبَّاس[٢]. **وهذا هو الأصح**؛ لأنَّ المراد بالآية: التنويه بذكر مُحَمَّد -ﷺ- بما أُخذ عن النبيين من التصديق به، واعتقاد النصرة له، مع الاحتجاج على أهل الكتاب باتِّباع سبيل النبيين فيه»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالرسول في الآية:

القول الأول: أنَّ اللفظ عام في جميع النبيين بأن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا، فكل نبي أُخذ عليه الميثاق أنَّه لو جاء رسول بعده ليؤمننّ به ولينصرنه، وهو قول سَعِيْد بن جُبَيْر- كما سبق -، والحَسَن[٤] وطَاوُوْسَ[٥]. واختاره السّعْدِيّ[٦].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠٤/٣)، والخَازِن في لباب التأويل (٣٧٣/١).

[٢] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٥/٦)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٢٥/٤).

[٣] البسيط (٤٠٠/٥).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٦/٦)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠٤/٣)، والخَازِن في لباب التأويل (٣٧٣/١).

[٥] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٢٤/١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٥/٦).

وطَاوُوْسُ هو: طَاوُوْسُ بنُ كَيْسَانَ الخَوْلاني الهمْدَاني اليماني، أبو عبد الرحمن، من أبناء الفرس، من فقهاء أهل اليمن وعبادهم، وخيار التابعين وزهادهم، توفي سنة ١٠٦هـ .

ينظر : مشاهير علماء الأمصار ص١٩٨، ووفيات الأعيان (٥٠٩/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٨/٥).

[٦] ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٣٦.

القول الثاني: أنَّه خاص بالنبي -ﷺ-، وهو قول عَلِيّ، وابن عَبَّاس - كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والماوَرْدِيّ، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن تَيْمِيَّة، والخَازِن، وابن القيِّم[2]، وهو قول أكثر المفسرين[3].

واستدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ الأنبياء قبل النبي مُحَمَّد -ﷺ- كانت دعوتهم خاصة، لم يكونوا مبعوثين إلى كل أحد، فإذا لم يدخل في دعوتهم جميع أهل زمنهم، فأحرى وأولى أن لا يدخل فيها من سبقهم أو من جاء بعدهم ممن لم يدركهم[4].

٢. أنَّ لفظ (رسول) وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين، كقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾ [النحل: ١١٢ - ١١٣][5].

٣. أنَّ هذا الوصف الذي وصف به الرسول في الآية ينطبق تماماً على نبينا مُحَمَّد -ﷺ-، ويدل على ذلك أنَّ رسول الله -ﷺ- قال لعُمَر - رضي الله عنه -:« لو كان أخي مُوْسَى حيًّا ما وسعه إلا اتِّباعي»[6]، ويدل لذلك أيضاً أنَّ النبي -ﷺ- لما جمع

---

[1] ينظر: البسيط (٥/٤٠٠)، واقتصر عليه في الوسيط (١/٤٥٨)، والوجيز (١/٢٢٠).

[2] ينظر: بحر العلوم (١/٢٥٢)، والنكت والعيون (١/٤٠٦)، ومعالم التنزيل (٢/٦٢)، ومفاتيح الغيب (٨/١٠٥)، والجامع لأحكام القرآن (٤/١٢٥)، والرد على المنطقيين ص٤٥٣، ولباب التأويل (١/٣٧٤)، وهداية الحيارى ص٥١.

[3] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١/٤٨٣)، والخَازِن في لباب التأويل (١/٣٧٤)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (١/٢٨٥).

[4] ينظر: الرد على المنطقيين ص ٤٥٣.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/١٢٥).

[6] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/١٩٩)، وأحمد في مسنده (٣/٣٣٨)، وحسَّنه الألباني. ينظر: مشكاة المصابيح (١/٣٨)، وإرواء الغليل (٦/٣٤).

الله له الأنبياء ليلة المعراج صار هو إمامهم فصار هو المتبوع، لا التابع عليه الصلاة والسلام [1].

- **الترجيح:**

الأقرب للصواب -والله أعلم- بعد النظر في القولين السابقين أنَّ الآية خاصة بالنبي مُحَمَّد -ﷺ- ويؤيِّد ذلك:

١. أدلة القرآن الكريم الدالة على عموم رسالة نبينا مُحَمَّد -ﷺ-، وخصوص رسالة الأنبياء الذين سبقوه.

٢. ما استدل به أصحاب هذا القول على رجحانه، وليس هناك ما يقاومها من القول الأول فيبقى هو المقدَّم.

٣. دلالة السياق فقوله تعالى: ﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ**﴾ والنصرة مع الإيمان به هو الجهاد، ونُوْح وهُوْد ونحوهم من الرسل - عليهم السلام - لم يؤمروا بالجهاد. فدل على أنَّ المقصود هو رسولنا مُحَمَّد -ﷺ- لا عامة الرسل [2].

٤. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [3].

[1] ينظر: تفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة آل عمران) (١/٤٧١).

[2] ينظر: الرد على المنطقيين ص ٤٥٣.

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٧- المراد بالمِثْلَيْن

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ هو من صفة النكرة. ومعناه: قد أصبتم مثلها يوم بدر؛ وذلك أنَّ المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحُد سبعين، وقَتَلَ المسلمون منهم يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين. هذا قول أكثر المفسرين...وقال بعضهم: أي: أصبتم في يوم أحد مثلها، وفي يوم بدر مثلها. فقد أصبتم مثْلَيْ ما أصابكم، وقتلوا منكم في يوم أحد، وقتلتم منهم في يومين، وهذا اختيار الزَّجَّاج[١]. **والأول أصح**؛ لأنَّ الكفار يوم بدر، نالوا من المسلمين أيضاً؛ بقتل بعضهم»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمِثْلَيْن في الآية:

القول الأول: أنَّ المِثْلَيْن وقعت في العدد من إصابة الرجال؛ وذلك قتلهم يوم بدر سبعين، وأسرهم سبعين، والأسيرُ في حكم القتيلِ؛ لأنَّ الآسر يقتل أسيره إن أراد، وهو قول ابن عَبَّاس، وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك، وقَتَادَة، والسُّدِّيّ، والرَّبِيْع[٣].

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ ، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وأبو حيَّان،

---

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٨٨/١).

[٢] البسيط (١٥٢/٦).

[٣] هذه الآثار أخرجها الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٧٢/٧)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨١٠/٣).

[٤] ينظر: البسيط (١٥٢/٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٥١٧/١)، والوجيز (٢٤١/١).

وابن كَثِيْر، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[1].

واستُدل لهذا القول بأنَّ الآية تسلية من الله -تعالى- لعباده المؤمنين حين أصابهم ما أصابهم يوم أحد وقُتل منهم نحو سبعين، فقال الله: إنَّكم (قد أصبتم) من المشركين (مثليها) يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتم سبعين، فَلْيهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، مع أنَّكم لا تستوون أنتم وهم، فقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.

وهذا أبلغ في المنة وفي التسلية، وأدعى أن يذكروا نعم الله عليهم، وأن يتناسوا ما جرى عليهم يوم أحد[2].

القول الثاني: أنَّ المراد بالمِثْلَيْن إصابة المشركين بالقتل مرتين، حيث قُتل منهم سبعون يوم بدر، واثنان وعشرون يوم أحد، فهو قتل بقتل، ولا مدخل للأسرى على هذا القول؛ لأنَّهم قد فدوا. واختاره الزَّجَّاج [3].

وأجيب: بأنَّ الكفار يوم بدر قد نالوا من المسلمين أيضاً؛ بقتل بعضهم[4].

القول الثالث: أنَّ المِثْلَيْن في الانهزام، فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر، وهزموهم أولاً يوم أحد، ثم هزمهم المشركون في آخر يوم أحد، فانهزام المشركين حصل مرتين، وانهزام المسلمين حصل مرة واحد[5].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٣٧١/٧)، وبحر العلوم (٢٨٨/١)، والكشف والبيان (١٩٩/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١١٦٦/٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (٣٧٦/١)، ومعالم التنزيل (١٢٩/٢)، والكشاف (٤٦٤/١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/٤)، وأنوار التنزيل (١١٢/٢)، ولباب التأويل (٤٤٣/١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٧١/١)، والبحر المحيط (١١١/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٥٨/٢)، وإرشاد العقل السليم (١٠٨/٢)، ومحاسن التأويل (٤٥٣/٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص١٥٦، وأضواء البيان (٢٠٩/١).

[2] ينظر: البحر المحيط (١١١/٣)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٥٦.

[3] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٨٨/١).

[4] ينظر: البسيط (١٥٢/٦).

[5] ينظر: مفاتيح الغيب (٩/ ٦٦)، وغرائب القرآن (٣٠٤/٢)، ولباب التأويل (٤٤٤/١)، والبحر المحيط (١١١/٣).

- **الترجيح:**

بعد تأمل الأقوال السابقة يظهر -والله أعلم- أنَّ القول الأول أصح، وأولى، وهو أنَّ المِثْلَيْن في الإصابة من قتل وأسر، ويُقَوِّي ذلك:

١. أنَّ هذا القول هو المنقول عن السلف، فهو المقدَّم على غيره.

والقاعدة: أنَّ تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[١].

٢. أنَّه القول الذي استفاض فيه النقل عن أهل العلم، والقاعدة:« أن تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملاً »[٢].

بل حكى الطَّبَرِيّ إجماع أهل التأويل على هذا المعنى، فقال:« قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من المشركين مثْلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم، وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر، وذلك أنَّهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين...ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾[آل عمران: ١٦٥]، بعد إجماع جميعهم على أنَّ تأويل سائر الآية على ما قلنا في ذلك من التأويل»[٣].

٣. مناسبته للغرض الذي سيقت له الآية، قال أبو حيَّان معللاً ترجيحه لهذا القول: « لأنَّ قوله: ﴿ **قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا** ﴾ هو على طريق التفضل منه تعالى على المؤمنين بإدالتهم على الكفار، والتسلية لهم على ما أصابهم، فيكون ذلك أبلغ في التسلية، وتنبيههم على أنَّهم قتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين أبلغ في المنَّة وفي التسلية. وأدْعى إلى أنْ يذكروا نعم الله عليهم السابقة، وأنْ يتناسوا ما جرى عليهم يوم أحد»[٤].

---

[١] ينظر: جامع البيان (٥٨٩/١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦١/١٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وإعلام الموقعين عن رب العالمين (١٦٢/٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٣/١).

[٢] ينظر: جامع البيان (٢/ ٢٥٩)، (٢٧٦/٥)، (٤٨٠/٩)، ومحاسن التأويل (١٤٦/١)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٨٠٤/٢).

[٣] جامع البيان (٣٧٢/٧).

[٤] البحر المحيط (١١١/٣).

١٨- معنى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «معنى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾: تميلوا وتجوروا، عن جميع أهل التفسير واللغة...وعن الشَّافِعِيّ أنَّه قال: معناه ألا يكثر عيالكم...وهذا القول وإن صح، **فالاختيار** القول الأول؛ لقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فأطلق الآية من ملك اليمين، والأقل والأكثر منها، وهن كلهن عيال تتصل بهن المؤونة، وسواء كثر العيال من الحرائر أو الإماء، فلا معنى إذاً أنْ يقول: ذلك أدنى أنْ لا يكثر عيالكم بعد إباحة الكثير من السراري. ودليل آخر، وهو أنَّه قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ ولم يقل: أن تفتقروا، فكان الجواب معطوفاً على هذا الشرط، ولا يكون جوابه إلا بضد العدل وهو الجور، لا لكثرة العيال»[(١)].

- **الدراسة:**

المفسرون في معنى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ على قولين:

القول الأول: أنَّ المعنى ألا تميلوا عن الحق وتجوروا، وهو قول عَائِشَة[(٢)]، وابن عَبَّاس، والحَسَن، ومُجَاهِد، وعِكْرِمَة، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ، والسُّدِّيّ، وقَتَادَة، والرَّبِيْع[(٣)]. وهو اختيار الوَاحِدِيّ[(٤)]، وقول جمهور العلماء كما صرح بذلك جمعٌ من المفسرين[(٥)].

---

(١) البسيط (٦/٣١٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣/٨٦٠)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣/٢٤٨).

(٣) هذه الآثار أخرجها الطَّبَرِيّ في تفسيره (٧/٥٤٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣/٨٦٠).

(٤) ينظر: البسيط (٦/٣١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/٩)، والوجيز (١/٢٥٢).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٣/٢٤٨)، ومعالم التنزيل (٢/١٦٢)، ومفاتيح الغيب (٩/ ١٤٤)، وتفسير القرآن العظيم (٢/٢١٢)، والتحرير والتنوير (٤/٢٠)، وتحفة المودود ص١٦.

القول الثاني: أنَّ المعنى ألا يكثر عيالكم، وهو قول زَيْد بن أَسْلَم[1]، وابنه عَبْد الرَحْمَن[2]، والشَّافِعِيّ[3].

وغلَّط أكثر العلماء هذا القول لفظاً ومعنى[4]:

أمَّا اللفظ فلأنَّه يقال: عَالَ يَعُولُ إذَا جَارَ، وَعَالَ يُعِيلُ إذَا افْتَقَرَ، وَأَعَالَ يُعِيلُ إذَا كَثُرَ عِيَالُهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَالَ: ﴿**أَلَّا تَعُولُوا**﴾ لَمْ يقل: تُعِيلُوا[5].

وأمَّا المعنى فإنَّ كثرة النفقة والعيال يحصل بالتسري كما يحصل بالزوجات، ومع هذا فقد أباح مما ملكت اليمين ما شاء الإنسان بغير عدد؛ لأنَّ المملوكات لا يجب لهن قسم ولا يستحققن على الرجل وطئا[6].

وأجيب عن الاعتراض على اللفظ: بأنَّ اللفظ صحيح في اللغة، فقد ذكر الأَزْهَرِيّ عن الكِسَائِيّ[7] أنَّه قال: «ومن العرب الفصحاء من يقول: عَالَ يَعُولُ إذا كثر عياله» قال الأَزْهَرِيّ:« وهذا يؤيّد ما ذهب إليه الشَّافِعِيّ في تفسير الآية؛ لأنَّ الكِسَائِيّ لا يحكي عن

---

[1] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨٦٠/٣)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٩/٢).

وزيد هو: زيد بن أسلم العَدَوِيّ، أبو عبدالله المدني، مولى عُمَر بن الخطاب، تابعي، فقيه، ثقة، كانت له حلقة للعلم في مسجد النبي -ﷺ-، وله تفسير يرويه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة ١٣٦هـ.

ينظر: طبقات الحفاظ ص٦٠، وطبقات المفسرين للداودي (١٧٦/١).

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٢/٧)، وذكره أبو حيَّان في البحر المحيط (١٧٣/٣).

[3] ينظر: أحكام القرآن للشافعي (٢٦٠/١)، والأم (١١٤/٥).

[4] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٧٠/٣٢) .

[5] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١١/٢)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٣٥٠/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢٢١/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٧٠/٣٢).

[6] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١١/٢)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٣٥٠/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٧٠/٣٢)، وتفسير القرآن العظيم (٢١٢/٢).

[7] عَلِيّ بن حمزة الكِسَائِيّ الأَسَدِيُّ، أبو الحَسَن، المقرئ النحوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين، من مصنفاته: معاني القرآن، والقراءات، والمصادر، توفي ١٨٩هـ.

ينظر: معرفة القراء الكبار (١٢٠/١)، وبغية الوعاة (١٦٢/٢).

العرب إلاّ ما حفظه وضبطه. وقول الشَّافِعِيّ نفسه حجَّة؛ لأنَّه عربيّ اللسان فصيح اللهجة»[1]. وقد صرح ثَعْلَب[2] بأنَّه لغة عند العرب[3].

وحكى ابن الأَعْرَابِيّ أنَّ العرب تقول: عَالَ الرجل يَعُول: كثر عياله[4].

وأجيب عن الاعتراض على المعنى: أنَّ السراري مال يتصرف فيه بالبيع، وليس لهن حقوق كالزوجات الحرائر، وله أنْ يعزل عنهن بغير إذنهن فلا يكثر عياله، وله تكليفهن بالكسب فينفقن على أنفسهن بخلاف الزوجات[5].

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما تقدم - والله أعلم - أنَّ الراجح هو القول الأول، وهو الذي عليه الجمهور من أن المعنى: لا تميلوا ولا تجوروا؛ لوجوه:

١. أنَّ هذا التفسير مروي عن عَائِشَة، وابن عَبَّاس- رضي الله عنهم-، ولم يعلم لهما مخالف من الصحابة، ومعلوم أنَّ قول الصحابي مُقدَّم على غيره[6].

٢. أنَّه المشهور في لغة العرب، "وحمل كلام الله تعالى على المعروف المشهور من كلام العرب أولى من حمله على القليل غير الشائع، أو النادر"[7].

---

[1] تهذيب اللغة (١٢٤/٣)، مادة (عول).

[2] أحمد بن يحيى بن زيد بن سَيّار الشيباني، أبو العباس ثعلب، شيخ اللغة والعربية، إمام الكوفيين فيهما، حفظ كتب الفَرَّاء ولازم ابن الأعرابي، من مؤلفاته معاني القرآن، توفي سنة ٢٩١هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (١٠٢/١)، وإنباه الرواة (١٧٣/١).

[3] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٦٦/٧).

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٢)، والبحر المحيط (١٦٠/٣)، والدر المصون (٣/ ٥٦٩).

[5] ينظر: الكشاف (٥٠٠/١)، والمحرر الوجيز (١٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٢)، والدر المصون (٥٦٩/٣)، وروح المعاني (٤/ ١٩٧).

[6] ينظر: جامع البيان (١٠٧/٢٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١٨٦/١).

[7] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

٣. سياق الآية وموضوعها في النساء وما يحل منهن من العدد، والعدل بينهن وعدم الجور، والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به عنه، إلا بدليل يجب التسليم له [١].

قال ابن القيِّم: «أنَّ سياق الآية إنَّما هو في نقلهم مما يخافون الظلم والجور فيه إلى غيره، فإنَّه قال في أولها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فدلهم سبحانه على ما يتخلصون به من ظلم اليتامى وهو نكاح ما طاب لهم من النساء البوالغ، وأباح لهم منهن أربعاً، ثم دلهم على ما يتخلصون به من الجور والظلم في عدم التسوية بينهن فقال: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ثم أخبر سبحانه أن الواحدة وملك اليمين أدنى إلى عدم الميل والجور وهذا صريح في المقصود» [٢].

٤. أنَّ كثرة العيال مأمور به شرعاً، كما جاء في قوله -ﷺ-:« تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فإني مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ »[٣]. وقول الشَّافِعِيّ ينافي ذلك.

[١] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[٢] تحفة المودود ص١٧.

[٣] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، رقم الحديث (٢٠٥٢)، (١٧٥/٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب النكاح، باب ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد، رقم الحديث (٤٠٥٦)، (٣٦٣/٩)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب النكاح، رقم الحديث (٢٦٨٥)، (١٧٦/٢)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة". وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣/٢).

١٩- المراد بالكلالة

في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾ [النساء: ١٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « قد أكثروا في الكلالة، والذي عليه الأكثرون - **وهو الصواب** - أنَّ الكلالة ما عدا الوالد والولد»[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالكلالة في الآية:

القول الأول: أنَّ الكلالة ما عدا الوالد والولد، وهو المنقول عن أكثر الصحابة كأبي بَكْر، وأحد القولين عن عُمَر، وإحدى الروايتين عن ابن عَبَّاس، وهو قول أكثر التابعين كقَتَادَة، وابن زَيْد، والزُّهْرِيّ[٢]، وغيرهم[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٥].

---

[١] البسيط (٣٦٧/٦).

[٢] مُحَمَّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرِيّ، أبو بَكْر، أحد الفقهاء، والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة -رضي الله عنهم-، وروى عنه جماعة من الأئمة، توفي سنة ١٢٤هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (١٧٧/٤)، وطبقات الفقهاء ص٦٣.

[٣] هذه الآثار أخرجها الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣/٨)، وذكرها ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢٢/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٠/٢).

[٤] ينظر: البسيط (٣٦٧/٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٣/٢)، والوجيز (٢٥٥/١).

[٥] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٥٧/١)، وجامع البيان (٦٠/٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٦/٢)، والمحرر الوجيز (٢٢/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣٧١/١)، ومفاتيح الغيب (١٧٩/٩)، والجامع لأحكام القرآن (٧٦/٥)، وأنوار التنزيل (١٥٦/٢)، ولباب التأويل (٤٩٢/١)، والبحر المحيط (١٩٦/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٣٠/٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٦٨، وأضواء البيان (٢٢٨/١)، والتحرير والتنوير (٥٢/٤).

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه- قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَأَنَا مَرِيضٌ فَتَوَضَّأَ فَصَبَّ عَلَيَّ أَوْ قَالَ صُبُّوا عَلَيْهِ فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: لَا يَرِثُنِي إِلَّا كَلَالَةٌ فَكَيْفَ الْمِيرَاثُ؟ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ[١]. ولم يكن لجَابِر يوم نزولها ابن ولا أب؛ لأنَّ أباه قتل يوم أحد. فصارت قصة جَابِر بياناً لمراد الآية[٢].

٢. أنَّه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة، ثم أتبعها بذكر الكلالة، وهذا الترتيب يقتضي أن تكون الكلالة ما عدا الوالدين والولد[٣].

القول الثاني: أنَّ الكلالة من لا ولد له، وهو أحد القولين عن عُمَر، وإحدى الروايتين عن ابن عَبَّاس، وقال به طَاوُوْس[٤].

وقد تَعَقَّبَ ابن كَثِيْر رواية ابن عَبَّاس هذه، فقال: «قال أبو الحُسَيْن اللَّبَّان[٥]: وقد روي عن ابن عَبَّاس ما يخالف ذلك، وهو أنَّه لا ولد له. والصحيح عنه الأول، ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد»[٦].

القول الثالث: أنَّ الكلالة من لا والد له، قال به الحَكَم بن عُتَيبَة[٧].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب وضوء العائد للمريض، رقم الحديث (٥٣٥٢)، (٢١٤٨/٥).

[٢] ينظر: البحر المحيط (١٩٧/٣)، والتحرير والتنوير (٥٢/٤).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٨٠/٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٦٩/٢).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٧٩/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣١/٢).

[٥] مُحَمَّد بن عبد الله بن الحَسَن الشَّافِعِيّ، أبو الحُسَيْن اللَّبَّان، عالم وقته في الفرائض والمواريث، من تصانيفه في الفرائض كتاب الإيجاز، توفي سنة ٤٠٢هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٧)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٥٥/٤).

[٦] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٣٠/٢).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧/٨)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢٣/٢).

والحَكَم هو: الحكم بن عُتَيبَة الكندي، أبو محمد الكوفي، إمام عابد، فقيه، من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، توفي سنة ١١٣هـ، أو بعدها. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٨/٥)، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص٨٢.

وضعَّف ابن عَطِيَّة القولين السابقين، فقال:« وهذان القولان ضعيفان؛ لأنَّ من بقي والده أو ولده فهو موروث بجزم نسب لا بتكلل، وأجمعت الأمة الآن على أنَّ الأخوة لا يرثون مع ابن ولا أب، وعلى هذا مضت الأعصار والأمصار»[١].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم - أنَّ الأصح والأظهر هو القول الأول، وهو أنَّ المراد بالكلالة ما عدا الوالد والولد، ويؤيد هذا القول ما يلي:

١. أنَّه قول جمهور الأمة من السلف والخلف[٢]، بل جزم ابن كَثِيْر بأنَّ جميع الأمة عليه، وأنَّه قد حكى الإجماع فيه غير واحد [٣].

وقال ابن حَجَر عن هذا القول:« هو قول أبي بَكْر الصديق...، وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وروى عَبْد الرَّزَّاق عن مَعْمَر عن أبي إِسْحَاق عن عمرو بن شُرَحْبِيل[٤] قال: ما رأيتهم إلا تواطئوا على ذلك. وهذا إسناد صحيح»[٥].

٢. أنَّ آية الكلالة التي في آخر النساء تدل بدلالة المطابقة والإلزام على هذا القول.

قال الشَّنْقِيطِيّ:« ثبت عن عُمَر -رضي الله عنه- أنَّه قال: ما سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال:« يَا عُمَرُ، أَلاَ تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ»[٦]، فهذا من أوضح البيان؛ لأنَّ مراد

---

[١] المحرر الوجيز (٢٣/٢).

[٢] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٧٦)، والبحر المحيط (١٩٧/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٣٠/٢)، والتحرير والتنوير (٥٢/٤).

[٣] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٣٠/٢). وما حكي من الإجماع لا يصح؛ لوجود الخلاف.

[٤] عمرو بن شُرَحْبِيل، أبو ميسرة الهمذاني الكوفي، تابعي جليل، من العباد، حدّث عن عُمَر وعَلِيّ وابن مسعود، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد.

ينظر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد (٥٤٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٥/٤).

[٥] فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٦٨).

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، رقم الحديث (٤٢٣٥)، (٦١/٥).

النبي -ﷺ- بآية الصيف: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾[النساء: ١٧٦]، والآية تبيِّن معنى الكلالة بياناً شافياً؛ لأنَّها أوضحت أنَّها: ما دون الولد والوالد، فبيَّنت نفي الولد بدلالة المطابقة في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، وبيَّنت نفي الوالد بدلالة الالتزام في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾؛ لأنَّ ميراث الأخت يستلزم نفي الوالد»[1].

٣. سياق الآية يشهد لهذا القول، قال ابن عَاشُور:« وسياق الآية يرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنَّ ذكرها بعد ميراث الأولاد والأبوين مُؤْذِنٌ بأنَّها حالة مخالفة للحالين»[2].

[1] أضواء البيان (٣٤٢/٧).

[2] التحرير والتنوير (٥٢/٤).

٢٠- المراد بالجهالة

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ [النساء: ١٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« **والصحيح** في هذا أنَّ المعاصي كلها جهالة، ومن عصى ربه فهو جاهل، يدل عليه قوله إخباراً عن يُوْسُف: ﴿ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣]، أي: من العاصين»[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالجهالة في الآية:

القول الأول: أنَّ كل من عصى ربه فهو جاهل، فالجهالة هنا بمعنى السفاهة، وإقحام النفس في المعصية، وهو قول ابن عَبَّاس، وأَبِي العَالِيَة[٢]، وإحدى الروايتين عن مُجَاهِد، وقَتَادَة، والسُّدِّيّ، وابن زَيْد[٣].

وحكى قَتَادَة إجماع الصحابة على ذلك، فقال:« اجتمع أصحابُ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فرأوا أن كل شيء عُصي به فهو جهالة، عمدًا كان أو غيره»[٤].

واختار هذا القول الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، وابن عَطِيَّة، والبَيْضَاوِيّ، وابن كَثِيْر، وابن تَيْمِيَّة[٦].

---

[١] البسيط (٣٨٨/٦).

[٢] رفيع بن مهران الرياحي البصري، أبو العالية، الإمام المقرئ، الحافظ، المفسّر، من كبار التابعين، أسلم في خلافة أبي بَكْر الصدّيق، توفي سنة ٩٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٤)، وغاية النهاية (٢٥٩/١).

[٣] هذه الآثار أخرجها الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨٩/٨)، وذكرها القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٩٢/٥).

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٥١/١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٨٩/٨).

[٥] ينظر: البسيط (٣٨٨/٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٦/٢)، والوجيز (٢٥٦/١).

[٦] ينظر: جامع البيان (٩١/٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٤٢/٢)، والمحرر الوجيز (٢٩/٢)، وأنوار التنزيل (١٦٠/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٣٥/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٩١/١٤).

القول الثاني: الجهالة العمد، وهو قول الضَّحَّاك[١]، وإحدى الروايتين عن مُجَاهِد[٢].

وتَعَقَّبَهُ الطَّبَرِيّ بقوله:«وغير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشيء: الجاهل به» [٣].

القول الثالث: الجهالة الدنيا، وهو قول عِكْرِمَة [٤]، والمعنى على قوله: للذين يعملون السوء في الدنيا. وهذا القول ضَعَّفَهُ ابن عَطِيَّة [٥].

القول الرابع: المراد الجهالة بعقوبة المعصية، وهو قول الكَلْبِيّ[٦].

وأجيب: بأنَّ هذا القول لا يصح؛ لأنَّه يوجب أن من علم عقوبة ذنبه لا تكون له توبة [٧].

- **الترجيح:**

بعد عرض الأقوال السابقة يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الراجح في المسألة ما أجمع عليه صحابة رسول الله -ﷺ- وقال به أكثر التابعين، وإجماع أهل أي عصر من العصور حجة، فكيف بإجماع خير القرون؛ وإذا أجمع صحابة رسول الله -ﷺ- على قول لم يجز تجاوزه إلى غيره؛ لأنَّهم أعلم الناس بعد رسول الله -ﷺ- بألفاظ القرآن ومعانيه، فقد سمعوا القرآن منه -ﷺ-، وشاهدوا التنزيل، وعايشوا أحداثه، إضافة إلى معرفتهم بأوضاع اللغة وأسرارها، وقوة أفهامهم، وصفاء أذهانهم، وسعة إدراكهم، وسلامة مقصدهم.

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٩١)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣/٢٧٣).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (١/١٤٩)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٩٠).

[٣] جامع البيان (٨/٩١).

[٤] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٧/٢١٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٩١).

[٥] ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٩).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣/٢٧٣)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣/٢٠٧).

[٧] ينظر: جامع البيان (٨/٩١)، والبسيط (٦/٣٨٨).

٢١- هل يحرم نكاح أمهات الزوجات بمجرد العقد أم يشترط الدخول؟

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى:﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، حد أم امرأتك كحد أمك، سواءٌ كانت من اللبن أو من النسب فهي حرام عليك بنفس العقد على ابنتها؛ لأنَّ الله -تعالى- أطلق التحريم ولم يقيده بالدخول. هذا إجماع الأمة اليوم[١].

وكان جماعة من الصحابة يذهبون إلى أنَّ المرأة إنَّما تحرم بالدخول بالبنت، كالرَّبِيبَة[٢]، إنَّما تحرم بالدخول بأمها،...وهؤلاء يجعلون قوله: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم﴾ [النساء: ٢٣]، منتظماً للربائب وأمهات النساء. **والصحيح** ما عليه الجماعة، روى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«إذا نكح الرجلُ المرأة، فلا يحل له أن يتزوج أمَّها، دخل بالابنة أم لم يدخل. وإذا تزوج الأمَّ فلم يدخل بها ثم طلقها، فإن شاء تزوَّج الابنة »[٣] ففصل بين الربيبة وأم المرأة»[٤].

- **الدراسة**

المفسرون في المسألة على قولين:

القول الأول: أنَّ الأم تحرم بمجرد العقد على ابنتها، سواء دخل بها أولم يدخل.

---

[١] ما حكاه الوَاحِدِيّ من الإجماع لا يصح؛ لوجود مخالف في المسألة.

[٢] الرَّبِيبَة: بنتُ امرأَة الزوج من غيره؛ لِأَنَّهُ يَرُبُّهَا أَيْ يُرَبِّيهَا.

ينظر: تهذيب اللغة (١٣٢/١٥)، مادة (ربّ)، وطلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ص١٢٩، مادة (ربب).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٠/٧) من طريق المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب به. قال البيهقي: «المثنى بن الصباح غير قوي»، وأخرجه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء فيمن يتزوج المرأة ثم يطلقها قبل أن يدخل بها هل يتزوج ابنتها أم لا؟، رقم الحديث (١١١٧)، (٤٢٥/٣). وقال:« هذا حديث لا يصح من قبل إسناده؛ وإنما رواه ابن لهيعة والمثنى بن الصباح عن عمرو بن الشعيب، والمثنى بن الصباح وابن لهيعة يضعفان في الحديث».

[٤] البسيط (٤١٩/٦).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والسّعْدِيّ، والشَّوكَانيّ، وابن عَاشُور[2].

واستُدل لهذا القول بالحديث السابق، ومع أنَّ في إسناده ضعفاً إلا أنَّ ابن جرير تَعَقَّبَهُ بقوله:« وهذا خبر، وإن كان في إسناده ما فيه، فإنَّ في إجماع الحجة[3] على صحة القول به، مستغنىً عن الاستشهاد على صِحَّته بغيره»[4].

القول الثاني: أنَّ الأم لا تحرم إلا بالدخول على ابنتها، وأنَّ حكمهن في ذلك حكم الربائب، وهو منقول عن عَلِيّ[5]، وزَيْد[6]، وجَابِر[7]، وابن الزُّبَيْر[8]، ومُجَاهِد[9].

---

[1] ينظر: البسيط (٤١٩/٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٢/٢)، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٢٥٨/١).

[2] ينظر: جامع البيان (١٤٣/٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٣٨)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣٩٨/١)، ومفاتيح الغيب (٢٦/١٠)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٠٦)، وأنوار التنزيل (١٦٨/٢)، وغرائب القرآن (٣٨٧/٢)، ولباب التأويل (٥٠٣/١)، والبحر المحيط (٢١٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٥٠/٢)، والجواهر الحسان (٣٦١/١)، وإرشاد العقل السليم (١٦١/٢)، وفتح القدير (٦٦٨/١)، والتحرير والتنوير (٨١/٤).

[3] مذهب الطَّبَرِيّ أن مخالفة الواحد والاثنين لا تضر بالإجماع. ينظر: الإجماع عند المفسرين ص١٢٧.

[4] جامع البيان (١٤٦/٨).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/ ١٤٤)، وابن أبي حَاتِم (٩١١/٣).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/ ١٤٥)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٢٥٠/٢).

وزيد هو: زيد بن ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل من فقهاء الصحابة، عالم بالفرائض، كاتب النبي -ﷺ-، وأمينه على الوحي، جمع القرآن وكتبه في المصحف لأبي بَكْر -رضي الله عنه-، توفي سنة ٤٥هـ. ينظر: الاستيعاب (٥٣٧/٢)، والإصابة (٥٩٢/٢).

[7] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٢٧٥/٦)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣/ ٢٨٣).

[8] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٢٧٨/٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩١٢/٣).

وابن الزُّبَيْر هو: عبد الله بْن الزُّبَيْر بْن العوام القرشي الأسدي، أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، من كبار فقهاء الصحابة، بويع له بالخلافة عقيب موت يزيد بن معاوية، مدة خلافته تسع سنين، توفي سنة ٧٣ هـ. ينظر: الاستيعاب (٩٠٥/٣)، والإصابة (٨٩/٤).

[9] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٢٧٥/٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/ ١٤٥).

وحجتهم أنَّه تعالى ذكر حكمين، وهو قوله: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ ثم ذكر شرطاً وهو قوله: ﴿ مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ فوجب أن يكون ذلك الشرط معتبراً في الجملتين معا [١].

وأجيب: بأنَّ قوله: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ ﴾ جملة مستقلة بنفسها، ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط إليه فوجب القول ببقائه على عمومه[٢].

أيضاً قولهم بأنَّ القيد بالدخول لها وللربيبة معاً مردود من جهة الإعراب؛ إذ لا يجوز أن يكون قوله: ﴿ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ صفة لنسائكم الأولى والثانية؛ لأنَّ المجرورين إذا اختلف العامل فيهما [٣] لم يكن نعتهما واحداً [٤].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ الصواب ما ذهب إليه الجمهور من أنَّ الأم تحرم بمجرد العقد على ابنتها، سواء دخل بها أولم يدخل؛ وذلك لأمور:

١. أنَّه قول جماهير علماء الأمة؛ وقولهم أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل، وهذا يقتضي ترجيحه [٥].

٢. أنَّ قوله: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ ﴾ عام، ولا يجوز حمله على التخصيص إلا بدليل.

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/١٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٧/٢).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/١٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٨٧/٢).

[٣] نساء في قوله: ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ ﴾ مجرورة بالإضافة، وفي قوله: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ مجرورة بمن فاختلف العامل فيهما.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٤/٢)، وأحكام القرآن لابن الفرس (١٣١/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٦/٥).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ الأصل في الخطاب العموم ما لم يرد دليل على تخصيصه [1].

٣. أنَّ المروي عن عَلِيّ بن أبي طَالِب لا يثبت عنه، بل الصحيح عنه مثل قول الجماعة كما ذكره القُرْطُبِيّ [2].

[1] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/١٠٦). ونصه:« وحديث خِلَاس عن عَلِيّ لا تقوم به حجة، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث، والصحيح عنه مثل قول الجماعة».

٢٢- المراد بمتبعي الشهوات

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٢٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد الزنا وما لم يحلّ لكم[١]، وكذلك قال مُجَاهِد: هم الزناة، يريدون أن يزني أهل الإسلام، وهو قوله: ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾[٢]. وقال السُّدِّي: هم اليَهُوْد؛ تقول: نكاح الأخت من الأب حلال[٣]، وهو قول مُقَاتِل[٤]. وقال ابن زَيْد: هم جميع أهل الباطل في دينهم[٥]. وهذا هو **الأظهر** من هذه الأقاويل؛ لأنَّه على معنى العموم الموافق لظاهر اللفظ»[٦].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بمتبعي الشهوات في الآية:

القول الأول: أنَّهم الزناة، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد -كما سبق-. واختاره الشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ[٧].

القول الثاني: أنَّهم اليَهُوْد والنَّصَارَى، وهو قول السُّدِّي -كما سبق-.

---

[١] أخرجه ابن المُنْذِر في تفسيره (٢/ ٦٥٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٢١٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/١١٦).

[٣] لم أجد من نسب هذا القول للسُّدِّي سوى الوَاحِدِيّ، والذي نقل عنه أنَّه فسَّر متبعي الشهوات باليهود والنصارى، أخرجه عنه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/ ٢١٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/١١٦)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١/٤٧٤)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢/١٩٩)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣/٢٤٢).

[٤] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١/ ٢٢٥).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/ ٢١٤)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١/٤٧٤).

[٦] البسيط (٦/ ٤٦٤).

[٧] ينظر: فتح القدير (١/ ٦٨١)، ومحاسن التأويل (٣/ ٨٤).

القول الثالث: أنَّهم اليَهُوْد خاصة؛ لأنَّهم أرادوا أن يتبعهم المسلمون في نكاح الأخوات من الأب، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

القول الرابع: أنَّهم المجوس؛ لنكاحهم ذات المحارم [1].

القول الخامس: أنَّهم جميع أهل الباطل، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والطَّبَرِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي، والسّعْدِيّ [3].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في جميع أهل الباطل، وكل من يتبع الشهوات ويقدمها على طاعة ربه، فهي تشمل الأقوال السابقة، وهذا الذي يوافق ظاهر التنزيل، فالاسم الموصول (الذين) في الآية من صيغ العموم، والقاعدة الترجيحية: أنَّ الأصل في الخطاب العموم ما لم يرد دليل على تخصيصه[4].

قال الطَّبَرِيّ معللاً اختياره لهذا القول:« لأنَّ الله - ﷻ- عمّ بقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة، وعمهم بوصفهم بذلك، من غير وصفهم باتّباع بعض الشهوات المذمومة، فإذا كان ذلك كذلك، فأولى المعاني بالآية ما دلّ عليه ظاهرها، دون باطنها الذي لا شاهد عليه من أصل أو قياس. وإذ كان ذلك كذلك كان داخلا في ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ اليَهُوْد، والنَّصَارَى، والزناة، وكل متبع باطلاً؛ لأنَّ كل متَّبع ما نهاه الله عنه، فمتبع شهوة نفسه»[5].

---

[1] ينظر: معالم التنزيل (١٩٩/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٨٨)، والبحر المحيط (٣/ ٢٣٦).

[2] ينظر: البسيط (٤٦٥/٦)، وفي الوسيط ذكر قولي مُجَاهِد وابن زَيْد ولم يرجح (٣٧/٢)، وكذا في الوجيز (٢٦٠/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٢١٤/٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٩/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٨٨/١)، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٧٥.

[4] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[5] جامع البيان (٨/ ٢١٤).

٢٣- المشار إليه في قوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩- ٣٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾ كان ابن عَبَّاس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نُهي عنه من أول سورة النساء إلى هذا الموضع[١]، فعلى هذا الوعيد راجع إلى جميع المحرمات السابقة في هذه السورة. وقال ابن جُرَيْج[٢]: قلت لعَطَاء: أفي كل ذلك؟ قال: لا، ولكن في قتل النفس[٣]، فالوعيد على قول عَطَاء خاص في قتل النفس المحرمة، ووجهه أنَّه يرده إلى أقرب مذكور إليه. وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل، وقتل النفس المحرمة، فالوعيد بكل واحدة من الخصلتين. وهذا اختيار الزَّجَّاج، قال: وعد الله - عَزَّوَجَلَّ- على أكل المال ظلماً، وعلى القتل عدواناً النار[٤]... **والأظهر** هذا القول؛ لاتصال الوعيد بذكر النهي عن الأمرين»[٥].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٣٩/٢)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٥٩/١٠).

[٢] عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام الحافظ شيخ الحرم، أبو الوليد، وقيل: أبو خالد، كان من بحور العلم، وهو أول من دون العلم بمكة، كان صاحب تعبد وتهجد، توفي سنة١٤٩هـ، وقيل: ١٥٠ هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٦)، وغاية النهاية في طبقات القراء (٤١٨/١).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣٠/٨)، وذكره الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٥٩/١٠)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٢٤٢/٣).

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٤/٢).

[٥] البسيط (٤٧١/٦).

- **الدراسة**

للمفسرين في المشار إليه في الآية أربعة أقوال:

القول الأول: أنَّ الإشارة تعود إلى القتل، وهو قول عَطَاء - كما سبق -.

واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، وابن العَرَبِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، والسَّمِين الحَلَبِيّ[1].

واستُدل بأنَّه أقرب مذكور[2]؛ وعوده إليه يقين، وغيره محتمل يتوقف على الدليل[3].

القول الثاني: أنَّ الإشارة تعود إلى القتل وأكل المال بالباطل.

واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والزَّجَّاج، والجصَّاص، وأبو حيَّان، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[5].

واستُدل بأنَّ النهي عنهما جاء مُتّسقاً مسروداً، ثم ورد الوعيد حسب النهي[6].

القول الثالث: أنَّ الإشارة تعود إلى كل ما نُهي عنه من قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا ﴾ [النساء: ١٩]، إلى هذا الموضع. واختاره الطَّبَرِيّ[7].

---

(1) ينظر: الكشاف (٥٣٤/١)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤٣٠/١)، ومدارك التنزيل (٣٥٢/١)، ولباب التأويل (٥١٣/١) والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٨٩)، والدر المصون (٦٦٤/٣).

(2) ينظر: لباب التأويل (٥١٣/١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٨٩).

(3) ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤٣٠/١).

(4) ينظر: البسيط (٤٧١/٦) ، وذكره في الوسيط (٣٩/٢) مع قول ابن عَبَّاس ولم يرجح، واقتصر عليه في الوجيز (٢٦١/١).

(5) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٤/٢)، وأحكام القرآن للجصَّاص (١٤١/٣)، والبحر المحيط (٢٤٢/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص١٧٥، والتحرير والتنوير (١٠٢/٤)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة النساء) (٢٥٩/١).

(6) ينظر: المحرر الوجيز (٥٢/٢)، والبحر المحيط (٢٤٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٥٧).

(7) ينظر: جامع البيان (٢٣٠/٨).

واستَدل له بأنَّ كل فصْل نهى الله عنه من أول السورة قد قُرِن بالوعيد، إلا من قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا ﴾ فإنَّه لا وعيد بعده إلا قوله: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا ﴾ فتكون الإشارة إليها [1].

وتَعَقَّبَهُ أبو حيَّان بقوله:«وما ذهب إليه الطَّبَرِيّ بعيد جداً؛ لأنَّ كل جملة قد استقلت بنفسها، ولا يظهر لها تَعَلُّقٌ بما بعدها إلا تَعَلُّقَ المناسبة، ولا تَعَلُّقَ اضطرار المعنى» [2].

القول الرابع: أنَّها تعود إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة، وهو قول ابن عَبَّاس - كما سبق -.

واستُدل لهذا القول بأنَّ كون وعيده جاء معه مخصوصاً لا يمنع أن يدخل في العموم أيضاً؛ إذ لا تناقض فيه؛ بل فيه تأكيد له [3].

و تَعَقَّبَه أبو حيَّان بقوله:«وأبعد من قول الطَّبَرِيّ ما ذهب إليه جماعة من أن ذلك إشارة إلى كل ما نهى عنه من القضايا، من أول السورة» [4].

واستدرك ابن العَرَبِيّ على هذا القول وسابقه بما ذكر أنَّها دقيقة أغفلها العلماء؛ وذلك أنَّ هذه الآية لا نعلم هل كان نزولها بعد استقرار ما سبقها من أول السورة إلى هنا منزلاً مكتوباً، أم نزل جميعه بعد نزولها، وإذا علمنا أنَّ ذلك كله تقدم نزولاً وكتابة؟ لا يقتضي قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى جميع ما تقدم من أول السورة دون جميع ما تقدم من أول القرآن من ممنوع محرم [5].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٨/٢٣٠).

[2] البحر المحيط (٣/٢٤٢).

[3] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/٤٣٠).

[4] البحر المحيط (٣/٢٤٢).

[5] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/٤٣٠).

- **الترجيح:**

الذي يظهر بعد عرض الأقوال في المسألة أن الأقرب للصواب – والله أعلم – القول الثاني، وهو عود الإشارة إلى أكل المال بالباطل والقتل؛ فالقول الأول يدخل في الثاني، والقول الثالث والرابع بعيدان.

ويؤيِّد ذلك أنَّ النهي عنهما جاء في آية واحدة مُتّسقاً مسروداً، ثم ورد الوعيد حسب النهي، فهما أقرب المذكورات، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٦٩]، جاء النهي في الآية مُتّسقاً مسروداً، فالوعيد فيها يعود على الأعمال الثلاثة: الشرك والقتل والزنا كما ذكر ذلك ابن تَيْمِيَّة[1]؛ ولو قلنا أن الوعيد عائد فقط على الزنا والقتل؛ لكان ذلك موافقاً لمذهب المعتزلة[2]، والخوارج[3] بتخليد صاحب الكبيرة في النار.

---

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٧/٧٣).

[2] المعْتَزِلَة: فرقة عقلانية كلامية فلسفية تتكون من طوائف من أهل الكلام الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، سموا بذلك لما أعلن واصل بن عطاء بدعته في الفاسق بأنه منزلة بين منزلتين أي بين الكفر والإيمان، فلما سمعه الحسن البصري طرده من مجلسه، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فسموا أتباعهما من يومئذ بالمعْتَزِلَة، وأصولهم خمسة: المنزلة بين المنزلتين، والتوحيد ويقصدون به نفي الصفات، والعدل ويقصدون به نفي القدر، والوعد والوعيد وهو زعمهم أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار إذا مات على كبيرته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقصدون به الخروج على ولي الأمر. ينظر: الفَرْقُ بين الفِرَق ص٢٧و١١٢، والملل والنحل ص٤٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٦٤).

[3] الخَوَارِج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. وكان بداية ظهورهم في عهد عَلِيّ بن أبي طَالِب حين اعترضوا على قبول التحكيم بينه وبين معاوية، وقالوا: لا حكم إلا لله وفارقوا الجماعة، ومن ثم أصبحت الخَوَارِج تحكم على كل مرتكب للكبيرة بأنه كافر يحل دمه وماله، وقالوا: بعدم حجية خبر الآحاد. ومع مرور الزمن كثر اتباعهم لأهوائهم وتفرقت بهم السبل حتى تكلموا في دقائق المسائل الكلامية. ينظر: الفَرْقُ بين الفِرَق ص ٧٨، والملل والنحل ص١١٤، والموسوعة الميسرة (٢/١٠٥٣) .

٢٤- المراد بالاسم الموصول

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾[النساء: ٣٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ قال السُّدِّيّ: نزلت في المنافقين[١]، واختاره الزَّجَّاج. **وهو الوجه** لذكر الرياء هاهنا، وهو ضرب من النفاق»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالاسم الموصول في الآية:

القول الأول: أنَّهم المنافقون، وهو قول السُّدِّيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن عَطِيَّة، وابن جُزَي[٤].

وحجتهم أنَّ الله -تعالى- قال: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ والرياء ضرب من النفاق[٥].

القول الثاني: أنَّهم اليَهُوْد، وهو قول مُجَاهِد[٦]، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[٧].

وضعَّفه الطَّبَرِيّ؛ لأنَّه تعالى نفى عنهم صفة الإيمان بالله واليوم الآخر، واليَهُوْد توحِّد الله وتصدّق بالبعث والمعاد[٨].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣/٣٠٧)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣/ ٢٥٨).

[٢] البسيط (٦/٥١١).

[٣] ينظر: البسيط (٦/٥١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/٥٣)، والوجيز (١/٢٦٤).

[٤] ينظر: جامع البيان (٨/٣٥٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/٥١)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٣٢٧)، والمحرر الوجيز (٢/٦٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩١).

[٥] ينظر: البسيط (٦/٥١١)، والجامع لأحكام القرآن (٥/١٩٣).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٣٥٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣/ ٩٥٣).

[٧] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١/٢٢٩).

[٨] ينظر: جامع البيان (٨/٣٥٦).

وتَعَقَّبَ ابن عَطِيَّة هذا القول؛ بأنَّهم لم يؤمنوا على ما ينبغي فكان إيمانهم باليوم الآخر كلا إيمان من حيث لا ينفعهم[1].

القول الثالث: أنَّهم كفار مكة. واختاره أبو السُّعُوْد [2].

واسْتَبْعَدَهُ ابن عَاشُور بقوله: « وهو بعيد؛ لأنَّ أهل مكة قد انقطع الجدال معهم بعد الهجرة» [3].

وقول ابن عَاشُور غير مسلّم؛ لكون خطاب المشركين بعد الهجرة وإن قلَّ إلا أنَّه لم ينقطع كما سيأتي في الترجيح.

- **الترجيح:**

بعد عرض الأقوال السابقة يظهر – والله أعلم – أنَّ أقربها للصواب وأظهرها القول الأول؛ لأنَّ صفة الرياء الوارد ذكرها في السياق ملازمة للمنافقين كما تشهد له هذه الآية وغيرها من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقول من قال أن المقصود بالآية كفار مكة له حظٌ من النظر؛ لأنَّهم يفعلون الرياء أحياناً كما أخبر الله -تعالى- عنهم حين خرجوا لبدرٍ وأنفقوا الأموال للصَّد عن سبيله، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]؛ ولكنَّها في المنافقين أقوى وأليق؛ لأنَّ الرياء لا ينفك عنهم، فالنفاق الذي ارتضوه مسلكاً قائم على الرياء والمصانعة بخلاف كفار قريش فالرياء قد ينفك عنهم في مواطن وقد يصاحبهم في مواطن أخرى.

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز (٦٣/٢)، والبحر المحيط (٣/ ٢٥٨).

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم (١٧٧/٢).

[3] التحرير والتنوير (١٢٧/٤).

٢٥- المراد بالملامسة

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٤٣].

قال الوَاحِدِيّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلف المفسرون في اللمْسِ المذكور هاهنا على قولين: أحدهما: أنَّ المراد به الجِماع. والقول الثاني: أنَّ المراد باللمْسِ هاهنا: التقاء البشرتين سواء بجِماع أو غيره. **وهذا القول أولى**؛ لأنَّ حقيقة اللمْس في اللغة باليد، وحمل الآية على الحقيقة أولى»[١].

▪ الدراســـة

المفسرون على قولين في المراد باللمْسِ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد به الجِماع، وهو قول عَلِيّ بن أبي طَالِب، وابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، والحَسَن، وقَتَادَة، وغيرهم[٢]. واختاره الطَّبَرِيّ، والجصَّاص، والنَّسَفِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[٣].

واستُدل لهذا القول بعدة أدلة، منها:

١. أنَّ اللمْسَ، والمسَّ وردا في القرآن كناية عن الجِماع، كما في قوله تعالى: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة: ٣]، وقوله: ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾[البقرة: ٢٣٧]،

---

[١] الوسيط (٢/٥٨).

[٢] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٣٨٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣/٩٦٠).

[٣] ينظر: جامع البيان (٨/٣٩٦)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٤/٥)، ومدارك التنزيل (١/٣٦٠)، ومحاسن التأويل (٣/١٢٢)، والتحرير والتنوير (٤/١٣٩)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة النساء) (١/٣٤٨).

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] [١].

٢. قول ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما-: «الْمُبَاشَرَةُ وَالْمُلَامَسَةُ وَالْمَسُّ جِمَاعٌ كُلُّهُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ -عز وجل- يُكْنِي مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ» [٢].

٣. حمل الملامسة في الآية على الجِماع، يجعل الآية مشتملة على الحدثين الأصغر وهو المذكور في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ والأكبر في قوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ولو حمل المعنى على اللمْسِ باليد وأنَّه ناقض للوضوء؛ لكان في الآية تكرار لسببين لحدث واحد، ولم يبق للحدث الأكبر ذكر[٣].

٤. حديث عَائِشَة -رضي الله عنها-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»[٤]. وهذا الحديث احتج به الطَّبَرِيّ عند ترجيحه لهذا القول، حيث قال:«وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: عنى الله بقوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الجماع دون غيره من معاني اللمْس؛ لصحة الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أنَّه قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ»[٥].

القول الثاني: أنَّ المراد به ما دون الجِماع من القبلة واللمْسِ باليد وما أشبههما، وهو قول ابن مَسْعُوْد، وابن عُمَر، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ، والشَّعبيّ، وغيرهم[٦].

---

[١] ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٦/٤٠٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢/٣١٤).

[٢] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب المعتكف يخرج من المسجد لبول أو غائط، رقم الحديث (٨٣٨٠)، (٤/٣٢١). قال الألباني: رجاله ثقات. ينظر: قيام رمضان ص٢٧.

[٣] ينظر: التحرير والتنوير (٤/١٣٩)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة النساء) (١/٣٤٩).

[٤] أخرجه الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في ترك الوضوء من القبلة، رقم الحديث (٨٦)، (١/١٣٣)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الوضوء من القبلة، رقم الحديث (٥٠٢)، (١/١٦٨). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/٦٥).

[٥] جامع البيان (٨/٣٩٦).

[٦] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨/٣٩٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣/٩٦٠).

واختاره الوَاحِدِيّ [١]، والرَّازِيّ [٢].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ حقيقة اللمْس في اللغة باليد، فأمَّا حمله على الجِماع فمجاز، والأصل حمل الكلام على الحقيقة [٣].

وأجاب على ذلك أبو بَكْر الجصَّاص، بقوله: «أنَّ اللمْسَ وإن كان حقيقة للمسِّ باليد فإنَّه لما كان مضافاً إلى النساء وجب أن يكون المراد منه الوطء، كما أن الوطء حقيقته المشي بالأقدام فإذا أضيف إلى النساء لم يُعقَل منه غير الجِماع كذلك هذا، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[البقرة: ٢٣٧]، يعني: من قبل أن تجامعوهن» [٤].

٢. أنَّ حكم الجَنابة تقدَّم في قوله:﴿وَلَا جُنُبًا﴾ فلو حملنا هذه الآية على الجنابة لزم التكرار[٥].

وأُجيب: بأنَّ قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ ذكر في معرض الأمر بالاغتسال، وقوله: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ذكر في معرض الإذن بالتيمم الرخصة، والمقام مقام تشريع يناسبه عدم الاكتفاء بدلالة الالتزام، وبذلك يكون وجه لذكره صحيح[٦]، وعلى هذا فلا تكرار في الآية.

---

[١] ينظر: الوسيط (٢/ ٥٨)، واقتصر عليه في الوجيز (٢٦٦/١) ونص قوله: "لمستوهنَّ بأيديكم" ، أما تفسير البسيط ففيه سقط من أثناء الآية (٤٢) من سورة النساء إلى أثناء الآية (٥٣). ينظر: تفسير البسيط (٥٢٣/٦) هامش (٢). وبالرجوع إلى آية المائدة في البسيط (٢٨٥/٧) نجد أن الوَاحِدِيّ أشار أنَّها مشروحة في سورة النساء.

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (٩١/١٠).

[٣] ينظر: الوسيط (٥٨/٢)، ولباب التأويل (٥٣٣/١).

[٤] أحكام القرآن للجصَّاص (٥/٤).

[٥] ينظر: مفاتيح الغيب (٩١/١٠)، والتحرير والتنوير (١٣٩/٤).

[٦] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤٦١/١)، والتحرير والتنوير (١٣٩/٤).

أمَّا من قال أنَّ المراد بالآية كلا المعنيين السابقين، فقوله مردود بما ذكره أبو بَكْر الجصَّاص، حيث قال: «وإذا ثبت أنَّ المراد باللمْسِ الجِماع انتفى منه مس اليد من وجوه، أحدها: اتفاق السلف من الصدر الأول أنَّ المراد أحدهما؛ لأنَّ عَلِيّاً وابن عَبَّاس وأبا مُوْسَى لما تأولوه على الجِماع لم يوجبوا نقض الطهارة بلمس اليد، وعُمَر وابن مَسْعُوْد لما تأولاه على اللمْسِ لم يجيزا للجنب التيمم، فاتفق الجميع منهم على أنَّ المراد أحدهما. ومن قال إنَّ المراد هما جميعاً فقد خرج عن اتفاقهم وخالف إجماعهم في أنَّ المراد أحدهما... ووجه آخر يدل على أنَّه لا يجوز أن يرادا جميعاً بالآية؛ وهو أنَّ اللمْسَ باليد إنَّما يوجب الوضوء عند مخالفينا، والجِماع يوجب الغسل؛ وغير جائز أن يتعلق بعموم واحد حكمان مختلفان فيما انتظمه...»[1].

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – صواب ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، وهو أنَّ المراد بالملامسة في الآية الجِماع.

ويؤيِّده قوة ما استدل به أصحابه؛ وما أجابوا به على أصحاب القول الثاني، ويشهد له الأخبار السابقة، وتؤيده القاعدة الترجيحية: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[2]؛ لإفادته معنى جديداً لم يسبق في الكلام.

[1] أحكام القرآن للجصَّاص (٥/٤).

[2] ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٣/١)، والإحكام للآمدي (٢٧٦/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٠/٢).

٢٦- المراد بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [النساء: ٩٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «التشبيه وقع لحال كفرهم بحال كفر المقتول قبل إسلامه، ثم منَّ الله عليهم بالإسلام كما منَّ على المقتول وقبِل منه ظاهر الإسلام، فيجب أن يقبلوا هم بظاهر الإسلام...وقال سَعِيْد بن جُبَيْر: كذلك كنتم من قبل تستخفون بإيمانكم عن قومكم كما استخفى هذا الراعي بإيمانه عن قومه، فمنَّ الله عليكم بإعزازكم حتى أظهرتم دينكم[١]. **والقول هو الأول**؛ لأنَّه لا شك أنَّهم أسلموا بعد أن لم يكونوا مسلمين، فأمَّا الاستخفاء فلم يكن عاماً فيهم كعموم الإسلام بعد أن لم يكونوا عليه»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: كذلك كنتم من قبل مشركين فمنَّ الله عليكم بالإسلام، وهو قول مَسْرُوْق[٣]، وقَتَادَة[٤]، وابن زَيْد[٥].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨٣/٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٠٤١/٣).

[٢] البسيط (٤٤/٧).

[٣] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٠٤١/٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٣٧/٢) إلى ابن المنذر.
ومَسْرُوْقُ هو: مَسْرُوْقُ بنُ الأَجْدَعِ بن مالك بن أمية، أبو عائشة الوَادِعِيّ الهَمْدَانِيّ الكوفي، من كبار التابعين، ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي -ﷺ- ، قدم من اليمن بعد وفاته -ﷺ-، توفي سنة ٦٣هـ.
ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص١٦، وصفة الصفوة (٢٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (٦٣/٤).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٦٩/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٧٢/٢).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨٣/٩)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٤٠/٥).

واختاره الوَاحِدِيّ[١]، والماوَرْدِيّ، وابن عَاشُور[٢].

القول الثاني: أنَّ المعنى: كذلك كنتم تخفون إيمانكم عن المشركين فمنَّ الله عليكم بالعزة والنصر حتى أظهرتموه، وهو قول سَعِيْد بن جُبَيْر- كما سبق -. واختاره الطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس[٣].

وأورد عليه بأنَّ إخفاء الإيمان ما كان عاماً فيهم[٤].

وأجيب: بأنَّ ما وجد من بعضهم ينسب إلى الجملة[٥].

القول الثالث: أنَّ المعنى: كذلك كنتم أوّل ما دخلتم في الإسلام تفوّهتم بكلمة الشهادة فحصنتم بها أموالكم ودماءكم من غير أن تُعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم.

واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ[٦].

واعترض عليه بأنَّ لهم أن يقولوا ما كان إيماننا مثل إيمان هؤلاء لأنا آمنا بالاختيار، وهؤلاء أظهروا الإيمان تحت ظلال السيوف، فكيف يمكن تشبيه أحدهما بالآخر؟[٧].

وأجيب: بأنَّ التشبيه لا يلزم أن يكون من كل الوجوه، بل يكفي التشبيه ببعضها، والتشبيه هنا بالدخول في الإسلام بكلمة الشهادة[٨].

---

[١] ينظر: البسيط (٤٥/٧)، وذكر القول الأول والثاني في الوسيط ولم يرجح (١٠٢/٢)، واقتصر عليه في الوجيز (٢٨٣/١).

[٢] ينظر: النكت والعيون (٥٢١/١)، والتحرير والتنوير (٢٢٦/٤).

[٣] ينظر: جامع البيان (٨٣/٩)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٦٨/٢).

[٤] ينظر: البسيط (٤٥/٧)، ومفاتيح الغيب (٥/١١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٧٧/٢).

[٥] ينظر: البحر المحيط (٣٤٣/٣).

[٦] ينظر: الكشاف (٥٨٥/١)، وأنوار التنزيل (٢٣٧/٢)، ومدارك التنزيل (٣٨٦/١).

[٧] ينظر: مفاتيح الغيب (٥/١١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٧٧/٢).

[٨] ينظر: البحر المحيط (٣٤٣/٣).

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – أن الآية تحتمل كل ما ذكر، فالأقوال السابقة ليس بينها تعارض، فالمسلمون كانوا قبل ذلك كفاراً فمنَّ الله عليهم بإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الإسلام والعلم، كما كانوا في بداية الإسلام قلة مستضعفين يخفون إيمانهم فمنَّ الله عليهم بإعزاز دينهم وإظهاره، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٦].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها[1].

[1] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١)، وأضواء البيان (٤٥٧/٢)، والتحرير والتنوير (٩٨/١)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله -ﷻ- ص٥٩- ٥٦٧، وقواعد التفسير لخالد السبت (٨٠٧/٢).

٢٧- المراد بذكر الله

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[النساء: ١٠٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال الكَلْبِيّ: فصلوا لله (قياماً) للصحيح، (وقعوداً) للمريض الذي لا يستطيع القيام، (وعلى جنوبكم) للمرضى الذين لا يستطيعون الجلوس [١]. وقال مُقَاتِل: فاذكروا الله باللسان[٢]. وقال ابن عَبَّاس: يريد أنَّه ليس شيء أفضل من الذكر لله[٣]. وقال الزَّجَّاج: أي: اذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه بكل ما يمكن أن يتقرب منه [٤]. **وهذا القول أولى** من قول الكَلْبِيّ؛ لأنَّه ذكر بعد هذا حكم صلاة الحضر، فقال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾»[٥].

- **الدراســـة**

المفسرون في المراد بذكر الله في الآية على قولين:

القـول الأول: أنَّ المـراد ذكـر الله -تعـالى- في جميـع الأحـوال بالتـسبيح والتكبـير والشكر ونحوه، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُقَاتِل - كما سبق -.

---

[١] لم أقف على قوله.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل (١/ ٢٥٣).

[٣] لم أقف عليه، والذي أخرجه الطَّبَرِيّ عن ابن عَبَّاس في تفسيره (١٦٤/٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣١٣٨/٩)، قوله:«لا يفرض على عبادة فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذرٍ، غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال».

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٩٩/٢).

[٥] البسيط (٦٢/٧).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والجصَّاص، والماوَرْدِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والقُرْطُبِيّ، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والسّعْدِيّ[2]، وهو قول جمهور المفسرين[3]. واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ﴾ بمعنى فرغتم، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠][4]، وليس المعنى تلبستم وشرعتم.

٢. أنَّ الله -تعالى- ذكر في الآية التي تليها صلاة الحضر[5]، فدلَّ ذلك على أنَّ المراد هنا الذكر.

القول الثاني: أنَّ المراد به الصلاة، فيكون المعنى: فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فعلى جنوبكم، وهو قول ابن مَسْعُوْد[6]، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ - كما سبق -.

وأورد على هذا القول أنَّ المعنى يصير حينئذٍ: (فإذا قضيتم الصلاة فصلوا) وفيه بُعد؛ لأنَّ حمل لفظ الذكر على الصلاة مجاز فلا يصار إليه إلا لضرورة[7].

---

[1] ينظر: البسيط (٦٣/٧)، ولم يرجح في الوسيط (١١٠/٢)، واقتصر عليه في الوجيز (٢٨٦/١).

[2] ينظر: جامع البيان (١٦٤/٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٩/٢)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٢٤٧/٣)، والنكت والعيون (٥٢٦/١)، وتفسير السَّمْعَانِيّ (٤٧٤/١)، والجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٥)، والبحر المحيط (٣٥٦/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٠٣/٢)، والجواهر الحسان (٤٠٩/١)، وإرشاد العقل السليم (٢٢٨/٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص١٩٨.

[3] حكاه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٨٧/٢)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٧٣/٥)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣٥٦/٣)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٤٠٩/١)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٧٦٩/١).

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٦١٣/٦).

[5] ينظر: البسيط (٦٢/٧).

[6] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣١٠/٣)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (٩/ ٢١٢).

[7] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣/١١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٨٩/٢).

- **الترجيح:**

مما سبق يظهر أن الراجح – والله أعلم – هو قول الجمهور، ويؤيِّده:

١. أنَّ الإكثار من ذكر الله -ﷻ-، ودعائه، والتضرع إليه في حال القتال مأمور به؛ لأنَّ الذكر مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فهذه الآية نظيرة هذه؛ إذ كلاهما في سياق الحديث عن القتال.

قال السّعْدِيّ:« أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار منه من أعظم مقويات القلب» [(١)].

٢. أنَّ الله -ﷻ- ذكر صلاة الخوف ثم أعقبها بقوله: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ ﴾، ثم ذكر صلاة الحضر في قوله: ﴿ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، فناسب أن يكون المراد بالآية الذكر في جميع الأحوال، والقاعدة أن الحمل على التأسيس أولى من الحمل على التأكيد [(٢)].

٣. مما يشهد لهذا القول أنَّ الله -تعالى- ذكر في آية آل عمران هذه الأحوال وقرنها بالذكر، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٤. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٩٨.

(٢) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/١٩٣)، والإحكام للآمدي (١/٢٧٦)، والتمهيد في تخريج الفروع على الأصول ص١٦٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٢٠).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٢٨- المراد بخلق الله

في قوله تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللهُ-:« قوله:﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد دين الله[١]» ثم ذكر عدة أقوال في الآية - يطول ذكرها- ثم قال: «**والأظهر هو القول الأول**؛ لأنَّه يدخل فيه كل ما نهى الله عنه، وكل من ارتكب محظوراً، أو أتى منهيًّا، فقد غير دين الله»[٢].

- **الدراســـة**

مجمل الأقوال التي ذكرها المفسرون في المراد بـــ﴿ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾:

القول الأول: أنَّ المراد دين الله، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ، ومُجَاهِد، وعِكْرِمَة في رواية عنه، والضَّحَّاك، والحَسَن، وقَتَادَة في رواية عنه، والسُّدِّي[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ [٥].

وتغير دين الله كما ذكر أهل العلم على وجهين: الأول: تغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها بالكفر، والثاني: تَبْدِيل الحلالِ حراماً، والحرام حلَالاً [٦].

واستُدل لهذا القول بعدة أدلة، منها:

١. قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١٨/٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٠٦٩/٤).

[٢] البسيط (١٠٢/٧).

[٣] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١٨/٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٠٦٩/٤).

[٤] ينظر: البسيط (١٠٤/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (١١٨/٢)، والوجيز (٢٩٠/١).

[٥] ينظر: جامع البيان (٢٢٢/٩).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٣٩).

﴿ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]، أي: لا تبدلوا فطرة الله.

٢. قول الرسول -ﷺ-:« مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ[١] هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»[٢].

٣. قوله -ﷺ- :« إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإِنَّهم أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ» [٣].

القول الثاني: أنَّ المراد الْوَشْمُ[٤]، وهو قول الحَسَن في رواية أخرى عنه [٥].

واستُدل بما ثبت عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّه قَالَ:« لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ[٦]، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ[٧]، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ » [٨].

---

[١] الجَمْعَاء من البهائم: التي لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع سلامة أعضائها، فلا جَدْعَ بها ولا كيّ. ينظر: لسان العرب (٨/ ٥٣)، تاج العروس (٢٠/ ٤٥٩)، مادة (جمع).

[٢] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، رقم الحديث (١٢٩٣)، (٤٥٦/١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٦٩٢٦)، (٥٢/٨).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث (٧٣٨٦)، (١٥٨/٨).

[٤] الْوَشْمُ: أَنْ يُغْرَز الجِلْدُ بإبْرة، ثُمَّ يُحْشَى بكُحْل أَوْ نِيلٍ، فيَزرَقّ أَثَرُه أَوْ يَخْضَرُّ.

ينظر: معجم مقاييس اللغة (١١٣/٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٩/٥)، مادة (وشم).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢١/٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٠٧٠/٤).

[٦] النَّمَصُ: النتف، والنَّامِصَةُ التي تنتف الشعر من الوجه.

ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام (١٦٦/١)، وتهذيب اللغة (١٤٨/١٢)، مادة (نمص).

[٧] الفَلَج بالتَّحريك: فُرْجَة مَا بَيْنَ الثَّنايا والرَّبَاعيات.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٦٨/٣)، ومختار الصحاح للرازي ص ٥١٧، مادة (فلج).

[٨] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب اللباس، باب المستوشمة، رقم الحديث (٥٦٠٤)، (٢٢١٩/٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، رقم الحديث (٥٦٩٥)، (١٦٦/٦).

القول الثالث: أنَّ المراد الإخصاء، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، وأَنَس بن مَالِك[1]، وعِكْرِمَة، وقَتَادَة[2] في رواية أخرى عنهم.

- **الترجيح:**

مما سبق يظهر – والله أعلم – صحة حمل الآية على جميع المعاني المذكورة؛ لذلك روي عن بعض السلف أكثر من قول عند تفسيره للمعنى.

فالآية عامة يدخل فيها كل تغيير ضار، وما ذكره المفسرون من المعاني السابقة فهو من قبيل التعبير بالمثال؛ إذ لا دليل يدل على تخصيص أحدها دون الآخر، وكما هو معلوم أن نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[3].

قال أبو حيَّان: «من فسره بالوشم أو الخصاء أو غير ذلك مما هو خاص في التغيير؛ فإنَّما ذلك على جهة التمثيل لا الحصر»[4].

وقول من قال إن المراد به دين الله يُعدُّ عاماً؛ لذا علل الطَّبَرِيّ، والوَاحِدِيّ اختيارهم لهذا القول بأنَّه يدخل فيه كل ما نهى الله عنه من خِصَاءٍ ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن وشمه، وغير ذلك من المعاصي، وكل من ارتكب محظوراً، أو أتى منهيًّا، فقد غير دين الله؛ لأن الشيطان لا شك أنَّه يدعو إلى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته[5].

---

[1] أنس بن مالك بن النَّضْر بن ضَمْضَم بن زيد الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة، المقْرِئُ، المحَدِّثُ، رَاوِيَةُ الإسلام، خدم رسول الله –ﷺ– عشر سنين، وحظي بدعوته –ﷺ– له بكثرة المال والولد وطول العمر، توفي سنة ٩١هـ، وقيل: ٩٢هـ، وقيل: ٩٣هـ. ينظر: الاستيعاب (١٠٩/١)، والإصابة (١٢٦/١).

[2] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١٥/٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٠٦٩/٤).

[3] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[4] البحر المحيط (٣٧٠/٣).

[5] ينظر: جامع البيان (٢٢٢/٩)، والبسيط (١٠٢/٧).

قال ابن القيِّم بعد أن ذكر حديث الرسول -ﷺ- السابق:« مَا مِنْ مَوْلُودٍ...» :« فجمع -ﷺ- بين الأمرين: تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنَّه لابد أن يغيرهما، فغير فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح وهذا تغيير خلقة الصورة»[1].

[1] إغاثة اللهفان (١/ ١٠٧).

٢٩- المراد بالخليل

في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ قال أبو بكر الأَنْبَارِيّ: الخليلُ معناه في اللغة المحب الكامل المحبَّةِ، والمحبوب الموفي حقيقة المحبة، اللذان ليس في حبِّهما نقصٌ ولا خللٌ، فتأويل قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ واتخذ الله إِبْرَاهِيْم محبًا له خالص الحب ومحبوبًا له، وشرَّفه بلزوم هذا الاسم له الذي لا يستحق مثله إلا أنبياؤه...وقال بعض أهل العلم: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ أي: فقيرًا إليه لا يجعل فقره وفاقته إلى غيره، ولا ينزل حوائجه بسواه...والخلة: الحاجة، من الإخلال الذي يلحق الإنسان، والخُلَّة الصداقة؛ لأنَّ كل واحد من الخليلين يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة إليه. فهذان القولان ذكرهما أهل المعاني، **والاختيار هو الأول**؛ لأنَّ الله -عَزَّوَجَلَّ- خليل إِبْرَاهِيْم، وإِبْرَاهِيْم خليل الله، ولا يجوز أنْ يقال: الله خليل إِبْرَاهِيْم من الخُلَّة التي هي الحاجة؛ ولأنَّ ابن عَبَّاس قال في قوله:﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ صفياً بالرسالة والنبوة [١]» [٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالخليل في الآية:

القول الأول: أنَّه الصفي والمحب.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والبَغَوِيّ، وابن جُزَي، والشَّوكَاني، والقَاسِمِيّ[١].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (١٢١/٢)، والوجيز (٢٩٢/١).

[٢] البسيط (١١٤/٧).

[٣] ينظر: البسيط (١١٥/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (١٢١/٢)، والوجيز (٢٩٢/١).

واحتج أصحاب هذا القول بأنَّ هذا القول تشريف لإِبْرَاهِيْم -عليه السلام-، وترغيب في اتباعه[٢]، واستَدل الوَاحِدِيّ أيضاً بقول ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما- السابق.

القول الثاني: أنَّه الفقير المحتاج[٣]. واعترض عليه بأنَّ ذلك يقتضي الخُلَّة من الجانبين، ولا يتصور الحاجة من الجانبين[٤]؛ فالله -عز وجل- غني عن جميع خلقه.

- **الترجيح**:

الصواب – والله أعلم – أنَّ الخُلَّة أعلى مقامات المحبة[٥]، وهذه المرتبة حصلت للخليلين إِبْرَاهِيْم ومُحَمَّد – عليهما الصلاة والسلام–، كما يشهد لذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-:« إِنَّ اللَّهَ -تعالى- اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْم خَلِيلا»[٦]؛ فقول الوَاحِدِيّ قاصر؛ لأنَّ الخُلَّة لو كانت بمعنى المحبة أو في مرتبتها كما ذكر؛ لكانت ثابتة لجميع من يستحق المحبة. ومن المعلوم أنَّه لا يصح أنْ تقول: إنَّ الله اتخذ المؤمنين أخلاء؛ لأنَّ الخُلَّة خاصة[٧].

والقول بأنَّ معنى الخليل الفقير المحتاج، يَرد عليه الاعتراض السابق، كما أنَّ هذا القول ليس فيه خاصية لإِبْرَاهِيْم -عليه السلام-؛ لأنَّ الله -تعالى- قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ١٥]؛ فأيّ فضيلة لإِبْرَاهِيْم في هذا القول؟ إذا كان الناس جميعاً

---

[١] ينظر: معالم التنزيل (٢/٢٩٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٢١١)، وفتح القدير (١/٧٨٣)، ومحاسن التأويل (١/٤٧).

[٢] ينظر: معالم التنزيل (٢/٢٩٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٢١١).

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٢/٢٠١)، والكشف والبيان (٣/ ٣٩٣)، ومعالم التنزيل (٢/٢٩٢).

[٤] ينظر: البسيط (٧/١١٥)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٩٢).

[٥] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٢٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢/٤٢٢).

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم الحديث (١٢١٦)، (٢/٦٧).

[٧] ينظر: تفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة النساء) (٢/٢٧١).

فقراء إلى الله -ﷻ-؟ [1].

٣٠- المراد بالكافرين

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤].

قال الوَاحِدِيّ -رحمه الله-:« قال المفسرون: لما ذم الله المنافقين بأنَّهم مرة إلى الكفار ومرة إلى المسلمين من غير أن يقرُّوا مع أحد الفريقين، نهى المسلمين في هذه الآية أنْ يصنعوا كصنيع المنافقين فقال: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعني اليَهُوْد من قُرَيْظَة[2] والنَّضِير[3]؛ وذلك أنَّ الأنصار بالمدينة كان لهم رِضَاع وحِلْفٌ ومَوَدَّة، فقالوا لرسول الله -ﷺ-: مَنْ نَتَولَّى؟ فقال: المهاجرين، ونزلت هذه الآية[4]...وقال مُقَاتِل: كانوا يظهرون المودة للمشركين الذين بمكة، فنهاهم الله عن ذلك[5]، فعلى هذا المراد بالكافرين المشركون، **والقول الأول أظهر**»[6].

---

[1] الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٥٠.

[2] قُرَيْظَة: قبيلة من اليَهُوْد، كانوا يسكنون بظاهر المدينة، وكان بينهم وبين النبي -ﷺ- عهد فنقضوه، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكمه. فحكم فيهم سعد بن معاذ بأن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء. فقال النبي -ﷺ-:" لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة ". ينظر: تاريخ الأمم والملوك (٩٨/٢)، والبداية والنهاية (١١٦/٤)، والهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي ص٧١.

[3] النَّضِير: قبيلة من اليَهُوْد، كانوا يسكنون بظاهر المدينة، وكانوا حلفاء لبني عامر، حاولوا قتل النبي -ﷺ- فأخرجهم إلى خيبر، وتركوا أموالهم فقسمها النبي -ﷺ- بين أصحابه. وأنزل الله تعالى في بني النضير سورة الحشر بأسرها. ينظر: معجم البلدان (٢٩٠/٥)، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة ص٢٦٠.

[4] لم أجده مسنداً، وذكره الرازي في مفاتيح الغيب (٦٩/١١)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣٩٥/٣).

[5] هذا الأثر عن مقاتل لم أقف عليه.

[6] البسيط (١٦٤/٧).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالكافرين في الآية:

القول الأول: أنَّهم اليَهُوْد. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والسَّمَرْقَنْدِيّ[2].

القول الثاني: أنَّهم المنافقون، قاله القَفَّال[3]. واختاره النَّيْسَابُوْرِيّ[4].

القول الثالث: أنَّهم كفار مكة[5].

القول الرابع: أنَّهم كفار مكة وأهل الكتاب من أهل المدينة، ذكره ابن عَاشُور واختاره[6].

- **الترجيح**:

الذي يظهر مما تقدَّم – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في جميع الكافرين، سواء كانوا كفار مكة أو العرب أو أهل الكتاب أو منافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وكما هو معلوم أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[7].

وما ذُكر من أن الآية نزلت في اليَهُوْد فلا يعارض القاعدة المقررة عند جماهير المفسرين من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

---

[1] ينظر: البسيط (١٦٤/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (١٣٣/٢)، والوجيز (٢٩٨/١).

[2] ينظر: بحر العلوم (٣٧٥/١).

[3] ينظر: البحر المحيط (٣٩٥/٣)، ومفاتيح الغيب (٦٩/١١).

والقَفَّال هو: مُحَمَّد بن عَلِيّ بن إسماعيل بن الشاشي الشَّافِعِيّ، أبو بَكْر، الإمام العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، وعنه انتشر مذهب الشَّافِعِيّ بما وراء النهر، صنف في التفسير والأصول والفقه، توفي سنة ٣٦٥هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٢٠٠/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٨٣/١٦).

[4] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٢٠/٢).

[5] ينظر: البسيط (١٦٤/٧).

[6] ينظر: التحرير والتنوير (٢٩١/٤)

[7] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

والآيات التي تنهى المؤمنين عن مولاة الكافرين كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة : ٥١]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾[المائدة:٥٧].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٨٣)، ومفاتيح الغيب (١٤١/٧)، وغرائب القرآن (١٠٢/٢)، والقواعد الحسان لتفسير القرآن (١١/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨١/٢).

٣١- المراد بالظلم

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴾ [النساء: ١٦٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: يريد ظلموا مُحَمَّداً -ﷺ- بكتمان نعته[١]. وقال مُقَاتِل: أشركوا بالله [٢]. **والأول أجود**؛ لأنَّ الكفر ينبئ عن الشرك »[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالظلم في الآية:

القول الأول: أنَّهم ظلموا مُحَمَّداً -ﷺ- بكتمان نعته.

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والنَّسَفِيّ[٥].

القول الثاني: أنَّهم ظلموا مُحَمَّداً -ﷺ- بكتمان نعته، وظلموا أتباعهم بإلقاء الشبهات. واختاره الرَّازِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل [٦].

القول الثالث: أنَّهم أشركوا بالله، وهو قول مُقَاتِل بن سُلَيْمَان[٧].

---

[١] لم أجد فيما بين يدي من المصادر من نسب هذا القول لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢٧٢/١).

[٣] البسيط (٢٠١/٧).

[٤] ينظر: البسيط (٢٠١/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (١٤١/٢)، والوجيز (٣٠٣/١).

[٥] ينظر: مدارك التنزيل (٤١٧/١).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (٩٠/١١)، وغرائب القرآن (٥٣١/٢)، ولباب التأويل (٦٢٦/١)، واللباب في علوم الكتاب (١٤٠/٧).

[٧] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢٧٢/١).

القول الرابع: أنَّهم ظلموا أنفسهم بكفرهم، وظلموا غيرهم.

واختاره الطَّبَرِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن كَثِيْر، والشَّوكَاني، والسّعْدِيّ، وابن عُثَيْمِيْن[1].

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما تقدَّم – والله أعلم – صحة حمل الآية على جميع المعاني السابقة؛ إذ لا تعارض بينها، واللفظ يحتملها جميعاً، فهم ظلموا أنفسهم بالاستمرار على الكفر، وأبعدوها عن طريق الهداية وطمسوا نور الحق فيها وارتكبوا من المآثم ما تردوا به في مهاوي الرذيلة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [هود: ١٠١]، وظلموا غيرهم بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم، وأثاروا الشبهات في قلوب أتباعهم ليضلوهم.

وهذا ما رجحه أصحاب القول الرابع، أما أصحاب القول الأول والثاني فقد قصروا الظلم في الآية على ظلم الآخرين، وقصره مُقَاتِل في القول الثالث على ظلم النفس.

واللفظ – كما سبق – يشمل جميع الوجوه المذكورة، ولا يمكن صرفه لبعضها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها[2]. والقاعدة الترجيحية: أن اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها [3].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٩/٤١١)، والجامع لأحكام القرآن (٦/٢٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢/٤٧٦)، وفتح القدير (١/٨١٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢١٥، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة النساء) (٢/ ٤٩٤).

[2] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥).

[3] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/٤٥٧)، والتحرير والتنوير (١/٩٨)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ - ص٥٩- ٥٦٧.

٣٢- المراد بالقلائد

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة: ٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«اختلفوا في تفسير القلائد هاهنا، فقال أكثر المفسرين: هي الهدايا المقلَّدة...وقال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّيْرِ[١]، وعَطَاء: أراد بالقلائد نفس القلائد؛ وذلك أنّ المشركين كانوا يأخذون من لحاء[٢] سمُر[٣] مكّة وشجرها فيقلِّدونها ويتقلَّدونها فيأمنون بها في الناس، فنهى اللّه - ﷻ- أن يُنزع شجرها فيقلدوه كفعل أهل الجاهلية[٤]. **والظاهر القول الأول**»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالقلائد في الآية:

القـول الأول: أنَّهـا الهـدي المقلَّـد، وهـو قـول ابـن عَبَّـاس[٦]. واختـاره الوَاحِـدِيّ[٧]، والفَرَّاء، والزَّجَّاج، والسّعْدِيّ[٨].

---

[١] مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّيْرِ الحَرَشِيُّ العامري البصري، أبو عبد الله، من كبار التابعين، كان فقيهاً، عابداً، زاهداً، توفي سنة٩٥هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٥/٢١١)، وسير أعلام النبلاء (٤/١٨٧).

[٢] لِحَاءُ السَّمُر: قشرها. ينظر: مختار الصحاح ص٦١٢، ولسان العرب (٩/٢٧٩)، مادة (لحا).

[٣] السَّمُرُ: شَجَرٌ من العِضاة، والعِضَاةُ كُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ، وليس في العضاة شيء أَجود خشباً من السَّمُر. ينظر: غريب الحديث للخطابي (٢/١٤٠)، ولسان العرب (٤/ ٣٧٦)، مادة (سمر).

[٤] أخرجه بمعناه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٤٦٩)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٤/٩)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٠).

[٥] البسيط (٧/٢٢٦).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٤٦٧)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢/٧).

[٧] ينظر: البسيط (٧/٢٢٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ١٤٩)، والوجيز (١/٣٠٧).

[٨] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/ ٢٩٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٤٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢١٨.

القول الثاني: أنَّها ما تقلَّده المحرم؛ وذلك أنَّ الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلَّد من السَّمُر أو نحوه، فإذا رجع تقلَّد كذلك؛ ليعلم أنَّه كان في عبادة فيأمن، وهو قول قَتَادَة[1]. واختاره ابن الفَرَس[2]، وابن جُزَي[3].

القول الثالث: هي القلائد نفسها؛ وذلك أنّ المشركين كانوا يأخذون من لحاء شجر مكّة ونحوها فيقلّدونها فيأمنون بها في الناس فنهى اللّه - ﷻ- أن يُنزع شجرها فيقلّد، وهو قول مُطَرِّفُ بن الشِّخِّيْرِ، وعَطَاء - كما سبق -.

والفرق بين القول الثاني والثالث، أنَّ النهي في الثاني عن التعرض لمن تقلَّد شيئاً من السَّمُر أو نحوه، أما الثالث فالنهي فيه عن نزع شيءٍ من شجر الحرم؛ فالنهي فيه عن استحلال حرمة القلادة لا المقلَّد.

- **الترجيح:**

الذي يترجح مما تقدَّم - والله أعلم - أنَّ القلائد ما كان الناس يقلِّدونه هديهم أو يقلِّدون به أنفسهم أمنة لهم، فنهى الله - ﷻ- عن التعرض لمن تقلَّد شيئاً من ذلك.

ويؤيِّد ذلك ما قاله الطَّبَرِيّ بعد عرضه للأقوال:« والذي هو أولى بتأويل قوله:﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ إذ كانت معطوفة على أول الكلام، ولم يكن في الكلام ما يدلّ على انقطاعها عن أوله، ولا أنَّه عنى بها النهي عن التقلد أو اتخاذ القلائد من شيء، أن يكون معناه: ولا تُحِلّوا القلائد. فإذا كان ذلك بتأويله أولى، فمعلوم أنَّه نَهْيٌ من الله -جل ذكره- عن استحلال حرمة المقلَّد، هديًا كان ذلك أو إنسانًا، دون حرمة القلادة. وإنَّ الله - عز

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٨/٩)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٧/٢).

[2] ينظر: أحكام القرآن لابن الفَرَس (١٨/٢).

وابن الفَرَس هو: عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، المعروف بابن الفرس المالكي، قاض أندلسي، من علماء غرناطة، مفسِّر، لغوي، فقيه، من مصنفاته: أحكام القرآن، وأدب القضاء، توفي سنة ٥٩٧هـ.

ينظر: الذيل والتكملة ص ٥٨، والإحاطة في أخبار غرناطة (٥٤١/٣)، والدِّيباج المذهَّب ص ٢١٨.

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٤٥/١).

ذكره-؛ إنَّما دلّ بتحريمه حرمة القلادة، على ما ذكرنا من حرمة المقلَّد، فاجتزأ بذكره القلائد من ذكر المقلَّد، إذ كان مفهومًا عند المخاطبين بذلك معنى ما أريد به»[1].

[1] جامع البيان (٩/٤٦٩).

٣٣- عَوْد الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾

في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[المائدة: ٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« الظاهر أنَّ هذا الاستثناء من جميع هذه المحرمات التي ذكرت من قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾...وحكى أبو العَبَّاس[١] عن بعضهم أنَّ الاستثناء مما أكل السبع خاصة. **والقول هو الأول**»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾:

القـول الأول: أنَّه عائد إلى جميع ما تقدم من قوله: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، وهو قول عَلِيّ، وابن عَبَّاس، وإِبْرَاهِيْم، والضَّحَّاك، وطَاوُوْس، والحَسَن، وقَتَادَة، وابن زَيْد[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والزَّجَّاج، والبَغَوِيّ، وابن العَرَبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن كَثِيْر، وابن عَاشُور[٥]، وهو قول الجمهور[٦].

---

[١] أبو العباس هو: الْمُبَرِّدُ، ينظر قوله دون نسبة في زاد المسير (٢/٢٨٠)، والبحر المحيط (٣/٤٣٨).

[٢] البسيط (٧/٢٤٥).

[٣] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٥٠٢)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢)، وذكرها ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢/١٧٦)، وأبو حَيَّان في البحر المحيط (٣/٤٣٨).

[٤] ينظر: البسيط (٧/٢٤٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/١٥٢)، والوجيز (١/٣٠٨).

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/١٤٥)، ومعالم التنزيل (٣/١٠)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢/٢٣)، ومدارك التنزيل (١/٤٢٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٢)، والتحرير والتنوير (٥/٢٣).

[٦] حكاه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢/١١)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢/١٧٦)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢/٢٨٠)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦/٥٠)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣/٤٣٨)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٣/٢٢)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (٥/٢٣).

القول الثاني: أنَّه عائد إلى ما أكل السبع خاصة [1].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول أولى وأظهر، وهو أنَّ الاستثناء راجع إلى ما سبق من المذكورات من قوله: ﴿ **وَٱلْمُنْخَنِقَةُ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ** ﴾ فما تحقق أنَّه لم تفض نفسه بل له حياة فإنَّه يذكى[2] ويؤكل.

وهذا هو المنقول عن السلف كما سبق، وتفسيرهم وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم [3].

أمَّا من خص الاستثناء بما أكل السبع فقط، فلا دليل عليه حتى يصار إليه.

[1] ينظر: النكت والعيون (١١/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠٧/١١)، وزاد المسير (٢٨٠/٢).

[2] الذَّكاةُ: الذبح أو النحر بشروطه الشرعية.

ينظر: تهذيب اللغة (١٨٤/١٠)، مادة (ذكا)، ومعجم لغة الفقهاء ص٢١٤.

[3] ينظر: جامع البيان (٥٨٩/١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦١/١٣)، وإعلام الموقعين (١٦٢/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، والموافقات (٢٨٩/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٣/١).

٣٤ - المراد بإكمال الدين

في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وأمَّا معنى إكمال الدين في ذلك: فقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: اليوم أكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك، وخلا الموسم لله ولرسوله ولأوليائه[١]، وهذا قول سَعِيْد بن جُبَيْر، وقَتَادَة[٢]. وقال آخرون: أكملت لكم دينكم ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض، وهذا معنى قول ابن عَبَّاس، والسُّدِّيّ[٣]، **وهو الاختيار**؛ لأنَّ كمال الدين يكون ببيان الأحكام»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بإكمال الدين في الآية:

القول الأول: أنَّ الإكمال بنفي المشركين عن البيت فلم يحج معهم مشرك عامئذ.

قال به قَتَادَة، وسَعِيْد بن جُبَيْر - كما سبق -. واختاره الطَّبَرِيّ [٥].

القول الثاني: أنَّ الإكمال ببيان فرائضه، وحدوده، وأحكامه، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قال به ابن عَبَّاس، والسُّدِّيّ - كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ [٦].

---

[١] لم أقف على هذا الأثر بعد البحث.

[٢] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٠/٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٧/٣) إلى عبد بن حميد.

[٣] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥١٨/٩)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٦/٤)، والماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٣/٢).

[٤] البسيط (٢٥٥/٧).

[٥] ينظر: جامع البيان (٥٢٠/٩).

[٦] ينظر: البسيط (٢٥٥/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ١٥٣)، والوجيز (٣٠٨/١).

وأورد عليه: بأنَّه قد نزل بعد هذه الآية قرآن كثير كآيات الربا، وآية الكلالة [١].

قال الطَّبَرِيّ:«ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول الله -ﷺ- إلى أن قُبِض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعًا»[٢].

القول الثالث: أنَّ الإكمال بإظهار الدين، واستيعابه معظم الفرائض والتحليل والتحريم، وهو قول الجمهور، كما صرح بذلك جمعٌ من المفسرين [٣].

القول الرابع: أنَّ المراد بإكمال الدين رفع النسخ عنه، وأمَّا الفرائض فلم تزل تنزل عليه حتى قُبِض -ﷺ-[٤].

القول الخامس: أنَّ الإكمال بزوال الخوف من العدو والظهور عليهم [٥]. واختاره الزَّجَّاج [٦].

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – أنَّ الأقوال السابقة لا تعارض بينها عدا القول الثاني، فلفظ الإكمال يحتملها جميعها؛ فيكون الإكمال هنا بمعنى نفي المشركين عن البيت، ورفع النسخ، وإكمال معظم الفرائض، وإزالة الخوف من العدو والظهور عليه.

وأمَّا القول الثاني فهو مرجوح ويدفعه أنَّ هناك آيات نزلت بعد نزول هذه الآية.

---

[١] ينظر: المحرر الوجيز (١٧٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦١/٦)، وغرائب القرآن (٥٤٧/٢)، والبحر المحيط (٤٤١/٣)، وفتح القدير (١٧/٢).

[٢] جامع البيان (٥٢٠/٩).

[٣] ينظر: المحرر الوجيز (١٧٩/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٦١/٦)، وغرائب القرآن (٥٤٧/٢)، والبحر المحيط (٤٤١/٣)، وفتح القدير (١٧/٢).

[٤] ينظر: البحر المحيط (٤٤١/٣)، وزاد المسير (٢٨٨/٢)، ولباب التأويل (١٠/٢).

[٥] ينظر: معالم التنزيل (١٣/٣)، والبحر المحيط (٤٤١/٣)، ولباب التأويل (١٠/٢).

[٦] ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٤٨/٢).

فقد ثبت عن البَرَاء بن عَازِب -رضي الله عنه- أنَّه قال: «آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] »[1].

وجاء في الصحيح عن ابن عَبَّاس -رضي الله عنه- قال: «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- آيَةُ الرِّبَا »[2].

قال ابن العَرَبِيّ بعد عرضه للأقوال: « المختار من هذه الأقوال: كلها صحيحة، وقد فعلها الله -سبحانه- فلا يختص بعضها دون بعض، بل يقال إنَّ جميعها مُرَادُ الله، وما تعلق بها مما كان في معناها، إلا أنَّ قوله: إنَّه لم ينزل بعدها آية، ولا ذُكِر بعدها حُكْم، لا يصح»[3].

[1] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة النساء، رقم الحديث (٤٣٢٩)، (١٦٨١/٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة، رقم الحديث (٤٢٣٧)، (٦١/٥).

[2] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، رقم الحديث (٤٢٧٠)، (١٦٥٢/٤).

[3] أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣٩/٢).

٣٥- عَوْد الضمير في ﴿لَّهُۥ﴾

في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ أي: للمتصدِّق الذي هو المجروح، أو ولي الدم. وهذا قول أكثر أهل التأويل...وقال آخرون: الكناية في قوله: ﴿لَّهُۥ﴾ تعود على المتصدَّق عليه، أي: كفارة للمتصدَّق عليه؛ لأنَّه يقوم مقام أخذ الحق منه...**والقول الأول أظهر**؛ لأنَّ العائد فيه يرجع إلى مذكور وهو (مَن)، والثاني يعود إلى مدلول عليه وهو المتصدَّق عليه، دل عليه قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ »[(١)].

- **الدراسة**

المفسرون في عَوْد الضمير في قوله: ﴿لَّهُۥ﴾ على قولين:

القول الأول: يعود على المتصدِّق الذي هو المجروح، أو ولي الدم، وهو قول عَبْد الله بن عَمْر[(٢)]، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ، والشَّعبيّ، والحَسَن، وقَتَادَة[(٣)]. واختاره الوَاحِدِيّ [(٤)]، والطَّبَرِيّ، والجصَّاص، والثَّعْلَبِيُّ، وابن العَرَبِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي، والسَّمِين

[(١)] البسيط (٣٩٩/٧).

[(٢)] عَبْد الله بن عَمْرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، أسلم قبل أبيه، ولم يفته أبوه في السن إلا باثنتي عشرة سنة، كان صواماً، قواماً، حافظاً، عالماً، كتب عن النبي -ﷺ- علماً كثيراً، توفي سنة ٦٣هـ، وقيل: بعدها. ينظر: الاستيعاب (٩٥٦/٣) ، والإصابة (١٩٢/٤).

[(٣)] أخرج هذه الآثار ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٤٦٢/٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦٢/١٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٤٦/٤).

والشَّعبيّ هو: عَامِرُ بن شَرَاحِيْلَ بن عبيد، أبو عمرو الشَّعبيّ، من أئمة التابعين وحفاظهم، كان إمام أهل زمانه في الحديث والفتيا والفقه، توفي سنة ١٠٧هـ. ينظر: وفيات الأعيان (١٢/٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٩٤/٤).

[(٤)] ينظر: البسيط (٤٠٠/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (١٩٣/٢)، والوجيز (٣٢١/١).

الحَلَبِيّ، والشَّوكَاني، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[1]، وغيرهم .

واستُدل لهذا القول:

١. بقوله -ﷺ-:« مَنْ تَصَدَّقَ عَنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ كَفَّرَ اللَّهُ -تعالى- عَنْهُ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ »[2].

٢. أنَّ الضمير ﴿ لَّهُۥ ﴾ عائد إلى مذكور (مَنْ).

القول الثاني: يعود على المتصدَّق عليه، الذي هو الجارح، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، وزَيْد بن أَسْلَم، ورواية أخرى عن إِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ، والشَّعبيّ[3].

قالوا: الضمير يعود على القاتل أو الجارح، وإن لم يجر له ذكر، لكن سياق الكلام يقتضيه[4].

واعترض ابن العَرَبِيّ عليه بقوله:« والذي يقول إنَّه إذا عفا عنه المجروح، عفا الله عنه لم يقم عليه دليل، فلا معنى له »[5].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٣٦٩/١٠)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٩٦/٤)، والكشف والبيان (٧٣/٤)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١١٦/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٨/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٣٣/١)، والدر المصون (٢٨١/٤)، وفتح القدير (٦٩/٢)، وأضواء البيان (٤٠٨/١)، والتحرير والتنوير (١٢٠/٥).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبادة بن الصامت، (٣٣٠/٥)، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب التفسير، باب ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾، رقم الحديث (١١١٤٦)، (٣٣٥/٦).

وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: "صحيح بشواهده وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح" ينظر: مسند أحمد (٣٣٥/٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث (٦١٥١)، (١٠٥٩/٢).

[3] أخرج هذه الآثار ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٤٦٢/٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦٦/١٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٤٦/٤).

[4] ينظر: المحرر الوجيز (٢٣٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٣٣/١)، والبحر المحيط (٥٠٩/٣).

[5] أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١١٦/٢).

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر أن الراجح – والله أعلم – القول الأول لقوة ما استدل به أصحابه.

فمن القواعد المقررة أنَّ إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مُقدَّر؛ إذ في الإعادة إلى المقدَّر مع إمكان حمله على المذكور إخراج للآية عن نظمها دون موجب[1].

قال الطَّبَرِيّ: « فلأن تكون الهاء في قوله:﴿ لَّهُۥ ﴾ عائدةً على (مَنْ)، أولى من أن تكون مِنْ ذِكْر مَن لم يجر له ذكرٌ إلا بالمعنى دون التصريح، وأحرَى؛ إذ الصدقة هي المكفِّرة ذنبَ صاحبها دون المتصدَّق عليه في سائر الصدقات غير هذه، فالواجب أن يكون سبيلُ هذه سبيلَ غيرها من الصَّدقات»[2].

[1] ينظر: جامع البيان (٣٦٩/١٠)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٥/٥)، والدر المصون (٢/ ٢٤٨)، وأضواء البيان (١٣٠/٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٤/٢).

[2] جامع البيان (٣٦٩/١٠).

٣٦- وقت الأمر

في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة :٤٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«قال أهل المعاني: قوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ يحتمل وجهين:أحدهما: أن يكون التقدير: وقلنا: ليحكم أهل الإنجيل، فيكون هذا إخباراً عما فرض عليهم في ذلك من الحكم بما تضمنه الإنجيل ثم حذف القول؛ لأنَّ ما قبله من قوله: ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾[المائدة:٤٦]، يدل عليه. وحذف القول كثير كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد:٢٣-٢٤]، والثاني: أنَّ يكون قوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ ابتداء أمر للنَّصَارَى بالحكم بما في كتابهم.

فإنْ قيل على هذا: كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن؟

قيل: إنَّ أحكام الإنجيل كانت موافقة لأحكام القرآن[١].

وقيل: المراد من هذا الحكم الإيمان بمُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأنَّه كان في الإنجيل ذكر وجوب التصديق به، فهذا الأمر راجع إلى ذلك. **والقول الأول أظهر**»[٢].

- **الدراسة**

المفسرون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أنّ الأمر لمن كان موجوداً قبل مبعث النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ممّن كان الإنجيل الحقّ موجوداً عندهم، فالأمر مقول لقول محذوف، أي: وقلنا: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والزَّمَخْشَرِيّ، وأبو حَيَّان، وابن عُثَيْمِيْن[٤].

---

[١] ليس هذا على إطلاقه، بل نسخ القرآن أكثرها، وهذا فيما يتعلق بالفروع، أمَّا الأصول فهي ثابتة.

[٢] البسيط (٤٠٢/٧).

[٣] ينظر: البسيط (٤٠٣/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ١٩٤)، والوجيز (٣٢٢/١).

[٤] ينظر: الكشاف (٦٧٢/١)، والبحر المحيط (٥١١/٣)، وتفسير سورة المائدة لابن عُثَيْمِيْن (٤٦٤/١).

واستُدل لهذا القول بالآيات قبله من قوله: ﴿ وَكَتَبْنَا ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿وَقَفَّيْنَا ﴾[المائدة:٤٦] [١]، وبأنَّ الأمر بالحكم بما في الإنجيل، بعد بعثة النبيّ -ﷺ- غير ممكن؛ لأنَّ شريعته ناسخة لجميع الشرائع السابقة [٢].

القول الثاني: أنَّ الأمر لمن كان موجوداً في زمن النبيّ -ﷺ- أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، فالأمر أمر ابتداء للنَّصَارَى بالحكم بما في كتابهم. واختاره الجصَّاص، وابن عَطِيَّة، وابن تَيْمِيَّة [٣].

واستُدل لهذا القول بما ذكره شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة:

١. أنَّ الأمر في قوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ أمر من الله - ﷻ-، أنزله على لسان رسوله مُحَمَّد -ﷺ-، وأمر من مات قبل هذا الخطاب ممتنع، فدلّ على أنَّ الأمر إنَّما هو لمن كان موجوداً في زمن النبيّ -ﷺ- أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، والمقصود أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل ممّا لم ينسخه مُحَمَّد -ﷺ-، كما أمر أهل التوراة أن يحكموا بما أنزله ممّا لم ينسخه المسِيْح. فمن حكم من أهل الكتاب بعد مبعث مُحَمَّد -ﷺ- بما أنزل الله في التوراة والإنجيل - ممّا لم ينسخ - لم يحكم بما يخالف حكم مُحَمَّد -ﷺ-؛ إذ كانوا مأمورين في التوراة والإنجيل باتّباعه [٤].

٢. أنَّ القول في الإنجيل هنا، كالقول في التوراة، وقد قال الله -تعالى- في حديثه عن اليَهُوْد قبل هذه الآية: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة :٤٣]، فصرّح بأنَّ عندهم التوراة فيها

---

[١] ينظر: البسيط (٤٠٢/٧).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٥١١/٣).

[٣] ينظر: أحكام القرآن للجصَّاص (٩٦/٤) ، والمحرر الوجيز (٢٣١/٢)، والجواب الصحيح (٤٢٦/٢).

[٤] ينظر: الجواب الصحيح (٤٢٦/٢).

حكم الله، لكنَّهم تولوا عن حكمه، وقال بعد ذلك: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾؛ فهو أمر للنَّصَارَى بما أمر به اليَهُوْد من قبل في زمنه -ﷺ- [1].

- **الترجيح:**

بعد التأمل في الأقوال ومناقشتها يظهر - والله أعلم - أنَّ القول الثاني أقرب للصواب؛ لقوة ما احتجوا به؛ ويؤيِّد هذا القول ويُقَوِّيه:

١. دلالة السياق في الآية نفسها؛ فإنَّ الله - ﷻ- ختمها بقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، وهذا يعمّ السابق واللاحق، لكنّ السابق لا معنى لخطابه، فتعيّن أن يكون الخطاب للاحق.

٢. دلالة السياق في الآيات اللاحقة، فقد قال الله بعد ذلك: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[المائدة: ٦٨]، وهذا يبيّن بطلان ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من قولهم إنّ الأمر في الآية لا يمكن بعد بعثة النبيّ -ﷺ-، فالله - سبحانه - هنا يأمر نبيّه أنّ يبيّن لأهل الكتاب أنّهم ليسوا على شيء ما لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربّهم[2]، ويحكموا به فيما لم يُنسخ بشريعتنا، إذ محال أن يأمر الله أهل الكتاب أن يحكموا بما نسخه على لسان نبيّه وخاتم رسله، فيكون قد أمر بالحكم بمنسوخ، فدلّ ذلك على أنّه لا تعارض بين الأمر بالحكم بما في التوراة والإنجيل، والأمر بالحكم بما أنزل على مُحَمَّد -ﷺ-.

٣. أنَّ القول الأول يحتاج إلى تقدير بخلاف الثاني، ومتى دار الأمر بين التقدير وعدمه فالأولى عدم التقدير[3].

---

[1] المصدر السابق (٢/٤٢٥).

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/١٥٥)، وتفسير السراج المنير (١/٣٠٩).

[3] ينظر: تفسير سورة المائدة لابن عُثَيْمِيْن (١/٤٦٤).

٣٧- المراد بالشرعة والمنهاج

في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال قَتَادَة في قوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ﴾[المائدة: ٤٨]، الخطاب للأمم الثلاث، أمة مُوْسَى، وأمة عِيْسَى، وأمة مُحَمَّد -ﷺ-[١]... وقال مُجَاهِد: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ السبيل الجادة، من دخل في دين مُحَمَّد -ﷺ- فقد جعل له شرعة ومنهاجاً، والقرآن له شرعة ومنهاج[٢]. وعلى هذا القول المراد (بالشرعة) والمنهاج: القرآن، ودين مُحَمَّد-ﷺ- وهو الذي جعل منهاجاً للكل وندب إليه الجميع، وليس المراد الإخبار عن اختلاف الشرائع، واختصاص كل أمة بشريعة، كما ذكره قَتَادَة. **والقول الأول أظهر** وعليه المفسرون»[٣].

- **الدراســـة**

للمفسرين في المراد بالشرعة والمنهاج في الآية قولان:

القول الأول: أنّ المراد الإخبار عن اختلاف الشرائع، واختصاص كل أمة بشريعة، وعليه فالخطاب لأهل الملل المختلفة، فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، وهو قول قَتَادَة -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيُّ، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ[٥]، وهو قول الجمهور[٦].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٦٦/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٣/٢).

[٢] أخرجه بنحوه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٨٦/١٠)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣٧٣/٢).

[٣] البسيط (٤١٠/٧).

[٤] ينظر: البسيط (٤١٢/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ١٩٥)، والوجيز (٣٢٢/١).

[٥] ينظر: جامع البيان (٣٨٦/١٠)، وبحر العلوم (٤١٩/١)، والكشف والبيان (٧٤/٤)، ومعالم التنزيل (٦٦/٣)، ومفاتيح الغيب (١٢/١٢)، ولباب التأويل (٦٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٣٤/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٠/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٣٤.

[٦] حكاه أبو حَيَّان في البحر المحيط (٥١٤/٣)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٤٦٧/١).

واستُدل لهذا القول بسياق الآيات:

١. دلالة السباق، فقد تقدَّم ذكر التوراة والإنجيل والقرآن قبل هذه الآية، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[المائدة:٤٤]، ثم قال: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٤٦]، ثم قال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم قال: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ فالله - ﷻ- شرع الشرائع مختلفة للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، والدين واحد لا يقبل الله إلا الإخلاص.

٢. دلالة اللحاق، فقد قال تعالى بعد ذلك: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة: ٤٨]، فلو كان هذا خطابًا لهذه الأمة لما صح أن يقول: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ وهم أمة واحدة، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم [١].

القول الثاني: أنَّ المراد القرآن، وعليه فالمخاطب بذلك أمة مُحَمَّد -ﷺ-، فقد جعل الله - تعالى- القرآن لكل من دخل في الإسلام شرعة ومنهاجاً [٢]، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بالنظر في القولين السابقين يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول أظهر وأجود، وهو أنَّ المراد بالشرعة والمنهاج الإخبار عن اختلاف الشرائع، واختصاص كل أمة بشريعة، وعليه فالخطاب لأهل الملل المختلفة، فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، وليس خاصاً بأمة مُحَمَّد -ﷺ-، ويُؤَيِّدُه:

---

[١] ينظر لهذه الأدلة في: جامع البيان (١٠/ ٣٨٦)، ومفاتيح الغيب (١٢/١٢)، ولباب التأويل (٦٠/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٠/٣).

[٢] ينظر: جامع البيان (٣٨٦/١٠)، ومعالم التنزيل (٦٦/٣)، وزاد المسير (٣٧٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢١١/٦)، والبحر المحيط (٥١٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٠/٣).

١. سياق الآيات السابقة واللاحقة، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [١].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٣٨ – المخاطب بقوله: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾، والمراد بالقوم المنهي عن اتِّباعهم **في قوله تعالى:** ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ** ﴾ [المائدة :٧٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« يعني بالقوم الذين ﴿ **ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ** ﴾ رؤساء الضلالة من فريقي اليَهُوْد والنَّصَارَى، والآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم وأن يقلدوهم فيما هووا. وقال مُجَاهِد[١] الذين ﴿ **ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ** ﴾ هم اليَهُوْد، وعلى هذا الخطاب للنَّصَارَى فقط...**والأول أظهر**»[٢].

- **الدراسة**

تعددت أقوال المفسرين في الآية، وبعد التأمل والنظر يلاحظ أنَّها ترجع إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّ المخاطب بالآية اليَهُوْد والنَّصَارَى، والقوم المنهي عن اتباعهم هم أسلافهم ورؤساء الضلالة من فريقي اليَهُوْد والنَّصَارَى. واختار هذا القول الوَاحِدِيّ[٣]، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وأبو حَيَّان، وابن عَادِل، والسُّيوطِيّ، والشَّوكَاني، وابن عَاشُور [٤].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٨/١٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١١٨١/٤).

[٢] البسيط (٤٨٩/٧).

[٣] ينظر: البسيط (٤٨٩/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢١٤/٢)، والوجيز (٣٣٠/١).

[٤] ينظر: معالم التنزيل (٨٣/٣)، ومفاتيح الغيب (٥٣/١٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/٦)، ومدارك التنزيل (٤٦٦/١)، ولباب التأويل (٧٨/٢)، والبحر المحيط (٥٤٦/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٤٦٥/٧)، وتفسير الجلالين (١٥٢/١)، وفتح القدير (٩٤/٢)، والتحرير والتنوير (١٧٨/٥).

واستدلوا بأنَّ ظاهر لفظ (أهل الكتاب) يتناول الطائفتين، ولا حاجة لإخراج الكلام عن ظاهره [١].

القول الثاني: أنَّ المخاطب النَّصَارَى، والقوم الذين نهوا عن اتِّباع أهوائهم هم اليَهُوْد. واختاره الطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والثَّعَالِبِيّ[٢].

واعترض عليه ابن جُزَي بقوله: «أنَّه يبعد نهي النَّصَارَى عن اتِّباع اليَهُوْد، مع ما بينهم من الخلاف والشقاق» [٣].

وأجيب: بأنَّ المعنى لا تتبعوا الأهواء كما اتبعتها اليَهُوْد فيكون الكلام تنفيرًا للنَّصَارَى من سلوكهم في دينهم المماثل لسلوك اليَهُوْد؛ لأنَّ النَّصَارَى يبغضون اليَهُوْد ويعرفون أنَّهم على ضلال[٤].

القول الثالث: أنَّ المخاطب النَّصَارَى، والقوم المنهي عن اتِّباعهم هم أسلافهم من النَّصَارَى الضالون المضلون. واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، وابن جُزَي [٥].

واستَدل ابن جُزَي لهذا القول بأنَّ الضلال وصف لازم للنَّصَارَى، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الفاتحة : ٧] [٦].

وأجيب: بأنَّ وصف النَّصَارَى بالضلال لا يعني عدم ضلال غيرهم، فهو يطلق عليهم في القرآن وعلى غيرهم من أهل الكفر والضلال كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦]، وقال حكاية عن إِبْرَاهِيْم -عليه السلام-: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٨٦]، وأخبر عن اليَهُوْد أنَّهم أضل عن سواء السبيل،

---

[١] ينظر: البحر المحيط (٣/٥٤٧).

[٢] ينظر: جامع البيان (١٠/٤٨٧)، والمحرر الوجيز (٢/٢٦١)، والجواهر الحسان (١/٤٧٩).

[٣] التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٤٠).

[٤] ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٦١)، والتحرير والتنوير (٥/١٧٩).

[٥] ينظر: الكشاف (١/٦٩٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٤٠).

[٦] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٤٠).

فقال - ﷻ-: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[المائدة: ٦٠]، وغيرها من الآيات.

- **الترجيح:**

بعد النظر في الأقوال السابقة يظهر - والله أعلم - عموم الوصف بـ(أهل الكتاب) وشموله للطائفتين، وأنَّ المقصود بالقوم في الآية رؤساء الطائفتين وأئمتهم في الضلالة، وهو ما قال به أصحاب القول الأول، ويشهد لذلك إضافة إلى ما سبق:

١. أنَّ الأصل في الخطاب العموم ما لم يرد دليل على تخصيصه[١]؛ ولذا تَعَقَّبَ أبو حَيَّان الأقوال الأخرى بأنَّها تخصيص للعموم من غير داعية إليه [٢].

٢. أنَّ سياق الآيات يشهد لهذا القول، فالحديث قبل ذلك جاء في ذكر ضلال اليَهُوْد ثم أتبعه بذكر كفر النَّصَارَى، ثم جاءت هذه الآية لتكون خطابًا للفريقين[٣]، فالحديث جرى في هذه السورة عن كلا الطائفتين، تارة لهؤلاء، وتارة لأولئك، وتارة يقرن بينهما، مما يتعذر الفصل بينهما إلا فيما يجيء مصرحًا به، أو بما يدل عليه من الآية نفسها، كما قال تعالى في آية النساء: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ ﴾[النساء:١٧١]، حيث دلت قرينة ذكر مقولتهم في نفس الآية على تعيين المخاطبين، وأنَّهم النَّصَارَى تحديدًا.

---

[١] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٣/٥٤٧).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/٥٣).

قال البِقَاعِيّ متحدثًا عن مناسبة هذه الآية لما قبلها: « ولما قامت الأدلة على بطلان قول اليَهُوْد، ثم على بطلان مدَّعى النَّصَارَى، ولم يبق لأحد علة؛ أمره -ﷺ- أن ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل في أمر عِيْسَى -عليه السلام-: اليَهُوْد بإنزاله عن رتبته، والنَّصَارَى برفعه عنها، بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: عامة ﴿لَا تَغْلُواْ﴾ أي: تجاوزوا الحد علواً ولا نزولاً ﴿فِي دِينِكُمْ﴾» [1].

٣. أنَّ الله - تعالى - لما خاطبهم بهذا الخطاب وصف أسلافهم، بقوله سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[المائدة: ٧٨]، مما يدل على أنَّ اللفظ يشمل الطائفتين.

فهذا القول أشد موافقة للسياق سباقاً ولحاقاً.

يقول العِزّ بن عَبْدِ السَّلَام:« إذا احتمل الكلام معنيين، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى» [2].

[1] نظم الدرر (٢/٥١٧).

[2] الإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠.

٣٩ - المراد بطعام البحر

في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾[المائدة: ٩٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلفوا في طعام البحر ما هو، فقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: هو ما لفظه البحر[١]...وقال سَعِيْد بن جُبَيْر، وإِبْرَاهِيْم، وابن المسيَّب[٢]، ومُقَاتِل[٣]، وقَتَادَة[٤]: ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ الطَّري، ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ المليح منه، فسمي الطَّري صيدًا؛ لأنَّه صيد، وسمي المليح طعامًا؛ لأنَّه لما ملِّح وصار عتيقًا سقط عنه اسم الصيد...**والاختيار** أنَّ المراد بالطعام ما نَضَبَ عنه الماء[٥] ولم يُصَد؛ لأنَّ المملَّح صيدٌ»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بطعام البحر في الآية:

---

[١] لم أجده مسنداً، وأخرجه عنه الطَّبَرِيّ من عدة طرق في تفسيره (٦٢/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٢١١/٤).

[٢] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٥/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٢١١/٤).

وابن المسيَّب هو: سعيد بن المسيَّب بن حَزْنٍ بن أبي وهبٍ بن عمرو بن عائذ القرشي المدني، أبو محمد، عالم أهل المدينة، وأحد الفقهاء الكبار، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، لقي جماعة من الصحابة وأخذ عنهم، توفي سنة ٩٣هـ، وقيل: ٩٤هـ، وقيل: غير ذلك.

ينظر: وفيات الأعيان (٣٧٥/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢١٧/٤)، وطبقات الحفاظ ص٢٥.

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٢٢/١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٥/١١)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣/ ١٠٠).

[٥] نَضَب: نضَب الماءُ يَنضُب نُضُوباً، أي: انحسر عنه حتى بدا ما تحت الماء من الأرض.

ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣٤)، والصحاح للجوهري (٢٤٧/٢)، مادة (نضب).

[٦] البسيط (٥٣٠/٧).

القول الأول: ما لفظه البحر، أو ما ألقاه من ميتته، وهو قول أبي بَكْر، وعُمَر بن الخَطَّاب، وابنه عَبْد الله، وأبي أَيُّوْب الأَنْصَارِيّ[1]، وابن عَبَّاس في رواية عنه، وعِكْرِمَة، وقَتَادَة في رواية عنهما، وغيرهم[2]. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والجصَّاص، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والثَّعَالِبِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[4].

واستَدل الطَّبَرِيّ على ذلك بأنَّ الله - تعالى- ذكر قبله الصيد الذي يصاد، فيجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يُصد منه، وأمَّا ما مُلِّح بعد الاصطياد، فقد دخل في جملة قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ فلا وجه لتكريره؛ إذ لا فائدة فيه [5].

قال الشَّنْقِيطِيّ:« وما ذكره بعض العلماء من أنَّ المراد بطعامه قَدِيدُهُ المجفف بالملح مثلاً، وأنَّ المراد بصيده الطَّري منه، فهو خلاف الظاهر؛ لأنَّ القَدِيد من صيده فهو صيد جعل قديداً» [6].

القول الثاني: أنَّ طعامه المملَّح منه، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه[7]، وسَعِيْد بن جُبَيْر، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ، وابن المسيَّب، ومُقَاتِل، وقَتَادَة -كما سبق -.

---

[1] خالد بن زيد بن كليب بن مالك بن النجار، أبو أيوب الأنصاري، شهد العقبة وبدراً وما بعدها، نزل عليه الرسول-ﷺ- وأقام عنده لما قدم المدينة مهاجراً، توفي سنة ٥٠هـ، وقيل: بعدها.
ينظر: الاستيعاب (٤٢٤/٢)، والإصابة (٢٣٤/٢).

[2] أخرج هذه الآثار بمعناها الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦١/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٢١١/٤).

[3] ينظر: البسيط (٥٣٢/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٣١/٢)، والوجيز (٣٣٦/١).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٢١/١)، وجامع البيان (٦٩/١١)، وأحكام القرآن للجصَّاص (١٤٤/٤)، والمحرر الوجيز (٢٨٣/٢) ، ومفاتيح الغيب (٨١/١٢)، والجواهر الحسان (٤٨٩/١)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٤٤، وأضواء البيان (٤٩/١)، والتحرير والتنوير(٢٢٠/٥)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة المائدة) (٤١١/٢).

[5] ينظر: جامع البيان (٦٩/١١).

[6] أضواء البيان (٤٩/١).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٥/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٢١٢/٤).

واعترض عليه بأنَّ المملَّح كان طَرِيّاً وصَيْداً في أول الأمر فيلزم التكرار[١].

القول الثالث: طعامه كل ما فيه، وهو أحد القولين عن أبي بَكْر[٢]، وعِكْرِمَة [٣].

- **الترجيح**:

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – أنَّ المختار هو القول الأول، وهو أنَّ المراد بطعام البحر ما لفظه، أو ألقاه ميتاً؛ لقوة ما استدل به أصحابه، ويُؤَيِّدُه:

١. القاعدة الترجيحية: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[٤]؛ لإفادته معنى جديداً لم يسبق في الكلام.

٢. أنَّه الملائم لسياق الآية، فطعام البحر عطف على صيده، والعطف يقتضي المغايرة؛ لذا فالقول بأنَّه ميتته هو الأنسب.

قال ابن عَاشُور:« ومن العلماء من نقل عنه في تفسير طعام البحر غير هذا مما لا يلائم سياق الآية» [٥].

٣. أنَّه قول جمهور العلماء[٦]، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [٧].

---

[١] ينظر: جامع البيان (٦٩/١١)، ومفاتيح الغيب (٨١/١٢)، والبحر المحيط (٢٦/٤).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٩/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٢١١/٤).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٩/١١)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٩٧/٣).

[٤] ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٣/١)، والإحكام للآمدي (٢٧٦/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٠/٢).

[٥] التحرير والتنوير (٢٢٠/٥).

[٦] حكاه الشَّنْقِيطِيّ في أضواء البيان (٤٩/١).

[٧] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٤٠ - حقيقة تنزل المائدة

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال الحَسَن: والله ما نزلت المائدة، وإنَّ القوم لما سمعوا الشرط في قوله: ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ** ﴾ [المائدة: ١١٥]، استعفوا وقالوا: لا نريدها ولا حاجة لنا فيها، ولو نزلت لكانت عيداً لنا إلى يوم القيامة[١]، وهذا أيضاً قول مُجَاهِد[٢] أنَّ الآية لم تنزل. وابن عَبَّاس[٣]، والباقون من العلماء على أنَّها نزلت، ولكنَّهم مختلفون على كيفية نزولها والطعام الذي كان عليها، والذي نقتصر عليه هنا ما روى عَمَّار بن يَاسِر قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يختبئوا ولا يدخروا، فخان القوم وخبأوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير»[٤]. **والصحيح المختار** قول من قال إنَّها نزلت؛ لتظاهر الآثار بذلك؛ ولكثرة من قال بها من العلماء»[٥].

---

[١] أخرجه بنحوه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣١/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٥٢).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣١/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٢٤٨/٤).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢٧/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٤٥).

[٤] أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، رقم الحديث (٣٠٦١)، (٢٦٠/٥).

وقال الترمذي: «هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاس عن عَمَّار بن يَاسِر موقوفاً، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحزن بن قزعة، حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبي عروبة نحوه ولم يرفعه، وهذا أصح من حديث الحَسَن بن قزعة، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا». وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص٣٢٢.

[٥] البسيط (٥٩٨/٧).

- **الدراسة**

المفسرون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أنَّ المائدة نزلت، وهو قول ابن عَبَّاس، وأبي عَبْد الرَحْمَن السُّلَمِيّ[1]، وعَمَّار بن يَاسِر[2]. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والثَّعْلَبِيُّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وأبو حَيَّان، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَاني، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[4]. وهو قول الجمهور[5].

واحتجوا بالآتي:

١. بأنَّ الله - تعالى - قد وعد بإنزالها في قوله: ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ** ﴾ والله لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الْخُلْفُ[6].

٢. ما رُوي عن عَمَّار بن يَاسِر قال: قال رسول الله -ﷺ-:«أنزلت المائدة من السَّماءِ خبزًا ولحماً، وأُمِروا أن لا يخُونُوا ولا يدَّخِرُوا لغدٍ، فَخَانوا وادَّخَروا ورفعوا لغدٍ،

---

[1] عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، أبو عَبْد الرَحْمَن السُّلَمِيّ، مقرئ الكوفة وعالمها، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي -ﷺ- قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود، تصدّر للإقراء في خلافة عثمان إلى أن مات في سنة ٧٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/٤)، وغاية النهاية (٣٧٠/١).

[2] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢٧/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٤٥).

[3] ينظر: البسيط (٥٩٩/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ١٩٤)، والوجيز (٣٢٢/١).

[4] ينظر: جامع البيان (٢٣١/١١)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٣٨٧/٢)، والكشف والبيان (٤/ ١٢٧)، وتفسير القرآن للسمعاني (٨١/٢)، ومعالم التنزيل (١١٩/٣)، وزاد المسير (٤٦٢/٢)، ومفاتيح الغيب (١١٠/٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٦٩/٦)، ولباب التأويل (١١١/٢)، والبحر المحيط (٦١/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٠/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٦١٥/٧)، وإرشاد العقل السليم (٩٩/٣)، وفتح القدير (١٣٦/٢)، ومحاسن التأويل (٢٩٨/٤)، والتحرير والتنوير (٢٦٩/٥).

[5] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٠٨/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢/ ٤٥٩)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١١٠/١٢)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٦٩/٦)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٦١/٤)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (٢٦٩/٥).

[6] ينظر: المصادر السابقة.

فمسخوا قردةً وخَنَازِير» [1].

القول الثاني: أنَّ المائدة لم تنزل، وهو قول الحَسَن، ومُجَاهِد -كما سبق -.

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ القوم لما سمعوا قوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ استغفروا، وقالوا: لا نريدها، ولا حاجة لنا فيها [2].

وأجيب: بأنَّ قوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ شرطٌ وجزاءٌ لا تعلق له بقوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ [3].

٢. أنَّه وصف المائدة بكونها عيداً لأولهم وآخرهم، فلو نزلت لبقي ذلك العيد إلى يوم القيامة [4].

وأجيب: أنَّ يوم نزولها كان عيداً لهم، ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم [5].

٣. أنَّ خبر المائدة لا يعرفه النَّصَارَى إلا من القرآن، ولم يذكر في الإنجيل الذي بأيديهم [6].

وأجيب: بأنَّ كونها لم تذكر في الإنجيل، فلعل ذلك من جملة ما نسي وترك من دين النَّصَارَى، كما قال الله - ﷻ-: ﴿ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾[المائدة: ١٤] [7].

---

[1] سبق تخريجه ص٢٣٤.

[2] ينظر: الكشف والبيان (٤/ ١٢٧)، ومعالم التنزيل (٣/١١٨)، والمحرر الوجيز (٢/٣٠٨)، والبحر المحيط (٤/٦١).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٢/١١٠).

[4] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٢/١١٠)، وغرائب القرآن (٣/٣٨).

[5] ينظر: المصادر السابقة.

[6] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٢٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٤٩، والتحرير والتنوير (٥/٢٦٩).

[7] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٢٤٩، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة المائدة) (٢/٥٣٥).

قال السّعْدِيّ:« أنَّه لم يذكر في الإنجيل أصلاً؛ وإنَّما ذلك كان متوارثاً بينهم، ينقله الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ والله أعلم بحقيقة الحال» [1].

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الذي اختاره الجمهور أرجح؛ لقوة ما احتجوا به، وما أجابوا به على من قال أنَّها لم تنزل، ويشهد لذلك:

١. ظاهر سياق قوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾.

قال ابن عَاشُور:« وأكّد الخبر بـ(إنَّ) تحقيقاً للوعد، والمعنى إنِّي منزّلها عليكم الآن، فهو استجابة وليس بوعد» [2].

٢. أثر عَمَّار بن يَاسِر المتقدم موقوفاً عليه، ولو صح مرفوعاً لكان حجة يجب المصير إليها.

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[3].

[1] تيسير الكريم الرحمن ص٢٤٩.

[2] التحرير والتنوير (٥/ ٢٦٨).

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٤١- وقت وقوع هذه المقالة لعِيْسَى -عليه السلام-

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[المائدة: ١١٦].

قال الوَاحِدِيّ -رحمه الله-:« عامة المفسرين على أنَّ هذا القول لعِيْسَى -عليه السلام- إنَّما يكون في القيامة إلا السُّدِّيّ [١]، وقُطْرُب [٢]، فإنَّهما ذهبا إلى أنَّ الله - تعالى- قال ذلك لعِيْسَى -عليه السلام- حين رفعه إليه، وتعلقا بظاهر قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ وإذ تستعمل لما مضى. **والصحيح** ما عليه العامة؛ لأنَّ الله - تعالى- عقب هذه القصة بقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[المائدة: ١١٩]، وأراد به يوم القيامة، وإنَّما خرج هذا مخرج المضي وهو للمستقبل؛ تحقيقاً لوقوعه كقوله تعالى:﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾[الأعراف: ٤٤]، ولم ينادوا بعد، لكنَّه بمنزلة ما قد مضى وفعلوا ذلك، من حيث أنَّه لا يعترض الشك في وقوعه» [٣].

- **الدراســـة**

المفسرون على قولين في وقت وقوع هذه المقالة لعِيْسَى -عليه السلام-:

القول الأول: أنَّه حكاية لما سيقال يوم القيامة، وهو قول ابن عَبَّاس[٤]، وقَتَادَة[٥]،

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١١/ ٢٣٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٥٣).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٦)، والشوكاني في فتح القدير (١٣٨/٢).

[٣] البسيط (٥٩٩/٧).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٠٩/٢)، وابن الجوزي في وزاد المسير (٤٦٣/٢).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣٥/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٥٣).

وابن جُرَيْج[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والماوَرْدِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَاني، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[3]. وهو قول الجمهور[4].

واستدلوا بسابق الآية ولاحقها، فقد قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال بعدها: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[المائدة: ١١٩]، فدل على أنَّ هذا القول يوم القيامة[5].

القول الثاني: أنَّ ذلك كان بعد رفع عِيْسَى -عليه السلام- في الدنيا، وهو قول السُّدِّي، وقُطْرُب -كما سبق -. واختاره الطَّبَرِيّ، وأبو حَيَّان، والسَّمِين الحَلَبِيّ، وابن عَادِل[6].

واستدلوا بدليلين:

١. أنَّ إذ تستعمل للماضي[7].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣٤/١١)، وذكره ابن الجوزي في وزاد المسير (٤٦٣/٢).

[2] ينظر: البسيط (٥٩٩/٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٢٤٩)، والوجيز (٣٤٢/١).

[3] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١٩٤٥/٣)، والنكت والعيون (٨٧/٢)، وزاد المسير (٤٦٣/٢)، ومفاتيح الغيب (١١٣/١٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/٣)، والجواهر الحسان (٥٠٠/١)، وإرشاد العقل السليم (١٠٠/٣)، وفتح القدير (١٣٨/٢)، ومحاسن التأويل (٢٩٩/٤)، والتحرير والتنوير (٢٧٠/٥)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة المائدة) (٥٤١/٢).

[4] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٠٩/٢)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٦)، والنَّسَفِيّ في مدارك التنزيل (٤٨٦/١)، وابن جُزَي في التسهيل لعلوم التنزيل (٢٥١/١)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٦٢/٤)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (١٣٧/٢).

[5] ينظر: معالم التنزيل (١٢١/٣)، ومفاتيح الغيب (١١٣/١٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٦)، والتحرير والتنوير (٢٧٠/٥).

[6] ينظر: جامع البيان (٢٣٦/١١)، والبحر المحيط (٦٢/٤)، والدر المصون (٥١١/٤)، واللباب في علوم الكتاب (٦١٧/٧).

[7] ينظر: المصادر السابقة.

وأجيب: بأنَّ كثيرًا من أمور يوم القيامة ذكر بلفظ المضي؛ تحقيقاً لوقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ﴾ [سبأ: ٥١]، أي: يوم القيامة، والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنَّها كالكائنة؛ لأنَّها آتية لا محالة [1].

٢. قوله تعالى حكاية عن عِيْسَى -عليه السلام-: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨]، ومعلوم أنَّ الشرك لا يغفر في الآخرة، فتعين حمله على أنَّه في الدنيا؛ لذا قال الطَّبَرِيّ: «أنَّ عِيْسَى -عليه السلام- لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء، أنَّ الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، فيجوز أن يُتَوهَّم على عِيْسَى -عليه السلام- أن يقول في الآخرة مجيبًا لربه تعالى ذكره: إن تعذّب من اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنَّهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنَّك أنت العزيز الحكيم »[2].

وأجيب: بأنَّ هذا ليس على وجه طلب المغفرة، ولو كان كذلك لقال: فإنَّك أنت الغفور الرحيم، ولكنَّه على تسليم الأمر وتفويضه إلى الله - تعالى -[3].

قال ابن جُزَي:« أنَّ المعنى تسليم الأمر إلى الله -سبحانه-، وأنَّه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأنَّ الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار؛ وإنَّما يقتضي جوازها في حكمة الله تعالى وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع»[4].

---

[1] ينظر: البسيط (٥٩٩/٧)، ومعالم التنزيل (١٢١/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٣٧٤/٦).

[2] جامع البيان (٢٣٦/١١).

[3] ينظر: معالم التنزيل (١٢١/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٢/٣).

[4] التسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٢/١).

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الذي اختاره الجمهور أرجح؛ لقوة ما استدلوا به، وما أجابوا به على أدلة القول الثاني، ويشهد لهذا القول:

١. أنَّه مؤيَّد بالقاعدة الترجيحية: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [١].

٢. ما ثبت عن ابن عَبَّاس-رضي الله عنهما- أنَّ النبي -ﷺ- قام فيهم فوعظهم، وقال:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ -عليه السلام-، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُصَيحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»[٢].

فقول النبي -ﷺ- هذا القول في ذلك الموقف يدل على أنَّه وقت قوله المناسب.

٣. أنَّ هذا القول فائدته ظاهرة، وهي تقريع النَّصَارَى وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة[٣]. وتقريع الكفار وتوبيخهم في الآخرة، والجمع في عذابهم بين العذاب الحسي والمعنوي له نظائر في القرآن الكريم، منها قوله تعالى:﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ

---

[١] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٩٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١١١).

[٢] أخرجه البُخَارِيّ في عدة مواضع في صحيحه، منها: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، رقم الحديث (٤٣٤٩)، (٤/١٦٩١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم الحديث (٧٣٨٠)، (٨/١٥٧).

[٣] ينظر: بحر العلوم (١/٤٥٢)، ومعالم التنزيل (٣/١٢١)، وأنوار التنزيل (٢/٣٨٢).

شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾[النحل: ٢٧]، وقوله:﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾[الشعراء: ٩١- ٩٣]، فهو من هذا القبيل؛ توبيخًا لهم وإظهارًا لبطلان زعمهم وفساد سعيهم.

٤. أنَّ هذا القول أسعد حظًا بأقوال السلف؛ إذ أكثرهم على القول به، كما أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[١].

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٤٢ – مرجع الضميرين ﴿ وَهُمْ ﴾ و ﴿ عَنْهُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ يعني: المشركين ينهون الناس عن اتباع النبي -ﷺ-، عن ابن عَبَّاس[١]، والحَسَن[٢]، والسُّدِّيّ[٣]، فالكناية على هذا تعود إلى النبي -ﷺ-... وقال قَتَادَة، ومُجَاهِد: ينهون عن القرآن ويتباعدون عن سماعه لئلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته[٤]. وقال عَطَاء[٥]، ومُقَاتِل: نزلت في أبي طَالِب، كان ينهى قريشاً عن أذى النبي -ﷺ-، ويتباعد عنه فلا يتبعه على دينه[٦]...والقول الثاني عدول عن الظاهر، وما يقتضيه الكلام الأول، **والوجه** أنْ يقال: أبو طَالِب من هؤلاء الذين ذكرهم الله»[٧].

- **الدراســـة**

المفسرون في مرجع الضميرين في قوله:﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾على قولين:

القول الأول: أنَّ الضمير ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على المشركين، والضمير في ﴿ عَنْهُ ﴾ عائد على النبي -ﷺ-، والمعنى: أنَّ المشركين ينهون الناس عن اتباع النبي مُحَمَّد -ﷺ-،

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١١/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٠٤/٢)، والوَاحِدِيّ في الوسيط (٢٦٢/٢).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١١/١١)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٠٤/٢).

[٤] أخرجه بمعناه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١٢/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧).

[٥] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١٤/١١)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢٠/٣)، والثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٤٢/٤).

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل (٣٤٢/١).

[٧] البسيط (٦٦/٨).

ويتباعدون بأنفسهم عنه، وهو قول ابن عَبَّاس، والحَسَن، والسُّدِّيّ -كما سبق -، ومُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة [١]. واختاره الوَاحِدِيّ[٢]، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والسّعْدِيّ[٣].

وفي معنى هذا القول من قال أنَّ الضمير ﴿عَنْهُ﴾ يعود على القرآن، وهو مروي عن قَتَادَة، ومُجَاهِد -كما سبق -. واختاره ابن جُزي، وأبو حَيَّان، وابن عَاشُور[٤].

وهذان القولان متلازمان؛ فالمشركون يكمن مرادهم في صد الناس عن الحق سواء في تصديق الرسول -ﷺ- واتباعه أو الانقياد للقرآن الذي جاء به والإيمان به.

فالقولان يؤولان إلى معنى واحد؛ لذا قال قَتَادَة في معنى الآية:« ينهون عن القرآن، وعن النبي -ﷺ-» [٥].

وبعض المفسرين جمع بين المعنيين باعتبارهما شيئاً واحداً كالطَّبَرِيّ، والزَّمْخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن كَثِيْر، والشَّوكَاني [٦].

يقول ابن كَثِيْر:«المراد أنَّهم ينهون الناس عن اتباع الحق، وتصديق الرسول، والانقياد للقرآن...وهذا القول أظهر، والله أعلم، وهو اختيار ابن جَرِيْر »[٧].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١١/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧).

وابن الحنفية هو: مُحَمَّد بن عَلِيّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية، نسبته لأمه خولة بنت جعفر الحنفية، أحد الأبطال الأشداء، كان كثير العلم والورع، توفي سنة٨١ هـ.

ينظر: تاريخ مدينة دمشق (٣٧٧/١٣)، ووفيات الأعيان (١٦٩/٤).

[٢] ينظر: البسيط (٦٩/٨)، وذكر القولين في الوسيط ولم يرجح (٢٦٢/٢)، واقتصر عليه في الوجيز (٣٤٩/١).

[٣] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١١)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٣٩/٢)، ومعاني القرآن للنحاس (٤١٠/٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٥٤.

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٥٨)، والبحر المحيط (١٠٤/٤)، والتحرير والتنوير (٥٩/٦).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١٢/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٧٧).

[٦] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١١)، والكشاف (١٥/٢)، وأنوار التنزيل (٤٠١/٢)، ومدارك التنزيل (٤٩٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٤٧/٣)، وفتح القدير (١٥٧/٢).

[٧] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٤٧/٣).

واستُدل لهذا القول بدلالة السياق، فالآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادِلين بالله -سبحانه-، والخبر عن تكذيبهم رسول الله -ﷺ-، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أنَّ يكون قوله: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ خبرًا عنهم، إذ لم يأت ما يدُلُّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم دون أن يكون خبرًا عن خاصٍّ منهم[1]، فالآيات متصلة بأخبار الكفار وقولهم[2]. فقبل هذه الآية عاد الضميرُ المنصوب من قوله:﴿ يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، على القرآن، وأشار إليه بقولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾ وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ خطابٌ للرسول -ﷺ- [3]، أمَّا الآية التي تلت الآية التي معنا فأخبر الله - ﷻ- فيها عن جميع الكفار بقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

القول الثاني: أنَّ الضمير ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على أبي طَالِب، والضمير في ﴿ عَنْهُ ﴾ عائد على الرسول -ﷺ-. والمعنى: أنَّ أبا طَالِب ينهى الكفار عن أذية النبي -ﷺ-، ويتباعد عن الإيمان به، وهو قول عَطَاء، ومُقَاتِل -كما سبق -، والقَاسِم بن مُخَيْمِرَة [4].

واعترض على هذا القول بالآتي:

١. أنَّ النظم القرآني يأباه؛ فجميع الآيات المتقدمة على هذه الآية تقتضي ذم طريقة الكفار، فكذلك قوله: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ ينبغي أن يكون محمولاً على أمر

---

[1] ينظر: جامع البيان (١١/٣١٥).

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٣٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤١١).

[3] ينظر: البحر المحيط (٤/١٠٤)، والدر المصون (٤/٥٨٠).

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١١/ ٣١٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٢٧٦).

والقاسم هو: القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي، أبو عروة، من الطبقة الثانية من تابعي أهل الكوفة، كان ثقةً مع علم وزهد وورع، توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل: بعدها. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٠١)، والنجوم الزاهرة (١/٢٤١).

مذموم، فلو حملناه على أنَّ أبا طَالِب كان ينهى عن إيذائه لما حصل هذا النظم [1].

٢. قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ يعني به ما تقدم ذكره، ولا يليق ذلك بأنْ يكون المراد من قوله: ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ النهي عن أذيته؛ لأنَّ ذلك حسن لا يوجب الهلاك [2].

- **الترجيح:**

يظهر مما تقدَّم – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الأصح؛ لقوة ما استدلوا به، ولسلامته من الاعتراضات الواردة على القول الثاني، ويشهد لهذا القول:

١. أنَّه مؤيَّد بآيات قرآنية، كقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾[فصلت: ٢٦]، فقد كانوا ينهون الناس عن الاستماع للقرآن من النبي-ﷺ-.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عدم ذلك[3].

٢. أنَّه موافق للسياق، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له [4].

٣. أنَّ الأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص [5].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (١٥٦/١٢)، وروح المعاني (١٢٧/٧).

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (١٥٦/١٢).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[4] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[5] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٤٣ - المراد بالصُّور

في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وأمَّا الصُّور فقال: الفَرَّاء، والزَّجَّاج: يقال: إنَّ الصُّور قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ، ويقال: الصور جمع صورة ينفخ في صور الموتى - والله أعلم-[١]، قال الزَّجَّاج: وكلاهما جائز، وأثبتهما في الحديث والرواية أنَّ الصُّور قرن[٢]. وقال أبو عُبَيْدَة: الصُّور جمع صورة[٣]...قال أبو الْهَيْثَمِ: وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلم الله عن مواضعه؛ لأنَّ الله قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]، فمن قرأها: {وَنُفِخَ فِي الصُّوَرِ} وقرأ: {فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله، وكان أبو عُبَيْدَة صاحب أخبارٍ وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو[٤]...واحتج أهل التفسير على أنَّ المراد بالصُّور هاهنا القرن بقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨]، ولم يقل: فيها...وبما ورد في الأخبار من ذكر النفخ في القرن»[٥].

- **الدراســـة**

المفسرون على قولين في المراد بالصُّور في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾:

القول الأول: أنَّه قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ.

واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن،

---

[١] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/٣٤٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٤).

[٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٦٤).

[٣] ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٤١٦)، (٢/١٦٢).

[٤] ينظر: تهذيب اللغة (١٢/١٦٠)، مادة (صور).

[٥] البسيط (٨/٢٣١).

[٦] ينظر: البسيط (٨/٢٣٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/٢٨٨)، ولم يفسره في الوجيز (١/٣٦١).

وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والشَّوكَاني[1]، وهو قول الجمهور [2].

واستُدل لهذا القول بالآتي:

١. أنَّ ظاهر القرآن يشهد أنَّه ينفخ في الصور مرتان، ينفخ فيه للصعق ثم للبعث، كما في آية الزمر، حيث قال ابن عَبَّاس في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: يعني بالصور: النفخة الأولى، ألم تسمع أنَّه يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ يعني: الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨] [3]. فدل ذلك على أنَّه ليس المراد النفخ في صور الموتى؛ لأنَّه لا ينفخ في الصور للبعث مرتان إنَّما ينفخ مرة واحدة [4].

٢. الأحاديث النبوية التي تشهد لهذا المعنى، ومنها:

- حديث عَبْد الله بن عَمْرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» [5].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، وبحر العلوم (٤٧٩/١)، ومعالم التنزيل (١٥٧/٣)، ومفاتيح الغيب (٢٨/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢١/٧)، ولباب التأويل (١٤٨/٢) وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٨١/٣)، والجواهر الحسان (٥٣٣/١)، وفتح القدير (١٨٩/٢).

[2] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٦٥/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٦٩/٣)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٥٣٣/١).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٤/١١)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٤/ ١٣٢٤).

[4] ينظر: البسيط (٢٣٢/٨).

[5] أخرجه النسائي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الكهف قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، رقم الحديث (١١٣١٢)، (٣٩٢/٦)، وأخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور، رقم الحديث (٢٤٣٠)، (٦٢٠/٤). وقال:" هذا حديثٌ حسنٌ". وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الأهوال، رقم (٨٦٨٠)، (٦٠٤/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

- حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ -رضي الله عنه- [1] أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:« كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» [2].

القول الثاني: أنَّ الصُّور جمع صورة، فيكون المراد النفخ في صور الموتى.

قال بهذا القول أبو عُبَيْدَة. وأيَّدوه بقراءة الحَسَن بفتح الواو (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ)، وهي قراءة شاذة [3].

واعترض عليه بما يلي:

١. قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر: ٦٨]، فلو كان الصُّور جمع صورة، لقال: (فيها)، ولم يقل (فيه) [4].

٢. لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصور لأضافه تعالى إلى نفسه؛ لأنَّ نفخ الأرواح في الصُّوَر يضيفه الله إلى نفسه كما قال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء:٩١]، وأمَّا نفخ الصُّور بمعنى النفخ في القرن، فأهل التفسير مجمعون على أن الذي ينفخ فيه إسرافيل -عليه السلام- [5]، والله - تعالى - لا يضيفه إلى نفسه كما قال: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾

---

[1] سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، استصغر بأحد ثم شهد ما بعدها، كان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، روى الكثير من الأحاديث، توفي سنة ٧٤هـ. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٦٠٢)، والإصابة (٣/ ٧٨).

[2] أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة الزمر، رقم الحديث (٣٢٤٣)، (٣٧٢/٥)، وقال:"هذا حديثٌ حسنٌ". وأخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري، رقم الحديث (١١٠٣٩)، (٨٩/١٧).
وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث (١٠٧٩)، (٦/٣).

[3] ينظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص٤٤، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص٣٧٤.

[4] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧)، ولباب التأويل (١٤٨/٢).

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧).

[المدثر: ٨]، وقال:﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨][1].

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما تقدَّم – والله أعلم – صواب قول الجمهور، ويشهد لذلك:

١. أنَّ الثابت في الأحاديث أنَّ الصور قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ، والحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [2].

٢. أنَّه مؤيد بآيات قرآنية أخرى، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾، والقاعدة أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عدم ذلك كما قرره جمهور المفسرين[3].

٣. أنَّ معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة؛ لأنَّ الشاذ لا يقوى على منازعة الثابت المجمع عليه[4]، فقراءة الجمهور بسكون الواو ﴿ٱلصُّورِ﴾[5] مقدَّمة على القراءة الشاذة بفتح الواو.

٤. أنَّ القول الثاني مردود بما في الكتاب والسنة -كما سبق -.

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨/١٣).

[2] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[4] ينظر: جامع البيان (٥٠٧/١٦)، وأضواء البيان (٤٣٠/٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٩٢/١).

[5] ينظر: الدر المصون (٦٩٣/٤)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص ٣٧٤.

٤٤- المراد بقوله: ﴿ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال الضَّحَّاك: سأل كل واحد من القوم أن يخص بالوحي والرسالة كما أخبر الله عنهم في قوله:﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴾ [المدثر:٥٢][1]، وظاهر الآية يدل على هذا؛ لأنَّ الكناية في قوله:﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ﴾ تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم، فعلى هذا أراد القوم أن تكون لهم النبوة والرسالة كما كانت لمحَمَّد -ﷺ-. وقال ابن عَبَّاس: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ ﴾ يريد: من علم الغيب الذي أطلع الله نبيه عليه مما يخبرهم به ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ ﴾ لن نصدق ﴿ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ يريد: حتى يوحي إلينا ويأتينا جِبْرِيْل فنصدِّق به[2]، وعلى هذا القوم لم يريدوا النبوة وإنَّما طلبوا أن تخبرهم الملائكة بصدق مُحَمَّد -ﷺ- كما قالوا: ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٩٢]، وكما قالوا: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ ﴾ [الأنعام: ٨]. **والأول أقوى**؛ لقوله:﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ يعني: أنَّهم ليسوا لها بأَهلٍ، وعلى قول ابن عَبَّاس يتوجه هذا على أنَّ من أرسل إليه الملك وكلمه عياناً حصلت له منزلة الرسل ومرتبة الأنبياء، وليسوا لهذا بأَهلٍ »[3].

---

[1] لم أجده مسنداً، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١١٨/٣)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٤٣/١٣).

[2] لم أجده مسنداً، وذكره الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٤٤/١٣)، وأبو حَيَّان في البحر المحيط (٢١٨/٤).

[3] البسيط (٤١٢/٨).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المقصود بالآية:

القول الأول: أنَّ المشركين طلبوا أن تكون لهم النبوة والرسالة كما كانت لمحَمَّد -ﷺ-، وهو قول الضَّحَّاك - كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي، وأبو حَيَّان، وابن كَثِيْر، والشَّوكَاني، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[2].

واستدل لهذا القول بالآتي:

١. الأثر الوارد في سبب نزولها، وهو أنَّ الوَلِيد بن المغِيرَة[3] قال: « واللّه لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك؛ لأنِّي أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً» وقال أبو جَهْل: «واللّه لا نؤمن به، ولا نتبعه أبداً إلاّ أن يأتينا وحي كما يأتيه» [4].

٢. سياق الآيات، فقوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، يدل على أنَّ المكر المذكور هو قول أكابرهم: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾[5]، وأيضاً قوله - ﷻ- بعد ذلك:

---

[1] ينظر: البسيط (٨/٤١٣)، وذكر القولين في الوسيط (٢/٣١٩) ولم يرجح، واقتصر عليه في الوجيز (١/٣٧٤).

[2] ينظر: جامع البيان (١٢/٩٥)، وبحر العلوم (١/٤٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٨٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٧٤)، والبحر المحيط (٤/٢١٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣/٣٣٢)، وفتح القدير (٢/٢٣١)، ومحاسن التأويل (٤/٤٨٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٧١، وأضواء البيان (١/٤٩٢).

[3] الوَلِيد بن المغِيرَة بن عَبْد الله بن عَمْرو بن مخزوم، والد خالد بن الوليد، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وزنادقتها، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، توفي بعد الهجرة بثلاثة أشهر.
ينظر: الكامل في التاريخ (١/ ٦٦٨)، والبداية والنهاية (٢/٣٠١).

[4] ينظر: الكشف والبيان (٤/١٨٧)، ومعالم التنزيل (٣/١٨٥)، والكشاف (٢/٥٩)، والبحر المحيط (٤/٢١٨).

[5] ينظر: مفاتيح الغيب (١٣/١٤٣).

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ أليق بهذا القول، حيث أخبر سبحانه أنَّه يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها، ومن لا يستحقها ممن ليس بأهل لها [1].

٣. النظائر القرآنية التي تشهد لهذا المعنى: كقوله تعالى: ﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴾ [المدثر: ٥٢]، فكل واحد منهم أراد أن يخص بالوحي والرسالة، وقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ [الزخرف: ٣١]، وظاهر هذه الآية يشهد لذلك أيضاً؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ وهذا يدل على أنَّ جماعة منهم كانوا يقولون هذا الكلام[2].

القول الثاني: أنهم لم يطلبوا النبوة، ولكن قالوا: لا نصدقك حتى يأتينا جِبْرِيْل والملائكة يخبروننا بصدقك[3]، وهو قول ابن عَبَّاس - كما سبق -، والحَسَن [4].

واستُدل لهذا القول بقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٩٠-٩٢] وقوله: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ ﴾[الأنعام: ٨][5]. فهذه الآيات تدل على أنَّهم طلبوا بعض الدلائل لإثبات نبوته -ﷺ- وتصديقه.

---

[1] ينظر: البسيط (٤١٣/٨)، ولباب التأويل (١٨٠/٢).

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (١٤٣/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٣٢/٣).

[3] ينظر: البسيط (٤١٢/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٨٠/٧).

[4] لم أجده مسنداً، وذكره الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٤٤/١٣)، وأبو حَيَّان في البحر المحيط (٢١٨/٤).

[5] ينظر: البسيط (٤١٢/٨)، وغرائب القرآن (١٥٨/٣).

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما تقدَّم – والله أعلم – أنَّ القول الأول أولى وأرجح من الثاني، وإن كان الثاني محتملاً إلا أنَّ الأول أليق بالآية، ويشهد لذلك:

١. سياق الآيات كما سبق.

٢. النظائر القرآنية التي تشهد لهذا المعنى.

٣. الآثار التي ذكر المفسرون أنَّها وردت في نزول الآية.

٤٥- المراد بالرسل

في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلفوا هل كان من الجن رسول أم لا؟ فالأكثرون على أنَّه لم يكن من الجن رسول، وإنَّما كانت الرسل من بني آدم...وقال الضَّحَّاك: من الجنِّ رسل كما من الإنس رُسل[١]. والآية تدل على ذلك، **والقول هو الأول**، وهو ما ذكرنا أنَّ رسل الجنّ لم يكونوا مرسلين بنص الله -تعالى-؛ وإنَّما كانوا نذراً على الوجه الذي بيّنا»[٢].

- **الدراســـة**

للمفسرين قولان في المسألة:

القول الأول: أنَّ الرسل من الإنس خاصَّة وليس من الجنِّ رسل؛ وإنَّما هم نُذُر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وهو قول ابن عَبَّاس[٣]، ومُجَاهِد[٤]، وابن جُرَيْج [٥]. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والفَرَّاء، والنَّحَّاس، والجصَّاص،

---

[١] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢١/١٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (١٩٠/٣)، والرازي في مفاتيح الغيب (١٥٩/١٣).

[٢] البسيط (٤٤٤/٨).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢٢/١٢)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٩١/٤).

[٤] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٣٨٩/٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٩/٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢٢/١٢)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٩١/٤).

[٦] ينظر: البسيط (٤٤٤/٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٣٢٣)، والوجيز (٣٧٥/١).

ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، والسَّمِين الحَلَبِيّ، وابن كَثِيْر، وابن عَاشُور [1]، وهو قول جمهور المفسرين[2].

واحتجوا لهذا القول بالآتي:

١. قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ إلى أن قال: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]، فهذه الآيات تدل على أنَّ الرسل من الإنس[3].

٢. قوله تعالى عن إِبْرَاهِيْم -عليه السلام-: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾[العنكبوت: ٢٧]، فحصر النبوة والكتاب بعد إِبْرَاهِيْم -عليه السلام- في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إنَّ النبوة كانت في الجنِّ قبل إِبْرَاهِيْم الخليل -عليه السلام- ثم انقطعت عنهم ببعثته[4].

القول الثاني: أرسل من الجنِّ رسل، كما أرسل من الإنس رسل، وهو قول الضَّحَّاك -كما سبق-، وبهذا القول فسَّر الآية مُقَاتِل بن سُلَيْمَان [5].

واحتجوا بظاهر الآية: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ فالخاطب للفريقين جميعاً[6].

واعترض عليه من وجوه:

---

[1] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/٣٥٤) ، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٩٢)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٤/١٢٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣/٢١٨٧)، والمحرر الوجيز (٢/٤٠٨)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٨٦)، وأنوار التنزيل (٢/٤٥٣)، ولباب التأويل (٢/١٨٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٧٣)، والدر المصون (٥/١٥٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣/٣٤٠)، والتحرير والتنوير (٧/٥٧).

[2] حكاه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٣/١٦٠)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٣/١٦٦)، والخَازِن في لباب التأويل (٢/١٨٤).

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣/٣٤٠).

[4] ينظر: المصدر السابق (٣/٣٤٠).

[5] ينظر: تفسير مُقَاتِل (١/٣٧٠).

[6] ينظر: لباب التأويل (٢/١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣/٣٤٠).

١. أنَّ الخطاب جرى عليهما على سبيل التجوّز المعهود في كلام العرب تغليباً للإنس لشرفهم[١]، فحذف المضاف، أي: من أحدكم وهم الإنس، وهذا كقوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦]، أي: في إحداهن وهي سماء الدنيا، وقوله: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[الرحمن: ٢٢]؛ وإنَّما يخرج من المالح دون العذب[٢].

٢. لا يبعد أنَّ يقال: إن الرسل كانوا من الإنس، ثم كان من الجنِّ نفر يستمعون من رسول الإنس وينذرون قومهم بذلك، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] وقد يسمى رسول الرسول رسولاً كما أنَّه تعالى سمَّى رسل عِيْسَى -عليه السلام- رسل نفسه، فقال سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ ﴾ [يس: ١٤][٣].

فالاستدلال بظاهر الآية يَرِدُ عليه عدَّة احتمالات كما سبق؛ لذا قال ابن كَثِيْر: «وفي الاستدلال بها على ذلك نظر؛ لأنَّها محتملة وليست بصريحة»[٤].

٣. أنَّ حكمة الله -تعالى- تأبى أن يكون هناك رسل من الجنِّ؛ لأنَّ الرسالة تشريف وتكريم وتعظيم، فلا يليق أن تجعل إلا في أشرف الأجناس من الملائكة والبشر، وجنس الجن أحط من البشر؛ لأنَّهم خلقوا من نار[٥].

---

[١] ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٨/٢)، والبحر المحيط (٢٢٥/٤).

[٢] ينظر: الكشف والبيان (١٩٢/٤)، ومعالم التنزيل (١٩٠/٣)، والبحر المحيط (٢٢٥/٤).

قال ابن جُزَي في التسهيل(١٧٣/٢): "زعم قوم أنَّه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب، وهذا قول يبطله الحس".

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٦٠/١٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٦٦/٣).

[٤] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٤٠/٣).

[٥] ينظر: التحرير والتنوير (٥٧/٧)، وشرح العقيدة السفارينية لابن عُثَيْمِيْن ص٤٩٦.

- **الترجيح:**

الـذي يظهـر مما تقـدَّم – والله أعلـم – أنَّ القـول الأول أقـوى وأولى بالـصواب؛ لقـوة أدلته، وسلامته من الاعتراضات الواردة على القول الثاني.

وهو قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[1].

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٤٦- المراد بقوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال الكَلْبِيّ: لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم رسولهم فينهاهم فإن رجعوا وإلا أتاهم العذاب[١]...وهذا قول جميع المفسرين[٢]، والظلم على هذا ظلمهم الذي هو ذنوبهم ومعاصيهم. وقال الفَرَّاء: يجوز أن يكون المعنى: لم يكن ليهلكهم بظلم منه وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] أي: بظلم منه[٣]...**والقول في معنى الآية هو الأول**»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿**بِظُلْمٍ**﴾ في الآية:

القــول الأول: أنَّ الله لا يهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا، دون أن ينذرهم، ويرسل إليهم الرسل، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى، وهو قول مُجَاهِد[٥]، والكَلْبِيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والطَّبَرِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والرَّازِيّ،

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٧٢/٢)، وأبو حَيَّان في البحر المحيط (٢٢٧/٤).

[٢] ما حكاه الوَاحِدِيّ من الإجماع لا يصح؛ لوجود مخالف في المسألة.

[٣] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٥٥/١).

[٤] البسيط (٤٤٦/٨).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٢/ ٣٢٤)، والبغوي في معالم التنزيل (١٩٠/٣).

[٦] ينظر: البسيط (٤٤٤/٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٣٢٤)، والوجيز (٣٧٦/١).

والخَازِن - ونسبه لجمهور المفسرين-، وابن جُزَي، وأبو حَيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[1].

وعلل هذا القول الطَّبَرِيّ بقوله: «لأنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ عقيب قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فكان في ذلك الدليل الواضحُ على أنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ إنَّما هو: إنَّما فَعَلْنا ذلك من أجل أنَّا لا نهلك القرى بغير تذكيرٍ وتنبيه»[2].

القول الثاني: أنَّ المعنى: ما كان الله مهلك أهل القرى دون التنبيه والتذكير بالرسل، فيظلمهم بذلك، وهو سبحانه يتعالى عن الظلم، بل يهلكهم بعد أن يستحقوا ذلك وترتفع الغفلة عنهم بإرسال الأنبياء. وبمعنى هذا القول فسَّر الفَرَّاء الآية[3].

وهذا القول يوهم أنَّه تعالى لو أخذهم قبل بعثة الرسل كان ظالماً، وليس الأمر كذلك؛ لأنَّه تعالى يحكم ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله، غير أنَّه أخبر أنَّه لا يعذب قبل بعثة الرسل[4]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ونفى سبحانه عن نفسه الظلم في آيات كثيرة من كتابه، كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥١]، وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

---

[1] ينظر: جامع البيان (١٢٤/١٢)، وتفسير القرآن للسمعاني (١٤٦/٢)، ومفاتيح الغيب (١٦١/١٣)، ولباب التأويل (١٨٥/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٥/١)، والبحر المحيط (٢٢٧/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٤٢/٣)، والجواهر الحسان (٥٦٠/١)، ومحاسن التأويل (٤٩٥/٤)، والتحرير والتنوير (٦٢/٧).

[2] جامع البيان (١٢٤/١٢).

[3] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٥٥/١).

[4] ينظر: مفاتيح الغيب (١٦٢/١٣)، ولباب التأويل (١٨٥/٢)، والبحر المحيط (٢٢٧/٤).

وثبت عن النبي -ﷺ- أنَّه قال: « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي »[1].

- **الترجيح:**

مما سبق يظهر أنَّ الراجح – والله أعلم – هو القول الأول، ويؤيِّده:

١. تفسير النبي -ﷺ- الظلم بالشرك استناداً على ما ورد في آية لُقْمَان: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣][2].

٢. يشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، وجه الدلالة: أنَّ الظلم من أهل القرى.

٣. أن هذا قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[3].

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، رقم الحديث (٦٧٣٧)، (١٦/٨).

[2] سبق تخريجه ص٦٧.

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٤٧- المراد بالحق

في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلفوا في معنى قوله: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾ أي حقّ هو؟ فقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يعني: زكاته يريد به: العشر ونصف العشر[١]...وقال بعضهم: هذا حق في المال سوى الزكاة، أمر الله -تعالى- به تأديباً وحضاً على البرِّ، فإن فعل فحسن، فإن لم يفعل فلا شيء على تاركه، وليس بأمر حتم... وفي الآية قول ثالث، وهو: إنَّ هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرضت الزكاة نسخ هذا...**والقول هو الأول** »[٢].

- **الدراسة**

اختلف في المراد بالحق في هذه الآية على أقوال:

القول الأول: أنَّه الزكاة المفروضة (العشر ونصف العشر)، وعليه فالآية محكمة.

وممن قال بهذا ابن عَبَّاس في رواية عنه، ومُحَمَّد بن الحنفية في رواية عنه، وأَنَس بن مَالِك، وسعيد بن المسيَّب، والضَّحَّاك، وطَاوُوْسُ، والحَسَن، وقَتَادَة، وابن زَيْد[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، وأبو عبيد القاسم بن سلَّام، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٥] . ونسبه الماوَرْدِيّ للجمهور[٦].

---

[١] ذكره الرازي في مفاتيح الغيب (١٧٥/١٣) عن عَطَاء عن ابن عباس، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٥٨/١٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٣٩٨/٥) من عدة طرق عن ابن عباس.

[٢] البسيط (٤٧٦/٨).

[٣] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٥٨/١٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٥/ ١٣٩٨).

[٤] ينظر: البسيط (٤٧٩/٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٣٠/٢)، والوجيز (٣٧٨/١).

[٥] ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلَّام ص٣٣، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٣٢/٢)، ومفاتيح الغيب (١٧٥/١٣)، وغرائب القرآن (١٧٨/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٢٧٦، والتحرير والتنوير (٩٠/٧).

[٦] ينظر: النكت والعيون (١٧٨/٢).

ويَرِدُ على هذا القول: بأنَّ الزكاة فرضت بالمدينة، وسورة الأنعام مكية [١].

وقد أجاب ابن العَرَبِيّ عن ذلك، فقال:« فإن قيل الآية منسوخة بأنَّها مكية وآية الزكاة مدنية، قلنا: قد قال مالك: إنَّ المراد به الزكاة المفروضة، وتحقيقه في نكتة بديعة، وهي أن القول في أنَّها مكية أو مدنية يطول، فَهَبْكُمْ أنَّها مَكِّيَّةٌ، إن الله أوجب الزكاة بها إيجاباً مجملاً فَتَعَيَّنَ فرض اعتقادها، ووقف العمل بها على بيان الجنس والقدر والوقت، فلم تكن بمكة حتى تَمَهَّدَ الإسلام بالمدينة، فوقع البيان، فَتَعَيَّنَ الامتثال، وهذا لا يَفْقُهُهُ إلا العلماء بالأصول» [٢].

وقال ابن عَاشُور: «وقول بعض المفسرين: الزكاة فرضت بالمدينة، يحمل على ضبط مقاديرها بآية: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهي مدنية، ثم تطرقوا فمنعوا أن يكون المراد بالحق هنا الزكاة؛ لأنَّ هذه السور مكية بالاتفاق، وإنَّما تلك الآية مؤكدة للوجوب بعد الحلول بالمدينة؛ ولأنَّ المراد منها أخذها من المنافقين أيضاً؛ وإنَّما ضبطت الزكاة، ببيان الأنواع المزكاة ومقدار النصب والمخرج منه بالمدينة، فلا ينافي ذلك أن أصل وجوبها في مكة» [٣].

القول الثاني: أنَّه حق غير الزكاة أُمر به يوم الحصاد وهو إطعام من حضر، أن يخلي بين المساكين وبين ما تساقط من الزرع والثمر.

وممن قال بهذا سَعِيْد بن جُبَيْر في رواية عنه[٤]، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ في رواية عنه [٥]،

---

[١] ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٤٢٤، ومعالم التنزيل (١٩٥/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٧/١).

[٢] أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٣٥/٢).

[٣] التحرير والتنوير (٩١/٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٣/١٢)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٩٩).

[٥] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٢/ ٤٠٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٦/١٢).

ومُجَاهِد[1]، والرَّبِيْع بن أَنَس[2]، وحَمَّاد بن زَيْد[3].

أمَّا الأمر في الآية فمن العلماء من حمله على الوجوب كالقَاسِمِيّ[4]، ومنهم من حمله على الندب كابن عَطِيَّة[5].

قال القَاسِمِيّ: «ومما يؤيده أنَّه تعالى ذم الذي يصْرِمونَ[6] ولا يتصدقون، حيث قصّ علينا سوء فعلهم وانتقامه منهم، قال تعالى في سورة (ن): ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ١٧- ٢٠]»[7].

وضعَّف النَّحَّاس قول من قال إنَّ الآية على الندب، فقال: « وهذا القول لا نعرف أحداً من المتقدمين قاله، وإذا تكلم أحد من المتأخرين في معنى آية من القرآن قد تقدَّم كلام المتقدمين فيها فخرج عن قولهم لم يلتفت إلى قوله ولم يعد خلافاً فبطل هذا»[8].

القول الثالث: أنَّ هذا الحق كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها.

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٣/١٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٥/ ١٣٩٨).

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٧/١٢)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٩٨/٤).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٣/١٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٣٩٨/٥).

وحماد هو: حَمَّاد بن زَيْد بن دِرْهَمٍ الأَزْدِيُّ، أبو إسماعيل، يعرف بالأزرق، أصله من سبي سجستان، مولى آل جرير بن حازم، شيخ العراق في عصره، من حفاظ الحديث المجودين، خرج حديثه الأئمة الستة، توفي بالبصرة سنة ١٧٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٥٦/٧)، وصفة الصفوة (٣٦٤/٣).

[4] ينظر: محاسن التأويل (٥٠٦/٤).

[5] ينظر: المحرر الوجيز (٤١٥/٢).

[6] الصَّرْمُ: القطعُ البائنُ للحبْل والعِذْق.

ينظر: كتاب العين (١٢٠/٧)، وتهذيب اللغة (١٣٠/١٢)، مادة (صرم).

[7] محاسن التأويل (٤/ ٥٠٦).

[8] الناسخ والمنسوخ للنَّحَّاس ص ٤٢٤.

وممن قال به ابن عَبَّاس، وابن الحنفية[١]، وسَعِيْد بن جُبَيْر[٢]، وإِبْرَاهِيْم النَّخَعِيّ[٣] في رواية أخرى عنهم، وقال به السُّدِّي، وعَطِيَّة العَوْفِيُّ[٤]. واختاره الطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس[٥].

ويَردُ عليه: بأنَّ دعوى النسخ لا تصح في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه، وامتنع الجمع بينها وبين ناسخها، أمَّا إذا أمكن العمل بهما جميعاً فلا معنى للقول بالنسخ[٦].

- **الترجيح:**

بعد عرض الأقوال في المسألة ومناقشتها يظهر – والله أعلم – أنَّ المراد بالحق في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ هو الزكاة المفروضة؛ إذ إنَّ أكثر أهل العلم يرى أنَّ هذه الآية محكمة، وليست منسوخة، فلا حاجة لدعوى النسخ؛ لأنَّه لا تعارض بين معنى هذه الآية وبين عامة آيات الزكاة، ولا بينها وبين ما جاء في السنة من تحديد أنصبة الزكاة ومقاديرها.

قال ابن كَثِيْر:« وفي تسمية هذا نسخاً نظر؛ لأنَّه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ثم إنَّه فُصِّل بيانه وبُيِّن مقدار المخرج منه وكميته» [٧].

---

[١] أخرجه عنهما ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٢/ ٤٠٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٢).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤١٩.

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٩/١٢)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤٢٠.

[٤] أخرجه عنهما ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٢/ ٤٠٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٩/١٢).

وعَطِيَّة هو: عَطِيَّة بن سعد بن جُنَادَة العَوْفِيُّ الكوفي، أبو الحسن، من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث، أخذ القرآن ومعانيه، وروى عن ابن عَبَّاس وأبي هريرة – ﷺ –، توفي سنة ١١١هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٥)، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١٣.

[٥] ينظر: جامع البيان (١٢٤/١٢)، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٢٨.

[٦] ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٦٧٣، والإحكام لابن حزم (١٦٧/٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٦٣/١).

[٧] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٤٩/٣).

ويشهد لهذا القول حديث الرسول -ﷺ- حين جَاءَه رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ. فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» [1].

فتبيَّن بهذا الحديث أنَّه لا فرض على المسلمين من الصدقة إلا الزكاة.

[1] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم الحديث (٤٦)، (١/٢٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، رقم الحديث (١٠٩)، (١/٣١).

٤٨- المراد بالذين فرقوا دينهم

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾ قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد: المشركين بعضهم يعبدون الملائكة يزعمون بأنَّهم بنات الله، وبعضهم يعبد الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس: ١٨] [١]، فهذا معنى: ﴿ **فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا** ﴾ أي: فرقًا وأحزابًا في الضلالة، فتفريقهم دينهم أنَّهم لم يجتمعوا في دينهم الذي هو شرك على شيء واحد. وقال مُجَاهِد[٢]، وقَتَادَة[٣]، والكَلبِيّ[٤]: هم اليَهُوْد والنَّصَارَى، وهو قول مُقَاتِل[٥] أيضًا، والسُّدِّي[٦]، **وأصح القولين**، واختيار الفَرَّاء[٧]، والزَّجَّاج[٨]» [٩].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالذين فرقوا دينهم في الآية:

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٤/٨)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (١٤٣/٧).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣/ ٢٠٨)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٣/ ٣٧٦).

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٢٢/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/ ٢٦٩).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الوَاحِدِيّ في الوسيط (٣٤١/٢).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١/ ٣٨٠).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/ ٢٦٩)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣/ ١٥٨).

[٧] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/ ٣٦٦).

[٨] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٨).

[٩] البسيط (٨/ ٥٤٩).

القول الأول: أنَّهم المشركون؛ لأنَّهم لم يتفقوا على صورة واحدة في الدين، فقد عبدت القبائل أصناما مختلفة، وكان بعض العرب يعبدون الملائكة، وبعضهم يعبد الشمس، وبعضهم يعبد القمر، وكانوا يجعلون لكل صنم عبادة تخالف عبادة غيره، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية -كما سبق-. واختاره النَّسَفِيّ، وأبو السُّعُوْد، وابن عَاشُور[1].

القول الثاني: أنَّهم اليَهُوْد والنَّصَارَى؛ لأنَّ النَّصَارَى تفرقوا فرقاً وكفر بعضهم بعضاً، وكذلك اليهود، وهم أهل كتاب واحد، واليَهُوْد تكفر النَّصَارَى، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية [2]، ومُجَاهِد في رواية، وقَتَادَة، والسُّدِّي، ومُقَاتِل -كما سبق-، والضَّحَّاك[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والفَرَّاء، والزَّجَّاج[5].

القول الثالث: أنَّهم اليَهُوْد خاصة، وهو قول مُجَاهِد في رواية[6].

القول الرابع: أنَّهم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة، قال به أَبُو هُرَيْرَة، حيث قال: قال رسول الله -ﷺ- في هذه الآية: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ** ﴾، وليسوا منك، هم أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة [7].

---

[1] ينظر: مدارك التنزيل (٢/ ٧٠٠)، وإرشاد العقل السليم (٧/ ٦٠)، والتحرير والتنوير (٧/ ١٤٣)،

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/ ٢٧٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٥/ ١٤٣٠)، وهي رواية عَطِيَّة العَوْفِيّ.

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/ ٢٧٠)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣/ ١٥٨).

[4] ينظر: البسيط (٨/ ٥٥٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٣٤١)، والوجيز (١/ ٣٨٤).

[5] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/ ٣٦٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٠٨).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/ ٢٦٩)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣/ ١٥٨).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢/ ٢٧٠)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الأوسط (١/ ٢٠٧)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٣/ ٣٧٧)، وقال: هذا الإسناد لا يصح، فإنَّ عباد بن كثير متروك الحديث.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يترجح – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق. وهذا الذي يوافق ظاهر التنزيل، فالاسم الموصول (الذين) في الآية من صيغ العموم، والقاعدة الترجيحية: أنَّ الأصل في الخطاب العموم ما لم يرد دليل على تخصيصه[1].

قال الطَّبَرِيّ في معرض اختياره للعموم:«والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أخبر نبيه -ﷺ- أنَّه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه، وكانوا فرقًا فيه وأحزابًا شيعًا، وأنَّه ليس منهم، ولا هم منه؛ لأنَّ دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام، دين إِبْرَاهِيم الحنيفية، كما قال له ربه وأمره أنْ يقول: ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[سورة الأنعام: ١٦١]. فكان من فارق دينه الذي بعث به -ﷺ- من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إِبْرَاهِيم المسلم، فهو بريء من محمد -ﷺ-، ومحمد منه بريء، وهو داخل في عموم قوله:﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾»[2].

[1] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[2] جامع البيان (١٢/ ٢٧١).

٤٩- المراد بالأجل

في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« في هذه الآية قولان: أنَّ المراد بهذا أجل العذاب...القول الثاني: أنَّ المراد بهذا الأجل أجل العمر؛ فإذا انقطع ذلك الأجل ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ بعد الأجل ساعة، وكأنَّ **القول الأول أقوى**؛ لقوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾، ولم يقل: ولكل أحد أجل»[١].

- **الدراسة**

المفسرون في معنى الأجل على قولين:

القول الأول: أنَّه أجل العذاب، والمعنى: أنَّه تعالى أمهل كل أمَّة كذبت رسولها إلى وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخرهم عنه، وهو قول ابن عَبَّاس، والحَسَن[٢]، ومُقَاتِل[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والثَّعَالِبِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٥].

---

[١] البسيط (٩/١١٠).

[٢] لم أقف على الأثر عنهما مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٢/٣٦٥)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣/٢٢٦).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل (١/٣٨٩).

[٤] ينظر: البسيط (٩/١١٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/٣٦٥)، والوجيز (١/٣٩٢).

[٥] ينظر: بحر العلوم (١/٥٢٨)، والكشاف (٢/٩٧)، والمحرر الوجيز (٢/٤٦١)، وأنوار التنزيل (٣/١٨)، ومدارك التنزيل (١/٥٦٦)، والجواهر الحسان (٢/١٦)، ومحاسن التأويل (٥/٤٩)، والتحرير والتنوير (٨/٨٠).

وأورد على هذا القول أنَّه ليس لكل أمَّة من الأمم وقت معين في نزول عذاب الاستئصال[١].

وأجيب: بأنَّ هذا العذاب كان في الأمم الهالكة، وقد انتهى ببعثة خاتم النبيين، المخاطب بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ لكن انتهاءه عند الله لا يمنع جعله إنذاراً لقومه خاصة بهلاكهم إنْ أعطوا ما اقترحوه من الآيات إرضاء لعنادهم، ليعلم أهل البصيرة بعد ذلك أنَّ منعهم إياه إنَّما كان رحمة بهم وبغيرهم[٢].

القول الثاني: أنَّ الأجل مدّة العمر[٣]. واختاره الطَّبَرِيّ [٤].

وأورد عليه أنَّه ينبغي أنَّ يقال: ولكل إنسان أو أحد أجل [٥].

وأجيب: بأنَّه أفرد الأجل؛ لأنَّه اسم جنس، أو لتقارب أعمار أهل كل عصر فجعلهم كالواحد في مقدار العمر، أو لكون التقدير: لكل واحد من أمَّة [٦].

- **الترجيح:**

بالنظر في القولين السابقين يظهر – والله أعلم – صحة حمل الآية على المعنيين؛ لأنَّها تحتملها من غير تضاد. ويؤيِّد ذلك:

١. أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص [٧].

---

[١] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٢٧/٣).

[٢] ينظر: تفسير المنار (٣٥٨/٨).

[٣] ينظر: زاد المسير (٢٢٧/٣)، ولباب التأويل (٢٢٥/٢)، والبحر المحيط (٢٩٥/٤).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٠٠/١٥).

[٥] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٢٧/٣).

[٦] ينظر: لباب التأويل (٢٢٦/٢)، والبحر المحيط (٢٩٥/٤).

[٧] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٢. أنَّ الكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها، والأولى حملها على جميع تلك المعاني [١].

قال الشَّوكَاني في معرض تفسيره لهذه الآية: «ويجوز أنْ تحمل الآية على ما هو أعم من الأمرين جميعا» [٢].

[١] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

[٢] فتح القدير (١/٢٩٥).

٥٠- كم فرقة كانت أهل القرية؟

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال أهل التفسير: افترق أهل القرية ثلاث فرق؛ فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾...وقال بعضهم: وكانوا فرقتين: فرقة نهت عن السوء، وفرقة عملت بالسوء...**والقول الأول أصح**؛ لأنَّهم لو كانوا فرقتين وكان قوله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ خطاباً من الناهية للمعتدية لقالوا: (ولعلكم تتقون)»[(١)].

- **الدراسة**

اختلف المفسرون في هذه الفرقة التي قالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ على قولين:

القول الأول: أنَّ القوم كانوا ثلاث فرق؛ فرقة عاصية هالكة، وفرقة ناهية زاجرة، وفرقة ساكتة، وهذا القول من قول الفرقة الساكتة للفرقة الناهية، وهو قول ابن عَبَّاس[(٢)].

واختاره الوَاحِدِيّ[(٣)]، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن الجَوْزِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن تَيْمِيَّة، والخَازِن، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل،

---

(١) البسيط (٤١٢/٩).

(٢) أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٥/١٣)، وذكره السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٥٧٣/١)، والثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٩١/٤).

(٣) ينظر: البسيط (٤١٥/٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٢٠/٢)، والوجيز (٤١٨/١).

وأبو السُّعُوْد، والسّعْدِيّ[1]، وهو قول الجمهور[2].

القول الثاني: أنَّ القوم كانوا فرقتين؛ فرقة عاصية هالكة، وفرقة ناهية زاجرة، وهذا من قول الفرقة الهالكة للفرقة الناهية، وهو قول الكَلْبِيّ[3]، واختاره السَّمَرْقَنْدِيّ[4].

واعترض عليه بأنَّهم لو كانوا فرقتين وكان قوله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ خطاباً من الفرقة الناهية للفرقة المعتدية لقالوا: (ولعلكم تتقون)؛ لأنَّ الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية [5].

- **الترجيح:**

يظهر مما تقدم – والله أعلم – أنَّ القوم ثلاث فرق؛ فرقة عاصية هالكة، وفرقة ناهية، وفرقة ساكتة، وقوله:﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ من قول الفرقة الساكتة للفرقة الناهية، ويشهد لذلك:

١. أنَّ الضمائر في الآية تؤيد هذا القول؛ فالفرقة الساكتة لما رأت مجاهرة الفرقة الناهية بالنصح والوعظ، ورأت طغيان العاصية وعتوها، قالت للناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فأجابتها الناهية، بقولها: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لعل العصاة

---

[1] ينظر: الكشف والبيان (٢٩٦/٤)، ومعالم التنزيل (٢٩٤/٣)، والمحرر الوجيز (٥٣٧/٢)، وزاد المسير (٢٧٧/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٧)، وغرائب القرآن (٣٣٨/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٨٢/١٧)، ولباب التأويل (٣٠٣/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣١٠/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٩٠/١)، والجواهر الحسان (٦٢/٢)، واللباب في علوم الكتاب (٣٦٠/٩)، وإرشاد العقل السليم (٢٨٥/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٠٦.

[2] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥٣٧/٢)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٧)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٦٢/٢)، والشَّوكَاني في فتح القدير (٣٧٤/٢).

[3] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٣٩/٢)، وحكاه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٥/١٣) عن الكَلْبِيّ.

[4] ينظر: بحر العلوم (٥٧٣/١).

[5] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٣/١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠٧/٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٣٨/٣).

أن يتقوا الله ويمتثلوا أمره؛ ولو كان الخطاب للمعتدين لقالوا: (ولعلكم تتقون)، فهذه القرائن تشهد لهذا القول، والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[2].

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٥١- المراد بالاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال المفسرون: يعني: الأصنام، وقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس:يريد الملائكة [١]، **وهذا القول ضعيف** من جهتين؛ إحداهما: أن المشركين في ذلك الوقت كانوا يعبدون الأصنام لا الملائكة؛ ولأنَّه قال: بعد هذه الآية: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ الآية، فدلت هذه على أنَّه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية» [٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد بهم الأصنام.

واختاره الوَاحِدِيّ [٣]، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والبَغَوِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والقُرْطُبِي، والخَازِن، وابن جُزي، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَاني، وابن عَاشُور [٤].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣/٣١٥)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢/٥٦١)، وأبو حَيَّان في البحر المحيط (٤/٤٣٩)، كلهم عن مُقَاتِل.

[٢] البسيط (٩/٥٢٨).

[٣] ينظر: البسيط (٩/٥٢٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٣٧٩)، والوجيز (١/٤٢٧).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٣/٣٢١)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٣/١١٧)، ومعالم التنزيل (٣/٣١٥)، وزاد المسير (٣/٣٠٦)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٣٤٢)، ولباب التأويل (٢/ ٣٢٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٣١٦)، وإرشاد العقل السليم (٣/٣٠٦)، وفتح القدير (١/٤٠٤)، والتحرير والتنوير (٨/٣٩٣).

القول الثاني: أنَّ المراد بهم الملائكة. ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس، وبعض المفسرين نسبه إلى مُقَاتِل[1].

واعتُرض على هذا القول من وجهين:

١. أنَّ العرب لم يعبد منهم الملائكة إلا طوائف قليلة عبدوا الجن والملائكة مع الأصنام، وليست هي الديانة العامة للعرب[2].

٢. لحاق هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[الأعراف: ١٩٤]، يدل على أنَّه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية [3].

- **الترجيح:**

مما سبق يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أقوى وأظهر، وهو أنَّ المراد بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في الآية الأصنام، ويشهد لذلك:

١. أنَّه موافق للسياق، والكلام إذا احتمل معنيين، وكان أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى[4].

٢ . ذهاب أكثر المفسرين إلى القول بأنَّ الآية في الأصنام، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[5].

---

[1] ينظر: معالم التنزيل (٣/٣١٥)، والمحرر الوجيز (٢/٥٦١)، ولباب التأويل (٢/٣٢٦)، والبحر المحيط (٤/٤٣٩).

[2] ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/٢٣١).

[3] ينظر: البسيط (٩/٥٢٨).

[4] ينظر: الإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠.

[5] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٥٢- عَوْد الضمير في ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ** ﴾ قال الفَرَّاء هذه (الهاء) للإرداف، أي: ما جعل الله الإرداف إلا بشرى[١]، وقال الزَّجَّاج: ما جعل الله المدد إلا بشرى[٢]. **وهذا أولى**؛ لأنَّ الإمداد بالملائكة كانت به البشرى»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ** ﴾:

القول الأول: أنَّ الضمير عائد على الإمداد بالملائكة.

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٥].

واحتجوا بأنَّ الإمداد بالملائكة كانت به البشرى[٦].

---

[١] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/٤٠٤).

[٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٠٣).

[٣] البسيط (١٠/٤٧).

[٤] ينظر: البسيط (١٠/٤٧)، واقتصر عليه في الوسيط (١/٤٨٩)، والوجيز (١/٢٣٠).

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٤٠٣)، وبحر العلوم (٢/١٠)، والكشف والبيان (٤/٣٣٢)، ومعالم التنزيل (٣/٣٣٣)، والكشاف (٢/١٩٢)، ومفاتيح الغيب (١٥/١٠٥)، وأنوار التنزيل (٣/٩٢)، واللباب في علوم الكتاب (٩/٤٦٤)، وإرشاد العقل السليم (٤/٨)، ومحاسن التأويل (٥/٢٦٣)، والتحرير والتنوير (٩/٣٤).

[٦] ينظر: البسيط (١٠/٤٧)، ومفاتيح الغيب (١٥/١٠٥)، واللباب في علوم الكتاب (٩/٤٦٤).

القول الثاني: أنَّه عائد على الوعد الدال عليه قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]. واختاره ابن عَطِيَّة، والثَّعَالِبِيّ[١].

وقال ابن عَطِيَّة: « وهذا عندي أمكن الأقوال من جهة المعنى»[٢].

القول الثالث: أنَّه عائد على الاستجابة؛ لأنَّها مؤنث مجازي[٣].

القول الرابع: أنَّه عائد على الإرداف.

واختاره الفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والخَازِن[٤].

- **الترجيح**:

مما سبق يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ جميع الأقوال السابقة محتملة وإن كان أظهرها الأول؛ لأنَّ الإمداد بالملائكة بشرى للمسلمين، بأنَّ الله سينصرهم على عدوهم.

وإلى هذا القول ذهب أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٥].

[١] ينظر: المحرر الوجيز (٢/٥٧٨)، والجواهر الحسان (٢/٨٦).

[٢] المحرر الوجيز (٢/٥٧٨).

[٣] ينظر: البحر المحيط (٤/٤٦١)، واللباب في علوم الكتاب (٩/٤٦٤).

[٤] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١/٤٠٤)، وجامع البيان (١٣/٤١٧)، ولباب التأويل (٣/١٢).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٥٣- المخاطب بقوله تعالى:

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« الأكثرون على أنَّ هذا خطاب للمشركين...وقال أُبَيّ بن كَعْب [١] وعَطَاء الخُرَاسَانِيّ [٢]: قوله:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ خطاب لأصحاب النَّبي-ﷺ- يقول: إن تستنصروا الله وتسألوه الفتح فقد جاءكم الفتح والنصر[٣]، ثم عاد إلى خطاب الكفار فقال: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. ومن أهل المعاني من يجعل جميع الآية خطاباً للمؤمنين على هذا القول، فيقول: معنى قوله: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: عن المنازعة في الأنفال، ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ إلى مثل ما كان منكم من المنازعة فيها نعد للإنكار عليكم، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئاً مع منع نصر الله لكم. **والوجه ما عليه عامة المفسرين** أنَّ الآية بأسرها خطاب للمشركين»[٤].

---

[١] أُبَيّ بن كَعْب بن قيس بن عبيد بن مالك بن النَّجَّار الأنصاري، يكنى: أبا المنذر، وأبا الطفيل، سيِّد القراء، من فضلاء الصحابة، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها، جمع القرآن في حياة النبي -ﷺ- وهو أول من كتب لرسول الله -ﷺ- حين قَدِم المدينة، أثنى عليه عُمَر -رضي الله عنه- فقال: أُبَيٌّ سيد المسلمين، توفي سنة ٢٢ هـ، وقيل: ٢٣هـ. ينظر: الاستيعاب (٦٥/١)، والإصابة (٢٧/١) .

[٢] عطاء بن أبي مسلم الخرساني، المحدث، الواعظ، أحد الأعلام، نزل الشام وأرسل عن جماعة من الصحابة، وروى عن الزهري وسعيد بن المسيب وخلق، وثقه ابن معين وأبو حَاتِم والدارقطني، روى له الجماعة، توفي سنة ١٣٥هـ. ينظر: تهذيب الكمال (١٠٦/٢٠)، وسير أعلام النبلاء (١٤٠/٦).

[٣] ذكره عنهما الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٤٠/٤)، وأخرجه بمعناه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٥/ ١٦٧٥) عن عطاء.

[٤] البسيط (٧٦/١٠).

▪ الدراسة

أقوال المفسرين في المخاطب بقوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ ﴾:

القول الأول: أنَّ الخطاب للمشركين، وهو قول ابن عَبَّاس[١]، ومُجَاهِد[٢]، والضَّحَّاك، والسُّدِّي، وابن زَيْد[٣].

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن الجَوْزِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والشَّوكَاني، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[٥]، وهو قول أكثر المفسرين[٦].

واستُدل لهذا القول بالآتي:

١. سبب نزول الآية، قال عَبْد الله بن ثَعْلَبَة [٧]:« كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ أَبَا جَهْلٍ، وإنَّه قَالَ حِينَ الْتَقَى بالقوم: اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَأَتَانَا بِمَا لَمْ نَعْرِف، فَأَحْنِهِ[٨] الْغَدَاةَ،

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥١/١٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٦٧٥/٥).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥١/١٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٢/٤) إلى عبد بن حميد.

[٣] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٣/١٣)، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٤٥٠/٢).

[٤] ينظر: البسيط (٨٠/١٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٥٠/٢)، والوجيز (٤٣٤/١).

[٥] ينظر: جامع البيان (٤٥٠/١٣)، وبحر العلوم (١٤/٢)، وزاد المسير (٣٣٥/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٢٤/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢/٤)، والجواهر الحسان (٩٠/٢)، وفتح القدير (٤٣٢/٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص٣١٧، وأضواء البيان (٥١/٢).

[٦] حكاه أبو حيَّان في البحر المحيط (٤٧٣/٤)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٩٠/٢)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (٥٤/٩).

[٧] عَبْد الله بن ثَعْلَبَة بن صغير العُذْرِيُّ، قيل: إنه ولد قبل الهجرة، وقيل: بعدها، قال البَغَوِيّ: رأى النبي -ﷺ- وحفظ عنه وله صحبة، وقال غيره مسح النبي -ﷺ- وجهه ورأسه عام الفتح ودعا له، توفي سنة ٨٧هـ، وقيل: بعدها. ينظر: الاستيعاب (٨٧٦/٣)، والإصابة (٣١/٤).

[٨] أَحْنِه: أهلكه، والحَيْنُ بفتح الحاء: الهلاك.

ينظر: جمهرة اللغة (٥٧٥/١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٤٤٧/٣)، مادة (حين).

وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله -تعالى- في ذلك: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾» [1].

وقال السُّدِّي: «كان المشركون حين خرجوا إلى النبي -ﷺ- من مكة، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله، وقالوا: اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين، فقال الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ يقول: قد نصرتُ ما قلتم، وهو مُحَمَّد -ﷺ- » [2].

٢. سياق الآية، فقوله: ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ يؤكد أنَّ المخاطبين أعداء الله المحاربون له، وقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يفيد أنَّ الخطاب لغير المؤمنين [3].

القول الثاني: أنَّ الخطاب للمؤمنين [4].

واستدلوا لهذا القول بالسياق لحاقاً، فقوله تعالى بعده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]، خطاباً للمؤمنين [5].

---

[1] أخرجه الوَاحِدِيّ في أسباب النزول ص ٣٩٥، من طريق يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن عَبْد الله بن ثَعْلَبَة بن صغير، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٧/٢)، من الطريق نفسه، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٣٦٦١)، (٦٥/٣٩)، من طريق يزيد بن هارون، عن ابن إِسْحَاق، عن الزهري عن عَبْد الله بن ثَعْلَبَة. وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: "صحيح وهذا إسناد حسن من أجل ابن إِسْحَاق".

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٣/١٣)، وذكره عنه الوَاحِدِيّ في البسيط (٧٦/١٠)، وابن كثير في تفسيره (٣٣/٤).

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣٢٤/١)، وأضواء البيان (٥١/٢).

[4] ينظر: معالم التنزيل (٣٤٢/٣)، ومفاتيح الغيب (١١٥/١٥)، والبحر المحيط (٤٧٣/٤).

[5] ينظر: أنوار التنزيل (٣/ ٩٨)، وروح المعاني (١٨٨/٩).

وأجيب: بأنَّ هذا القول يأباه معنى قوله: ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ ويأباه أيضاً قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وتوجيه ذلك لا يمكن إلا بتكلف وتعسف[1].

ولذا اضطر الرَّازِيّ حين جوَّز هذا القول أن يتأول معنى الآية بقوله: «فإنَّ الله لا يكون إلا مع المؤمنين الذين لا يرتكبون الذنوب»[2].

القول الثالث: أنَّ الخطاب في قوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ للمؤمنين، والخطاب في قوله بعده: ﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ للكافرين، وهو قول أُبَيّ بن كَعْب، وعَطَاء الخُرَاسَانِيّ -كما سبق-.

وضُعِّف هذا القول بأنَّ فيه تفكيكاً للنظم، وعود الضمائر الجارية في الكلام على نمط واحد إلى طائفتين مختلفتين[3].

وردَّه الآلُوْسِيّ بقوله: «ولا يخفى أنَّه خلاف الظاهر جداً»[4].

- **الترجيح:**

مما سبق يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول أصح وأولى، وهو أنَّ الخطاب للمشركين على سبيل التهكم بهم، ويشهد له:

١. ما صح في سبب نزول هذه الآية، ويؤيِّده القاعدة الترجيحية: إذا صح سبب النزول فهو مرجِّح لما وافقه من أوجه التفسير[5].

---

[1] ينظر: فتح القدير (٢/٤٣٣).

[2] مفاتيح الغيب (١٥/١١٥).

[3] ينظر: فتح القدير (٢/٤٣٣).

[4] روح المعاني (٩/١٨٨).

[5] ينظر: الناسخ والمنسوخ للنَّحَّاس ص٤٤٨، والمحرر الوجيز (٢/٥٧٠)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢١٥).

٢. أنَّه ظاهر القرآن ولا يعدل عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه[١].

٣. أنَّ هذا القول هو الأليق بالسياق كما تقدَّم، بخلاف القولين الآخرين.

٤. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] ينظر: جامع البيان (١٢/ ٢٣٧)، ومفاتيح الغيب (١٧١/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وأضواء البيان (٢٣٢/٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٥٤- سبب فعلهم للمكاء والتصدية

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: كانت قريش يطوفون بالبيت عراةً يُصفِّرون ويُصفِّقون[١]. وقال مُجَاهِد: كانوا يعارضون النبي -ﷺ- في الطواف ويستهزءون به ويصفِّرون يخلطون عليه طوافه وصلاته[٢]. وقال مُقَاتِل: كان إذا صلى رسول الله -ﷺ- في المسجد يقومون يمينه ويساره بالصفير والتصفيق ليخلطوا عليه صلاته [٣]. فعلى ما ذكره مُجَاهِد ومُقَاتِل كان التصدية والمكاء إيذاء للنبي -ﷺ-، وعلى قول ابن عَبَّاس كان ذلك نوع عبادة لهم...**وهذا القول أشبه بظاهر اللفظ**؛ لأنَّ الله -تعالى- قال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ وكأنَّهم جعلوا ذلك صلاة لهم»[٤].

- **الدراســـة**

المفسرون على قولين في المسألة:

القول الأول: أنَّ ذلك كان عبادة لهم، وهو معنى قول ابن عَبَّاس -كما سبق -.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والزَّجَّاج، والرَّازِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل، والقَاسِمِيّ [٦].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٤/١٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٤٦٦/٥).

[٢] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٥/١٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٥/ ١٦٩٦).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٦/٢).

[٤] البسيط (١٤٠/١٠).

[٥] ينظر: البسيط (١٤٠/١٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٤٥٨)، والوجيز (٤٣٩/١).

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤١٢/٢)، ومفاتيح الغيب (١٢٨/١٥)، ولباب التأويل (٣١/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٥١٢/٩)، ومحاسن التأويل (٤٣٤/١).

واستدلوا بسياق الآية، فالله - ﷻ - سمى ذلك صلاة في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[1].

القول الثاني: أنَّ ذلك كان إيذاء للنبي -ﷺ- [2]، وهو معنى قول مُجَاهِد، ومُقَاتِل -كما سبق -.

وأكثر المفسرين ذكر أقوال السلف في الآية دون التعرض لهذه المسألة[3].

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يتبيَّن - والله أعلم – أنَّ القول الأول أولى وأظهر، وهو أنَّ التَّصفير والتَّصفيق كان عبادة لهم يتقربون بها إلى الله - ﷻ -، وربما كانوا يرفعون أصواتهم بذلك حين يكون النبي -ﷺ- في عبادة كصلاة أو طواف أو قراءة قرآن للإيذاء وللتخليط حتى لا يسمع الناس القرآن من النَّبي -ﷺ- كما قال الله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[فصلت: ٢٦]، ويشهد لهذا القول:

١. سياق الآية، فإنَّ الله -تعالى- قال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾، وهذا يدل على أنَّ التَّصفير والتَّصفيق كان عبادة لهم.

٢. ما أخبر به ابن عَبَّاس -رضي الله عنهما- أنَّهم كانوا يفعلون ذلك أثناء طوافهم، مما يدل على أنَّهم يتقربون بهذا الفعل إلى الله -سبحانه -.

وذكر ابن عَطِيَّة أنَّ ذلك كان من أفعال العرب قبل الإسلام على وجه التقرب لله، فقال: « المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديماً قبل الإسلام على جهة التَّقرب به والتَّشَرُّع...وعلى هذا يستقيم تعييرهم وتنقُّصهم بأنَّ شرعهم وصلاتهم وعبادتهم لم تكن

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (١٢٨/١٥)، ولباب التأويل (٣١/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٥١٢/٩).

[2] ينظر: المصادر السابقة.

[3] ينظر على سبيل المثال: الكشف والبيان (٣٥٣/٤)، ومعالم التنزيل (٣٥٥/٣).

رهبة ولا رغبة؛ إنَّما كانت مكاءً وتصديةً من نوع اللعب، ولكنَّهم كانوا يتزيدون فيها وقت قراءة النبي -ﷺ- ليشغلوه وأمته عن القراءة والصلاة» [1].

قال ابن تَيْمِيَّة:« كان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة، فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهى عنه» [2].

وقال تلميذه ابن القيّم بعد أنَّ ذكر قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد: « ولا ريب أنَّهم كانوا يفعلون هذا وهذا، فالمتقربون إلى الله بالصفير والتصفيق أشباه النوع الأول، وإخوانهم المخلطون به على أهل الصلاة والذكر والقراءة أشباه النوع الثاني» [3].

[1] المحرر الوجيز (٢/٦٠٠).

[2] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣/٤٢٧).

[3] إغاثة اللهفان (١/٢٤٤).

٥٥- المراد بقوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: ٣٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« المراد بالانتهاء هاهنا: عن الشرك لا عن القتال؛ لأنَّ المشركين وإن انتهوا عن القتال كان فرضاً على المؤمنين قتالهم»[١].

- **الدراسة**

المفسرون على قولين في المسألة:

القول الأول: أنَّ المراد الانتهاء عن الشرك.

واختاره الوَاحِدِيّ[٢]، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وأبو حيَّان، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٣].

القول الثاني: أنَّ المراد الانتهاء عن القتال[٤].

واعترض عليه بأنَّ المشركين وإن انتهوا عن القتال، فإنَّه كان فرضًا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا[٥].

---

[١] البسيط (١٠/١٥٤).

[٢] ينظر: البسيط (١٠/١٥٤)، وذكر القولين في الوسيط ولم يرجح (٢/٤٥٩)، واقتصر عليه في الوجيز (١/٤٤٠).

[٣] ينظر: جامع البيان (١٣/٥٤٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤/٢٨٢٢)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٥٧)، والمحرر الوجيز (٢/٦٠١)، ومفاتيح الغيب (١٥/١٣١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٩٨)، والبحر المحيط (٤/٤٨٩)، والجواهر الحسان (٢/ ٩٨)، واللباب في علوم الكتاب (٩/ ٥١٦)، ومحاسن التأويل (٥/ ٢٩٢)، والتحرير والتنوير (٩/١٠٠).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٣/٥٤٣)، والبسيط (١٠/١٥٤).

[٥] ينظر: المصادر السابقة.

- **الترجيح:**

مما سبق يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الأول أقرب للصواب، للعلة التي ذكرها أصحابه، ومما يقوي ذلك أنَّ أكثر المفسرين اقتصر عليه ولم يشر إلى القول الآخر[1]، ولم يرجحه أحد من المفسرين – فيما أعلم – مما يشعر بضعفه وعدم شهرته.

[1] ينظر: معالم التنزيل (٣/٣٥٧)، والمحرر الوجيز (٢/٦٠١)، ومفاتيح الغيب (١٥/١٣١)، والبحر المحيط (٤/٤٨٩)، واللباب في علوم الكتاب (٩/ ٥١٦)، والتحرير والتنوير (٩/١٠٠).

٥٦- المراد بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[الأنفال: ٤٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: يريد عصمكم[١]، كأنَّه يريد: سلَّمكم من المخالفة فيما بينكم، وقال ابن عَبَّاس أيضاً: سلَّم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم[٢]....وقال الكَلْبِيّ: ولكن الله سلَّمكم من الهزيمة يوم بدر[٣]. **والأظهر أنَّ المعنى**: ولكن الله سلَّمكم من التَّنَازُع والفشل على ما حكينا عن ابن عَبَّاس أولاً»[٤].

- **الدراسة**

المفسرون على قولين في المسألة:

القول الأول: أنَّ المراد سلَّمكم من الفشل والتَّنَازُع، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَاني، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٦].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره بمعناه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٢/٨).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧١/١٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٧٠٩/٥).

[٣] لم أجد من نسب هذا القول للكَلْبِيّ سوى الوَاحِدِيّ.

[٤] البسيط (١٧٧/١٠).

[٥] ينظر: البسيط (١٧٧/١٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٤٦٣)، والوجيز (٤٤٢/١).

[٦] ينظر: جامع البيان (٥٧١/١٣)، والكشف والبيان (٣٦٢/٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٢٨٣٥/٤)، ومعالم التنزيل (٣/ ٣٦٣)، والكشاف (٢/ ٢١٣)، ومفاتيح الغيب (١٣٦/١٥)، وأنوار التنزيل (١١١/٣)، ومدارك التنزيل (٦٤٨/١)، وغرائب القرآن (٤٠٣/٣)، والبحر المحيط (٤٩٧/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦٩/٤)، وإرشاد العقل السليم (٢٤/٤)، وفتح القدير (٤٥٧/٢)، وروح المعاني (٨/١٠)، ومحاسن التأويل (٣٠٢/٥)، والتحرير والتنوير (١١٧/٩).

القول الثاني: أنَّ المراد سلَّمكم من الهزيمة يوم بدر[1]، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بالنظر في القولين السابقين يظهر - والله أعلم - أنَّ القول الأول أظهر وأقوى، ويشهد لهذا القول ويُقَوِّيه:

١. سياق الآية، فالله تعالى قال: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ فكانت رؤيا النبي -ﷺ- التي أراها الله إياه سبباً في تقوية قلوبهم وتوحيد كلمتهم؛ وشدّ عزائمهم حتى يتجرؤوا على مواجهة عدوهم، فلو علموا كثرة العدو لهابوهم وتأخروا عن الحرب، واختلفت آراؤهم، وتفرقت كلمتهم، منهم القويّ الإيمان والعزيمة، ومنهم دون ذلك، ولكن الله - ﷻ- كفاهم ذلك كله بما أراه رسوله من قلتهم. وجاءت هذه الرؤيا موافقة لما شاهدوه بأعينهم عند بدء القتال، فهيأ الله الأسباب ليقضي بالنصر للمؤمنين، وتكون كلمته تعالى هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

يقول الطَّبَرِيّ في معرض ترجيحه لهذا القول: « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عَبَّاس، وهو أنَّ الله سلم القومَ بما أرى نبيه -ﷺ- في منامه من الفشل والتنازع، حتى قويت قلوبهم، واجترؤوا على حرب عدوهم؛ وذلك أنَّ قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ عَقِيب قوله: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ فالذي هو أولى بالخبر عنه، أنَّه سلَّمهم منه - جل ثناؤه - ما كان مُخَوَّفًا منه لو لم يُرِ نبيه -ﷺ- من قلَّة القوم في منامه»[2].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (١٣٦/١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢/٨)، ولباب التأويل (٣/ ٣٨).

[2] جامع البيان (٥٧١/١٣).

٢. أنَّ هذا هو قول أكثر المفسرين، فعامتهم اقتصر عليه، ولم يشر إلى القول الآخر إلا قلَّة من المفسرين بصيغة التمريض[١]، مما يشعر بضعفه.

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (١٣٦/١٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢/٨)، ولباب التأويل (٣/ ٣٨).

٥٧- المراد بأمر الله

في قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ يعني: فتح مكة، في قول مُجَاهِد[١]، ومُقَاتِل[٢] والأكثرين، ومعنى هذا: إن كنتم تؤثرون المقام في دوركم وأهليكم وتتركون الهجرة فأقيموا غير مثابين حتى يفتح الله مكة، فيسقط فرض الهجرة، ولا يكون الأمر بالتربص أمر إباحة بل هو أمر تهديد. وقال الحَسَن: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: من عقوبة عاجلة أو آجلة [٣]، **وهذا أقرب** لأنَّه أليق بالوعيد»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بأمر الله في الآية:

القول الأول: أنَّه فتح مكة، وهو قول مُجَاهِد، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الطَّبَرِيّ [٥]. واعترض على هذا القول بأنَّ هذه السورة نزلت بعد الفتح[٦].

القول الثاني: أنَّه القتال [٧].

القول الثالث: أنَّه عقوبة عاجلة أو آجلة، وهو قول الحَسَن -كما سبق-.

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/ ١٧٨)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٧٧٢/٦).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤١/٢).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره الزمخشري في الكشاف (٢٤٥/٢)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٩٦/٨).

[٤] البسيط (٣٤٢/١٠).

[٥] ينظر: جامع البيان (١٧٧/١٤).

[٦] ينظر: غرائب القرآن (٤٤٦/٣) وفتح القدير (٥٠٤/٢)، والتحرير والتنوير (٥٧/١٠).

[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٩٦/٨)، وغرائب القرآن (٤٤٦/٣)، وفتح القدير (٥٠٤/٢).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والرَّازِيّ، والآلُوْسِيّ[2].

- **الترجيح:**

مما تقدَّم يظهر – والله أعلم – أنَّ القول بالعموم أولى؛ فأمر الله – ﷻ – يحتمل أن يكون العذاب أو القتل أو نحوهما، فهو عقوبة من الله عاجلة أو آجلة، وفي هذا وعيد شديد، ويؤكده إبهام الأمر وعدم التصريح به لتذهب أنفسهم كل مذهب وتتردد بين أنواع العقوبات.

وكما هو معلوم أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[3].

[1] ينظر: البسيط (٣٤٣/١٠)، واقتصر على ذكر القول الأول في الوسيط (٤٨٧/٢)، والوجيز (٤٥٨/١).

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (١٦/١٦)، وروح المعاني (٣٠٦/٣).

[3] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٥٨- المراد بالكنز

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلفوا في المراد بهذا الكنز، وترك الإنفاق، فالذي عليه الأكثرون وهو الإجماع اليوم أنَّ المراد بهذا الكنز هو جمع المال الذي لا تؤدى زكاته... وذهب آخرون إلى أنَّ المراد بهذا جمع المال وإن أديت الزكاة...**والصواب القول الأول؛** لأنَّه لا وعيد لمن جمع المال من الحلال وأدى الزكاة؛ لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ»[١]، وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْرجلِ الصَّالِحِ »[٢]، وقول ابن عُمَر وقد سئل عن هذه الآية، فقال: « مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلٌ لَهُ، مَا أُبَالِي لَوْ كَانَ لِي أُحُدٌ ذَهَبًا أَعْلَمُ عَدَدَهُ وَأُزَكِّيهِ وَأَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-»[٣]، فعلى هذا من كان له دراهم أو دنانير فدفنها تحت الأرض، وهو يؤدي زكاتها فهو بمعزل عن الوعيد المذكور في هذه الآية، ولا يطلق اسم الكنز بالشرع على ذلك المال، وإن كان له مال فوق الأرض وهو لا يؤدي زكاته فذلك المال بالشرع يسمى كنزاً، ولحقه الوعيد»[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود في المراسيل، كتاب الزكاة، باب فِي جَامِعِ الصَّدَقَةِ، رقم الحديث (١٣٠)، ص١٤١، ومن طريقه البيهقي (٨٤/٤)، عن عذافر البصري عن الحَسَن عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مرسلاً، والحديث ضعيف، ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٦٩/٤).

[٢] أخرجه بنحوه البخاري في الأدب المفرد، كتاب حسن الخلق، باب المال الصالح للمرء الصالح، رقم الحديث (٢٩٩)، ص١١٢، وأخرجه بنحوه أحمد في مسنده، مسند عمرو بن العاص، رقم الحديث (١٧٧٩٨)، (١٩٧/٤)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه:" إسناده صحيح على شرط مسلم" ينظر: مسند أحمد (١٩٧/٤).

[٣] أخرجه مختصراً البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز، رقم الحديث (١٣٣٩)، (٥٠٩/٢)، وأخرجه مختصراً ابن ماجه في سننه، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته ليس بكنز، رقم الحديث (١٧٨٧)، (٥٦٩/١).

[٤] البسيط (٣٩٥/١٠).

▪ الدراســـة

أقوال المفسرين في المراد بالكنز في الآية:

القـول الأول: أنَّـه المـال الـذي لم تـؤدّ زكاتـه، وهـو قـول عُمَـر بـن الخَطَّـاب[١]، وابن عَبَّاس [٢]، وابن عُمَر[٣]، وجَابِر بن عَبْد الله [٤]، وعِكْرِمَة، والسُّدِّي[٥].

واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيُّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل، والشَّوكَاني، والشَّنقيطي[٧]، وهو قول الجمهور[٨].

واستدلوا بعدة أدلة، منها:

١. الأحاديث التي تبيِّن عقوبة مانع الزكاة، كقَوله -ﷺ-:« مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ[٩] يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [١٠].

---

[١] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (١٠٨/٤)، وابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٢/ ٤١١).

[٢] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٤١١/٢)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤١/٤).

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (١٠٧/٤)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/ ٢١٨).

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (١٠٧/٤)، وعزاه السيوطي (١٧٨/٤) إلى ابن المنذر.

[٥] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/ ٢١٨)، وذكره عنهما أبو حيَّان في البحر المحيط (٣٨/٥).

[٦] ينظر: البسيط (٣٩٨/١٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٩٢/٢)، والوجيز (٤٦٢/١).

[٧] ينظر: جامع البيان (٢٢٣/١٤)، والكشف والبيان (٣٨/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٢٩٧٦/٤)، ومعالم التنزيل (٤/ ٤٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢٦/٨)، ولباب التأويل (٨٧/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٨١/١٠)، وفتح القدير (٥١٨/٢)، وأضواء البيان (١١٦/٢).

[٨] ينظر: الاستذكار (١٧٣/٣)، والبحر المحيط (٥/ ٣٨).

[٩] الشُجَاع: بضم الشين وكسرها هو: الحية الذكر أو الثعبان. أَقْرَع: لا شعر على رأسه لِكثرة سَمِّه وطُول عُمْره. زَبِيبَتَان: نابان يخرجان من فمه أو نقطتان سوداوان فوق عينيه.

ينظر: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث (١٣٣٨)، (٥٠٨/٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٧٠٤/٢-١٠٩٩)، (٦٩/٤).

[١٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث (١٣٣٨)، (٥٠٨/٢).

٢. الأحاديث التي ترغب في الكسب الحلال، كقوله -ﷺ-:« نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْرجلِ الصَّالِحِ »[١].

٣. ومن أصرح الأدلة التي استدل بها الجمهور حديث الأعرابي الذي سأل الرسول -ﷺ- عن الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ-:« خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُه؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ. فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» [٢]. وهذا الحديث صريح أنَّه لا يجب على الإنسان أن يخرج من ماله إلا زكاته، فما كان بعد ذلك فإنَّه تطوع من نفسه، وعليه فليس بكنز ما أدّيت زكاته؛ لأنَّه لا حرج فيه ولا واجب يخرج منه.

٤. أنَّ كثيراً من الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يقتنون الأموال وكانوا ذوي يسار ظاهر، كعُثْمَان بن عَفَّان، وعَبْد الرَّحْمَن بن عَوْف[٣]، وطَلْحَة بن عُبَيْد الله[٤]، فلم يأمرهم النبي -ﷺ- بإخراج جميع أموالهم ولا عابهم، بل كان يعدهم من أكابر المؤمنين، فثبت بذلك أنَّ إخراج جميع المال غير واجب، بل الواجب هو إخراج الزكاة[٥].

القول الثاني: أنَّ المراد به جمع المال وإن أدّيت زكاته.

---

[١] سبق تخريجه ص٢٩٥ من البحث.

[٢] سبق تخريجه ص٢٦٦ من البحث.

[٣] عَبْد الرَّحْمَن بن عَوْف بن عبد عوف الزهري القرشي، أبو مُحَمَّد، من كبار الصحابة، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الإسلام، توفي سنة ٣٢هـ. ينظر: الاستيعاب (٨٤٤/٢)، والإصابة (٣٤٦/٤).

[٤] طَلْحَة بن عُبَيْد الله بن عثمان القرشي التيمي، أبو مُحَمَّد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، كان من دهاة قريش ومن علمائهم، توفي سنة ٣٦هـ. ينظر: الاستيعاب (٧٦٤/٢)، والإصابة (٥٢٩/٣).

[٥] ينظر: الكشاف (٢/ ٢٥٥)، ومفاتيح الغيب (١٦/ ٣٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٩).

وفي القول تفصيل: مذهب عَلِيّ بن أبي طَالِب -رضي الله عنه- أنَّ كل ما زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز، أدّيت منه الزكاة أم لم تؤدِّ[1]. ومذهب أبو ذَر -رضي الله عنه- [2] أنَّ كل ما فضل عن حاجة صاحبه من المال فهو كنز[3].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. حديث أبي ذَر-رضي الله عنه- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: « مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ »[4].

٢. أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ تُوُفِّيَ وَتَرَكَ دِينَارًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَهُ: «كَيَّةٌ، قَالَ ثُمَّ تُوُفِّيَ آخَرُ فَتَرَكَ دِينَارَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: كَيَّتَانِ»[5].

فدلَّ ذلك على أنَّ المال لا يحتبس إلا للحاجة ووفاء الدين.

ويجاب عن أدلتهم التي فيها التغليظ على من اكتنز المال بالآتي:

قول ابن عُمَر -رضي الله عنه- في الصحيح:«مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلٌ لَهُ؛ إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ» [6].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/ ٢١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٧٨٨/٦).

[2] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢٠/١٤)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٨/٥).

[3] جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري، أبو ذر، من كبار الصحابة، من السابقين إلى الإسلام، كان رأساً في العلم والزهد والجهاد، وهو أول من حيا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتحية الإسلام، توفي سنة ٣٢ هـ. ينظر: الاستيعاب (٤/ ١٦٥٢)، والإصابة (١٢٥/٧).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا، رقم الحديث (٦٠٧٩)، (٢٣٦٧/٥).

[5] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي أمامة الباهلي، رقم الحديث (٢٢٢٢٦)، (٢٥٢/٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٠/٨). وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: "حديث صحيح وهذا إسناد حسن في المتابعات" ينظر: مسند أحمد (٢٥٢/٥).

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز، رقم الحديث (١٣٣٩)، (٥٠٩/٢).

أي أنَّ هذا التغليظ كان أولاً، ثم نسخ بفرض الزكاة.

وقال ابن عَبْد الْبَرّ:« فأمَّا أبو ذَر فروي عنه في ذلك آثار كثيرة في بعضها شدة، كلها تدل على أنَّه كان يذهب إلى أنَّ كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش، فهو كنز، وأنَّ آية الوعيد نزلت في ذلك، وجمهور العلماء على خلاف تأويل أبي ذَر» [1].

- **الترجيح:**

بعد عرض القولين السابقين في المسألة ومناقشتها يظهر – والله أعلم – أنَّ الراجح قول الجمهور بأنَّ الكنز هو المال الذي لم تؤد زكاته؛ وذلك لقوة أدلتهم، ومما يؤيد هذا القول ويعضده إضافة إلى ما سبق:

١. أنَّه قول العلماء من السلف والخلف، قال ابن عَبْد الْبَرّ: «وسائر العلماء من السلف والخلف على ما قاله ابن عُمَر في الكنز» [2].

٢. اتفاق أئمة الفتوى على هذا القول، وقد نقل ذلك غير واحد من العلماء كابن بَطَّال[3]، والقَاضِي عِيَاض [4]، والنَّوَوِيّ[5].

---

[1] الاستذكار (١٧٣/٣).

[2] المصدر السابق (٣/ ١٧٤).

[3] ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بَطَّال (٤٠٥/٣).

وابن بَطَّال هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القُرْطُبِيّ، أبو الحَسَن، يعرف بابن اللَّجَّام، من أهل قرطبة، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عالم بالحديث، شرح صحيح البخاري في عدة مجلدات، توفي سنة ٤٤٩هـ. ينظر: الصلة ص ٣٩٤، وسير أعلام النبلاء (٤٧/١٨).

[4] ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٩٨/٣).

والقَاضِي عِيَاض هو: عياض بن مُوْسَى بن عياض اليَحْصَبِيُّ السَّبْتِيُّ، أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، من مصنفاته: شرح صحيح مسلم، ومشارق الأنوار في الحديث، توفي ٥٤٤هـ. ينظر: الصلة ص ٤٢٩، وسير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠).

[5] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٦٨/٧).

٣. أنَّ الله -تعالى- أكرم من أن يجمع على عبده مالاً من جِهَةٍ أَذِنَ له فيها، ويؤدّي عنه ما أوجبه عليه فيه، ثم يعاقبه [١].

٤. أنَّ الرسول -ﷺ- ندب إلى إخراج الثلث أو الأقل في حال المرض، ولو كان جمع المال محرماً؛ لكان -ﷺ- يأمر المريض أن يتصدق بالكل[٢]، كما أن المواريث ما جعلت إلا في أموال تبقى بعد مالكيها [٣].

٥. قول الرسول -ﷺ-:« مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهُ... »[٤] ثم ذكر عقابه؛ والحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [٥].

وأمَّا ما جاء عن عَلِيّ، وأبي ذَر -رضي الله عنهم-، فإنه يُحمل على الأفضل، أو أنَّ هذا كان قبل فرض الزكاة ثم نُسخ [٦].

[١] ينظر: الكشاف (٢/٢٥٥)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٦١)، والبحر المحيط (٥/ ٣٨).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (١٦/٣٦)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٤٦١).

[٣] ينظر: أضواء البيان (٢/١١٦).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم الحديث (٢٣٣٩)، (٣/٧٠).

[٥] ينظر: جامع البيان (١١/٤٦٣)، والعدة لأبي يعلى (٣/١٠٤٦)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٨٣).

[٦] ينظر: الكشاف (٢/٢٥٥)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٤٦١)، ولباب التأويل (٣/٨٦)، وأضواء البيان (٢/١١٧).

٥٩- عَوْد الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾

من قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللهُ-:« اختلفوا في رجوع الكناية من ﴿عَلَيْهِ﴾، فقال أبو رَوْق[١]: على النبي -ﷺ-[٢]...وقال ابن عَبَّاس: على أبي بَكْر[٣]...**والاختيار** أن تكون الكناية راجعة على أبي بَكْر»[٤].

- **الدراسة**

المفسرون في مرجع الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ على قولين:

القول الأول: أنَّه عائد على الرسول -ﷺ-، وهو قول مُقَاتِل[٥]. واختاره ابن عَطِيَّة، وابن تَيْمِيَّة، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٦]، وهو قول الجمهور [٧].

واستدلوا بما يلي:

---

[١] عَطِيَّة بن الحارث الهمداني الكوفي، أبو رَوْق، صاحب التفسير، روى عن الضحاك بن مزاحم وغيره، صدوق. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٦٩/٦)، والثقات لابن حبان (٢٧٧/٧).

[٢] لم أجد من ذكر هذا القول عنه سوى الوَاحِدِيّ.

[٣] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٠١/٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٨/٣٠).

[٤] البسيط (٤٤٢/١٠).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٨/٢).

[٦] ينظر: المحرر الوجيز (٤٠/٣)، ومنهاج السنة النبوية (٤٩٠/٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٥٥/٤)، ومحاسن التأويل (٤١٩/٥)، والتحرير والتنوير (١٠١/١٠).

[٧] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤٠/٣)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥/ ٤٥).

١. أنَّ المقام لذكر ثبات النبي -ﷺ- وتأييد الله إياه، وما جاء ذكر أبي بَكْر إلا تبعاً لذكره [١].

٢. سياق الآية؛ فأغلب الضمائر فيها تعود للرسول -ﷺ-، ويُؤَيِّدُهُ قوله بعده: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [٢].

القول الثاني: أنَّه عائد على أبي بَكْر -رضي الله عنه-، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-، وحَبِيب بن أَبِي ثَابِت [٣]. واختاره الوَاحِدِيّ [٤]، والنَّحَّاس، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والسَّمِين الحَلَبِيّ، وابن عادل [٥]. واستدلوا بما يلي:

١. أنَّ الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور، وهو في هذه الآية أبو بَكْر، والتقدير: إذ يقول مُحَمَّد لصاحبه أبي بَكْر لا تحزن [٦].

واعترض عليه بأنَّ عَوْد الضمير هنا إلى أقرب مذكور ينشأ عنه تشتيت الضمائر، وانفكاك الأسلوب تقديماً وتأخيراً [٧].

وأجيب: بأنَّ هذا كثير في القرآن، وفي كلام العرب [٨]، كقوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير (١٠١/١٠).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٨/١)، والتحرير والتنوير (١٠١/١٠).

[٣] أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه (٦/ ٣٤٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٠١/٦).

وحبيب هو: حبيب بن أبي ثابت الأسدي، أبو يحيى، تابعي ثقة، فقيه الكوفة، توفي سنة ١١٩هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٨٨)، وطبقات الحفاظ ص٥١.

[٤] ينظر: البسيط (٤٤٢/١٠)، واقتصر على ذكر القول الأول في الوسيط (٢/ ٤٩٩)، والوجيز (٤٥٨/١).

[٥] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٢١٠/٣)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤١٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٣/١٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٤٨/٨)، وأنوار التنزيل (١٤٦/٣)، وغرائب القرآن (٤٧٢/٣)، والدر المصون (٥٢/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٩٦/١٠).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (٥٣/١٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٧٢/٣).

[٧] ينظر: التحرير والتنوير (١٠١/١٠).

[٨] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/٨).

﴿وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح: ٩] يعني: النبي -ﷺ- ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعني: الله -عز وجل-.

٢. أنَّ الحزن والخوف كان حاصلاً لأبي بَكْر لا للرسول -ﷺ- فإنَّه كان آمناً ساكن القلب بما وعده الله أن ينصره على قريش، فصرف السكينة إلى أبي بَكْر ليصير ذلك سبباً لزوال خوفه أولى من صرفها إلى الرسول -ﷺ-[١].

وأجاب ابن كَثِيْر عن ذلك بقوله:«وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال»[٢].

٣. لو كان الرسول -ﷺ- خائفاً لما أمكنه أن يزيل الخوف عن غيره بقوله: لا تحزن، ولناسب أن يقال: فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن[٣].

وأجاب ابن عَاشُور عن ذلك بقوله:« وليس يلزم أن يكون نزول السكينة عَقِبَ قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، بل إنَّ قوله ذلك هو من آثار سكينة الله التي أنزلت عليه، وتلك السكينة هي مظهر من مظاهر نصر الله إياه، فيكون تقدير الكلام:(فقد نصره الله فأنزل السكينة عليه وَأَيَّدَهُ بجنود حين أخرجه الذين كفروا، وحين كان في الغار، وحين قال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا) فتلك الظروف الثلاثة متعلقة بفعل: (نصره) على الترتيب المتقدم، وهي كالاعتراض بين الْمُفَرَّعِ عَنْهُ وَالتَّفْرِيعِ، وجاء نظم الكلام على هذا السبك البديع للمبادأة بالدلالة على أن النصر حصل في أزمان وأحوال ما كان النصر ليحصل في أمثالها لغيره لولا عناية الله به، وأن نصره كان معجزة خارقا للعادة. وبهذا البيان تندفع الحيرة التي حصلت للمفسرين في معنى الآية، حتى أغرب كثير منهم فأرجع الضمير المجرور من قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ إلى أبي بَكْر»[٤].

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٥٣/١٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٧٢/٣).

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٥٥/٤).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (٥٣/١٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٧٢/٣).

[٤] التحرير والتنوير (١٠١/١٠).

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما سبق – والله أعلم – أنَّ أولى القولين بالصواب هو قول الجمهور، وهو أنَّ الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود للرسول -ﷺ-؛ وذلك لأمور:

١. دلالة السياق، فالآية سيقت لبيان فضل الله على رسوله، ونصرته له في أشدّ المواقف، وأحلك الظروف. وإنّما ورد فيها ذكر الصّدّيق -رضي الله عنه- تبعاً، لا أصالة [١].

٢. أنَّ الرسول -ﷺ- هو المحدّث عنه؛ فالآية اشتملت على عدد من الضمائر ما بين بارز ومستتر عائدة إلى الرسول -ﷺ-؛ فاتحاد الضمائر هنا أولى لانسجام النظم، وانتظام السياق، وهذا القول مؤيد بقاعدة: إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره [٢]. وقاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها [٣]، وهذه القاعدة والتي قبلها مقدمة على قاعدة: إعادة الضمير إلى أقرب مذكور[٤].

٣. أنَّه قد سبق في السورة نفسها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، وذلك يوم حنين، وحاجة النبي -ﷺ- إلى السكينة وهو في الغار مطارد مطلوب، قليل الحيلة، أشد من حاجته إليها يوم حنين، وقد كانت الغلبة له أول الأمر، مع كثرة أصحابه، ووعد الله له بالنصر، وهذا لا ينفي نزولها على الصديق تبعاً لا سيما وقد طمأنه النبي -ﷺ- بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

---

[١] ينظر: التحرير والتنوير (١٠/١٠١).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٦/٢٢٦)، والدر المصون (٨/٢٢٢)، والبرهان في علوم القرآن (٤/٣٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٣/٢٣٥)، وروح المعاني (١٧/١١١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٣٢).

[٣] ينظر: المحرر الوجيز (٥/٨)، والبرهان في علوم القرآن (٤/٣٥)، والإتقان (١/٣٩٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٣٢).

[٤] ينظر: الأشباه والنظائر للسبكي (٢/٢٣٦)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٣٢).

٦٠- المراد بقوله: ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾

في قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: يريد الموت[١]....وفي الآية قول آخر...إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم ...**والقول هو الأول**» [٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾:

القول الأول: تَقَطَّع قلوبهم بالموت.

والمعنى: أنَّ هذه الريبة باقية في قلوبهم إلى أن يموتوا على هذا النفاق [٣]، وهو قول ابن عَبَّاس، وقَتَادَة، ومُجَاهِد، وحَبِيب بن أَبِي ثَابِت، وابن زَيْد[٤]، ومُقَاتِل [٥]. واختاره الوَاحِدِيّ [٦]، والثَّعْلَبِيُّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ [٧].

القول الثاني: تَقَطَّع قلوبهم بالتوبة.

والمعنى: إلا أنْ يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم[٨].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/ ٤٩٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٨٥/٦).

[٢] البسيط (٥٩/١١).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٥٧/١٦)، ولباب التأويل (٣/ ١٥١).

[٤] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤/ ٤٩٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٨٥/٦).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٧٢/٢).

[٦] ينظر: البسيط (٦٢/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٢٥/٢)، والوجيز (٤٨٢/١).

[٧] ينظر: الكشف والبيان (٩٦/٥)، ومعالم التنزيل (٤/ ٩٧)، والمحرر الوجيز (٩٧/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٤٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢١٧/٤)، والجواهر الحسان (١٥٦/٢).

[٨] ينظر: زاد المسير (٥٠٣/٣)، ومفاتيح الغيب (١٥٧/١٦).

وهو قول سُفْيَان بن عُيَيْنَة [١]، واقتصر عليه السّعْدِيّ [٢].

واعترض على هذا القول ابن عَطِيَّة بقوله: «وليس هذا بظاهر، إلا أن يتأول أن يتوبوا توبة نصوحاً يكون معها من الندم والحسرة ما يقطع القلوب هماً» [٣].

- **الترجيح:**

الذي يظهر مما سبق – والله أعلم – أن أولى القولين بالصواب القول الأول وهو أنَّ المراد تَقَطَّع قلوبهم بالموت، ويُؤَيِّد ذلك:

١. كثرة المرجحين لهذا القول، من السلف والخلف، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [٤].

٢. يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]؛ فالوَتِين[٥] عِرق في القلب إذا قطع مات صاحبه [٦].

---

[١] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٨٦/٦)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٠٥/٢).

وسُفْيَان هو: سُفْيَان بن عُيَيْنَة بن أبي عمران الكوفي ثم المكي، أبو مُحَمَّد، محدث الحرم المكي، كان إماماً، عالماً، ثبتاً، حجة، زاهداً، ورعاً، مجمعاً على صحة حديثه وروايته، توفي سنة ١٩٨هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٣٩١/٢)، وغاية النهاية في طبقات القراء (٢٨٠/١).

[٢] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥١.

[٣] المحرر الوجيز (٩٧/٣).

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

[٥] ينظر: تهذيب اللغة (٢٣١/١٤)، ومختار الصحاح ص٧٤٠، مادة (وتن).

[٦] ينظر: الكشف والبيان (٩٦/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/٨).

٦١- المراد بالمؤمنين

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ قال الزَّجَّاج: هذا يدل على أن كل أهل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة[١]. وقال ابن عَبَّاس: يريد شهدت لهم بهذه الشهادة وهذا الثواب في التوراة والإنجيل والقرآن الذي أنزل على مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[٢]. والمعنى: أنَّ الله -تعالى- بيَّن في الكتابين أنَّه اشترى من أمة مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنفسهم وأموالهم بالجنة، كما بيَّن في القرآن، **والقول هذا**، لا ما قاله أبو إِسْحَاق[٣]»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالمؤمنين في الآية:

القول الأول: أنَّهم مؤمنو هذه الأمة، ويكون معنى قوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ وعد من الله لهذه الأمة، وبيَّن ذلك في هذه الكتب التي أنزلها. ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس. واختاره[٥].

---

[١] معاني القرآن وإعرابه (٤٧١/٢).

[٢] لم أجد قول ابن عَبَّاس فيما وقفت عليه من مصادر.

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] البسيط (٦٦/١١).

[٥] ينظر: البسيط (٦٦/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٢٦/٢)، والوجيز (٤٨٣/١).

القول الثاني: أنَّهم جميع المؤمنين بالرسل - عليهم السلام -، ويكون قوله: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ إخبار من الله - تعالى - أنَّ هذا كان في هذه الكتب، فالوعد من الله في التوراة للذين آمنوا بمُوْسَى -عليه السلام-، وكذلك في الإنجيل للذين آمنوا بعِيْسَى -عليه السلام-، وأخيراً في القرآن للذين آمنوا بمُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-.

واختاره الزَّجَّاج، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، والسَّمِين الحَلَبِيّ، والقَاسِمِيّ [1].

يقول السَّمِين الحَلَبِيّ في معرض تفسيره لهذه الآية:«ليس المراد هنا زمناً بعينه»[2].

وجوز ابن عَاشُور كلا القولين [3]، وحمل الآية على الوجهين ابن عَطِيَّة، وأبو حيَّان[4].

- **الترجيح:**

بالنظر في القولين السابقين يظهر - والله أعلم - أنَّ الآية ليست خاصة بأمة مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم- بل تشملهم، وتشمل كل من جاهد في سبيل الله من الأمم السابقة من عهد مُوْسَى -عليه السلام-.

ويؤيد ذلك: أن نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[5].

---

[1] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٧١/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٦٨)، ولباب التأويل (١٥١/٣)، والدر المصون (٦/ ١٢٨)، ومحاسن التأويل (٥١٠/٥).

[2] ينظر: الدر المصون (٦/ ١٢٨).

[3] ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٩/١٠).

[4] ينظر: المحرر الوجيز (٣/ ٩٩)، والبحر المحيط (١٠٦/٥).

[5] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٦٢- المراد بالسائحين

في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ قال عامة المفسرين: الصائمون...وقد روى لي الأستاذ أبو إِسْحَاق[١] بإسناده عن عِكْرِمَة أنَّه قال هم: طلبة العلم[٢]، يريد: الذين يسافرون لأجل طلب العلم والحديث، **والقول هو الأول**»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالسائحين في الآية:

القول الأول: الصائمون، وقد رُوي عن الرسول -ﷺ- أنَّه قال:« السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ»[٤]، وهذا قول ابن مَسْعُود، وعَائِشَة، وأبي هُرَيْرَة، وابن عَبَّاس، وعُبَيْد بن عُمَيْر، وسَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد، والضَّحَّاك، والحَسَن، وعَطَاء، وقَتَادَة[٥]، ومُقَاتِل[٦].

---

[١] أراد بأبي إِسْحَاق: شيخه الثَّعْلَبِيّ.

[٢] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٩٠/٦)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٩٨/٥).

[٣] البسيط (٧١/١١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في جامع البيان (١٤/ ٥٠٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٨/٤) إلى أبي الشيخ، وابن مردويه، وابن النجار، مرفوعاً من طريق أبي هريرة، وفي إسناده حكيم بن خذام، قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حَاتِم: متروك الحديث، ينظر: ميزان الاعتدال (٥٨٥/١). وأخرجه الطَّبَرِيّ من طريق آخر موقوفاً على أبي هريرة، قال عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٢٢٠/٤): "وهذا الموقوف أصح". وأخرجه الطَّبَرِيّ أيضاً (٥٠٢/١٤) عن عُبَيْد بن عُمَيْر، قال: سئل النبي -ﷺ- عن السائحين، فقال: « هم الصائمون ». قال عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٢٢٠/٤): "وهذا مرسل جيد".

[٥] أخرج هذه الآثار الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٢/١٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٨٩/٦).

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٧٣/٢).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والجصَّاص، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن العَرَبِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر[2]، وهو قول جمهور المفسرين[3].

القول الثاني: المجاهدون، وهو قول عَطَاء[4]. واختاره ابن عَاشُور[5].

وهذا القول ورد معناه عن النبي -ﷺ-، عندما استأذنه رجل في السياحة، فقال :«إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[6].

القول الثالث: المهاجرون، وهو قول ابن زَيْد[7].

القول الرابع: طلبة العلم، وهو قول عِكْرِمَة -كما سبق -.

القول الخامس: سياحة القلب في ذكر الله ومحبته. واختاره ابن القيِّم[8].

---

[1] ينظر: البسيط (٧٣/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٢٧/٢)، والوجيز (٤٨٣/١).

[2] ينظر: غريب القرآن ص١٩٣، وجامع البيان (٥٠٢/١٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٧٢/٢)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٢٥٧/٣)، وأحكام القرآن للجصَّاص (٣٦٨/٤)، وبحر العلوم (٩٠/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤٨٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٤٩/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٢٠/٤).

[3] حكاه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٦١/١٦)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٥٩٢/٢).

[4] لم أجده مسنداً، وذكره الثَّعْلَبِيُّ في الكشف والبيان (٥/ ٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥٠٦/٣).

[5] ينظر: التحرير والتنوير (٢١١/١٠).

[6] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة، رقم الحديث (٢٤٨٨)، (٢/ ٣١٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد، رقم الحديث (٢٣٩٨)، (٨٣/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم الحديث (٢٠٩٣)، (٤٢١/١).

[7] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (١٨٩٠/٦)، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٥٠٦).

[8] ينظر: حادي الأرواح ص ٥٩.

- **الترجيح:**

عند تأمل الأقوال السابقة يتبيَّن – والله أعلم – أنَّها مقبولة من جهة احتمال اللفظ، وأمَّا من جهة التفسير فالقول بأنَّ السائحين هم الصائمون أقوى، وأجدر بالتقديم؛ ويؤيد ذلك:

١. أنَّه القول الثابت عن الصحابة- رضي الله عنهم -، وجمهور التابعين، ولا شك أنَّ تفسير الصحابي مقدَّم على تفسير من دونه، خاصة إذا لم ينقل عن غيره من الصحابة ما يخالفه[١].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، ونص الزَّجَّاج على أنَّه قول إلى أهل التفسير واللغة جميعاً[٢].

٣. أنَّه تفسير شرعي، والتفاسير الأخرى لغوية في الغالب، وقد تقرر أنَّ الحقيقة الشرعية للألفاظ مقدَّمة على الحقيقة اللغوية في النصوص الشرعية [٣].

٤. قول ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما -:«كل ما ذكر الله في القرآن من السياحة هم الصائمون»[٤].

٥. أنَّ هذا التفسير هو المناسب لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾ [التحريم: ٥]؛ لأنَّ أقرب وصف يصلح للنساء في الغالب هو: الصائمات، أمَّا الأوصاف الأخرى كالجهاد، والسفر لطلب العلم، وغير ذلك فغير شائعة في حق النساء.

---

[١] ينظر: جامع البيان (١٠٧/٢٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١٨٦/١).

[٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٧٢/٢).

[٣] ينظر: النكت والعيون (١/ ٣٩)، وأضواء البيان (٢٣٩/٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٤/١٤).

٦٣- المراد ببَنِي إِسْرَائِيْلَ، والمكان الذي بوَّأهم فيه، والعلم الذي اختلفوا فيه.

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ٩٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ قال: يريد: قُرَيْظَة، والنَّضِير، وبَنِي قَيْنُقَاع[١]، ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ قال: يريد: أنزلهم منزل صدق مابين المدينة والشام[٢]...وذهب قوم إلى أنَّه أراد الذين كانوا في زمن مُوْسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فمن بعدهم، فقالوا في قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ يعني الشام ومصر، وهو قول الضَّحَّاك[٣]، وقال قَتَادَة: الشام وبيت المقدس[٤]...**والصحيح** قول ابن عَبَّاس؛ لأنَّ قوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ من صفة الذين كانوا في عهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكذلك ما قبله...قال المفسرون: كانوا يخبرون بمبعث مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويفخرون على سائر الناس بما يعلمونه من صدقه وخروجه والدخول في جملته، حتى بُعث فكذبوه حسداً، وبغياً، وإيثاراً لبقاء الرئاسة، وآمن فريق منهم وصدقه، فذلك اختلافهم حين جاءهم العلم...هذا الذي ذكرنا مذهب عامة أهل التأويل. وقال الحَسَن، وابن زَيْد: قوله: ﴿فَمَا

---

[١] بنو قَيْنُقَاع: قبيلة من اليهود، كانوا يسكنون داخل المدينة، عاهدوا الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكانوا صاغة وحدادين، وهم أول من نكث العهد والميثاق من اليهود، فحاصرهم الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خمس عشرة ليلة حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكمه، ثم أجلاهم إلى الشام.

ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٣١٥)، وتاريخ الأمم والملوك (٢/٤٨)، وعيون الأثر (١/٣٤٣).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٢/٥٥٩)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٧/١٢٧).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٥/١٩٨)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٦/١٩٨٥).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٥/١٩٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٦/١٩٨٥).

﴿ ٱخْتَلَفُواْ ﴾ يعني أنَّهم كانوا قبل مبعث مُحَمَّد-ﷺ- كفاراً كلهم حتى جاءهم العلم فاختلفوا بأنْ آمن فريق وكفر فريق[1]، فنفي الاختلاف في القول الأول يعود إلى التصديق بمُحَمَّد -ﷺ- قبل مبعثه، وفي قول الحَسَن، وابن زَيْد نفي الاختلاف عن كفرهم ثم ظهر الاختلاف بإيمان بعضهم، **والقول هو الأول**»[2].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالآية:

القول الأول: أنَّ المراد ببَنِي إِسْرَائِيْلَ اليهود الذين كانوا في زمن مُوْسَى -عليه السلام-[3].

والمراد بـ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾: الشام ومصر، وهو قول الضَّحَّاك -كما سبق -، أو الشام وبيت المقدس، وهو قول قَتَادَة -كما سبق -.

والعلم الذي اختلفوا فيه: التوراة؛ وذلك أنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ بقوا على ملة واحدة لم يختلفوا في أمور دينهم بل كانوا متبعين أمر رسولهم -عليه السلام- حتى قرأوا التوراة ووقفوا على أحكامها، وعلموا ما فيها من أخبار فحينئذ وقع الاختلاف بينهم[4].

واستُدل لهذا القول بالسياق؛ فإنَّه تعالى لما ذكر هذه الآية عقيب قصة مُوْسَى-عليه السلام- كان حمل هذه الآية على أحوالهم أولى[5].

---

[1] لم أقف على قولهما، وقد ذكر هذا القول بلا نسبة الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٢٧/١٧).

[2] البسيط (٣١٠/١١).

[3] ينظر: بحر العلوم (١٣١/٢)، والكشف والبيان (٥/ ١٤٨)، ومعالم التنزيل (١٤٩/٤) ، ولباب التأويل (٢٠٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٩٤/٤)، وإرشاد العقل السليم (١٧٥/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٧٣، والتحرير والتنوير (١٧٤/١١).

[4] ينظر: مفاتيح الغيب (١٢٧/١٧)، وروح المعاني (١٨٩/١١).

[5] ينظر: مفاتيح الغيب (١٢٧/١٧).

القول الثاني: أنَّ المراد ببَنِي إِسْرَائِيْلَ اليهود الذين كانوا في زمن النبي مُحَمَّد -ﷺ-[1].

والمراد بـ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾: مابين المدينة والشام، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق -.

والعلم الذي اختلفوا فيه: القرآن سماه علماً؛ لأنه سبب العلم، أو مُحَمَّد -ﷺ- ، فعلى هذا يكون العلم هاهنا عبارة عن المعلوم؛ لأنَّهم كانوا يعلمونه قبل خروجه[2]، وفيه قولان:

الأول: أنَّهم كانوا قبل أن يبعث النبيّ مُحَمَّد -ﷺ- مجمعين على نبوته والإقرار به وبمبعثه، غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم[3]. وهذا الذي اختاره الوَاحِدِيّ[4].

الثاني: أنَّهم كانوا قبل مبعث مُحَمَّد -ﷺ- كفاراً كلهم حتى جاءهم العلم فاختلفوا بأن آمن فريق وكفر فريق[5].

واستُدل لهذا القول بالسياق؛ فقوله: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ من صفة الذين كانوا في عهد النبي -ﷺ- ، فكذلك ما قبله[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل في القولين السابقين يظهر – والله أعلم – صحة حمل الآية عليهما؛ لأنَّها تحتملهما من غير تضاد. فالذين بوَّأهم الله هم بنو إِسْرَائِيْلَ ومن جاء بعدهم

---

[1] ينظر: البسيط (٣١١/١١)، وزاد المسير (٦٢/٤)، ومفاتيح الغيب (١٢٧/١٧)، والجامع لأحكام القرآن (٣٨١/٨)، والتحرير والتنوير (١٧٥/١١).

[2] ينظر: زاد المسير (٦٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣٨١/٨)، ولباب التأويل (٢٠٩/٣).

[3] ينظر: جامع البيان (١٩٩/١٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٣٢٣/٥)، وزاد المسير (٦٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٣٨١/٨).

[4] ينظر: البسيط (٣١١/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٥٥٩)، والوجيز (٥٠٨/١).

[5] ينظر: البسيط (٣١١/١٣)، ومفاتيح الغيب (١٢٧/١٧).

[6] ينظر: البسيط (٣١١/١١).

من ذريتهم، فبهلاك فِرْعَوْن وجنوده أورثهم الله جميع ما كان تحت أيديهم، كما قال: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧][1]. ثم استمر مُوْسَى -عليه السلام- بمن معه طالبين بيت المقدس وكان فيه قومٌ جبارون، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢]، فَنَكَل بنو إِسْرَائِيْلَ عن قتالهم فشردهم الله -تعالى- في التِّيْهِ أربعين سنة، ومات فيه هَارُون، ثم مُوْسَى، وخرجوا بعدهما مع يُوشَعَ بْنِ نُون، ففتح الله عليهم بيت المقدس[2]، ثم بعد ذلك استوطنت قبائل منهم المدينة.

قال الآلُوْسِيّ: « وأنت تعلم أنَّه ينبغي أن يراد ببَنِي إِسْرَائِيْلَ عن القولين ما يشتمل ذريتهم بناء على أنَّهم ما دخلوا الشام في حياة مُوْسَى -عليه السلام- إنَّما دخلها أبناؤهم»[3].

ومعلوم أنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ ما اخْتَلَفُوا في أمر دينهم قبل نزول الكتاب عليهم، بل كانوا متفقين مجتمعين على ما بلغهم رسولهم وهداهم إليه حَتَّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ وأنزل عليهم الكتاب فاختلفوا فيه وتفرقوا فرقاً وتحزبوا أحزاباً[4]، واستمر هذا الاختلاف في ذريتهم حتى اختلفوا على تصديق النبي مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم- بعدما كانوا متفقين على نبوته قبل مبعثه.

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (١٢٧/١٧)، ولباب التأويل (٢٠٩/٣).

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٩٥/٤).

[3] روح المعاني (١٨٩/١١).

[4] ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (٣٤٢/١).

ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّدُهُ:

١. أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص [١].

قال ابن عَطِيَّة بعد أن فسَّر هذه الآية:« وهذا التخصيص هو الذي وقع في كتب المتأوِّلين، وهذا التأويل يحتاج إلى سند، والتأويل الآخر الذي يحتمله اللفظ أنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ لم يكن لهم اختلاف على مُوْسَى في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فِرْعَوْن اختلفوا» [٢].

٢. أنَّ الكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها، والأولى حملها على جميع تلك المعاني [٣].

وذكر الشَّنقيطي:« أنَّ التفسيرات المتعددة في الآية إن كان يمكن حمل الآية على جميعها فهو أولى» [٤].

[١] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[٢] المحرر الوجيز (٣/١٥٩).

[٣] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

[٤] أضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

٦٤- المخاطب بقوله تعالى:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[يونس: ٩٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في هذا الخطاب لمن هو؟ فقال أكثر أهل العلم: هذا الخطاب للرسول -ﷺ- والمراد غيره من الشُّكَّاك، والقرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره، وكذلك يقول مُتمثّلهم: إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةُ[1]، ومثل هذا قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١] الآية، الخطاب للنبي -ﷺ- والمراد بالوصية والعظة المؤمنون، يدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢]، ولم يقل: بما تعمل...**والأولى** أن يقال: الخطاب للنبي -ﷺ- والمراد به هذا الصنف الشاك الذي ذكره ابن قُتَيْبَة...وذكروا في الآية أقوالاً متكلفة بعيدة فلم أحكها»[2].

- **الدراســـة**

مجمل أقوال المفسرين في المخاطب بالآية:

القــول الأول: أنَّ الخطــاب للنــبي -ﷺ-، والمــراد غــيره ممــن شــك فيمــا أنــزل عليه -ﷺ-؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره.

---

[1] البيت من الرجز، وهو لسَهْل بن مالك الفَزَاري خاطب به امرأة، وهو يقصد أخرى، فهو أسلوب عربي، يخاطب الإنسان إنساناً لينقل الخطاب بواسطته إلى غيره. وصدر البيت قوله: أَصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَة. ينظر: جمهرة الأمثال (٢٩/١)، ومجمع الأمثال (٤٩/١).

[2] البسيط (٣١٤/١١).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وابن قُتَيْبَة، والزَّجَّاج، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والقُرْطُبِيّ، والثَّعَالِبِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[2]، وهذا قول أكثر المفسرين[3].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. سياق الآيات اللاحقة، فقد قال الله- ﷻ- في آخر السورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٠٤][4].

٢. النظائر القرآنية التي تشهد لهذا القول، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١]، فالخطاب للنبي -ﷺ- والمراد به أمته، بدليل قوله في الآية بعدها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[الأحزاب:٢]، ولم يقل بما تعمل[5]. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[الطلاق: ١]، فقال:(طَلَّقْتُمُ) ولفظ أول الخَطاب للنبي -ﷺ-[6].

القول الثاني: أنَّ الخطاب للنبي -ﷺ-، وليس فيه دلالة على وقوع الشك، ولا السؤال؛ لأنَّ الشرط لا يدل على وقوع المشروط، بل ولا على إمكانه، فالنبي -ﷺ- لم يشك، ولم يسأل[7]، وهذا الأسلوب يقصد منه إقامة الحجة على من كذب النبي -ﷺ-.

---

[1] ينظر: البسيط (٣١٦/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٥٥٩)، والوجيز (٥٠٨/١).

[2] ينظر: تأويل مشكل القرآن ص١٦٩، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٢/٣)، والمحرر الوجيز (١٦٠/٣)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤٦٨/٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٨٣/٨)، والجواهر الحسان (١٩٢/٢)، وأضواء البيان (٣/٢).

[3] حكاه الوَاحِدِيّ في البسيط (٣١٤/١١)، والوسيط (٥٥٩/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٦٣/٤).

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٢/٣)، وزاد المسير (٦٣/٤)، ولباب التأويل (٢١٠/٣).

[5] ينظر: الكشف والبيان (١٤٩/٥)، ومعالم التنزيل (١٥٠/٤)، وزاد المسير (٦٣/٤).

[6] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٢/٣)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٠٤/٢)، ومعالم التنزيل (١٥٠/٤)

[7] عن قَتَادَة أنه قال: «بلغنا أن رسول الله -ﷺ- قال: لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ». أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٩٨/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠٢/١٥)

واختاره الفَرَّاء، وأبو حيَّان، وابن القَيِّم [1].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ هذا الخطاب جارٍ على أسلوب العرب في الخطاب، حيث يقول القائل منهم لمملوكه:"إن كنت مملوكي فانته إلى أمري"، والسيد لا يشك في أنَّه عبده، كذلك قول الرجل منهم لابنه:"إن كنت ابني فَأَطِعْنِي"، وهو لا يشك في أنَّه ابنه[2].

٢. يشهد لهذا أيضاً قوله سبحانه لعِيْسَى -عليه السلام-:﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾[المائدة:١١٦]. وقد علم أنَّ عِيْسَى لم يقل ذلك، ولكن من باب إقامة الحجة على النَّصَارَى[3].

القول الثالث: أنَّ الخطاب للشَّاكِّين من الناس، خاطبهم الله -تعالى- بهذه الآية، وقال: فإن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد -صلى الله عليه وسلم- فسل[4].

وتَعَقَّبه ابن القَيِّم بقوله:«وهذا القول وإن كان له وجه، يأباه سياق الآية، فتأمله، وتأمل قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٩٦]، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩]، وهذا كُلُّهُ خطابٌ واحدٌ متصلٌ بعضُه ببعض» [5].

---

[1] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٤٧٩/١)، والبحر المحيط (١٩٠/٥)، وأحكام أهل الذمة (١٩/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٢٠٢/١٥)، والكشف والبيان (١٤٩/٥)، وزاد المسير (٦٣/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٦٢/١).

[3] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٤٧٩/١)، والكشف والبيان (١٤٩/٥)، والمحرر الوجيز (١٦٠/٣).

[4] ينظر: زاد المسير (٦٣/٤)، ومفاتيح الغيب (١٣٠/١٧)، ولباب التأويل (٢١٠/٣).

[5] أحكام أهل الذمة (١٩/٢).

- **الترجيح:**

لا خلاف بين المفسرين في نفي وقوع الشك من النبي -ﷺ- ، وأنَّه لا يحتاج لسؤال أهل الكتاب حتى يتبين له صدق ما أنزله الله - ﷻ- إليه.

وأمَّا الموازنة بين أقوال المفسرين في توجيه هذا الخطاب فالذي يظهر – والله أعلم – بعد النظر والتأمل صحة القولين الأول والثاني؛ لقوة ما استدلوا به.

وهذا ما قرره الطَّبَرِيّ بعد أن ذكر أنَّ الخطاب للنبي -ﷺ-، وأنَّه لم يشك، وأنَّ ذلك جارٍ على أسلوب العرب في الخطاب، حيث قال:« ولو قال قائل: إنَّ هذه الآية خوطب بها النبي -ﷺ-، والمراد بها بعض من لم يكن صحت، بصيرته بنبوته -ﷺ-، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه؛ تنبيهاً له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه...كان قولا غيرَ مدفوعةٍ صحته» [1].

أمَّا القول الثالث وإن كان له وجه، إلا أنَّ سياق الآية يأباه؛ لأنَّ الخطابات السابقة، واللاحقة كلها موجهة للنبي -ﷺ-.

وخلاصة القول في هذه المسألة ما ذكره الإمام ابن تَيْمِيَّة بقوله:« وبهذا يبين أنَّ قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يتناول غيره، حتى قال كثير من المفسرين: الخطاب لرسول الله -ﷺ-، والمراد به غيره، أي: هم الذين أريد منهم أن يسألوا لِمَا عندهم من الشك، وهو لم يرد منه السؤال؛ إذ لم يكن عنده شك. ولا شك أن هذا لا يمنع أن يكون هو مخاطبًا ومرادًا بالخطاب، بل هذا صريح اللفظ، فلا يجوز أن يقال: إنَّ الخطاب لم يتناوله؛ ولأنْ ليس في الخطاب أنَّه أمر بالسؤال مطلقًا، بل أمر به إن كان عنده شك، وهذا لا يوجب أن يكون عنده شك، ولا أنَّه أمر به مطلقًا، بل أمر به إن كان هذا موجودًا، والحكم المعلق بشرط عدم عند عدمه»[2].

---

[1] جامع البيان (٢٠٣/١٥).

[2] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٢٥/١٦).

٦٥- عَوْدُ الضمير في ﴿مِنْهُ﴾

من قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي: ليتواروا عنه، ويكتموا عداوته؛ لئلا يَظْهروا بعداوته، والهاء تعود على مُحَمَّد -ﷺ-. وقال الحَسَن، ومُجَاهِد: يعني من الله[١]، وهذا جهل منهم بالله - ﷻ-، فقال الله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾...قال عبد الله بن شَدَّاد[٢]: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ برسول الله -ﷺ- ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وغطى وجهه لئلا يراه النبي -ﷺ-[٣]، **وهذا القول الأليق بظاهر اللفظ**، ولا يحتاج معه إلى إضمار»[٤].

- **الدراسة**

المفسرون في عَوْد الضمير من قوله: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ على قولين:

القول الأول: أنَّه عائد إلى الرسول -ﷺ-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيُّ[٦].

---

[١] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٥/٢٣٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٦/٢٠٠٠).

[٢] عَبْدُ الله بن شَدَّاد بن الهَاد اللَّيْثِيُّ، أبو الوليد المدني، من كبار التابعين وثقاتهم، كان فقيهاً، كثير الحديث، ولد في عهد النبي -ﷺ-، وأمه سلمى بنت عُمَيْس، وهو أخو أولاد حمزة بن عبد المطلب لأمهم، توفي سنة ٨٢هـ. ينظر: الاستيعاب (٣/٩٢٦)، والإصابة (٥/١٣).

[٣] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٥/٢٣٤)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٦/١٩٩٩).

[٤] البسيط (١١/٣٥٠).

[٥] ينظر: البسيط (١١/٣٥١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٥٦٤)، والوجيز (١/٥١٣).

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨)، وبحر العلوم (٢/١٣٨)، والكشف والبيان (٥/١٥٧).

واستدلوا بقول عبد الله بن شَدَّاد السابق أنَّها نزلت في بعض المنافقين.

واعترض عليه بأنَّ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة [1].

القول الثاني: أنَّه عائد إلى الله -تعالى-، وهو قول مُجَاهِد، والحَسَن-كما سبق-.

واختاره ابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن كَثِيْر، والسّعديّ، والشَّنقيطي [2].

واستُدل لهذا القول بالسياق حيث لم يجر للرسول -ﷺ- ذكر قبل هذه الآية[3]، وبقوله تعالى بعد ذلك : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فإنَّه يقتضي عَوْد الضمير إليه تعالى [4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأقوى هو عَوْد الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ إلى الله - ﷻ-؛ ويُؤَيِّد ذلك ما يلي:

١. أنَّ الأثر المروي عن عبد الله بن شَدَّاد أثر مرسل [5]، وفيه نظر؛ لأنَّ النفاق لم يظهر إلا بالمدينة، والآية مكية، وقد جاء في صحيح البخاري [6] أنَّ ابن عَبَّاس سئل

---

[1] ينظر: أنوار التنزيل (٣/٢٢١)، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٠٥).

[2] ينظر: غريب القرآن ص ٢٠١، وجامع البيان (١٥/٢٣٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٣/٣٢٩)، وتفسير المشكل من غريب القرآن ص١٠٥، والكشاف (٢/٣٥٩)، والمحرر الوجيز (٣/١٦٧)، ومفاتيح الغيب (١٧/١٤٨)، ومدارك التنزيل (٢/٤٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤/٣٠٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٧٦، وأضواء البيان (٢/١٧٣).

[3] ينظر: جامع البيان (١٥/٢٣٨).

[4] ينظر: روح المعاني (١١/٢٠٩).

[5] تهذيب الكمال (١٥/٨١).

[6] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الحافظ العالم، صاحب الصحيح، والمعول على صحيحه في أقطار البلدان، من مصنفاته: الجامع الصحيح، وكتاب الأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلاة، والتاريخ الكبير، توفي سنة ٢٥٦ هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/١٨٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٣٩١).

عن قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ ﴾، فَقَالَ: «أُنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاء، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ»[1]. ففي الأثر دلالة على أنَّ الاستخفاء كان من الله- ﷻ -.

٢. سياق الآيات، فالنبي -ﷺ- لم يسبق له ذكر، بخلاف اسم الجلالة فقد ذُكر سابقاً في قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [هود: ٤]، فعَوْد الضمير إليه أولى.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره [2].

٣. أنَّه جاء بعد الضمير قرينة ترجح عوده إلى الله - ﷻ-، وهي قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾، والقاعدة: أنَّ توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها [3].

٤. أنَّ ما ذكره بعض المفسرين من أن عَوْد الضمير إلى اسم الجلالة يحتاج إلى إضمار، بخلاف عَوْده إلى الرسول -ﷺ-، والتقدير: (ويريدون ليستَخْفُوا من اللَّه)، غير مسلَّم؛ لأنَّ الاستخفاء علة صالحة لثنيهم صدورهم، فلا اضطرار إلى إضمار الإرادة [4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة هود، قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ ﴾، رقم الحديث (١٧٣)، (٤/١٧٢٢).

[2] ينظر: البحر المحيط (٦/٢٢٦)، والدر المصون (٨/٢٢٢)، والبرهان في علوم القرآن (٤/٣٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٣/٢٣٥)، وروح المعاني (١٧/١١١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٣٢).

[3] ينظر: المحرر الوجيز (٥/٨)، والبرهان للزَّرْكَشِيّ (٤/٣٥)، والإتقان (١/٣٩٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٣٢).

[4] ينظر: الدر المصون (٦/٢٨٨).

٦٦- المراد بالعذاب الغليظ

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾[هود: ٥٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾، قال ابن عَبَّاس: يريد الذي عُذِّب به الذين كفروا [١]، وقال بعضهم: يعني عذاب يوم القيامة، **وهذا أحسن**؛ لأنَّ الإنجاء من عذاب الدنيا قد سبق، كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب» [٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالعذاب الغليظ في الآية:

القول الأول: أنَّه ما عُذِّب به الذين كفروا، وهو الريح العقيم.

واختار هذا القول الآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعديّ[٣].

القول الثاني: أنَّه عذاب يوم القيامة.

واختار هذا القول الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والرَّازِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل، وابن عَاشُور [٥].

---

[١] بعد البحث والمراجعة لم أقف عليه.

[٢] البسيط (٤٥٢/١١).

[٣] ينظر: روح المعاني (٨٦/١٢)، ومحاسن التأويل (١١٠/٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٨٤.

[٤] ينظر: البسيط (٤٥٢/١١)، واقتصر على ذكر القول الأول في الوسيط (٥٧٨/٢)، والوجيز (٥٢٤/١).

[٥] ينظر: جامع البيان (٣٦٦/١٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٤١٤/٥)، ومفاتيح الغيب (١٣/١٨)، ولباب التأويل (٢٣٨/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٥١٠/١٠)، والتحرير والتنوير (٢٨٤/١١).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني أحسن وأولى، وهو أنَّ المراد بالعذاب الغليظ يوم القيامة؛ وذلك لأمور:

١. أنَّ تأويل العذاب الغليظ بعذاب يوم القيامة يفيد معنى جديداً، ومعلوم أنَّ الكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى [١].

٢. أنَّ هذين الإنجاءين المذكورين في هذه الآية: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾[هود: ٥٨]، يقابلان العذابين لقوم عاد في الآية بعدها: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[هود: ٦٠] [٢].

٣. أنَّ هذا العذاب وصف بكونه غليظاً؛ لأنَّه أعظم من عذاب الدنيا؛ وفي ذلك تنبيه على أنَّ العذاب الذي حصل لهم بعد موتهم بالنسبة إلى العذاب الذي وقع عليهم كان عذاباً غليظاً [٣].

[١] ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١/١٩٣)، والإحكام للآمدي (١/٢٧٦)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٢٠).

[٢] ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٨٤)

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٨/١٣)، ولباب التأويل (٣/٢٣٨).

٦٧- المراد بالحق

في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود: ٧٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ ﴾ قال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد شهوة [١]، وقال الكَلْبِيّ: من حاجة [٢]، جعلوا تناول ما لا حاجة فيه بمنزلة تناول ما لا حق لهم فيه. وقال ابن إِسْحَاق [٣]: لَسْنَ لنا بأزواج فنستحقهن[٤]، **وهذا القول أولى**؛ لأنَّه رد على ظاهر اللفظ حين قال لهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾ [هود: ٧٨]، فقالوا: لَسْنَ لنا بأزواج »[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالحق في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: ما لنا فيهن من حاجة، ولا شهوة.

ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس، وقال به الكَلْبِيّ -كما سبق-. واختاره السَّمَرْقَنْدِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والسّعديّ ، وابن عَاشُور [٦].

القول الثاني: أنَّ المعنى: لَسْنَ لنا أزواجاً فنستحقهن.

---

[١] بعد البحث والمراجعة لم أقف عليه.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٨٩/٢).

[٣] مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن يسار المطلبي مولاهم، أبو بكر المدني، صاحب السيرة النبوية، كان حافظاً عالماً ماهراً في السير والمغازي وقصص الأنبياء والحديث والفقه والقرآن، روى عن زيد بن ثابت، توفي عام ١٥٠هـ.
ينظر: وفيات الأعيان (٢٧٧/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٣/٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤١٧/١٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٠٦٣/٦).

[٥] البسيط (٥٠١/١١).

[٦] ينظر: بحر العلوم (١٦٤/٢)، وأنوار التنزيل (٢٤٨/٣)، وغرائب القرآن (٤٠/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٧٥/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤٥/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٣٨٦، والتحرير والتنوير (٣٠٤/١١).

وهو قول مُحَمَّد بن إِسْحَاق -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيُّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب[2].

القول الثالث: أنَّ المعنى: ما لنا من حق؛ لأنَّك لا ترى مَنَاكَحَتَنَا؛ فلا ينكح بناتك إلّا مؤمن، ونحن لا نجيبك إلى الإيمان فلا يكون لنا فيهن حق[3].

وروي أنَّ قوم لُوْط كانوا قد خطبوا بناته فردَّهم، وكانت سنتهم أنَّ من رُدَّ في خِطْبةِ امرأة لم تَحِلّ له أبداً[4].

قال الآلُوْسِيّ: «أي ما لنا في بناتك نكاح حق؛ لأنَّك لا ترى جواز نكاحنا للمسلمات...وهو ظاهر في أنَّه كان من شريعته -عليه السلام- عدم حل نكاح الكافر المسلمة. وقيل: إنَّما نفوا أن يكون لهم حق في بناته؛ لأنَّهم كانوا قد خطبوهن فردهم، وكان من سنتهم أنَّ من رُدَّ في خِطْبةِ امرأة لم تَحِلّ له أبدا»[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر- والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل الوجوه السابقة، فيحتمل أنَّهم أرادوا بذلك الحق أنَّهم لا شهوة لهم ولا رغبة في النساء، وهذا هو واقعهم كما أخبر الله -تعالى- عنهم على لسان نبيه لُوْط -عليه السلام-، فقال: ﴿ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾[الأعراف: ٨١]، ويشهد لذلك أيضاً سياق الآيات؛ فإنَّهم بمجرد علمهم بقدوم الرسل جاءوا مسرعين إلى لُوْط-عليه السلام-؛ طلباً للفاحشة

---

[1] ينظر: البسيط (٥٠١/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٥٨٣)، والوجيز (٥٢٨/١).

[2] ينظر: غريب القرآن ص ٢٠٧، وجامع البيان (٤١٧/١٥)، والكشف والبيان (١٨٢/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٤٤٣/٥).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨/١٨)، ولباب التأويل (٢٤٥/٣)، وروح المعاني (١٠٧/١٢).

[4] ذكر ذلك ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢٠٩/٣)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٧٧/٩). ولم يذكرا غيره من الأقوال.

[5] روح المعاني (١٠٧/١٢).

من أضيافه، وليس لغرض آخر، ويحتمل أنَّهم أرادوا بقولهم: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: لم نتزوجهنّ من قبل فلا حق لنا فيهن، ويحتمل أنَّ لُوْطاً -عليه السلام- قد دعاهم إلى نكاحهنّ من قبل بشرط الإيمان، وهم لا يؤمنون، وقد يكون من شريعته عدم حل نكاح الكافر المسلمة، أو أنَّهم نفوا أن يكون لهم حق في بناته؛ لأنَّهم كانوا قد خطبوهنّ فردَّهم، وكان من سنتهم أنَّ مَنْ رُدَّ في خِطْبةِ امرأة لم تَحِلّ له أبدا.

فهذه تفسيرات محتملة يمكن حمل الآية عليها، ولعل القول الأول أقرب في النظر من القولين الآخرين، لكن لفظ الآية يحتملها جميعاً، والقاعدة: أنَّ الكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرفُ معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها، والأولى في ذلك حمل التفسيرات المتعددة للآية عليها[1].

[1] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

٦٨- عَوْدُ الضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وأكثر أهل التفسير على أنَّ هذا في كفار مكة. وقال مُقَاتِل بن سُلَيْمَان: يعني بهذا قوم من أصحاب مُوْسَى[١]. **والظاهر هو الأول**؛ لأنَّ الذين كذبوا بالتوراة أُهلكوا في الدنيا عاجلاً، ولم تؤخر عقوبتهم إلى الآخرة»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير ﴿بَيْنَهُمْ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه عائد على قوم النبي مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

واختار هذا القول الوَاحِدِيّ[٣]، والخَازِن، وأبو السُّعُوْدِ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٤].

واستُدل لهذا القول بأنَّ الله أخر العذاب عن هذه الأمة إلى يوم القيامة[٥]، وبأنَّ الذين كذبوا بالتوراة أهلكوا في الدنيا عاجلاً، ولم تؤخر عقوبتهم إلى الآخرة[٦].

قال الآلُوْسِيّ:« ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في حق أمتك المكذبة، وهي العِدَةُ

---

[١] لم أجد قوله في تفسيره، ولم أجد من نسبه إليه من أهل التفسير.

[٢] البسيط (٥٦٨/١١).

[٣] ينظر: البسيط (٥٦٨/١١)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٩٢/٢)، والوجيز (٥٣٥/١).

[٤] ينظر: لباب التأويل (١١٤/٦)، وإرشاد العقل السليم (٢٤٤/٤)، وروح المعاني (١٤٨/١٢)، ومحاسن التأويل (١٣٣/٦)، والتحرير والتنوير (٧٩/٢٥).

[٥] ينظر: لباب التأويل (١١٤/٦)، ومحاسن التأويل (١٣٣/٦).

[٦] ينظر: البسيط (٥٦٨/١١)، والتحرير والتنوير (٧٩/٢٥).

بتأخير عذابهم، وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة، بنحو قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ ﴾ [القمر: ٤٦]» [١].

القول الثاني: أنَّه عائد على قوم مُوْسَى -عليه السلام-.

واختار هذا القول أبو حيَّان، والبِقَاعِيّ[٢].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ الضمير في قوله: ﴿ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ عائد على المختلفين من قوم مُوْسَى -عليه السلام-، وقوم مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-، ويُؤَيِّد ذلك:

١. أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٣].

٢. سياق الآية لحاقاً، فلفظ (كل) في قوله تعالى بعده: ﴿ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ ﴾ [هود: ١١١]، يفيد العموم.

يقول ابن عَطِيَّة:« يحتمل أن يريد به أمة مُوْسَى -عليه السلام-، ويحتمل أن يريد به معاصري مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-، وأن يعمهم اللفظ أحسن عندي، ويؤكد ذلك قوله: ﴿ وَإِنَّ كُلّٗا ﴾ » [٤].

٣. أنَّ عذاب الاستئصال لحِق بفِرْعَوْن وجنوده أول الأمر، أمَّا بنو إِسْرَائِيْلَ فلم يكن لهم اختلاف على مُوْسَى -عليه السلام- في أول حاله، فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فِرْعَوْن اختلفوا، فأخر الله القضاء بينهم إلى يوم القيامة، كما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ٩٣].

---

[١] روح المعاني (١٣١/٢٤).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٢٦٦/٥)، ونظم الدرر (٣/ ٥٨٣).

[٣] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[٤] المحرر الوجيز (٢٢٤/٣) .

٦٩- المشار إليه في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ قال ابن عَبَّاس، والضَّحَّاك، ومُجَاهِد، وقَتَادَة: وللرحمة خلقهم[١]، يعني الذين رحمهم...وقال الحَسَن، ومُقَاتِل بن حَيَّان، ويَمَان، وعَطَاء: وللاختلاف خلقهم[٢]، يعنون المختلفين. وفي الآية قول ثالث **وهو الاختيار**، قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ يريد: خَلَق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف[٣]» [٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المشار إليه في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾:

القول الأول: أنَّ الإشارة إلى الرحمة، التي تضمنها قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾.

وهو قول ابن عَبَّاس، والضَّحَّاك، ومُجَاهِد، وقَتَادَة -كما سبق-.

القول الثاني: أنَّ الإشارة إلى الاختلاف، الذي في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾.

وهو قول الحَسَن، ومُقَاتِل بن حَيَّان، ويَمَان، وعَطَاء -كما سبق-.

---

[١] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٧/١٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٥).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٥/١٥) عن الحَسَن، وذكره عنهم الثَّعْلَبِيُّ في الكشف والبيان (١٩٤/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١١٥/٩).

[٣] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٥/١٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٠٩٦/٦)، من طريق علي بن أبي طلحة.

[٤] البسيط (٥٨٨/١١).

واختاره ابن العَرَبِيّ، وابن عَادِل، والقَاسِمِيّ، والشَّنقيطي [١].

قال أبو حيَّان موضحاً هذا القول: « والإشارة بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ إلى المصدر المفهوم من قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾...كأنه قيل: وللاختلاف خلقهم، ويكون على حذف مضاف أي: لثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة خلقهم. ودل على هذا المحذوف أنه قد تقرر من قاعدة الشريعة أن الله -تعالى- خلق خلقاً للسعادة، وخلقا للشقاوة، ثم يسر كلاً لما خلق له، وهذا نص في الحديث الصحيح[٢]» [٣].

القول الثالث: أنَّ الإشارة بذلك إلى الأمرين الاختلاف والرحمة.

وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق -، والحَسَن[٤] في رواية أخرى عنهما.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والثَّعْلَبِيُّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن[٦]، ونسبه ابن تَيْمِيَّة للسَّلف[٧].

---

[١] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٨/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٦٠٠/١٠)، ومحاسن التأويل (١٤١/٦)، وأضواء البيان (٣٥٨/٥).

[٢] وهو قوله -ﷺ-:«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة الليل، رقم الحديث (٤٦٦٦)، (١٨٩١/٤).

[٣] البحر المحيط (٢٧٢/٥).

[٤] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم الحديث (٤٦١٧)، (٣٣٥/٤).

[٥] ينظر: البسيط (٥٨٩/١١)، وذكر الأقوال الثلاثة في الوسيط ولم يرجح (٥٩٧/٢)، واقتصر على هذا القول في الوجيز (٥٣٧/١).

[٦] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣١/٢)، وجامع البيان (٥٣٧/١٥)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٣٩٠/٣)، والكشف والبيان (١٩٥/٥)، والمحرر الوجيز (٢٢٩/٣)، ومفاتيح الغيب (٦٣/١٨)، والجامع لأحكام القرآن (١١٥/٩)، ولباب التأويل (٢٥٩/٣).

[٧] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٨/ ١٨٨).

واستدلوا بسياق الآية، وهو قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

قال الخَازِن بعدها:«وهذا صريح بأنَّ الله خلق أقواماً للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لأعمال أهل الجنة، وخلق أقواماً للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ أولى الأقوال وأجودها القول الثالث، وهو أنَّ الإشارة في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ عائدة إلى كلا الأمرين الاختلاف والرحمة، والقول الثاني قريب من الثالث؛ لأنَّ المعنى لأجل الاختلاف إلى شقي وسعيد خلقهم[3]، فهذه ثمرة الاختلاف[4]. ويُؤَيِّد رجحان القول الثالث ما يلي:

١. السياق اللاحق للآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فهو صريح بأنَّه تعالى خلق أقواماً للهداية والجنة وأقواماً آخرين للضلالة والنار. والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره[5].

٢. قول النبي -ﷺ- لعائشة -رضي الله عنها-:« يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ »[6].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٦٣/١٨)، ولباب التأويل (٢٥٩/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٦٠١/١٠).

[2] لباب التأويل (٢٥٩/٣).

[3] ينظر: أضواء البيان (٦٠/٣).

[4] ينظر: المحرر الوجيز (٢٢٩/٣)، والبحر المحيط (٢٧٢/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٦٠٠/١٠).

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[6] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٦٩٣٩)، (٥٤/٨).

فالحديث دال على أن الله خلق الخلق منقسماً إلى شقي وسعيد، وأنَّه كتب ذلك وقدره قبل أن يخلقهم.

٣. أنَّ هذا القول يتضمن القولين الآخرين؛ لأنَّ الله - ﷻ- ذكر في أول الآية صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ، فعمّ بذلك صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميَسَّر لما خلق له[١].

ولا تعارض بين قوله تعالى: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ فاللام في الآية الأولى تدل على الإرادة الكونية[٢]، واللام في الآية الثانية تدل على الإرادة الدينية الشرعية[٣].

---

[١] ينظر: جامع البيان (٥٣٧/١٥).

[٢] الإرادة الكونية: وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)، ولا يلزم فيها أن تكون من محبوبات الله تعالى، وهذه الإرادة في مثل قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وأمثال ذلك.

ينظر: دقائق التفسير (٥٢٨/٢)، وشفاء العليل ص٢٨٠.

[٣] الإرادة الشرعية: وهي محبة المراد ورضاه، ومحبة أهله، والرضا عنهم، فلا تكون إلا فيما يحبه الله - ﷻ -، ولا يلزم وقوعها؛ لتعلقها بفعل العبد، فقد يفعل ما يريده الله منه شرعاً، وقد لا يفعل، وهذه الإرادة في مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٦]، وأمثال ذلك. ينظر: المصادر السابقة.

٧٠- المراد بقوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قول السُّدِّي[١]، وابن إِسْحَاق[٢] أنَّ معنى قوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ أي: في المنام. وقال أبو إِسْحَاق[٣]: أَحَبَّ يُوْسُف أن يدعوهما إلى الإيمان، وأن يعلمهم أنَّه نبي، وأن يدلهما على نبوته بآية معجزة، وأعلمهما أنَّه يخبرهما بكل طعام يؤتيان به من قبل أن يرياه[٤]، فعلى هذا معنى قوله: ﴿تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ في اليقظة: يقول: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ﴾ إلا أخبرتكما، أي طعام هو؟ وأي لون هو؟ وكم هو؟ وهذا مذهب ابن جُرَيْج[٥]، **والأول أوجه**؛ لأنَّ قوله: ﴿نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ يوجب أن يكون ذلك إعلاماً بتأويل ما تريان في النوم، ثم أعلمهما أن ذلك مما عرفه الله إياه، فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾»[٦].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾:

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠١/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢١٤٤).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠١/١٦)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٤).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١١٠/٣).

[٥] ذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٧/٣)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٩١/٩).

[٦] البسيط (١١٧/١٢).

القول الأول: أنَّ المعنى: لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله، فهو من باب تأويل الرؤيا وتعبيرها، وهو قول السُّدِّي، وابن إِسْحَاق -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن تَيْمِيَّة، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ[2]، ونسبه ابن تَيْمِيَّة إلى أكثر المفسرين[3].

واستدل ابن تَيْمِيَّة على صحة هذا القول بما يلي:

١. أنَّ سياق الآيات يدلّ على أنَّ تأويل الطعام في المنام لا في اليقظة؛ إذ ليس فيه أنَّه أخبرهما بما يرزقانه في اليقظة، فكيف يقول قولاً عامّاً: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾، وهذا الإخبار العامّ لا يقدر عليه إلا الله -تعالى-. والأنبياء يخبرون ببعض ذلك، لا يخبرون بكلّ هذا.

٢. أنَّ صفة الطعام وقدره ليس تأويلاً له.

٣. أنَّ الله -ﷻ- قد أخبر أنَّه قد علّمه تأويل الرؤيا، كما قال يَعْقُوْب -عليه السلام-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[يوسف:٦]، وقال يُوْسُف -عليه السلام-: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[يوسف:١٠١]، وقال: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ﴾[يوسف:١٠٠]، ولما رأى الملك الرؤيا، قال له الذي ادّكر بعد أمّة: ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: ٤٥]، وقال الملك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾

---

[1] ينظر: البسيط (١١٧/١٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٦١٣/٢)، والوجيز (٥٤٦/١).

[2] ينظر: جامع البيان (١٠٠/١٦)، والمحرر الوجيز (٢٥٤/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦٥/١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٨٩/٤)، وتفسير الجلالين ص ٣٠٨.

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦٥/١٧).

[يوسف:٤٣-٤٤]، فلفظ التأويل في هذه المواضع، كلّها بمعنى واحد، وهو تأويل الرؤيا في المنام لا اليقظة [١].

القول الثاني: أنَّ المعنى: لا يأتيكما طعام في اليقظة إلا أخبرتكما بتأويله، أي: بتفسيره، وألوانه، أيّ طعام أكلتم؟ وكم أكلتم؟ ومتى أكلتم؟ فهو من باب الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء. وقالوا هذا نظير قول عِيْسَى -عليه السلام- لقومه: ﴿ **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وهو قول الحَسَن[٢]، وابن جُرَيْج[٣]. واختاره السَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والزَّمْخْشَرِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو حيَّان، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَاني [٤].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الأول أقوى وأجود، وذلك لما ذكره شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة من الوجوه، وهي في غاية القوّة، ويمكن أن يضاف إليها ما يلي:

١. ظاهر السياق يشهد أنَّ الفتيين إنَّما سألاه أن ينبّئهما عن تأويل رؤياهما: ﴿ **نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ** ﴾، فجاء الجواب مطابقاً لما سألاه عنه: ﴿ **إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ** ﴾، فدلّ على أنَّ

---

[١] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦٦/١٧).

[٢] ذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٧/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٤/٤).

[٣] ذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٧/٣)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٩١/٩).

[٤] ينظر: بحر العلوم (١٩٢/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٥٦٦/٥)، والكشاف (٤٤٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩١/٩)، وأنوار التنزيل (٢٨٨/٣)، ومدارك التنزيل (١١٠/٢)، والبحر المحيط (٣٠٨/٥)، وإرشاد العقل السليم (٢٧٧/٤)، وفتح القدير (٣٨/٣).

التأويل الثاني هو من جنس الأوّل، وأنَّ المراد ما يأتيهما من الطعام في المنام لا في اليقظة. والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

٢. أنَّ الأمر الذي يحتاج إلى تأويل هو الرؤى وليست الأمور التي في اليقظة، فإخبارهما بصفة الطعام الذي يأتيهما في اليقظة وقدره ليس تأويلاً له.

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

٧١- المراد بالظن

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ قال ابن عَبَّاس[١]، ومُقَاتِل[٢]، وأكثر المفسرين: ظن: أيقن، وهذا التفسير موافق لقول من يقول: إنَّه حكم في عبارة الرؤيا بالقطع واليقين، فقال للذي علم أنَّه ناج من الرجلين: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ وقال قَتَادَة: إنَّما عبارة الرؤيا على الظن، فيبطل الله ما يشاء ويحق ما يشاء[٣]، وفسَّر الظن هاهنا على الشك والحسبان، وهذا موافق لمذهب من يقول لم يُحَتِّمْ يوسف بتأويل الرؤيا، **والقول هو الذي عليه العامة**»[٤].

- **الدراسة**

المفسرون في المراد بالظن في الآية على قولين:

القول الأول: أنَّه اليقين والعلم، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والجَصَّاص، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، والسُّيوطِيّ،

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤/٢٢٧).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٤٧٨).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦/١١٠)، وعزاه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٤/٥٤١) إلى أبي الشيخ.

[٤] البسيط (١٢/١٢٠).

[٥] ينظر: البسيط (١٢/١٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/٦١٤)، والوجيز (١/٥٤٧).

والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[1]. وهو قول جمهور المفسرين[2].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّه الأنسب بحال الأنبياء[3].

٢. سياق الآيات، فقول يُوْسُف -عليه السلام- لهما قبل ذلك: ﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ يفيد اليقين[4].

٣. ورود لفظ الظن بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٦]، وقوله:﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴾[الحاقة: ٢٠][5].

القول الثاني: أنَّ الظن هنا على بابه الذي هو خلاف اليقين. وهو قول قَتَادَة -كما سبق-.

وردَّ الطَّبَرِيّ قول قَتَادَة، فقال: «وهذا الذي قاله قَتَادَة، من أنَّ عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء. فأمَّا الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنَّه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنَّه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنَّه كائن أو غير كائن؛ لأنَّ ذلك لو جاز عليها في أخبارها، لم يُؤمَن مثل ذلك في كل أخبارها.

---

[1] ينظر: جامع البيان (١١١/١٦)، وأحكام القرآن للجَصَّاص (٣٨٨/٤)، وبحر العلوم (١٩٤/٢)، والكشف والبيان (٢٢٥/٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٥٧٠/٥)، ومعالم التنزيل (٢٤٣/٤)، والمحرر الوجيز (٢٥٦/٣)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٤٢/٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٩)، ولباب التأويل (٢٨٥/٣)، والبحر المحيط (٣١٠/٥)، وتفسير الجلالين ص ٣٠٩، وفتح القدير (٤٢/٣)، وروح المعاني (٢٤٧/١٢)، ومحاسن التأويل (١٧٩/٦)، والتحرير والتنوير (٦٧/١٢).

[2] ينظر: الكشف والبيان (٢٢٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٩)، وفتح القدير (٤٢/٣).

[3] ينظر: الكشف والبيان (٢٢٥/٥)، والبسيط (١٢١/١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٩)، وفتح القدير (٤٢/٣).

[4] ينظر: جامع البيان (١١١/١٦)، والمحرر الوجيز (٢٥٦/٣)، وروح المعاني (٢٤٧/١٢).

[5] ينظر: الكشف والبيان (٢٢٥/٥)، ومفاتيح الغيب (١١٥/١٨)، وروح المعاني (٢٤٧/١٢).

وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت حُجَّتها على من أرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك، كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق. فمعلومٌ، إذ كان الأمر على ما وصفت، أنَّ يُوْسُف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنَّه كائن، فيقول لأحدهما: ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ ﴾ [يوسف: ٤١]، ثم يؤكد ذلك بقوله: ﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ [يوسف: ٤١]، عند قولهما: (لم نر شيئا) إلا وهو على يقين أنَّ ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنَّه كائن لا محالة لا شك فيه. وليقينه بكون ذلك، قال للناجي منهما: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ فبيِّنٌ إذًا بذلك فسادُ القول الذي قاله قَتَادَة في معنى قوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ﴾ »[1].

- **الترجيح:**

بالنظر فيما سبق يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أصح؛ لقوة ما استدل به أصحابه؛ ويؤيد ذلك ما يلي:

١. قاعدة: القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب مالا يليق بها أولى بتفسير الآية[2].

قال ابن العَرَبِيّ:«هاهنا نكتة بديعة: وهي أنَّ يُوْسُف وإن كان قال لهما: ﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ فقد قال الله عنه: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ فكيف يقول قضي الأمر ثم يجعل نجاته ظناً؟ وأجاب عنه الناس من وجهين؛ الأول: قالوا: إنَّما أخبر عنه بالظن؛ لأنَّ تفسير الرؤيا ليس بقطع، وإنَّما هو ظن، وهذا

---

[1] جامع البيان (١١١/١٦).

[2] ينظر: الكشف والبيان (٢٢٥/٥)، والبسيط (١٢١/١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٤/٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٥/١).

باطل؛ وإنَّما يكون ذلك في حق الناس، فأما في حق الأنبياء فلا؛ فإن حكمهم حق كيفما وقع. الثاني: إنَّ ظن هاهنا بمعنى أيقن وعلم، وقد يستعمل أحدهما موضع الآخر لغة» [1].

٢. سياق الآيات يشهد لهذا القول، فقوله سباقاً: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ وقوله لحاقاً للناجي منهما: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يدل على يقينه وعلمه بوقوع ما عَبَّر لهما. وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [2].كما أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه [3].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الجماعة أولى بالصواب، فهم إلى الحق أقرب، ومن الخطأ أبعد[4].

[1] أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣/٤٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (١٤/٩٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١١١).

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٧٢- الموصوف بالخيرية

في قوله تعالى: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف: ٥٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ذكر العلماء في هذه الآية قولين: أنَّ المعنى ما يعطي الله -تعالى- من ثواب الآخرة خير للمؤمنين الذين يعدلون ويؤثرون الصواب في تقوى الله -تعالى-، من التَّمْكِينِ في الدنيا والملك، والمعنى أنَّ ما يعطي الله يُوْسُف في الآخرة خير مما أعطاه في الدنيا، **هذا الوجه هو الموافق للظاهر**، وهو الذي عليه العامة. الوجه الثاني: أنَّ الأجر خير من التشاغل في الدنيا الفانية الزائلة، وعلى هذا قيل: ولأجر الآخرة خير، وإن لم يكن في التشاغل بالدنيا خير...والشاهد بهذا قوله: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٤]، وأصحاب النار لا خير في مستقرهم البتة»[١].

- **الدراسة**

المفسرون في الموصوف بالخيرية في الآية على قولين:

القول الأول: أنَّ المعنى: ولأجر الآخرة خير مما يُعطى المؤمن في الدنيا من النعيم؛ لأنَّ أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا منقطع.

واختاره الوَاحِدِيّ[٢]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن الجَوْزِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن كَثِيْر، والبِقَاعِيّ، والسّعْدِيّ [٣].

---

[١] البسيط (١٥٩/١٢).

[٢] ينظر: البسيط (١٥٩/١٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٢/ ٦١٩)، والوجيز (٥٥١/١).

[٣] ينظر: جامع البيان (١٥٢/١٦)، وبحر العلوم (١٩٩/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٥٩٠/٥)، وزاد المسير (٢٤٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٩٦/٤)، ونظم الدرر (٦١/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٠٠.

القول الثاني: أنَّ المعنى: ولأجر الآخرة خير من التشاغل بمتاع الدنيا ونعيمها[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأولى هو القول الأول بأنَّ ثواب الآخرة خير وأفضل مما يُعطى المؤمن في الدنيا من النعيم، وإن كان القول الثاني صحيحاً في معناه، والقول الأول يستلزمه، فكثرة النعم والمتاع في الدنيا تستلزم التشاغل بها والناس في ذلك يتفاوتون، إلا أنَّ القول الأول أرجح؛ لأمور:

١. أنَّه الأوفق والأنسب للسياق، فالآيات تتحدث عن نعم الله - سبحانه- على يُوْسُف -عليه السلام- كإنعامه عليه بالخلاص من السجن، وتَمْكِينه في الأرض، فناسب أن تشير هذه الآية إلى أنَّ حال يُوْسُف -عليه السلام- في الآخرة خير من حالته العظيمة في الدنيا. وإن كانت الآية عامة في كل مؤمن خاف مقام ربه واتقاه.

قال البِقَاعِيّ في مناسبة هذه الآية لما قبلها: «ولما كان هذا مما يستعظمه الناس في الدنيا، وكان عزها لا يعد في الحقيقة إلا إن كان موصولاً بنعيم الآخرة، نبه على ما له في الآخرة مما لا يعد هذا في جنبه شيئاً، فقال مؤكداً لتكذيب الكفرة بذلك: ﴿ **وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾»[2].

٢. ما رُوي عن سُفْيَان بن عُيَيْنَة أنَّه قال:«المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية» [3].

---

[1] ينظر: النكت والعيون (٥٣/٣)، والبسيط (١٥٩/١٢).

[2] نظم الدرر (٦١/٤).

[3] ينظر: الكشاف (٤٥٦/٢)، ومدارك التنزيل (١٢٠/٢)، وغرائب القرآن (١٠٢/٤)، والبحر المحيط (٣١٨/٥)، وروح المعاني (٧/١٣).

ولا شك أنَّ ما أعده الله - ﷻ- في الآخرة لمن آمن به واتقى لَيَتضاءل أمامه كل ما في الدنيا من مال وجاه وزينة، وهذا ما أراده سُفْيَان -رَحِمَهُ اللَّهُ- حين تلا هذه الآية بعد مقولته.

٣. أنَّ أكثر المفسرين اقتصر على هذا القول[١]، ولم يشر إلى القول الآخر مما يدل على أنَّه الأولى بتفسير الآية.

[١] ينظر: جامع البيان (١٥٢/١٦)، وبحر العلوم (١٩٩/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٥٩٠/٥)، وزاد المسير (٢٤٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٩٦/٤)، ونظم الدرر (٦١/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٠٠.

٧٣- المراد بكبيرهم

في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يعني يَهُوذَا وكان أعقلَهُم[١]، وهو قول وَهْب، والكَلْبِيّ[٢]، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[٣]: لم يكن أكبَرَهُم في السِّن لكنَّه كان أكبرهم في صحة الرأي. وقال مُجَاهِد: شَمْعُون، وكان أكبَرَهُم في العلم والعقل لا في السِّن[٤]. وقال قَتَادَة، والسُّدِّي[٥]، والضَّحَّاك[٦]: هو رُوبِيل وكان أكبَرَهُم سنًّا، **وهذا هو الظاهر**»[٧].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بكبيرهم في الآية:

القـول الأول: أنَّه كبيرهم في السِّن وهو رُوبِيل، وهو قول الضَّحَّاك، قَتَادَة، والسُّدِّي - كما سبق -، ومُحَمَّد بن إِسْحَاق[٨].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٦٥/٤)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (١٧٩/١١).

[٢] لم أجد الأثر عنهما مسنداً، وذكره عنهما الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٤٥/٥)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٣٥/١٣).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٥٩/٢).

[٤] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠٦/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢١٨١).

[٥] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠٦/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٨١/٧).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٦٥/٤)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢٦٦/٤).

[٧] البسيط (٢٠٣/١٢).

[٨] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠٦/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢١٨١/٧).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والبِقَاعِيّ، وابن عَاشُور[2].

واستدل الطَّبَرِيّ على صحة هذا القول، بقوله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عنى بقوله: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ رُوبِيل؛ لإجماع جميعهم على أنَّه كان أكبَرَهُم سنًّا. ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم: (فلان كبير القوم)، مطلقاً بغير وصل، إلا أحد معنيين: إمَّا في الرياسة عليهم والسؤدد، وإمَّا في السِّن. فأمَّا في العقل، فإنَّهم إذا أرادوا ذلك وصَلوه، فقالوا:(هو كبيرهم في العقل). فأمَّا إذا أطلق بغير صلته بذلك، فلا يفهم إلا ما ذكرت. وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشَمْعُون – وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذي جعله الله به – على إخوته رياسةٌ وسؤدد، فيعلم بذلك أنَّه عنى بقوله: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا الوجه الآخر، وهو الكبر في السِّن، وقد قال الذين ذكرنا جميعًا: (رُوبِيل كان أكبر القوم سنًّا)، فصح بذلك القول الذي اخترناه»[3].

القول الثاني: أنَّه كبيرهم في العقل والرأي والعلم.

وهم في تعينه على قولين:

الأول: أنَّه شَمْعُون، قاله مُجَاهِد - كما سبق -.

الثاني: أنه يَهُوذَا، قاله ابن عَبَّاس، ووَهْب، والكَلْبِيّ، ومُقَاتِل - كما سبق -.

---

[1] ينظر: البسيط (٢٠٣/١٢)، وذكر الأقوال الثلاثة في الوسيط دون ترجيح لأحدها (٦٢٥/٢)، والوجيز (٥٥٦/١).

[2] ينظر: جامع البيان (٢٠٧/١٦)، والمحرر الوجيز (٢٧٧/٣)، ونظم الدرر (٨٧/٤)، والتحرير والتنوير (١٠٥/١٢).

[3] جامع البيان (٢٠٧/١٦).

- **الترجيح:**

بالنظر فيما سبق يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأولى هو القول الأول بأنَّ المراد بكبيرهم هو كبيرهم سنًّا وهو رُوبِيل؛ لقوة ما استدل به الطَّبَرِيّ؛ ولأنَّ هذا هو الظاهر المتبادر للذهن من إطلاق لفظ الكبير، ولو أراد كبيرهم في العقل أو العلم لوصله، والقاعدة: أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه [1].

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (٨٣/٣٠) ، وأضواء البيان (٢٦٠/٢) (٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

٧٤ - ٧٥

المراد بدعوة الحق، ومعنى دعاء الكافرين

في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[الرعد: ١٤].

المسألة الأولى: المراد بدعوة الحق.

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أكثر المفسرين على أنَّ المراد بدعوة الحق هاهنا كلمة التوحيد والإخلاص...وقال الحَسَن: الله الحق[١]...وقال أبو إِسْحَاق[٢]: وجائز أن تكون دعوة الحق، أنَّه من دعا الله موحداً استجيب له. قال أبو بَكْر[٣]: الدعوة على هذا التفسير يريد بها الدعوات فاكتفى من الجمع بالواحد ...ومعنى الدعوات: دعوات الداعين إياه، يلتمسون الإجابة وهم محقون في ذلك؛ سألوا من لا يخيب سائله ويقدر على الإجابة وإنالة المطلوب. **وهذا هو الوجه**، وهو الأليق بما بعده من سياق الآية؛ لأنَّه ذكر أنَّ الأصنام لا يستجيبون للداعين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام، يدعونها المشركون من دون الله، في قول جميع المفسرين»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بدعوة الحق في الآية:

القول الأول: أنَّها كلمة التوحيد والإخلاص (لا إله إلا الله)، والمعنى: لله من خلقه أن يوحدوه ويخلصوا له.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (١١/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣١٧/٤).

[٢] يعني: الزَّجَّاج.

[٣] يعني: أبا بَكْر الأَنْبَارِيّ.

[٤] البسيط (٣٢١/١٢).

وهو قول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب[1]، وابن عَبَّاس، وقَتَادَة[2]، وابن زَيْد[3]. واختاره الفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن كَثِيْر[4].

القول الثاني: أنَّها الدعاء، والمعنى: له الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها، لا كدعوة من دونه.

واختاره الوَاحِدِيّ[5]، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وأبو السُّعُوْد[6].

واستُدل لهذا القول بما بعده من سياق الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، وقوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[7].

القول الثالث: أن المراد بالحق هو الله -ﷻ-، وهو قول الحَسَن - كما سبق -.

واعترض عليه أبو حيَّان، بقوله: «وهذا الوجهُ لا يظهر؛ لأنَّ مآلَه إلى تقدير: لله دعوةُ الله، كما تقول: لزيدٍ دعوةُ زيد، وهذا التركيبُ لا يَصِحُّ»[8].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٩٨/١٦)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣١٧/٤).

[2] أخرجه عنهما عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٣٤/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٩٨/١٦).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٩٨/١٦)، وذكره مَكِّيّ بن أبي طَالِب في الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٧٠٨/٥).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٦١/٢)، وجامع البيان (٣٩٧/١٦)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٤٨٥/٣) ، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٧٠٨/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤٥/٤).

[5] ينظر: البسيط (٣٢١/١٢)، وذكر القول الأول والثالث في الوسيط ولم يرجح (١٠/٣)، واقتصر على القول الأول في الوجيز (٥٦٨/١).

[6] ينظر: مدارك التنزيل (١٤٧/٢)، وغرائب القرآن (١٥٧/٤)، وإرشاد العقل السليم (١١/٥).

[7] ينظر: النكت والعيون (١٠٣/٣)، والبسيط (٣٢٢/١٢)، وإرشاد العقل السليم (١١/٥).

[8] البحر المحيط (٣٦٨/٥).

- **الترجيح:**

بالنظر فيما سبق يتبيَّن – والله أعلم – صحة حمل الآية على المعنى الأول والثاني، أمَّا الثالث فيَرِد عليه الإشكال الذي ذكره أبو حيَّان، فدعاء الله - ﷻ- صادر عن اعتقاد وحدانية، وأنَّه سبحانه النافع الضار الذي يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله، فهو حقيقٌ بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع دعاؤه.

يقول السّعْدِيّ: « لله وحده ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يُصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة؛ لأنَّ ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة»[1].

فحاصل كلام السّعْدِيّ أن المراد به العبادة؛ لأنَّ الدعاء يطلق عليها، وهي تشتمل عليه.

وقد ثبت عن النبي -ﷺ- أنَّه قال:«إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] »[2].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن ص٤١٥.

[2] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم الحديث (١٤٨١)، (١/٥٥١)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة المؤمن، رقم الحديث (٣٢٤٧)، (٥/ ٣٧٤)، وقال: " هذا حديث حسن صحيح"، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم الحديث (٨٩٠)، (٣/ ١٧٢)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، رقم الحديث (١٨٠٢)، (١/٦٦٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٩٠).

المسألة الثانية: معنى دعاء الكافرين

في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[الرعد: ١٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد عبادة الكافرين الأصنام في ضلال[١]، وروى جُوَيْبِر[٢]: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال؛ لأنَّ أصواتهم محجوبة عن الله[٣]، وهذا التفسير لا يليق بما سبق من الآية؛ لأنَّه ذكر في الآية دعاء الكافرين الأصنام، وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ والذم لاحق بذلك الدعاء، وهو دعاهم إياهم، ولم يذكر دعاهم الله - تعالى -، وجُوَيْبِر ضعيف، و**الصحيح** ما ذكرنا في رواية عَطَاء، ولعل ماروا جُوَيْبِر، رواه في نظير هذه الآية في سورة المؤمن: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ وذلك صحيح المعنى في تلك السورة»[٤].

- **الدراسة**

المفسرون في المراد بدعاء الكافرين في الآية على قولين :

القول الأول: أنَّ المعنى: وما دعاء الكافرين ربَّهم إلا في ضلال؛ لأنَّ أصواتهم محجوبة عن الله - تعالى -. وهو قول ابن عَبَّاس في رواية جُوَيْبِر - كما سبق -.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (١١/٣).

[٢] جُوَيْبِر بن سعيد الأَزْدِيّ، أبو القاسم البَلْخِيّ، المفسّر، عداده في الكوفيين، من الطبقة الخامسة، روى عن أنس بن مالك، والضَّحَّاك وأكثر عنه، توفي سنة ١٥٠هـ.

ينظر: التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم ص١١٣، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٣/ ٨٣٤).

[٣] رواه جُوَيْبِر عن الضَّحَّاك عن ابن عَبَّاس، وإسناده فيه ضعف وانقطاع، فالضَّحَّاك لم يلق ابن عَبَّاس، وجُوَيْبِر ضعيف جدًّا. ينظر: تهذيب الكمال (١٦٧/٥)، والكامل في ضعفاء الرجال (١٢١/٢)، وفتح الباري (٥٦٣/٨).

[٤] البسيط (٣٢٥/١٢).

القول الثاني: أنَّ المعنى: وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وضلال.

وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء - كما سبق -، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الثاني أولى وأظهر، وهو أنَّ عبادة غير الله ودعاءه في بطلان وضياع؛ لأنَّه لا ينفعهم ذلك بوجه من الوجوه، فمن يدعونهم من دونه قد ضلوا عنهم، كما قال تعالى:﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ [الأعراف: ٣٧]، وقال: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٤].

ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده سياق الآيات، فالله - ﷻ- ذم في أول الآية عبادة غيره ودعاءه، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ ثم ضرب مثلاً في عدم جدوى ونفع من يدعونهم من دونه، ثم تأكيد ما سبق بقوله: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأنَّ الوسيلة تبطل ببطلان غايتها.

قال ابن عَاشُور:«وجملة: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ عطف على جملة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ لاستيعاب حال المدعو وحال الداعي، فبينت الجملة السابقة حال عجز المدعو عن الإجابة، وأعقبت بالتمثيل المشتمل على كناية وتمليح، واشتمل ذلك أيضاً

---

[1] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٧٢/٢).

[2] ينظر: البسيط (٣٢٥/١٢)، واقتصر عليه في الوسيط (١١/٣)، والوجيز (٥٦٨/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٤٠٣/١٦)، وبحر العلوم (٢٢١/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤٦/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤١٥، والتحرير والتنوير (١٦٠/١٢).

بالكناية على خيبة الداعي، وبينت هذه الجملة الثانية حال خيبة الداعي بالتصريح عقب تبيينه بالكناية. فاختلاف الغرض والأسلوب حسن العطف، وبالمآل حصل توكيد الجملة الأولى، وتقريرها، وكانت الثانية كالفذلكة لتفصيل الجملة الأولى»[1].

أمَّا ما رواه جُوَيْبِر عن ابن عَبَّاس من أنَّ المعنى دعاء الكافرين ربهم في ضلال وخسران؛ فلأنَّ أصواتهم محجوبة عنه تعالى، فهو أظهر في آية غافر، فسياق الآيات هناك أنسب وأليق به، وذلك أن أهل النار حين نادوا خزنة جهنم، فقالوا: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، لم يجيبوهم ما شاء الله، فلما أجابوهم بعد حين، قالوا: ﴿فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[غافر: ٥٠]؛ لأنَّه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] التحرير والتنوير (١٢/١٦٠).

٧٦- المراد بالمستخفي والسَّارِب

في قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ يقال: أَخْفَيْتُ الشَّيء، أُخْفِيه إخْفَاءً، فخَفِيَ واسْتَخْفَى، ويقال أيضاً: اخْتَفَى، وهي قليلة، واسْتَخْفَى فلان من فلان، أي: توارى واستتر منه[١]. وقوله: ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ قال الفَرَّاء، وأبو إِسْحَاق[٢]: ظاهر بالنهار في سربه، أي: طريقه[٣]... وقال الأَخْفَش: المستخفي: الظاهر، والسَّارِب: المتواري[٤]...وهو صحيح في اللغة غير أنَّ الأول هو **الاختيار**، لما شهدت به الآثار» [٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالمستخفي والسَّارِب في الآية:

القول الأول: أنَّ المستخفي بالليل هو المختفي المستتر المتواري عن الأعين، والسَّارِب بالنهار هو الظاهر البارز الذاهب حيث يشاء، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، وقَتَادَة[٦]. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن عَطِيَّة، والبَيْضَاوِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ،

---

[١] ينظر: تهذيب اللغة (٢٤٣/٧)، ولسان العرب (٢٣٤/١٤)، مادة (خفى).

[٢] يعني: الزَّجَّاج.

[٣] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٦٠/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٤٢/٣).

[٤] ينظر: معاني القرآن للأَخْفَش (٤٠٢/٢).

[٥] البسيط (٣٠٤/١٢).

[٦] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦٧/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٢٩/٧).

[٧] ينظر: البسيط (٣٠٧/١٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٧/٣)، والوجيز (٥٦٧/١).

وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[1].

واستُدل لهذا القول بالسياق، وهو اقتران المستخفي بالليل والسَّارِب بالنهار، فالليل يدل على الاستتار، والنهار على الظهور والانتشار[2].

القول الثاني: أنَّ المستخفي بالليل هو الظاهر، والسَّارِب بالنهار هو الداخل في السَّرب ليتوارى فيه، وهو قول الأَخْفَش[3]، وقُطْرُبَ[4].

وضعَّفه ابن عَطِيَّة بقوله:«وهذا القول وإن كان تعلقه باللغة بيناً فضعيف؛ لأنَّ اقتران الليل بالمستخفي والنهار بالسَّارِب يرد على هذا القول» [5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أقوى وأظهر؛ لقوة ما استدل به أصحابه، أمَّا القول الثاني وإن صح من حيث اللغة؛ لكن قرينتي الليل والنهار إنَّما تساعدان القول الأول، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده:

١. قاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى بتفسير الآية[6].

---

[1] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٦٠/٢)، وجامع البيان (٣٦٦/١٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٤٢/٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٤٧٦/٣)، وبحر العلوم (٢١٩/٢)، والمحرر الوجيز (٣٠٥/٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٢٠/٣)، وغرائب القرآن (١٤٣/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٠١/١)، والبحر المحيط (٣٦٢/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٣٧/٤)، وتفسير الجلالين ص٣٢٢، وإرشاد العقل السليم (٨/٥)، وفتح القدير (٩٨/٣)، وروح المعاني (١١٠/١٣)، ومحاسن التأويل (٢٦٣/٦)، وأضواء البيان (٢٣٦/٢)، والتحرير والتنوير (١٥٢/١٢).

[2] ينظر: البسيط (٣٠٧/١٢)، والمحرر الوجيز (٣٠٥/٣)، والبحر المحيط (٣٦٢/٥)، وروح المعاني (١١٠/١٣).

[3] ينظر: معاني القرآن للأَخْفَش (٤٠٢/٢).

[4] ينظر قوله في معاني القرآن وإعرابه (١٤٢/٣)، والبسيط (٣٠٧/١٢).

[5] المحرر الوجيز (٣٠٥/٣).

[6] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

٢. أنَّ هذا القول أبلغ في وصف علم الغيب[١].

٣. مقابلة هذين الوصفين بالوصفين قبلهما، فقوله تعالى:﴿ **وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفِۭ بِٱلَّيْلِ** ﴾ يقابل:﴿ **مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ** ﴾ وقوله:﴿ **وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ** ﴾ يقابل:﴿ **وَمَن جَهَرَ بِهِۦ** ﴾[٢].

٤. إطباق أكثر المفسرين على هذا القول[٣]، ولم يذكر عن السلف قولٌ غيره، فقولهم مُقدَّم على غيرهم.

قال النَّحَّاس:« القول الأول أولى لجلالة من قال به» [٤].

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٤٢/٣).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٣٦٢/٥).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٥/١٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٤٣/٤).

[٤] معاني القرآن للنَّحَّاس (٤٧٦/٣).

٧٧- المراد بالحين

في قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[إبراهيم: ٢٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-بعد أن ذكر أقوال المفسرين في المراد بالحين:« فعلى هذا **الاختيار** يكون المعنى: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ أي: كل وقت في جميع السنة، وهو قول الضَّحَّاك، قال: كل ساعة ليلاً أو نهاراً، شتاءً وصيفاً، تؤكل في جميع الأوقات، كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الأوقات كلها[١]» [٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالحين في الآية :

القول الأول: أنَّه كل وقت؛ لأنَّ ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهارًا، صيفًا وشتاءً، إما تمرًا أو رُطَبًا أو بُسْرًا، وهو قول ابن عَبَّاس في إحدى الروايات عنه[٣]، والضَّحَّاك – كما سبق–، والرَّبِيْع بن أَنَس[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن كَثِيْر[٦].

---

[١] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٧/١٦)، والنَّحَّاس في معاني القرآن (٣/ ٥٢٨)، في رواية أبي ظَبْيَانَ.

[٢] البسيط (٤٦٨/١٢).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٦/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٤٣/٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٧/١٦)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٤٧/٤)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٣٦/٣).

[٥] ينظر: البسيط (٤٦٨/١٢)، وذكره من جملة الأقوال في الوسيط دون ترجيح (٣٠/٣)، واقتصر عليه في الوجيز (٥٨٢/١).

[٦] ينظر: جامع البيان (٥٨٢/١٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٦١/٣)، وبحر العلوم (٢٤٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٩٣/٤).

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّ الحين في اللغة: الوقت، فهو يطلق على القليل والكثير[١].

والدَّليل على أنَّ الحين بمنزلة الوقت قول الشاعر في صفة الحيَّةِ والملدوغ.

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّها تُطَلِّقه حيناً وحيناً تُراجِعُ[٢].

فالمعنى أَنَّ السم يَخِفُّ أَلَمُه في وقت ويعود وقتاً[٣].

٢. دلالة السياق، فالله - تعالى - شبه المؤمن بالشجرة التي تؤتي أكلها كلَّ حين، فنفعها دائم، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين، والمثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى[٤].

القول الثاني: أنَّه كل سنة؛ لأنَّ النخلة تثمر في كل سنة مرة واحدة، وهو قول ابن عَبَّاس في إحدى الروايات عنه[٥]، ومُجَاهِد[٦]، وعِكْرِمَة في رواية، وابن زَيْد[٧]. واختاره القُشَيْرِيّ[٨].

---

[١] ينظر: الصحاح للجوهري (٣٨٤/٦)، ومعجم مقاييس اللغة (١٢٥/٢)، مادة (حين).

[٢] البيت من البحر الطويل، وهو للنَّابِغَة الذُّبْيانِيّ، ومعنى: (تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّها) أي: أنذر بعضهم بعضاً؛ لأنَّها لا تجيب راقياً لنكارتها وشدتها. ينظر: ديوان النَّابِغَة الذُّبْيانِيّ ص٣٤، وتهذيب اللغة (٣٠٣/١٤).

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٦١/٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥٢٩/٣).

[٤] ينظر: جامع البيان (٥٨٢/١٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٦١/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٩٣/٤).

[٥] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٩٩/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٠/١٦)، في رواية عطاء بن أبي السائب.

[٦] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٣٤/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٠/١٦).

[٧] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٠/١٦)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣١٤/٥).

[٨] ينظر: أحكام القرآن للقُشَيْرِيّ (١/ ٣١١).

والقُشَيْرِيّ هو: بَكْرُ بن مُحَمَّد بن العَلاَء القُشَيْرِيّ، أبو الفَضْل، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة، من مصنفاته: أحكام القرآن، وأصول الفقه، ومسائل الخلاف، توفي سنة ٣٣٤هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٣٧)، والوافي بالوفيات (١٣٦/١٠).

القول الثالث: أنَّه كل ستة أشهر، من بين صِرَامها إلى حَمْلها، وهو قول ابن عَبَّاس في إحدى الروايات عنه[١]، وسَعِيْد بن جُبَيْر[٢]، وعِكْرِمَة في رواية أخرى عنه[٣].

القول الرابع: أنَّه كل شهرين؛ لأنَّ النخلة تدوم مثمرة شهرين، وهو قول سَعِيْد بن المسَيِّب[٤].

- **الترجيح:**

بالنظر فيما سبق من الأقوال يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ أقربها للصواب وأقواها القول الأول، وهو أنَّ المراد بالحين الوقت، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّدُه:

١. اللغة، فقد قرر أهل اللغة أنَّ لفظ الحين يستعمل في التعبير عن الزمن المطلق، سواء كان قليلاً أو كثيراً[٥].

٢. السياق الذي ورد فيه لفظ الحين، فاللفظ وإن كان مطلقاً، فإنَّه يتقيد بالسياق الذي ورد فيه، أو بما يضاف إليه، وهنا لفظ الحين جاء مبهماً يحتمل أكثر من معنى، لكن سياقه يقيده، وهو أنَّ المؤمن له في كل وقت وحين عمل صالح يرفع. والقول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية[٦].

وهذا ما استظهره ابن جرير في اختياره لمعنى الحين، حيث قال:« وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالحين في هذا الموضع غدوةً وعشيةً وكلَّ ساعة؛

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٨/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٤٣/٧)، في رواية سَعِيْد بن جُبَيْر.

[٢] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١٠٠/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٩/١٦).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٧/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٤٣/٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٧٨/١٦)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٤٣/٧).

[٤] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١٠٠/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨١/١٦).

[٥] ينظر: تهذيب اللغة (١٦٥/٥)، والصحاح للجوهري (٣٨٤/٦)، ومعجم مقاييس اللغة (١٢٥/٢)، مادة (حين).

[٦] ينظر: مجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢٨٥/٥)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

لأنَّ الله - تعالى ذكره - ضَرَب ما تؤتي هذه الشجرة كلَّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامِه مثلاً؛ ولا شك أنَّ المؤمن يُرفع لهُ إلى الله في كلّ يوم صالحٌ من العمل والقول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين، فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أنَّ المثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك، كان بَيّنًا صحةُ ما قلنا. فإن قال قائل: فأيُّ نخلة تؤتي في كل وقت أكلا صيفًا وشتاءً؟ قيل: أما في الشتاء فإن الطَّلْع من أكُلها، وأما في الصيف فالبَلَح والبُسْرُ والرُّطَب والتَّمرُ، وذلك كله من أكلها»[1].

وقال ابن كَثِيْر:« والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين» [2].

وأما الأقوال الأخرى فهي متقاربة، وهي من باب التمثيل لذكر بعض الأوقات التي يقع عليها لفظ الحين.

قال النَّحَّاس:« وهذه الأقوال متقاربة غير متناقضة؛ لأنَّ الحين عند جميع أهل اللغة إلا من شذّ منهم بمعنى الوقت يقع لقليل الزمان وكثيره» [3].

[1] جامع البيان (٥٨٢/١٦).

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٩٣/٤).

[3] معاني القرآن للنَّحَّاس (٥٢٨/٣).

٧٨- المراد بالروح

في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: بالوحي[١]، وهو كلام الله، هذا قول الرَّبِيْع[٢]، والحَسَن[٣]، **وهو الاختيار** في معنى الروح هاهنا...وقال أبو عُبَيْدة: الروح جِبْرِيْل[٤]...والأول أوجه»[٥].

- **الدراسة**

تعددت أقوال المفسرين في المراد بالروح وتؤول في مجملها إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول: الوحي، وهو قول ابن عَبَّاس، والرَّبِيْع بن أَنَس، والحَسَن –كما سبق–. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، وابن قُتَيْبَة، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٧].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٦٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٧٦/٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٦/١٧)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٧٦/٧).

[٣] الذي ورد عن الحَسَن أن المراد بالروح النبوة، أخرجه عنه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٧٦/٧)، وذكره النَّحَّاس في معاني القرآن (٥٣/٤)، واعتبرهما الماوَرْدِيّ قولاً واحداً، قال في النكت والعيون (١٧٨/٣):«أن الروح ها هنا الوحي، وهو النبوة، قاله ابن عباس» وبمثله قال القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦٧/١٠).

[٤] لم أجده في مجازه، ونسبه إليه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٨/٤)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٧٥/١٩)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦٧/١٠).

[٥] البسيط (٩/١٣).

[٦] ينظر: البسيط (٩/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٥/٣)، والوجيز (٦٠٠/١).

[٧] ينظر: غريب القرآن ص٢٤١، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٩٤٧/٦)، ومفاتيح الغيب (١٧٥/١٩)، ومدارك التنزيل (٢٠٢/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٤٨/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٥٦/٤)، وتفسير الجلالين ص٣٤٥، وإرشاد العقل السليم (٩٥/٥)، ومحاسن التأويل (٣٥٠/٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٣٥، وأضواء البيان (٣٢٨/٢)، والتحرير والتنوير (٧٨/١٣).

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. النظائر القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] (١).

٢. سياق الآية لاحقاً، وهو قوله: ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ بعد قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ فالإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ﴾ [الأنبياء:٤٥]، ومثله إتيان الإنذار بعد قوله: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ في قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] (٢).

القول الثاني: أرواح الخلق(٣)، قال مُجَاهِد: «لا ينزل ملك إلا ومعه روح » (٤).

القول الثالث: جِبْرِيْل -عليه السلام-، وهو قول أبي عُبَيْدة - كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - رجحان القول الأول، وهو أنَّ المراد بالروح الوحي؛ لقوة ما استدل به أصحابه، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده:

١. أنَّ السياق يدل عليه، وذلك أنَّه أتى بعد قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ قوله: ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾ والإنذار إنَّما يكون بالوحي، بدليل قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦٧/١٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٥٦/٤)، ومحاسن التأويل (٣٥٠/٦)، وأضواء البيان (٣٢٨/٢)، والتحرير والتنوير (٧٩/١٣).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٣٢٨/٢).

(٣) ينظر: النكت والعيون (١٧٨/٣)، وزاد المسير (٤٢٨/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٦٧/١٠)، والبحر المحيط (٤٥٩/٥).

(٤) أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٦/١٧)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٢٧٦/٧).

﴿ بِٱلْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء:٤٥]، والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى الأقوال بتفسير الآية[١].

٢. النظائر القرآنية التي تؤيِّده، كقوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[غافر: ١٥]، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على غيره[٢].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

أمَّا القولان الثاني والثالث، فإنَّ الروح وإن أطلقت على أرواح الخلق أو على جِبْرِيْل -عليه السلام- [٤] إلا أنَّ سياق الآيات ها هنا يأباه، ولا يناسبه.

---

[١] ينظر: مجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢٨٥/٥)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

[٤] ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٣٢٢، والكليات للكفوي ص٤٧٠.

ذكر ابن الجَوْزِيّ في نزهة الأعين أن أهل التفسير ذكروا أن الروح في القرآن على ثمانية أوجه:

أحدها: روح الحيوان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥].

والثاني: جِبْرَائِيل -عليه السلام-، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢].

والثالث: ملك عظيم من الملائكة، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ [النبأ: ٣٨].

والرابع: الوحي، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [النحل: ٢].

والخامس: الرحمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والسادس: الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١].

والسابع: الريح التي تكون عن النفخ، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم: ١٢]، وهي نفخة جِبْرَائِيل في درعها.

والثامن: الحياة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٩]، على قراءة من ضم الراء.

٧٩- المراد بالبلد

في قوله تعالى: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد من مكة إلى اليمن، وإلى الشام، وإلى مصر[١]، وهذا قوله، والمراد: كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم، وخص ابن عَبَّاس اليمن والشام؛ لأنَّ متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه. **وليس قول من خص** البلد بمكة بشيء» [٢].

- **الدراسة**

المفسرون في المراد بالبلد في الآية على قولين:

القول الأول: أنَّه لا يراد به بلد معين، فهو عام في كل بلد يقصده المسافر.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، وابن الجَوْزِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، وابن عَاشُور[٤].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. أنَّه خطاب عام.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٥٦/٣)، وأبو السُّعُوْد في إرشاد العقل السليم (٩٧/٥)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (١٠٠/١٤).

[٢] البسيط (١٧/١٣).

[٣] ينظر: البسيط (١٧/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٦/٣)، والوجيز (٦٠١/١).

[٤] ينظر: زاد المسير (٤٣٠/٤)، ولباب التأويل (٨٠/٤)، والبحر المحيط (٤٦٢/٥)، وإرشاد العقل السليم (٩٧/٥)، وفتح القدير (٢١٢/٣)، والتحرير والتنوير (٨٤/١٣).

قال الخَازِن: «وحمله على العموم أولى؛ لأنَّه خطاب عام فدخول الكافة فيه أولى من تخصيصه ببعض المخاطبين»[1].

٢. أنَّ البلد في الآية اسم جنس للبلد الذي يرتحلون إليه.

قال ابن عَاشُور: « والمراد بـ ﴿بَلَدِ﴾ جنس الذي يرتحلون إليه كالشام واليمن بالنسبة إلى أهل الحجاز، ومنهم أهل مكة في رحلة الصيف والشتاء والرحلة إلى الحج»[2].

القول الثاني: أنَّ لمراد به بلد معين.

ثم اختلفوا في تحديده على أقوال:

أحدها: أنَّ المراد به اليمن، والشام، ومصر، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه -كما سبق -. قال الوَاحِدِيّ:« لأنَّ متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه» [3].

الثاني: أنَّ المراد مكة المكرمة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية أخرى عنه[4]، وعِكْرِمَة [5].

قال أبو السُّعُوْد: « ولعله - قائل هذا القول- نظر إلى أن أثقالهم وأحمالهم عند القُفول من متاجرهم أكثر، وحاجتهم إلى الحمولة أمسُّ»[6].

الثالث: أنَّ المراد مدينة الرسول الله -ﷺ- [7].

---

[1] لباب التأويل (٤/٨٠).

[2] التحرير والتنوير (١٣/٨٤).

[3] البسيط (١٣/١٧)، والوسيط (٣/٥٦).

[4] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٧)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣/ ٣٧٨).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/١٧٠)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣/ ٣٧٨).

[6] إرشاد العقل السليم (٥/٩٧).

[7] ينظر: البحر المحيط (٥/٤٦٢)، وروح المعاني (١٤/١٠٠).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – رجحان القول الأول، وهو القول بعموم كل بلدٍ يُقصد، ويُؤَيِّده أنَّ الخطاب في الآية عام، والبلد يراد به الجنس، ولا دليل على تخصيصه، ونصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[1].

وما ذكر في القول الثاني من تخصيص بعض البلدان فهو على جهة التمثيل لذكر بعض البلدان التي تشدُّ إليها الرحال عادة.

قال أبو حيَّان:« وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على المراد؛ إذ المنّة لا تختص بالحمل إليها»[2].

[1] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[2] البحر المحيط (٤٦٢/٥).

٨٠- المراد بقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في معنى هذه الآية، فأكثر المفسرين على أنَّ المعنى: وعلى الله بيان قصد السبيل بالكتب والرسل والحجج...وعلى هذا الآية من باب حذف المضاف؛ لأنَّ التقدير: وعلى الله بيان قصد السبيل...وفي الآية وجه آخر، وهو أنَّ المعنى: أنَّ قصد السبيل الذي هو الحنفية والإسلام على الله؛ أن يؤدي إلى رضا الله وثوابه وجزائه، كقوله:﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴾ [الحجر:٤١]، أي: أنَّه يؤدي إلى جزائي وكرامتي، فهو طريق عليّ، وهذا مذهب مُجَاهِد[١]، قال: على الله طريق الحق...وهو **أقوى** القولين؛ لأنَّه صحَّ من غير إضمار»[٢].

- **الدراســـة**

المفسرون في المراد بقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ على قولين:

القول الأول: أنَّ على الله بيان طريق الهدى من الضلالة.

وهو قول ابن عَبَّاس، والضَّحَّاك، وقَتَادَة[٣]. واختاره الطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وابن عَادِل،

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٧٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٨).

[٢] البسيط (٢٢/١٣).

[٣] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٧٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٨)، وقول ابن عَبَّاس أورده البخاري في صحيحه معلقاً في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النحل، (١٧٣٩/٤).

والسُّيوطِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، وابن عَاشُور، والبِقَاعِيّ[1].

واستَدلوا بالسياق، قال أبو السُّعُوْد بعد أن ذكر القول الثاني في الآية:« وأنت خبيرٌ بأنَّ هذا حقٌّ في نفسه، ولكنَّه بمعزل عن نكتة موجبةٍ لتوسيطه بين ما سبق من أدلة التوحيدِ وبين ما لحِق»[2].

وقال ابن عَاشُور:« ويزيد هذه المناسبة بياناً، لما شرحت دلائل التوحيد ناسب التنبيه على أنَّ ذلك طريق للهدى، وإزالة للعذر، وأن من بين الطرق التي يسلكها الناس طريق ضلال وجور »[3].

القول الثاني: أنَّ طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله، أي: موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق -.

واختاره الوَاحِدِيّ[4]، وابن تَيْمِيَّة، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[5].

واستدلوا لهذا القول بما يلي:

١. السياق. قال ابن كَثِيْر:« وقول مُجَاهِد هاهنا أقوى من حيث السياق؛ لأنَّه تعالى أخبر أن ثم طرقاً تسلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق، وهي الطريق التي

---

[1] ينظر: جامع البيان (١٧٤/١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٩٢/٣)، وبحر العلوم (٢٦٧/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٣٩٥٨/٦)، ومعالم التنزيل (١١/٥)، ومفاتيح الغيب (١٨٤/١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨١/١٠)، ولباب التأويل (٨١/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٢٣/١)، واللباب في علوم الكتاب (١٩/١٢)، وتفسير الجلالين ص٣٤٦، وإرشاد العقل السليم (٩٨/٥)، وفتح القدير (٢١٤/٣)، والتحرير والتنوير (٨٩/١٣)، ونظم الدرر (٢٤٨/٤).

[2] إرشاد العقل السليم (١٠٠/٥).

[3] التحرير والتنوير (٨٩/١٣).

[4] ينظر: البسيط (٢٤/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٧/٣)، والوجيز (٦٠١/١).

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٣١/١٧)، ومدارج السالكين (١٥/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٦٠/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٣٦، وأضواء البيان (٣٣٦/٢).

شرعها ورضيها، وما عداها مسدودة، والأعمال فيها مردودة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾»[1].

٢. أنَّ هذا القول لا يحتاج إلى إضمار كالقول الأول[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - صحة حمل الآية على القولين السابقين، فالله - ﷻ - بيَّن طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل، كما قال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وبيَّن سبحانه أنَّ الطريق المستقيم موصل إلى مرضاته، وثوابه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالقولان صحيحان معنىً، مُحتَمَلان لفظاً؛ فالأولى تفسير الآية بهما معاً.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها[3].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤/٥٦٠).

[2] ينظر: البسيط (١٣/٢٤).

[3] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/٤٥٧)، والتحرير والتنوير (١/٩٨)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ- ص٥٩- ٥٦٧، وقواعد التفسير لخالد السبت (٢/٨٠٧).

٨١- المراد بالعلامات

في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في معناها؛ فقال الكَلْبِيّ، والْقُرَظِيّ[١]: يعني الجبال[٢]، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل، وعلى هذا تَمَّ الكلام ها هنا، وبقية الآية ابتداء مع خبره...وقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد نجوم السماء[٣]، **والوجه هو الأول**؛ لأنَّها معطوفة على ما خلقت في الأرض؛ ولأنَّه لو كان المراد بالعلامات النجوم؛ لقال: وبها يهتدون، فلما قال:﴿ **وَبِٱلنَّجۡمِ** ﴾[النحل: ١٦]، دَلَّ أنَّ المراد بالعلامات غير النجم »[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالعلامات في الآية:

القول الأول: أنَّها الجبال، وهو قول الكَلْبِيّ، والْقُرَظِيّ -كما سبق -، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان [٥].

---

[١] محمد بن كعب بن سليم الْقُرَظِيّ، منسوب إلى بني قريظة، أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله، سكن الكوفة ثم المدينة، تابعي جليل، كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، توفي سنة ١٠٨هـ، وقيل: بعدها.
ينظر: سير أعلام النبلاء (٦٥/٥)، وغاية النهاية (٢٠٥/٢).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٥٤/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٦/١٧) عن الكَلْبِيّ، وذكره عنهما الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٢/٦)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٣/٥).

[٣] القول المشهور عن ابن عَبَّاس أن المراد بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وهذا القول أعم وسيأتي تخريجه، أمَّا هذا القول فلم أقف - بعد البحث - على من نسبه إليه عدا الوَاحِدِيّ.

[٤] البسيط (٣٥/١٣).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢١٦/٢).

واختاره الوَاحِدِيّ[١]، والكَرْمَانِيُّ[٢].

القول الثاني: أنَّها النجوم، وهو قول إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ[٣]، ومُجَاهِد[٤]، وقَتَادَة[٥]، ونسبه الوَاحِدِيّ إلى ابن عَبَّاس -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّها معالم الطرق بالنهار، وهو قول ابن عَبَّاس[٦]. واختاره الطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، وابن تَيْمِيَّة[٧].

قال ابن تَيْمِيَّة:« وقد قيل في قوله: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ ﴾ أنَّ العلامات هي النجوم، منها ما يكون علامة لا يهتدى به، ومنها ما يهتدى به. وقول الأكثرين أصحّ، فإنَّ العلامات كلّها يهتدى بها؛ ولأنَّه قد قال: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ ﴾ [النحل: ١٥- ١٦]...والعلامات يدخل فيها ما تقدّم من الرواسي والسبل، فإنّ كونها رواسي وسبلاً يسلكها الناس، غير كونها علامات، والعطف قد يكون لتغاير الصفات، مع اتّحاد الذات» [٨].

---

[١] ينظر: البسيط (٣٦/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٩/٣)، والوجيز (٦٠٢/١).

[٢] ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٦٠٢/١)، وعدَّ تفسير العلامات بالنجوم من الغرائب.
والكَرْمَانِيُّ هو: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكَرْمَانِيّ، ويعرف بتاج القراء، كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، من مصنفاته: لباب التفسير، وطبقات المفسرين، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، توفي بعد الخمسمائة. ينظر: غاية النهاية (٢٥٤/٢)، وبغية الوعاة (٢٧٧/٢).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٨٥)، وأبو الشَّيْخ في العظمة (١٢٢٩/٤).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٨٥)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٨٢/٣).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٨٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٩).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ١٨٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٩).

[٧] ينظر: جامع البيان (١٨٦/١٧)، والمحرر الوجيز (٣٨٣/٣)، ومفاتيح الغيب (٩/٢٠)، والنُّبُوات (٧٥٨/٢).

[٨] النُّبُوات (٧٥٨/٢).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول بالعموم أولى وأحسن؛ فلفظ (العلامات) عام لم يرد ما يخصصه، فكلّ علامة وأمارة استدلّ بها الناس على طرقهم، ومسالكهم، فداخل في هذا العموم، ونصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[1].

وإن كان الأشبه بالآية والأنسب أن تكون العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها نهاراً.

قال الطَّبَرِيّ:« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنَّ الله - تعالى ذكره - عدّد على عباده من نعمه، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكلّ علامة استدلّ بها الناس على طرقهم، وفجاج سبُلهم، فداخل في قوله: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ﴾، والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدي بهن إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل. غير أنَّ الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾...فتأويل الكلام إذن: وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم، ونجوماً تهتدون بها ليلاً في سُبلكم» [2].

[1] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[2] جامع البيان (١٧/١٨٦).

٨٢- المراد بالأجل

في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[النحل: ٦١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« والأجل المسمى في هذه الآية: القيامة، في قول عَطَاء عن ابن عَبَّاس[١]، ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ يريد أجل القيامة، وفي قول الآخرين: يعني منتهى الأجل وانقضاء العمر، **ولعل الأقرب هذا**؛ فإن المشركين يؤاخذون بالعقوبة إذا انقضت أعمارهم وخرجوا من الدنيا، ووجه القول الأول أنَّ معظم العذاب يوافيهم يوم القيامة»[٢].

- **الدراسة**

المفسرون في معنى الأجل على قولين:

القول الأول: أنَّه أجل القيامة، والمعنى: ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، وهو قول ابن عَبَّاس-كما سبق-.

القول الثاني: أنَّ الأجل منتهى حياتهم وانقضاء أعمارهم. واختاره الوَاحِدِيّ[٣].

- **الترجيح:**

بالنظر في القولين السابقين يظهر – والله أعلم – صحة حمل الآية على المعنيين؛ لأنَّها تحتملها من غير تضاد. ويؤيِّد ذلك:

١. أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٢٠/٤٩)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٤/٢٧٥).

[٢] البسيط (١٣/ ١٠٠).

[٣] ينظر: البسيط (١٣/ ١٠٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٦٨)، والوجيز (١/٦١٠).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

٢. أنَّ الكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها، والأولى حملها على جميع تلك المعاني[١].

[١] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

٨٣ - ٨٤

المراد بالحسنى، ومعنى قوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

المسألة الأولى: المراد بالحسنى.

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« فحصل في ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ هاهنا قولان: الأول على أنَّهم قالوا: لله البنات ولنا البنون، والثاني: على أنَّهم حكموا لأنفسهم بالجنة والثواب من عند الله إن كان محمد صادقاً في البعث؛ لأنَّهم كانوا لا يؤمنون بالمعاد، ولعل **الأقرب** في تفسير الحسنى: الجنة، وفي الآية ما يدل على هذا، وهو قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ فردَّ الله عليهم قولهم، وأثبت لهم النار، فدلَّ هذا أنَّهم حكموا لأنفسهم بالجنة»[(١)].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالحسنى في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد البنون، والمعنى: أنَّهم يجعلون لله ما يكرهون من البنات ولهم ما يشتهون من البنين، وهو قول مُجَاهِد، وقَتَادَة [(٢)]، ومُقَاتِل [(٣)]. واختاره الطَّبَرِيّ [(٤)]. واستدلوا بسياق الآية، فالمشركون يجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، ويزعمون

---

(١) البسيط (١٣/١٠٢).

(٢) أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٣٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٨٧).

(٣) ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٢٢٧).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٧/٢٣١).

أنَّ لهم الذكور من الأولاد، وهو نحو قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧] [١].

قال ابن عَطِيَّة عن هذا القول:« وهو الأسبق من معنى الآية»[٢].

القول الثاني: أنَّ المراد الجنة.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والنَّسَفِيّ، والسُّيوطِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[٤].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. النظائر القرآنية؛ فالآيات المبينة لهذا المعنى كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠]، وقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦] [٥].

٢. السياق اللاحق للآية، فالله - سبحانه - قد أتبع قوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ بقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾، فدلَّ دلالة واضحة على أنَّهم قد زعموا أنَّ لهم الجنة[٦].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ الآية تحتمل المعنيين؛ فكلا القولين يشهد له السياق، فالأول يشهد له سباق الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ

---

[١] ينظر: جامع البيان (٢٣١/١٧).

[٢] المحرر الوجيز (٤٠٤/٣).

[٣] ينظر: البسيط (١٠٢/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٦٨/٣)، والوجيز (٦١١/١).

[٤] ينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن ص١٣١، ومدارك التنزيل (٢١٩/٢)، وتفسير الجلالين ص٣٥٤، وأضواء البيان (٣٩٤/٢).

[٥] ينظر: تفسير الجلالين ص٣٥٤، ومحاسن التأويل (٣٨١/٦)، وأضواء البيان (٣٩٤/٢).

[٦] ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٤/٣)، ومفاتيح الغيب (٥٠/٢٠)، والجواهر الحسان (٣١٤/٢)، وأضواء البيان (٣٩٤/٢).

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، والثاني يشهد له لحاق الآية، حيث ردَّ الله على زعمهم بقوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ وهذا يدل على أنَّهم حكموا لأنفسهم بالجنة والثواب من عند الله.

وكما هو مقرر أنَّ الكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها، والأولى حملها على جميع تلك المعاني [1].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

المسألة الثانية: المراد بقوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ أي: متروكون منسيون في النار، قاله الكَلْبِيّ[1]، ومُجَاهِد[2]، والضَّحَّاك[3]، وقال قَتَادَة: مُعَجَّلُون إلى النار[4]، وهو قول الحَسَن[5]، **وهو الاختيار**؛ فَوَجْههُ ما قال أبو زيد وغيره: فَرَطَ الرجلُ يَفْرُطُهم فِرطاً وفُرُوطاً، إذا تقدمهم إلى الماء ليصلح الدِّلاء والأرْسَان[6]، وأنشدوا:

فأثارَ فَارِطُهُم غَطَاطاً جُثَّماً أصواتُها كتَراطُنِ الفُرْسِ[7].

وأفرط للقوم الفَارِطُ، وفَرَّطُوه: إذا قدَّموه[8]، فمعنى قوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ من هذا، كأنَّهم أُعجلوا إلى النار؛ فهم فيها فَرْطٌ للذين يدخلون بعدهم»[9].

---

[1] لم أجد - بعد البحث - من نسب هذا القول للكَلْبِيّ سوى الوَاحِدِيّ.

[2] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٤٨/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣٣/١٧).

[3] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥٦/٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣٣/١٧).

[4] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٥٧/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣٤/١٧).

[5] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٨٨)، وذكره مَكِّيّ بن أبي طَالِب في الهداية (٤٠٢٤/٦).

[6] رَسَن: الرَّسَنُ الحبل، وجمعه أرْسَانٌ. ينظر: العين (٢٤٢/٧)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٦)، مادة (رسن).

[7] البيت من البحر الكامل، وهو لطَرَفَة بن العبد، لم أجده في ديوانه، وورد منسوباً إليه في لسان العرب (١٨١/١٣)، وتاج العروس (٩٨/٣٥). ومعناه: أنَّه لم يجد في الرَّكية (البئر) مَاء، إنما وجد القَطَا. ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٠٥/١). والغَطاط: بفتح الغين القَطَا، وقيل: ضَرْب من القَطَا، وقيل: ضربٌ من الطير ليس من القَطَا، هنَّ غُبرُ الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة، طوال الأرجل والأعناق، لِطافٌ لا تجتمع أسراباً، أكثر ما تكون ثلاثا أو اثنتين، وواحدتها: غَطاطَةٌ. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣٨٤/٤)، ولسان العرب (٧/ ٣٦٢)، وتاج العروس (٥١٢/١٩) ، مادة (غط). جَثَم: يقال: جَثَم الطائر يَجْثِم ويَجْثُم جَثْماً وجثُوماً فهو جاثِم، لَزِم مكانه فلم يَبْرَح، أي: تَلَبَّد بالأَرض. ينظر: تهذيب اللغة (٢٠/١١)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (١٦٠/٦)، ولسان العرب (٨٢/١٢)، مادة (جثم). ورَطَنَ: رَطَنَ يَرْطُنُ رَطْناً تكلم بالعجمية، وهو كلام لا يفهمه العرب. ينظر: تهذيب اللغة (٢١٧/١٣)، وجمهرة اللغة (٧٦٠/٢)، مادة (رطن).

[8] ينظر: تهذيب اللغة (٢٢٥/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٩٠/٤)، مادة (فرط).

[9] البسيط (١٠٢/١٣).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿مُّفْرَطُونَ﴾:

القول الأول: متروكون منسيون في النار، وهو قول سَعِيْد بن جُبَيْر[1]، ومُجَاهِد، والضَّحَّاك - كما سبق -. واختاره الفَرَّاء، وأبو عُبَيْدة، والطَّبَرِيّ[2].

القول الثاني: مُعَجَّلُون إلى النار، ومقدّمون إليها، وهو قول قَتَادَة، والحَسَن - كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، وابن قُتَيْبَة، والنَّحَّاس، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر - والله أعلم - أنَّه لا منافاة بين القولين، فالقول الأول مترتب على الثاني، فالكفار مُقَدمُونَ إلى النار؛ فهم فيها فَرَط للذين يدخلون بعدهم، ثم يتركون فيها وينسون، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]، وقال: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤].

قال الزَّجَّاج:« فمعنى مُفْرَطُونَ مُقَدمُونَ إلى النار، وكذلك مُفَرطُون، ومن فسَّرَ متروكون فهو كذلك، أي قد جُعِلُوا مُقَدَّمِين في العذاب أبداً متروكين فيه»[5].

وقال ابن كَثِيْر:« ولا منافاة؛ لأنَّهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار، وينسون فيها، أي: يخلدون»[6].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٣٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٨٨).

[2] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٦٠٧/٢)، ومجاز القرآن (٣٦١/١)، وجامع البيان (٢٣٤/١٧).

[3] ينظر: البسيط (١٠٣/١٣)، وذكر القولين في الوسيط (٦٨/٣)، والوجيز (٦١١/١) ولم يرجح.

[4] ينظر: غريب القرآن ص٢٤٤، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٧٩/٤)، وتفسير المشكل من غريب القرآن ص١٣١.

[5] معاني القرآن وإعرابه (٢٠٨/٣).

[6] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٨٠/٤).

٨٥- المراد بالحَفَدَة

في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾[النحل: ٧٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في تفسير الحَفَدَة، فقال ابن عَبَّاس في رواية الوَالِبِيّ[١]: هم الأخْتَان[٢]...وقال في رواية سَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد: إنَّهم ولد الولد[٣]، وقال في رواية أبي حَمْزَةَ[٤] عنه: من أعانك فقد حفدك[٥]...وقال في رواية العَوْفِيّ: هم بنو امرأة الرجل، ليسوا منه[٦]...**والأولى** بأنَّ يفسر بأعوان حصلوا للرجل من قِبَل المرأة؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ وأعوان الرجل لا من قِبَل امرأته لا يكونون ممن عناهم الله بقوله هاهنا: ﴿وَحَفَدَةٗ ﴾ »[٧].

---

[١] علي بن ربيعة بن نَضْلَة الوَالِبِيّ الأَسَدِيّ، أبو المغيرة الكُوْفِيّ، وثقه ابن مَعِيْن، والنَّسَائِيّ، روى له الجماعة، توفي بعد المائة. ينظر: التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم ص ١٨٤، وسير أعلام النبلاء (٤٨٩/٤).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٤) عن ابن عَبَّاس من طريق عِكْرِمَة.

والأخْتَان: جمع خَتَن كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، هكذا عند العرب، وأما عند العامة فخَتَن الرجل: زوج ابنته. ينظر: جمهرة اللغة (٣٩٠/١)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٣٨٥/٦)، ولسان العرب (١٣٧/١٣)، مادة (ختن).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٧) عن ابن عَبَّاس من طريق سَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد.

[٤] محمد بن ميمون المِرْوَزِيّ، أَبُو حَمْزَةَ، شيخ خراسان في عصره، وأحد ثقات المحدثين، لقب بالسُّكَّرِيِّ لحلاوة منطقه، توفي سنة ١٦٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٥/٧)، وطبقات الحفاظ ص١٠٣.

[٥] أخرجه عنه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٥/١٧) من طريق أبي حَمْزَةَ، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٠/٦).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٨)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٩٢) عن ابن عَبَّاس، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٤/ ٥٨٧) عن العَوْفِيّ عن ابن عَبَّاس.

[٧] البسيط (١٣٥/١٣).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالحَفَدَة في الآية:

القول الأول: أنَّهم الأخْتَان، وهو قول عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ [١]، وابن عَبَّاس في رواية - كما سبق -، وسَعِيْد بن جُبَيْر، وإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيّ [٢].

قال النَّحَّاس:« وقول عَبْدِ اللَّه بن مَسْعُودٍ هم الأخْتَان يحتمل المعنيين جميعاً؛ يجوز أن يكون أراد أبا المرأة وما أشبه من أقربائها، ويجوز أن يكون أراد (وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم) فيكون لكم بسببهن أخْتَان» [٣].

القول الثاني: أنَّهم الأعوان والخُدّام، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية - كما سبق -، ومُجَاهِد[٤]، وعِكْرِمَة[٥]، والحَسَن[٦]، وطَاوُوْسٍ، وقَتَادَة[٧]. واختاره أبو عُبَيْدة [٨].

القول الثالث: أنَّهم البنون، والعطف لاختلاف الوصفين فهم جامعون بين البنوة والخدمة؛ وهذا من عطف الصفات لموصوف واحد[٩]، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية -كما سبق -، وعِكْرِمَة في رواية، والضَّحَّاك، وابن زَيْد [١٠]. واختاره ابن قُتَيْبَة [١١].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/١٧)، والطَّحَاوِيّ في شرح مشكل الآثار (١٨٨/١٢).

[٢] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/١٧)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٠٢/٣)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٤٣/١٠).

[٣] معاني القرآن للنَّحَّاس (٨٩/٤).

[٤] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٤٩/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٦).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٧/ ٢٢٩٢).

[٦] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٥٨/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٦).

[٧] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٦)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٠٢/٣).

[٨] ينظر: مجاز القرآن (٣٦٤/١).

[٩] ينظر: البحر المحيط (٤٩٩/٥).

[١٠] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٧)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٥٨٦/٤).

[١١] ينظر: غريب الحديث (١٧٠/١).

وهناك من فصَّل في هذا القول كمُقَاتِل، حيث جعل المراد بالبنين في الآية الصغار، والحَفَدَة الكبار الذي يعينون أباهم على عمله [١].

القول الرابع: أنَّهم أولاد الأولاد، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية - كما سبق -.

واختاره ابن العَرَبِيّ، والقُرْطُبِيّ، والسُّيوطِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور [٢].

القول الخامس: أنَّهم البنات؛ لأنَّهن يخدمن في البيوت أتم خدمة [٣].

القول السادس: أنَّهم بنو امرأة الرجل من غيره، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية - كما سبق -.

القول السابع: أنَّهم الأعوان الذين حصلوا للرجل من قِبَل المرأة.

وهذا القول أعم ممن سبقه، وهو الذي اختاره الوَاحِدِيّ [٤]، والرَّازِيّ [٥].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر - والله أعلم - أنَّ المراد بالحَفَدَة كل من كان من قِبَل المرأة؛ لأنَّه امتنان من الله - تعالى - على عباده بأن جعل لهم من أزواجهم بنين وحَفَدَة فيدخل فيه الأولاد الذكور والإناث ومن تفرع منهم، فكلهم يسعى في خدمة الرجل وعونه.

أمَّا الأقوال الأخرى فهي صحيحة من حيث اللغة؛ لأنَّ لفظة الحَفَدَة تدل على الإسراع في الخدمة والطاعة. إلا أنَّ في الآية الكريمة قرينة تستبعد بعض الأقوال، فلفظ

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٢٣٠).

[٢] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣/١١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/١٤٤)، وتفسير الجلالين ص ٣٥٦، وأضواء البيان (٢/٤١٣)، والتحرير والتنوير (١٣/١٧٥).

[٣] ينظر: البحر المحيط (٥/٤٩٩)، وإرشاد العقل السليم (٥/١٢٨)، وروح المعاني (١٤/١٩٠).

[٤] ينظر: البسيط (١٣/١٤٠)، وذكر عدة أقوال في الوسيط (٣/٧٤) ولم يرجح، واقتصر في الوجيز (١/٦١٣) على من قال بأنه: ولد الولد.

[٥] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٠/٦٦).

(حَفَدَة) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ مقيد بكونه من الأزواج. وهذا هو الظاهر المتبادر من اللفظ القرآني.

وأزواج البنات ليسوا من قِبَل الأزواج، ولا قرينة تدل على تقدير خلاف الظاهر[1].

وأما الخدم بمعنى المملوك والأجير ونحوه، فلا يدخلون في معنى الآية، فقد قال ابن زَيْد: :«الحَفَدَة: الخدم من ولد الرجل هم ولده، وهم يخدمونه؛ قال: وليس تكون العبيد من الأزواج، كيف يكون من زوجي عبد، إنَّما الحَفَدَة: ولد الرجل وخدمه»[2].

كما أنَّ هذا المعنى لا يوافق مفهوم العطف في الآية، ولا يستقيم إلا على نية التقديم والتأخير كما ذكر النَّحَّاس[3]، فيكون التقدير: (وجعل لكم حفدة أي خدماً وجعل لكم من أزواجكم بنين).

قال الشَّنْقِيطِيّ:«ودعوى أن قوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾ معطوف على قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾ غير ظاهرة. كما أنَّ دعوى أنَّهم الأخْتَان، وأنَّ الأخْتَان أزواج بناتهم، وبناتهم من أزواجهم، وغير ذلك من الأقوال،كله غير ظاهر»[4].

وأمَّا من خصَّ الحَفَدَة بأنَّهم بنو امرأة الرجل من غيره، فهو تخصيص لا دليل عليه.

[1] ينظر: روح المعاني (١٤/١٩٠).

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/ ٢٥٧).

[3] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٤/٩٠).

[4] أضواء البيان (٢/٤١٣).

٨٦- المراد بالحياة الطيبة

في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية أبي الرَّبِيْع[١] وأبي مَالِك[٢]: هي الرزق الطيب الحلال[٣]...وقال في رواية عِكْرِمَة: هي القناعة[٤]...وقال في رواية الوَالِبِيّ: هي السعادة[٥]...وكان النبي -ﷺ- يقول في دعائه:« قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي »[٦]، وفيما روى أبو هُرَيْرَة: أنَّ النبي-ﷺ- كان يدعو:« اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا »[٧]. فقول من

---

[١] سُلَيْمَان بن أَبِي جَعْفَر، ويقال: ابن أبي هند، ويقال: ابن أبي هِندِيّة، أبو الرَّبِيْع، مولى زيد بن الخطَّاب، من الطبقة الثالثة، ثقة، رَوَى عَنه إِسْمَاعِيل بْن سُمَيع وغيره. ينظر: التاريخ الكبير للبُخَارِيّ (٤/٤٠)، والمعجم الصغير لرواة الإمام الطَّبَرِيّ (٢/٧٠١).

[٢] غَزوَان الْغِفَارِيّ، أبو مَالِك الكوفي، مشهور بكنيته، ثقة، من الطبقة الثالثة، روى عن ابن عبَّاس وغيرهم، ورَوَى عَنه إِسْمَاعِيل بْن سُمَيع وغيره. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢٩٥)، والمعجم الصغير لرواة الإمام الطَّبَرِيّ (٢/٧٤٨).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٨٩) عن ابن عبَّاس من طريق أبي الرَّبِيْع، وأبي مَالِك، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٦/٤٠).

[٤] أخرجه الحاكم بلفظ (القنوع) في المستدرك، كتاب التفسير، سورة النحل، رقم الحديث (٣٣٦٠)، (٢/٣٨٨) عن ابن عبَّاس من طريق سَعِيْد بن جُبَيْر، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٧٤) من طريق عِكْرِمَة.

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٨٩) عن ابن عبَّاس من طريق علي بن أبي طلحة، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٦/٤٠) من طريق الوَالِبِيّ.

[٦] جزء من دعاء النبي -ﷺ- رواه ابن عبَّاس، وطرفه: « اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي...» ، وقد أخرجه السَّهْمِيُّ في تاريخ جرجان ص٩١، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، سورة النحل، رقم الحديث (٣٣٦٠)، (٢/٣٨٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

[٧] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم الحديث (٧٦٣٢)، (٨/٢١٧).

قال: إنَّه القناعة، **حسن مختار**؛ لأنَّه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع، والمكدود بطلبها لا تطيب حياته»[1].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالحياة الطيبة:

القول الأول: أنَّها الرزق الطيب الحلال، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية -كما سبق -، والضَّحَّاك في رواية[2].

القول الثاني: أنَّها القناعة، وهو قول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب[3]، وابن عَبَّاس في رواية - كما سبق -، والحَسَن في رواية[4]. واختاره الوَاحِدِيّ[5]، والطَّبَرِيّ، والآلُوْسِيّ[6].

القول الثالث: أنَّها السعادة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية - كما سبق -.

القول الرابع: أنَّها حياة أهل الطاعة والإيمان، وهو قول الضَّحَّاك في رواية أخرى عنه[7]. واختاره القَاسِمِيّ[8].

القول الخامس: أنَّها الحياة في الجنة، وهو قول مُجَاهِد[9]، والحَسَن في رواية أخرى[1]،

---

[1] البسيط (١٣/١٨٨).

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٩٠)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٧٤).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٩٠)، وذكره مَكِّيّ بن أبي طَالِب في الهداية (٦/٤٠٨٣).

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٩٠)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣/٢١٢).

[5] ينظر: البسيط (١٣/١٩٠)، وذكره ضمن عدة أقوال في الوسيط (٣/٨١)، وفي الوجيز (١/٦١٩) ابتدأ به وذكر غيره بصيغة التمريض.

[6] ينظر: جامع البيان (١٣/٢٩١)، وروح المعاني (١٤/ ٢٢٧).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٩٠)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣/٢١٢).

[8] ينظر: محاسن التأويل (٦/٤٠٧).

[9] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٢٩١)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٥/٤١).

وقَتَادَة، وابن زَيْد[٢].

وهذا القول يختلف عن سابقيه؛ فقد جعل الحياة الطيبة في الآخرة لا في الدنيا؛ لأنَّ الحياة لا تطيب إلا في الجنة، بخلاف الحياة الدنيا فإنَّها لا تخلو من المصائب والأحزان والأكدار، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤][٣].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ المراد بالحياة الطيبة في الآية هي في الدنيا لا في الآخرة، ولا شك أنَّ كمال الحياة الطيبة في الآخرة، ولكن هذا لا يعارض أنَّ المراد بها هنا في الدنيا، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين[٤]، ويُؤَيِّده ما يلي:

١. أنَّه لو كان المراد بالحياة الطيبة حياته في الجنة في قوله: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ صار قوله: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ تكراراً معه وتأكيداً له؛ لأنَّ تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم؛ بخلاف ما لو كان التقدير أنَّها في الحياة الدنيا؛ فإنَّه يفيد معنى جديداً، ويصير المعنى: فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة، ولنجزينه في الآخرة بأحسن ما كان يعمل[٥].

---

(١) أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٩١/١٧)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٣٠١/٧).

(٢) أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٩١/١٧)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٧٤/١٠).

(٣) ينظر: أضواء البيان (٤٤١/٢).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٥١٦/٥)، وفتح القدير (٢٧٧/٣).

(٥) ينظر: فتح القدير (٢٧٧/٣)، وأضواء البيان (٤٤١/٢).

وكما هو مقرر عند العلماء أنَّ الكلام إذا دار بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[1]؛ لإفادته معنى جديداً لم يسبق في الكلام.

٢. أنَّ النصوص الشرعية تدل على أنَّ فضل الإيمان والعمل الصالح شامل للدارين.

كقوله -ﷺ- :« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَرُزِقَ الْكَفَافَ وَقَنَعَ بِهِ»[2].

وقوله -ﷺ- :«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ»[3].

قال الشَّنْقِيطِيّ:« وهذه الأحاديث ظاهرة في ترجيح القول بأنَّ الحياة الطيبة في الدنيا؛ لأنَّ قوله -ﷺ- :« أَفْلَحَ » يدل على ذلك؛ لأنَّ من نال الفلاح نال حياة طيبة. وكذلك قوله -ﷺ- :« يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا » يدل على ذلك أيضاً»[4].

والحياة الطيبة في الدنيا تشمل كل الأقوال التي نُقلت في تفسيرها، وإن كان أظهر الأقوال في المراد بها هنا أنَّها حياة الطاعة والإيمان، وما يترتب عليها من السعادة والأنس بالله - ﷻ-، والرضا بحكمه، والتسليم لأمره، والقناعة بما ساقه الله - ﷻ- لعبادة من رزق.

---

[1] ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٣/١)، والإحكام للآمدي (٢٧٦/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٠/٢).

[2] أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة، رقم الحديث (٤١٣٨)، (٢/ ١٣٨٦)، وأخرجه الترمذي بمعناه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، رقم الحديث (٢٣٤٩)، (٥٧٦/٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأخرجه ابن حِبَّان بمعناه في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد والقناعة، رقم الحديث (٧٠٥)، (٤٨٠/٢).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، رقم الحديث (٧٢٦٧)، (٨/ ١٣٥).

[4] أضواء البيان (٤٤٢/٢).

٨٧- المخاطب بالآية، والمراد بقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس ﴿ فَكُلُواْ ﴾: يا معشر المؤمنين، ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يريد الغنائم[١]. وقال الكَلْبِيّ: إنَّ رؤساء أهل مكة كَلَّمُوا رسول الله -ﷺ- حين جَهِدُوا، قالوا: عَادَيْتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ وكانت المِيرَة[٢] قد قطعت عنهم بأمر رسول الله -ﷺ- ، فأذن في الحَمْل إليهم، فَحُمِل إليهم الطعام[٣]، فقال الله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية. **والقول ما قاله** ابن عَبَّاس، يدل عليه قوله بعد هذه الآية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾[النحل: ١١٥]، وهذا خطاب للمسلمين لا لكفار مكة»[٤].

- **الدراسة**

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٠٤/٢٠)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٣١٣/٤).

[٢] المِيرَةُ: جَلْب القَوْم الطّعامَ للبَيْع، وهم يَمْتارونَ لأَنْفُسِهِمْ، ويَمِيرُونَ غَيْرَهم ميراً.

ينظر: العين (٢٩٥/٨)، وتهذيب اللغة (٢١٤/١٥)، مادة (مير).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٠٤/٢٠)، والخَازِن في لباب التأويل (١٢١/٤).

[٤] البسيط (٢٢٠/١٣).

أقوال المفسرين في المخاطب بالآية، والمراد بقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾:

القول الأول: الخطاب للمسلمين، والمراد بقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الغنائم، وهو قول ابن عَبَّاس- كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والرَّازِيّ، والشَّوكَانِيّ[2].

وقيل: إنَّ المراد بالرزق ما رزقه الله إياهم من بهائم الأنعام التي أحلها لهم.

واختاره الطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن عَطِيَّة[3].

القول الثاني: الخطاب لأهل مكة المشركين؛ وذلك أنَّهم لما ابتلوا بالجوع سبع سنين، وقطع العرب عنهم المِيرَةَ بأمر النبي -ﷺ- ، كلَّم رؤساؤُهم رسول الله -ﷺ- حين جَهِدُوا، وقالوا: هذا عذاب الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله -ﷺ- للناس بحمل الطعام إليهم وهم بَعْدُ مشركون[4]، وهو قول الكَلْبِيّ - كما سبق -.

ووصفه ابن عَطِيَّة بالفساد[5].

واستبعده الطَّبَرِيّ بقوله:« وذلك تأويل بعيد مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أنَّ الله - تعالى - قد أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ الآية والتي بعدها، فبيَّن بذلك أنَّ قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ إعلام من الله عباده أنَّ ما كان المشركون يحرّمونه...لا معنى له؛ إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإنَّ كلّ ذلك حلال لم يحرم الله منه شيئاً»[6].

- **الترجيح:**

---

[1] ينظر: البسيط (٢٢٠/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٨٩)، والوجيز (٦٢٢/١).

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠٤/٢٠)، وفتح القدير (٢٨٧/٣).

[3] ينظر: جامع البيان (٣١٢/١٧)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤١٠٥/٦)، والمحرر الوجيز (٤٣٤/٣).

[4] ينظر: جامع البيان (٣١٢/١٧)، وزاد المسير (٥٠١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٩٥/١٠).

[5] ينظر: المحرر الوجيز (٤٣٤/٣).

[6] جامع البيان (٣١٢/١٧).

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أصح وأظهر، وهو أنَّ المخاطب بالآية المسلمون، وهذا قول جمهور المفسرين[1]، ويُؤَيِّده السياق لحاقاً، فالله – ﷻ– قد أتبع هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ [النحل: ١١٥]، وهو خطاب للمسلمين.

أمَّا قوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فهو عام فيما رزق الله به عباده من الطيبات، ولا دليل على تخصيصه بشيءٍ مما ذكر، ونصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[2].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] ينظر: زاد المسير (٥٠١/٤)، ولباب التأويل (١٢١/٤).

[2] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٨٨- المراد بقوله: ﴿ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُجَاهِد: اختلفوا فيه واتبعوه، وتركوا الجمعة[١]... وقال الكَلبِيّ عن أَبِي صَالِحٍ عن ابن عَبَّاسٍ: أمرهم مُوْسَى بالجمعة، فقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً واحداً فاعبدوه في يوم الجمعة، لا تعملوا فيه شيئاً من صنعتكم، فأبوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبغي إلا اليوم الذي فُرِغ فيه من الخلق، يوم السبت، فجُعل عليهم السبت وشُدِّد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى بالجمعة، فقالت النَّصَارَى: لا نريد أن يكون عِيدُهم بعد عيدنا فاتخذوا الأحد[٢]، هذا الذي ذكرنا هو قول أكثر المفسرين في هذه الآية، وهو معنى ما روى أبو هُرَيْرَة أنَّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْجُمْعَةَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ وهَدَانَا اللَّهُ له، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»[٣]، وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: اختلفوا فيه على

---

[١] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٥٤/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٢٠/١٧).

[٢] ورد بهذا الإسناد في مفاتيح الغيب (١١٠/٢٠)، ولباب التأويل (١٢٣/٤)، ونسب الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٥١/٦)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٥٢/٥) هذا القول إلى الكَلبِيّ.

[٣] أخرجه البخاري بمعناه في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم الحديث (٨٣٦)، (٢٩٩/١)، وأخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم الحديث (٢٠١٨)، (٣/ ٧).

نبيهم مُوْسَى؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم، أي: لأجله؛ لأنَّهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره، وهذا مما أشكل على كثيرٍ من المفسرين حتى قال: بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أنَّ بعضهم قال: هو أعظم الأيام حرمة؛ لأنَّ الله فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: لا بل الأحد، لأنَّ الله ابتدأ خلق الأشياء فيه، وهذا غلط؛ لأنَّ اليَهُوْد لم يكونوا فريقين في يوم السبت، وإنَّما اختار النَّصَارَى الأحد بعدهم بزمانٍ طويل....وفي الآية قولٌ ثانٍ، وهو ما رواه عَطَاء عن ابن عَبَّاس قال: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ يريد تهاونوا وصادوا فِيهِ وتعدوا [1]. وقال قَتَادَة: استحله بعضهم، وحرمه بعضهم[2]، وهذا قول سَعِيْد بن جُبَيْر[3]، وعلى هذا معنى اختلافهم في السبت: اختلافهم في استحلاله بالصيد فيه وتحريمه، ما ذكر الله - تعالى - قصتهم في سورة الأعراف[4] زمن داود -عليه السلام-، **والوجه هو القول الأول**؛ لأنَّ السبت جعل عليهم من أول ما اختاروه لا من زمن داود -عليه السلام-»[5].

- **الدراسة**

للمفسرين في المراد باختلافهم في الآية قولان:

---

[1] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٩١/٣) عن عَطَاء عن ابن عَبَّاس.

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٢٠/١٧)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٥٠٥/٤).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٢٠/١٧)، وعزاه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (١٧٧/٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حَاتِم.

[4] وهي قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

[5] البسيط (٢٢٩/١٣).

القول الأول: أنَّ المراد اختلافهم على نبيهم مُوْسَى -عليه السلام-؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية، ومُجَاهِد- كما سبق -. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن العَرَبِيّ، والخَازِن، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ، والآلُوْسِيّ[2].

واحتجوا بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»[3].

القول الثاني: أنَّ المراد اختلافهم في يوم السبت، فمنهم من أحل الصيد فيه ومنهم من حرمه، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية، وسَعِيْد بن جُبَيْر، وقَتَادَة - كما سبق -. واختاره الزَّجَّاج[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل القولين، من غير تضاد بينهما؛ فاليَهُوْد خالفوا نبيهم مُوْسَى -عليه السلام- فاختاروا السبت بدلاً من الجمعة، ففرض عليهم تعظيمه، والتفرغ فيه للعبادة، وإراحة أنفسهم فيه من الأعمال، فالتزمت طائفة منهم بما أمر الله - تعالى -، واعتدت أخرى فاحتالت لحلِّه، فعاقبهم الله بأن مسخهم قردة وخنازير.

---

[1] ينظر: البسيط (٢٣١/١٣)، واقتصر في الوسيط (٩١/٣) على القول الثاني، وفي الوجيز (٦٢٣/١) على الأول.

[2] ينظر: بحر العلوم (٢٩٦/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٣٣/٣)، ولباب التأويل (١٢٤/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦١٢/٤)، وتفسير الجلالين ص٣٦٣، وروح المعاني (٤٨٦/٧).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم الحديث (٨٣٦)، (٢٩٩/١)، وأخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم الحديث (٢٠١٨)، (٣/ ٧).

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

وسياق الآيات يشهد لكلا القولين؛ فاليَهُوْد كانوا يزعمون أنَّ تعظيم يوم السبت والتخلي للعبادة فيه من شرائع إِبْرَاهِيم -عليه السلام-، فكذبهم الله - تعالى -، وبيَّن أنَّه لم يشرع ذلك التعظيم إلا لبني إِسْرَائِيْلَ في رسالة مُوْسَى -عليه السلام-، بعد إِبْرَاهِيم -عليه السلام-، بمدة طويلة [1].

كما أنَّ الآيات قبل ذلك تحدثت عن المحرمات من المطاعم، وحذرت من التحريم والتحليل بغير دليل شرعي، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ١١٦- ١١٨].

ثم جاءت هذه الآيات معقبة على ما سبقها بقصد الردّ على من زعم أنَّهم بأفعالهم تلك يسيرون على ملة إِبْرَاهِيم -عليه السلام-، وبينت جوهر هذه الملة، وكونها هي التي أوحى الله بها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنَّ ما جاء في القرآن من التحليل والتحريم هو الصحيح من هذه الملة الذي يجب الأخذ به، ثم أنذر الله عباده وحذرهم من السير في طريق اليهود؛ لئلا يعاقبهم بما عاقب به هؤلاء حين خالفوا أهل الحق فِي استحلال السبت.

أما الحديث الصحيح الذي استدلوا به في بيان الآية، فهو لا يتعارض مع القول الثاني؛ فهم قد فرض عليهم تعظيم يوم السبت بعدما اختاروه، وحرم عليهم الصيد فيه، ثم اختلفوا فمنهم من التزم بذلك، ومنهم من اعتدى واستحله.

[1] ينظر: فتح القدير (٢٩١/٣)، والتحرير والتنوير (٢٦٠/١٣).

٨٩- المراد بقوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾

في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« والمسحور الذي قد سُحِر فاختلط عليه أمره، وأزيل عن حدِّ الاستواء، هذا قول أكثر أهل اللغة، وقال ابن الأَعْرَابِيّ: الذَاهِبُ العَقْلِ المُفْسَد، وأنشد:

فقالت يَمِينُ الله أَفْعَلُ إنَّني رأَيْتُك مَسْحُوراً يَمِينُك فاجِرَه[١].

قال: وطعَامٌ مَسْحُورٌ إذا أُفْسِدَ عَمَلُه، وأرضٌ مَسْحُورَة: أصَابَهَا من المطَرِ أكثَرُ مِمَّا ينبغي فأفْسَدَها[٢]. وقال أبو عُبَيْدة: يريد بشراً ذا رئةٍ[٣]...**والاختيار** هو القول الأول؛ لقوله تعالى إخباراً عن فِرْعَوْن: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، لا يجوز أن يكون أراد مخلوقاً، وذا سَحر، وإنَّما أراد مخدوعاً، والمشركون كانوا يذهبون إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعلِّم ما يأتي به ويُخْدع بذلك، يدلّ على هذا قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، فلذلك قالوا له: ﴿مَّسْحُورًا﴾»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه الذي سُحِر فاختلط عليه أمره، وأزيل عن حدِّ الاستواء.

---

[١] البيت من البحر الطويل، وهو للنَّابِغَة الذُّبْيانِيّ، ينظر: ديوانه ص١٥٦، وتهذيب اللغة (١٧٠/٤).
ومعنى البيت: أنها أقسمت بالله لا تفعل، أي:لَا تقبل عَهْده؛ لأنَّه إنسان مخادع غادر.
ينظر: ديوانه ص١٥٦، ومجمع الأمثال (٢/ ١٤٥).

[٢] ينظر: تهذيب اللغة (١٧٠/٤)، ولسان العرب (٣٤٨/٤)، مادة (سحر).

[٣] ينظر: مجاز القرآن (٣٨١/١).

[٤] البسيط (٣٥٣/١٣).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو حيَّان، وابن القَيِّم، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[2].

واستُدل لهذا القول بسياق الآية لحاقاً، وهو قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨][3].

قال ابن عَطِيَّة: «والآية التي بعد هذا تُقوِّي أنَّ اللفظة التي في الآية من السِّحر بكسر السين؛ لأنَّ في قولهم ضرب مثل له، وأما على أنَّها من السَّحْر الذي هو الرِّئَة، ومن التَّغذِّي، وأن تكون الإشارة إلى أنَّه بشر، فلم يُضرب له في ذلك مثل، بل هي صفة حقيقة له»[4].

القول الثاني: أنَّه المخدوع؛ لأنَّ السِّحر حيلة وخديعة، وهو قول مُجَاهِد[5]. واختاره ابن قُتَيْبَة، والنَّحَّاس[6].

القول الثالث: معناه أنَّ له سَحْراً، أَيْ: رِئَةً، بمعنى أنَّه يتنفس ويأكل ويشرب، فهو مثلكم وليس بِمَلَكٍ، وهو قول أبو عُبَيْدة - كما سبق-.

---

[1] ينظر: البسيط (٣٥٥/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (١١١/٣)، وفي الوجيز (٦٣٦/٢) اقتصر على قول مُجَاهِد الآتي ذكره.

[2] ينظر: المحرر الوجيز (٤٧٥/٣)، ومفاتيح الغيب (١٧٩/٢٠)، ومدارك التنزيل (٢٦٠/٢)، والبحر المحيط (٤٠/٦)، وبدائع الفوائد (٤٥١/٤)، ومحاسن التأويل (٤٦٨/٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٤٥٩، والتحرير والتنوير (٩٧/١٤).

[3] ينظر: المحرر الوجيز (٤٧٥/٣)، والدر المصون (٣٦٦/٧).

[4] المحرر الوجيز (٤٧٥/٣).

[5] لم أجده مسنداً، وعزاه إليه جماعة منهم ابن قُتَيْبَة في تفسير غريب القرآن ص٢٥٦، والنَّحَّاس في معاني القرآن (١٦١/٤)، والماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٤٧/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٢/٥).

[6] ينظر: غريب القرآن ص ٢٥٦، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٦١/٤).

واستبعد هذا القول كثير من المفسرين[1]، بل استنكره ابن قُتَيْبَة، فقال:« ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير المستكره! وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه»[2].

وعدّه ابن القَيِّم من عجائب الأقوال التي تنفر عنها النفوس، ويأباها القرآن أشد الإباء[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – رجحان القول الأول بأنَّ قوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾ من السِحر بكسر السين لا بفتحها، فهو من أصابه السِحر فذهب عقله واختلط أمره عليه. فقول مُجَاهِد موافق في المعنى لهذا القول؛ لأنَّ المخدوع مغلوب في عقله كالمسحور، وهو كقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، أي: من أين تخدعون[4]، ويُقَوِّي هذا القول، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ هناك قرينة تشهد لهذا القول، حيث أتبع الآية بقوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨]، وهذا يدل على أنَّ ضرب المثل له إنَّما يظهر على هذا القول لا على قول أبي عُبَيْدة؛ لأنَّ ضرب المثل بشيء يشترك فيه كل أحد لا يكون فيه ما يميزه، ولا معنى له.

قال السَّمِين الحَلَبِيّ: « السَّحْر الذي هو الرِّئَة لم يضرب له فيه مَثَلٌ بخلاف السِّحْر، فإنَّهم ضربوا له فيه المثل، فما بعد الآيةِ من قولِه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾

---

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤٤٧/١)، والدر المصون (٣٦٦/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٣٠٣/١٢).

[2] غريب القرآن ص ٢٥٦.

[3] ينظر: الصواعق المرسلة (٦٩٤/٢).

[4] ينظر: أضواء البيان (٦١/٤).

لا يناسِبُ إلا السِّحْر بالكسر»[1]. ومعلوم أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره[2].

٢. أنَّه لو أراد بالمسحور أنَّه بشرٌ، لم ينكر مُوْسَى على فِرْعَوْن قوله: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾[الإسراء: ١٠١]، ولصدّقه، وقال: نعم، أنا بشر أرسلني الله إليك، كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[إبراهيم: ١٠]، فقالوا: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]؛ ولكنَّه أنكر عليه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢][3].

يقول ابن القَيِّم: « وأيُّ مناسبة لذكر الرِّئَة في هذا الموضع؟ ثم كيف يقول فِرْعَوْن لمُوْسَى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾؟ أَفَتُراه ما علم أن له سَحْراً، وأنه بشر؟ »[4].

٣. أنَّ أكثر أئمة التفسير قد اعتمد هذا القول، كما يظهر أنَّ أكثرهم يرون ضعف القول الثالث الذي قاله أبو عُبَيْدة.

---

[1] الدر المصون (٣٦٦/٧).

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[3] ينظر: بدائع الفوائد (٤٥١/٤).

[4] بدائع الفوائد (٤٥١/٤).

٩٠- المراد بالشجرة الملعونة

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في الشجرة الملعونة، فالأكثرون على أنَّها شجرة الزَّقُّوم التي ذكر في قوله: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] ...وروى السُّدِّي عن أبي مَالِك عن ابن عَبَّاس قال: الشجرة الملعونة في القرآن بنو أُمَيَّة[١]. وقال في رواية عَطَاء: يعني الحَكَم بن أَبِي العَاص[٢]، قال:« وكان رأى الرسول -ﷺ- في المنام ولد مَرْوَان يتداولون منبره، فقصَّ رؤياه على أبي بَكْر وعُمَر وقد خلا في بيته معهما، فلما تفرقا، سمع رسول الله -ﷺ- ذلك فاشتد عليه، واتهم عُمَر في إفشاء سره، ثم ظهر أن الحَكَم كان يَتَسمَّع إليهم، فنفاه رسول الله -ﷺ- »[٣]. وهذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية، فيبعد هذا التفسير، إلا أن تكون هذه الآية مدنية، ولم يقل ذلك أحد...والأكثرون على القول الأول، **وهو الظاهر**. ويدل أنَّ المراد بالشجرة ها هنا الزَّقُّوم:

---

[١] لم أجده مسنداً، ونسبه إلى ابن عَبَّاس الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٨٩/٢٠)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/١٠).

[٢] الحَكَمُ بنُ أَبِي العَاصِ بن أُمَيَّةَ الأُمَوِيُّ، عَمّ عُثْمَان بن عَفَّان ووالد مَرْوَانَ، أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة ثم نفاه النبي -ﷺ- إلى الطائف، ثم أعيد إلى المدينة في خلافة عُثْمَان ومات سنة ٣١هـ.
ينظر: الاستيعاب (١/ ٣٥٩)، والإصابة (١/ ١٠٤).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكر السَّمْعَانِيّ في تفسيره (٢٥٥/٣) أن الدِّمْيَاطِيّ حكاه في تفسيره عن ابن عَبَّاس، كما ذكر الرَّازِيّ هذه القصة في مفاتيح الغيب (١٨٩/٢٠) ونسبها إلى ابن عَبَّاس. وسيأتي تضعيف الأئمة لهذه الرؤيا.

﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ أي: نخوفهم بالزَّقُّوم فما يزيدهم إلا كفراً وعتواً، وهو ما زادوا من التكذيب والإنكار حين سمعوا بذكر هذه الشجرة في القرآن، وقد روي عن ابن عَبَّاس: أنَّه فسَّر الشجرة الملعونة بالكَشُوث[1]، وهو قولٌ ضعيف وتفسير لا يليق بالآية»[2].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالشجرة الملعونة في الآية:

القول الأول: أنَّها شجرة الزَّقُّوم.

وهو قول ابن عَبَّاس[3]، وسَعِيْد بن جُبَيْر[4]، وإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيّ[5]، ومُجَاهِد[6]، والضَّحَّاك، والحَسَن[7]، وقَتَادَة[8]، ومَسْرُوق، وابن زَيْد[9].

واختاره الوَاحِدِيّ[10]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ،

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٧/١٧)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٥٤/٣).

والكَشُوث: نبت يتعلق بأغصان الشجر، ولا عرق له في الأرض.

ينظر: تهذيب اللغة (٨/١٠)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٣١٣/٢)، مادة (كشث).

[2] البسيط (٣٨٠/١٣).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، رقم الحديث (٣٦٧٥)، (١٤١٢/٣).

[4] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٨١/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٥/١٧).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٥/١٧)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٥٥/٥).

[6] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٦٥/١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٥/١٧).

[7] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٥/١٧)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٥٣/٣).

[8] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٨١/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٦/١٧).

[9] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٤/١٧)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٩٢/٥).

[10] ينظر: البسيط (٣٨٢/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ١١٤)، والوجيز (٦٣٩/٢).

والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[1]، وهو قول الجمهور[2].

ووجه هذا القول أن الله - ﷻ- أفصح عن ذكر هذه الشجرة مع ذكره لموضوع الفتنة فيها، فقال تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٤].

القول الثاني: أنَّها الحَكَم بن أَبِي العَاص وولده [3]، وهذا القول منسوب لابن عَبَّاس - كما سبق-.

ويعارض هذا القول بما يلي:

١. أنَّ سورة الإسراء مكية، وهذه القصة كانت بالمدينة، إلا أن تكون هذه الآية مدنية، ولم يثبت ذلك [4].

٢. أنَّ الشجرة عند إطلاقها لا تنصرف إلا إلى الشجر التي هي النبات لا غير، إلا إذا دل دليل على خلاف هذا، ولا دليل صحيح على ذلك.

---

[1] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٢٦/٢)، وغريب القرآن ص٢٥٨، وجامع البيان (٤٨٧/١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٤٨/٣)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٢٥٤/٣)، ومعالم التنزيل (١٠٣/٥)، والمحرر الوجيز (٤٨٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٢/١٠)، ومدارك التنزيل (٢٦٥/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٠/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٩٢/٥)، وتفسير الجلالين ص٣٧٢، وروح المعاني (١٠٥/١٥)، ومحاسن التأويل (٤٧٣/٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٦١، وأضواء البيان (١٦٥/٣)، والتحرير والتنوير (١١٧/١٤).

[2] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤٨٥/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٥٥/٥)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥٣/٦)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٣٤٩/٢)، والشَّوكَانِيّ في فتح القدير(٣٤٢/٣)، والآلُوسِيّ في روح المعاني (١٠٦/١٥).

[3] هذا القول مبني على أن المراد بالرؤيا في الآية ما رآه رسول الله -ﷺ- في منامه من أن بني أُمَيَّة يعلون منبره.

[4] ينظر: البسيط (٣٨٠/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٦/١٠).

قال ابن عَطِيَّة:«وهذا قولٌ ضعيف مُحْدَثٌ، وليس هذا عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ[1]، ولا مثله»[2].

وقال الشَّنْقِيطِيّ: « أنَّ قول من قال: إنَّ الرؤيا التي أراه الله إياها هي رؤياه في المنام بني أُمَيَّة على منبره، وإنَّ المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو أُمَيَّة لا يعول عليه؛ إذا لا أساس له من الصحة، والحديث الوارد بذلك ضعيفٌ لا تقوم به حجة»[3].

ولا يبعد أن يكون هذا التأويل من وضع الرافضة، وقد أشار إلى هذا ابن تَيْمِيَّة[4].

قال ابن عَاشُور معلقاً على هذا القول:« ويوجد في بعض التفاسير أنَّ ابن العبَّاس قال: في الشجرة الملعونة بنو أُمَيَّة، وهذا من الأخبار المختلقة عن ابن عَبَّاس، ولا أخالها إلا مما وضعه الوضَّاعون في زمن الدعوة العباسية لإكثار المنفرات من بني أُمَيَّة، وأنَّ وصف الشجرة بأنَّها الملعونة في القرآن صريح في وجود آيات في القرآن ذكرت فيها شجرة ملعونة وهي شجرة الزَّقُّوم »[5].

القول الثالث: أنَّها شجرة الكَشُوث التي تلتوي على أغصان الأشجار، وهذا القول مروي عن ابن عَبَّاس - كما سبق-.

---

[1] أخرج هذه الرؤيا الطبري في تفسيره عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ من طريق محمد بن الحسن بن زَبَالة، وعلَّق ابن كثير في تفسيره (٩٢/٥) على هذا الأثر بقوله:« وهذا السند ضعيف جدًا؛ فإن محمد بن الحسن بن زَبَالة متروك، وشيخه - عَبْدُ المُهَيْمِنِ بن عباس بن سَهْل بنِ سَعْد - أيضًا ضعيف بالكلية.

وسَهْلُ هو: سَهْلُ بنُ سَعْدِ بنِ سَعْدِ بنِ مَالِكٍ الخَزْرَجِيُّ السَّاعِدِيُّ، من مشاهير الصحابة يقال كان اسمه حزنا فغيره النبي -ﷺ- إلى سهل، مات النبي -ﷺ- وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، توفي سنة ٩١هـ، وقيل: قبل ذلك. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٦٦٤)، والإصابة (٢٠٠/٣).

[2] المحرر الوجيز (٤٨٥/٣).

[3] أضواء البيان (١٦٦/٣).

[4] ينظر: درء التعارض (٩٥/٣)، ومنهاج السنة النبوية (٢٤٦/٧).

[5] التحرير والتنوير (١١٨/١٤).

ويعارض هذا القول بأنَّ هذه الشجرة لم يجر لها ذكر في كتاب الله - تعالى -، ولم تعرف في السنة كذلك، فكيف نحمل الآية عليها.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الصحيح في المراد بالشجرة الملعونة، هو قول الجمهور بأنَّها شجرة الزَّقُّوم، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده:

١. أنَّه قول جمهور العلماء من السلف والخلف، فقولهم مُقدَّم على غيرهم، بل حكى الطَّبَرِيّ إجماع الحجة من أهل التأويل على تفسير الشجرة الملعونة بشجرة الزَّقُّوم.

٢. أنَّ الله - تعالى - ذكر هذه الشجرة في سورة الصافات وبيَّن أنَّها فتنة للكافرين، فقال تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٢-٦٤]، وهذا يلتقي تماماً مع هذه الآية.

ومعلوم أنَّ أفضل طرق التفسير وأصحها على الإطلاق تفسير القرآن بالقرآن[١].

٣. ما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عَبَّاس أنَّه فسَّرها بالزَّقُّوم حيث قال: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ هي شجرة الزَّقُّوم[٢]. أمَّا الروايات الأخرى فهي ضعيفة.

٤. أنَّ القولين السابقين لم يسلما من المعارضة بخلاف هذا القول.

[١] ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص ٣٩، ومختصر الصواعق المرسلة (١٠٢٠/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨/١).

[٢] سبق تخريجه ص٤٠١ من البحث.

٩١- المشار إليهم بقوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، والمراد بالأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها

في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال قَتَادَة: همَّ أهل مكة بإخراج نبي الله -ﷺ- من مكة، ...ولكن الله كفَّهم عن إخراجه حتى أمره الله بالخروج، ولقلَّ ما لبثوا بعد خروج النبي -ﷺ- من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر[١]، وهو قول مُجَاهِد[٢]. وقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: حسدت اليَهُوْد مقام النبي -ﷺ- بالمدينة فقالوا: إنَّ الأنبياء إنَّما بعثوا بالشام، فإن كنت نبياً فالحق بها، وإن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك، فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مَرْحَلَة[٣]، فأنزل الله هذه الآية[٤]...والقول الأول اختيار أبي إِسْحَاق[٥]، **وهو الوجه**؛ لأنَّ السورة مكية»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المشار إليهم بقوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، والمراد بالأرض في الآية:

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ بلفظه في تفسيره (٥١٠/١٧)، وبنحوه أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٨٣/٢).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (١/ ٣٦٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥١١/١٧).

[٣] المَرْحَلَة: المسافة التي يقطعها المسافر في يوم تقريبًا.

ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٢٤٤٨/٤)، والمعجم الوسيط ص٣٣٥.

[٤] أورده الوَاحِدِيّ بلا سند في أسباب النزول ص٤٧٩، ونسبه إلى ابن عَبَّاس ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٦٩/٥)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٢٠/٢١).

[٥] عَنَى بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٦] البسيط (٤٢١/١٣).

القول الأول: أنَّهم كفار قريش، والأرض مكة، همّوا بإخراج رسول الله -ﷺ- منها، فكفَّهم الله عنه؛ حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه، وهو قول مُجَاهِد، وقَتَادَة - كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[2].

القول الثاني: أنَّهم اليَهُوْد، والأرض المدينة، أشاروا على رسول الله -ﷺ- بسكنى الشام بلاد الأنبياء، وترك المدينة، وهو قول ابن عَبَّاس - كما سبق -، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[3]. واختاره الفَرَّاء[4].

وضعَّف هذا القول أكثر المفسرين؛ لأنَّ السورة مكية ولم يكن النبي -ﷺ- في المدينة عند نزول هذه الآية؛ ولأنَّ ما قبلها خبر عن أهل مكة، ولم يجر لليهود ذكر[5].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأولى والأقرب للصواب هو القول الأول، أنَّهم كفار قريش همّوا أن يخرجوا النبي -ﷺ- من مكة، وذلك قبل الهجرة فأمره الله- ﷻ- بالخروج. ويُقَوِّي هذا القول ما يلي:

---

[1] ينظر: البسيط (٤٢٣/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ١٢٠)، واقتصر في الوجيز (٦٤٣/٢) على القول الثاني.

[2] ينظر: جامع البيان (٥١١/١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٥٤/٣)، والكشف والبيان (١١٩/٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٢٦١/٦)، ومعالم التنزيل (١١٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠١/١٠)، ولباب التأويل (١٧٣/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٠٠/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٣٥١/١٢)، ومحاسن التأويل (٤٨٢/٦)، والتحرير والتنوير (١٤١/١٤).

[3] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢٦٨/٢).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٢٨/٢).

[5] ينظر: جامع البيان (٥١١/١٧)، والكشف والبيان (١١٩/٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٢٦١/٦)، والبسيط للوَاحِدِيّ (٤٢٣/١٣)، ومعالم التنزيل (١١٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٣٠١/١٠)، ولباب التأويل (١٧٣/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٠٠/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٣٥١/١٢).

١.أنَّه الأليق بالسياق؛ فالآيات تتحدث عن قريش، ولم يجر لليهود ذكر قبل ذلك.

وتُؤَيّده قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره [١].

وقاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها [٢].

٢. النظائر القرآنية؛ فالله - ﷻ- ذكر في كتابه محاولة كفار مكة إخراج النبي -ﷺ- منها، كقوله تعالى: ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة:١٣]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وصرح في مواضع أُخر بأنَّهم أخرجوه بالفعل؛ لأنَّهم لما كانوا سبباً في خروجه أضيف ذلك إليهم، وإلا فخروج النبي -ﷺ- إنَّما كان بأمر الله - ﷻ- ، ومن الآيات التي صرحت بذلك، قوله تعالى:﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة: ١]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِيَ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]، وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[التوبة: ٤٠].

والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عدم ذلك، كما قرره جمهور المفسرين [٣].

٣. أنَّه اختيار أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [٤].

---

[١] ينظر: البحر المحيط (٢٢٦/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٢٣٥/١٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[٢] ينظر: المحرر الوجيز (٨/٥)، والبرهان للزركشي (٣٥/٤)، والإتقان (٣٩٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٩٢- المراد بالمقام المحمود

في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى:﴿ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ أجمع المفسرون على أنَّه مقام الشفاعة؛ كما قال النبي -ﷺ- في هذه الآية:« هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ»[(١)]...ورُوي عن مُجَاهِد في تفسير قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ قال: يجلس معه على العَرْش[(٢)]. ورُوي عن ابن مَسْعُود أنَّه قال في هذه الآية: يقعده على العَرْش[(٣)]. وهذا تفسير فاسدٌ وقولٌ رَذْل[(٤)]، وقول مُجَاهِد: (معه) قولٌ موحشٌ فظيعٌ، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير؛ والبعث لا يكون بمعنى الإجلاس، ومن فَسَّر البعث

---

(١) أخرجه أحمد بلفظه في مسنده، مسند أبي هُرَيْرَة، رقم الحديث (٩٦٨٤)، (٤٢٧/١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف داود: وهو ابن يزيد بن عبد الرحمن الأودي"، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٨٤/٥).

(٢) أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٣٠٥/٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٩/١٧)، وقول مُجَاهِد: « يُجْلسه معه على عرشه - ﷻ-» لم تصح طرقه، وكل الروايات التي جاءت طرقها ضعيفة، فهو مروي عن لَيْث بن أبي سليم، وَعَطَاء بن السَّائِب، وَأبي يحيى القَتَّات، وَجَابِر بن يزِيد، ينظر: العلو للعلي الغفار ص١٧٠. قال الألباني في مختصر العلو ص١٥: «والأولان مختلطان، والآخران ضعيفان بل الأخير متروك متهم».

(٣) أخرجه بمعناه ابن أبي عاصم في السنة (٣٦٥/٢)، والذَّهَبِيّ في العلو للعلي الغفار ص٩٣، وقال:« هذا موقوف ولا يثبت إسناده»، والمرفوع ساقه الذَّهَبِيّ قبل ذلك، فقال:«حَدثنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ الحنائي حبشون حَدثنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَالْحَسَنُ بن حَمَّاد قَالَا حَدثنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ عَنْ سَلَمَةَ الْأَحْمَر عَن أَشْعَث بْنِ طُلَيْقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَما أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَقْرَأُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ قَالَ: «يُجْلِسُنِي عَلَى الْعَرْشِ»، ثم قال:« هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ لَا يُفْرَحُ بِهِ، وَسَلَمَة هَذَا مَتْرُوك الحَدِيث، وَأَشْعَث لَمْ يَلْحَقِ ابْنَ مَسْعُودٍ».

(٤) رَذْل: الرَّذْلُ: الدُّونُ من كلِّ شيءٍ، مصدرُه الرَّذالةُ، والجميع الأرذال، والأرْذلون والرَّذِلون، ورُذالة كلِّ شيءٍ أردؤه. ينظر: العين (١٨٠/٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٥٠٩/٢)، مادة (رَذْل).

بالإجلاس فقد فَسَّره بضد ما وُضع له؛ لأنَّ البعث وضع للإثارة...؛ولأنَّ الله قال: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ولم يقل: مقعداً، والمقام موضع القيام...وإذا فسد هذا الفساد الظاهر لم يُعد به»[1].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالمقام المحمود:

القول الأول: أنَّه الشفاعة العظمى في أهل الموقف؛ لإراحتهم من كربات الموقف وفصل القضاء، وهو قول جمعٌ من الصحابة والتابعين، منهم: عَبْدُ اللَّه بن مَسْعُود[2]، وسَلْمَان الفَارِسِيّ[3]، وحُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ[4]، وأبو هُرَيْرَة[5]، وابن عَبَّاس[6]، والحَسَن[7]، وقَتَادَة[8]، ومُجَاهِد في رواية عنه[9].

---

[1] البسيط (٤٤٣/١٣).

[2] أخرجه الطيالسي في مسنده (٣٠٦/١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٧/١٧).

[3] سَلْمَان الفَارِسِيّ يعرف بسلمان الخير، أبو عبد الله، مولى رسول الله -ﷺ-، أصله من فارس، كان قد سمع بأن النبي -ﷺ- سيبعث فخرج في طلبه فأسِرَ، وبِيع بالمدينة، فأسلم فكان من خيار الصحابة -رضي الله عنهم- وزهادهم، شهد الخندق وأشار على النبي -ﷺ- بحفره، وشهد بقية المشاهد بعدها، توفي سنة ٣٥هـ، وقيل: ٣٦هـ.
ينظر : الاستيعاب (٦٣٤/٢)، والإصابة (١٤١/٣).

[4] حُذَيْفَةُ بن اليَمَان، أبو عَبْدِ اللهِ، وَاسم اليَمَان: حِسْلٌ، ويقال: حُسَيْلٌ بْنُ جَابِرٍ العَبْسِيُّ اليَمَانِيُّ، من كبار الصحابة، صاحب سر رسول الله -ﷺ- في المنافقين، توفي سنة ٣٦هـ.
ينظر : الاستيعاب (٣٣٤/١)، والإصابة (٤٤/٢).

[5] أخرج آثارهم ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٦/ ١٦٦، ٣١٩)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٦/١٧).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٧/١٧)، وعزاه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٣٢٤/٥) إلى الطبراني وابن مردويه.

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٦/١٧)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (١٠٣٤/٥).

[8] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣٨٦/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٨/١٧).

[9] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٦٩/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٧/١٧)، وهي رواية ابن أبي نجيح.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، والسُّيوطِيّ[2].

القول الثاني: أن يجلس الله -تعالى- محمداً -ﷺ- على العرش، وهو منسوب لابن عَبَّاس[3]، وابن مَسْعُود، ومُجَاهِد - كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول، وهو أنَّ المراد بالمقام المحمود الشفاعة العظمى هو الصحيح، ويُقَوِّي هذا القول ما يلي:

١. أنَّه قد ثبت في السنة النبوية تفسير المقام المحمود بالشفاعة، فعن أبي هُرَيْرَة -رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله -ﷺ- في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ حين سُئِلَ عَنْهَا:« هِيَ الشَّفَاعَةُ »[4]. وعن كَعْبِ بن مَالِكٍ -رضي الله عنه-[5] أَنّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: « يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي - عز وجل- حُلَّةً حَمْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ

---

[1] ينظر: البسيط (٤٤٥/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ١٢٢)، والوجيز (٦٤٤/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٢٩/١٧)، والكشف والبيان (١٢٣/٦)، والمحرر الوجيز(٤٩٧/٣)، ومفاتيح الغيب (٢٧/٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٣١١/١٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٣/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٠٣/٥)، والجواهر الحسان (٣٥٦/٢)، واللباب في علوم الكتاب (٣٦٤/١٢)، وتفسير الجلالين ص٣٧٤.

[3] أخرجه الذَّهَبِيّ في العلو للعلي الغفار ص١٣١، عن جُوَيْبِرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ثم قال:"إِسْنَاده سَاقِطٌ".

[4] أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، رقم الحديث (٣١٣٧)، (٣٠٣/٥). وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٦٨).

[5] كَعْبُ بنُ مَالِكِ بنِ أَبِي كَعْبِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ، شاعر رسول الله -ﷺ- وصاحبه، شهد أحداً والمشاهد بعدها إلا تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين خُلفوا، فتاب الله عليهم، توفي سنة ٥٠هـ، وقيل: بعدها.
ينظر : الاستيعاب (٣/ ١٣٢٣)، والإصابة (٦١٠/٥).

الْمَحْمُودُ»[1]. وعن ابن عُمَر -رضي الله عنه- قال:«إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا[2] كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا تَقُولُ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فَذَلِكَ يَوْمُ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ »[3].

ويُؤَيِّد ذلك قاعدة: أنَّ الحديث إذا ثبت وورد مورد التفسير والبيان للآية فيجب المصير إليه، وحمل الآية عليه[4].

٢. أنَّ هذا قول جمهور المفسرين من السلف والخلف[5]، وما رُوي عن مُجَاهِد وغيره لا يصح، بل الثابت عنهم موافق لما عليه جماعة العلماء.

قال ابن عَبْد الْبَرّ بعد أن ساق جملة من الأحاديث الواردة في الشفاعة:« على هذا أهل العلم في تأويل قول الله - عز وجل- : ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا** ﴾ أنَّه الشفاعة، وقد روي عن مُجَاهِد أنَّ المقام المحمود أن يقعده معه يوم القيامة على العرش. وهذا – عندهم – منكر في تفسير هذه الآية، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخَالِفِينَ أنَّ المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته، وقد رُوي عن مُجَاهِد مثل ما عليه الجماعة من ذلك فصار إجماعاً في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة»[6].

---

[1] أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٩/٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب الحوض والشفاعة، رقم الحديث (٦٤٧٩)، (١٤/ ٣٩٩)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٣٨٣)، (٢/ ٣٩٥)، وصححه، ووافقه الذهبي.

[2] جُثا: جماعات واحدها جُثْوَة بالضَّم.

ينظر: المخصص (٤٥٧/٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر(٢٣٩/١).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، رقم الحديث (٤٤٤١)، (١٧٤٨/٤).

[4] ينظر: جامع البيان (٥٢٩/١٧)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٥٧/٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٦٢/٢٠)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٨٦/٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٧١/١).

[5] ينظر: جامع البيان (٥٢٩/١٧)، ومدارك التنزيل (٢٧٣/٢).

[6] التمهيد (٦٣/١٩).

قال الذَّهَبِيّ: « فأمَّا قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واهٍ، وما فسَّر به مُجَاهِد الآية كما ذكرناه»[1].

٣. ويُؤَيِّد هذا القول القواعد الترجيحية التالية:

- كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد [2].
- لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور غيبية لا دليل عليها من القرآن أو السنة أو الإجماع [3].

[1] العلو للعلي الغفار ص١٧٠.

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٤٣/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/ ٤٢٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩١/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٥١٦/١٨)، والمحرر الوجيز (٢٩٤/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٩/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٩١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٥/١).

٩٣- المراد بالروح

في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في الروح المسؤول عنه، فقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: هو ملَك[١]، وهو قول عَلِيّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قال: هو ملَك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة[٢]...وقال الحَسَن، وقَتَادَة: هو جِبْرِيْل[٣]...وقال مُجَاهِد: الروح خَلْقٌ ليسوا بملائكة على صُوَر بني آدم، يأكلون، ولهم أيدٍ وأرجل ورؤوس[٤]، وقال قوم: هو القرآن، وقال آخرون: هو روح الحيوان، **وهو الأظهر** في الكلام الذي يسبق إلى الأفهام»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالروح في الآية:

القول الأول: أنَّه ملَك من الملائكة، على خِلْقَةٍ هائلة، وهو مروىّ عن عَلِيّ، وابن عَبَّاس - كما سبق-.

وتعقَّبه ابن عَطِيَّة بقوله:« وما أظن القول يصح عن عَلِيّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-»[٦].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٤/١٧)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢١٩/٢)، عن ابن عَبَّاس من طريق ابن أَبِي طَلْحَة.

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٤/١٧)، وأبو الشَّيْخ في العظمة (٣/ ٨٦٨).

[٣] أخرجه عنهما عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢/ ٣٨٨)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٤/١٧) عن قَتَادَة.

[٤] أخرجه بمعناه أبو الشَّيْخ في العظمة (٣/ ٨٧٢)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢١٨/٢).

[٥] البسيط (٤٦٢/١٣).

[٦] المحرر الوجيز (٥٠٠/٣).

وقال ابن كَثِيْر بعد أن ساق الأثر عن عَلِيّ -رضي الله عنه-: «وهذا أثر غريب عجيب»[1].

القول الثاني: أنَّه جِبْرِيْل -عليه السلام-، وهو قول الحَسَن، وقَتَادَة - كما سبق-.

القول الثالث: أنَّ المراد بالروح خَلْقٌ على صُوَر بني آدم لهم أيدٍ وأرجل ورؤوس يأكلون، وليسوا بملائكة ولا ناس، وهو قول مُجَاهِد - كما سبق-.

وتعقَّبه الرَّازِيّ بقوله:« ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكن التمسك به في إثبات هذا القول، وأيضاً فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه»[2].

القول الرابع: أنَّه القرآن، وهو منسوب للحَسَن [3].

واختاره القَاسِمِيّ، فقال بعد أن ساق الأقوال في المراد بالروح: «الذي أراه متعيناً في الآية، لسابقها ولاحقها، أنَّ المراد بالروح الوحي بالقرآن... ووجه تعينه أنَّ هذه الآية في سياق ذكر القرآن وتنزيله والمنّة بكونه شفاء ورحمة»[4].

واعتُرض على هذا القول بأنَّ الله - عز وجل- قد ذكر الروح في مواضع من القرآن فغالب الظن أنَّ الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنوه مثله، وإنَّما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم [5].

القول الخامس: أنَّه عِيْسَى -عليه السلام- [6].

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١١٦/٥).

[2] مفاتيح الغيب (٣٠/٢١).

[3] لم أجده مسنداً، ونسبه للحَسَن الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٦٩/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨٢/٥).

[4] محاسن التأويل (٥١٠/٦).

[5] نقله ابن الجَوْزِيّ عن أبي سليمان الدمشقي في زاد المسير (٨٢/٥).

[6] ينظر: النكت والعيون (٢٧٠/٣)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٢٧٤/٣)، ومعالم التنزيل (١٢٦/٥)، والمحرر الوجيز (٥٠٠/٣)، وزاد المسير (٨٢/٥).

القول السادس: أنَّه الروح الذي يحيا به ابن آدم.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والجَصَّاص، والسَّمْعَانِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، والثَّعَالِبِيّ، والسُّيوطِيّ، والشَّوكَانيّ، وابن عَاشُور[2]، وهو قول الجمهور[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأقرب أنَّ المراد بالروح في هذه الآية الروح الذي يحيا به البدن، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده ما يلي:

١. دلالة سبب النزول، فقد ثبت في الصحيح أنَّ الذين سألوا رسول الله -ﷺ- ، أو تسبّبوا في سؤاله، هم اليَهُوْد[4]، وهم كانوا يعرفون جِبْرِيْل -عليه السلام- بل صرّحوا بعداوته فنزل

---

[1] ينظر: البسيط (٤٦٤/١٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ١٢٥)، والوجيز (٦٤٦/٢).

[2] ينظر: أحكام القرآن للجَصَّاص (٣٣/٥)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٢٧٤/٣)، والمحرر الوجيز (٥٠٠/٣)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٧١/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٠/٢١)، وأنوار التنزيل (٤٦٤/٣)، ولباب التأويل (١٨٢/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٣/١)، والبحر المحيط (٧٤/٦)، والجواهر الحسان (٣٥٧/٢)، وتفسير الجلالين ص ٣٧٥، وفتح القدير (٣٦٤/٣)، والتحرير والتنوير (١٥٦/١٤).

[3] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥٠٠/٣)، وابن جُزَي في التسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٣/١)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٧٤/٦)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٣٥٧/٢)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (١٥٥/١٤).

[4] جاء في الصحيحين عن ابن مسعود قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِي -ﷺ- فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ لاَ يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ. قَالَ: فَأَمسك النَّبِي -ﷺ- فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ. فَقُمْتُ مَكَانِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْي، قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، رقم الحديث (٤٤٤٤)، (١٧٤٩/٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنّة والنار، سؤال اليهود النبيّ -ﷺ- عن الروح، رقم الحديث (٧٢٣٧)، (١٢٨/٨).

وأخرج أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس، رقم الحديث (٢٣٠٩)، (١٥٤/٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها، رقم الحديث (٩٩)، (٣٠١/١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٩٦١)،

فيهم قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧][1].

وكذلك كانوا يعرفون عِيْسَى ابن مَرْيَم، بل راموا قتله، ورموا أمّه بالبهتان، كما أنَّهم لا يعترفون بأنَّ عِيْسَى روح الله [2] فمحال أن يكون هو المقصود بالسؤال.

وكذا من قال بأنَّ المراد به هنا القرآن فملابسات السؤال، وصدوره عن اليَهُوْد وهم أهل الكتاب يضعف هذا الاحتمال؛ لأنَّ أمر الوحي ليس يخفى عليهم[3]. فالأنسب أنَّهم سألوا عن الروح المعروفة التي تكون بها الحياة.

٢. سياق الآيات لحاقاً، يقول ابن جُزَي بعد اختياره لقول الجمهور الذي ساقه في أول حديثه:«والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أي: من الأمور التي استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه، وكانت اليَهُوْد قد قالت لقريش اسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبيّ، وذلك أنَّه كان عندهم في التوراة أنَّ الروح مما انفرد الله بعلمه»[4].

٣. أنَّ الروح إذا أطلقت فالمراد بها الروح المعروفة، وإذا أريد غيرها فلا بدّ أن يقترن باللفظ ما يدلّ على هذا الغير من إضافة أو تقييد، كما في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

=(٢/٥٧٩)، وصححه، ووافقه الذَّهَبِيّ، عن ابْن عَبَّاس قَالَ: « قَالَتْ قُرَيْشٌ لِليَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾» والسبب الأوّل الذي في الصحيحين يقتضي أنّ الآية مدنية، مع أنّ السورة مكيّة. وقد جمع بينهما ابن تَيْمِيَّة: بأنّ الآية نزلت في مكّة، ثم جرى بالمدينة سبب يقتضي إعادة الخطاب، فأنزلت مرّة ثانية. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة: (٢٨/٣١٥)، وفي الحالين اليهود هم الذين كانوا خلف هذا السؤال، إمّا بالتسبّب وإمّا بالمباشرة.

[1] ينظر: أسباب النزول للواحديّ ص١٣٢، والصحيح المسند من أسباب النزول ص١٧.

[2] ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٤٠٢).

[3] ينظر: السؤال والجواب في آيات الكتاب ص٢٢٧.

[4] التسهيل لعلوم التنزيل (١/٤٥٣).

﴿ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]. ويدلّ لذلك إضمار ذكر الروح في قوله: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣] لظهوره.

٤. دلالة الواقع، فعلى الرغم من تقدّم العلوم التجريبيّة الحديثة وتطوّرها، وبلوغها الذروة في التدقيق والتحليل والكشف؛ إلا أنَّهم قد عجزوا عجزاً تامّاً عن إدراك كُنْه هذه الروح التي تسري في جسم الحيوان وما تتألّف منه، وصدق المولى - ﷻ -: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

قال الثَّعْلَبِيّ:« وإنَّما سألوا عن حقيقة الروح وبيان ماهيتها، فإنَّها قد شغلت الفلاسفة وحكماء المتشرعين؛ لظهور أنَّ في الجسد الحي شيئاً زائداً على الجسم، به يكون الإنسان مدركاً وبزواله يصير الجسم مسلوب الإرادة والإدراك، فعلم بالضرورة أنَّ في الجسم شيئاً زائداً على الأعضاء الظاهرة والباطنة غير مشاهد إذ قد ظهر بالتشريح أنَّ جسم الميت لم يفقد شيئاً من الأعضاء الباطنة التي كانت له في حال الحياة؛ وإذ قد كانت عقول الناس قاصرة عن فهم حقيقة الروح وكيفية اتصالها بالبدن وكيفية انتزاعها منه وفي مصيرها بعد ذلك الانتزاع، أجيبوا بأنَّ الروح من أمر الله»[1].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] الكشف والبيان (٦/١٣٠).

٩٤- المراد بالآيات التسع

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في الآيات التسع مع اتفاقهم أنَّ منها: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضَّفَادع، والدم، فهذه خمس، وأما الأربعة الباقية، فروى قَتَادَة عن ابن عَبَّاس قال: هي يده البيضاء عن غير سوء، وعصاه إذا ألقاها، وما ذكر في قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، قال: ﴿ بِٱلسِّنِينَ ﴾ لأهل البوادي حتى هلكت مواشيهم، و﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ لأهل القرى، وهاتان آيتان[١]...وقال مُحَمَّد بن كَعْب الْقُرَظِيّ: بدل سنين ونقص من الثمرات، فَلْق البحر والطَّمْسَة [٢]؛ وهي أنَّ الله -تعالى- مسخ أموالهم حجارة من النخيل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير[٣]، وهذا الذي ذكرنا **أجود ما قيل** في تفسير الآية» [٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالآيات التسع:

القول الأول: أنَّها معجزات النبي مُوْسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وآيات نبوته، وجمهور المفسرين[٥] على أكثرها كاليد والعصا، والخمس المذكورات في سورة الأعراف في قوله تعالى:

---

[١] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق بنحوه في تفسيره (٢/٣٩٠)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٧/٥٦٦).

[٢] وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨].

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ بمعناه في تفسيره (١٧/٥٦٥)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/٢٨٥١).

[٤] البسيط (١٣/٤٩٣).

[٥] ينظر: زاد المسير (٥/٩٢)، وفتح القدير (٣/٣٧٥).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، واختلفوا في الآيتين الباقيتين اختلافاً يسيراً على عدة أقوال، منها [١]:

١. أنَّهما السنين، والنقص من الثمرات، وهو قول ابن عَبَّاس - كما سبق-، ومُجَاهِد، والشَّعْبِيّ، ومَطَر الوَرَّاق[٢].

٢. أنَّهما الطَّمْس على أموالهم، وفَلْق البحر، وهو قول مُحَمَّد بن كَعْب الْقُرَظِيّ- كما سبق-. واختار الوَاحِدِيّ هذا القول بهذين التفسيرين، وذكر أنَّهما أجود ما قيل في تفسير الآية [٣].

٣. أنَّهما انفلاق البحر بمرأى من فِرْعَوْن وجنوده، وحل العقدة التي في لسان مُوْسَى -عليه السلام-، وهو قول ابن عَبَّاس[٤].

---

[١] ذكر الرَّازِيّ في تفسيره (٥٤/٢١) عند هذه الآية ست عشرة معجزة لمُوْسَى عليه السلام وردت في القرآن، ثم قال: «وتخصيص التسعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه؛ لأنا بينا في أصول الفقه أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد، بل نقول إنما يتمسك في هذه المسألة بهذه الآية، ثم نقول أما هذه التسعة فقد اتفقوا على سبعة منها، وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وبقي الاثنان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما، ولما لم تكن تلك الأحوال مستندة إلى حجة ظنية فضلاً عن حجة يقينية لا جرم تركت تلك الروايات».

[٢] أخرج آثارهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٤/١٧)، ونسبها إليهم ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٨).
ومَطَر الوَرَّاق هو: أَبُو رَجَاءٍ بنُ طَهْمَانَ الخُرَاسَانِيُّ، الإمام، الزاهد، من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك، صدوق كثير الخطأ، توفي سنة ١٢٩هـ.
ينظر: التاريخ الكبير (٤٠٠/٧)، وسير أعلام النبلاء (٤٥٢/٥).

[٣] ينظر: البسيط (٤٩٤/١٣)، وذكر القولين في الوسيط دون ترجيح (١٣٠/٣)، واقتصر في الوجيز (٦٤٦/٢) على اليد، والعصا، والخمس المذكورة في سورة الأعراف، مع فَلْق البحر، والطَّمْسَة.

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٤/١٧)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٩٢/٥).

قال ابن كَثِيْر بعد ذكره لهذا القول واختلاف الأئمة السابق فيه:« وهذا القول ظاهر جَلِيّ حسن قوي...فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة هاهنا»[1].

القول الثاني: أنَّها آيات الكتاب، أي: التوراة المنزلة على مُوْسَى -عليه السلام-، وهي الأحكام والوصايا التي وردت في حديث صَفْوَان بن عَسَّال[2]، وهو أنَّ يَهُودِيّاً قال لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بنا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، فَقَالَ صَاحِبُهُ: لَا تَقُلْ نَبِيٌّ، إِنَّهُ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، فَقَالَ لَهُمْ :«لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تُوَلُّوا الْفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً الْيَهُودَ أَنْ لَا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ» قَالَ: فَقَبَّلُوا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، فَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ:« فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي» قَالُوا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ تَبِعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا الْيَهُود[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – رجحان القول الأول، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، ويُقَوِّي هذا القول ما يلي:

١. أنَّه الأليق بالسياق والأنسب، فالله - عز وجل- ذكر هذه الآيات في معرض حديثه عن إثبات نبوة مُوْسَى -عليه السلام-، وإفحام فِرْعَوْن وقومه بالآيات والدلائل الظاهرة

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/١٢٤).

[2] صَفْوَان بن عَسَّال المُرَادِيّ، صحابي جليل، سكن الكوفة، روى حديث المسح على الخفين وفضل العلم وغيرها. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٧٢٤)، والإصابة (٣/٤٣٦).

[3] أخرجه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل، رقم الحديث (٢٧٣٣)، (٥/٧٧)، وقال:" هذا حديث حسن صحيح". وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب تحريم الدم، باب السحر، رقم الحديث (٣٥٤١)، (٢/ ٣٠٦)، وقال: وهذا حديث منكر. وأعله ابن كثير بعبد الله بن سلمة (٥/١٢٥). وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٢٨٢، وضعيف سنن النسائي ص١٣١.

والواضحة، فقال سبحانه :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء: ١٠١- ١٠٢]، فهذه آيات النبوة قبل نزول آيات الحكم والشرع [١].

ويُؤَيِّد ذلك قاعدة: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره [٢].

٢. أنَّ القول بأنَّ المراد بالآيات التسع آيات الكتاب يَضْعُف من جهة أنَّ هذه الوصايا التي في التوراة ليس فيها حجج على فِرْعَوْن وقومه، فلا مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين عليهم، وهذا القول إنَّما اعتمد على رواية صَفْوَان بن عَسَّال، وقد تعقب ابن كَثِيْر هذه الرواية بقوله: « وهو حديث مُشْكِل، وعَبد الله بن سَلِمَة [٣] في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنَّها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فِرْعَوْن، والله أعلم»[٤].

---

[١] حاشية تهذيب سنن أبي داود (٨/٨٤).

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

[٣] عَبد الله بن سَلِمَة – بكسر اللام – المُرَادِيّ، صحابي جليل، سكن الكوفة، روى حديث المسح على الخفين وفضل العلم وغيرها. ينظر: التاريخ الكبير (٥/٩٩)، وأسد الغابة (٣/ ١٦٢).

[٤] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/١٢٥).

وقال جمال الدين الزيلعي في تعليقه على الحديث: « والحديث فيه إشكالان: أحدهما: أنهم سألوا عن تسعة، وأجاب في الحديث بعشرة، وهذا لا يرد على رواية أبي نعيم والطبراني؛ لأنهما لم يذكرا فيه السحر، ولا على رواية أحمد أيضاً؛ لأنه لم يذكر القذف مرة وشك في أخرى، فيبقى المعنى في رواية غيرهم، أي: خذوا ما سألتموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم؛ لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم. الإشكال الثاني: أن هذه وصايا في التوراة ليس فيها حجج على فِرْعَوْن وقومه، فأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فِرْعَوْن وما جاء هذا إلا من عَبد الله بن سَلِمَة فإن في حفظه شيئا وتكلموا فيه وأن له مناكير، ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر كلمات فاشتبه عليه بالتسع آيات فوهم في ذلك». ينظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزَّمَخْشَرِيّ (٢/٢٩٣).

٩٥- المراد ببروز الأرض

في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد لا جبل ولا بناء ولا شجر ولا ماء[١]...وقال عَطَاء: قد برز الذين كانوا في بطنها فصاروا على ظهرها[٢]...والقول الأول هو **الأولى**، وهذا لا يصح إلا على بُعْد. واستكره بأنَّ يجعل بَرَزَ بمعنى: أَبْرَز، فقد قال ابن هانئ في قول لبيد: النَّاطِقُ المَبْرُوزُ وَالمَخْتُومُ[٣]، قال: (يقال: بَرَزْتُه بَرَز، بمعنى: أبرزته)، ويكون معنى الآية على هذا: وترى الأرض مبرزة ما فيها، كما قال: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق: ٤]، وهذه لغة شاذة لا يفسر بها كتاب الله»[٤].

---

[١] المصادر التي وقفت عليها ذكرت نحو هذا القول دون نسبة، وقريب من هذا القول قول قَتَادَة: «ليس عليها بناء ولا شجر» أخرجه عنه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦/١٨)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٣٦٥/٧).

[٢] لم أجده مسنداً، ونسبه إليه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٧٥/٦)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٧٦/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٤١٧/١٠).

[٣] البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة. وصدر البيت هو: ومُذهَّبٌ جُدَدٌ على أَلْوَاحِهِ.

ومعناه: أن الشاعر يشبه ما بقي من آثار الديار بالوشم وباللوح الذي فيه كتابة، بعضها واضح وبعضها خفي.

ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة ص٩٩، ومصادر الشعر الجاهلي ص ١٢٣. والمذهب: اللوح المطليّ بالذهب. جُدَد: جمع جُدَّةٌ، أي: طريق. الناطق: البيّن، أي: الكتاب. المبروز: المظهر المنشور. المختوم: غير الواضح والغامض الذي لم ينشر. ينظر: تهذيب اللغة (١٤٣/٦)، (٢٤٧/١٠)، (٢٤/٩)، (١٣٨/١٣)، ولسان العرب (٣٩٣/١)، (١٠٧/٣)، (٣٥٤/١٠)، (٣٠٩/٥)، مادة (ذهب)، و(جدد). و(برز)، و(نطق) على الترتيب.

[٤] البسيط (٣٨/١٤).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد ببروز الأرض في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: وترى الأرض ظاهرة للعيان فليس عليها شيء يسترها من جبلٍ، أو شجرٍ، أو بناءٍ، أو نحوه، وهو قول مُجَاهِد[1]، وقَتَادَة[2]. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والنَّحَّاس، والآلُوْسِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[4]، واقتصر عليه أكثر المفسرين[5].

قال النَّحَّاس، والقُرْطُبِيّ بعد ذكرهما لهذا القول:« وعلى هذا القول أهل التفسير»[6].

القول الثاني: أنَّ المعنى: وترى الأرض بارزة، أي: ظاهراً ما كان في بطنها من أموات وكنوز، وهو قول عَطَاء - كما سبق -.

ووصف الآلُوْسِيّ هذا القول بأنَّه خلاف الظاهر[7]، واستبعده الوَاحِدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[8].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أولى القولين بالصواب وأقواهما القول الأول، ويُؤَيِّده:

---

[1] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٧٧/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦/١٨).

[2] سبق تخريجه ص٤٢٢ من البحث.

[3] ينظر: البسيط (٣٩/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (١٥٢/٣)، والوجيز (٦٦٣/٢).

[4] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٢٥٠/٤)، وروح المعاني (٢٨٨/١٥)، وأضواء البيان (٢٨٣/٣).

[5] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢٩١/٢) ، وبحر العلوم (٣٤٩/٢)، وأنوار التنزيل (٥٠١/٣)، ومدارك التنزيل (٣٠٤/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٦٧/١)، والبحر المحيط (١٢٧/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٦٥/٥)، ومحاسن التأويل (٤٠/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٧٩، والتحرير والتنوير (٧٩/١٥).

[6] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٢٥٠/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤١٦/١٠).

[7] ينظر: روح المعاني (٢٨٨/١٥).

[8] ينظر: البسيط (٣٨/١٤)، وأضواء البيان (٢٨٣/٣).

١. أنَّه الظاهر المتبادر إلى الذهن، والأنسب للسياق، فقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ يشير إلى أنَّ الأرض بعد ما كان معظمها مغطى أو مختفياً بما عليها من الجبال والعمران والأشجار ونحوها، فيوم القيامة يُسَيِّر الله -سبحانه- تلك الجبال، ويُذهب جميع ما عليها فتبرز الأرض؛ لبروز ما تحت تلك المعالم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥- ١٠٧]، فتبدو الأرض للعيان سطحاً مستوياً لا بناء ولا شجر ولا معلم ولا ما سوى ذلك.

وكما هو مقرر عند أئمة التفسير: أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه [١].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ[٢]، كما أنَّ القول الآخر ضعَّفه غيرُ واحد من المفسرين[٣].

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٨٣/٣٠) ، وأضواء البيان (٢٦٠/٢) (٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

[٣] ينظر: البسيط للوَاحِدِيّ (٣٩/١٤)، وروح المعاني (٢٨٨/١٥)، وأضواء البيان (٢٨٣/٣).

٩٦- المراد بقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[الكهف: ٧٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ قال: ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: تلحقني[١]...، وقال أبو إِسْحَاق[٢]: معنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تُغْشِيني[٣]، ونحو ذلك قال ابن قُتَيْبَة[٤]، وهو قول العامة. ويُغْشِني ويُلحِقني بمعنى واحد، ومن لحِق شيئاً فقد غشيه. وقال الكَلبِيّ في قوله:﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: لا تُكَلِّفْنِي[٥]، قال أبو زَيْد: أرهَقْتُهُ عُسْراً إذا كلَّفْتَه ذاك[٦]، وهذا قريب من الأول...ومعنى الآية: عاملني باليسر لا بالعسر، ولا تضيق عليَّ الأمر في صحبتي إياك. وقال الفَرَّاء في قوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: لا تُعجلني[٧]. **والأحسن** في تفسير ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ مع قوله: ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ قول ابن عَبَّاس، والكَلبِيّ. وقول الفَرَّاء بعيد في تفسير الآية، لا يحسن أن نقول: لا تُعْجِلني من أمري عسراً، والله أعلم»[٨].

▪ الدراسة

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾:

---

[١] لم أقف عليه، وذكر هذا القول دون نسبة الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣/٣٢٨).

[٢] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٢).

[٤] ينظر: غريب القرآن ص٢٧٠.

[٥] لم أقف عليه، وذكر هذا القول دون نسبة السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٢/٣٥٦)، والماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣/٣٢٨)، والوَاحِدِيّ في الوسيط (٣/ ١٥٨)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٥/ ١٩٠).

[٦] ينظر: تهذيب اللغة (٥/٢٥٩).

[٧] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/١٥٥).

[٨] البسيط (١٤/٨٨).

القول الأول: أنَّ المعنى: لا تُغْشِنِي.

واختاره الطَّبَرِيّ، وابن قُتَيْبَة، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ[1].

القول الثاني: أنَّ المعنى: لا تُكَلِّفْنِي.

واختاره السَّمَرْقَنْدِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن عَادِل، والشَّوكَانِيّ[2].

واختار الوَاحِدِيّ[3] القولين السابقين، وعَلَّل ذلك بأنَّ معناهما واحد.

القول الثالث: أنَّ المعنى: لا تُعْجِلني، وهو قول الفَرَّاء - كما سبق -.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أقرب الأقوال للصواب وأحسنها القول الأول، وكذا الثاني؛ فالمعنيان فيهما متقاربان، أي: لا تثقل عليّ وتعسر عليّ الأمور؛ ولكن يسر عليّ متابعتك بالإغضاء وترك المناقشة.

أمَّا القول الثالث فهو وإن كان صحيحاً في اللغة، إلا أنَّه لا يتناسب مع سياق الآية، فلا يحسن أن يقال: لا تُعْجِلني من أمري عسراً .

فليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه، كما قرر ذلك العلماء[4]،

---

[1] ينظر: جامع البيان (٧٤/١٨)، وغريب القرآن ص٢٧٠، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٠٢/٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٢٧٠/٤)، والكشاف (٦٨٧/٢)، ومفاتيح الغيب (١٣١/٢١)، وأنوار التنزيل (٥١٢/٣)، ومدارك التنزيل (٣١٢/٢)، وغرائب القرآن (٤٤٩/٤)، وإرشاد العقل السليم (٢٣٥/٥)، وروح المعاني (٣٣٨/١٥).

[2] ينظر: بحر العلوم (٣٥٦/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٩/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٥٣٦/١٢)، وفتح القدير (٤٣٢/٣).

[3] ينظر: البسيط (٨٩/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ١٥٨)، والوجيز (٢/ ٦٦٨).

[4] ينظر: المحرر الوجيز (٣٠٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٣٤/١)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٥٥/١٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤٥/٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٩/٢).

بخلاف القولين الأولين فهما أليق بالسياق وأنسب، بدليل قوله تعالى بعده: ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

والقاعدة: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق أولى بتفسير الآية[1].

كما أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ[2].

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٩٧- عَوْدُ الضمير في قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ﴾ قال الفَرَّاء (فعلمنا)[١]...وهي قراءة أُبَيّ: (فَخَاف ربُّك)[٢] على معنى علم ربك، وذكرنا الخوف بمعنى العلم عند قوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ [البقرة: ١٨٢]... قال أبو إِسْحَاق[٣]: الخشية من اللَّه - ﷻ- معناها الكَرَاهَة، ومعناها من الآدميين الخوف[٤]...وقال قوم: هذا من كلام الخَضِر[٥]، ولا يجوز أن يكون فخشينا عن الله، بل الخَضِر -عَلَيْهِ السَّلَامُ- خشي أن يرهق الغلام أبواه طغياناً وكفراً فلذلك قتله، قالوا: والدليل على أنَّ هذا من كلام الخَضِر -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١]، ولو كان من كلام الله لقال: فأردنا أن نبدلهما خيراً منه، ولم يُعد ذكر الرب، والظاهر يعضد هذا، غير أنَّ أبا إِسْحَاق قال: هذا جائز أن يكون عن الله بمعنى فَكَرِهْنَا، وقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ بمعنى فأراد الله، ولفظ الإخبار عن

---

[١] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٥٧/٢).

[٢] وهي قراءة شاذة، ينظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خَالوَيه ص٨٥، وشواذ القراءات للكرماني ص٢٩٤.

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٥/٣).

[٥] الخَضِر -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو العبد المذكور في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، بإجماع العلماء، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النَّبي -ﷺ-. والعلماء مختلفون في الخَضِر -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: هل هو نبي، أو رسول، أو ولي؟
ينظر: النكت والعيون (٣٢٥/٣)، وزاد المسير (١٦٨/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٧٥/٥)، وأضواء البيان (٣٢٢/٣)، وينظر للأحاديث في صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم ؟ فَيَكِلُ العلم إلى الله، رقم الحديث (١٢٢)، (٥٦/١)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخَضِر -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، رقم الحديث (٦٣١٣)، (١٠٣/٧).

الله كذا أكثر من أن يحصى[1] هذا كلامه. وقول من قال: إنَّه من كلام الخضر **ظاهر جلي**»[2].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾:

القول الأول: أنَّه يعود على الله - ﷻ-[3].

واستُدل لهذا القول بقراءة أُبَيّ بن كَعْب، وابن مَسْعُود: (فَخَافَ ربُّكَ أنْ يُرْهَقَهُمَا)[4].

واختاره الفَرَّاء، والأَخْفَش، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ[5].

وضعَّفه الشَّوكَانيّ بقوله:« قيل: ويجوز أن يكون فخشينا من كلام الله، ويكون المعنى كَرِهْنَا كَرَاهَة من خشي سوء عاقبة أمره، وهذا ضعيف جداً؛ فالكلام كلام الخَضِر»[6].

القول الثاني: أنَّه يعود على الخَضِر -عليه السلام-.

واختاره الوَاحِدِيّ[7]، وابن عَطِيَّة، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، والشَّوكَانيّ،

---

[1] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٥).

[2] البسيط (١٤/١١٨).

[3] والخشية المضافة إليه سبحانه على هذا القول، فيها معنيان: أحدهما: أنها بمعنى العلم، أي: فعلمنا، والثاني: الكراهة. ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/١٥٧)، ومعاني القرآن للأَخْفَش (٢/٤٣٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٥)، وجامع البيان (١٨/٨٥)، وزاد المسير (٥/١٧٩).

[4] ينظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خَالوَيه ص٨٥، ومعاني القرآن للفَرَّاء (٢/١٥٧)، ومعاني القرآن للأَخْفَش (٢/٤٣٣)، وتأويل مشكل القرآن ص ١٢١.

[5] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/١٥٧)، ومعاني القرآن للأَخْفَش (٢/٤٣٣)، وتأويل مشكل القرآن ص ١٢١، وجامع البيان (١٨/٨٥).

[6] فتح القدير (٣/٤٣٤).

[7] ينظر: البسيط (١٤/١١٩)، ولم يذكر هذه المسألة عند تفسيره لهذه الآية في الوسيط (٣/١٦١)، والوجيز (٢/ ٦٦٩).

والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[1].

واستُدل لهذا القول بسياق الآية لحاقاً، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١][2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقرب للصواب والأظهر القول الثاني وهو أنَّ الضمير يعود على الخَضِر -عليه السلام-، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده:

١. سياق الآيات، فهي تتحدث عن محاجة الخَضِر لمُوسَى -عليه السلام- وبيانه لحجته.

قال القُرْطُبِيّ: «قيل: هو من كلام الخَضِر -عليه السلام-، وهو الذي يشهد له سياق الكلام، وهو قول كثير من المفسرين»[3].

ويُعَضِّدُهُ قوله تعالى بعده: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ فلو كان من كلام الله - عز وجل- لقال: فأردنا أن نبدلهما خيراً منه، ولم يُعد ذكر الرب -تعالى-.

والقاعدة التفسيرية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره[4].

قال القَاسِمِيّ: «ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله -تعالى-، لأنَّ المراد (ثم عِبْت) فتأدب بأنَّ نسب الإعابة إلى نفسه. وأمَّا إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنَّه من باب قول خواص الملك: (أمرنا بكذا أو دبّرنا كذا) وإنَّما يعنون: (أمر الملك ودبّر)، ويدل على ذلك قوله في الثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١]، فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب، ولم تأت على نمط واحد مكرر،

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز (٣/٥٦٥)، ومدارك التنزيل (٢/٣١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٤٧٢)، والبحر المحيط (٦/١٤٦)، وفتح القدير (٣/٤٣٤)، ومحاسن التأويل (٧/٥٥)، والتحرير والتنوير (١٥/١١٨).

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٥)، والبسيط للوَاحِدِيّ (١٤/١١٩)، وزاد المسير (٥/١٧٩).

[3] الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٦).

[4] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

يَمُجُّهَا السمع ويَنْبُو[1] عنها، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة. فسبحان اللطيف الخبير»[2].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ[3]، كما أنَّ القول الآخر ضعَّفه غيرُ واحد من المفسرين[4].

[1] يَنْبُو: نَبَا يَنْبُو نُبُوًّا ونَبْوَةً، يقال: نَبَا بَصَرُهُ عن الشّيء، أي: تجَافَى وتباعد. فالكلمة تدل على ارتفاعٍ في الشيء عن غَيره، أو تَنحٍّ عنه.

ينظر: العين (٨/ ٣٧٩)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٤)، مادة (نبو).

[2] محاسن التأويل (٧/٥٥).

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

[4] ينظر: البسيط للوَاحِدِيّ (١٤/١٦٠)، والمحرر الوجيز (٣/٥٦٥)، وفتح القدير (٣/٤٣٤).

٩٨- المراد بقوله: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«قال المفسرون: يريد إمَّا أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإمَّا أن تأسرهم فتعلمهم وتُبَصِّرهم الرشاد، وعلى هذا المراد بالتعذيب: القتل، وباتخاذ الحُسْن فيهم: أن لا يقتلهم بل يأسرهم فيسلموا عنده. وقال الكَلبِيّ: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ يريد تعفو أو تُنْعِم[١]، وعلى هذا المراد باتخاذ الحُسْن فيهم: العفو عنهم وتركهم. **والأول القول**؛ لأنَّه لو أمر بتركهم والعفو عنهم لم يكن في الدعوة فائدة»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾:

القول الأول: أن تأسرهم فتعلمهم وتُبَصِّرهم الرشاد، وسماه إحساناً في مقابلة القتل[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، وابن الجَوْزِيّ[٥].

القول الثاني: أن تعفو عنهم وتصفح، قاله مُقَاتِل[٦]. واختاره القَاسِمِيّ[٧].

---

[١] المصادر التي وقفت عليها ذكرت نحو هذا القول دون نسبة، ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٣٠٠)، الكشف والبيان (٦/١٩١)، ومعالم التنزيل (٥/٢٠٠)، ومحاسن التأويل (٧/٦٥).

[٢] البسيط (١٤/١٣٤).

[٣] ينظر: أنوار التنزيل (٣/٥٢٠)، ومدارك التنزيل (٢/٣١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٤٧٣).

[٤] ينظر: البسيط (١٤/١٣٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/١٦٥)، والوجيز (٢/٦٧٠).

[٥] ينظر: جامع البيان (١٨/٩٨)، وزاد المسير (٥/١٨٦).

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٣٠٠).

[٧] ينظر: محاسن التأويل (٧/٦٥).

القول الثالث: أن تدعوهم إلى الإيمان، وتعلمهم أمور دينهم.

واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، وأبو حيَّان، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ [1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل الأقوال الثلاثة، فقوله تعالى: ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ يعني: أمراً ذا حُسْن، والإحسان إليهم قد يكون بالعفو عنهم، وتركهم أحياء دون قتل، وقد يكون بتعليمهم طريق الهدى والرشاد، وتبصِيرهم بالشرائع والأحكام سواء كانوا مَأْسُورِين أو لا، ولكن عند النظر إلى سياق الآيات اللاحقة يُسْتبعد القول الثاني القائل بأن ذا القَرْنَين تركهم بعد العفو عنهم؛ لأنَّ تقسيمه لهم بعد ذلك إلى كافر ومؤمن في قول الله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾[الكهف: ٨٧-٨٨] يدل على أنَّه دعاهم إلى الدين، وأرشدهم إلى تعاليمه [2].

والقاعدة التفسيرية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره [3].

---

[1] ينظر: الكشاف (٦٩٤/٢)، والبحر المحيط (١٥٢/٦)، وإرشاد العقل السليم (٢٤٢/٥)، وفتح القدير (٤٤٠/٣).

[2] ينظر: المحرر الوجيز (٥٧٠/٣)، والجواهر الحسان (٣٩٤/٢).

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

٩٩- عَوْدُ الإشارة في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠-٩١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ اختلفوا في المشبه به، والمشار إليه، فقال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون التقدير: وجدها تطلع على قوم، كذلك القَبِيل الذي كانوا عند مغرب الشمس وأنَّ حكمهم حكم أولئك[١]. وقال غيره: المعنى كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها. وقيل: أتبع سببا كما أتبع سببا. **والقول ما قاله أبو إِسْحَاق**[٢]؛ لأنَّ التشبيه بالكاف يجب أن يرجع إلى أقرب مذكور إليه، والأقرب وجود القوم لا البلوغ والإتِّباع»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الإشارة في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾:

القول الأول: أنَّ المعنى: وجد الشمس تطلع على قوم مثل القوم الذين تغرب عليهم، يعني: أنَّهم كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر، وإحسانه لمن آمن منهم.

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، والخَازِن، والثَّعَالِبِيّ[٥].

---

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٩).

[٢] يعني بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] البسيط (١٣٨/١٤).

[٤] ينظر: البسيط (١٣٩/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (١٦٦/٣)، والوجيز (٦٧٠/٢).

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٩/٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٢٩١/٤)، ومعالم التنزيل (٢٠١/٥)، والمحرر الوجيز (٥٧٢/٣)، ولباب التأويل (٢٣٠/٤)، والجواهر الحسان (٢/ ٣٩٤).

القول الثاني: أنَّ المعنى: بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها، قاله مُقَاتِل بن سُلَيْمَان[١]. واختاره السَّمَرْقَنْدِيّ، وأبو حيَّان[٢].

القول الثالث: أنَّ المعنى: أتبع سبباً كما أتبع سبباً. واختاره الطَّبَرِيّ[٣].

القول الرابع: أنَّ المعنى: أمر ذي القَرْنَين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره، ثمّ استأنف، فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾. واختاره الزَّمخْشَرِيّ، والنَّسَفِيّ[٤].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقرب للصواب والأظهر هو القول الأول، ويُقَوِّي هذا القول، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ الأقرب للتشبيه في قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ هم القوم الذين عند مطلع الشمس بخلاف البلوغ والإتباع، فالتشبيه عائد على أقرب مذكور. والقاعدة الترجيحية: أنَّ الأصل إعادة الضمير وما شابهه[٥] إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه[٦].

٢. عند تأمل السياق، نجد أنَّ الله – ﷻ – أخبرنا بما فعله ذو القَرْنَين مع القوم الذين هم عند مغرب الشمس، كما أخبرنا بما فعله مع القوم الذين كانوا عند الجبلين حيث دفع عنهم فساد يَأْجُوج وَمَأْجُوج ببناء السَّدّ، ولكن عند الحديث عن القوم الذين تطلع

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٣٠٠).

[٢] ينظر: بحر العلوم (٢/٣٦١)، والبحر المحيط (٦/١٥٣).

[٣] ينظر: جامع البيان (١٨/١٠٠).

[٤] ينظر: الكشاف (٢/٦٩٥)، ومدارك التنزيل (٢/٣١٨).

[٥] من أسماء الإشارة ونحوها.

[٦] ينظر: جامع البيان (١٢/٢٤٧)، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/٤١٥) و(٤/٤٣٥)، والمحرر الوجيز (١/١٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢/١٣٥) و(٣/١٧٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٦١)، (٢/٣٣٩)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٣/٢١١)، (٤/٣٢١) والكليات ص٥٦٩، وأضواء البيان (٣/٣٩٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٤٨).

عليهم الشمس، أتى بلفظة ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ لتحمل في طياتها الإجابة عن الاستفسارات التي دارت في ذهن القارئ والمتأمل. ماذا فعل ذو القَرْنَين بهؤلاء القوم؟ وكيف كان مصيرهم؟ ونحو ذلك.

فاتضح للقارئ والمتدبر من خلال هذه اللفظة أنَّ حال أهل المشرق كحال أهل المغرب في كونهم كفاراً، وأنَّ حكمهم مثل حكمهم، فقضى في هؤلاء، كما قضى في أولئك من تعذيب الظالمين، والإحسان إلى المؤمنين.

وبذلك جاء أسلوب حكاية هذه القصص الثلاث على نسق واحد من الوضوح والبيان[1].

[1] ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ١٣٨)، ومباحث في التفسير الموضوعي ص٣٠٥.

١٠٠- عَوْد الضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾، والمراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال كثير من المفسرين: تركنا الجن والأنس يدخل بعضهم في بعض يوم القيامة. و**الصحيح** أنَّ قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ الكناية فيه عن يَأْجُوج وَمَأْجُوج، يقول: تركناهم يوم انقضاء السَّدّ يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم، ثم ذكر نفخ الصور بعد هذا فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾؛ لأنَّ خروج يَأْجُوج وَمَأْجُوج من علامات قرب الساعة»[١].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾، والمراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

القول الأول: أنَّ الضمير يعود على يَأْجُوج وَمَأْجُوج، وفي المراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه يوم انفتاح السَّدّ، تركوا يموج بعضهم في بعض كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم. واختاره الرَّازِيّ، والبِقَاعِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عُثَيْمِين[٢].

الثاني: أنَّه يوم كمال السَّدّ وإتمام بنائه، تركوا يموج بعضهم في بعض مضطربين بينهم فصار فسادهم قاصراً عليهم ودفع عن غيرهم، قاله مُقَاتِل بن سُلَيْمَان[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، وابن عَاشُور[٥].

---

[١] البسيط (١٤/١٦٠).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (٢١/١٤٧)، ونظم الدرر (٤/٥٠٨)، وأضواء البيان (٣/٣٤٢)، وتفسير سورة الكهف لابن عُثَيْمِين ص١٣٨.

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٣٠٢).

[٤] ينظر: البسيط (١٤/١٦٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/١٦٩)، وفي الوجيز (٢/٦٧٠) اقتصر على القول الثالث.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير (١٥/١٣٨).

القول الثاني: أنَّ الضمير يعود على جميع الخلائق الجن والإنس، والمراد بـ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة. واختاره الطَّبَرِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، والسُّيوطِيّ[1].

واستدلوا بسياق الآية لحاقاً، وهو قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴾[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقرب للصواب والأظهر هو القول الأول، أنَّه يوم يُدَكّ السَّدّ فيخرج يَأْجُوج وَمَأْجُوج يموجون مزدحمين في البلاد، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده:

١. أنَّه الأنسب لظاهر السياق القرآني، فقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ عائد لقول ذي القَرْنَين: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ أي: اليوم الذي يجعل الله فيه ذلك الردم دكاء، فيخرج يَأْجُوج وَمَأْجُوج فيعيثون في الأرض الفساد، ومعلوم أنَّ خروجهم في زمن عِيْسَى -عليه السلام-، قبيل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

قال ابن كَثِيْر: «وقوله: ﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ ﴾ أي: الناس يومئذ، أي: يوم يدك هذا السَّدّ، ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم، وهكذا قال السُّدِّي في قوله: ﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ ﴾ قال: ذاك حين يخرجون على الناس[3]. وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال»[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان (١٢٠/١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٥/١)، والنهر الماد (١٣٦/٦)، ومعترك الأقران (٣٢٣/٣).

[2] ينظر: أنوار التنزيل (٥٢٤/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٥/١)، والبحر المحيط (١٥٦/٦).

[3] لم أجده مسنداً، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٤٦٩/٥) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٩٩/٤).

وقال الشَّنْقِيطِيّ: « أظهر الأقوال في الجملة المقدرة التي عوض عنها تنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أنَّه يوم إذ جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض، ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم» [1].

ويؤيد ذلك القاعدة الترجيحية: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه [2].

٢. أنَّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ يَبْعد أن يكون المراد بـ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، وهي عاطفة على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ والعطف يقتضي المغايرة بصورة أولية، فلا يمكن أن يكون المعنى شيئاً واحداً.

[1] أضواء البيان (٣/٣٤٢).

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/٨٣) ، وأضواء البيان (٢/٢٦٠)، (٣/٧٠)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٢٢).

١٠١- المراد بالشرك[١]

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«المفسرون والصحابة على أنَّ هذه الآية نزلت في النهي عن الرِّيَاء، وذكروا في تفسير هذه الآية ما رُوي عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّه قال:«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»[٢]...وقال سَعِيْد بن جُبَيْر في قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ولَا يُرَائِي[٣]...هذا الذي ذكرنا قول الجمهور، ورَوى الوَالِبِيّ عن ابن عَبَّاس: أنَّ هذه الآية أنزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وليست في المؤمنين[٤]. **والصحيح** الذي عليه الناس، وقد بيَّن ذلك ابن عَبَّاس فيما رَوى عنه عَطَاء، وهو أنَّه قال: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ولم يقل: ولا يشرك بربه؛ لأنَّه أراد العمل الذي يعمل لله، ويجب أن يُحمَدَ عليه، قال: وكذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها؛ كيلا يعظمه ويوقره من يصله بها[٥]»[٦].

---

[١] الشرك نوعان: شرك أكبر، وهو: صرف العبادة لغير الله أو بعضها. وشرك أصغر، وهو أنواع منها: الحلف بغير الله، والرياء، وقول: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وأشباه ذلك. للزيادة ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٢٦)، ومدارج السالكين (١/٣٣٩)، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيدص٢٦.

[٢] أخرجه أحمد بلفظه في مسنده، مسند أبي هريرة، رقم الحديث (٧٩٩٩)، (١٣/٣٧٧)، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه مسلم بمعناه في صحيحه، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم الحديث (٧٦٦٦)، (٨/٢٢٣).

[٣] أخرجه هَنَّاد بن السَّرِي في الزهد (٢/٤٣٥)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٥/٣٤١).

[٤] أخرجه البَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٥/٣٤٠)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥/٤٦٩) وعزاه إلى ابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم وابن مَرْدَوَيْه.

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٣/١٧٢).

[٦] البسيط (١٤/١٧٦).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالشرك في الآية:

القول الأول: أنَّه الشرك الأصغر، وهو الرِّيَاء، أي: لا يرائي الناس في عمله، وهو مروي عن ابن عَبَّاس، وسَعِيْد بن جُبَيْر -كما سبق -، ومُجَاهِد[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن[3].

واستُدل لهذا القول بأنَّ هذه الآية نزلت في النهي عن الرِّيَاء، فعن طَاوُوْس قال: «جاء رجل، فقال: يا نبيّ الله، إني أحبّ الجهاد في سبيل الله، وأحبّ أن يُرَى موطني، ويُرَى مكاني، فأنزل الله - ﷻ-: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾»[4]. قال ابن كَثِيْر: « وهكذا أرسل هذا مُجَاهِد[5]، وغير واحد»[6].

القول الثاني: أنَّه الشرك الأكبر، أي: لا يصرف شيئاً من حقوق خالقه لأحد من الخلق[7]، وهو مروي عن ابن عَبَّاس -كما سبق -.

---

[1] أخرجه وَكِيع بن الجَرَّاح في الزهد ص٥١١، وهَنَّاد بن السَّرِي في الزهد (٤٣٥/٢).

[2] ينظر: البسيط (١٧٨/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (١٧٢/٣)، والوجيز (٦٧٤/٢).

[3] ينظر: جامع البيان (١٣٥/١٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٣٠٣/٤)، والكشف والبيان (٢٠٣/٦)، ومعالم التنزيل (٢١٣/٥)، ومفاتيح الغيب (١٥٠/٢١)، وأنوار التنزيل (٥٢٧/٣)، ولباب التأويل (٢٣٧/٤)

[4] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٤١٤/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٦/١٨)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٣٤١/٥).

[5] قال مُجَاهِد:«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ:« يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصَدَّقُ بِالصَّدَقَةِ أَلْتَمِسُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لِي خَيْرًا. قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾».
أخرجه وَكِيع بن الجَرَّاح في الزهد ص٥١١، وهَنَّاد بن السَّرِي في الزهد (٤٣٥/٢).

[6] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٠٥/٥).

[7] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٦/١)، وفتح القدير (٤٥٥/٣)، ومحاسن التأويل (٧/ ٨٢)، وأضواء البيان (٣/ ٣٥٦).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية تعمّ الشرك بأنواعه الجَلِيّ منه والخَفِيّ[1]، فالمعنى: لا يشرك إشراكاً جليّاً، كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً خفيّاً كما يفعله أهل الرِّيَاء، ممن يطلب به سمعة أو مدحاً.

قال ابن جُزَي:« ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يحتمل أن يريد الشرك بالله، وهو عبادة غيره، فيكون راجعاً إلى قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أو يريد الرِّيَاء؛ لأنَّه الشرك الأصغر، واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين - والله أعلم-»[2].

والآية وإن كانت نزلت في أسباب خاصة، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويدخل سبب النزول فيها دخولاً أولياً[3].

قال الشَّوكَانيّ بعد أن ساق جملة من الأحاديث في التحذير من الرِّيَاء:« ولكنَّها لا تدل على أنَّه المراد بالآية، بل الشرك الجَلِيّ يدخل تحتها دخولاً أولياً، وعلى فرض أنَّ سبب النزول هو الرِّيَاء - كما يشير إلى ذلك ما قدمنا - فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في علم الأصول»[4].

---

[1] الشرك الجلي والخفي هو الأكبر والأصغر. وقال بعضهم: الجلي ما ظهر للناس من أصغر أو أكبر، كالحلف بغير الله، والسجود للصنم. والخفي: ما لا يعلمه الناس من أصغر أو أكبر، كالرياء، واعتقاد أن مع الله إلها آخر. وقد يقال: إن الجلي ما انجلى أمره وظهر كونه شركا، ولو كان أصغر، والخفي: ما سوى ذلك.
ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٠٧/١).

[2] التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٦/١).

[3] ينظر: جامع البيان (٢٨٣/١٧)، ومفاتيح الغيب (١٤٧/٤)، (٢٥/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٨/٣١)، والبحر المحيط (٦٢٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٩/٣)، والكليات ص٩٥٥، ومحاسن التأويل (١٤٧/٤)، والقواعد الحسان لتفسير القرآن ص١١، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤، وأضواء البيان (٣٠٢/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨١/٢).

[4] فتح القدير (٤٥٥/٣).

١٠٢- المراد بقوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في معنى خوفه فقال بعضهم: خاف أن يرثه غير الولد، وقيل: خاف أن تذهب النبوة من نسبه إلى بني الأعمام. وهذا ليس بشيء؛ لأنَّه لا يكون خوفاً من الموالي، **والصحيح** في معنى خوفه ما ذكره أبو عَلِيّ[١] فقال:" الخوف لا يكون من الأعيان في الحقيقة، إنَّما يكون من معان فيها، فإذا قال القائل: خفت الله، وخفت الوالي، وخفت الناس، فالمعنى: خفت عقاب الله ومؤاخذته، وخفت عقوبة الوالي، وملامة الناس، وكذلك: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ أي: خفت تضييع بني عمي، فحذف المضاف، والمعنى تضييعهم للدين، ونبذهم إياه واطّراحهم له، فسأل ربّه وليّاً يرث نبوّته وعلمه لئلا يضيع الدين...وكأن الذي حمله على مسألة ذلك ما شاهدهم عليه من تبديلهم للدين وتوثُّبِهِم على الأنبياء وقتلهم إيّاهم"[٢]. ويؤكد هذا ما روى عَطَاء عن ابن عَبَّاس قال: يريد بالموالي بنِي إِسْرَائِيْلَ[٣]. وبنو إِسْرَائِيْلَ كانوا يبدلون ويقتلون الأنبياء، وعلى هذا سَمَّى بني إِسْرَائِيْلَ موالي؛ لأنَّهم كانوا بني أعمامه»[٤].

---

[١] يقصد أبا عَلِيٍّ الفارسيّ صاحب كتاب الحجة للقراء السبعة.

[٢] الحجة للقراء السبعة (١٨٩/٥).

[٣] ذكر الوَاحِدِيّ هذه الرواية في الوسيط (١٧٦/٣)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢١٩/٥)، وذكرتُ في كتب التفسير الأخرى دون نسبة. ينظر: الكشاف (٦/٣)، وأنوار التنزيل (٤/٤)، ومدارك التنزيل (٣٢٦/٢)، والدر المصون (٥٦٥/٧)، وروح المعاني (٦١/١٦).

[٤] البسيط (١٩١/١٤).

- **الدراســـة**

للمفسرين في وجه مخافة زَكَرِيَّا -عليه السلام- من الموالي قولان:

القول الأول: أنَّه خاف أن يرثوه في مال وغيره[1]، وهو قول مُقَاتِل[2].

واعترض عليه بما ثبت أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:« لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ »[3].

القول الثاني: أنَّه خاف تضييعهم للدين ونبذهم إياه.

واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والبِقَاعِيّ، والشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[5].

---

[1] ينظر: معالم التنزيل (٥/٢١٩)، والمحرر الوجيز (٥/٤)، وزاد المسير (٥/٢٠٧)، ومفاتيح الغيب (٢١/١٥٥).

[2] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/ ٣٠٧).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخمس، باب فرض الخمس، رقم الحديث (٢٩٢٦)، (٣/١١٢٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: « لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فهو صَدَقَةٌ»، رقم الحديث (٤٦٨١)، (٥/ ١٥٥). هكذا ورد لفظه في الصحيحين، قال ابن حجر في فتح الباري (١٢/٨):« وأمَّا ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم، بلفظ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ (نحن) لكن أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة عن أبي الزناد بلفظ: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث...الحديث) أخرجه عن محمد بن منصور عن ابن عيينة عنه، وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عيينة، وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه، وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق باللفظ المذكور، وأخرجه الطبراني في الأوسط بنحو اللفظ المذكور، وأخرجه الدارقطني في العلل من رواية أم هانئ عن فاطمة عن أبي بكر الصديق بلفظ: (إن الأنبياء لا يورثون) قاله بن بطال وغيره».

[4] ينظر: البسيط (١٤/١٩٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/١٧٦)، والوجيز (٢/٦٧٦).

[5] ينظر: معالم التنزيل (٥/٢١٩)، والكشاف (٣/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١١/٧٨)، وأنوار التنزيل (٤/٤)، ومدارك التنزيل (٢/٣٢٧)، وغرائب القرآن (٤/٤٦٩)، ولباب التأويل (٤/٢٣٩)، والبحر المحيط (٦/١٦٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/٢١٢)، واللباب في علوم الكتاب (١٣/١٤)، ونظم الدرر (٤/٥٢٠)، وفتح القدير (٣/٤٦٠)، ومحاسن التأويل (٧/٨٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٨٩، وأضواء البيان (٣/٣٦١).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ أصوب القولين وأقواهما القول الثاني، وهو أنَّ زَكَرِيَّا -عليه السلام- خاف أن يبدِّل الموالي من بعده دين الله - عز وجل- ، ويغيروا أحكامه، وأن لا يحسنوا الخلافة له على أُمّته، فسأل ربّه وليّاً صالحاً يأمنه على أُمّته، ومما يُؤَيِّد هذا:

١. ثبت في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّ الأنبياء لا يُوَرّثون مالاً.

٢. أنَّه لم يُذكر أنَّ زَكَرِيَّا -عليه السلام- كان ذا مال، بل كان نجاراً [١] يأكل من كسب يديه، ومثل هذا في الغالب لا يجمع مالاً، ولاسِيَّمَا الأنبياء -عليهم السلام- فهم أزهد من غيرهم في الدنيا [٢].

٣. أنَّ هذا القول هو الأليق بزَكَرِيَّا -عليه السلام-، والأوفق لمقام النبوة، والأبعد عمَّا لا يليق بها، فنفوس الأنبياء لا تطمح إلا لمعالي الأمور ومصالح الدين، وما سواهما فهو تبع.

قال ابن كَثِيْر:« وجه خوفه أنَّه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً، فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده؛ لِيَسُوسَهُمْ بنبوته بما يوحى إليه فأجيب في ذلك؛ لا أنَّه خشي من وراثتهم له ماله؛ فإنَّ النبي أعظم منزلة، وأجل قدراً من أن يشفق على ماله، وأن يأنف من وراثة عَصَبَاتِهِ له، ويسأل أن يكون له ولدٌ ليحوز ميراثه دونهم» [٣].

ويُؤَيِّده القاعدة الترجيحية: القول الذي يعظم مقام النبوة، ولا يَنسِب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية [٤].

٤. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ [٥].

---

[١] ثبت في صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا ». ينظر: كتاب الفضائل، باب من فضائل زَكَرِيَّا -عليه السلام-، رقم الحديث (٦٣١٢)، (٧/ ١٠٣).

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/٢١٢).

[٣] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/٢١٢).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٨/٥١٦)، والمحرر الوجيز (٣/٢٩٤)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣/٣٨)، ومفاتيح الغيب (١٣/٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٩١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٥).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٠٣- المراد بالإرث [١]

في قوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا فيم يرثه هذا الولي؟ فقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يرث النبوة[٢]، وهو قول أبي صَالِحٍ: يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء[٣]...وقال قوم: أراد وراثة المال...**والصحيح** القول الأول، قال أبو إِسْحَاق[٤]:لا يجوز أن يخاف زكريا أن يورث المال؛ لأنَّ أمر الأنبياء والصالحين أنَّهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله الله لهم[٥]»[٦].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالإرث في الآية:

القول الأول: يرثني نبوّتي وعلمي، ويرث من آل يعقوب النبوّة أيضاً.

وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق -، والحَسَن[٧]، والسُّدِّي[٨].

واختاره الوَاحِدِيّ[٩]، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وإلْكِيا الهرَّاسي، وابن العَرَبِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد،

---

[١] المسألة السابقة كانت في بيان سبب خوف زَكَرِيَّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في قوله:﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾، وهذه المسألة في المراد بالإرث في قوله: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكر البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢١٩/٥) من رواية عَطَاء عن ابن عَبَّاس.

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/١٨)، والنَّحَّاس في معاني القرآن (٣١١/٤).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٢٠/٣).

[٦] البسيط (١٩٤/١٤).

[٧] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/١٨).

[٨] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٤٨٠/٥) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٩] ينظر: البسيط (١٩٤/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (١٧٦/٣)، والوجيز (٦٧٦/٢).

والشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[١].

القول الثاني: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة.

وهو قول أبي صَالِحٍ[٢]، ومُقَاتِل[٣]. واختاره الطَّبَرِيّ، وابن عَاشُور[٤].

واحتج من حمل اللفظ على وراثة المال بما رواه الحَسَن أنَّ النبي -ﷺ- قال: «رَحِمَ اللهُ أخِي زَكَرِيَّا، ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةِ مالِهِ»[٥].

وأجاب الوَاحِدِيّ عن هذا الاستدلال بقوله: «والذين قالوا: يرثني مالي رووا عن رسول الله -ﷺ-: أنَّه كان إذا قرأ هذه الآية قال: « يَرْحَمُ اللهُ زَكَرِيَّا ومَا عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَتِهِ»، وهذا لا يدل على أنه فسر الآية بوارث الوالي وإنما أراد -ﷺ-: وما كان عليه من وراثة النبوة والعلم، كأنَّه يقول: لو لم يسأل الله ولدا يرثه علمه ونبوته ما كان الله ليضيع دينه، وكان يرث ما كان قوم به من أمر الدين غير ولده»[٦].

وقد أعلَّ ابن كَثِيْر طرق روايات هذا الأثر بالإرسال، فقال:« وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح»[٧].

---

[١] ينظر: معالم التنزيل (٢١٩/٥)، والكشاف (٧/٣)، وأحكام القرآن للكيا الهرَّاسي (٢٦٩/٤)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٥/٣)، والجامع لأحكام القرآن (٧٨/١١)، ومدارك التنزيل (٣٢٧/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٧/١)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٦٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢١٣/٥)، والجواهر الحسان (٣/٣)، واللباب في علوم الكتاب (١٤/١٣)، وإرشاد العقل السليم (٢٥٤/٥)، وفتح القدير (٤٦١/٣)، ومحاسن التأويل (٨٦/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٨٩، وأضواء البيان (٣٦١/٣).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/١٨) عن أبي صَالِحٍ من عدة طرق، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز(٥/٤).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/ ٣٠٧).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٤٥/١٨)، والتحرير والتنوير (١١/١٦).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/١٨) عن الحَسَن، وأخرج أيضاً بسنده عن قَتَادَة أن النبي -ﷺ- قال: « يَرْحَمُ اللهُ زَكَرِيَّا ومَا عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَتِهِ».

[٦] البسيط (١٩٦/١٤).

[٧] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢١٤/٥).

القول الثالث: يرثني العلم، ويرث من آل يعقوب الملك، فأجابه الله إلى وراثة العلم دون الملك[1]. قال مُجَاهِد: «كان وراثتُه علماً، وكان زَكَرِيَّا من ذرّية يعقوب»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ المراد بالإرث في الآية وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال، ويُقَوِّي هذا القول ويُؤَيِّده:

١. ما جاء من الأدلة أنَّ الأنبياء - صلوات الله عليهم - لا يورث عنهم المال، وإنَّما يورث عنهم العلم والدين. فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين أنَّ النبي -ﷺ- قال: « لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ »[3]. وقوله -ﷺ- : «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[4].

فالقول بأنَّ المراد وراثة المال مدفوع بهذه الأحاديث، قال القُرْطُبِيّ: «كل قول يخالف قول النبي -ﷺ- فهو مدفوع مهجور»[5]. والقاعدة: أنَّ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [6].

---

[1] ذكر هذا القول الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٥٦/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢٠٩/٥)، مع نسبته لابن عَبَّاس - رضي الله عنهما -.

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٤٦/١٨) عن مُجَاهِد من طريقين.

[3] سبق تخريجه ص٤٤٤ من البحث.

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث (٣٦٤٣)، (٣٥٤/٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث (٢٢٣)، (١/ ٨١)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث (٢٦٨٢)، (٥/ ٤٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها، رقم الحديث (٨٨)، (٢٨٩/١)، وصححه الألباني في الجامع، (١٠٧٩/٢).

[5] الجامع لأحكام القرآن (٧٨/١١).

[6] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

٢. أنَّ هذا القول هو الأنسب والأوفق إذ لا يليق بنبي أن يتأسف على مصير ماله بعد موته إذا وصل إلى وارثه المستحق له شرعاً[١]، ولا أن يطلب الولد من أجل ما يخلفه من حطام الدنيا، فالنبي أعظم منزلة، وأجل قدراً من هذا. كما أنَّه لم يُذكر أنَّ زَكَرِيَّا -عليه السلام- كان ذا مال، بل كان نجاراً[٢] يأكل من كسب يديه، ومثل هذا في الغالب لا يجمع مالاً. والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي يعظم مقام النبوة، ولا يَنسِب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية[٣].

٣. من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أنَّ الولد يرث أباه، فلولا أنَّها وراثة خاصة لما أخبر بها[٤].

٤. السياق القرآني، فقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ قرينة على أنَّ المراد غير المال؛ لأنَّه جمع وراثته إلى وراثة آل يعقوب، ومعلوم أنَّ ولد زَكَرِيَّا لا يرثهم[٥]. كما أنَّ آل يعقوب انقرضوا منذ زمن بعيد، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين[٦].

كما أنَّ قوله تعالى بعد ذلك: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢] يدل على هذا المعنى. والقاعدة: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره[٧].

٥. أنَّه اختيار أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ[٨].

---

(١) زاد المسير (٥/٢١٠).

(٢) كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي -ﷺ- قال: « كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا ». سبق تخريجه ص٤٤٥ من البحث.

(٣) ينظر: جامع البيان (١٨/٥١٦)، والمحرر الوجيز (٣/٢٩٤)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣/٣٨)، ومفاتيح الغيب (١٣/٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/١٩١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/٢١٣).

(٥) ينظر: أحكام القرآن للكيا الهرَّاسي (٤/٢٧٠).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥/٢١٣)، وأضواء البيان (٣/٣٦١).

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح (١/٢٦٩).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٠٤- المراد بقوله: ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ **في قوله تعالى:** ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال سَعِيْد بن جُبَيْر: ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾: من أمر الآخرة، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾: من أمر الدنيا[١]... وقال آخرون: ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾: الدنيا، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾: الآخرة... وقوله تعالى: ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قال سَعِيْد بن جُبَيْر: ما بين الدنيا والآخرة[٢]، وهو قول مُجَاهِد في رواية ابن أبي نَجِيْحٍ[٣]. وقال في رواية اللَّيْث: وما بين ذلك ما بين النفختين[٤]...وقال أبو إِسْحَاق[٥]: ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾: من أمر الآخرة والثواب والعقاب، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾: جميع ما مضى من أمر الدنيا، ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾: ما يكون منا في هذا الوقت إلى يوم القيامة[٦]. **وهذا هو الاختيار**، لأنَّه لم يجر للنفختين ذكر حتى يشار إليه»[٧].

---

[١] ذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥/٥٣٧) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٥/٢٥٠).

[٢] ذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥/٥٣٧) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم، وذكره النَّحَّاس في معاني القرآن (٤/٣٤٤).

[٣] لم أجد في كتب التفسير من نسب هذا القول إلى مُجَاهِد.

وابن أبي نَجِيْحٍ هو: عبد الله بن يسار الثقفي المكي، الإمام، الثقة، المفسر، حدَّث عن مُجَاهِدٍ، وَطَاوُوْسٍ، وَعَطَاءٍ، ونحوهم، توفي سنة ١٣١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/١٢٥)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٢٥٨).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٥/٢٥٠)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٥/٢٤٩).

والليْثُ هو: ليْثُ بنُ أَبِي سُلَيْمٍ بنِ زُنَيْمٍ الأُمَوِيُّ، أبو بكر، مُحَدِّثُ الكوفة وأحد علمائها الأعيان، معدود في صغار التابعين، حدَّث عن مُجَاهِدٍ، وَطَاوُوْسٍ، وَعَطَاءٍ، ونحوهم، واختلط في آخر عمره، توفي سنة ١٤٣هـ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٣٤٩)، وسير أعلام النبلاء (٦/١٧٩).

[٥] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٦] معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٣٧).

[٧] البسيط (١٤/٢٨٠).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾:

القول الأول: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما مضى من الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين الدنيا والآخرة، وهو قول سَعِيْد بن جُبَيْر-كما سبق-، وقَتَادَة[1]. وهو اختيار الزَّجَّاج إلا أنَّه قال: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما يكون منا في هذا الوقت إلى يوم القيامة[2]، واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والطَّبَرِيّ وعلَّل اختياره بأنَّ هذا هو الظاهر الأغلب في استعمال العرب، فقال:«وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: من أمر الآخرة؛ لأنَّ ذلك لم يجئ وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإنَّ الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنَّهم يعنون به ما لم يجئ وأنَّه جاء، فلذلك قلنا:ذلك أولى بالصواب.﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلَّفوه فمضى، فصار خَلْفَهم بتَخْلِيفِهم إياه، وكذلك تقول العرب لِمَا قد جاوزه المرءُ وخَلَّفَه خَلْفَه، ووراءه. ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة؛ لأنَّ ذلك هو الذي بين ذَينك الوقتين»[4].

القول الثاني: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النفختين. وهو قول أبي العَالِيَة[5]، والرَّبِيْع بن أَنَس[6]. واختاره الفَرَّاء[7].

---

[1] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/١٠)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٢٢٤).

[2] معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٣٧).

[3] ينظر: البسيط (١٤/٢٨١)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/١٨٩)، وقدّمه في الوجيز (٢/٦٨٩).

[4] جامع البيان (١٨/٢٢٥).

[5] أخرجه هَنَّاد بن السَّرِي في الزهد (١/١٩٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٢٢٤).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٢٢٤)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٥/٢٥٠).

[7] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/١٧٠).

القول الثالث: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: قبل أن نخلق، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: بعد الفناء، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: منذ خلقنا إلى أن نموت، قاله الأَخْفَش[1].

القول الرابع: أنَّ المعنى: له ما قُدَّامَنَا، وما خلفنا، وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله - سبحانه -. اختاره النَّسَفِيّ، وابن جُزَي[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية عامة تشمل المكان والزمان، المستقبل منه والماضي والحاضر، والمراد أنَّه تعالى المالك لكل ذلك فلا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا ننزل في زمان دون زمان إلا بإذنه - ﷻ- ومشيئته، فـ(ما) من صيغ العموم؛ فهي دالة على عموم ملكه - ﷻ - وإحاطته بكل شيء، فله سبحانه ما نستقبل من أمر الآخرة، وما خلَّفناه وراءنا من أمور الدنيا، وما يكون منا في هذا الوقت إلى يوم القيامة، وله جميع الأماكن والجهات، فهو المتصرف الحافظ العالم بكل حركة وسكون.

ويُؤَيِّده القاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[3].

---

[1] ينظر: معاني القرآن للأَخْفَش (٢/٤٣٩).

[2] ينظر: مدارك التنزيل (٢/٣٤٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٤٨٣).

[3] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

١٠٥- المراد بالضِّدِّ

في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١ - ٨٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: أعواناً[١]...والمعنى: أنَّ الأصنام التي عبدوها تكون أعواناً على عابديها يكذبونهم، ويلعنونهم، ويتبرؤون منهم، وهو معنى قول عِكْرِمَة في قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ قال: أعداء[٢]. وهذا اللفظ اختيار ابن قُتَيْبَة قال في قوله: ﴿ ضِدًّا ﴾ أي: أعداء يوم القيامة، وكانوا فِي الدنيا أولياءهم[٣]. قال الأَخْفَش: الضِّدّ يكون واحداً وجماعة[٤]... ورُوي عن قَتَادَة أنَّه قال في قوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ قال: قرناء في النار[٥]...**والصحيح** ما عليه الجماعة؛ لقوله: ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ولو قال: (لهم ضِدّا) احتمل ما قاله قَتَادَة؛ لأنَّ الضِّدَّ قد ورد في اللغة بمعنى مثل الشيْءِ[٦]...فلما

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨) من رواية علي بن أبي طلحة، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٣٧/٥) وعزاه إلى ابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم، وورد في صحيفة علي بن أبي طلحة ص٣٣٧.

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨) عن الضَّحَّاك، وذكره الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (٤٦٤/٣)، وذكر ابن كَثِيْر في تفسيره (٢٦٢/٥) عن عِكْرِمَة أنه قال في معنى الضِّدّ: الحسرة.

[٣] غريب القرآن ص٢٧٥.

[٤] معاني القرآن للأَخْفَش (٤٤٠/٢).

ووحَّد ﴿ ضِدًّا ﴾ مع أنه خبر عن جمع؛ إما لأنه مصدر في الأصل، والمصادر موحدة مذكرة، وإما لأنه مفرد في معنى الجمع. ينظر: الكشاف (٤٣/٣)، والبحر المحيط (٢٠٢/٦).

[٥] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٤١٤/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨).

[٦] حكى الأزهري في التهذيب (٣١٢/١١) عن ابن السكيت عن أبي عمرو أنه قال: الضِّدُّ مثل الشيْءِ، والضِّدّ خلافُه. ثم نقل عن أَبي زيد قوله: ضَدَدْتُ فلاناً ضَدّاً، أي غَلَبْته وخَصَمْته، ويقال: لَقِيَ القومُ أضدادهم، وأَنْدَادَهم، أي: أقرانهم.

قال: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ كان المعنى: أنَّهم عون عليهم أعداء لهم، ويَبعُد أن يفسر بالقرناء»[1].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالضِّدِّ في الآية:

القول الأول: أنَّهم يكونون أعواناً عليهم، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه -كما سبق-، ومُجَاهِد[2]. واختاره الفَرَّاء، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، وابن الجَوْزِيّ، والآلُوْسِيّ[3].

القول الثاني: أنَّهم يكونون أعداء لهم، وهو قول الضَّحَّاك[4]، ومُقَاتِل[5]. واختاره ابن قُتَيْبَة[6]. واختار الوَاحِدِيّ هذين القولين وصححهما[7].

القول الثالث: أنَّهم يكونون بلاء عليهم، وهو قول ابن زَيْد[8].

القول الرابع: أنَّهم يكونون قرناء لهم في النار، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية أخرى عنه[9]، وقَتَادَة -كما سبق-.

---

[1] البسيط (٣١٩/١٤).

[2] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٣٩٠/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨).

[3] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٧٢/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٤٥/٣)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٣٥٩/٤)، وزاد المسير (٢٦٢/٥)، وروح المعاني (١٣٤/١٦).

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٣٧/٥) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[5] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٢١/٢).

[6] ينظر: غريب القرآن ص٢٧٥.

[7] ينظر: البسيط (٣٢١/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (١٩٥/٣)، والوجيز (٦٨٩/٢).

[8] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨)، وذكره مَكِّيّ في الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٥٩١/٧)، والماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٨٩/٣).

[9] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٠/١٨) من طريق عَطِيَّة العَوْفِيّ، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٢٦٢/٥).

وضعف الوَاحِدِيّ هذا القول بقرينة قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، فقال:« ولو قال: (لهم ضِدّا) احتمل ما قاله قَتَادَة؛ لأنَّ الضِّدَّ قد ورد في اللغة بمعنى مثل الشيْءِ...فلما قال: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ كان المعنى: أنَّهم عون عليهم أعداء لهم، ويَبعُد أن يفسر بالقرناء»[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقوال السابقة تحتملها الآية، وليس بينها تعارض، عدا القول الرابع ففيه بُعْد كما ذكر الوَاحِدِيّ. فقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ في مقابلة قوله: ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾[2]، فليس الأمر كما توهم الجاهلون وظنوا أنَّ أصنامهم ستكون لهم عزاً بشفاعتها لهم، ونصرتها إياهم بمنعهم من العذاب، بل الأمر خلاف ما أمّلوه من العز، وهو الذل والهوان الذي سيلحق بهم يوم القيامة؛ لأنَّ هذه الآلهة ستتبرأ منهم، وسيكذب بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، وكقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وستصبح أعداء لهم تخاصمهم وتكذبهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦]، فآل مصير هؤلاء إلى الذل والبلاء والحسرة والندامة؛

---

[1] البسيط (٣٢١/١٤).

[2] ينظر: أضواء البيان (٥٠٩/٣).

لأنَّهم عذبوا بسبب اتخاذهم آلهة من دون الله؛ فأدخلوا جميعاً هم ومعبوداتهم في النار[1]، كما قال تعالى: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال الشَّنْقِيطِيّ:«أي ليس الأمر كذلك لا تكون المعبودات التي عبدتم من دون الله عزاً لكم، بل تكون بعكس ذلك. فيكون عليكم ضِداً، أي أعواناً عليكم في خصومتكم وتكذيبكم والتبرؤ منكم. وأقوال العلماء في الآية تدور حول هذا الذي ذكرنا» [2].

[1] يخرج من هذا من عُبِد مع كراهته لأن يُعبد ويُطاع في معصية الله، كالأنبياء، والملائكة، والصالحين؛ كعيسى وعزير وغيرهم، فقد أشار الله – تعالى – إلى ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠١]. وأمَّا من رضي بأن يعبد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد ولو لم يأمر، فكيف إذا أمر؟.ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦٨/٧)، وأضواء البيان (٣٠٩/٦).

[2] أضواء البيان (٥٠٩/٣).

١٠٦- المراد بالإرسال

في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ذكر أبو إِسْحَاق[١] في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهين: أحدهما: أنَّ المعنى خلينا الشياطين وإياهم فلم نعصمهم من القبول منهم[٢]...وإلى هذا الوجه يذهب القَدَرِيَّة[٣] في معنى الآية. وليس المعنى على ما يذهبون إليه. قال أبو إِسْحَاق والوجه الثاني: وهو المختار: أنَّهم أرسلوا عليهم، وقيضوا لهم بكفرهم، كما قال: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وكما قال: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ ﴾ [فصلت: ٢٥]. قال: ومعنى الإرسال ها هنا: التَّسليط، تقول: قد أرسلت فلاناً على فلان، إذ سلَّطته عليه، كما قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢]. فأعلم أنَّ من اتبعه هو مسلَّط عليه[٤]. وقد بان بما ذكره أبو إِسْحَاق **أنَّ الوجه في معنى الآية هذا**»[٥].

---

[١] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٢] معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٤٥).

[٣] القَدَرِيَّة: هم نفاة القدر الذين يقولون: لا قدر، فالعبد هو الذي يخلق فعله بقدرته وإرادته دون أن يكون لله - تعالى - تدخل في ذلك، فمن شاء هدى نفسه، ومن شاء أضلّها، ومن شاء بخسها حقّها وأهملها، ومن شاء وفّقها للخير وكمّلها، كلّ ذلك مردود إلى مشيئة العبد، ومقتطع من مشيئة الربّ - سبحانه -. فأثبتوا في ملكه ما لا يشاء، وفي مشيئته ما لا يكون، وزعموا أنّ الله - عَزَّوَجَلَّ - يخلق الخير، وأنّ الشيطان يخلق الشرّ، ولذا سمّاهم النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مجوس هذه الأمّة. وهم متّفقون على نفي الصفات، وقد افترقت القدرية إلى عشرين فرقة، كلّ فرقة منها تكفّر غيرها. ينظر: الفَرْقُ بين الفِرَق ص١٨، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ص٦٣، وتبيين كذب المفتري ص١٥٦.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٤٥).

[٥] البسيط (١٤/٣٢١).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالإرسال في الآية:

القول الأول: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم منهم.

واختاره الزَّمخْشَرِيّ[1].

القول الثاني: سلَّطناهم عليهم، ومكَّنَّاهم من إضلالهم.

واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والزَّجَّاج، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن القَيِّم، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[3].

واستُدل لهذا القول بسياق الآية لحاقاً، وهو قوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - رجحان القول الأول بأنَّ الله سَلَّط الشياطين على الكافرين بالإغواء والإضلال، ومكَّنهم منهم بحيث تؤزهم إلى الكفر والشرك، ويُؤَيِّد هذا القول:

---

[1] ينظر: الكشاف (٤٣/٣).

[2] ينظر: البسيط (٣٢٣/١٤)، واختاره في الوسيط (١٩٥/٣)، واقتصر عليه في الوجيز (٦٨٩/٢).

[3] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٤٥/٣)، والكشف والبيان (٢٢٩/٦)، ومعالم التنزيل (٢٥٤/٥)، والمحرر الوجيز (٤١/٤)، ومفاتيح الغيب (٢١٤/٢١)، وأنوار التنزيل (٣٤/٤)، ولباب التأويل (٢٦٠/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٨٥/١)، والبحر المحيط (٢٠٣/٦)، وشفاء العليل ص٦٣، واللباب في علوم الكتاب (١٤١/١٣)، وإرشاد العقل السليم (٢٨١/٥)، وروح المعاني (١٣٤/١٦)، ومحاسن التأويل (١١٢/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٠٠، وأضواء البيان (٥١١/٣).

[4] ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٤١/١٣)، وفتح القدير (٥٠٠/٣).

١. أنَّ المعنى الثاني خلينا بينهم وبين الشياطين، هو الموافق لمذهب المعتزلة[١]، من أنَّ أفعال العباد غير مخلوقة لله، وأنَّه -ﷻ-لا يفعل الشر، وقد بيَّن شيخ الإسلام أنَّ الإرسال نوعان كوني قدري[٢] كما يرسل الشياطين على الكافرين، وكما يرسل الريح بالعذاب، وديني شرعي كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٨][٣].

وقال ابن القَيِّم بعد أنَّ بيَّن أن معنى الإرسال في الآية التَّسليط لا التَّخلية بين المُرْسَل وبين ما أُرْسل عليه، كما ذهبت إليه القَدَرِيَّة:« هذا هو المفهوم من معنى الإرسال، كما في الحديث: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ»[٤] أي: سلطته، ولو خلى بينه وبين الصيد من غير

---

[١] من أسماء المعتزلة القدرية؛ لأنَّهم وافقوا القدرية في إنكار القدر، وإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم، وقولهم إن الله لا يفعل الشر بل يفعل الأصح للمكلف. وقد حملهم على ذلك قلة علمهم وعدم تصورهم أن يكون الله -تعالى- يأمر أو ينهى عن شيء، وهو يعلم عاقبة ما سيؤول إليه، فقالوا: إنَّ إثبات علم الله السابق ينافي أمره بالامتثال، وعلمه بالعصاة ينافي خلقه لهم وأمره بالطاعة. وكل ذلك باطل، فإنه تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ويقول سبحانه في نفاذ مشيئته: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان: ٣٠]، فمشيئة الإنسان ليست مستقلة عن مشيئة الله تعالى، والعبد مأمور بالامتثال ومنهي عن العصيان، وإثبات علم الله -تعالى- لا ينافي الأمر بالامتثال، وعلمه بالعصاة لا ينافي خلقه لهم وأمرهم بطاعته، فقد علم الله ماسيفعله إبليس، ولكنه أمره بطاعته وبالسجود لآدم، وعلم أن الناس سيكون منهم الطائع والعاصي، ولكنه أمر الجميع بطاعته. فمعتقد أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد تنسب إليهم حقيقة فإذا صلى أو سرق فهو فعله حقيقة، وأيضاً بمشيئته التي لا تخرج عن إطارها العام عن مشيئة الله -تعالى- لها، وخلقه لها كوناً، ولو شاء الله لما تمكن العبد من أي فعل، فالله هو الخالق الحقيقي لها، والعبد هو الفاعل الحقيقي لها بتمكين الله له، والعباد أعجز من أن يخلقوا أفعالهم بأنفسهم دون قدرة الله ومشيئته وقضائه.

ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٦/١)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٥٢٠/٨)، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١٢٣/١).

[٢] الإرسال ينقسم إلى كوني وديني مثل الإرادة، وقد سبق توضيح ذلك ص٣٣٤ من البحث.

[٣] ينظر: الجواب الصحيح (١٤٦/١)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٥٢٠/٨).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، رقم الحديث (٥٠٨١)، (٥٦/٦).

إرسال منه لم يبح صيده، وكذلك قوله: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [الذاريات: ٤١] أي: سلَّطناها وسخَّرناها عليهم، وكذلك قوله: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل: ٣]، وكذلك قوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [القمر: ٣١]، والتَّخلية بين المُرْسَل وبين ما أُرْسل عليه من لوازم هذا المعنى ولا يتم التَّسليط إلا به، فإذا أرسل الشيء الذي من طبعه وشأنه أن يفعل فعلاً ولم يمنعه من فعله فهذا هو التَّسليط، ثم أنَّ القدرية تناقضوا في هذا القول فإنَّهم إن جوزوا منعهم منهم وعصمتهم وإعادتهم فقد نقضوا أصلهم، فإنَّ منع المختار من فعله الاختياري مع سلامة النية وصحة بنيته تدل على أنَّ فعله وتركه مقدور للرب، وهذا عين قول أهل السنة، وإنْ قالوا لا يقدر على منعهم وعصمهم منهم وإعادتهم فقد جعلوا قدرتهم ومشيئتهم بفعل ما لا يقدر الرب على المنع منه، وهذا أبطل الباطل»[1].

٢. يشهد لهذا القول دلالة السياق، فقوله تعالى في ختام الآية: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ يؤيد أنَّ معنى الإرسال التَّسليط.

قال الشَّوكَانيّ بعد ذكره لهذا الوجه:«ويؤيده تمام الآية، وهو: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ فإنَّ الأَزَّ والهَزَّ والاستفزاز، معناها: التحريك والتهييج والإزعاج، فأخبر الله - سبحانه - أنَّ الشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم؛ وذلك هو التَّسليط لها عليهم، وقيل: معنى الأَزّ: الاستعجال، وهو مقارب لما ذكرنا؛ لأنَّ الاستعجال تحريك وتهييج واستفزاز وإزعاج»[2].

[1] شفاء العليل (٦٣/١).

[2] ينظر: فتح القدير (٥٠٠/٣).

١٠٧- المراد بقوله: ﴿ طُوَى ﴾

في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [طه: ١٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿ طُوَى ﴾ قال ابن عَبَّاس: هو اسم الوادي[١]. وهو قول جميع المفسرين. وقال الحَسَن: أي طوى بالبركة مرتين[٢]...**والصحيح** هو الأول»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ طُوَى ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه اسم للوادي، وهو قول ابن عَبَّاس - كما سبق-، ومُجَاهِد[٤]، وابن زَيْد[٥]، ومُقَاتِل[٦]. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والبَغَوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن كَثِيْر، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[٨]، وهو قول أكثر المفسرين[٩].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨١/١٨) من طريق علي بن أبي طلحة، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٥٩/٥) وعزاه إلى ابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم.

[٢] أخرجه بنحوه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨١/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٦٠/٥) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٣] البسيط (٣٦٩/١٤).

[٤] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٧٢٧/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨١/١٨).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨١/١٨)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٩٧/٣).

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٢٥/٢).

[٧] ينظر: البسيط (٣٧٠/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٠٢/٣)، والوجيز (٦٩٢/٢).

[٨] ينظر: جامع البيان (٢٨٢/١٨) ومعاني القرآن وإعرابه (٣٥١/٣)، ومعالم التنزيل (٢٦٧/٥)، ومدارك التنزيل (٣٥٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٧٧/٥)، وروح المعاني (١٧٠/١٦)، ومحاسن التأويل (١٢١/٧)، وأضواء البيان (٤٣١/٣)، والتحرير والتنوير (١٠٤/١٦)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن جزء عم ص٤٦.

[٩] حكاه السَّمْعَانِيّ في تفسيره (٣٢٣/٣).

القول الثاني: أنَّه بمعنى مرتين، وهو الشيءُ المَثْنِيُّ؛ أي: يكرر مرة بعد مرة، فهو مَصْدَرٌ لَنُودِيَ، أَوْ لِلْمُقَدَّس، فيكون المعنى: قُدِّس الوادي مرتين، أو نُودِي مُوْسَى -عليه السلام- نداءين. وهو قول الحَسَن - كما سبق-، وقَتَادَة [1].

القول الثالث: أنَّه أمر لمُوْسَى -عليه السلام- بأن يطأ الوادي بقدميه، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، وسَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد، وعِكْرِمَة [2].

القول الرابع: أنَّه بمعنى الذي طويته، فيكون المعنى: إنَّك بالوادي المقدس الذي طويته سيراً في تلك الليلة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه [3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأظهر من الأقوال السابقة أنَّ طُوى اسمٌ للوادي الذي كلم الله عنده مُوْسَى -عليه السلام-، وعلى هذا القول أكثر المفسرين.

قال الآلُوْسِيّ: «ولا يخفى عليك أن الأظهر كونه اسماً للوادي في جميع القراءات»[4].

وقال ابن عَاشُور: « الظاهر عندي أن ﴿طُوَى﴾ اسمٌ لصنف من الأودية يكون ضيقاً بمنزلة الثوب المطويِّ، أو غائراً كالبئر الْمَطْوِيَّةِ، والبئر تسمى طَوِيًّا. وسمي وادٍ بظاهر مكة (ذَا طُوًى) بِتَثْلِيثِ الطاءِ[5]، وهو مكان يُسَنُّ للحاجِّ أو المعتمر القادم إلى مكة أن يغتسل عنده»[6].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨١/١٨) من طريق عِكْرِمَة، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٦٠/٥) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد.

[2] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨١/١٨)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢٧٤/٥).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٨٠/١٨) من طريق عَطِيَّة العَوْفِيّ، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٦٠/٥) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[4] روح المعاني (١٧٠/١٦).

[5] تَثْلِيث الطاء بمعنى: ضم الطاء وفتحها وكسرها.

[6] التحرير والتنوير (١٠٤/١٦).

١٠٨- المراد بقوله: ﴿ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [طه: ٨٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد ألقى الحُلِيّ - وهو الذهب - في النار[١]، وهذا اختيار الزَّجَّاج، والفَرَّاء، قالا: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ أي: ألقى حُلِياً كان معه في النار[٢]، وعلى هذا دلَّ كلام مُجَاهِد؛ لأنَّه يقول: فلذلك صنع السَّامِرِيّ[٣] أي: فعل كما فعلنا. وقال آخرون يعني: ما كان معه من تربة حافر فرس جِبْرِيل. قال قَتَادَة: وقد صَرَّ في عمامته قبضة من أثر فرس جِبْرِيل يوم جاوز بني إسْرَائِيْل فقذفها فيها[٤]...وعلى هذا معنى ﴿ أَلْقَى ﴾ ألقى القبضة التي كانت معه من التراب. ولعل **الأقرب** هذا القول؛ لأنَّ الله -تعالى- أتبعه بقوله: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [طه: ٨٨]»[٥].

---

[١] ذكر هذا القول في كتب التفسير دون نسبة، ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٣)، والكشف والبيان (٢٥٧/٦)، وأنوار التنزيل (٦٦/٤). وذكرت كتب التفسير أن بني إسْرَائِيْلَ كانوا قد استعاروا حُلِياً من القبط، وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر. وقيل: إن الله - تعالى - لما أغرق فِرْعَوْن نبذ البحر حُلِيهم فأخذوها، وكانت غنيمة، ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم في ذلك الزمان، فأمروا بأن يحفروا حفرة ويوقد فيها النار ثم يلقوا فيها ذلك الذهب، حتى يرجع إليهم مُوْسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فيرى ما يفعل به.

ينظر: معالم التنزيل (٢٨٩/٥)، والمحرر الوجيز (٧٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٥/١١).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٨٩/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٣).

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤٠٠/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٣٥٤).

والسَّامِرِيُّ: منسوبٌ لقريةٍ أو لقبيلةٍ، يُقال لها: سَامِرَة، وهو رجل من بني إسرائيل، يقال له: موسى بن ظفر، وقيل: غير ذلك. ينظر: جامع البيان (٣٦٣/١٨)، والمحرر الوجيز (٧١/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٢/٢)، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن ص٧٢.

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٣٥٥)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤١٨/٣).

[٥] البسيط (٤٩٦/١٤).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه ألقى الحُلِيّ الذي معه، وهو قول مُقَاتِل[1]، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس - كما سبق-. واختاره الفَرَّاء، والزَّجَّاج، والثَّعْلَبِيّ، والبَيْضَاوِيّ[2].

القول الثاني: أنَّه ألقى القبضة التي كانت معه من التراب، وهو قول قَتَادَة - كما سبق-، والسُّدِّي[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقرب والأظهر هو القول الثاني، وهو أنَّ السَّامِرِيّ ألقى ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جِبْرِيل -عليه السلام- [6]؛ لأنَّ

---

[1] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٣٨/٢).

[2] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٨٩/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٣)، والكشف والبيان (٢٥٧/٦)، وأنوار التنزيل (٦٦/٤).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٣٥٥)، وذكره السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٤٠٩/٢).

[4] ينظر: البسيط (٤٩٧/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٢١٨/٣)، وفي الوجيز (٧٠٢/٢) اقتصر على الأول.

[5] ينظر: جامع البيان (٣٥٤/١٨)، وبحر العلوم (٤٠٩/٢)، والمحرر الوجيز (٧٢/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٥/١١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣١٠/٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥١١، وأضواء البيان (٨٣/٤).

[6] قال الشَّنْقِيطِيّ في أضواء البيان (٨٣/٤):« وأظهر الأقوال عندي في ذلك: هو أنَّهم جعلوا جميع الحليّ في النار ليذوب فيصير قطعة واحدة؛ لأنَّ ذلك أسهل لحفظه حتى يرى نبي الله مُوْسَى فيه رأيه، والسَّامِرِيّ يريد تدبير خطة لم يطلعوا عليها؛ وذلك أنَّه لما جاء جِبْرِيل ليذهب بمُوْسَى إلى الميقات وكان على فرس، أخذ السَّامِرِيّ تراباً مسّه حافر تلك الفرس، ويزعمون في القصة أنَّه عاين موضع أثرها ينبت فيه النبات، فتفرس أن الله جعل فيها خاصية الحياة، فأخذ تلك القبضة من التراب واحتفظ بها، فلما أرادوا أن يطرحوا الحليّ في النار...ألقى السَّامِرِيّ عليه تلك القبضة من التراب المذكورة، وقال له: كن عجلاً جسداً له خوار، فجعله الله عجلاً جسداً له خوار».

الله قال بعده: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [طه: ٨٨].

ويؤكد ذلك أنَّ مُوْسَى -عليه السلام- حين انتقل إلى محاكمة السَّامِرِيّ، قال له:﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾ [طه: ٩٥]، ردَّ عليه السَّامِرِيّ بقوله: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه: ٩٦]، فهذا يدل على أنَّه ألقى تلك القبضة من التربة التي أخذها من موطئ حافر فرس جِبْرِيل -عليه السلام-.

١٠٩- المراد بقوله: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « قال أبو إِسْحَاق[١]: التأويل: أنَّ مُوْسَى حرَّم مخالطة السَّامِرِيّ، والمعنى: أنَّك في الدنيا لا تخالط جزاءً لفعلك[٢]، وعلى هذا كأن مُوْسَى صَيَّرَهُ مهجوراً، وأمر قومه بمجانبته، وأن لا يخالطوه ولا يؤاكلوه ولا يبايعوه، هذا معنى ما ذكر في هذه الآية. غير أنَّ اللفظ لا يدل على هذا؛ لأنَّه إذا هُجر لم يقل: لا مِسَاس؛ إنَّما يقال له ذلك ...**والصحيح** ما ذُكر في التفسير من وجه آخر: أنَّه جعل يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يَمَسُّ أحداً ولا يَمَسُّه أحد، عاقبه الله بذلك. وكان إذا لقي أحداً يقول: ﴿ **لَا مِسَاسَ** ﴾ أي: لا تقربني ولا تمسّني»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ **لَا مِسَاسَ** ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ مُوْسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أمر بني إِسْرَائِيْل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه، فكان لا يَمَسُّ وَلاَ يُمَسُّ[٤].

القول الثاني: أنَّ السَّامِرِيّ خاف حين قال له مُوْسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ذلك، فجعل يهيم في

---

[١] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٢] معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٧٤).

[٣] البسيط (١٤/٥١٠).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٨/٣٦٣)، والنكت والعيون (٣/٤٢٤)، ومعالم التنزيل (٥/٢٩٢)، والمحرر الوجيز (٤/٧٦)، والبحر المحيط (٦/٢٥٥).

البرية مع السباع والوحوش، وصار إذا رأى أحداً يقول: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ أي: لا تَمَسَّني ولا أَمَسَّك. واختاره الوَاحِدِيّ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية تحتمل القولين، وليس بينهما تعارض، فظاهر قول مُوْسَى -عليه السلام- للسَّامِرِيّ: ﴿ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ أنَّه نفاه عقوبة له، فنتج عن قوله: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ عدم مخالطة الناس له، والابتعاد عنه، فلا يكلموه، ولا يؤاكلوه، ولا يبايعوه، وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات، ويحتمل أنَّ مُوْسَى -عليه السلام- هو من أمر بني إسْرَائِيْل أول الأمر بعدم مخالطته، وحرَّم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته، فسُلب الأنس الذي في طبع الإنسان، فنفر من الناس فجعل يهيم في الأرض مع الوحوش والسباع لا يَمَسُّ أحداً ولا يَمَسُّه أحد. وأغلب كتب التفسير لم تفرق بين القولين بل ذكرتهما على أنَّهما قولٌ واحدٌ[2]. كما ذكرت أيضاً أنَّه إذا اتفق أن مَسَّ أَحَدًا أَوْ مَسَّهُ أَحَدٌ حُمَّا جميعاً، أي أصابتهما الحُمَّى، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه[3].

أمَّا ما اعترض به الوَاحِدِيّ على القول الأول بأنَّ الرجل إذا صار مهجوراً، فلا يقول هو: لا مِسَاس؛ وإنَّما يقال له ذلك، فقد ضعَّفه الرَّازِيّ بقوله: «وهذا الاعتراض ضعيف؛ لأنَّ الرجل إذا بقي طريداً فريداً، فإذا قيل له: كيف حالك؟ فله أن يقول: لا مِسَاس، أي: لا يَمَاسُّنِي أَحَدٌ وَلَا أَمَاسُّ أحداً»[4].

---

[1] ينظر: البسيط (٥١١/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٢٠/٣)، وفي الوجيز (٧٠٢/٢) اقتصر على القول الأول.

[2] ينظر: معالم التنزيل (٢٩٢/٥)، ومدارك التنزيل (٣٨١/٢)، ولباب التأويل (٢٧٩/٤)، والبحر المحيط (٢٥٥/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٣٧٤/١٣)، وفتح القدير (٥٤٨/٣).

[3] ينظر: المصادر السابقة.

[4] مفاتيح الغيب (٩٧/٢٢).

١١٠- المراد بقوله: ﴿فَنَسِيَ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[طه:١١٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿فَنَسِيَ﴾ قال ابن عَبَّاس: ترك عهدي[١]، وقال مُجَاهِد: ترك ما أمر به[٢]...قال أبو إِسْحَاق[٣] ﴿فَنَسِيَ﴾ هاهنا فترك؛ لأنَّ الناسي لا يؤاخذ بنسيانه[٤]. هذا قول الجميع في أن نسي هاهنا ترك[٥]. وحمل ابن زَيْد النسيان ها هنا على الذي هو ضد الذكر[٦]. ولا يصح هذا؛ لأنَّ الناسي لا يؤاخذ بنسيانه[٧]؛ ولأنَّ

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٨٣/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٦٠٣/٥) وعزاه إلى ابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم.

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٠/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٨٣/١٨).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٨).

[٥] المسألة فيها خلاف، أي أن الجميع لم يتفقوا على أن المراد بالنسيان في الآية هو الترك.

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٨٣/١٨)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١١).

[٧] الحجة التي استند إليها الزَّجَّاج والوَاحِدِيّ بأنَّ قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] يُضْعِفُ أن المراد بالنسيان في الآية هو الذي ضد الذكر؛ لأن الناسي لا يؤاخذ بنسيانه، أجاب عنها الشَّنْقِيطِيّ بأن آدم لم يكن معذوراً بالنسيان؛ وإنَّما العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة. ومما يدلّ على هذا ما ثبت في صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[البقرة: ٢٨٤]، رقم الحديث (٣٤٥)، (٨١/١) - أن النَّبي -ﷺ- لما قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: نعم قد فعلت. فلو كان ذلك معفواً عن جميع الأمم لما كان لذكره على سبيل الامتنان وتعظيم المنّة عظيم موقع. ويستأنس لذلك بقوله: ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ويؤيد ذلك حديث: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». فقوله: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي» يدل على الاختصاص بأمته. أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره -ﷺ- عن مناقب الصحابة، باب فضل الأمة، رقم الحديث (٧٢١٩) (٢٠٢/١٦)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه:" إسناده صحيح على شرط البخاري"، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الخلع والطلاق، باب ما جاء في طلاق المكره، رقم الحديث (١٤٨٧١)، (٣٥٦/٧). ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٥٥، وأضواء البيان (١٠٤/٤).

إبليس حين استغواهما ذكرهما النهي فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]»[١].

الدراسة

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه بمعنى الترك، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد - كما سبق-، ومُقَاتِل [٢]. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، وابن عَطِيَّة، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٤]، وهو قول أكثر المفسرين[٥].

القول الثاني: أنَّه بمعنى النسيان الذي هو ضد الذكر[٦]، وهو قول ابن زَيْد - كما سبق-. وضعَّفه الوَاحِدِيّ - كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أظهر القولين وأقواهما القول الأول، وهو أنَّ آدم ترك العهد، ويُؤَيِّده:

١. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، يدل على أن التذكر وقع من إبليس لآدم وزوجه - عليهما السلام -

---

[١] البسيط (٥٤٣/١٤).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٤٣/٢).

[٣] ينظر: البسيط (٥٤٣/١٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٢٤/٣)، والوجيز (٧٠٧/٢).

[٤] ينظر: غريب القرآن ص٢٨٣، وجامع البيان (٣٨٣/١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٧٨/٣)، والمحرر الوجيز (٨٣/٤)، وأضواء البيان (١٠٣/٤)، والتحرير والتنوير (١٩١/١٦).

[٥] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٦٣/٦)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١١)، والشَّوكَانِيّ في فتح القدير (٥٥٦/٣).

[٦] ينظر: النكت والعيون (٤٣٠/٣)، وزاد المسير (٣٢٨/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥١/١١)، وأضواء البيان (١٠٤/٤).

بالعهد الذي أخذه الله - ﷻ- عليهما، فدلَّ ذلك على أنَّ النسيان في آية طه بمعنى الترك[1].

٢. النظائر القرآنية، فقد جاء النسيان بمعنى الترك في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة: ١٤]، وقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[2].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] ينظر: إعراب القرآن للنَّحَّاس (٢٩٤/٣)، والبسيط (٥٤٣/١٤)، والتحرير والتنوير (١٩١/١٦).

[2] ينظر:. التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١١١- المراد بأهل الذكر

في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ قال الحَسَن[١]، وقَتَادَة[٢]، والكَلبِيّ[٣]: يعني: أهل التوراة والإنجيل. وقال السُّدِّي: يعني اليَهُوْد والنَّصَارَى، يقول: سَلُوهُم هل جاءهم إلا رجال يوحي إليهم، ﴿ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أنَّ الرسل بشر[٤]. وأنكر قوم هذا التفسير، وقالوا: لا يجوز مراجعة اليَهُوْد والنَّصَارَى في شيء، وقالوا: المراد بأهل الذكر من آمن منهم بمُحَمَّد -ﷺ-...وقال ابن زَيْد: يعني: فاسألوا المؤمنين العَالِمِينَ من أهل القرآن، قال: وأراد بالذكر هاهنا القرآن[٥]. وقال أبو إِسْحَاق[٦]: هذا السؤال إنَّما يكون لمن كان مؤمناً من أهل الكتاب؛ لأنَّ القبول من أهل الصدق والثقة[٧]، هذا قول هؤلاء. **والوجه القول الأول**؛ لأنَّ الله -تعالى- أمر المشركين بهذا السؤال لا المسلمين وهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي -ﷺ- من أهل الكتاب أقرب منهم إلى تصديق من آمن، واليَهُوْد والنَّصَارَى لا ينكرون أنَّ الرسل كانوا بشراً وإن أنكروا نبوة مُحَمَّد -ﷺ- »[٨].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٣٨/٣)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٩٥/٣).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤١٣/١٨)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٣٨/٣).

[٣] أخرج عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٣) عن الكَلبِيّ أنَّه قال: "يعني أهل التوراة، يقول: سَلُوهُم هل جاءهم إلا رجال يوحى إليهم".

[٤] ذكره السُّيوطِيّ بمعناه في الدر المنثور (٤٨٠/٥) عن السُّدِّي وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤١٤/١٨)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣١١/٥)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٩٥/٣).

[٦] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٧] معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٥).

[٨] البسيط (٢١/١٥).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بأهل الذكر في الآية:

القول الأول: أنَّهم اليَهُوْد والنَّصَارَى، وهو قول مُجَاهِد[1]، والحَسَن، وقَتَادَة، والسُّدِّي، والكَلبِيّ - كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيّ، والزَّمخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ[3].

واستُدل لهذا القول بأنَّ أهل الكتاب كانوا يتابعون المشركين في معاداة رسول الله -ﷺ-، فهم أقرب إلى تصديق مَنْ آمن بالنبي -ﷺ-[4].

القول الثاني: أنَّهم مؤمنو أهل الكتاب، وهو قول الأَعْمَش[5].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠٨/١٧)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٩٥/٣).

[2] ينظر: البسيط (٢٢/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٣٠/٣)، وفي الوجيز (٦٧٦/٢) اقتصر على القول الثاني.

[3] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٩٩/٢)، وجامع البيان (٤١٣/١٨)، وبحر العلوم (٤٢٠/٢)، والكشف والبيان (٦/ ٢٧٠)، والكشاف (١٠٥/٣)، والمحرر الوجيز (٣٩٥/٣)، ومفاتيح الغيب (١٢٤/٢٢)، وأنوار التنزيل (٨٤/٤)، ومدارك التنزيل (٣٩٥/٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/٢)، والبحر المحيط (٢٧٧/٦)، والجواهر الحسان (٤٩/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٤٥٣/١٣)، وإرشاد العقل السليم (٥٧/٦)، وفتح القدير (٥٧١/٣)، ومحاسن التأويل (١٧٨/٧).

[4] ينظر: معالم التنزيل (٣١١/٥)، ومفاتيح الغيب (١٢٤/٢٢)، وأنوار التنزيل (٨٤/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٤٥٣/١٣).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠٨/١٧)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٣٩٥/٣).

والأَعْمَش هو: سُلَيْمَانُ بن مِهْرَانَ الأَسَدِيّ بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأَعْمَش، تابعي، أصله من بلاد الرَّي، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، توفي ١٤٨هـ.

ينظر: وفيات الأعيان (٤٠٠/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٦/٦).

واختاره الزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ[1].

القول الثالث: أنَّهم أهل القرآن[2]، وهو قول ابن زَيْد - كما سبق-.

وضعَّف هذا القول والذي قبله ابن عَطِيَّة بقوله:«وهذان القولان فيهما ضعف؛ لأنَّه لا حجة على الكفار في إخبار المؤمنين بما ذكر؛ لأنَّهم يكذبون هذه الصنائف»[3].

القول الرابع: أنَّهم العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله -تعالى- ما بعث رسولاً إلا من رجال الأمة[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أظهر الأقوال وأقواها أنَّ المراد بأهل الذكر من لم يسلم من أهل الكتاب، وهو الذي عليه أكثر المفسرين، ويُؤَيِّده:

١. دلالة السياق، فالآيات السابقة تتحدث عن افتراءات المشركين على نبوة النبي -ﷺ-، حيث أنكروا أن يكون الرسل من البشر، فأمرهم الله - ﷻ- أن يسألوا أحبار اليَهُوْد والنَّصَارَى عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة، فقد كانوا يرجعون إليهم في معرفة أخبار الأمم الماضية وغيرها، فشهادتهم تقوم بها الحجة عليهم في إرسال الله البشر، والمراد كسر حجتهم وإلزامهم، وإلا فالحق واضح في نفسه لا يحتاج إلى شهادة هؤلاء[5]، هذا مع موافقتهم لهم في ترك الإيمان بالرسول -ﷺ- ، فهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي -ﷺ- من أهل الكتاب أقرب منهم إلى تصديق من آمن، قال

---

[1] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٨٥)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣/٣٦٩).

[2] ينظر: المحرر الوجيز (٣/٣٩٥)، وزاد المسير (٤/٤٤٩)، ومفاتيح الغيب (٢٢/١٢٥)، والبحر المحيط (٦/٢٧٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/٧).

[3] المحرر الوجيز (٣/٣٩٥).

[4] ينظر: النكت والعيون (٣/١٨٩)، وزاد المسير (٤/٤٤٩)، والبحر المحيط (٦/٢٧٧).

[5] ينظر: المحرر الوجيز (٣/٣٩٥).

تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ويؤيد ذلك قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له [١].

٢. أمَّا من قال إنَّ المراد مؤمنو أهل الكتاب وأهل القرآن فهو بعيد، وقد ضعَّفه أكثر من مفسِّر؛ لأنَّ المشركين كانوا طاعنين في القرآن وفي الرسول -ﷺ-، فكيف يؤمرون بالرجوع إلى قولهم؟ [٢].

ومن قال بأنَّ المراد بهم العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية فهو داخل في القول الأول؛ لأنَّ هذه من صفات أهل الكتاب.

[١] ينظر: جامع البيان (٥٨٢/٦)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[٢] ينظر: الوسيط للوَاحِدِيّ (٢٣١/٣)، والمحرر الوجيز (٣٩٥/٣)، ومفاتيح الغيب (١٢٥/٢٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٤٥٣/١٣).

١١٢- عَوْد الضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾

من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ذكر بعض أهل التفسير أنَّ الكناية عن قوله: ﴿فِيهَا فِجَاجًا﴾ عائدة إلى الأرض. **والأولى** أن تعود إلى الجبال؛ لما ذكرنا أنَّ الفَجَّ في اللغة: الطريق بين الجبلين، وابن عَبَّاس أيضاً قال في تفسير هذه الآية: وجعلنا من الجبال طرقاً؛ حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار للتجارات وغيرها[١]»[٢].

- **الدراسة**

للمفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿فِيهَا﴾ قولان:

القول الأول: أنَّه يعود إلى الأرض.

واختاره الطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، وأبو حيَّان، والسَّمِين الحَلَبِيّ، وابن عَادِل، وابن عَاشُور[٣].

قال الطَّبَرِيّ:« وإنَّما اخترنا القول الآخر في ذلك وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض؛ لأنَّها إذا كانت من ذكرها داخل في ذلك السهل والجبل؛ وذلك أنَّ ذلك كله من الأرض، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجاً سبلاً، ولا دلالة تدلّ على أنَّه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلاً دون بعض، فالعموم بها أولى»[٤].

---

[١] أخرج الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٤٣٥) عن ابن جُرَيج أنَّه قال: قال ابن عباس في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ قال: بين الجبال. وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥/٦٢٧) وعزاه إلى ابن المُنْذِر.

[٢] البسيط (١٥/٦١).

[٣] ينظر: جامع البيان (١٨/٤٣٥)، والمحرر الوجيز (٤/٩٨)، والبحر المحيط (٦/٢٨٧)، والدر المصون (٨/١٥١)، واللباب في علوم الكتاب (١٣/٤٩٠)، والتحرير والتنوير (١٧/٤٢).

[٤] جامع البيان (١٨/٤٣٥).

القول الثاني: أنَّه يعود إلى الجبال، وهو مروي عن ابن عَبَّاس - كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والخَازِن، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أظهر القولين وأجودهما، هو عَود الضمير للأرض، ويُقَوِّي هذا القول، ويُؤَيِّده:

١. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠]، فهو نظيرُ الآية السابقة، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عدم ذلك، كما قرره جمهور المفسرين[3].

٢. أنَّ الجبال جزء من الأرض، فهي تدخل في عمومها، والقول بالعموم أولى ما لم يرد دليل على التخصيص ولا دليل في الآية على ذلك.

٣. أما ما استدل به الوَاحِدِيّ، فيجاب عنه: بأنَّ الفَجَّ هو الطريق الواسع، وهو في أصل وصفه للطريق بين الجبلين كأنَّه شق بينهما شقا، وتوسع فيه حتى صار يشمل كل طريق، جاء في المفردات:« الفَجُّ: شُقَّةٌ يكتنفها جبلان، ويستعمل في الطّريق الواسع، وجمعه فِجَاجٌ. قال: مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»[4].

أما الرواية التي ذكرها عن ابن عَبَّاس فهي رواية ضعيفة[5].

---

[1] ينظر: البسيط (٦٢/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٢٣٦)، والوجيز (٧١٥/٢).

[2] ينظر: الكشف والبيان (٢٧٤/٦)، ومعالم التنزيل (٣١٦/٥)، وزاد المسير (٣٤٩/٥)، ولباب التأويل (٢٩٣/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٤٠/٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٢٢.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[4] المفردات في غريب القرآن ص٦٢٥، مادة (فجج).

[5] فهي من رواية ابن جُرَيْج، ولم يلق ابن عَبَّاس، قال الإمام أحمد بن حنبل: إذا قال ابن جُرَيْج قال فلان، وَقَال فلان وأخبرت جاء بمناكير، وإذا قال: أخبرني وسمعت فحسبك به. ينظر: تهذيب الكمال (٣٤٨/١٨).

١١٣- المراد بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال ابن عَبَّاس: إنَّ الله -تعالى- ردَّ إليه أهله ومثلهم معهم[١]. والمراد بالأهل: الأولاد...وهذا قول ابن مَسْعُودٍ[٢]، وقَتَادَة[٣]، وكَعْب[٤]، والحَسَن[٥]، قالوا: أحْيا الله له أولاده، وأوتي مثلهم في الدنيا. وقال عِكْرِمَة: إنَّ الله خيره، فاختار إحياء أهله في الآخرة، ومثلهم في الدنيا، وأوتي على ما اختار، وذلك أنَّه قال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا[٦]. وهذا قول مُجَاهِد في رواية لَيْث[٧]. **والقول الأول هو الظاهر**»[٨].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٦/١٨)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٤٦/٥).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٦/١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢٣/٩).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٦/١٨)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٣٦٢/٥).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٨٢/٢٢)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦/١١).

وكَعْب الْأَحْبَار هو: كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ، أبو إِسْحَاق، تابعي، من كبار علماء اليهود في اليمن، أسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في عهد عمر، فجالس أصحاب النبي -ﷺ- فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويأخذ السنن عنهم، توفي سنة ٣٢هـ. ينظر: حلية الأولياء (٣٦٤/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٨٩/٣).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٧/١٨)، وذكره مَكِّيّ بن أبي طَالِب في الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٧٩٥/٧).

[٦] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٦/١٨)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٤٧/٥).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٦/١٨)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٦/١١).

[٨] البسيط (١٤٩/١٥).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾:

القول الأول: أنَّ الله -ﷻ- أحْيا له أولاده الذين هلكوا في بلائه، فردَّهم بأعيانهم، وزاده مثلهم في الدنيا، وهو قول ابن مَسْعُودٍ، وابن عَبَّاس، وكَعْب الْأَحْبَار، والحَسَن، وقَتَادَة -كما سبق-، ومُجَاهِد في رواية [1]، ومُقَاتِل[2]. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والفَرَّاء، والثَّعْلَبِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن عَادِل، والبِقَاعِيّ[4]، وهو قول أكثر المفسرين[5].

واستُدل لهذا القول بظاهر القرآن[6].

القول الثاني: أنَّ الله -ﷻ- آتاه أهله في الآخرة، وأعطاه مثلهم في الدنيا، وهو قول مُجَاهِد في رواية أخرى عنه، وعِكْرِمَة -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن -والله أعلم- أنَّ أظهر القولين أنَّ الله أحْيا لأَيُّوبَ -عليه السلام- أولاده، وآتاه مثلهم في الدنيا، ويُؤَيِّده:

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٠٦/١٨) من طريق ابن جريج، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٣٦٢/٥).

[2] تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٦٧/٢).

[3] ينظر: البسيط (١٥١/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٤٧/٣)، والوجيز (٧٢٢/٢).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٠٩/٢)، والكشف والبيان (٢٩٩/٦)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٠٠/٣)، ومعالم التنزيل (٣٤٦/٥)، ومفاتيح الغيب (١٨٢/٢٢)، ومدارك التنزيل (٤١٧/٢)، ولباب التأويل (٣١٦/٤)، والبحر المحيط (٢٧٧/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٥٧٣/١٣)، ونظم الدرر (١٠٤/٥).

[5] حكاه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٤٦/٥).

[6] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٠٩/٢)، والكشف والبيان (٢٩٩/٦)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٠٠/٣)، ومعالم التنزيل (٣٤٦/٥)، ومفاتيح الغيب (١٨٢/٢٢)، ولباب التأويل (٣١٦/٤)، والبحر المحيط (٢٧٧/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٥٧٣/١٣).

١. ظاهر ألفاظ الآية، فقوله: ﴿ **فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ** ﴾ يدل بظاهره على أنَّه تعالى أعادهم في الدنيا، وأعطاه معهم مثلهم أيضاً[١]، وكذا قوله: ﴿ **مَّعَهُمْ** ﴾ يدل على أنَّهم وجدوا عند وجدان الأهل[٢]، فيَبْعد أن يكون ذلك في الآخرة.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه [٣]. وأيضاً فإنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره[٤].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٥].

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (١٨٢/٢٢).

[٢] ينظر: نظم الدرر (١٠٤/٥).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (٨٣/٣٠) ، وأضواء البيان (٢٦٠/٢) (٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

[٤] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١١٤- المراد بقوله: ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء: ٨٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: ظنَّ أنْ لن نقضي عليه العقوبة، وهذا قول مُجَاهِد [١]، وقَتَادَة [٢]، والضَّحَّاك [٣]، والكَلبِيّ [٤]، ورواية عَطِيَّة عن ابن عَبَّاس [٥]...واختار الفَرَّاء، والزَّجَّاج هذا القول، قال الفَرَّاء: ظنَّ أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرنا [٦]، وقال الزَّجَّاج: ونَقْدر بمعنى:نُقَدِّر [٧]، ويقال: قدَّر الله الشيء وقَدَرَهُ، أي: قضاه. والقَدْر يكون بمعنى التقدير، ويدل عليه قوله:

ومُفْرهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لساقها فَخَرَّت كما تتَّايَع الرّيحُ بالقَفْلِ [٨].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٤)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢/ ٤٩٢).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥١٤)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢/٤٩١) من طريق سعيد عن قتادة عن الحسن.

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٥)،.

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٢٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٤).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٤)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢/ ٤٩١).

[٦] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/ ٢٠٩).

[٧] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٢).

[٨] البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، والمعنى: أن أَبا ذؤيب يصف عَقْره للناقة فيقول: قدرت ضربي لساقها فضربتها بسيفي فخرت حين ضربت رجلها كما تمر الريح باليبس من الشجر فيتبع بعضه بعضًا.
قوله: و(مفرهة): يعني ناقة تأتي بأولاده فَوَارِه، أي: ملاحٍ، و(عنس): صلبة شديدة، (قَدَرْت لساقها) أي: هيأت وضربت رجلها فخرت، و(تتايع): تمضي وتتابع، (القفل): النبت اليابس.
ينظر: شرح أشعار الهذليين (١/٩٢)، ولسان العرب (١٣/٥٢١)، (٨/٣٨)، (١١/٥٦٠)، وتاج العروس (٣٦/٤٥٤)، (٢٠/٤٠٦)، (٣٠/٢٦٦)، مادة (فره)، (تيع)، (قفل).

ويدل على صحة هذا قراءة عُمَر بن عَبْدِ الْعَزِيزِ[1]، والزُّهرِيّ: (فظن أن لن نُقَدِّر عليه) بالتشديد[2]، وقرأ عبيد بن عمير[3]، وقَتَادَة: (فظنَّ أن لن يُقَدَّر عليه) بضم الياء والتشديد[4]، وقرئ قوله: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[الأعلى: ٣] بالوجهين من التخفيف والتشديد. القول الثاني: فظنَّ أن لن يضيق عليه الحبس، وهذا معنى قول ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء ومَنْصُور[5]...وهذا الوجه اختيار أبي الهَيْثَم، وابن قُتَيْبَة[6]، قال أبو الهَيْثَم: المعنى: فظنَّ أن لن يضيّق عليه، من قوله: ﴿ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾[الطلاق: ٧]، أي: من ضيق عليه، وكذلك قوله: ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾[الفجر: ١٦]، بمعنى: ضيّق عليه. وقد ضيّق الله على يُونُس أشد تضييق ضيقه على معذب في الدنيا؛ لأنَّه سجنه في بطن الحوت[7]. وروى عَوف عن الحَسَن أنَّه قال: معناه:

---

[1] عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أبو حفص، الخليفة الزاهد الراشد، أحد خلفاء بني أمية، كان ثقةً مأموناً، له فقهٌ وعلمٌ وورعٌ، وكان إماماً عدلاً، كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، يلقب بأشج بني أمية؛ لفرس شجه وهو غلام، توفي سنة ١٠١هـ.
ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٣٠/٥)، وسير أعلام النبلاء (١١٥/٥).

[2] ينظر: الكشف والبيان (٣٠٢/٦)، ومعالم التنزيل (٣٥١/٥)، والمحرر الوجيز (١١٨/٤)، ومفاتيح الغيب (١٨٦/٢٢)، وذكر ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن ص٩٥ هذه القراءة عن ابن أبي ليلى ويعقوب.

[3] عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم، الواعظ المفسر، العابد الزهد، ولد في حياة النبي -ﷺ-، من كبار التابعين، أجمعوا على توثيقه، توفي سنة ٧٣هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥٦/٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء (٤٤١/١).

[4] ينظر: الكشف والبيان (٣٠٢/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/١١)، وفتح القدير (٦٠٢/٣)، وذكر الكرماني في شواذ القراءات ص٣٢٠ هذه القراءة عن ابن أبي ليلى.

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٥) عن ابن عَبَّاس من رواية منصور.

[6] ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٣.

[7] ينظر: قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة (٣٩/٩)، مادة (قدر).

فظنَّ أنَّه يعجز ربه فلا يقدر عليه[1]. وهذا التأويل بعيد، ولا يجوز مثله على الأنبياء. قال أبو الهَيْثَم: من اعتقد أنَّ يُونُس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر؛ لأنَّ يُونُس رسول، لا يجوز ذلك الظن عليه[2]، وقال الْأَزْهَرِيّ: قوله: ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لا يجوز أن يكون من القدرة؛ لأنَّ من ظن هذا فقد كفر، والظن شك، والشك في قدرة الله كفر، وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول، ولا يتأول مثله إلا جاهل بكلام العرب ولغاتها. ورُوي عن ابن زَيْد أنَّه قال: استفهام[3]، على معنى: أفظنَّ. وهذا الوجه بعيدٌ أيضاً؛ لأنَّه لا يحذف حرف الاستفهام إلا في ضرورة الشعر سيما إذا لم يتبعه ما يدل عليه»[4].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: ظنَّ أنَّ لن نقضي عليه العقوبة، وهو رواية عن ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، والضَّحَّاك، وقَتَادَة، والكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الفَرَّاء، والزَّجَّاج[5].

وأُيد هذا القول بقراءة عُمَر بن عَبْدِ الْعَزِيزِ، والزُّهرِيّ: (نُقَدِّر) بضم النون، وتشديد الدال، من التقدير[6].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٥)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٨٣/٥).

[2] ينظر قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة (٣٩/٩)، مادة (قدر).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/ ٥١٥)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٨٣/٥).

[4] البسيط (١٦١/١٥).

[5] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/ ٢٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٢).

[6] قال ثَعْلَب عن هذه الآية: هو من التقدير، وليس من القدرة، يقال منه: قدَّر الله لك الخير يُقَدِّرُه، ويَقْدُرُه، تقديراً، بمعنى: قَدَّره. ينظر: ياقوت الصراط في تفسير غريب القرآن ص٣٦٤.

القول الثاني: أنَّ المعنى: ظنَّ أن لن نضيق عليه، وهو رواية عن ابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره أبو الهَيْثَم، وابن قُتَيْبَة[1]، وهو قول الجمهور[2].

واختار هذين القولين الوَاحِدِيّ[3]، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب[4].

القول الثالث: أنَّ المعنى: ظنَّ أنَّه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، فنقدر من القدرة، وهو مروي عن الحَسَن -كما سبق-.

وهذا القول ردّه جمع من العلماء؛ لأنَّ من ظنَّ هذا فقد كفر، والظن شك، والشك في قدرة الله كفر، ولا يتصور وقوع ذلك من الأنبياء -عليهم السلام-.

القول الرابع: أنَّه على معنى استفهام، تقديره: أفظنَّ أن لن نقدر عليه؟ فحذف ألف الاستفهام إيجازاً، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-.

واعترض عليه الطَّبَرِيّ بقوله:« وأمَّا ما قاله ابن زَيْد، فإنَّه قول لو كان في الكلام دليل على أنَّه استفهام حسن، ولكنَّه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنَّه مراد في الكلام»[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول والثاني ليس بينهما اختلاف، بل هما بمعنى واحد؛ فقولهم: ظنَّ أنْ لن يقدر عليه العقوبة، هو بمعنى أن لن يضيق عليه، وهذا القول هو الصحيح في المسألة؛ ولذا فإنَّ الطَّبَرِيّ حين ذكر خلاف العلماء في معنى الآية، جعل هذين القولين قولاً واحداً، فأورد رواية عَطِيَّة، ورواية مَنْصُور عن ابن عَبَّاس في قول واحد.

---

[1] ينظر: قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة (٣٩/٩)، مادة (قدر)، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٣٣.

[2] حكاه الشَّوكَانِيّ في فتح القدير (٦٠٢/٣).

[3] ينظر: البسيط (١٦٥/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٢٤٩)، والوجيز (١/ ٧٢٢).

[4] ينظر: جامع البيان (١٨/ ٥١٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٨٠٤/٧).

[5] جامع البيان (١٨/ ٥١٦).

وأيضاً قال الشَّنْقِيطِيّ عن هذين القولين: «فيه وجهان من التفسير لا يكذب أحدهما الآخر»[1]. ويؤيِّد رجحان هذا القول:

١. أنَّه هو الأوفق لمقام النبوة، والأبعد عمَّا لا يليق بها، ومن المحال المتيقن أن يظن نبيّ أن الله -تعالى- الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه[2].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ كل طعن في مقام النبوة ومقام الرسالة فهو مردود[3].

فالقول بأنَّ المعنى: فظنَّ أنَّه يعجز ربه فلا يقدر عليه، قول باطل؛ لأنَّ فيه قدحاً بالنبوة، قال الطَّبَرِيّ:« لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظنّ أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنَّه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك»[4].

وقد رُوي هذا القول عن الحَسَن، ولا يتصور عنه مع جلال قدره، خصوصاً وأنَّه قد ورد عنه أنَّ المعنى: فظنَّ أن لن نعاقبه[5]. والقُرْطُبِيّ بعد أن ردَّ هذا القول، ذكر قولاً آخر عن الحَسَن موافقاً لقول الجمهور، ثم قال: وهو الأشبه بقول الحَسَن[6].

٢. أمَّا القول بأنَّ المعنى: أفظنَّ، من باب الاستفهام، فالعرب لا تحذف من كلامها ما لا دليل على حذفه؛ ليدل القارئ والسامع على هذا المحذوف، ولا دليل هنا.

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[7].

---

[1] أضواء البيان (٤/٢٤٠).

[2] ينظر: محاسن التأويل (٧/٢١٧).

[3] ينظر: جامع البيان (١٨/٥١٦)، والمحرر الوجيز (٣/٢٩٤)، ومفاتيح الغيب (١٣/٣٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٩١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٩٥).

[4] جامع البيان (١٨/ ٥١٦).

[5] أخرجه البَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢/ ٤٩١).

[6] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/٣٣١).

[7] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١١٥- عَوْد الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾

في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ الظاهر أنَّ الكناية تعود إلى زَكَرِيَّا ويَحْيَى وامرأة زَكَرِيَّا، ويدل على هذا ما رُوي أن أبا بَكْر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- خطب فقال في خطبته: وإنَّ الله أثنى على زَكَرِيَّا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الآية[١]. وقال بعض المفسرين: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني الأنبياء الذين سمَّاهم في هذه السورة »[٢].

- **الدراسة**

للمفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ قولان:

القول الأول: أنَّه يعود إلى زَكَرِيَّا وامرأته وابنهما يَحْيَى.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والماوَرْدِيّ، والرَّازِيّ، وابن كَثِيْر[٤].

---

[١] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٩١/٧)، وهَنَّاد بن السَّرِي في الزهد (٢٨٣/١)، والحاكم في المستدرك (٤١٥/٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٥/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٣/٧). كلهم من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: عبد الرَّحمن بن إسْحَاق كوفي ضعيف، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير من طريق آخر (٦٠/١)، قال عنه ابن كثير في تفسيره (٧٨/٨): إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات.

[٢] البسيط (١٨٠/١٥).

[٣] ينظر: البسيط (١٨٠/١٥)، وذكر القولين في الوسيط (٢٥٠/٣) دون ترجيح، ولم يتعرض لهذه المسألة عند تفسيره لهذه الآية في الوجيز (٧٢٢/٢).

[٤] ينظر: جامع البيان (٥٢١/١٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٨٠٩/٧)، والنكت والعيون (٤٦٨/٣)، ومفاتيح الغيب (١٨٨/٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٧٠/٥).

القول الثاني: أنَّه يعود إلى الأنبياء الذين ذكرهم الله في هذه السورة.

واختاره الثَّعْلَبِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، والزَّمخْشَرِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقرب عَوْد الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ إلى زَكَرِيَّا وامرأته وابنهما يَحْيَى، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ الآيات تتحدث عن زَكَرِيَّا وتضرعه لله - ﷻ- بأن يرزقه الولد، فاستجاب الله دعاءه، ثم أتبع ذلك بتعليل ما تقدَّم من قبول الدعاء، وهبة الولد، وإصلاح الزوج، بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فسبب إكرام الله لهم، وسرعة استجابته لدعائهم؛ أنَّهُم كُلَّما دُعُوا إلى خيرٍ أجابُوا، ولم يجيبوا بتبَاطُؤ وتكاسُل بل بِمُسَارعة ومُبادرة، كما أنَّهُم يُكثرون من الدُّعاء، فلا يدَّخِرُونه لساعات الشِّدة بل يدعون الله - ﷻ- دائماً على أيِّ حال.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره [2].

٢. الأثر السابق المروي عن أبي بَكْر -رضي الله عنه-، فيه تصريح بأنَّ الـمَعْنِيّ بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ زَكَرِيَّا وأهل بيته.

---

[1] ينظر: الكشف والبيان (٣٠٥/٦)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٠٥/٣)، ومعالم التنزيل (٣٥٣/٥)، والكشاف (١٣٣/٣)، ومدارك التنزيل (٤١٨/٢)، ولباب التأويل (٣٢١/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٩/٢)، واللباب في علوم الكتاب (٥٨٧/١٣)، وإرشاد العقل السليم (٨٣/٦)، ومحاسن التأويل (٢٢٠/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٣٠.

[2] ينظر: البحر المحيط (٢٢٦/٦)، والدر المصون (٢٢٢/٨)، والبرهان في علوم القرآن (٣٩/٤)، واللباب في علوم الكتاب (٢٣٥/١٣)، وروح المعاني (١١١/١٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

١١٦- عَوْد الضمير في قوله: ﴿وَهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في المَعْنِيِّينَ بقوله: ﴿وَهُم﴾ فأكثر المفسرين على أنَّ ﴿وَهُم﴾ كناية عن يَأْجُوج وَمَأْجُوج، وهو قول ابن مَسْعُود[١]. وقال آخرون: ﴿وَهُم﴾ يعني الخلق كلهم يحشرون إلى أرض الموقف فهم يسرعون من كُلِّ وُجْهَةٍ، كما قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ يريد من كُلِّ وَجْهٍ يخرجون[٢]. وهذا قول مُجَاهِد[٣]، وكان يقرأ: (وَهُمْ مِنْ كُلِّ جَدَثٍ[٤] يَنْسِلُونَ) [٥] اعتباراً بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾[يس:٥١] **والظاهر هو الأول**»[٦].

- **الدراســـة**

للمفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿وَهُم﴾ قولان:

القول الأول: أنَّه يعود إلى يَأْجُوج وَمَأْجُوج، وهو قول ابن مَسْعُود -كما سبق-.

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣١/١٨)، والحاكم في مستدركه، كتاب الفتن والملاحم، رقم الحديث (٨٥١٩)، (٥٤١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

[٢] ذكره بمعناه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٦٧٣/٥) عن ابن عَبَّاس وعزاه إلى الطَّسْتِيّ.

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤١٥/١)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٠/١٨).

[٤] جَدَث بالجيم والثاء المثلثة، وهو: القبر. ينظر: جمهرة اللغة (٤١٤/١)، وتهذيب اللغة (٣٣٤/١٠)، مادة (جدث).

[٥] وهي قراءة شاذة. ينظر: مختصر الشواذ لابن خَالَوَيْه ص٩٥، ونسب هذه القراءة لابن عَبَّاس والكَلبِيّ والضَّحَّاك، والمحتسب لابن جِنِّي (٦٦/٢)، ونسبها لابن مَسْعُود، وشواذ القراءات للكرماني ص٣٢١ ونسبها لابن مَسْعُود وابن عَبَّاس. ولم أجد بعد البحث من نسب هذه القراءة لـمُجَاهِد إلا الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٠٨/٦)، ولعل الوَاحِدِيّ نقلها عن شيخه.

[٦] البسيط (١٩٩/١٥).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والشَّوكَانيّ، والسّعْدِيّ[2]، وهو قول جمهور المفسرين[3]. واستُدل لهذا القول بحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- أنَّه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ:« يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ -عز وجل-: ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ...»[4].

وقال الرَّازِيّ: «أكثر المفسرين إنه كناية عن يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ، وقال مُجَاهِد هو كناية عن جميع المكلفين، أي: يخرجون من قبورهم من كل موضع فيحشرون إلى موقف الحساب، والأول هو الأوجه وإلا لتفكك النَّظْمُ »[5].

القول الثاني: أنَّه يعود إلى جميع الناس حين يحشرون إلى الموقف، وهو قول مُجَاهِد، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-.

---

[1] ينظر: البسيط (٢٠٠/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٥٢/٣)، وفي الوجيز (٧٢٣/٢) لم يذكر عَوْد الضمير عند تفسيره لهذه الآية.

[2] ينظر: جامع البيان (٥٣١/١٨)، وبحر العلوم (٤٤١/٢)، وزاد المسير (٣٨٩/٥)، ومفاتيح الغيب (١٩٢/٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٣٤١/١١)، ولباب التأويل (٣٢٢/٤)، والبحر المحيط (٣١٤/٦)، وتفسير القرآن العظيم (٣٧٣/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٥٩٩/١٣)، وفتح القدير (٦١٠/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٣١.

[3] حكاه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٨٩/٥)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٩٢/٢٢)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٥٤/٥).

[4] هذا جزء من حديث طويل. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، رقم الحديث (٤٠٧٩)، (١٣٦٣/٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، رقم الحديث (١١٧٣١)، (٢٥٦/١٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره -صلى الله عليه وسلم- عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، رقم الحديث (٦٨٣٠)، (٢٤٤/١٥)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الفتن و الملاحم، رقم الحديث (٨٥٠٤)، (٥٣٥/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٠٢/٤).

[5] مفاتيح الغيب (١٩٢/٢٢).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الصواب هو عَوْد الضمير في ﴿وَهُم﴾ إلى يَأْجُوج وَمَأْجُوج، ويُؤَيِّده:

١. ما ثبت في صحيح مسلم[١] أنَّ النبي -ﷺ- قال: «وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ...»[٢]. وأيضاً حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- السابق، فهذه الأحاديث تدل على أنَّ الضمير ﴿وَهُم﴾ في الآية يرجع على يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ. والقاعدة الترجيحية: أنَّ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[٣].

٢. أنَّ الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه[٤]. ويَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ أقرب مذكور في الآية، ولا دليل على خلافه.

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٥].

---

[١] مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين، أحد الأئمة الحفاظ، وأعلام المحدثين، من أشهر كتبه (الصحيح) وتأتي منزلته من حيث الصحة بعد صحيح الإمام البخاري، وقد شرحه كثيرون، وله عدة مؤلفات، منها: المسند الكبير رتبه على الرجال، والجامع مرتب على الأبواب، والكنى والأسماء، توفي سنة٢٦١هـ. ينظر: طبقات الحنابلة (٣٢٧/١)، ووفيات الأعيان (١٩٤/٥).

[٢] هذا جزء من حديث طويل. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث (٧٥٦٠)، (١٩٧/٨).

[٣] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[٤] ينظر جامع البيان (٢٤٧/١٢)، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤١٥/٤) و(٤٣٥/٤)، والمحرر الوجيز (١٩٩/١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٥/٢) و(١٧٠/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٦١/١)، (٣٣٩/٢)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٢١١/٣)، (٣٢١/٤) والكليات ص٥٦٩، وأضواء البيان (٣٩٤/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٨/٢).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١١٧- المراد بالزَّبُور، والذكر

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ ﴾ قال الزَّبُور: جميع الكتب المنزلة من السماء، والمراد بالذكر أم الكتاب الذي عند الله، هذا قول سَعِيْد بن جُبَيْر[١]، ومُجَاهِد[٢]، وابن زَيْد[٣]. واختيار أبي إِسْحَاق[٤]، قال: الزَّبُور: جميع الكتب؛ التوراة، والإنجيل، والفرقان زبور؛ لأنَّ الزَّبُورَ والكتاب بمعنىً واحدٍ. ويقال: زَبَرْتُ وكتبتُ بمعنىً واحدٍ، والمعنى: ولقد كتبنا في الكُتُبِ من بَعْدِ ذِكْرِنَا في السماء[٥]. قال ابن عَبَّاس في رواية الكَلبِيّ[٦]، والضَّحَّاك[٧]: الذكر التوراة، والزَّبُور الكتب المنزلة بعد التوراة. وقال في رواية عَطَاء: يريد زبور داود من بعد التوراة[٨]، وهذا قول عَامِر الشَّعْبِيّ[٩]. **والمختار** قول

---

[١] أخرجه هَنَّاد بن السَّرِي في الزهد (١/١٢٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥٤٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥٤٧)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥/ ٦٨٥) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن جَرِير.

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥٤٧)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٥/٣٩٧).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٤٠٧).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥٤٨) عن ابن عَبَّاس من طريق العوفي، وأخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٣٠) عن الكَلبِيّ.

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥٤٨)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٥/٣٥٨).

[٨] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٥/ ٣٨٤).

[٩] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٦/١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٤٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨/٥٤٨).

سَعِيْد؛ لأنَّه الأجمع، وتأويل الكلام: لقد حكمنا فأثبتنا حكمنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب»[1].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالزَّبُور، والذكر في الآية:

القول الأول: أنَّ الزَّبُور: جميع الكتب المنزلة من السماء، والذكر: اللوح المحفوظ.

وهو قول سَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد، وابن زَيْد -كما سبق-، ومُقَاتِل[2].

واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[4].

وعلَّل الطَّبَرِيّ اختياره لهذا القول، بقوله: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد، ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمِّ الكتابِ الذي كتب الله كلَّ ما هو كائنٌ فيه قبل خلق السماوات والأرض، وذلك أنَّ الزَّبُورَ هو الكتاب، يقال منه: زَبَرْتُ الْكِتَابَ وَذَبَرْتُهُ[5]: إِذَا كَتَبْتُهُ، وأنَّ كلَّ كتاب أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه، فهو ذِكْر. فإذ كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البيِّنة أنَّه معنيّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أمِّ الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنيَّة بذلك من صحفِ إِبْرَاهِيمَ، فقد كانت قبل زَبورِ دَاوُدَ»[6].

---

[1] البسيط (٢٢٦/١٥).

[2] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٧٢/٢).

[3] ينظر: البسيط (٢٢٧/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٥٤/٣)، وفي الوجيز (٧٢٥/٢) ذكر القولين دون ترجيح بينهما.

[4] ينظر: جامع البيان (٥٤٨/١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٠٧/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٣١، وأضواء البيان (٢٤٩/٤).

[5] ذَبَرْتُهُ: ذَبَرَهُ يَذْبِره ويَذبُره، معناه كتبه. ينظر: المخصص (١٩٢/٤).

[6] جامع البيان (٥٤٨/١٨).

القول الثاني: أنَّ الزَّبُور: الكتب المنزلة بعد التوراة، والذكر: التوراة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، والضَّحَّاك -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّ الزَّبُور: كتاب دَاوُدَ -عليه السلام-، والذكر: التوراة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية أخرى عنه، وعَامِر الشَّعْبِيّ -كما سبق-.

واختاره والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، والسُّيوطِيّ، والآلُوْسِيّ[1].

وعلَّل ابن جُزَي اختياره لهذا القول، بأنَّ:« إطلاق الزَّبُور على كتاب دَاوُدَ أظهر وأكثر استعمالاً؛ ولأنَّ الزَّبُورَ مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع؛ ولأنَّ النص قد ورد في زبور دَاوُدَ بأنَّ الأرض يرثها الصالحون»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ أقرب الأقوال أنَّ المراد بالزَّبُور: جميع الكتب المنزلة من السماء، وأنَّ الذكر اللوح المحفوظ الذي هو أُم الكتاب، ويُؤَيِّده:

١. اللغة، فالزَّبُور هو الكتاب، يقال: زَبَرْتُ الْكِتَابَ: إِذَا كَتَبْتُهُ، ويقال: أنا أعرفُ تَزْبِرَتِي، أي كتابتي[3]. وما دام أنَّ الزَّبُور يُطلَق على كل كتاب أنزله الله فلا بُدَّ أنَّ للذكر معنى أوسع؛ لذلك يُطلَق الذكر على اللوح المحفوظ.

٢. ثبت في الصحيح أنَّ رسول الله-ﷺ- قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»[4].

---

[1] ينظر: مدارك التنزيل (٤٢٣/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٠/٢)، والبحر المحيط (٣١٨/٦)، ومعترك الأقران (٣٢٧/٣)، وروح المعاني (١٠٣/١٧).

[2] التسهيل لعلوم التنزيل (٣٠/٢).

[3] ينظر: تهذيب اللغة (١٣٥/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٥/٣)، مادة (زبر).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، رقم الحديث (٣٠١٩)، (١١٦٦/٣).

قال الطَّحَاوِيُّ معلقاً على الحديث السابق:« فكان معقولاً بما في هذا الحديث أنَّ الذكر المراد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ هو المكتوب قبل خلق السماوات والأرض، وأنَّ الأشياء المذكورة بعده هي ما سواه من التوراة، والإنجيل، والقرآن... وكان الذي دلَّ عليه ما قد رويناه عن رسول الله -ﷺ-، مما قد ذكرنا أولى بالتأويل لهذه الآية مما قالوا، إذ كان ما قالوا لم تدع إليه ضرورة توجب حمل الأمر على ما حملوه عليه»[1].

أما القول بأنَّ الزَّبُور علمٌ على كتاب دَاوُدَ -عليه السلام- وإن كان له وجه، إلا أنَّ القول الأول أجمع وأشمل، وهذا القول يدخل في عمومه.

[1] شرح مشكل الآثار (٣٠٣/١٤).

١١٨- المراد بالخصمين

في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ﴾ يعني: الفرق الخمسة الكافرة والمؤمنون، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحج: ١٧] [(١)]....وهذا قول مُجَاهِد، والحَسَن[(٢)]، وابن عَبَّاس في رواية عَطَاء[(٣)]، وأكثر المفسرين، واختيار الزَّجَّاج[(٤)]، والفَرَّاء[(٥)]، قالوا: الخصمان هم المؤمنون والكافرون. ورُوي عن أبي ذَرٍّ، وعَلِيّ -رضي الله عنهما- أنَّهما قالا: نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين[(٦)]. **والظاهر هو الأول**

---

(١) وتمام الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

(٢) أخرجه الطَّبَرِيّ عنهما في تفسيره (٥٨٩/١٨)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤١٦/٥).

(٣) لم أجده مسنداً، وأخرج الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٩/١٨) عن ابن عَبَّاس من طريق العوفي أنَّ الخصمين المؤمنون وأهل الكتاب، وذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٢٠/٦) وعزاه إلى ابن مَرْدَوَيْه.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤١٩/٣).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/ ٢١٩)، قال: «فأحد الخصمين المسلمون، والآخر اليهود والنصارى».

(٦) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم الحديث (٣٧٥١)، (١٤٥٩/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾، رقم الحديث (٧٧٤٧)، (٨/ ٢٤٥) عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- أَنَّهُ كَانَ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ حَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ.
وأخرج البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم الحديث (٣٧٤٩)، (١٤٥٩/٤) عن عَلِيٍّ -رضي الله عنه- أنَّه قال: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾.

للإشارة بقوله: ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى الفئتين المذكورتين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ورُوي عن عِكْرِمَة أنَّه قال: الخصمان هما الجنة والنار[1]، وهذا ليس بالقوي ولا المرضي»[2].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالخصمين في الآية:

القول الأول: أنَّهما المؤمنون والكافرون كلّهم من أيِّ ملّة كانوا، وهو قول مُجَاهِد، والحَسَن، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-، وقال به الكَلْبِيّ[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ[5].

واستُدل لهذا القول بالحجة التي علَّل بها الطَّبَرِيّ اختياره، بقوله: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عُنِي بالخصمين جميع الكفار من أيِّ أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنَّما قلت ذلك أولى بالصواب؛ لأنَّه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما: أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حقّ عليه العذاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما،

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٩/١٨)، وذكره مَكِّيّ بن أبي طَالِب في الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٨٦٢/٧).

[2] البسيط (٣٢٩/١٥).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٩/١٨)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٦/١٢).

[4] ينظر: البسيط (٣٣١/١٥)، وفي الوسيط (٢٦٣/٣) ذكر عدة أقوال ولم يرجح، واقتصر عليه في الوجيز (٧٣١/٢).

[5] ينظر: جامع البيان (٥٩٠/١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤١٩/٣)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ص٢٤٤، ومفاتيح الغيب (٢٠/٢٣)، ومدارك التنزيل (٤٣٣/٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧١/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٦/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٠٦/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٤٨/١٤)، وروح المعاني (١٣٤/١٧)، ومحاسن التأويل (٢٣٨/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٣٥.

فقال: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ ﴾ [الحج: ١٩]، وقال الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [الحج: ٢٣]؛ فكان بيِّناً بذلك أنَّ ما بين ذلك خبرٌ عنهما»[١].

القول الثاني: أنَّهما المؤمنون وأهل الكتاب[٢]، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-، ومُقَاتِل[٣]. واختاره الفَرَّاء، والقُرْطُبِيّ[٤].

القول الثالث: أنَّهما النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر من المسلمين والمشركين.

وهو قول أبي ذَرٍّ، وعَلِيّ -كما سبق-. واختاره النَّحَّاس[٥].

القول الرابع: أنَّهما الجنة والنار اختصمتا، فقالت النار: خلقني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقني الله لرحمته، وهو قول عِكْرِمَة -كما سبق-.

وردَّ هذا القول الآلُوْسِيّ فقال:« وأما ما قيل من أنَّ المراد بهذين الخصمين الجنة والنار، فلا ينبغي أن يختلف في عدم قبوله خصمان، أو ينتطح فيه كبشان»[٦].

---

[١] جامع البيان (٥٩٠/١٨).

[٢] ذكرت كتب التفسير أن خصومتهم في ربهم أن اليهود والنصارى قالوا: نحن أولى بالله منكم يا معشر المسلمين؛ لأن نبينا قبل نبيكم، وديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم. فقال المسلمون: بل نحن أولى وأحق بالله، آمنا بكتابنا وكتابكم، ونبينا ونبيكم، وكفرتم أنتم بنبينا حسداً.

ينظر: الكشف والبيان (١٣/٧)، والنكت والعيون (١٣/٤)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٢٩/٣)، ومعالم التنزيل (٣٧٣/٥)، وزاد المسير (٤١٦/٥)، ومفاتيح الغيب (٢٠/٢٣)، وأنوار التنزيل (١٢٠/٤).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٧٩/٢).

[٤] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/ ٢١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥/١٢).

[٥] ينظر: إعراب القرآن للنَّحَّاس (٣٧٩/٢).

[٦] روح المعاني (١٣٤/١٧).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ أرجح الأقوال القول الأول، وهو عموم الآية في جميع المسلمين، وجميع الكافرين على اختلاف أصنافهم، ويُؤَيِّده:

١. دلالة السياق، فالإشارة في قوله: ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى من تقدم ذكره، من أهل الأديان الستة، وقضاء الله بينهم بالعدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[الحج: ١٧]، ثم تصنيفهم إلى فريقين: أهل طاعته، وأهل معصيته ممن حق عليه العذاب، في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحج: ١٨]، ثم بيَّن مآل كل من الفريقين إلى الجحيم أو إلى النعيم، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[الحج: ١٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[الحج: ٢٣]؛ فدلَّ ذلك على أنَّ الآية عامة في كل خصومة بين أهل الحق ومن خالفهم من طوائف الباطل، وعدم اختصاصها بفرقة دون أخرى.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[١].

٢. أنَّ نزول الآية فيمن بارز يوم بدر لا يعني قصره عليهم دون غيرهم، بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢]، وهم داخلون فيه دخولاً أولياً.

---

[١] ينظر: جامع البيان (٥٨٢/٦)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[٢] ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٨٣)، ومفاتيح الغيب (١٤١/٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٠٢/٢)، والقواعد الحسان لتفسير القرآن (١١/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨١/٢).

قـال ابـن كَثِـيْر:« وقـولُ مُجَاهِـد، وعَطَـاء: إنَّ المـراد بهـذه الكـافرون والمؤمنـون، يـشمل الأقـوال كلهـا، وينـتظم فيـه قـصة يـوم بـدر وغيرهـا؛ فـإنَّ المؤمنين يريـدون نـصرة ديـن الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلانَ الحق وظهور الباطل»[1].

أما القول بأنَّ المراد بالخصمين الجنة والنار فقد ضعَّفه أكثر من مفسِّر[2].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ[3].

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٠٦/٥).

[2] ينظر: البسيط (٣٣١/١٥)، ولباب التأويل (٩/٥)، وروح المعاني (١٣٤/١٧).

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١١٩- المراد بقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ في قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ في الشعائر، منافع بركوبها وشرب لبنها إن احتاج إليه، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ إلى أن ينحر، فهذا قول عَطَاء بن أبي رَبَاح[١]، ومذهب الشَّافِعِيّ[٢]، وعنده أنَّ المُهْدِي لو ركب هديه ركوباً غير فادحٍ فلا بأس، والأكثرون من المفسرين يذهبون إلى أنَّ المنافع من رِسْلها، ونسلها، وركوب ظهرها، وأصوافها، وأدبارها، إنَّما يكون قبل أن يسميها هدياً، فإذا سماها هدياً انقطعت المنافع بعد ذلك، وهو قوله:﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ ...**والقول هو الأول**؛ لقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، ولما روى أبو هُرَيْرَة أنَّ رسول الله -ﷺ- رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ:«ارْكَبْهَا، فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فقَالَ: ارْكَبْهَا وَيْحَكَ، أَوْ وَيْلَكَ»[٣]»[٤].

▪ الدراسة

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ في الآية:

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٢٥/١٨)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٤/٤)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١٤٩/٤).

[٢] ينظر: الأم (٢/ ٢٣٨)، والحاوي الكبير في فقه الشافعي (٣٧٦/٤)، وفتح الباري (٥٣٧/٣).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب ركوب البدن، رقم الحديث (١٦٠٤)، (٦٠٦/٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، رقم الحديث (٣٢٧١)، (٩١/٤).

[٤] الوسيط (٢٧١/٣).

القول الأول: أنَّ المعنى: لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم مع تسميتها هدياً، وإيجابها لِلَّهِ -ﷻ- إن احتجتم إلى شيء من ذلك إلى أن تنحروها، وهو قول عَطَاء بن أبي رَبَاح -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[2].

واستُدل لهذا القول بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- السابق[3]، وبأنَّه تعالى قال: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ أي: في الشعائر، ولا تسمى شعائر قبل أن تسمى هدياً[4].

القول الثاني: أنَّ المعنى: لكم أن تنتفعوا بهذه البهائم إلى أن تسمُّوها هدياً، فإن فعلتم فليس لكم أن تنتفعوا بشيء منها، وهو قول ابن عَبَّاس[5]، ومُجَاهِد[6]، والضَّحَّاك[7]، وقَتَادَة[8]. واختاره الفَرَّاء، وابن العَرَبِيّ [9].

---

[1] ينظر: الوسيط (٢٧١/٣)، وذكر القولين في البسيط (٣٩٢/١٥) ولم يرجح، واقتصر في الوجيز (٢/ ٧٣٤) على القول الثاني.

[2] ينظر: الكشاف (١٥٨/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٠/٢٣)، ومدارك التنزيل (٤٤٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٩/٢)، واللباب في علوم الكتاب (٨٦/١٤)، وإرشاد العقل السليم (١٠٦/٦)، وفتح القدير(٦٤٧/٣)، وروح المعاني (١٥٣/١٧)، ومحاسن التأويل (٢٤٦/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٣٨، والتحرير والتنوير (١٨٧/١٧).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/٢٣)، واللباب في علوم الكتاب (٨٦/١٤)، ومحاسن التأويل (٢٤٦/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٣٨، والتحرير والتنوير (١٨٧/١٧).

[4] ينظر: البسيط (٣٩٤/١٥)، والوسيط (٢٧١/٣) للوَاحِدِيّ، ومفاتيح الغيب (٣٠/٢٣).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٢٣/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٦/ ٤٦) وعزاه إلى ابن أَبِي شَيْبَة وابن جَرِير وابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم.

[6] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤٢٤/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٢٤/١٨).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٢٤/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٢٦/٦) وعزاه إلى سَعِيْدِ بنِ مَنْصُوْرٍ وعَبْد بن حُمَيْد وابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم.

[8] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٢٤٥/١٨)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١٤٩/٤).

[9] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٢٥/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٢٨/٣).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ أرجح القولين في الأجل المسمى القول الأول، وهو أنَّ منافع الهدايا تبقى بعد إيجابها وتسميتها هدياً؛ فله أن يركبها ويشرب لبنها عند الحاجة إلى أن ينحرها، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ هذا القول هو الموافق للسنة الصحيحة، ومن ذلك حديث أبي هُرَيْرَة أنَّ رسول الله -ﷺ- رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ:«ارْكَبْهَا، فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فقَالَ: ارْكَبْهَا وَيْحَكَ، أَوْ وَيْلَكَ»[١]. وفي صحيح مسلم أنَّ جَابِرًا سُئل عَنْ رُكُوبِ الْهَدْيِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النبي -ﷺ- يَقُولُ: « ارْكَبْهَا بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى تَجِدَ ظَهْرًا »[٢].

فالحديثان يدلان على إباحة ركوب الهدي والانتفاع به حين احتاج إليه صاحبه.

والقاعدة: أنَّ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [٣].

٢. السياق القرآني، فقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، ثم قال: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ أي: في الشعائر، ولا تسمى شعائر قبل إيجابها وتسميتها [٤]، وهذا يدل على إباحة الانتفاع بها، وهي تسمى شعائر.

والقاعدة: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على غيره [٥].

---

[١] سبق تخريجه ص٤٩٩ من البحث.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، رقم الحديث (٣٢٧٩)، (٩٢/٤).

[٣] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[٤] ينظر: البسيط (٣٩٤/١٥)، والوسيط للوَاحِدِيّ (٢٧١/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٠/٢٣).

[٥] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

١٢٠- المراد بالصَّلَوَات

في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وقوله: ﴿ **وَصَلَوَٰتٌ** ﴾ قال أبو إِسْحَاق[١] وأبو العبَّاس[٢]: هي كنائس اليهود، وهي بِالْعِبْرَانِيَّةِ صَلُوتَا[٣]. وهذا قول ابن عَبَّاس[٤]، وقَتَادَة[٥]، والضَّحَّاك[٦]...وقال ابن زَيْد: الصَّلوات: صلوات أهل الإسلام تنقطع إذا دخل عليهم العدو[٧]. وقال الأَخْفَش: وعلى هذا فالصَّلوات لا تهدم، ولكن يحمل على فعل آخر كأنَّه قال: وَتُرِكَتْ صَلَواتٌ[٨]. وقال أَبُو عُبَيْدَةَ: إنَّما يعني مواضع الصلوات[٩]. **والقول هو الأول**»[١٠].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالصَّلَوات في الآية:

القول الأول: أنَّها كنائس اليَهُوْد، وهو قول ابن عَبَّاس، والضَّحَّاك، وقَتَادَة -كما سبق-، ومُقَاتِل[١١].

---

[١] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٢] أراد بأبي العبَّاس: ثعلباً.

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٣٠/٣)، وتهذيب اللغة (١٦٨/١٢)، مادة (صلى).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٤٩/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٩/٦) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد.

[٥] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٩/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٤٩/١٨).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٤٩/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٩/٦) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٥٠/١٨)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٨٩/٥).

[٨] معاني القرآن للأَخْفَش (٤٥١/٢).

[٩] ينظر: مجاز القرآن (٥٢/٢). وعبارته: مجازها مصلّيات.

[١٠] البسيط (٤٣١/١٥).

[١١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٨٥/٢).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والسَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، والسَّمِين الحَلَبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[2].

القول الثاني: أنَّها الصَّلَوات حقيقة، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّها مساجد الصابئين، وهو قول أبي العَالِيَة[3].

القول الرابع: أنَّها مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق، وهو قول مُجَاهِد[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأظهر والأولى، هو أنَّ المراد بالصَّلَوات في الآية كنائس اليَهُوْد التي يصلون فيها، ويُقَوِّي هذا القول، ويُؤَيِّده:

١. أنَّه القول الأشهر في معنى الصَّلَوات في هذه الآية، قال الطَّبَرِيّ بعد اختياره لهذا القول:« وإنَّما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك؛ لأنَّ ذلك هو المعروف في كلام العرب المستَفِيضِ فيهم، وما خالفه من القول وإن كان له وَجْهٌ فغير مستعمل فيما وَجَّهَهُ إليه من وَجَّهَهُ إليه» [5].

---

[1] ينظر: البسيط (٤٣٣/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٧٣/٣)، والوجيز (٧٣٥/٢).

[2] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٢٧/٢)، وغريب القرآن ص٢٩٣، وتأويل مشكل القرآن ص ١٣٣، وجامع البيان (٦٥٠/١٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٤١٨/٤)، وبحر العلوم (٤٦٢/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٠١/٧)، والكشاف (١٦٢/٣)، وأنوار التنزيل (١٢٩/٤)، ولباب التأويل (٢٠/٥)، والدر المصون (٢٨٦/٨)، وإرشاد العقل السليم (١٠٩/٦)، وفتح القدير (٦٥٤/٣)، وروح المعاني (١٦٣/١٧)، ومحاسن التأويل (٢٤٩/٧)، والتحرير والتنوير (٢٠١/١٧).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٤٩/١٨)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٤٣٦/٥).

[4] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤٢٧/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٤٩/١٨).

[5] جامع البيان (٦٥٠/١٨).

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله -تعالى- على المعروف المشهور من كلام العرب دون القليل والشاذ[1].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقولهم مقدَّم على غيرهم؛ لأنَّه أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ[2].

[1] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٢١- المراد باليوم العقيم

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وأما التفسير: فقال ابن عَبَّاس: يريد يوم بدر[١] ...ورُوي عن عِكْرِمَة، والضَّحَّاك في قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ أنَّه القيامة[٢]. **والوجه القول الأول**؛ لأنَّ ذكر القيامة قد تقدَّم في قوله: ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد باليوم العقيم في الآية:

القول الأول: أنَّه يوم بدر، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-، وسَعِيْد بن جُبَيْر[٤]، ومُجَاهِد[٥]، وقَتَادَة[٦]، ومُقَاتِل[٧]. واختاره الوَاحِدِيّ[٨]، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن عَاشُور[٩].

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٣/١٢)، وضياء الدين في الأحاديث المختارة (٨٩/١٠).

[٢] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٧٢/١٨)، وذكره عنهما الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٧/٤).

[٣] البسيط (٤٧٧/١٥).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٧٢/١٨)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٧٠/٦) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم.

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٧٢/١٨)، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣٧/٤).

[٦] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٤١/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٧٢/١٨).

[٧] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٨٧/٢).

[٨] ينظر: البسيط (٤٧٨/١٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٧٧/٣)، والوجيز (٧٣٨/٢).

[٩] ينظر: جامع البيان (٦٧٢/١٨)، والكشف والبيان (٣١/٧)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٢١/٧)، والتحرير والتنوير (٢٢٢/١٧).

واعترض على هذا القول بأنَّه لا يتناسب مع سياق الآيات؛ فقوله: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ يلزم منه أنَّ الكفار ينتهي شكهم في يوم بدر، وليس كذلك فإنَّهم في مرية بعد يوم بدر. وقوله أيضاً بعد هذه الآية: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الحج: ٥٦]، يدل على أنَّه يوم القيامة[١].

القول الثاني: أنَّه يوم القيامة، وهو قول عِكْرِمَة، والضَّحَّاك -كما سبق-.

واختاره الزَّجَّاج، والرَّازِيّ، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[٢].

واعترض على هذا القول بأنَّ ذكر القيامة قد تقدَّم في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾، فلا وجه بأن يقال: حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أنَّ الساعة هي يوم القيامة[٣].

وأجيب: بأنَّه لا تكرار على هذا القول؛ لأنَّ في الأول ذكر الساعة، وفي الثاني ذكر عذاب ذلك اليوم، أو أنَّ المراد بالساعة مقدِّمات القيامة، وباليوم العقيم هو ذلك اليوم نفسه[٤].

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٤٩/٢٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٩٣/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤٦/٥)، واللباب في علوم الكتاب (١٢٩/١٤)، وإرشاد العقل السليم (١١٥/٦)، وأضواء البيان (٢٩١/٥).

[٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٣٥/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٩/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤٦/٥)، واللباب في علوم الكتاب (١٢٩/١٤)، وإرشاد العقل السليم (١١٥/٦)، وروح المعاني (١٧٥/١٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٤٢، وأضواء البيان (٢٩١/٥).

[٣] ينظر: جامع البيان (٦٧٢/١٨)، والكشف والبيان (٣١/٧)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٤٩٢١/٧).

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب (٤٩/٢٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٩٣/٥)، واللباب في علوم الكتاب (١٢٩/١٤).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقرب في اليوم العقيم هو يوم القيامة، لقوة دليله، فوَصَفَه بالعقم؛ لأنَّه لا خير فيه للكفار وهذا أولى من وصف يوم بدر، ولمناسبة الآية لسباقها ولحاقها، فقوله سباقاً: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ يدل على أنَّ الشك والتخبط مستمر مع هؤلاء إلى يوم القيامة، وقوله لحاقاً: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [الحج: ٥٦-٥٧]، يدل على تخصيص الملك والتصرف الكلي في ذلك اليوم لله -ﷻ-، ثم ما يقع فيه من حُكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الأخرويين؛ وهذا يقضي بأنَّ المراد به يوم القيامة قضاء بيِّناً لا ريب فيه [1]. ويؤيد ذلك قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [2].

وهذا لا يمنع من وصف يوم بدر بذلك؛ لكنَّه ألصق بيوم القيامة وأولى به.

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم (١١٥/٦).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٨٢/٦)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

١٢٢- المراد بقوله: ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ [١] في قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« واختلفوا في ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ فقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد الجبل الحَسَن [٢]...وقال الكَلبِيّ: ﴿ طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ الجبل المشَجَّر [٣]، وقيل: معنى ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ البركة، كأنَّه قيل: جبل البركة، وهذا قول ابن عَبَّاس في رواية عَطِيَّة[٤]. وقال مُجَاهِد: ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ حجارة [٥]. يعني أنَّ سَيْنَاء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها؛ لوجودها عنده. **والأصح في هذا** أن يقال: ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ اسم ذلك المكان الذي به هذا الجبل؛ لأنَّ سَيْنَاء لا تعرف في العربية. وهذا قول ابن زَيْد[٦]. قال: هو الجبل الذي نودي منه

---

[١] سيناء: قُرِئَتْ بفتح السين وكسرها، وهما قراءتان متواترتان. ينظر: السبعة في القراءات لابن مُجَاهِد ص ٤٤٤، والحجة للقراء السبعة (٢٨٩/٥). وسيناء شبه جزيرة تقع في الجزء الشمالي الشرقي من مصر، الموقع الإستراتيجي لها، ومفتاحها في قلب العالم بقاراته وحضاراته، ومحور الاتصال بين أفريقيا وآسيا، وبين المشرق والمغرب، لها شكل مثلث رأسها في الجنوب، تطل على البحر الأبيض المتوسط من الشمال، وعلى البحر الأحمر من الجنوب، بينما يحدها من الغرب خليج السويس وقناة السويس، أمَّا من الشرق فيحدها خليج العقبة وقطاع غزة وصحراء النقب. ينظر: معجم البلدان (٣٠٠/٣)، والموسوعة العربية العالمية (٤٢١/١٣)، وفي جغرافية مصر ص٨٢.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٦٦/٥) من رواية أَبِي صَالِحٍ عن ابن عَبَّاسٍ، وذكره أيضاً عن عَطَاء.

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٤٥/٣)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٩٦/٦) وعزاه لابن المُنْذِر كلاهما بلفظ (ذو شجر).

[٤] هو عَطِيَّة العَوْفِيُّ، والأثر أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٩)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٩٦/٦) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٩٦/٦) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٦٦/٥).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٩)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤١٤/٥).

مُوْسَى -عليه السلام-، وهو بين مصر وأَيْلَةَ[1]»[2].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿سَيْنَآءَ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ سَيْنَاء الجبل الحَسَن المنظر، وهو مروي عن ابن عَبَّاس-كما سبق-، وقال به الضَّحَّاك[3]، وقَتَادَة[4].

القول الثاني: أنَّه الجبل الكثير الشَّجر، وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّه الجبل المبارك، وهو مروي عن ابن عَبَّاس -كما سبق-، وقال به مُجَاهِد[5].

القول الرابع: أنَّه اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها؛ لوجودها عنده، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

القول الخامس: أنَّه اسم لمكان الجبل الذي نودي منه مُوْسَى -عليه السلام-، وهو مروي عن ابن عَبَّاس[6]، وقال به ابن زَيْد -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[7]، والطَّبَرِيّ،

---

[1] أَيْلَةُ: بِفَتْح الْهمزَة وبتاء تَأْنِيث فِي آخِره، تقع على ساحل البحر الأحمر، وهي الآن قسمان متجاوران (منطقة رأس خليج العقبة) أحدهما يعرف باسم العقبة، ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، على رأس خليج العقبة أحد شعبتي البحر الأحمر، والقسم الآخر منها يقع على خليج العقبة من الناحية المقابلة، ويعرف عند الفلسطينيين بأم الرشراش، ويسميها اليهود بإيلات.

ينظر: معجم ما استعجم (٢١٦/١)، ومعجم البلدان (٢٩٢/١)، ومعجم المعالم الجغرافية ص٣٥.

[2] البسيط (٥٤٧/١٥).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٩)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٦٦/٥).

[4] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٤٥/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٩).

[5] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤٣٠/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/١٩).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٩) من طريق عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١٧٠/٤).

[7] ينظر: البسيط (٥٤٨/١٥)، واختاره في الوسيط (٢٨٧/٣)، واقتصر عليه في الوجيز (٧٤٥/٢).

وابن عَطِيَّة، وأبو حيَّان، والقَاسِمِيّ[1]، وهو قول الجمهور[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقوال السابقة في مجملها تدور حول اسم هذا الجبل، أو وصفه بأنَّه مبارك، أو كثيف الشَّجر، أو حَسَن المنظر، ويمكن أن تكون هذه الأوصاف المتنوعة كلها لهذا الجبل الذي نودي منه مُوْسَى -عليه السلام-، والذي يترجح هو ما عليه الجمهور أنَّ سَيْنَاء اسم ذلك المكان الذي به هذا الجبل.

أما القول بأنَّ سَيْنَاء بمعنى: مبارك وحسن، فلا يعرف في العربية.

قال الطَّبَرِيّ:« والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سَيْنَاء اسم أضيف إليه الطُّور يعرف به، كما قيل: جَبَلَا طَيِّئ، فأضيفا إلى طَيِّئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مباركٌ، أو كما قال من قال: معناه حَسَنٌ، لكان الطور منوّناً، وكان قوله: ﴿سَيْنَآءَ﴾ من نعته، على أنَّ سَيْنَاء بمعنى مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك – إن شاء الله – كما قال ابن عَبَّاس، من أنَّه جبل عرف بذلك، وأنَّه الجبل الذي نودي منه مُوْسَى -عليه السلام-، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سَيْنَاء: معنى مبارك»[3].

ويُؤَيِّد هذا القول القاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢٢/١٩)، والمحرر الوجيز (١٧١/٤)، والبحر المحيط (٣٧١/٦)، ومحاسن التأويل (٢٨٦/٧).

[2] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١٧١/٤)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣٧١/٦)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٩٤/٣).

[3] جامع البيان (٢٢/١٩).

[4] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، ، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

١٢٣- المراد بالعذاب

في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وقوله: ﴿ **بِٱلۡعَذَابِ** ﴾ يعني بالسيوف يوم بدر، وهو قول ابن عَبَّاس[١]، ومُجَاهِد[٢]، وقَتَادَة[٣]، ومُقَاتِل[٤]...وقال الكَلبِيّ[٥]، والضَّحَّاك[٦]: يعني بالجوع سبع سنين، حين دعا عليهم رسول الله -ﷺ-[٧]. **والقول هو الأول**، وهو اختيار أبي إِسْحَاق[٨] قال: العذاب الذي أُخِذُوا به السيف[٩]»[١٠].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالعذاب في الآية:

---

[١] أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة المؤمنون، رقم الحديث (١١٣٥٣)، (٤١٣/٦)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٢٢/٥).

[٢] أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٠/١٩)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (١٠٧/٦) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن المُنْذِر وابن أبي حَاتِم.

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٤٧/٣)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (١٠٧/٦) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن أبي حَاتِم.

[٤] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٠٠/٢).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٤٨٥/٢)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٨٢/٥).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٢٢/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٣٥/١٢).

[٧] ثبت عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنَّ النبي -ﷺ- كان يقول في قنوته:« اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ ». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم الحديث (٢٧٧٤)، (١٠٧٢/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، رقم الحديث (١٥٧٤)، (١٣٥/٢).

[٨] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٩] معاني القرآن وإعرابه (١٨/٤).

[١٠] البسيط (١٩/١٦).

القول الأول: أنَّه ضرب السيوف يوم بدر، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُجَاهِد، وقَتَادَة، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج[2].

القول الثاني: أنَّه الجوع الذي عذبوا به سبع سنين، وهو قول الضَّحَّاك، والكَلْبِيّ -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّه عذاب الآخرة. واختاره أبو السُّعُوْد، والشَّنْقِيطِيّ[3].

واستدل لهذا القول بما ذكره أبو السُّعُوْد، حيث قال:« والحق أنَّه العذاب الأخروي؛ إذ هو الذي يفاجئون عِنده بالجُؤَار، فيجابون بالرد والإقناط من النصر والنجدة، وأمَّا عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جُؤَار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[المؤمنون: ٧٦]، فإنَّ المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر. وأما عذاب الجوع، فإنَّ أَبا سُفْيَان وإن تضرع فيه إلى رسول الله -ﷺ-، لكن لم يرد عليه بالإقناط، حيث روي: أنَّه -ﷺ- قد دعا بكشفه، فكشف عنهم ذلك»[4]»[5].

---

[1] ينظر: البسيط (١٩/١٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٩٤/٣)، وفي الوجيز (٧٥٠/٢) اقتصر على القول الثاني.

[2] ينظر: جامع البيان (٥٠/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٨/٤).

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم (١٤٢/٦)، وأضواء البيان (٣٣٧/٥).

[4] جاء في الصحيحين عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنَّ النبي -ﷺ- لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، فَقَالَ:«اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ» قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَى كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ - ﷻ -:﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾[الدخان: ١٠-١٥]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي -ﷺ-: (اجعلها عليهم سنين كسنيِّ يوسف)، رقم الحديث (٩٦٢)، (٣٤١/١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدُّخَان، رقم الحديث (٧٢٤٤)، (٨/ ١٣٠).

[5] إرشاد العقل السليم (١٤٢/٦).

وأجاب عنه الشَّوكَانيّ بقوله:«وقيل: المراد بالعذاب عذاب الآخرة، ورجح هذا بأنَّ ما يقع منهم من الجُؤَار إنَّما يكون عند عذاب الآخرة؛ لأنَّه استغاثة بالله، ولم يقع منهم ذلك يوم بدر ولا في سني الجوع، ويجاب عنه: بأنَّ الجؤار في اللغة الصراخ والصياح، قال الجَوْهَرِيّ: الجُؤَارُ مثل الخُوَار جأَر الثور يَجْأَرُ: أي صاح[1] وقد وقع منهم ومن أهلهم وأولادهم عندما عذبوا بالسيف يوم بدر، وبالجوع في سني الجوع، وليس الجُؤَارُ ها هنا مقيد بالجُؤَار الذي هو التضرع بالدعاء حتى يتم ما ذكره ذلك القائل»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ المراد بالعذاب في الآية هو عذاب دنيوي لا أخروي؛ ويُؤَيِّدُ هذا القول:

١. أنَّه المنقول عن السلف، والقاعدة الترجيحية: أنَّ تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[3].

٢. أنَّ هناك قرينة في الآيات اللاحقة تدل على أنَّ العذاب في الدنيا، وهو قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[المؤمنون: ٧٥][4]، والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[5].

والعذاب الدنيوي هذا إما أنَّ يكون عذاب السيف والقتل يوم بدر أو عذاب الجوع والقحط؛ لكن أكثر المفسرين على أنَّ المراد بالعذاب في قوله تعالى بعدها: ﴿ **وَلَقَدْ**

---

[1] الصحاح للجَوْهَرِيّ (١٧٠/٣)، مادة (جأر).

[2] فتح القدير (٧٠٢/٣).

[3] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وإعلام الموقعين عن رب العالمين (١٦٢/٤)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٣/١).

[4] ينظر: التحرير والتنوير (٦٦/١٨).

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

﴿ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، هو عذاب الجوع والقحط[1]، بدليل ما جاء عن ابن عَبَّاس أنَّه قال: جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، فَقَدْ أَكَلْنَا العِلْهِزَ -يَعْنِي الْوَبَرَ وَالدَّمَ-، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[2]. فدل ذلك على أنَّ العذاب في الآية الأولى، وهو قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ هو عذاب السيف والقتل يوم بدر، ومن المعلوم أنَّ هذا العذاب قد وقع قبل عذاب الجوع والقحط.

[1] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩/٤)، وبحر العلوم (٤٨٧/٢)، والوسيط (٢٩٥/٣)، ومعالم التنزيل (٤٢٥/٥)، والمحرر الوجيز (١٨٥/٤)، وزاد المسير (٤٨٥/٥)، ولباب التأويل (٤٢/٥)، والبحر المحيط (٣٨٣/٦)، والجواهر الحسان (١٠٢/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٥٦.

[2] أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة المؤمنون، رقم الحديث (١١٣٥٢)، (٤١٣/٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم الحديث (٩٦٧)، (٢٤٧/٣). وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب سورة المؤمنون، رقم الحديث (٣٤٨٨)، (٢/ ٤٢٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

١٢٤- سبب نزول آيات اللعان

وهي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦-٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« هذه ثلاثة أقوال في الواجد امرأته مع رجل: أحدها: أنَّه هِلَال بن أُمَيَّة[١]. والثاني: أنَّه عُوَيْمِر العَجْلَانِيّ[٢]. والثالث: أنَّه عَاصِم[٣]. واتفقوا على أنَّ الموجود زانياً هو شَرِيك[٤]. **والأظهر** أنَّ الواجد كان عُوَيْمِر لكثرة ما روي أنَّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَاعَنَ بين العَجْلَانِيّ وامرأته»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في سبب نزول آيات اللعان:

القول الأول: أنَّه هِلَال بن أُمَيَّة، وهذا القول نسبه النَّوَوِيّ إلى جمهور العلماء[٦].

---

[١] هِلَال بن أُمَيَّة الأَنْصَارِيّ الواقفي، شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فنزل في توبتهم قرآن. ينظر: الاستيعاب (١٥٤٢/٤)، والإصابة (٥٤٦/٦).

[٢] عويمر بْن الْحَارِث بْن زَيْد العَجْلَانِيّ الأَنْصَارِيّ، هو الذي رمى زوجته بشَرِيك بن سَحْمَاء، فلاعن رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بينهما، وذلك فِي شعبان سنة تسعٍ من الهجرة. ينظر: الاستيعاب (١٢٢٦/٣)، الإصابة (٧٤٦/٤).

[٣] عَاصِم بنِ عَدِيّ بن الجدّ العَجْلَانِيّ، سيد بني عجلان، حليف الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، توفي سنة ٤٥هـ. ينظر: الاستيعاب (٧٨١/٢)، والإصابة (٥٧٢/٣).

[٤] شَرِيكُ بن سَحْمَاءَ، وسَحْمَاء اسم أمه، وكانت أَمَة، واسم أبيه عبدة بن مغيث العَجْلَانِيّ، وهو أخو البراء بن مالك، يقال: شهد هو ووالده أحداً. ينظر: الاستيعاب (٧٠٥/٢)، والإصابة (٣٤٤/٣).

[٥] البسيط (١٣٣/١٦).

[٦] ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١١٩/١٠).

واستدلوا بما ثبت عن ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « الْبَيِّنَةُ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ. فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[النور: ٦- ٩][1].

وأيضاً بما ثبت أنَّ أَنَس بن مَالِك - رضي الله عنه - قال:« إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ، وَكَانَ أَخَا الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ[2] لأُمِّهِ، وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ لاَعَنَ فِي الإِسْلاَمِ »[3].

القول الثاني: أنَّه عُوَيْمِر العَجْلَانِيّ.

واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والقُرْطُبِيّ، وابن عَاشُور[5].

واستدل لهذا القول بما ثبت عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ عُوَيْمِرًا أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ ذَلِكَ. فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، رقم الحديث (٤٤٧٠)، (١٧٧٢/٤).

[2] البَرَاءُ بنُ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ ضَمْضَمٍ الأَنْصَارِيُّ، أخو أنس بن مالك لأبيه، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، أحد الفضلاء والأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك، وأمر أصحابه يوم حرب مسيلمة الكذاب أن يحتملوه على ترس، على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً فيه، توفي سنة ٢٠ هـ.

ينظر: الاستيعاب (١٥٣/١)، والإصابة (٢٧٩/١).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، رقم الحديث (٣٨٣٠)، (٢٠٩/٤).

[4] ينظر: البسيط (١٣٤/١٦)، واقتصر في الوسيط (٣٠٦/٣) على القول الأول، ولم يذكر في الوجيز (٧٥٧/٢) سبب نزول الآية.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨٤/١٢)، والتحرير والتنوير (١٣١/١٨).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمَسَائِلَ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا. قَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- عَنْ ذَلِكَ. فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:« قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ»[1].

وتعقَّبه ابن حَجَر بأنَّه مرجوح؛ لأنَّ الجمع مع إمكانه أولى من الترجيح[2].

القول الثالث: أنَّه عَاصِم بن عَدِيّ.

وتعقَّبه ابن حَجَر بقوله: «وأمَّا قول النَّوَوِيّ...وقيل عَاصِم بن عَدِيّ ففيه نظر؛ لأنَّه ليس لِعَاصِمٍ فيه قصة أنَّه الذي لَاعَنَ امرأته، وإنَّما الذي وقع من عَاصِمٍ نظير الذي وقع من سَعْد بن عُبَادَة [3]»[4].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، رقم الحديث (٤٤٦٨)، (١٧٧١/٤).

[2] فتح الباري لابن حجر (٤٥١/٨).

[3] الحديث الذي ذُكر فيه سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رواه عِكْرِمَةُ عن ابن عَبَّاسٍ، قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [النور: ٤] قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنْصَارِ: « أَهَكَذَا أُنْزِلَتْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَلُمْهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ، وَاللهِ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا بِكْرًا، وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَأَنَّهَا مِنَ اللهِ وَلَكِنِّي قَدْ تَعَجَّبْتُ أَنِّي لَوْ وَجَدْتُ لَكَاعًا قَدْ تَفَخَّذَهَا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهِيجَهُ وَلَا أُحَرِّكَهُ، حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَوَ اللهِ لَا آتِي بِهِمْ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ، قَالَ: فَمَا لَبِثُوا إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى جَاءَ هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ...». الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣٨٨/٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، (٣٣/٤)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه:" حديث حسن، عباد بن منصور -وإن كان فيه ضعف من جهة حفظه- قد توبع على بعضه، وقد صرح بالسماع عند الطيالسي والطبري والبيهقي، وباقي رجاله ثقات" ينظر: مسند أحمد (٣٣/٤).

وسَعْدُ هو: سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ بنِ دُلَيْمِ بنِ حَارِثَةَ الأَنْصَارِيُّ، أبو ثابت، سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام، كان يلقب في الجاهلية بالكامل؛ لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة، وهو أحد النقباء الاثني عشر، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد أحداً والخندق وغيرهما، توفي سنة ١٤هـ.

ينظر: الاستيعاب (٥٩٤/٢)، والإصابة (٦٥/٣).

[4] فتح الباري لابن حجر (٤٥١/٨).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّه لا تعارض بين القولين الأول والثاني بعد استبعاد القول الثالث لضَعْفه؛ إذ لا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النّزول، وقول جَابِر – رضي الله عنه –: «ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال»[1]، يُؤَيِّد ذلك؛ لما فيه من الدلالة على تكرر السؤال من الصحابة – رضي الله عنهم –.

قال ابن حَجَر: «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع، فمنهم من رجح أنَّها نزلت في شأن عُوَيْمِر، ومنهم من رجح أنَّها نزلت في شأن هِلَال، ومنهم من جمع بينهما بأنَّ أول من وقع له ذلك هِلَال وصادف مجيء عُوَيْمِر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد، وقد جنح النَّوَوِيّ إلى هذا، وسبقه الخَطِيبُ فقال: لعلهما اتفق كونهما جاءا في وقت واحد، وَيُؤَيِّد التعدد أنَّ القائل في قصة هِلَال سَعْد بن عُبَادَة...والقائل في قصة عُوَيْمِر عَاصِم بن عَدِيّ كما في حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ...ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول»[2].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ المرويات إذا تعددت في سبب النزول، نُظر إلى الثبوت، فاقتُصر على الصحيح، ثم العبارة، فاقتُصر على الصريح، فإن تقارب الزمان حُمل على الجميع، وإن تباعد حُكِم بتكرار النزول أو الترجيح [3].

وقصة هِلَال بن أُمَيَّة وعُوَيْمِر العَجْلَانِيّ، الروايتان فيهما صحيحتان وصريحتان في سبب النزول، كما أنَّ القصتين متقاربتان في الزمن.

---

[1] أخرجه الخَطِيب الْبَغْدَادِيّ في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة (٧ /٤٨١)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٦/ ١٣٩) وعزاه إلى الْبَزَّار.

[2] فتح الباري لابن حجر (٨/٤٥٠).

[3] ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/١٢١)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١/٦٩).

أما قول أَنَس بن مَالِك - رضي الله عنه -: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ لاَعَنَ فِي الإِسْلاَمِ [1].

فقد أجاب عنه النَّوَوِيّ بقوله:« ويحتمل أنَّها نزلت فيهما جميعاً، فلعلهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما، وسبق هِلاَل باللعان، فيصدق أنَّها نزلت في ذا وفي ذاك، وأنَّ هلالاً أول من لاعنَ، واللَّه أعلم»[2].

❁ ❁ ❁ ❁

[1] سبق تخريجه ص٥١٦ من البحث.

[2] ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٠/١٢٠).

١٢٥- المراد بـ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ ﴾

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« والذي تولى كبره مختلف فيه: فقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: هو عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ[١]. وقال قوم: الذي تولى كبره هو حَسَّان بن ثَابِت. **والقول هو الأول؛** لما رُوي عن الشَّعبيّ: أنَّه قيل لعَائِشَة: إنَّ حَسَّان بن ثَابِت هو الذي تولى كبره؟ فقالت: معاذ الله، سمعت رسول الله يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّد حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ في شعره»[٢]»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالذي تولى كبره في الآية:

---

[١] أخرجه الطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٣٠/٢٣).

[٢] لم أجده بلفظه. ولكن أخرج الترمذي في جامعه، كتاب الأدب، باب إنشاد الشعر، رقم الحديث (٢٨٤٦)، (١٣٨/٥)، والحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة -رضي الله عنهم-، باب ذكر مناقب حَسَّان بن ثَابِت، رقم الحديث (٦٠٥٨)، (٥٥٤/٣) حديث عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا يُنَافِحُ أَوْ يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-». وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الجامع رقم الحديث (١٨٦٥)، (٣٨٠/١). وأخرج الطبري في تفسيره (١١٧/١٩) من طريق الشَّعبيّ عن عَائِشَة -رضي الله عنها- قالت: «مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ...وفيه قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ قَالَتْ: أَلَيْسَ قَدْ أَصَابَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ؟ أَلَيْسَ قَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَكُنِّعَ بِالسَّيْفِ؟».

[٣] البسيط (١٥٧/١٦).

القول الأول: أنَّه عَبْدُ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ، وهذا القول مروي عن عَائِشَة رواه عنها جمعٌ من السلف كعُرْوَة بن الزُّبَيْر، وسَعِيْد بن المسَيِّب، وعَلْقَمَة بن وَقَّاص[١]، وقال به ابن عَبَّاس -كما سبق-، وسَعِيْد بن جُبَيْر[٢]، ومُجَاهِد[٣]، وابن زَيْد[٤].

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والزَّمخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، والسُّيوطِيّ، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور [٦]، وهو قول الجمهور [٧].

---

[١] أخرجه عنهم عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٥٢/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١١٩/١٩).

وعُرْوَةُ هو: عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر بن العَوَّام بنِ خُوَيْلِد بن أَسَد القُرَشِيّ الأَسَدِيّ، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة، كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن، توفي سنة ٩٤هـ.

ينظر: طبقات الفقهاء ص ٥٨، وسير أعلام النبلاء (٤٢١/٤).

وعَلْقَمَةُ هو: عَلْقَمَةُ بنُ وَقَّاصِ بنِ مِحْصَنِ بنِ كَلَدَةَ اللَّيْثِيُّ، من التابعين، ولد على عهد رَسُول اللَّهِ -ﷺ-، توفي بالمدينة في خلافة عبد الملك بن مروان. ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٠٨٨)، والإصابة (٦٦/٥).

[٢] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٤٥/٨)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٣٨/٢٣).

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤٣٧/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢٠/١٩).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١١٩/١٩)، وذكره القَاسِمِيّ في محاسن التأويل (٣٣٦/٧).

[٥] ينظر: البسيط (١٦٠/١٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٣١١/٣)، والوجيز (٧٥٨/٢).

[٦] ينظر: جامع البيان (١٢٠/١٩)، والكشاف (٢٢١/٣)، ومفاتيح الغيب (١٥٢/٢٣)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠٠/١٢)، ومدارك التنزيل (٤٩٢/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٦٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٥/٦)، والجواهر الحسان (١١١/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٣٢١/١٤)، ومعترك الأقران (٣٧٣/١)، وفتح القدير (١٩/٤)، وروح المعاني (١١٧/١٨)، ومحاسن التأويل (٣٣٦/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٣، والتحرير والتنوير (١٣٩/١٨).

[٧] حكاه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٨٠/٤)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (١١٧/١٨)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (١٣٩/١٨).

واستُدل لهذا القول بما ثبت عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: «﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ بن سَلُول»[1].

القول الثاني: أنَّه حَسَّان بن ثَابِت، وهذا القول مروي عن الشَّعبيّ -كما سبق-، ومَسْرُوق، فقد ثبت عَنْه أنَّه قَالَ: دَخَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى عَائِشَة - رضي الله عنها -، فقُلْتُ:« تَدَعِينَ مِثْلَ هَذَا يَدْخُلُ عَلَيْكِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنْ الْعَمَى، وَقَالَتْ: وَقَدْ كَانَ يَرُدُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الصواب ما عليه جمهور المفسرين من أنَّ المراد بالذي تولى كبره هو رأس النفاق عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ بن سَلُول، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ عَائِشَة - رضي الله عنها - قد نصت على أن الذي تولى كبره هو عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ، وهي التي عاشت هذه القصة، وقاست أحداثها العظام حتى نزلت الآيات في براءتها.

٢. سياق الآيات فيه إشارة إلى عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ، حيث ذكر فيه الوعيد بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ففيه إنباء بأنَّه يموت على الكفر فيعذب العذاب العظيم في الآخرة، وهو عذاب الدرك الأسفل من النار، وأمَّا بقية العصبة فلهم من الإثم بمقدار ذنبهم، وفيه إيماء بأن الله يتوب عليهم إن تابوا كما هو الشأن في هذا الدين[3]، أما عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ بن سَلُول فقد مات منافقاً على الكفر، وقد صلى عليه النبي -ﷺ-

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[النور: ١١]، رقم الحديث (٤٤٧٢)، (٤/١٧٧٤).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٨]، رقم الحديث (٤٤٧٨)، (٤/١٧٧٩).

[3] ينظر: التحرير والتنوير (١٨/١٣٩).

فنهاه الله - ﷻ- عن الصلاة على أحد من المنافقين بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] [١].

٣. أنَّ المراد بقوله: ﴿ تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ أي: تحمَّل معظمه، وبدأ بالخوض فيه، وعَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ هو من بدأ بحديث الإفك، قال ابن زَيْد: «أمَّا الذي تولى كبره منهم، فعَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ بن سَلُول الخبيث، هو الذي ابتدأ هذا الكلام، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقود بها»[٢].

وقال الطَّبَرِيّ:« لا خلاف بين أهل العلم بالسير، أنَّ الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم، عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ بن سَلُول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر»[٣].

أمَّا القول بأنَّ الذي تولى كبره حَسَّان بن ثَابِت، فهو قول بعيد وغريب، وقد نص على ذلك ابن كَثِيْر في تفسيره بقوله: « وقيل: بل المراد به حَسَّان بن ثَابِت، وهو قول غريب، ولولا أنَّه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنَّه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنَّه كان يَذُب عن رسول الله -ﷺ- بشعره، وهو الذي قال له رسول الله -ﷺ-: «هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»[٤]»[٥].

---

[١] قصة وفاة عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ بن سلول ، وصلاة النبي -ﷺ- عليه أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠]، رقم الحديث (٤٣٩٣)، (١٧١٥/٤)، وأخرجها مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عُمَر -رضي الله عنه-، رقم الحديث (٦٣٦٠)، (١١٦/٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١١٩/١٩)، وذكره القَاسِمِيّ في محاسن التأويل (٣٣٦/٧).

[٣] جامع البيان (١٢٠/١٩).

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث (٣٠٤١)، (١١٧٦/٣).

[٥] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٥/٦).

١٢٦- المراد بالمحصنات الوارد حكمهنّ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« اختلف المفسرون في حكم هذه الآية. فقال مُقَاتِل بن سُلَيْمَان: هذه الآية في عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ المنافق ورميه عَائِشَة[١]. وقال سَعِيْد بن جُبَيْر: هذه الآية خاصة فيمن يقذف عَائِشَة، فمن قذفها كان من هذه الآية[٢]. وقال الضَّحَّاك[٣]، والكَلبِيّ[٤]: هذه الآية في عَائِشَة وأزواج النبي -ﷺ- خاصة دون سائر المؤمنات. ورُوي عن أبي حَمْزَة الثُّمَالِيّ[٥]: أنَّها نزلت في مشركي مكة، كانت المرأة إذا خرجت مهاجرة قالوا: خرجت لتفجر، فنزلت الآية فيهم[٦]...وعلى هذا حكم الآية فيمن قذف مؤمنة ولم يتب فإنَّه يعذب في الدنيا بالجلد وفي الآخرة بالنار، فإن تاب فكان ممن ذكر حكمه في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٥]، وهذه الآية ذكرت بعد رمي المحصنة وقد مرت في هذه السورة. **والصحيح** أنَّ الآية خاصة في قذف عَائِشَة وأزواج النبي -ﷺ-»[٧].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤١٤/٢).

[٢] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٨/١٩)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٥١/٢٣).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٨/١٩)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٥٢/٢٣) دون لفظ (عائشة).

[٤] أخرجه عنهما عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢/ ٥٥)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٥٣/٢٣)، ولفظهما: «إنما عنى بهذه الآية أزواج النبي -ﷺ-».

[٥] ثابت بن دينار الثُّمَالِيّ الْأَزْدِيّ بالولاء، أبو حمزة، وَهُوَ كُوفِي، قالوا: كان ضعيفاً كثير الوهم في الأخبار، توفي سنة ١٤٨هـ. ينظر: الوافي بالوفيات (٢٨٤/١٠)، والأعلام (٩٧/٢).

[٦] أخرجه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٨٢/٧)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢٥/٦).

[٧] البسيط (١٧٨/١٦).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالمحصنات الوارد حكمهنّ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد عَائِشَة - رضي الله عنها - خاصة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه[1]، وسَعِيْد بن جُبَيْر، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واستُدل لهذا القول بما روي عن عَائِشَة - رضي الله عنها - أنَّها قالت: «رُمِيتُ بِمَا رُمِيتُ بِهِ وَأَنَا غَافِلَةٌ، فَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- عِنْدِي إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ...فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: « أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ »، فَقُلْتُ: بِحَمْدِ اللهِ - عز وجل- لَا بِحَمْدِكَ، فَقَرَأَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾[النور:٢٣] حَتَّى بَلَغَ:﴿ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾[النور:٢٦]»[2].

القول الثاني: أنّ المراد عَائِشَة وأزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه[3]، والضَّحَّاك، والكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[4].

القول الثالث: أنَّ الآية في المهاجرات، قاله أبو حَمْزَة الثُّمَالِيّ -كما سبق-.

القول الرابع: أنَّها عامة في أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- وغيرهن، وهو قول ابن زَيْد[5].

---

[1] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٥٧/٨)، والحَاكم في المستدرك (١١/٤) من طريق سَعِيْد بن جُبَيْر.

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند الصديقة عَائِشَة بنت الصديق - رضي الله عنها - (٢٤٥/٤١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٨/١٩) عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عَائِشَة - رضي الله عنها -. قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه: «حديث صحيح دون ذكر الآيات التي أنزلت، وهذا إسناد ضعيف لضعف عمر بن أبي سلمة، وهو ابن عبد الرحمن بن عوف، فقد جاء في الرواية الصحيحة فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[النور: ٢٣] عشر آيات» ينظر: مسند أحمد (٢٤٥/٤١).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٨/١٩)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٥٣/٢٣) من طريق عطية العوفي.

[4] ينظر: البسيط (١٨٠/١٦)، وذكر في الوسيط (٣١٣/٣) القولين الأولين ولم يرجح، واقتصر عليه في الوجيز (٧٦٠/٢).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٩/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٥٧/٨).

واختاره الطَّبَرِيّ، والرَّازِيّ، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والشَّنْقِيطِيّ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأرجح هو القول الرابع، وهو أنَّ الآية عامة في جميع نساء المسلمين، خلافاً لمن قصرها على سببها، أو جعلها خاصة بأمهات المؤمنين، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ الخطاب في الآية عام فيجب إجراؤه على عمومه؛ والآية وإن كانت نزلت في أم المؤمنين عَائِشَة - رضي الله عنها -، إلا أنَّ الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويدخل سبب النزول فيها دخولاً أولياً[2].

وما ورد في الآية من الوعيد الشديد كائن في حق من يرمي مؤمناً أو مؤمنة ولا يتوب من ذلك؛ لأنَّ عموم نصوص الكتاب والسنة دالة على أنَّ من تاب إلى الله - عز وجل- من ذنبه توبة نصوحاً تقبلها منه، وكفر عنه ذنبه ولو كان من الكبائر[3].

٢. يُعَضِّدُ هذا القول عموم ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ:« الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ»[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان (١٩/١٤٠)، ومفاتيح الغيب (٢٣/١٦٨)، والبحر المحيط (٦/٤٠٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٣٣)، وأضواء البيان (٥/٤٣١).

[2] ينظر: جامع البيان (١٧/٢٨٣)، ومفاتيح الغيب (٤/١٤٧)، (٥/٢٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣١/٢٨)، والبحر المحيط (١/٦٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣/١٩)، والكليات ص٩٥٥، ومحاسن التأويل (٤/١٤٧)، والقواعد الحسان لتفسير القرآن ص١١، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤، وأضواء البيان (٣/٣٠٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٨١).

[3] ينظر: أضواء البيان (٥/٤٣٠).

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، رقم الحديث (٦٤٦٥)، (٦/٢٥١٥). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث (٢٧٢)، (١/٦٤).

١٢٧- المراد بالخير

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « قوله: ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد قوة على الكسب وأداء للمال[١]...وكثير من المفسرين ذهب إلى أنَّ المراد بالخير هاهنا المال... **والأظهر هو القول الأول**؛ لأنَّه لو كان المراد بالخير المال لقيل: (إن علمتم لهم خيراً)...فلما قيل: ﴿ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ كان **الأظهر** الاكتساب والوفاء وأداء الأمانة»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالخير في الآية:

القول الأول: أنَّه القدرة على الاحتراف والكسب مع الأمانة، وهو مروي عن ابن عَبَّاس[٣]، وابن عُمَر[٤]، وزَيْد بن أَسْلَم[٥]، وقال به الشَّافِعِيّ[٦].

---

[١] لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن أخرج الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٨٤/٨)، والبَيْهَقِيّ في السنن الكبرى (٣١٧/١٠) عن عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة عن ابن عَبَّاس قال: إِنْ عَلِمْتُمْ لَهُمْ حِيلَةً، وَلَا تُلْفُوا مَؤُنَتَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وأخرج البَيْهَقِيّ في السنن الكبرى (٣١٧/١٠) عن يزيد بن أبي حبيب أن ابن عَبَّاس كان يقول: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ إن علمت أن مَكَاتِبَك يَقْضِيك، وأخرج أيضاً من طريق الضحاك عن بن عباس أنَّه قال: في قوله: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ قال أمانة ووفاء.

[٢] البسيط (٢٣٥/١٦).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٨٤/٨) من طريق عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة.

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣٧٤/٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٩).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٨٥/٨).

[٦] ينظر: الأم (٣٣/٨)، وأحكام القرآن للشَّافِعِيّ (١٦٨/٢).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والقُرْطُبِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن عَاشُور[2].

القول الثاني: أنَّه المال، وهو مروي عن ابن عَبَّاس[3]، ومُجَاهِد[4]، وعَطَاء[5]، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[6].

واستُدل لهذا القول بأنَّه أطلق الخير على المال في قوله تعالى: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ** ﴾ [البقرة: ١٨٠][7].

واعترض عليه بأنَّه لو أراد بالخير المال، لقال: (إن علمْتُم لَهُم خيرا)، فلما قال: (فيهم) كان الأظهر الاكتساب والوفاء وأداء الأمانة، وأيضاً فإنَّ العبد لا مال له، بل المال لسيده[8].

القول الثالث: أنَّه المال والأمانة، وهو مروي عن مُجَاهِد، وطَاوُوْس[9].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٣٨/١٦)، واختاره في الوسيط (٣١٩/٣)، واقتصر عليه في الوجيز (٧٦٣/٢).

[2] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٥١/٢)، وجامع البيان (١٧٠/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٠/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/١٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٨٨/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٥٢٤/٢٩)، والتحرير والتنوير (١٧٥/١٨).

[3] أخرجه عنه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٩/١٩) من طريق عطية العوفي، وأخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٨٤/٨) من طريق عطاء.

[4] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥٣٠/٤)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٩/١٩) من طريق شُعْبَة عن الْحَكَم.

[5] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥٣٠/٤)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٩/١٩).

[6] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤١٨/٢).

[7] ينظر: معالم التنزيل (٤٢/٦)، ومفاتيح الغيب (١٨٩/٢٣)، واللباب في علوم الكتاب (٣٧٣/١٤)، وروح المعاني (١٥٥/١٨).

[8] ينظر: جامع البيان (١٧٠/١٩)، والوسيط للوَاحِدِيّ (٣١٩/٣)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٥٢٨/٣)، ومعالم التنزيل (٤٢/٦)، ومفاتيح الغيب (١٨٩/٢٣)، ولباب التأويل (٧٤/٥).

[9] أخرجه عنهما ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥٢٩/٤)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٨/١٩) عن ابن أَبِي نَجِيحٍ عن مُجَاهِد وَطَاوُوْس.

القول الرابع: أنَّه الصَّلاح في الدين، وهو مروي عن الحَسَن[1]، ويتضمن هذا القول قول من فسَّره بالصدق والوفاء كما روي عن إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ[2]، أو من فسَّره بإقامة الصلاة كما روي عن عَبِيدَة السَّلْمَانِيّ[3].

وتعقبه الجَصَّاص بقوله: « وما روي عن عَبِيدَة إذا صلى فلا معنى له؛ لأنَّه جائز مكاتبة اليهودي والنصراني بالآية»[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ أولى الأقوال وأظهرها القول الأول، وهو أنَّ المراد بالخير في الآية القدرة على الكسب مع أداء الأمانة؛ وذلك أنَّ الكتابة تراعى فيها المصلحتان؛ مصلحة العتق والحرية، ومصلحة العِوَض الذي يبذله في فداء نفسه[5].

والمكاتب قد يكون صالحاً في دينه عنده الصدق والوفاء غير قادر على الكسب فلا يؤدي، فيكون في مكاتبته ضرر على السيد، وذلك خلاف المقصود من الكتابة.

كما أنَّه قد يكون قوياً قادراً على الاكتساب فلا يؤدي إذا لم يكن ذا أمانة؛ فيضيع ما كسبه فلا يحصل المقصود.

وأمَّا من تأول الخير هنا بالمال، فقد ضعَّف تأويله لفظاً ومعنى:

أمَّا اللفظ فقالوا: إنَّ المال لا يكون في العبد، وإنَّما يكون عنده أو معه أو له، وليس فيه.

---

[1] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣٧١/٨)، وابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥٣٠/٤).

[2] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥٣٠/٤)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٩/١٩).

[3] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣٧١/٨)، والطَّحَاوِيّ في أحكام القرآن (٤٥٧/٢).

وعَبِيدَةُ هو: عَبِيدة بن عمرو السَّلْمَانِيّ المُرَادِيّ الكوفي، الفقيه، تابعي أسلم باليمن أيام فتح مكة، ولم ير النبي -ﷺ-، وهاجر إلى المدينة في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -. توفي سنة ٧٢هـ.

ينظر: طبقات الفقهاء ص٨٠، وتذكرة الحفاظ (٤٠/١).

[4] أحكام القرآن للجَصَّاص (١٨١/٥).

[5] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٧.

وأمَّا المعنى فقالوا: إنَّ العبد لا مال له، بل المال لسيده[1].

قال ابن حَجَر:« إنَّ المال الذي في يد المكاتب لسيده، فكيف يكاتبه بماله؟»[2].

أيضاً يَرُدُّ هذا القول حديث أم المؤمنين عَائِشَة - رضي الله عنها - أنَّها قالت:« دَخَلَتْ عَلَيَّ بَرِيرَة [3]، فَقَالَتْ: إِنَّ أهلي كاتبوني عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ في تِسْعِ سِنِينَ في كُلِّ سَنَةٍ أُوقِيَّةٌ فَأَعِينِينِي»[4].

قال القُرْطُبِيّ معلقاً على الحديث: «فهذا دليل على أنَّ للسيد أن يكاتب عبده، وهو لا شي معه، ألا ترى أنَّ بَرِيرَة جاءت عَائِشَة تخبرها بأنَّها كاتبت أهلها، وسألتها أن تعينها، وذلك كان في أول كتابتها قبل أن تؤدي منها شيئاً»[5].

[1] ينظر: جامع البيان (١٩/١٧٠)، والوسيط للوَاحِدِيّ (٣/٣١٩)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣/٥٢٨)، ومعالم التنزيل (٦/٤٢)، ومفاتيح الغيب (٢٣/١٨٩)، ولباب التأويل (٥/٧٤).

[2] فتح الباري لابن حجر (٥/١٩٣).

[3] بَرِيرَة: مولاة عَائِشَة بنت أبي بكر الصديق، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها، ثم باعوها من أم المؤمنين عَائِشَة - رضي الله عنها -، وجاء الحديث فِي شأنها بأنَّ الولاء لمن أعتق، وعتقت تحت زوج، فخيرها رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فكانت سُنَّة. ينظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٩٥)، والإصابة (٧/٥٣٥).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب إنَّما الولاء لمن أعتق، رقم الحديث (٣٨٥٢)، (٤/٢١٤).

[5] الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٤٦).

١٢٨- المراد بقوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾

في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله:﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال ابن عَبَّاس في رواية عِكْرِمَة: هي شجرة بالصحراء، لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف، ولا يواريها شيء، وهو أجود لزيتها[١]. وقال السُّدِّي: ليست بشرقية يحوزها المشرق دون المغرب، وليست بغربية يحوزها المغرب دون المشرق، ولكنَّها على رأس جبل في صحراء تصيبها شمس النهار كله[٢]... وفسِّر قوله:﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بضد التفسير الذي ذكرنا، قال أبو مَالِك في قوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ هي شجرة بين الأشجار، لا تصيبها الشمس في شرق ولا غرب[٣]... قال الحَسَن: ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا، ولو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية؛ وإنَّما هو مثل ضربه الله - عَزَّ وَجَلَّ-[٤]...**والقول هو الأول**»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ في الآية:

---

[١] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨/٢٦٠٠)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٦/٤٦) وعزاه للفِرْيَابِيِّ.

[٢] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨/٢٦٠١)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٩).

[٣] لم أجده مسنداً، وقال السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٦/٤٦) بعد أن ذكر نحو هذا القول عن ابن جُبَيْر: وأخرج عَبْد بن حُمَيْد عن أبي مَالِك وكَعْب نحوه.

[٤] أخرجه بنحوه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/١٨٧)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨/٢٦٠١).

[٥] البسيط (١٦/٢٧٨).

القول الأول: أنَّها ليست بخالصة للشرق، ولا خالصة للغرب، بل هي شرقية غربية، يعني: بين الشرق والغرب، فالشمس مشرقة عليها في جميع أوقاتها، وهذا أجود وأضوأ لزينتها[1]، وهو مروي عن ابن عَبَّاس، والسُّدِّي -كما سبق-، وسَعِيْد بن جُبَيْر في رواية عنه[2]، ومُجَاهِد، وعِكْرِمَة[3]، وقَتَادَة[4]. واختاره الوَاحِدِيّ[5]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والرَّازِيّ، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والسّعْدِيّ[6].

القول الثاني: أنَّها شجرة بين الأشجار لا تنالها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت، وهو قول أُبَيّ بن كَعْب[7]، وسَعِيْد بن جُبَيْر في رواية أخرى عنه[8].

وتعقبه ابن عَطِيَّة بقوله:« وهذا قول لا يصح عندي؛ لأنَّ الوجود يقتضي أن الشجرة التي تكون بهذه الصفة يَفْسُدُ جَنَاهَا»[9].

والرَّازِيّ بقوله:« وهذا أيضاً ضعيف؛ لأنَّ الغرض صفاء الزيت، وذلك لا يحصل إلا بكمال نضج الزيتون، وذلك إنَّما يحصل في العادة بوصول أثر الشمس إليه لا بعدم

---

[1] قال بعض المفسرين في توضيح هذا القول: هذا كما يقال: فلان ليس بأسود ولا أبيض، أي: ليس بأسود خالص ولا أبيض خالص، بل اجتمع فيه الأمران، ويقال: هذا الرمان ليس بحلو ولا حامض، أي: اجتمع فيه الحلاوة والحموضة ولم يخلص لواحد منهما.
ينظر: تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٥٣٢/٣)، واللباب في علوم الكتاب (٣٨٩/١٤).

[2] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٦٠١/٨) من طريق عَطَاء، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٥٩/٦).

[3] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٦/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٦٠٠/٨).

[4] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٦٠/٣)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢٢٧/٤).

[5] ينظر: البسيط (٢٨٢/١٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٢١/٣)، الوجيز (٧٦٤/٢).

[6] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٥٣/٢)، وجامع البيان (١٨٧/١٩)، ومفاتيح الغيب (٢٠٧/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦٠/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٣٨٩/١٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨.

[7] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٥٩٩/٨)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٦٠/٦).

[8] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٦٠١/٨) من طريق أَبِي بِشْر، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦٠/٦).

[9] المحرر الوجيز (٢٢٧/٤).

وصوله» [١].

القول الثالث: أنَّها شجرة ليست من أشجار الدنيا، ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية؛ وإنَّما مثل ضربه الله - ﷻ- لنوره، وهو قول الحَسَن -كما سبق-.

واعترض عليه الرَّازِيّ بقوله:« وهذا ضعيف؛ لأنَّه تعالى إنَّما ضرب المثل بما شاهدوه وهم ما شاهدوا شجرة الجنة» [٢].

والثَّعْلَبِيّ بقوله:«قد أفصح القرآن بأنَّها من شجر الدنيا؛ لأنَّ قوله: ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ بدل من قوله شجرة»[٣].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أصوب الأقوال وأظهرها القول الأول، وهو أنَّ هذه الشجرة في مستوى من الأرض، في مكان فسيح بارز ظاهر للشمس، تَقْرعه من أول النهار إلى آخره؛ ليكون ذلك أصفى لزينتها وأجود، كما قال غير واحد ممن تقدم؛ ويُؤَيِّده:

١. السياق القرآني، فقوله تعالى بعده: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ يدل على كمال نضجها وصفاء زيتها وجودته؛ ولا يحصل ذلك إلا بوصول الشمس إليها خلافاً لما قال لاتصل إليها، بل الشمس تصيبها بالغداة، والعَشِي، وهذا أنضر لها وأجود لزيتها.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٤].

٢. أنَّ القولين السابقين لم يسلما من التَّضعيف بخلاف هذا القول.

---

[١] مفاتيح الغيب (٢٠٦/٢٣).

[٢] المصدر السابق (٢٠٦/٢٣).

[٣] الكشف والبيان (١٠٤/٧).

[٤] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

١٢٩- المراد بالبيوت

في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ [النور: ٣٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وأمَّا معنى البيوت: فقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد المساجد[١]...ومنهم من خصص البيوت هاهنا، فقال: هي أربعة مساجد لم يَبْنِهِنَّ إلا نبي: الكعبة بناها إِبْرَاهِيم وإِسْمَاعِيل، وبيت أَرِيحَا[٢] بناه دَاوُد وسُلَيْمَان، ومسجد المدينة ومسجد قُبَاء بناهما النبي -ﷺ-، وهذا قول ابن بُرَيْدَة[٣]...وقال السُّدِّي: هي بيوت المدينة[٤]؛ وإنما خص بيوت المدينة؛ لأنَّه كان يُصلّى فيها، ويذكر الله فيها حين نزلت هذه الآية. وروى لَيْث عن مُجَاهِد قال: هي بيوت النبي -ﷺ-[٥]...**والقول هو الأول**»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالبيوت في الآية:

---

[١] لم أجد من ذكره عنه من رواية عَطَاء، وأخرج الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٩/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٦٠٤/٨) هذا القول عن ابن عَبَّاس من رواية عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة.

[٢] أَرِيحَا: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، مدينة فلسطينية تبعد عن القدس بنحو ٣٥كم، وعن نهر الأردن بنحو ٨كم، وعن البحر الميت بنحو ١٠كم، ومازالت تعرف باسم أريحا إلى اليوم.
ينظر: معجم البلدان (١٦٥/١)، وآثار البلاد وأخبار العباد ص١٤٢، والموسوعة العربية العالمية (٥٧٣/١).

[٣] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨/ ٢٦٠٤)، والثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠٧/٧).
وابن بُرَيْدَةَ هو: عَبْدُ اللهِ بن بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأَسْلَمِيّ، أَبُو سَهْل، شيخ مرو وقاضيها، تابعي ثقة، توفي سنة ١١٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٠/٥)، وطبقات الحفاظ ص٤٧.

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠٧/٧).

[٥] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨/ ٢٦٠٤)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢٢٧/٤).

[٦] البسيط (٢٨٩/١٦).

القول الأول: أنَّها عامة المساجد، وهو مروي عن ابن عَبَّاس -كما سبق -، ومُجَاهِد[1]، والحَسَن[2].

واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، والشَّوكَانيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[4]، وهو قول جمهور المفسرين[5].

القول الثاني: أنَّها المساجد الأربعة التي لم يَبْنِهَا إلا نبي، وهي: الكعبة، وبيت أَرِيحَا، ومسجد المدينة، ومسجد قُبَاء، وهو قول ابن بُرَيْدَة -كما سبق -.

القول الثالث: أنَّها عامة البيوت، وهو قول عِكْرِمَة[6].

القول الرابع: أنَّها بيوت المدينة، وهو قول السُّدِّي -كما سبق -.

القول الخامس: أنَّها بيوت النبي -ﷺ-، وهو رواية لَيْث عن مُجَاهِد -كما سبق -.

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ أظهر الأقوال وأقواها القول الأول، وهو أنَّ المراد بالبيوت في الآية عامة المساجد دون تخصيص، ويُؤَيِّده:

---

[1] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٤٤٣)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/١٨٩) من رواية ابن أبي نَجِيح.

[2] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٦٠)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/١٨٩).

[3] ينظر: البسيط (١٦/٢٩١)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٣٢١)، والوجيز (٢/ ٧٦٥).

[4] ينظر: جامع البيان (١٩/١٩٠)، وبحر العلوم (٢/٥١٤)، والكشف والبيان (٧/١٠٦)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣/٥٣٤)، والكشاف (٣/٢٤٧)، ومفاتيح الغيب (٢٤/٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٦٦)، ومدارك التنزيل (٢/٥٠٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٦٢)، والجواهر الحسان (٣/١٢١)، واللباب في علوم الكتاب (١٤/٣٩٣)، وفتح القدير (٤/٥١)، ومحاسن التأويل (٧/٨٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٦٩، وأضواء البيان (٥/٥٣٩).

[5] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٧/١٠٦)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٦/٤٦)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٥/١٩٩).

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/١٩٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٨/ ٢٦٠٤).

١. السياق القرآني، فقوله تعالى بعده: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ يُقَوِّي أنَّ المراد بالبيوت المساجد؛ لأنَّها التي أمر الله - ﷻ- ببنائها وتعظيمها، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل بناء المساجد وتعظيمها، وتطهيرها من الدنس واللغو. أمَّا البيوت فلا يمكن أن توصف بأنَّ الله -تعالى- أذن أن ترفع.

أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ﴾[النور: ٣٦-٣٧] ، يدل على أنَّها بيوت بنيت للصلاة، فوصفها بالذكر والتسبيح والصلاة لا يليق إلا بالمساجد[١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].

أمَّا القول بأن المراد هنا البيوت عامة أو تخصيصها ببيوت معينة فيأباه السياق القرآني، كما أن قصر اللفظ على مساجد بعينها كما في القول الثاني تخصيص بلا دليل، وهي داخلة في عموم القول الأول.

٢. الأثر المروي عن ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - أنه قال: «الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»[٣]. ففيه تصريح من ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - أن المساجد بيوت الله.

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وهو أبعد عن الخطأ وأقرب للصواب؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٤].

---

[١] ينظر: جامع البيان (١٩/١٩٠)، والمحرر الوجيز (٤/٢٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٦٦)، والبحر المحيط (٦/٤٢١)، وفتح القدير (٤/٥١).

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

[٣] أخرجه الطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٠/٢٦٢)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٣/٨٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٧) وقال: "رِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ".

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٣٠- المراد بالزكاة

في قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وقوله: ﴿ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ قال ابن عَبَّاس: إذا حضر وقت الزكاة لم يحبسوها، هذا قوله في رواية عَطَاء[١]، وهو قول الحَسَن، قال: يعني الزكاة الواجبة في المال[٢]. ورُوي عن ابن عَبَّاس أنَّه قال: يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص[٣]، وعلى هذا المعنى أنَّهم يبذلون من أنفسهم الطاعة الخالصة لله، **ولعل الأقرب هذا**؛ فإنه ليس كل المؤمنين من أهل الزكاة الواجبة في المال، بل عامتهم فقراء لا تجب عليهم الزكاة فلا يحسن إخراجهم عن هذه الجملة»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالزكاة في الآية:

القول الأول: أنَّها الزكاة المفروضة، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، والحَسَن -كما سبق-. واختاره مَكِّيّ بن أبي طَالِب، والرَّازِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ[٥].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٥١/٦)، والوَاحِدِيّ في الوسيط (٣٢٢/٣) عن ابن عَبَّاس من غير نص على رواية عَطَاء.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢٢٨/٤)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٨٠/١٢).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٤/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٦٠٩/٨) من رواية عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة.

[٤] البسيط (٢٩٧/١٦).

[٥] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٥١١٧/٨)، ومفاتيح الغيب (٦/٢٤)، ولباب التأويل (٨١/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٣٩٧/١٤)، وإرشاد العقل السليم (١٧٩/٦)، ومحاسن التأويل (٣٩١/٧).

القول الثاني: أنَّها طاعة الله والإخلاص، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية أخرى عنه -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ[2].

وضعفه الرَّازِيّ بأنَّ الله -تعالى- علق الزكاة بالإيتاء، وهذا لا يحمل إلا على ما يعطى من حقوق المال[3].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن -والله أعلم- أنَّ الأولى والأظهر أن المراد بالزكاة في الآية، زكاة المال، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ في الآية قرينة تُقَوِّي هذا القول، وهي لفظ الإيتاء في قوله: ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهذا لا يحمل إلا على ما يعطى من حقوق المال.

٢. أنَّ الزكاة في العرف الشرعي تطلق على الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله -ﷻ- للمستحقين، والمعنى الشرعي لا يصار إلى غيره إلا إذا دل دليل على خلافه.

والقاعدة الترجيحية: إذا اختلف المعنى الشرعي والمعنى اللغوي في تفسير كلام الله تعالى، أخذ بما يقتضيه الشرعي؛ لأنَّ القرآن نزل لبيان الشرع، لا لبيان اللغة إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به[4].

٣. اقتران إقامة الصلاة بالزكاة في هذا الموضع كما في كثير من المواطن، يدل على أنَّها المفروضة هنا.

---

[1] ينظر: البسيط (٢٩٨/١٦)، واقتصر في الوسيط (٣٢٢/٣) على القول الأول، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٧٦٥/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (١٩٤/١٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٠٠/٥).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٦/٢٤).

[4] ينظر: النكت والعيون (٣٩/١)، والمحصول في علم الأصول (٥٧٧/١)، (٥٧٤/٥)، وتخريج الفروع على الأصول ص٢٧٢ ، والبرهان في علوم القرآن (١٦٧/٢)، وأضواء البيان (٢٣٩/٢)، وأصول في التفسير لمحمد بن صالح العثيمين ص٢٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٥٣/٢).

١٣١- المراد بتقلب القلوب والأبصار

في قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وقوله: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ذكروا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنَّ القلوب زالت عن أماكنها من الصدور، فَنَشِبَتْ[١] في الحلوق عند الحناجر، والأبصار تزرق، فتكون زرقاً، قاله مُقَاتِل بن سُلَيْمَان[٢]...القول الثاني: أنَّ القلوب تتقلب من الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تتقلب من أين يُؤْتَوْنَ كتبهم؟ أمِنْ قِبَلِ الأيمان أم مِنْ قِبَلِ الشمائل؟ القول الثالث: ذكره الفَرَّاء[٣]، والزَّجَّاج[٤]، وابن قُتَيْبَة[٥]وهو: أنَّ من كان قلبه مؤمناً بالبعث والقيامة ازداد بصيرة ورأى ما وعد به، ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يوقن معه بأمر القيامة والبعث؛ فعلم ذلك بقلبه وشاهده ببصره، فذلك تقلب القلوب والأبصار، هذا كلام أبي إِسْحَاق[٦]، وهو معنى قول الفَرَّاء...**والوجه** قول أبي إِسْحَاق لدخول قلوب المؤمنين والكافرين فيما ذكر من التفسير»[٧].

---

[١] نَشِبَتْ: أي عَلِقَت. يقال: نَشِبَ الشيءُ في الشيءِ بالكسر نُشوباً، أَي: عَلِقَ فيه.
ينظر: تهذيب اللغة (٢٥٩/١١)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٢٤٥/٢)، مادة (نشب).

[٢] تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٢٠/٢).

[٣] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٥٣/٢).

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤٧/٤).

[٥] ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ١٩٨.

[٦] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٧] البسيط (٢٩٨/١٦).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بتقلب القلوب والأبصار في الآية:

القـول الأول: أنَّ تقلب القلوب حركتها من أماكنها من شدة الخوف، وتقلب الأبصار هو دورانها بالنظر في جميع الجهات من شدة الخوف والهول، فالقلوب تبلغ الحناجر، والأبصار تصير زرقاً، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره ابن جُزَي، وأبو حيَّان، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[1].

واستُدل لهذا القول بالنظائر القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب:١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر: ١٨]، وقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩][2].

القول الثاني: أنَّ القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والأبصار تتقلب تنظر من أين يؤتون كتبهم؟ أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال؟. واختاره الطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيّ، وابن عَطِيَّة[3].

واستُدل لهذا القول بأنَّ العرب تستعمل هذا المعنى في الحروب ونحوها، ومنه قول الشاعر: بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ[4].

---

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٧١/٢)، والبحر المحيط (٤٢٢/٦)، ومحاسن التأويل (٣٩١/٧)، وأضواء البيان (٥٤٩/٥).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٧١/٢)، ومحاسن التأويل (٣٩١/٧)، وأضواء البيان (٥٤٩/٥).

[3] ينظر: جامع البيان (١٩٤/١٩)، والكشف والبيان (١١٠/٧)، والمحرر الوجيز (٢٢٩/٤).

[4] البيت من الكامل، وهو لعمران بن حطَّان من شعراء الخوارج، يهجو الحجاج الثقفي حين فر من غزالة الخارجية في إحدى الوقائع حينما أرادت دخول الكوفة. وصدر البيت: هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الوَغَى. ينظر: الأغاني (١٢٢/١٨)، وشعر الخوارج ص١٦٦.

القول الثالث: أنَّ من كان قلبه مؤمناً بالبعث والقيامة ازداد بصيرة ورأى ما وعد به، ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يوقن معه بأمر القيامة والبعث؛ فعلم ذلك بقلبه وشاهده ببصره، ويكشف عن الأبصار غطاؤها فتنظر الحق.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس[2].

واستُدل لهذا القول بالآيات الدالة على انكشاف الحقائق يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]، وقوله: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾[الزمر: ٤٧] [3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أن الآية تحتمل جميع المعاني الواردة فيها، فكل قول له ما يؤيده من الآيات، وهذه المعاني ليس بينها تعارض؛ فكل ما ذكر قد أخبر الله – ﷻ- أنَّه يحدث في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق وما كان يكذب به منكرو البعث يرونه عياناً أمام أعينهم فينقلب الشك الذي كان عندهم إلى يقين، إلا أن ذلك لا ينفعهم في الآخرة، ثم إنَّ القلوب يوم القيامة تكون خائفة والأبصار مضطربة غير مستقرة، فهم يأملون في النجاة ولا يدرون أيؤخذ بهم ذات اليمين أم ذات الشمال؟ وكيف يأخذون كتبهم بأيمانهم أو شمائلهم؟ ومن شدة ما يصيبهم من الهلع والفزع قد تتحرك قلوبهم من أماكنها فتبلغ حناجرهم فلا تخرج ولا تعود، وتشخص أبصارهم وتَزْرَقُّ من شدة ما حصل بهم من الخوف والهلع كما قال الله – ﷻ -:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢].

---

[1] ينظر: البسيط (٣٠٠/١٦)، واقتصر في الوسيط (٣٢٢/٣)، والوجيز (٧٦٥/٢) على القول الثاني.

[2] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٥٣/٢)، وتأويل مشكل القرآن ص ١٩٨، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٧/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥٣٩/٤).

[3] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٥٤٠/٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥١١٨/٨)، ومفاتيح الغيب (٦/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨١/١٢)، ومدارك التنزيل (٥٠٨/٢).

١٣٢- المَعْنِيِّون بالوعد

في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال المفسرون: أي ليورثنَّهم أرض الكفَّار من العرب والعجم، فنجعلهم ملوكها وساستها وسكّانها، وعلى هذا الآية عامة في المؤمنين. وخصص بعضهم الآية بالخلفاء والولاة من أصحاب النبي -ﷺ-. **والظاهر القول الأول**»[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المَعْنِيِّين بالوعد في الآية:

القول الأول: أنَّ الوعد عام في جميع المؤمنين.

واختاره الوَاحِدِيّ[٢]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن تَيْمِيَّة، والخَازِن، وابن كَثِيْر، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[٣].

---

[١] البسيط (٣٤٣/١٦).

[٢] ينظر: البسيط (٣٤٤/١٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٢٦/٣)، والوجيز (٧٦٨/٢).

[٣] ينظر: جامع البيان (٢٠٨/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥١/٤)، والكشف والبيان (١١٤/٧)، ومعالم التنزيل (٥٩/٦)، والمحرر الوجيز (٢٣٦/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩٩/١٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٠٩/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٠٢/١٨)، ولباب التأويل (٨٥/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٧٧/٦)، وفتح القدير (٦٩/٤)، وروح المعاني (٢٠٢/١٨)، ومحاسن التأويل (٤٠٣/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٧٣، وأضواء البيان (٥٥٣/٥).

واستدلوا بالنصوص التي فيها وعد لمن آمن بالله وعمل صالحاً بالتمكين في الأرض كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ ﴾ [الأنفال: ٢٦]، إلى غير ذلك من الآيات[١].

القول الثاني: أنَّ الوعد خاص بالخلفاء والولاة من أصحاب النبي -ﷺ-.

واختاره الجَصَّاص، والسَّمْعَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن العَرَبِيّ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ[٢].

واستدلوا بقوله -ﷺ-: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكًا بَعْدَ ذَلِكَ»[٣][٤].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أن الأولى والأظهر أنَّ الوعد في الآية عام لجميع المؤمنين، ويدخل في ذلك الخلفاء الراشدون دخولاً أولياً؛ فالخطاب في الآية عام فيجب إجراؤه على عمومه. ونصوص الكتاب والسنة تدل على أنَّ طاعة الله بالإيمان به، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ

---

[١] ينظر: أضواء البيان (٥/٥٥٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٧٧).

[٢] ينظر: أحكام القرآن للجَصَّاص (٥/١٩٠)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣/٥٤٤)، والكشاف (٣/٢٥٧)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣/٣٢٦)، ومفاتيح الغيب (٢٤/٢٢)، ومدارك التنزيل (٢/٥١٧).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب الخلفاء، رقم الحديث (٢٢٢٦)، (٤/٥٠٣)، وقال بعده: "وهذا حديث حسن"، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم -، رقم الحديث (٨١٥٥)، (٥/٤٧). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٨٢٠). وزاد الترمذي قول سفينة راوي الحديث: "أمسك خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- سنتين، وخلافة عمر -رضي الله عنه- عشر سنين، وخلافة عثمان -رضي الله عنه- اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي -رضي الله عنه- ست سنين".

[٤] ينظر: معالم التنزيل (٦/٥٩)، والكشاف (٣/٢٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٩٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٤).

﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، ومن السنة قوله -ﷺ-: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[1].

قال الشَّوكَانيّ:« وهذا وعد من الله -سبحانه- لمن آمن بالله وعمل الأعمال الصالحات بالاستخلاف لهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من الأمم، وهو وعد يعم جميع الأمة. وقيل: هو خاص بالصحابة، ولا وجه لذلك؛ فإنَّ الإيمان وعمل الصالحات لا يختص بهم، بل ويمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الأمة، ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله»[2].

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث (٧٤٤٠)، (١٧١/٨).

[2] ينظر: فتح القدير (٦٩/٤).

١٣٣- المراد بالغاوين

في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾[الشعراء:٩٤-٩٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال السُّدِّي: جُمِعُوا فيها؛ الآلهة والمشركون[١]، وعلى هذا: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ هم عبدة الأصنام...وقال قَتَادَة[٢]، ومُقَاتِل[٣]: يعني الشياطين. **والقول هو الأول**؛ لأنَّ الشياطين ذُكروا فيما بعد؛ وهو قوله: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ يعني: ذرية إبليس كلهم »[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالغاوين في الآية:

القول الأول: أنَّهم عبدة الأصنام، وهو قول ابن عَبَّاس[٥]، والسُّدِّي -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والبِقَاعِيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٧].

القول الثاني: أنَّهم الشياطين، وهو قول قَتَادَة، ومُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٧٨٥/٨)، وأخرج أيضاً عَنِ السُّدِّيّ أنه قال: الْغَاوُونَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ.

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٧٤/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦٧/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٧٨٦/٨).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٥٦/٢).

[٤] البسيط (٧٨/١٧).

[٥] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٧٨٥/٨)، وذكره ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٣٢/٦).

[٦] ينظر: البسيط (٧٩/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٥٧/٣)، واقتصر في الوجيز (٧٩٢/٢) على القول الثاني.

[٧] ينظر: الكشاف (٣٢٧/٣)، ومفاتيح الغيب (١٣١/٢٤)، وأنوار التنزيل (٢٤٤/٤)، ومدارك التنزيل (٥٧٠/٢)، وغرائب القرآن (٢٧٦/٥)، ونظم الدرر (٣٧٢/٥)، وروح المعاني (١٠٣/١٩)، ومحاسن التأويل (٤٦٣/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٩٣، والتحرير والتنوير (١٦١/١٩).

القول الثالث: أنَّهم الآلهة، وهو منسوب للسُّدِّي[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأولى والأظهر هو القول الأول، فالغاوون في الآية هم من عبدوا مع الله غيره، ويُؤَيِّده:

١. أنَّه الأنسب للسياق القرآني؛ فالله – ﷻ – قد بيَّن من هم الغاوون قبل هذه الآية في قوله: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٩١-٩٣]، ثم قال بعده: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ أي: طُرحت وأُلقيت تلك الأصنام ونحوها في النار بعد هذا السؤال؛ إظهاراً لعجزهم، وطُرح معها الغاوون وهم العابدون الذين برِّزت لهم الجحيم.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[2].

٢. قوله تعالى لحاقاً: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ فإنَّ الأظهر أنَّ المراد منه الشياطين[3]، وإنَّه عطف على ما قبله، والعطف يقتضي المغايرة بالذات في الأغلب، وهذا يَبْعُدُ أن المراد بالغاوين في الآية هم الشياطين[4]؛ لأنَّ فيه تكراراً.

٣. أنَّه قول الأكثرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[5].

---

[1] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٨٩/٥)، وزاد المسير (١٣٢/٦)، والجامع لأحكام القرآن (١١٦/١٣).

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[3] أخرج ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٧٨٥/٨) عن السُّدِّيِّ أنَّه قال في قوله: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ : هُمُ الشَّيَاطِينُ.

[4] ينظر: روح المعاني (١٠٣/١٩).

[5] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٣٤- المراد بقوله: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١١- ١١٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« يعني: ما كنت أعلم أعمالهم، وصنائعهم، ولم أُكَلَّف ذلك إنما كُلِّفْتُ أن أدعوهم. وكان مُقَاتِل يقول: لم أكن أعلم أنَّ الله يهديهم للإيمان من بينكم ويَدَعُكم[١]. وهذا القول غير الأول، ومعناه: أنَّ نَوْحاً قال لهم: لا أدري أي شيء عملوا حتى استحقوا الهداية من بينكم، كأنَّه يقول: لا يضرهم دناءة مكاسبهم إذ هداهم الله. **والقول هو الأول**؛ لقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

القـول الأول: أنَّ المعنى: ما كنت أعلم أعمالهم، وصنائعهم، ولم أُكَلَّف العلم بأعمالهم؛ إنما كُلِّفْتُ أن أدعوهم إلى الإيمان بالله -عَزَّوَجَلَّ-، ولي منهم ظاهر أمرهم.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، والسَّمْعَانِيّ، وابن الجَوْزِيّ، وابن كَثِيْر، والبِقَاعِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٤].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٤٦٦).

[٢] البسيط (١٧/٨٥).

[٣] ينظر: البسيط (١٧/٨٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٣٥٧)، ولم يفسرها في الوجيز (٢/٧٩٢).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٩/٣٧٠)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤/٥٨)، وزاد المسير (٦/١٣٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/١٥١)، ونظم الدرر (٥/٣٧٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٩٤، والتحرير والتنوير (١٩/١٦٩).

القول الثاني: أنَّ المعنى: لم أعلم أنَّ الله - ﷻ - يهديهم للإيمان ويُضِلُّكم، ويُوَفِّقُهم وَيَخْذُلُكم، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره السَّمَرْقَنْدِيّ [1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الراجح هو القول الأول؛ لمناسبته للسياق القرآني، فالملأ من قوم نَوْح -عليه السلام- قالوا في ردهم لدعوته: ﴿ **أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ** ﴾ أي كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا ضعفاء الناس وفقراءهم، ومن كانت مكاسبهم دنية، فأجابهم نَوْح -عليه السلام-: ﴿ **قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ** ﴾ [الشعراء: ١١٢- ١١٣]، وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي، فليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب عنه والبحث والفحص، إنَّما عليَّ أنْ أقبل منهم تصديقهم إِيَّايَ، وَأَكِلُ سرائرهم إلى الله - ﷻ -[2]، فهو سبحانه من سيحاسبهم على أعمالهم وسائر أمورهم؛ لأنَّه المطلع على أحوالهم الظاهرة والباطنة، أمَّا أنا فعليّ البلاغ.

أمَّا القول الثاني فلا يتناسب مع سياق الآيات.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [3].

---

[1] ينظر: بحر العلوم (٥٦١/٢).

[2] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/ ١٥١).

[3] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

١٣٥- المراد بالقيام

في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: للصلاة وإلى الصلاة، قاله ابن عَبَّاس[١]، والكَلْبِيّ[٢]. وقال مُقَاتِل: حين تقوم وحدك إلى الصلاة[٣]. وقال مُجَاهِد: الذي يراك أينما كنت [٤]، يعني: يراك حين تقوم أينما كنت. فعلى قول مُجَاهِد: ﴿تَقُومُ﴾ عام في كل شيء قام إليه؛ **وهو الظاهر**؛ لأنَّه بمرأى من الله إلى أي شيء قام. وعلى قول الآخرين: هذا القيام يختص بالقيام إلى الصلاة. وفائدته: التنبيه على تعظيم الصلاة، كما يقول القائل لغيره: راقب مَنْ يراك إذا صليت، والله - تعالى - يراه إذا لم يكن مصلياً»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالقيام في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد القيام للصلاة، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُقَاتِل، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ -كما سبق-، وقال به عِكْرِمَة[٦]، والحَسَن[٧].

---

[١] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٨٢٧/٩)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (١٧١/٦).

[٢] لم أجد فيما وقفت عليه من المصادر من نسب هذا القول للكَلْبِيّ سوى الوَاحِدِيّ.

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٦٦/٢).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤١١/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٨٢٨/٩).

[٥] البسيط (١٤٠/١٧).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤١٢/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٨٢٧/٩).

[٧] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٨٢٨/٩)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (١٧١/٦).

واختاره الطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والنَّسَفِيّ، والآلُوْسِيّ، والسّعْدِيّ[1]، وهو قول أكثر المفسِّرين[2].

ومنهم من خص ذلك بالقيام للتهجد كأبي السُّعُوْد، وابن عَاشُور[3].

القول الثاني: أنَّه عام في كل شيء قام إليه، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل القولين، إلا أن الأظهر والأقرب هو القول الأول، وهو أنَّ المقصود بالقيام هنا القيام إلى الصلاة، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ هذا المعنى هو الذي غلب استعماله في القرآن الكريم، نحو قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١-٢].

والقاعدة الترجيحية: أنَّه قد يحتمل اللفظ معانيَ عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن، فيقدَّم[5].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٤١٣/١٩)، والمحرر الوجيز (٢٩٤/٤)، ومدارك التنزيل (٥٨٧/٢)، وروح المعاني (١٣٧/١٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص٥٩٩.

[2] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٨٣/٧)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٣٤/٦)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٤٤/١٣)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٩٥/١٥)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (١٧٢/٤).

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٦٨/٦)، والتحرير والتنوير (٢٠٧/١٩).

[4] ينظر: البسيط (١٤١/١٧)، وذكر القولين في الوسيط (٣٦٥/٣) ولم يرجح، واقتصر في الوجيز (٧٩٨/٢) على القول الأول.

[5] ينظر: أضواء البيان (١٨٩/١)، والتحرير والتنوير (٢٠٧/١٩)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢).

٢. هذا القول هو الأنسب للسياق القرآني، بقرينة قوله: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[١].

٣. أنَّه قول الأكثرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٣٦- المراد بالذين ظَلَمُوا

في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُقَاتِل: ثم أوعد شعراء المشركين فقال: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ يعني: أشركوا[١]، وقال الكَلْبِيّ: هجوا النبي - ﷺ -[٢]، وقال ابن عَبَّاس: ﴿ ظَلَمُوٓاْ ﴾ المهاجرين وأخرجوهم من ديارهم[٣]، وعلى هذا هو عام في مشركي مكة، **وهو الأولى**»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالذين ظَلَمُوا في الآية:

القول الأول: أنَّهم المشركون الذين هجوا النبي - ﷺ -، وهو قول مُقَاتِل، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ -كما سبق-. واختاره السَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل[٥].

القول الثاني: أنَّ الآية عامة في مشركي مكة، ظلموا المسلمين وآذوهم بأقوالهم وأفعالهم، وأخرجوهم من ديارهم، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب[٧].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٦٧/٢).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٥٧١/٢).

[٣] لم أجد من ذكر هذا القول عن ابن عَبَّاس، وذكر نحوه ابن عَاشُور في التحرير والتنوير (٢١٥/١٩) دون نسبة.

[٤] البسيط (١٥٢/١٧).

[٥] ينظر: تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٧٥/٤)، ومعالم التنزيل (١٣٩/٦)، ولباب التأويل (١٣٢/٥)، واللباب في علوم الكتاب (١٠٠/١٥).

[٦] ينظر: البسيط (١٥٢/١٧)، واقتصر في الوسيط (٣٦٧/٣) على القول الأول، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٧٩٨/٢).

[٧] ينظر: جامع البيان (٤٢٠/١٩)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥٣٦٦/٨).

القول الثالث: أنَّها عامة في كل ظالم، ظلم نفسه بالشرك أو المعاصي، أو ظلم غيره بقول أو فعل.

واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن كَثِيْر، والبِقَاعِيّ، والسُّيوطِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانِيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[1].

واستُدل لهذا القول بأن هذه الآية ختم بها أبو بكر -رضي الله عنه- وصيته لعمر -رضي الله عنه- حين عهد إليه بالخلافة، وذلك أنه لَمَّا حَضَرَ أَبَا بَكْرٍ -رضي الله عنه- الْوَفَاةُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ -رضي الله عنه-، فَقَالَ له اكْتُبْ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافة، عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَنْتَهِي الْفَاجِرُ، ويَصدُق الْكَاذِبُ: إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنْ يَعْدِلْ فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ، وَرَجَائِي فِيهِ، وَإِنْ يَجُر وَيُبَدِّلْ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾»[2][3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أن الآية اقتضت العموم في مسمى الظلم؛ وهذا وعيدٌ لِكُلِّ ظالِم بقوله أو فِعْلِه، ومن ذلك ظلم المشركين للمُسْلمين بالأَذى والشَّتم في أقوالهم، وأشْعارهم، وأفعالهم، كما يدخُل في معناها ظلم العبد لِنفْسِه، وظلم الطُّغاة الَّذِين يُعذِّبُون النَّاس، ويُؤذُونهم، ويَحرِمُونهم من حُقُوقهم، ويُؤَيِّده:

---

[1] ينظر: الكشاف (٣/٣٥٠)، وأنوار التنزيل (٤/٢٥٧)، ومدارك التنزيل (٢/٥٨٩)، وغرائب القرآن (٥/٢٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/١٧٧)، ونظم الدرر (٥/٤٠٣)، ومعترك الأقران (٣/٣٣٢)، وإرشاد العقل السليم (٦/٢٧١)، وفتح القدير (٤/١٧٤)، وروح المعاني (١٩/١٥٢)، ومحاسن التأويل (٧/٤٨٢)، والتحرير والتنوير (١٩/٢١٥).

[2] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٢٠٠)، وعُمَر بن شَبَّةَ في تاريخ المدينة (٢/٦٦٧)، والبَيْهَقِيّ في السنن الكبرى (٨/١٤٩).

[3] ينظر: الكشاف (٣/٣٥٠)، وأنوار التنزيل (٤/٢٥٧)، ومدارك التنزيل (٢/٥٨٩)، وغرائب القرآن (٥/٢٩٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/١٧٧)، وإرشاد العقل السليم (٦/٢٧١)، والتحرير والتنوير (١٩/٢١٥).

١. أنَّ الله - ﷻ - قد أطلق الظلم في الآية إذ لم يقيده بنوع، كما أن اللفظ عام؛ لأنّ الموصول من صيغ العموم.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١].

قال الشَّوكَانيّ:«ثم ختم سبحانه هذه السورة بآية جامعة للوعيد كله، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ فإن في قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ﴾ تهويلاً عظيماً وتهديداً شديداً، وكذا في إطلاق ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾، وإبهام ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾. وخصص هذه الآية بعضهم بالشعراء، ولا وجه لذلك؛ فإن الاعتبار بعموم اللفظ»[٢].

٢. أنَّ السلف فهموا من هذه الآية العموم؛ لذا أجروها على عمومها، واستشهدوا بها في مواطن الظلم عامة. من ذلك مارُوي أن الْحَسَن قال حين مُرَّت عَلَيْهِ جنازة نَصْرَانِيٍّ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [٣].

كما كانوا يتواعظون بها، ويتناذَرون بها لِشدَّتها، فقد ختم بها أبو بكر -رضي الله عنه- وصيته لعمر -رضي الله عنه- حين استخلفه.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ فهم السلف لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٤].

---

[١] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[٢] فتح القدير (٤/١٧٤).

[٣] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/٢٨٣٦)، وذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/١٧٦).

[٤] ينظر: جامع البيان (١٧/٥٨٩)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٣/٣٦١)، وإعلام الموقعين (٤/١٦٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، والموافقات (٣/٢٨٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٤٣).

١٣٧- المراد بقوله: ﴿نَمْلَةٌ﴾

في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال الكَلبِيّ: وكانت نملة صغيرة مثل النَّمل[١]. وقال نَوْفُ الشَّامِيُّ[٢]، وَشَقِيقُ بن سَلَمَةَ[٣]: كانت نمل ذلك الوادي كهيئة الذِّئَاب في العِظَمِ[٤]. وعن بُرَيْدَة الْأَسْلَمِيّ[٥]: أنَّها كانت كهيئة النِّعَاج[٦]. ولعل الأقرب قول الكَلبِيّ؛ لقوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ولو كانت كالذِّئَاب والنِّعَاج ما حُطِّمت بالوطء، ولا خافت ذلك»[٧].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿نَمْلَةٌ﴾ في الآية:

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٧١/١٣).

[٢] نَوْفُ بْنُ فَضَالَةَ الشَّامِيُّ البِكَالِيُّ، إمام أهل دمشق في عصره، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كَعْب الأَحْبَارِ، ورد ذكره في الصحيحين، وقيل: إنَّه استشهد مع محمد بن مروان في غزوة الصائفة.
ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٢٩/٨)، والتاريخ وأسماء المحدثين وكناهم ص٤٧.

[٣] شَقِيقُ بن سَلَمَةَ الأَسَدِيُّ، أحد بني مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، أبو وائل، روى عن عمر وعلي وأبي موسى وابن عباس وغيرهم، توفي أبو وائل في زمن الحجاج بعد الجماجم.
ينظر: الطبقات الكبرى لابن سَعد (٩٦/٦)، والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٧٦٤/٢).

[٤] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٨٥٨/٩) عن نَوْف الشَّامِيّ، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٧١/١٣) عن نَوْف وشَقِيق بن سَلَمَة.

[٥] بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، تابعي، روى عن مسعود بن هبيرة، وروى عنه ابن إسحاق وأفلح بن سعيد، توفي تقريباً سنة ١٢٥هـ. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (١٤١/٢)، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١٤١/٢).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٧١/١٣).

[٧] البسيط (١٨٨/١٧).

القول الأول: أنَّها كانت نملة صغيرة كالنَّمل، وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والقُرْطُبِيّ، والآلُوْسِيّ، وابن عَاشُور[2].

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى بعده: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وجه الدلالة: أنَّها لو كانت كالذِّئَاب والنِّعَاج، ما حطمت بالوطء، ولا خافت ذلك[3].

القول الثاني: أنَّها كانت كهيئة الذِّئَاب في العِظَمِ، وهو قول نَوْفٍ الشَّامِيِّ، وَشَقِيقِ بن سَلَمَةَ -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّها كهيئة النِّعَاج، وهو قول بُرَيْدَة الْأَسْلَمِيّ -كما سبق-.

القول الرابع: أنَّها نملة ذات جناحين، وهو قول الشَّعْبِيّ[4].

قال ابن كَثِيْر:« ومن قال من المفسرين: إنَّ هذه النَّملة كانت ذات جناحين كالذباب، أو غير ذلك من الأقاويل، فلا حاصل لها»[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقرب للصواب هو القول الأول، وهو أنَّ النَّملة التي فَقِه سُلَيْمَان كلامها هي نملة كالنَّمل المعهود المعروف، ويُؤَيِّده:

١. أنَّه الأنسب للسياق القرآني، بقرينة ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ في قوله تعالى بعده: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فالمفهوم منه أنَّ النَّملة لو كانت كهيئة الذِّئَاب والنِّعَاج ما حُطِّمت بالوطء.

---

[1] ينظر: البسيط (١٨٩/١٧)، ولم يذكر المسألة في الوسيط (٣/ ٣٧٣)، واقتصر في الوجيز (٨٠١/٢) على قوله:" وكانت نملة كأمثال الذُّباب".

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧١/١٣)، وروح المعاني (١٧٦/١٩)، والتحرير والتنوير (٢٣٨/١٩).

[3] ينظر: البسيط (١٨٩/١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٧١/١٣).

[4] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/ ٢٨٥٧)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٩٩/٤).

[5] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٨٣/٦).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

٢. أنَّه المشهور من لغة العرب، والقرآن نزل بلغتهم، والنَّمل في عرفهم هو النَّمل المعتاد.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله -تعالى- على المعروف المشهور من كلام العرب دون القليل والشاذ[2].

٣. أنَّ الأقوال الأخرى لا دليل عليها.

قال الآلُوْسِيّ بعد ذكر الأقوال السابقة في وصف حجم النَّملة:« وبالغ بعض القُصَّاصِ في كبرها، ولا يَصِحُّ له مستند»[3]. [4]

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

[3] روح المعاني (١٧٦/١٩).

[4] لا طائل من البحث في صفات هذه النملة واسمها، ولا خبر في ذلك عن الرسول -ﷺ- يصار إليه، وحسبنا ما أخبرنا الله - تعالى - به من كلام النملة وفهم سليمان له وما في ذلك من دلالة. والله أعلم.
ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٩).

١٣٨- عَوْد ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَأُوتِينَا﴾ و﴿وَكُنَّا﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مذهب مُجَاهِد[١] ومُقَاتِل[٢]: أنَّ هذا من قول سُلَيْمَان. وقال آخرون: هذا من كلام المرأة؛ وذلك أنَّها لما قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ قيل لها: فإنَّه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب، قالت: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ بصحبة نبوة سُلَيْمَان ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ أي: من قبل الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي: طائعين منقادين لأمر سُلَيْمَان من قبل أن جئنا. وهذا **القول أليق بالمعنى، وأشبه بظاهر التنزيل**»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في عَوْد ضمير المتكلم في قوله: ﴿وَأُوتِينَا﴾ و﴿وَكُنَّا﴾:

القول الأول: أنَّه يعود على سُلَيْمَان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وهو قول مُجَاهِد، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن عَطِيَّة، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والشَّوكَانيّ[٤].

---

[١] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٤٧٣/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٧١/١٩).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٧٨/٢).

[٣] البسيط (٢٤٧/١٧).

[٤] ينظر: جامع البيان (٤٧١/١٩)، وبحر العلوم (٥٨٤/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥٤٣٥/٨)، والمحرر الوجيز (٣١١/٤)، والبحر المحيط (٧٤/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٩٤/٦)، والجواهر الحسان (١٦٢/٣)، وفتح القدير (٢٠٢/٤).

القول الثاني: أنَّه يعود على ملكة سبأ.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وأبو السُّعُوْد[2].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقرب والأظهر هو القول الأول، أي أنَّ قوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ من كلام سُلَيْمَان -عليه السلام-، يشهد لذلك سياق الآيات؛ فملكة سبأ إنَّما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصَّرْح[3]، الذي أمر سُلَيْمَان -عليه السلام- ببنائه لِيُرِيَهَا مُلْكًا أعظم من ملكها، فقالت حين دخلته: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وهذا يَبْعُدُ أن يكون قوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ من تمام كلام ملكة سبأ.

قال ابن كَثِيْر:« ويؤيد قول مُجَاهِد: أنَّها إنَّما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصَّرْح»[4].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[5].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٤٨/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٧٩/٣)، والوجيز (٨٠٤/٢).

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٨٨/٦).

[3] الصَّرْحُ: كلُّ بِناء عالٍ مرتفِعٍ وَجمعه صُرُوح، وَقِيلَ: الصَّرْحُ الصَّحْنُ، كَمَا يُقَالُ: هَذِهِ صَرْحَةُ الدَّارِ وَقَاعَتُهَا. ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٣٩)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٢/ ٤٠٤)، مادة (صرح).

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٩٤/٦).

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

١٣٩- المراد بالآيات

في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ قال الكَلبِيّ: وقد أراهم إياها، وكان منها: الدخان وانشقاق القمر[١]. وقال مُجَاهِد: ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق[٢]. وقال مُقَاتِل: يعني العذاب في الدنيا، والقتل ببدر[٣]. كقوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وهذا القول يجب أنَّ يكون **الصحيح**؛ لأنَّه قال: ﴿فَتَعۡرِفُونَهَا﴾ وقد أراهم تلك الآيات التي ذكرها الكَلبِيّ ومُجَاهِد، فلم يعرفوها، ولم يقروا بها»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالآيات في الآية:

القول الأول: سيريكم آياته في الدنيا، ثم إنَّ المفسرين فيه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ من آياته الدخان وانشقاق القمر، وقد أراهم ذلك، وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-.

الثاني: أنَّها آياته في السماء والأرض وفي الأنفس والرزق، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-. واختاره مَكِّيّ بن أبي طَالِب[٥].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الزَّمخْشَرِيّ في الكشاف (٣/٣٩٥)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٧/٩٧).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٤٧٦)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/٥١٢)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/٢٩٣٧).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٤٨٧).

[٤] البسيط (١٧/٣٢٤).

[٥] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/٥٤٨٠).

الثالث: أنَّها القتل ببدر، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1].

القول الثاني: سيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا، وهذا القول منسوب إلى الحَسَن[2]. واختاره ابن الجَوْزِيّ[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة تشمل آيات الله - ﷻ - الدالة على عظمته وحكمته وقدرته وأمارات عذابه وسخطه، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقوله: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١] فالله - ﷻ - سيريهم آياته في السماء وفي الأرض وفي الرزق وفي أنفسهم وفي غيرهم، وفي جميع ما خلق، وقد أراهم الله - ﷻ - في القرآن ما فعل بالأقوام السابقين، وهم يشاهدون بعض آثار هذه الأمم الهالكة، ومن هذه الآيات ما أصابهم من القحط، وما أراه الله مشركي قريش يوم بدر من القتل والسبي؛ ولذلك قام النبي -ﷺ- على قليب بدر مخاطباً من ألقي فيها من الكفار، فقال: ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [الأعراف:٤٤]. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ »[4].

وهذه المعرفة لا تنفع من ماتوا على الكفر؛ لأنَّهم عرفوها حين لا يقبل منهم الإيمان.

---

[1] ينظر: البسيط (٣٢٦/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٨٨/٣)، والوجيز (٨١١/٢).

[2] نسبه إليه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٣٢/٤)، والزَّمخْشَرِيّ في الكشاف (٣٩٥/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٩٨/٦)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٩٧/٧).

[3] ينظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب ص٢٧٨.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم الحديث (٣٧٥٧)، (١٤٦١/٤).

قال ابن عَطِيَّة:« وقوله: ﴿سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ تَوَعُّدٌ بعذاب الدنيا كبدر والفتح ونحوه، وبعذاب الآخرة»[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[2].

[1] المحرر الوجيز (٤/٣٢٥).

[2] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

١٤٠- مدة إرضاع مُوْسَى قبل إلقائه في اليَمِّ المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال الكَلبِيّ[١] ومُقَاتِل[٢]: لما ولدته أرضعته ثلاثة أشهر، فلما خافت أن يسمع الجيران بكاء الصبي اتخذت لها تابوتاً من بَرْدِيّ[٣] وقَيَّرته[٤]، ووضعت فيه مُوْسَى ثم ألقته في نيل مصر، وذلك قوله: ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ ونحو هذا قال ابن جُرَيْج[٥]؛ إنَّها ألقته في اليَمِّ بعد أن أرضعته أشهراً. وقال السُّدِّي: أُمرت أن ترضعه بعد وِلَادِهَا، وتلقيه في اليَمِّ[٦]. **والقول الأول أليق بنظم الآية**؛ للفصل بين الإلقاء والإرضاع بالخوف»[٧].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في مدة إرضاع مُوْسَى قبل إلقائه في اليَمِّ المذكورة في الآية:

القول الأول: أنَّها أرضعته عدة أشهر قبل إلقائه في اليَمِّ، ثم اختلفوا في عدد هذه الأشهر. فقيل: ثلاثة أشهر، وهو قول مُقَاتِل، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلبِيّ -كما سبق-.

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول للكَلبِيّ سوى الوَاحِدِيّ.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٨٧/٢).

[٣] البَرْدِيُّ: بفتح الباء نبات معروف، واحدته بَرْدِيَّةٌ، ترتفع ساقه إلى نحو متر، أو أكثر ينمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل، وصنع منه المصريون القدماء ورق البَرْدِيّ المعروف.
ينظر: لسان العرب (٨٢/٣)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٨)، مادة (برد).

[٤] قَيَّرته: مأخوذة من القِير أو القَار، وهو مادة سوداء تطلى بها السفن لمنع الماء أن يدخل.
ينظر: الصحاح للجَوْهَرِيّ (٣٦٥/٣)، ولسان العرب (١٢٤/٥)، مادة (قير).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥١٩/١٩)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٣٩٣/٦) وعزاه إلى ابن المُنْذِر. وفي الأثر تحديد أربعة الأشهر.

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٠/١٩)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٥٠/١٣).

[٧] البسيط (٣٣٤/١٧).

وقيل: أربعة أشهر، وهو قول ابن جُرَيْج -كما سبق-.

وقيل: ثمانية أشهر[1].

واختار الوَاحِدِيّ[2] أنَّها ألقته في اليَمِّ بعد أن أرضعته أشهراً.

القول الثاني: أنَّها أمرت أن ترضعه عقيب الولادة وتلقيه في اليَمِّ، وهو قول السُّدِّي -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل الأقوال السابقة، فكلها جائزة؛ فالله - ﷻ - أمر أم مُوْسَى أن ترضعه ما أمنت عليه، وما أمكنها إخفاؤه عن عدوهم، فإن أصابها الخوف ولم يطمئن قلبها، وخشيت عليه من جواسيس فِرْعَوْن ونقبائه، فعليها أن تلقيه في اليَمِّ. وقد تطول هذه المدة وقد تقصر، وليس في القرآن حد ذلك[3]، أو بيان للمدة التي قضتها بين الولادة والإلقاء في اليَمِّ.

قال الطَّبَرِيّ بعد ذكر الأقوال في الآية:« وأولى قول قيل في ذلك بالصواب، أن يقال: إنَّ الله - تعالى - ذكره أمر أمّ موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فِرْعَوْن وجنده أن تلقيه في اليَمِّ. وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من وِلَادِهَا إياه؛ وأيّ ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أيّ ذلك كان من أيٍّ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أنْ يقال كما قال جل ثناؤه»[4].

---

[1] ينظر: تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٢٢/٤)، ولباب التأويل (١٦٢/٥)، والبحر المحيط (١٠٠/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٢١٦/١٥).

[2] ينظر: البسيط (٣٣٥/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٩٠/٣)، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٨١٣/٢).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٤/ ١٩٤).

[4] جامع البيان (٥٢٠/١٩).

١٤١- عَوْد الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ قال ابن عَبَّاس في رواية عِكْرِمَة [١]، وسَعِيْد بن جُبَيْر[٢]: كادت تقول: وا ابناه، من شَدَّةِ وَجْدِهَا. وقال مُقَاتِل: خشيت عليه الغرق، وكادت تصيح شفقة عليه، فذلك قوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ يقول: إن همت لتشعر أهل مصر بمُوْسَى أنَّه ولدها [٣]...وقال أبو إِسْحَاق[٤]: إن كادت لتظهر أنَّه ابنها[٥]، وقال الفَرَّاء: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ يعني باسم مُوْسَى أنَّه ابنها، وذلك أن صدرها ضاق بقول آل فِرْعَوْن: هو ابن فِرْعَوْن، فكادت تبدي به أي: تظهره[٦]...فالكناية من ﴿بِهِۦ﴾ تعود على اسم مُوْسَى على قول هؤلاء، **وهو الصحيح**»[٧].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ من الآية:

---

[١] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/٢٩٤٧)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٦/١٩٤).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/٥٢٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/٢٩٤٧).

[٣] تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٤٩٠).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] معاني القرآن وإعرابه (٤/١٣٤).

[٦] معاني القرآن للفَرَّاء (٢/٣٠٣).

[٧] البسيط (١٧/٣٤١).

القول الأول: أنَّه يعود على مُوْسَى -عليه السلام-، وهو قول ابن عَبَّاس، وسَعِيْد بن جُبَيْر، ومُقَاتِل -كما سبق-، وقَتَادَة، والسُّدِّي[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانِيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[3].

القول الثاني: أنَّه يعود على الوحي المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]. واختاره الأَخْفَش[4].

وتعقبه الآلُوْسِيّ بقوله: «وقيل: الضمير للوحي، إنَّها كادت تظهر الوحي، وهو الوحي الذي كان في شأنه -عليه السلام- المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ الآية، وهو خلاف الظاهر، ولا تساعد عليه الروايات»[5].

---

(1) أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٢٩/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٩٤٧/٩).

(2) ينظر: البسيط (٣٤١/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٩٢/٣)، والوجيز (٨١٣/٢).

(3) ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٠٣/٢)، وتأويل مشكل القرآن ص ١٤٣، وجامع البيان (٥٢٩/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٤/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٦١/٥)، وبحر العلوم (٦٠٠/٢)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٢٥/٤)، والكشاف (٤٠٠/٣)، والمحرر الوجيز (٣٢٩/٤)، وتذكرة الأريب ص٢٧٩، ومفاتيح الغيب (١٩٧/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٥٦/١٣)، وأنوار التنزيل (٢٨٥/٤)، ومدارك التنزيل (٦٣١/٢)، وغرائب القرآن (٣٣٠/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١١٠/٢)، والبحر المحيط (١٠٢/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٢٣/٦)، والجواهر الحسان (١٧١/٣)، وإرشاد العقل السليم (٥/٧)، وفتح القدير (٢٣٠/٤)، وروح المعاني (٤٩/٢٠)، ومحاسن التأويل (٥١٥/٧)، والتحرير والتنوير (٢٣/٢٠).

(4) ينظر: معاني القرآن للأَخْفَش (٤٦٩/٢).

(5) روح المعاني (٤٩/٢٠).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أولى بالصواب؛ فالضمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ يعود على مُوْسَى -عليه السلام-، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ هذا القول هو المروي عن السلف، وهو قول جمهور المفسرين.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ فهم السلف لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[١].

٢.أنَّ الآيات السابقة تتحدث عن مُوْسَى -عليه السلام- حين ألقته أُمّه في البحر، فالتقطه آل فِرْعَوْن، فأصبح فؤاد أم مُوْسَى فارغاً من كل شيء من أمور الدنيا إلا من التفكير في مُوْسَى، وفي هذه الآية كادت وأوشكت أنَّ تُظهِر أمره وأنَّه ابنها من شدة ما نزل بها من الخوف والحزن، لولا أنَّ الله - ﷻ - ثبّت قلبها، وقوّاه وأنزل عليها السكينة.

واتحاد الضمائر هنا أولى لانسجام النَّظْم، وانتظام السياق.

٣. أنَّ هذا القول مؤيد بالقواعد الترجيحية التالية:

أ. إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره [٢].

ب. توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها [٣].

جـ. الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور، ما لم يرد دليل بخلافه [٤].

---

[١] ينظر: جامع البيان (٥٨٩/١٧)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٦١/١٣)، وإعلام الموقعين (١٦٢/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، والموافقات (٢٨٩/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٣/١).

[٢] ينظر: البحر المحيط (٢٢٦/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٢٣٥/١٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[٣] ينظر: المحرر الوجيز (٨/٥)، والبرهان للزركشي (٣٥/٤)، والإتقان (٣٩٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[٤] ينظر جامع البيان (٢٤٧/١٢)، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤١٥/٤) و(٤٣٥/٤)، والمحرر الوجيز (١٩٩/١)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٥/٢) و(١٧٠/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٦١/١)، (٣٣٩/٢)، والبحر المحيط لأبي حيَّان (٢١١/٣)، (٣٢١/٤) والكليات ص٥٦٩، وأضواء البيان (٣٩٤/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤٨/٢).

١٤٢- المراد بقوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ قال المفسرون: من قبل أُمّه، ومن قبل أن تأتيه أُمّه، ومن قبل أن نردَّه على أُمّه؛ وذلك أنَّ الله -تعالى- أراد أن يردَّه إلى أُمّه فَبُغض المراضع إليه حتى يُؤتى بأُمّه. وقال صَاحِبُ النَّظْمِ[١]: قوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل أن يولد في القضاء والقدر السابق، حرمنا عليه المراضع، وكان تحريم إرضاعهن عليه أن لا يقبل ثدي امرأة. **والقول ما قال المفسرون**؛ لأنَّ المراضع لو حرمت عليه في القضاء السابق لحرم عليه رضاع أُمّه أيضاً؛ لعموم اللفظ، ولكن المعنى: حرمنا عليه المراضع قبل إرضاع أُمّه؛ وذلك أنَّه إذا ردَّ إلى أُمّه فأرضعته يجوز أن يقبل ثدي مرضعة غير الأم»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: من قبل أن نردَّه على أُمّه، وهو قول مُقَاتِل[٣]. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والخَازِن[٥].

---

[١] هو أبو علي الجُرْجَانِيّ، وكتابه (نظم القرآن) مفقود، وكثيراً ما يشير إليه الوَاحِدِيّ بقوله:" قال صَاحِبُ النَّظْمِ".

[٢] البسيط (٣٤٨/١٧).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٩١/٢).

[٤] ينظر: البسيط (٣٤٨/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٩٢/٣)، والوجيز (٨١٤/٢).

[٥] ينظر: جامع البيان (٥٣٣/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٥/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٦٣/٥)، والكشف والبيان (٢٣٨/٧)، ومعالم التنزيل (١٩٥/٦)، وزاد المسير (٢٠٦/٦)، ولباب التأويل (١٦٥/٥).

القول الثاني: أنَّ المعنى: قبل أن يولد في القضاء والقدر السابق، وهو قول أبي علي الْجُرْجَانِيّ -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّ المعنى: من قبل مجيء أخته، وقصّها أثره.

واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ[1].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أن القول الأول هو الأظهر والأقوى، فالمعنى: حرمنا عليه المراضع من قبل أن نردَّه على أُمّه، والقول الثالث قريبٌ منه؛ ولذا قال القُرْطُبِيّ:« ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل مجيء أُمّه وأخته»[2]. وهذا القول هو الموافق لسياق الآيات السابقة واللاحقة؛ فمُوْسَى -عليه السلام- بعد إرضاع أُمّه له، وإلقائه في اليم، لم يَقْبَل ثَدْيَ مرْضعة قط، حتى جاءت أخته ودلتهم على أُمّه فرضع منها.

أمَّا قول الْجُرْجَانِيّ الذي ساقه الوَاحِدِيّ فيأباه السياق؛ لأنَّ المراضع لو حرمت عليه قبل أن يولد في القضاء والقدر السابق لحرم عليه رضاع أُمّه أيضاً؛ لعموم اللفظ القرآني.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له[3].

---

[1] ينظر: الكشاف (٤٠١/٣)، وأنوار التنزيل (٢٨٥/٤)، وإرشاد العقل السليم (٥/٧)، ومحاسن التأويل (٥١٦/٧).

[2] الجامع لأحكام القرآن (٢٥٧/١٣).

[3] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

١٤٣- المراد بقوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللهُ-:« قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ قال أبو عُبَيْدَةَ: يتشاورون فيك ليقتلوك[١]. واحتج بقول رَبِيعَة بن جُشم النَّمَرِيّ[٢]:

أحَارِ بن عَمْرٍو كأنِّي خَمِرْ وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ[٣]

قال ابن قُتَيْبَة: وهذا غلط بَيِّنٌ لمن تدبر، ومضادَّةٌ للمعنى، كيف يعدو على المرء ما شاور فيه، والمشاورة بركة وخير؟ وإنما أراد: يعدو عليه ما يهمّ به من الشر. قال: وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي: يَهمُّون بك، يَدُلُّك على ذلك قولُ النَّمِر بن تَوْلَب[٤]:

---

[١] الذي ورد عن أبي عُبَيْدَةَ في مجازه (٢/١٠٠) أنَّه جمع بين الأقوال الثلاثة الآتي ذكرها، فقال: «﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ مجازه يهمُّون بك، ويتوامرون فيك، ويتشاورون فيك ويرتؤون »، ولعل المؤلف أراد أبا عُبَيْد القاسم بن سلَّام، وقد نسبه إليه السمرقندي في بحر العلوم (٢/٦٠٣)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٤/٢٣٥)، وعدَّ د. متعب بن فهد الدوسري في رسالته:(أقوال أبي عُبَيْدٍ القاسم بن سلَّام في التفسير) ص٣٩٨ هذا القول ضمن أقواله.

[٢] رَبِيعَة بن جُشَم بن حاشد النَّمَرِيّ، شاعر من أولاد النمر بن قاسط، أحد شعراء همدان في الجاهلية.
ينظر: الأنساب (٢/١٨٤)، والأعلام (٣/١٥٤).

[٣] البيت من البحر المتقارب، وقد اختلف في قائله، ونسبه البغدادي في خزانة الأدب لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٠٥، قال البغدادي: «وَأثبت هَذِه القصيدة لَهُ أَبُو عَمْرو الشَّيْبَانِيّ والمفضل وَغَيرهمَا، وَزعم الْأَصْمَعِي فِي رِوَايَته عَن أبي عَمْرو بن الْعَلَاء أَنَّهَا لرجل من أَوْلَاد النمر بن قاسط يُقَال لَهُ رَبِيعَة بن جُشم».
أحار: مُرَخّم ياحارث، كأنِّي خَمِرْ: الخَمْرُ ما أَسْكَرَ من عصير العنب؛ لأَنَّها خامرت العقل، والخُمَار: بَقِيَّةُ السُّكْرِ. ومنه: رجل خَمِرٌ أي: في عَقِبِ خُمارٍ. ويقال: هو الذي خَامَرَهُ الدَّاءُ، إذا خَالَطَه.
ينظر: الصحاح للجَوْهَرِيّ (٣/٢١٢)، ولسان العرب (٤/٢٦)، مادة (أمر)، (خمر).

[٤] النَّمِر بن تَوْلَب بن زهير بن أقيش العُكْلِيّ، شاعر مخضرم، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهاباً لماله، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي -ﷺ- فكتب عنه كتاباً لقومه.
ينظر: الاستيعاب (٤/١٥٣١)، والإصابة (٦/٤٧٠).

اعْلَمَنْ أنْ كلَّ مُؤْتَمَرٍ مُخْطِئٌ في الرَّأي أحْيَانَا[1]

يقول: كلٌّ من ركب هواه، وفعل ما يفعل بغير مشاورة أخطأ أحياناً، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]، لم يُرِد تَشاوَرُوا، وإنما أراد: هُمُّوا به، واعتَزِموا عليه. ولو كان كما قال أبو عُبَيْدَةَ لقال: يَتَآمَرُون فيك[2]. وقال الزَّجَّاج في قوله:﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يأمر بعضهم بعضاً بقتلك[3]. قال الْأَزْهَرِيُّ: يقال: ائتمر القوم، وتآمروا:إذا أمر بعضهم بعضاً، كما يقال: اقتتل القوم وتقاتلوا، واختصموا وتخاصموا. ومعنى: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يؤامر بعضهم بعضاً بقتلك؛ وهذا أحسن من قول الْقُتَيْبِيّ[4]: إنَّه بمعنى: يهمُّون بك[5]...

وقول أبي عُبَيْدَةَ، والزَّجَّاج في تفسير ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ **هو الصحيح**، وقولهما قريب من السواء، وقول ابن قُتَيْبَة لا أصل له في اللغة؛ ولا يقال: ائتمر بالشيء إذا همَّ به»[6].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: يتشاورون في قتلك.

واختاره الطَّبَرِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن كَثِيْر، والقَاسِمِيّ[7].

---

(١) البيت من البحر المديد، ومعناه: أن من ركب أمراً بغير مشورة أخطأ أحياناً. ينظر: ديوان النَّمِر بن تَوْلَب ص١٣٥، والمعاني الكبير (١٢٦٥/٣)، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص٣٨٤.

(٢) ينظر: غريب القرآن ص٣٣٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١٣٨/٤).

(٤) يقصد بالْقُتَيْبِيّ: ابن قُتَيْبَة.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٢١١).

(٦) البسيط (٣٦٤/١٧).

(٧) ينظر: جامع البيان (٥٤٧/١٩)، وغرائب القرآن (٣٣٣/٥)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٢٦/٦)، ومحاسن التأويل (٥١٨/٧).

وردَّ هذا القول ابن قُتَيْبَة، ووافقه النَّحَّاس، فقال: «وهذا القول غلط، ولو كان كما قال، لكان يتآمرون فيك، أي: يتشاورون فيك، أي: يستأمر بعضهم بعضاً، ومعنى يأتمرون يهمُّون من قوله - ﷻ -: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦]، وكذلك معنى وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ»[١].

وتعقَّب ابن عَطِيَّة هذا الرَّدَّ، فقال: «يَأْتَمِرُونَ وزنه يَفْتَعِلُونَ، و يَفْتَعِلُونَ يأتي كثيراً بمعنى يَتَفَاعَلُونَ، ومنه ازْدَوج بمعنى تَزَاوج. وذهب ابن قُتَيْبَة إلى أنَّه بمعنى: يأْمر بعضُهم بعضاً، وقال: لو كان ذلك لكان يتآمرون...وذهب عنه أن يَفْتَعل بمعنى يَتَفاعَل، وفي القرآن ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾، وقد قال النَّمِر بن تَوْلَب:

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ[٢]»[٣].

القول الثاني: أنَّ المعنى: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، وهو قول الزَّجَّاج-كما سبق-.

واختار الوَاحِدِيّ[٤] القولين السابقين وعَلَّل ذلك بأنَّهما قريبان من بعضهما في المعنى.

ووافقه الزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وأبو السُّعُوْد[٥].

القول الثالث: أنَّ المعنى: يهمُّون بك. واختاره ابن قُتَيْبَة، والنَّحَّاس[٦].

---

[١] معاني القرآن للنَّحَّاس (١٧٠/٥).

[٢] البيت من البحر المتقارب، ينظر: ديوانه ص٦٤، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١٠٠/٢)، وجامع البيان (٥٤٨/١٩). الشِيمَة: الخلق، يريد: أحدثوا أخلاقًا لم تعرف من قبل. يُؤْتَمَرُ: أي يحدث التشاور وتداول الآراء والجدل. ولعل الشاعر يشير إلى الخلافات والفتن التي حدثت حول الخلافة، أو العقائد، كالقول في القدر أو نحو ذلك. فرأى مقدمات الخلاف، وأمارات الفرقة تلوح من خلال الحوادث، فأنذر بها. ينظر: المقاصد النحوية (٥٦٦/١).

[٣] المحرر الوجيز (٣٣٣/٤).

[٤] ينظر: البسيط (٣٦٦/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٩٤/٣)، والوجيز (٨١٥/٢).

[٥] ينظر: الكشاف (٤٠٤/٣)، ومفاتيح الغيب (٢٠٣/٢٤)، وأنوار التنزيل (٢٨٨/٤)، وإرشاد العقل السليم (٧/٧).

[٦] ينظر: غريب القرآن ص٣٣٠، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٧٠/٥).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أن الأقوال الواردة في معنى ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ صحيحة ومحتملة؛ فالائْتِمَارُ في اللغة المشاورة والتَّآمُر، ويطلق على الهَمّ بالشيْءِ[1].

قال الزَّمَخْشَرِيّ: «والائْتِمَار: التشاور. يقال: الرجلان يتآمران ويأتمران؛ لأنَّ كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر»[2].

فالمعاني التي فسِّر بها لفظ ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ متقاربة، بل ذكر الرَّسْعَنِيّ[3] أن القولين الأولين سواء[4]، أمَّا القول الثالث فقد ذكر ابن عَاشُور أن قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ قد ضُمِّنَ معنى (يَهُمُّونَ)، فقال:« و﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون. وَضُمِّنَ معنى (يَهُمُّونَ) فعدي بالباء، فكأنه قيل: يأتمرون ويَهُمُّونَ بقتلك»[5].

وهذا ما جعل بعض المفسرين يجمع بين الأقوال السابقة عند تفسيره للآية؛ فمن ذلك قول أبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى في معناها:«أي: يهمُّون بك، ويتوامرون فيك، ويتشاورن فيك، ويرتؤون»[6].

وقول الثَّعْلَبِيّ:« أي: يهمُّون بقتلك، ويتشاورون فيك»[7].

---

[1] ينظر: مختار الصحاح للرَّازِيّ ص٢٠، وتاج العروس (٧٧/١٠)، مادة (أمر).

[2] الكشاف (٤٠٤/٣).

[3] عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر ابن خلف الجزري، أبو محمد، عز الدين الرَّسْعَنِيّ، مفسر، من علماء الحنابلة، كان إماماً فاضلاً شاعراً محدثاً، من مصنفاته: رموز الكنوز في التفسير، و(مصرع الحسين) ألزمه بتصنيفه بدر الدين صاحب الموصل، توفي سنة ٦٦١هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ (١٦٣/٤)، وطبقات المفسرين للسُّيوطِيّ ص٥٥.

[4] ينظر: رموز الكنوز (٥٢٤/٥).

[5] التحرير والتنوير (٤٠٤/٣).

[6] مجاز القرآن (١٠٠/٢).

[7] الكشف والبيان (٢٤٢/٧).

١٤٤- المراد بقوله: ﴿تَذُودَانِ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ تحبسان غنمهما. هذا قول أكثر المفسرين...ولم يُذكر في الآية عن أي شيء تدفعان الغنم؛ فذهب أكثر أهل التفسير إلى أنَّهما كانتا تدفعانها عن الماء...وقال الحَسَن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس[١].

وقال قَتَادَة: ﴿تَذُودَانِ﴾ الناس عن شائهما[٢]. **والقول هو الأول؛** لقوله: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ... فلولا أنَّهما كانتا تحبسان غنمهما عن الماء في وقت السقي ما سألهما موسى عن شأنهما، ألا ترى أنَّ في جوابهما دليلًا على أنَّه سألهما عن السبب في ترك السقي مع الناس، وهو قوله: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: تحبسان غنمهما عن الماء حتى يفرغ الناس من السقي، وهو قول مُحَمَّد بن إِسْحَاق، وأبي مَالِك[٤]، وابن جُرَيْج[٥]، ومُقَاتِل[٦]. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]،

---

(١) لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٤٣/٧)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٠٠/٦).

(٢) أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٣/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٩٦٢/٩).

(٣) البسيط (٣٦٨/١٧).

(٤) أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٥٣/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٩٦٢/٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٩٦٣/٩).

(٦) ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٩٣/٢).

(٧) ينظر: البسيط (٣٧٠/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٩٤/٣)، والوجيز (٨١٦/٢).

والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، والثَّعَالِبِيّ، والسُّيوطِيّ، والشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[1].

واستُدل لهذا القول بالسياق لحاقاً، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس، لم تخبرا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء[2].

القول الثاني: أنَّ المعنى: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وهذا القول منسوب إلى الحَسَن -كما سبق-. واختاره البَيْضَاوِيّ، وأبو السُّعُوْد[3].

القول الثالث: أنَّ المعنى: تمنعان الناس عن غنمهما، وهو قول قَتَادَة -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الراجح هو القول الأول؛ فمعنى الآية أنَّهما تمنعان وتحبسان غنمهما عن الماء حتى يفرغ الناس من سقي مواشيهم وتخلو لهم البئر، وقول الحَسَن في معنى هذا القول؛ لأنَّ الأغنام إذا أقبلت على الماء انطلقت إليه، وحينها ستختلط بأغنام الناس؛ لكثرة الزحام والسقاة؛ ولذا قال ابن كَثِيْر:« تكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يُؤذَيا»[4]، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. دلالة السياق القرآني؛ فبعد أن ذكر قصة المرأتين، وأنَّهما لا تستطيعان السقي،

---

[1] ينظر: جامع البيان (٥٥٣/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٩/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٧٣/٥)، والكشف والبيان (٢٤٣/٧)، ومعالم التنزيل (٢٠٠/٦)، ولباب التأويل (١٦٩/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢)، والجواهر الحسان (١٧٤/٣)، ومعترك الأقران (١١١/٢)، وفتح القدير (٢٣٦/٤)، ومحاسن التأويل (٥١٨/٧)، والتحرير والتنوير (٣٨/٢٠).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٥٣/١٩)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٧٣/٥)، والكشف والبيان (٢٤٣/٧)، ومعالم التنزيل (٢٠٠/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١١١/٢)، ومعترك الأقران (١١١/٢)، والتحرير والتنوير (٣٨/٢٠).

[3] ينظر: أنوار التنزيل (٢٨٨/٤)، وإرشاد العقل السليم (٧/ ٨).

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٢٦/٦).

قال في الآية نفسها: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ فحين سألهما مُوْسَى -عليه السلام- عن ذَوْدِهِمَا، شكتا أنَّهما لا تسقيان حتى يصدر الرعاء، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس فلا شك أنَّهما كانتا تخبران عن سبب ذَوْدِهِمَا عنها الناس، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يُصْدِرَ الرعاء[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[2].

٢. حمل الكلام على الحقيقة أولى من حمله على المجاز.

قال الفَرَّاء:«ولا يجوز أن يقال: ذُدْتُ الرجل، إذا حبسته، وإنَّما كان الذِّيَادُ حبساً للغنم؛ لأنَّ الغنم إذا أراد شيء منها أن يشذَّ ويذهب فرددته فذلك ذَوْد، وهو:الحبس»[3].

وقال ابن عَاشُور:« وحقيقة الذَّوْد طرد الأنعام عن الماء؛ ولذلك سَمَّوا القَطِيعَ من الإبل الذَّوْد، فلا يقال: ذُدْتُ الناس، إلا مجازاً مرسلاً»[4]. ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: « أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا»[5].

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[6].

قال الآلُوْسِيّ بعد أن ذكر الأقوال في المسألة:« وفي جميع هذه الأقوال – أقوال جماعة السَّلف – تصريح بأنَّ المذود كان غنماً، والظاهر أن ذلك عن توقيف»[7].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٥٥٣/١٩).

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح (٢٦٩/١).

[3] معاني القرآن للفَرَّاء (٣٠٥/٢).

[4] التحرير والتنوير (٣٨/٢٠).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم الحديث (٦٠٧)، (١٥٠/١).

[6] ينظر: المحرر الوجيز (٤٤٠/٢)، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٣١٨/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٤٠/٢).

[7] روح المعاني (٥٩/٢٠).

١٤٥- عَوْد الضمير المستتر في قوله: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« والتصديق لهَارُون -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في قول الجميع، وقال مُقَاتِل: لكي يصدقني فِرْعَوْن[١]. **والقول هو الأول**»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير المستتر في قوله: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ من الآية:

القول الأول: أنَّه يعود على هَارُون -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٤]. وهو قول الجمهور[٥].

القول الثاني: أنَّه يعود على فِرْعَوْن، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٩٦/٢).

[٢] البسيط (٣٩٥/١٧).

[٣] ينظر: البسيط (٣٩٥/١٧)، وذكر القولين في الوسيط ولم يرجح (٣٩٩/٣)، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٨١٨/٢).

[٤] ينظر: جامع البيان (٥٧٧/١٩)، وبحر العلوم (٦٠٧/٢)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٣٩/٤)، والكشاف (٤١٤/٣)، وأنوار التنزيل (٢٩٢/٤)، ومدارك التنزيل (٦٤٢/٢)، والبحر المحيط (١١٣/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٣٦/٦)، واللباب في علوم الكتاب (٢٥٧/١٥)، ومحاسن التأويل (٥٢١/٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٦١٥، والتحرير والتنوير (٥٣/٢٠).

[٥] حكاه الوَاحِدِيّ الوسيط (٣٩٩/٣)، البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٠٨/٦)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٢١٣/٢٤)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٢٥٧/١٥).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ قول الجمهور أولى بالصواب، وهذا مما يُقَوِّي رجحانه[1]، كما أنَّ سياق الآيات في كون التصديق لهَارُون -عليه السلام- أظهر منه لفِرْعَوْن وقومه؛ فمُوْسَى -عليه السلام- طلب من الله - ﷻ - أن يرسل معه هَارُون -عليه السلام- معيناً ومدافعاً، يُصَدِّقه بتوضيح ما قاله، لذا وصفه مُوْسَى -عليه السلام- بالفصاحة في قوله: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ وفضل الفصاحة؛ إنَّما يحتاج إليه لتقرير البرهان والحجة، وإقامة الأدلة، ومجادلة المشركين وتزييف الشبهة. وفي كل هذا تصديق من هَارُون لرسالة مُوْسَى - عليه السلام -؛ لأنَّه خشي تكذيبهم له؛ لذا علل سؤاله هذا بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ فقال الله - تعالى - مجيباً لسؤاله: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص: ٣٥].

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٤٦- المراد بالقرون الأولى

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُقَاتِل: يعني قوم نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وغيرهم، كانوا قبل مُوْسَى[١]... وقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد من بعد ما غرق فِرْعَوْن وقومه، وخُسِف بِقَارُونَ[٢]. **والقول هو الأول**»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالقرون الأولى في الآية:

القول الأول: أنَّهم قوم نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وغيرهم ممن كانوا قبل مُوْسَى، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وأبو حيَّان، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، وابن عَاشُور[٥].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/ ٤٩٨).

[٢] هذا القول ذُكر في كتب التفسير دون نسبة إلى ابن عَبَّاس. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٣)، وفتح القدير (٢٤٩/٤).

[٣] البسيط (٤٠٣/١٧).

[٤] ينظر: البسيط (٤٠٤/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٠٠/٣)، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٨٢٠/٢).

[٥] ينظر: جامع البيان (٥٨٣/١٩)، وبحر العلوم (٦١٠/٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥٥٣٨/٨)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٤٢/٤)، ومعالم التنزيل (٢١٠/٦)، وزاد المسير (٢٢٤/٦)، وأنوار التنزيل (٢٩٥/٤)، ومدارك التنزيل (٦٤٥/٢)، ولباب التأويل (١٧٥/٥)، والبحر المحيط (١١٥/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٢٦٢/١٥)، وإرشاد العقل السليم (١٥/٧)، والتحرير والتنوير (٦٤/٢٠).

القول الثاني: أنَّهم فِرْعَوْن وقومه[1]، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أن الآية تشمل كل من هلك قبل نزول التوراة على مُوْسَى فيدخل في ذلك هلاك فِرْعَوْن وقومه، وهلاك الأمم السابقة من قوم نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وقرية قوم لُوط وغيرهم ممن كانوا قبل مُوْسَى.

قال ابن عَطِيَّة:« ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ إخبار بأنَّه أنزل التوراة على مُوْسَى بعد هلاك فِرْعَوْن وقومه، وبعد هذه الأمم التي قد تقدم ذكرها من عادٍ وَثَمُودَ وقرية قوم لُوط وغيرها، والقصد بهذا الإخبار التمثيل لقريش بما تقدم في غيرها من الأمم»[2].

وقال السّعْدِيّ:« ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ الذين كان خاتمتهم في الإهلاك العام، فِرْعَوْن وجنوده. وهذا دليل على أنَّه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف»[3].

ويشهد لذلك الحديث الوارد عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- أنَّ النبي -ﷺ- قال: «مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا وَلَا قَرْنًا وَلَا أُمَّةً وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ مُنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرَ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخَتْ قِرَدَةً، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4].

---

[1] ينظر: البسيط (٤٠٤/١٧)، والمحرر الوجيز (٣٤١/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٣)، وفتح القدير (٢٤٩/٤).

[2] المحرر الوجيز (٣٤١/٤).

[3] تيسير الكريم الرحمن ص٦١٦.

[4] أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة القصص، رقم الحديث (٣٥٣٤)، رقم الحديث (٤٤٢/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٨٣/١٩)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٢٩٨١/٩) موقوفًا على أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

١٤٧- المراد بقوله: ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ و ﴿أُمِّهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني القرى الكفرة أهلها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بأمِّها: مكة... وعلى هذا القول، المراد القرى التي حول مكة، لا البعيدة عنها؛ لأنَّ التي بعدت عنها لا تنتفع ببعث الرسول في مكة، ويكون المعنى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي حول مكة بكفرها في زمانك ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾ وهي مكة ﴿رَسُولًا﴾ أي: يبعثك رسولاً فتنذرهم، ثم بعثه الله إليهم رسولاً. وهذا قول قَتَادَة [١] في تخصيص القرى. **وأظهر من هذا القول وأصح**: أنَّ القرى على عمومها، والمراد بأمِّها: أعظمها. يقول: ما كان الله ليهلك القرى الكافرة حتى يبعث في أعظمها رسولاً ينذرهم. وخص الأعظم ببعثة الرسول فيها؛ لأنَّ الرسول إنَّما يبعث إلى الأشراف، وأشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن الكبيرة، والمواضع التي هي أمُّ ما حولها» [٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ و ﴿أُمِّهَا﴾ من الآية:

القول الأول: أنَّ المراد بأمِّها: مكة، والقرى هي التي حولها، وهو قول قَتَادَة-كما سبق-، ومُقَاتِل [٣].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩/٦٠٣)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٩/٢٩٩٧).

[٢] البسيط (١٧/٤٢٩).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/ ٥٠٢).

واختاره الفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي[1].

القول الثاني: أنَّ المراد بأمِّها: أعظمها وأكبرها، والقرى على عمومها.

واختاره الوَاحِدِيّ[2]، وابن قُتَيْبَة، والبَغَوِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وابن عَادِل، والبِقَاعِيّ، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأولى والأظهر هو القول الثاني، والقول الأول يدخل في عمومه؛ فالله – ﷻ – يخبر أنَّه لا يهلك قرية من القرى التي كفر أهلها، حتى يبعث في كبرى تلك القرى وأعظمها رسولاً من رسله، يتلو على أهلها آياته، ويبلغهم دعوته، ويبيِّن لهم الحق من الباطل؛ لأنَّ الغالب على من يكون في أكبر القرى والمدائن أنَّهُم الرُّؤَسَاء والكِبَار وأصْحاب الفَهْم وأشراف القوم، وهم المَتْبُوعُون فإذا انْقادُوا إلى الحَقّ فغيرُهُم من عامَّة النَّاس تَبَعٌ لهُم. والرسل -عليهم السلام- بعثوا في أعظم القرى في زمانهم، وفي زمن النبي -ﷺ- بعث في مكة التي هي أم القرى.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[4].

---

[1] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٠٩/٢)، وجامع البيان (٦٠٣/١٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٥٠/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٩١/٥)، والكشف والبيان (٢٥٦/٧)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٥٥٥٨/٨)، والكشاف (٤٢٨/٣)، وتذكرة الأريب ص٢٨٣، ومدارك التنزيل (٦٥١/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١١٦/٢).

[2] ينظر: البسيط (٤٣٠/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٠٤/٣)، والوجيز (٨٢٣/٢).

[3] ينظر: غريب القرآن ص ٣٣٤، ومعالم التنزيل (٢١٦/٦)، وأنوار التنزيل (٢٩٩/٤)، واللباب في علوم الكتاب (٢٧٦/١٥)، ونظم الدرر (٥٠٧/٥)، وإرشاد العقل السليم (٢٠/٧)، وروح المعاني (٩٨/٢٠).

[4] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

كما أن سياق الآيات السابقة يشهد لهذا القول؛ فهي تتحدث عن الأمم الماضية، وما حلَّ بهم من عذاب جزاء كفرهم بنعم الله - ﷻ -، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]، ثم أعقب هذه الآية بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]، فكان الأنسب أن تبقى على عمومها دون تخصيصها.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي يؤيده السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

١٤٨- المراد بقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد إلا ما أريد به وجهه[١]...وقال سُفْيَان[٢]: إلا ما أريد به وجه الله من الأعمال[٣]. وهو اختيار الفَرَّاء، وأنشد قول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهُ رَبُّ العِبادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ[٤].

أي: إليه أوجه العمل[٥]. فعلى هذا وجه الله ما وُجه إليه من الأعمال...وقال مُقَاتِل: يقول كل شيء من الحيوان ميت، ثم استثنى نفسه بأنَّه حي لا يموت؛ فقال: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يعني: إلا هو[٦]...واختاره الزَّجَّاج؛ فقال ومعنى: ﴿وَجْهَهُۥ﴾ إلا إياه[٧]. وعلى هذا: الوجه، صلةٌ في الكلام. وقال ابن كَيْسَان: إلا مُلْكَهُ[٨]. والوجه يجوز أن يكون

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٤١١/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٢٥٢/٦) عن عَطَاء عن ابن عَبَّاس، والسُّيوطِيّ في الدر المنثور (٤٤٧/٦) عن ابن عَبَّاس، وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد.

[٢] سفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوري، أبو عبدالله، الكوفي، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، أحد الأئمة المجتهدين، له تفسير مشهور رواه عنه أبوحذيفة موسى النَّهدي، توفي سنة ١٩٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣٨٦/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣).

[٣] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣٠٢٨/٩)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٣٥٠/٥).

[٤] البيت من البحر البسيط، وهي من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سِيبَوَيْه في النحو، ولا يعرف قائلها. ينظر: خزانة الأدب (١١١/٣)، وذكر البيت ابن جِنِّيّ في الخصائص (٢٥٠/٣) دون عزو.

[٥] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣١٤/٢).

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٥٠٩/٢).

[٧] معاني القرآن وإعرابه (١٥٨/٤).

[٨] نسبه إليه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٦٨/٧)، وذكره السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٦٢٣/٢) دون نسبة.

عبارة عن: المُلك؛ لأنَّ الوجه من الوجاهة، والمَلِك من أوجه الناس، فسمي المَلِك وجهاً[1]... **والاختيار القول الأول**، وهو الذي يليق بمعنى الآية»[2].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ من الآية:

القول الأول: أنَّ المراد إلا ما أريد به وجهُه.

وهو مروي عن ابن عَبَّاس، وسُفْيَان الثَّوْرِيّ -كما سبق-، ومُجَاهِد[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، وابن تَيْمِيَّة[5].

واستدل ابن تَيْمِيَّة على رجحان هذا القول بما يلي:

١. أنَّ سياق الآية يدل عليه؛ فإنَّه تعالى لما نهى عن الإشراك به ذكر أنَّ كل عمل خالطه الشرك فهو باطل، وإنما يبقى الخالص لوجهه الكريم[6].

٢. أنَّ اسم الوجه في الكتاب والسنة، إنَّما يذكر في سياق العبادة له، والعمل له، والتوجه إليه، فهو مذكور في تقرير ألوهيته وعبادته وطاعته لا في تقرير وحدانيته، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الإنسان: ١٩-٢٠]،

---

[1] كلام الواحدي يُشعر بإنكار صفة الوجه لله -ﷻ-، وقد صرح بنفي صفة الوجه عند تفسيره لقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ربك الظاهر بأدلته، ظهور الإنسان بوجهه، فالوجه على هذا عبارة عن الظهور. ينظر: الوسيط (٢٢١/٤)، وفي البسيط (١٥٨/٢١) ذكر هذا القول وزاد عليه قولاً آخر، فقال: ويبقى ربك وهو السيد المعظم، والوجه يذكر بمعنى الشيء المعظم، كقولهم: هذا وجه القوم، ووجه التدبير، أي: التدبير المعظم.

[2] البسيط (٤٧٨/١٧).

[3] أخرجه ابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣٠٢٨/٩)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٢٦١/٦).

[4] ينظر: البسيط (٤٨٠/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٤١١/٣)، وفي الوجيز (٨٢٦/٢) اقتصر على القول الثاني.

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٤٢٧/٢).

[6] ينظر: المصدر السابق (٤٢٧/٢).

وقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨-٩]، وقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢]. وإذا كان كذلك كان حمل اسم الوجه في هذه الآية على ما يدل عليه في سائر الآيات أولى من حمله على ما لا يدل عليه لفظ الوجه في شيء من الكتاب والسنة بل هذا هو الواجب دون ذاك؛ لأنَّ هذا استعمال للفظ فيما لم يرد به الكتاب، والكتاب قد ورد بغيره حيث ذكر[١][٢].

القول الثاني: أنَّ المراد إلا هو، أو إلا ذاته، والوجه يعبر به عن الذات، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والزَّجَّاج، والزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وابن جُزَي، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٣].

ويدخل في هذا القول من قال إنَّ المراد بالوجه في الآية هو صفة من الصفات الذاتية الثابتة لله - ﷻ -، فتثبت لله - ﷻ - على وجه يليق بجلاله وعظمته، مع التنْزيه التام عن

---

[١] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢/٣٠).

[٢] قال الشيخ مناع القطان:" وهذا لا يتعارض مع ما ذكره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية من الاستدلال بالآية على إثبات صفة الوجه لله - تعالى - على ما يليق به؛ لأنَّ إضافة الوجه إلى الله تعالى أو إلى ضميره يحمل فيها الوجه على الحقيقة بما يليق به سبحانه، أما المعنى الإسنادي للجملة وحمل المراد به على ما أريد به وجه الله فإنه لا يعارض ذلك؛ فإن السلف يفسرون المعنى الإسنادي باللازم ولا ينفون حقيقة الصفة، وهذا لا بأس به. بخلاف من يفسرون باللازم وينفون الصفة " ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٧٥) الهامش (٢) .

[٣] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/٣١٤)، وتأويل مشكل القرآن ص ١٥٩، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/١٥٨)، والكشاف (٣/٤٤١)، وأنوار التنزيل (٤/٣٠٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٢١)، وإرشاد العقل السليم (٧/٢٨)، وفتح القدير (٤/٢٦٩)، ومحاسن التأويل (٧/٥٤٣)، والتحرير والتنوير (٢٠/١٢٤).

مشابهة المخلوقين؛ حملاً للآية على ظاهرها المتبادر منها، وهو اختيار الشَّنْقِيطِيّ[1]، وابن عُثَيْمِيْن[2].

قال ابن عُثَيْمِيْن:« وقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: توازي قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فالمعنى: كل شيء فان وزائل، إلا وجه الله - ﷻ -، فإنَّه باق، ولهذا قال: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] فهو الحكم الباقي الذي يرجع إليه الناس ليحكم بينهم. وقيل في معنى الآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا ما أريد به وجهه، قالوا: لأنَّ سياق الآية يدل على ذلك: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨]، كأنَّه يقول: لا تدع مع الله إلهاً آخر فتشرك به؛ لأنَّ عملك وإشراكك هالك، أي: ضائع سدى، إلا ما أخلصته لوجه الله، فإنَّه يبقى؛ لأنَّ العمل الصالح له ثواب باقٍ لا يفنى في جنات النعيم. ولكن المعنى الأول أسدّ وأقوى»[3].

القول الثالث: أنَّ المراد إلا مُلْكَهُ، وهو منسوب لابن كَيْسَان -كما سبق-.

وهذا القول باطل، ومما يدل على بطلانه: أنَّ الأشياء كلها ملك لله - ﷻ -، فهل يجوز أن يقال: كل شيء هالك إلا كل شيء؟

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأظهر هو القول الأول، والقول الثاني لا يعارضه ولا ينافيه؛ فكما تفنى كل الذوات إلا ذاته سبحانه، فكذلك تفنى كل الأعمال وتضمحل إلا ما ابتغي به وجهه وكان خالصاً له جل في علاه. وعلى كلا القولين فالآية فيها دليل على ثبوت الوجه لله - ﷻ -.

---

[1] ينظر: أضواء البيان (١٥٤/٦).

[2] شرح العقيدة الواسطية ص٢٨٦.

[3] المصدر السابق ص٢٨٦.

وقد جمع ابن كَثِيْر بين القولين في تفسيره، بقوله:« وهذا القول – إلا ما أريد به وجهه – لا ينافي القول الأول – إلا إياه – فإنَّ هذا إخبار عن كل الأعمال بأنَّها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه أنَّ كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته - تعالى وتقدس -، فإنَّه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء»[1].

وقال ابن عُثَيْمِيْن:« وعلى طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه؛ نقول: يمكن أن نحمل الآية على المعنيين؛ إذ لا منافاة بينهما، فتحمل على هذا وهذا، فيقال: كل شيء يفنى إلا وجه الله - ﷻ -، وكل شيء من الأعمال يذهب هباءً إلا ما أريد به وجه الله - ﷻ -. وعلى أي التقديرين؛ ففي الآية دليل على ثبوت الوجه لله - ﷻ -»[2].

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٢٦١).

[2] شرح العقيدة الواسطية ص٢٨٦.

١٤٩- المراد بقوله: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُجَاهِد: يعني قريشاً[١]. وقال مُقَاتِل: يعنى كفار اليهود، يقول: إذاً لشكوا فيك، وقالوا: إنَّ الذي نجد في التوراة نعته، هو أمي لا يقرأ الكتاب، ولا يكتب، ولا يخطه بيمينه [٢]. **وهذا هو القول**؛ لأنَّ أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي -ﷺ- بنعته وصفته حقاً يقيناً؛ وإنَّما يجحدون نبوته بعد اليقين، ويكفرون بالجحد، فلو كان النبي -ﷺ- كاتباً قارئاً لكان بغير النعت الذي يعرفوه، وكانوا يشكون. أمَّا الكفار فإنَّهم ما عرفوه بالنبوة، وكانوا شاكين مع كونه أُمِّياً، وإذا كان كذلك فلا معنى لقوله: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ﴾ مع كونهم مرتابين؛ ووجهه ما قال الفَرَّاء أشد لريبة من كذب من أهل الكتاب[٣]. فحُمل قوله: ﴿لَّٱرْتَابَ﴾ على زيادة الريبة على قول مُجَاهِد. والمعنى: أنَّ المشركين كانوا شاكين في نبوته، مع أنَّه يخبرهم بقصص الماضين، من غير أن يقدر على كتابة وقراءة، فلو كان قارئاً كاتباً لاشتد ارتيابهم، وقالوا: إنَّما تعلمه وقرأه من كتاب»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّهم كفار قريش، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥١/٢٠)، وابن أبي حَاتِم في تفسيره (٣٠٧١/٩).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٥٢٢/٢).

[٣] الذي نص عليه الفراء في معانيه (٣١٧/٢) هو قوله:« لو كنت كذلك ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يعني النصارى الَّذِينَ وجدوا صفته، ويكون ﴿لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي لكان أشد لريبة من كذب من أهل مكة وغيرهم».

[٤] البسيط (٥٤٠/١٧).

القول الثاني: أنَّهم كفار اليهود، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل القولين إذ لا تعارض بينهما، بل إنَّ لفظ المبطلين يعم كل من شك في كون هذا القرآن من عند الله - تعالى - سواء أكان من مشركي مكة أومن أهل الكتاب أومن غيرهم، فأمَّا أهل الشرك فقد كانوا يزعمون أنَّ النبي -ﷺ- قرأ من كتب الأولين ونسخ منها، فأتى لهم بأخبار من مضى وأخبار ما هو آت، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥].

وأمَّا أهل الكتاب فقد كان من نعته في كتبهم أنَّه أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، فلو كان يقرأ ويكتب لكان مخالفاً للصفة التي وصفه الله - ﷻ - بها عندهم. وحيث لم يكن كذلك؛ لم يكن لارتيابهم وجه؛ لذا وصف الله المكذبين بالمبطلين؛ لأنَّهم كذبوا مع انتفاء شبهة الكذب فكان تكذيبهم باطلاً.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ الأصل في الخطاب العموم ما لم يرد دليل على تخصيصه[2].

كما أنَّ سياق الآيات يشهد لكلا القولين؛ فالآيات السابقة تحدثت عن مجادلة أهل الكتاب وعن مشركي مكة، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٦-٤٧]، والآيات

---

[1] ينظر: البسيط (٥٤٠/١٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٢٣/٣)، وفي الوجيز (٨٣٤/٢) اقتصر على القول الأول.

[2] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

اللاحقة تحدثت عن المشركين، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

وقد جعل السَّمْعَانِيّ الآية عامة في الكفار سواء من أهل الكتاب أو من غيرهم، فقال عند تفسيره لهذه الآية:« قوله: ﴿لَّارۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي: إذا لشك الكافرون لو قرأت وكتبت، أمَّا أهل الشرك كانوا يزعمون أنَّه قرأ من كتب الأولين وانتسخ منها، وأمَّا أهل الكتاب فقد كان من نعته في كتبهم أنَّه أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلو قرأ وكتب وقع لهم الشك»[1].

وكذلك قال البِقَاعِيّ:«﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين ينكرون الوحي إليك من أهل الكتاب ومن العرب، ويقولون: هو سجع وكهانة وشعر وأساطير الأولين»[2].

[1] تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٨٥/٤).

[2] نظم الدرر (٥٦٦/٥).

١٥٠- عَوْد الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾

في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ قال الحَسَن: القرآن آيات بينات ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ يعني: المؤمنين[١]...وعلى هذا الكناية عن القرآن والكتاب بقوله: ﴿هُوَ﴾. وقال قَتَادَة ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعني النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- و﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ﴾ أهل العلم من أهل الكتاب[٢]؛ لأنَّهم يجدون في كتبهم نعته وصفته، وعلى هذا التقدير: بل هو ذو آيات بينات، فحذف المضاف، وذلك أنَّ كونه بالنعت الذي ذُكر في كتابهم آيات واضحات له في صدور أهل الكتاب، والعلم به، وهم مؤمنو أهل الكتاب، بل هو وأموره آيات...**والظاهر** من هذه الأقوال قول قَتَادَة، ومُقَاتِل[٣]؛ لقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: كفار اليهود؛ لأنَّهم جحدوا نبوته وكتموا أمره بعد المعرفة»[٤].

▪ الدراسة

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه يعود على القرآن الكريم، وهو قول الحَسَن -كما سبق-. واختاره الزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن جُزَي، وابن القَيِّم،

---

[١] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٩٩)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ٥٢).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٩٩)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ٥٢).

[٣] قول مُقَاتِل لم يسبق له ذكر في كلام الوَاحِدِيّ، وهو قريب من قول قَتَادَة. ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢/٥٢٢).

[٤] البسيط (١٧/٥٤١).

وابن كَثِيْر، والبِقَاعِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[1].

واستُدل لهذا القول بقراءة ابنِ مَسْعُودٍ ﴿ بل هي آيات بينات ﴾[2].

القول الثاني: أنَّه يعود على النبي -ﷺ-، وهو قول قَتَادَة، ومُقَاتِل -كما سبق-، وابن جُرَيج[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والطَّبَرِيّ، وعلل اختياره بقوله:« وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأنَّ قوله: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد -ﷺ-، فهو بأن يكون خبرًا عنه، أولى من أن يكون خبرًا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل»[5].

كما استُدل لهذا القول بقراءة ابن السَّمَيْفَعِ[6]: ﴿ بَلْ هَذَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾[7].

---

[1] ينظر: الكشاف (٤٦٣/٣)، وأنوار التنزيل (٣١٩/٤)، ومدارك التنزيل (٦٨١/٢)، وغرائب القرآن (٣٩١/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٩٠/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٢٨/٢)، ومفتاح دار السعادة (٥٠/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٨٧/٦)، ونظم الدرر (٥٦٧/٥)، وإرشاد العقل السليم (٤٣/٧)، وفتح القدير (٢٩٥/٤)، وروح المعاني (٦/٢١)، ومحاسن تأويل (١٨٦/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٣٣، والتحرير والتنوير (١٨٦/٢٠).

[2] وهي قراءة شاذة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني ص٣٧٣.

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ٥٢).

[4] ينظر: البسيط (٥٤٢/١٧)، وذكر القولين في الوسيط (٤٢٣/٣) ولم يرجح، واقتصر عليه في الوجيز (٨٣٤/٢).

[5] جامع البيان (٢٠/ ٥٢).

[6] محمد بن عبد الرحمن بن السَّمَيْفَع، أبو عبد الله اليمانيّ، له اختيار في القراءة يُنسب إليه شَذَّ فيه، قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد، وقيل: إنه قرأ على نافع. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١٤٣/٢).

[7] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٥٤/١٣)، وفتح القدير (٢٩٥/٤).

وتَعَقَّبه الشَّوكَانيّ بقوله: «ولا دليل في هذه القراءة على ذلك؛ لأنَّ الإشارة يجوز أن تكون إلى القرآن، كما جاز أن تكون إلى النبي -ﷺ-؛ بل رجوعها إلى القرآن أظهر لعدم احتياج ذلك إلى التأويل والتقدير»[1].

وعدَّ الكَرْمَانِيُّ عَوْد الضمير في ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ إلى النبي -ﷺ- من الغريب[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أن الأظهر هو عَوْد الضمير في ﴿ هُوَ ﴾ على القرآن الكريم، ويُؤَيِّدُ ذلك:

١. أنَّ الآيات في سباقها ولحاقها تتحدث عن إنزال الكتاب على النبي -ﷺ-، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، ثم قال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ثم قال بعده: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ثم قال: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١]، فسياق الآيات مستمر في الحديث عن القرآن، ولم ينقض كما ذكر الطَّبَرِيّ، فالأولى أن يكون الضمير عائداً عليه.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره[3].

---

[1] فتح القدير (٤/٢٩٥).

[2] ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/٨٨٥).

[3] ينظر: البحر المحيط (٦/٢٢٦)، والدر المصون (٨/٢٢٢)، والبرهان في علوم القرآن (٤/٣٩)، واللباب في علوم الكتاب (١٣/٢٣٥)، وروح المعاني (١٧/١١١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٢٣٢).

وأمَّا ما استدل به الوَاحِدِيّ من أن قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ يعني: كفار اليهود؛ فلا حجة فيه؛ لأنَّ لفظ الظالمين عام يشمل كل ظالم جاحد لآيات الله معرض عنها.

٢. أنَّ عَوْد الضمير إلى النبي -ﷺ- يحتاج إلى تقدير: (بل محمد ذو آيات بينات)[١]، بخلاف عَوْده إلى القرآن فلا يحتاج إلى تقدير، ومتى دار الأمر بين التقدير وعدمه فالأولى عدم التقدير[٢].

٣. أنَّ هذا قول أكثر المفسرين، وهو أبعد عن الخطأ وأقرب للصواب؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

[١] ينظر: معالم التنزيل (٦/٢٥٠)، وزاد المسير (٦/٢٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٣/٣٥٤)، ولباب التأويل (٥/١٩٧)، واللباب في علوم الكتاب (١٥/٣٦٣)، وفتح القدير (٤/٢٩٥).

[٢] ينظر: تفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة المائدة) (١/٤٦٤).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٥١- المراد بالفساد

في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال السُّدِّي: الفساد القحط[١]...هذا الذي ذكرنا هو **الصحيح** في تفسير هذه الآية. وذُكر في تفسيرها أقوالٌ لا تليق بالآية، منها قول قَتَادَة: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ ﴾ فقال: هو الشرك امتلأت الأرض ظلماً وضلالة، قبل أن يبعث الله نبيه[٢]. قال مُجَاهِد: قتل ابن آدم أخاه في البَرِّ، وأخذ الملك السفن غصباً في البحر[٣]. قال الحَسَن: أفسدهما الله بذنوبهم في برِّ الأرض وبحرها[٤]...وهذه الأقوال مرذولة فاسدة ليست تَحْسُن في تفسير الآية[٥]»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالفساد في الآية:

القول الأول: أنَّه قحط المطر، وقلة النبات، وهو قول عَطِيَّة الْعَوْفِيّ[٧]، ومُقَاتِل[٨].

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول للسُّدِّي، والقول المروي عنه كقول قَتَادَة بأنَّ المراد بالفساد الشرك، ينظر: النكت والعيون (٣١٧/٤)، وزاد المسير (٣٠٥/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣١٩/٦).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ١٠٤)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠٨/٢٠).

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٥٠١/٢)، وأخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٤٣٦/٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠٩/٢٠).

[٤] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١٨٨/٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠٨/٢٠).

[٥] كان الأولى بالإمام الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أن يبين ضعف هذه الأقوال دون الحاجة إلى وصفها بهذا الوصف.

[٦] البسيط (٧٠/١٨).

[٧] أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٢٦٠/٤). وأخرج النَّحَّاس في معانيه (٢٦٦/٥) عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ قال: "نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا"، قال النَّحَّاس: والمعنى على هذا ظهر الجدب في البر والبحر بذنوب الناس.

[٨] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٣/٣).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس[2].

القول الثاني: أنَّه الشرك، وهو قول قَتَادَة -كما سبق-.

قال الرَّازِيّ:«وجه تعلق هذه الآية بما قبلها هو أنَّ الشرك سبب الفساد، كما قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء: ٢٢]، وإذا كان الشرك سببه، جعل الله إظهارهم الشرك مُوَرِّثًا لظهور الفساد، ولو فعل بهم ما يقتضيه قولهم لفسدت السماوات والأرض، كما قال تعالى:﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾[مريم: ٩٠] وإلى هذا أشار بقوله تعالى:﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ ﴾ »[3].

القول الثالث: أنَّه قتل ابن آدم أخاه في البَرِّ، وأخذ الملك السفن غصباً في البحر، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

وتَعَقَّب الشَّوكَانِيّ هذا القول بعد أن نسبه إلى عِكْرِمَة أيضاً، فقال:« وليت شعري أَيُّ دَلِيلٍ دَلَّهُمَا على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب، فإنَّ الآية نزلت على محمد -ﷺ-، والتعريف في الفساد يدل على الجنس فَيَعُمُّ كل فساد واقع في حَيِّزَيِ البرِّ والبحر»[4].

القول الرابع: أنَّه الذنوب والمعاصي، وهو قول الحَسَن -كما سبق-، وابن زَيْد[5]. واختاره ابن القَيِّم[6].

القول الخامس: أنَّه كساد الأسعار وقلة المعاش[7].

---

[1] ينظر: البسيط (٧١/١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٤٣٥)، والوجيز (٨٤٤/٢).

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٨/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٢٦٦/٥).

[3] مفاتيح الغيب (١١٢/٢٥).

[4] فتح القدير (٣٢٤/٤).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠٨/٢٠)، وذكره عنه ابن القَيِّم في الجواب الكافي ص٦٥.

[6] ينظر: الجواب الكافي ص٦٥.

[7] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١٤)، وفتح القدير (٣٢٤/٤).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقوال السابقة لا تعارض بينها، فلفظ (الفساد) عام يدخل فيه جميع ما ذكر، وما ورد من الأقوال هو من قبيل اختلاف التنوع، فالمعاني فيه متقاربة[1]، فمنهم من فسرها بالجزء، ومنهم من فسَّرها باللازم، فسبب هذا الفساد هو الشرك والمعاصي، وقد ثبت في الحديث قول الرسول -ﷺ- حين مرت عليه جنازة:« العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»[2]. ويؤيد القول بالعموم القواعد التالية:

١. أنَّ الأصل في الخطاب العموم ما لم يرد دليل على تخصيصه[3].

٢. أنَّ اللفظ إذا احتمل عدة معانٍ ولم يمتنع إرادة الجمع، حُمِل عليها[4].

قال الشَّوكَانيّ:«والتعريف في الفساد يدل على الجنس، فيعم كل فساد واقع في حَيِّزَيِ البرِّ والبحر. وقال السُّدِّي: الفساد الشرك، وهو أعظم الفساد، ويمكن أن يقال: إنَّ الشرك وإن كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي؛ ولكن لا دليل على أنَّه المراد بخصوصه، وقيل: الفساد كساد الأسعار، وقلة المعاش، وقيل: قطع السبل والظلم، وقيل: غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه. والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم السيئات وتقاطعهم وتظالمهم، أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله -ﷻ- بسبب ذنوبهم كالقحط وكثرة الخوف»[5].

---

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/٤٠).

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم الحديث (٦١٤٧)، (٥/٢٣٨٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، رقم الحديث (٢٢٤٥)، (٣/٥٤).

[3] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[4] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧)، وقواعد التفسير (٢/٨٠٧)، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه ص١٢٨.

[5] فتح القدير (٤/٣٢٤).

١٥٢- المراد بقوله: ﴿ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية عِكْرِمَة: أمَّا البحر فما كان من المدائن والقرى على شاطئ من نهر، وأما البرُّ: فالبرية التي ليس عندها نهر[١]. وقال فُضَيْل بن مَرْزُوق[٢]: قلت لعَطِيَّة في قوله:﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ هذا البرُّ، فالبحر أي فساد فيه؟ قال:يقال إذا قلَّ المطر قلَّ الغوص[٣]. يعني: أنَّ البحر إذا أمطر تفتح الأصداف أفواهها، فما وقع فيها من ماء السماء فهو لؤلؤ. وعلى هذا المراد بالبحر: بحر الماء لا القرى. **والقول هو الأول**»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ في الآية:

القول الأول: البرُّ حيث لا يجري نهر، وهو البوادي، والبحر هو كل قرية على ماء، وهو مروي عن ابن عَبَّاس -كما سبق-، ومُجَاهِد[٥]، وعِكْرِمَة[٦]، والسُّدِّي[٧].

---

[١] أخرجه محمد بن سليمان (لُوين) في جزئه الحديثي ص١٥، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣١٨/٤).

[٢] فُضَيْل بن مَرْزُوق الْأَغَر الرواسِي، أبو عبد الرحمن، من أهل الكُوفَة، مولى بني عنزة، حدث عن عدي بن ثابت، وأبي سلمة الجهني، وعطية العوفي، وغيرهم، روى له مسلم في المتابعات، توفي قبل سنة سبعين ومئة.
ينظر: التاريخ الكبير (١٢٢/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٤٣/٧).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ١٠٩)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٠٦/٦).

[٤] البسيط (٧٠/١٨).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠٨/٢٠) من طريق النضر بن عربي، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٤١/١٤).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ١٠٨)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٣١٧/٤).

[٧] ذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٤٩٧/٦) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم، وذكره ابن كَثِيْر في تفسير (٣١٩/٦).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ، وابن كَثِيْر[2].

القول الثاني: البرُّ والبحر المعروفان، وهو قول مُجَاهِد في إحدى الروايتين عنه[3]. واختاره الطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والقُرْطُبِيّ، وابن جُزَي[4].

القول الثالث: البرُّ هو اللسان، والبحر هو القلب.

وضَعَّفَهُ ابن جُزَي[5]، واستبعده الماوَرْدِيّ[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقرب للصواب هو القول الثاني، وهو أنَّ البرَّ والبحر هما المعروفان والمشهوران، فالبحر هو الماء الكثير، مالحاً كان أو عذباً، والبرّ سائر بقاع الأرض مما عدا ذلك، ويُؤَيِّده:

أنَّ ذلك هو الغالب في استعمال القرآن، وقد وردت آيات كثيرة تشهد لذلك، منها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٠]، وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقوله:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ

---

[1] ينظر: البسيط (٧١/١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٤٣٥)، والوجيز (٨٤٤/٢).

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٨٨/٤)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٢١٧/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٢٠/٦).

[3] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٤٣٦/٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠٩/٢٠) من طريق ليث بن سليم.

[4] ينظر: جامع البيان (٢٠/ ١٠٨)، والمحرر الوجيز (٣٩٤/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٤٠/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٣٤/٢).

[5] ينظر: المحرر الوجيز (٣٩٤/٤).

[6] ينظر: النكت والعيون (٣١٨/٤).

عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [المائدة: ٩٦]، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧].

والقاعدة الترجيحية: أنَّه قد يحتمل اللفظ معانيَ عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن، فيقدَّم[١].

أمَّا القول الأول فله حظٌ من النظر، وَيُعَضِّدُهُ أنَّ البحر في اللغة يطلق أيضاً على الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار، قال ابن سيده:« البَحْرُ: الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب...والبَحْرُ: الرِّيف[٢]، وبه فسر أَبُو عَليّ قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾»[٣]. كما أنَّه قد ثبت في الصحيح من حديث أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ أنَّ ملك أَيْلَةَ أهدى للنبي -ﷺ- بَغْلَةً بَيْضَاءَ، فكَسَاهُ رسول الله بُرْدة، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ[٤]. يعني: ببلدهم وأرضهم.

[١] ينظر: أضواء البيان (١٨٩/١)، والتحرير والتنوير (٢٠٧/١٩)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢).

[٢] الرِّيفُ: ما قارَبَ الماء من أَرض العرب وغيرها. وجمعه: أَرْياف.

ينظر: تهذيب اللغة (١٧٢/١٥)، ولسان العرب (١٢٨/٩)، مادة (ريف).

[٣] ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣١٩/٣).

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب خرص التمر، رقم الحديث (١٤١١)، (٢/ ٥٣٩).

١٥٣- المراد بقوله: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُقَاتِل: اخفض من صوتك، يعني: من كلامك، يأمر لُقْمَان ابنه في الاقتصاد في المشي والمنطِق[١]. وروى عَطَاء عن ابن عَبَّاس قال: يريد إذا ناجيت ربك فخفض صوتك[٢]. وخفض الصوت المأمور به هاهنا بالدعاء، وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. **والقول هو الأول** العام»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ الآية عامة في خفض الصوت دون تخصيص، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، وجمهور المفسرين اقتصروا على هذا القول، ولم يتعرضوا للقول الآخر[٥].

---

[١] تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٢١).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكر الوَاحِدِيّ رواية عَطَاء عن ابن عَبَّاس في الوسيط (٣/٤٤٤).

[٣] البسيط (١٨/١١٧).

[٤] ينظر: البسيط (١٨/١١٧)، وذكر القولين في الوسيط (٣/٤٤٤) دون ترجيح، وفي الوجيز (٢/٨٤٤) لم يتعرض لذكر المسألة.

[٥] ينظر: جامع البيان (٢٠/١٤٦)، وإعراب القرآن للنَّحَّاس (٣/٢٨٦)، وبحر العلوم (٣/٢٤)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤/٢٣٤)، ومعالم التنزيل (٦/٢٨٩)، والكشاف (٣/ ٥٠٥)، والمحرر الوجيز (٤/٤٠٧)، ومفاتيح الغيب (٢٥/١٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/٧١)، وأنوار التنزيل (٤/٣٤٩)، ومدارك التنزيل (٢/٧١٧)، وغرائب القرآن (٥/ ٤٢٦)، والبحر المحيط (٧/١٨٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٣٣٩)، وإرشاد العقل السليم (٧/٧٣)، وفتح القدير (٤/٣٤١)، وروح المعاني (٢١/ ٩٢)، ومحاسن التأويل (٨/٣١)، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤٨، والتحرير والتنوير (٢١/١١١).

القول الثاني: أنَّ الآية خاصة بخفض الصوت عند الدعاء، وهو مروي عن ابن عَبَّاس -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في خفض الصوت وعدم التكلف في رفعه، والجهر به؛ وإنَّما يأخذ منه ما يحتاج إليه؛ لأنَّ الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي، وخفض الصوت أبسط لنفس السامع وفهمه، وهذا من الآداب الشرعية التي حث عليها ديننا الحنيف، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣].

ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[١].

٢. القاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢]. ولم يرد نص بتخصيص هذه الآية بخفض الصوت بالدعاء؛ لكنَّه يدخل في عموم الآية دخولاً أولياً لورود آيات تحث على عدم الجهر عند مناجاة الله - تعالى-، منها قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[الأعراف: ٥٥]، وقوله: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقوله سبحانه مادحاً نبيه وعبده زَكَرِيَّا: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴾ [مريم: ٣].

---

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

[٢] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

فعلى الإنسان ألا يبالغ في الجهر إلا لغرض صحيح كالأذان، والإنذار من العدو ونحوه. قال السّعْدِيّ:« فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة؛ لما اختص بذلك الحمار، الذي قد علمت خسته وبلادته»[1].

[1] تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

١٥٤- المراد بالمقتصد

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾ [لقمان: ٣٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ ﴾ نقيض الاقتصاد: الجَوْر، والجَوْر ها هنا: الجحد بآيات الله، وإذا كان معنى الجَوْر ها هنا الجحد، وجب أن يكون الاقتصاد الذي هو عند الإقرار بآيات الله، وهذا كله معنى قول مُقَاتِل، فإنَّه يقول في قوله: ﴿ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ ﴾ عدل في الوفاء في البَرِّ بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني المؤمن، ثم ذكر المشرك الذي ترك التوحيد في البر بعد أن دعاه مخلصاً في البحر بقوله: ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ ﴾ غدار ﴿ كَفُورٖ ﴾ لله في نعمه حين ترك التوحيد في البَرِّ[١]...وقال مُجَاهِد: مقتصد في القول، وهو كافر مضمر للكفر[٢]، **والوجه هو الأول**»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمقتصد في الآية:

القول الأول: مؤمن متوسط في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء، موف بما عاهد الله عليه في البحر، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-، وابن زَيْد[٤].واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والخَازِن، وابن كَثِيْر، والشَّوكَانيّ[٦].

---

[١] تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٢٤).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ١٥٧)، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٤/٨٠).

[٣] البسيط (١٨/١٢٥).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/ ١٥٧)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٣٥١).

[٥] ينظر: البسيط (١٨/١٢٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٤٤٧)، والوجيز (٢/٨٥١).

[٦] ينظر: لباب التأويل (٥/٢١٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٣٥١)، وفتح القدير (٤/٣٤٨).

القول الثاني: أنَّه مقتصد في قوله، وهو كافر مضمر للكفر، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول أصح وأظهر؛ ويُؤَيِّده:

١. سياق الآيات؛ فالله - ﷻ - ذكر أنَّهم انقسموا فريقين بعد أن أنجاهم إلى البَرِّ: فرقة مقتصدة، وفرقة كافرة[١]، دلَّ عليها قوله: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢]، فالمقتصد نقيض الجاحد؛ وهذا يَبْعُدُ أن يكون المراد به المضمر للكفر؛ كما أنَّ الكفر ملة واحدة سواء كان مضمراً له أو مظهره.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].

٢. أنَّ كلمة (مقتصد) أطلقت في القرآن الكريم على الذي يتوسط حاله بين الصلاح وضده، كما قال تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٦٦][٣]، كما أنَّها جاءت صفة للمؤمن المتوسط في عمله، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[فاطر: ٣٢].

قال ابن كَثِيْر أثناء تفسيره للمقتصد:« قال ابن زَيْد: هو المتوسط في العمل، وهذا الذي قاله ابن زَيْد هو المراد في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادًا

---

[١] ينظر: فتح القدير (٣٤٨/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٥٢.

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٣] ينظر: التحرير والتنوير (١٣٠/٢١).

هنا أيضاً، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه. والله أعلم»[1].

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٣٥١).

١٥٥- المراد بالعذاب الأدنى

في قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ قيل: المصيبات في الدُّنيا، وقيل: القتل ببدر، وقيل: عذاب القبر، وقيل: الجوع سبع سنين. والأولى: المُصيبات والجوع؛ لقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ »[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالعذاب الأدنى في الآية:

القول الأول: أنَّه مصائب الدنيا في الأنفس والأموال، وهو رواية عن ابن عَبَّاس[٢]، وقول أُبَيّ بن كَعْب، وأَبِي العَالِيَة[٣]، وإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ[٤]، والضَّحَّاك[٥]، والحَسَن[٦].

القول الثاني: أنَّه الجوع الذي أصاب الكفار، حين دعا عليهم الرسول -ﷺ-[٧]، وهو رواية عن ابن مَسْعُود[٨]، وقال به مُقَاتِل[٩].

---

[١] الوجيز (٨٥٥/٢).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٨/٢٠)، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٣٣/٧). وهي رواية الوالبي عنه.

[٣] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٩/٢٠)، والبَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (١٥٥/٧).

[٤] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٢٠٨/٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٠/٢٠).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٩/٢٠)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٣٦٩/٦).

[٦] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١١٠/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٩/٢٠).

[٧] ثبت عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- كان يقول في قنوته:« اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ ». سبق تخريجه ص٥١١.

[٨] أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة السجدة، رقم الحديث (١١٣٩٥)، (٤٢٩/٦)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٤١/٦). وهي رواية أَبِي عُبَيْدَةَ عن ابن مَسْعُود.

[٩] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٠/٣).

واختار الوَاحِدِيّ القولين السابقين[1].

القول الثالث: أنَّه القتل ببدر[2]، وهو رواية أخرى عن ابن مَسْعُود[3]، والحَسَن بن عليّ[4].

القول الرابع: أنَّه عذاب القبر، وهو قول مُجَاهِد[5].

وعدَّ الكَرْمَانِيُّ هذا القول من غرائب التفسير، وقال:« وهو في هذه الآية بعيد؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فإنَّ الرجوع إلى الإيمان بعد الموت غير مقبول»[6].

واستبعده القُرْطُبِيّ، وابن جُزَي[7]، وضَعَّفَهُ الشَّوكَانيّ [8].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ المراد بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ كل عذاب يوقعه الله على الكفار المكذبين في الدنيا فيدخل فيه كل ما ذكره المفسرون من

---

[1] ينظر: الوجيز (٨٥٥/٢)، وذكر الأقوال في المسألة في البسيط (١٥٥/١٨)، والوسيط (٤٥٤/٣) دون ترجيح.

[2] على هذا القول يكون المراد بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ رجوع من بقي منهم أحياء إلى الهداية والإيمان.
ينظر: المحرر الوجيز (٤١٨/٤)، والتحرير والتنوير (١٦٤/٢١).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٨/٢٠)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (٢١٣/٩)، والبَيْهَقِيّ في دلائل النبوة (٣٢٨/٢). وهي رواية مَسْرُوق عن ابن مَسْعُود.

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٠/٢٠)، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤١٨/٤).
والحَسَنُ هو: الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ القُرَشِيّ الهَاشِمِيّ، أبو محمد، أمه فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- ، وهو أكبر أولادها وأولهم، سيد شباب أهل الجنة، وأشد الناس شبهاً برسول الله -ﷺ-، ولد سنة ثلاث من الهجرة، وبويع له يوم مات أبوه، وكانت مدة خلافته ثمانية أشهر، ثم سلَّم الخلافة لمعاوية كراهة سفك الدماء، توفي سنة ٥٠هـ. وقيل: قبلها. ينظر: الاستيعاب (١/ ٣٨٣)، والإصابة (٦٨/٢).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩١/٢٠)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٣٦٩/٦).

[6] غرائب التفسير وعجائب التأويل (٩٠٨/٢).

[7] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٤٣/٢).

[8] ينظر: فتح القدير (٣٦٢/٤).

أصناف العذاب الدنيوي كالجوع والقحط والقتل والأسر والأسقام وغيرها، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. القاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها [١]. فيصح حمل الآية على المعاني السابقة عدا عذاب القبر فلا يتناسب مع سياق الآية بقرينة قوله تعالى في آخرها: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٢. أكثر المفسرين حمل الآية على العذاب الدنيوي[٢]، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

قال الطَّبَرِيّ:« وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إنَّ الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يُذِيقَهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إمَّا شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله - تعالى ذكره -، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم»[٤].

[١] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١)، وأضواء البيان (٤٥٧/٢)، والتحرير والتنوير (٩٨/١)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ - ص٥٩- ٥٦٧.

[٢] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٠٨/٤)، وأنوار التنزيل (٣٥٩/٤)، ومدارك التنزيل (١٠/٣)، وإرشاد العقل السليم (٨٦/٧)، ومحاسن التأويل (٤٢/٨)، والتحرير والتنوير (١٦٤/٢١).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

[٤] جامع البيان (١٩١/٢٠).

١٥٦- المراد بالأرض الجُرُز[١]

في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: يريد أرضاً باليمن ليس فيها بحار ولا أنهار، يأتيها السيل من حيث لا يعلمون، فيزرعون عليه كلما أحبوا من الحبوب[٢]...وقال السُّدِّي في هذه الآية: هي الأرض الميتة التي لا نبات لها، حتى إذا جاء الماء أنبتت ما يأكل الناس والدواب[٣]، ونحو هذا قال مُقَاتِل[٤]. **وهذا القول كان أجود**؛ لأنَّه أشبه بنظائر هذه الآية من الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة، ولم يأت شيء منها في أرض بعينها»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالأرض الجُرُز في الآية:

القول الأول: أنَّها أرض باليمن، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-، ومُجَاهِد[٦].

القول الثاني: أنَّها أرض مصر[٧].

---

[١] الجُرُز: القطْع، يقال: جَرَزْتُ الشيءَ قطعتُه، وسيفٌ جُرَازٌ، أي: قَطّاع، وأرضٌ جُرُزٌ لا نَبْت بها، كأنَّه قُطِع عنها الماء والنبات. وفِيهِ لُغَاتٌ أَرْبَعٌ: أَرْضٌ جُرُزٌ، وَجُرْزٌ، وَجَرْزٌ وَجَرُزٌ.
ينظر: تهذيب اللغة (٣٢١/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٤١/١)، مادة (جرز).

[٢] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٧/٢٠)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٣٧٣/٦).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٥٥٧/٦) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٤] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣١/٣).

[٥] البسيط (١٦١/١٨).

[٦] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١١٠/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٧/٢٠). وقد عيَّنها مُجَاهِد بأنَّها أرض أَبْيَن من اليمن.

[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١١١/١٤)، وبدائع الفوائد (٦٢٥/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٧٣/٦).

قال ابن كَثِيْر معلقًا على هذا القول:« وليس المراد من قوله:﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مَثَّلَ بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها، ولكنَّها مرادة قطعًا من هذه الآية»[1].

القول الثالث: أنَّ الآية عامة في كل أرضٍ يابسة لا نبات فيها، فكل أرضٍ اتصفت بهذه الصفة فالآية تشملها، وهو قول السُّدِّي، ومُقَاتِل -كما سبق-، والضَّحَّاك، وقَتَادَة، وابن زَيْد[2]. واختاره الوَاحِدِيّ[3]، وابن عَطِيَّة، وأبو حيَّان، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والآلُوْسِيّ[4].

قال ابن عَطِيَّة:«وعمَّ تعالى كل أرضٍ هي بهذه الصفة؛ لأنَّ الآية فيها والعبرة بينة»[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثالث هو الأولى والأقوى، وما ورد من تحديد الأرض الجُرُز بأرض معينة إنَّما هو سبيل التمثيل لا التخصيص، فالآية عامة في كل أرضٍ هي بهذه الصفة، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. القاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[6]. ولم يرد نص بتخصيص هذه الآية بأرضٍ دون غيرها.

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٧٣/٦).

[2] أخرجه عنهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٩٧/٢٠)، وذكره عنهم ابن كَثِيْر في تفسيره (٣٧٣/٦).

[3] ينظر: البسيط (١٦٢/١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٥٥/٣)، والوجيز (٨٥٥/٢).

[4] ينظر: المحرر الوجيز (٤٢٠/٤)، والبحر المحيط (٢٠٠/٧)، وبدائع الفوائد (٦٢٥/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٧٣/٦)، وروح المعاني (١٤٠/٢١).

[5] المحرر الوجيز (٤٢٠/٤).

[6] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٢. النظائر القرآنية؛ فهذه الآية كنظائرها من الاحتجاج على منكري البعث بإحياء الأرض الميتة، ولم يأت شيء منها في أرض بعينها، والآيات الواردة في الاستدلال على البعث وتقريبه وإمكانه بإخراج النبت من الأرض بعد أن زال كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

١٥٧- المراد بالظالم لنفسه

في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[فاطر:٣٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: بدأ بِشَرِّهم، فقال: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ وهو الذي مات على كبيرة ولم يتب[١]، وقال مُقَاتِل: يعني أصحاب الكبائر من أهل التوحيد[٢]...وقال أبو الدَّرْدَاء[٣]: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول في هذه الآية: «السَّابِقُ وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»[٤]...هذا الذي ذكرنا مذهب جمهور أهل التأويل. وذهب قوم إلى أنَّ الظالم لنفسه ليس من أهل الجنة. فقال الكَلْبِيّ: فمنهم ظالم لنفسه في الكفر، وذلك في النار[٥]...وقال مُجَاهِد: صنفان ناجيان وصنف هالك قال: وهذه الآية كالتي في الواقعة:﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [الواقعة: ٨ – ٩][٦] على

---

[١] ذكره الوَاحِدِيّ في الوسيط (٥٠٥/٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٨٩/٦) عن عَطَاء عن ابن عَبَّاس.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٧٧/٣).

[٣] أبو الدَّرْدَاء: عُوَيْمِرُ بن زَيْد بن قَيْس بن أُمَيَّة الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ، اختلف في اسمه، فقيل: عُوَيْمِر أو عَامِر، وكذا في اسم أبيه، فقيل: زَيْد أو مَالِك أو ثَعْلَبَة أو عَبْد الله، صحابي جليل من الحكماء الفرسان القضاة، سيد القراء بدمشق، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي -ﷺ-، توفي بالشام في آخر خلافة عثمان.
ينظر: الاستيعاب (١٢٢٧/٣)، والإصابة (٧٤٧/٤).

[٤] أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة، رقم الحديث (٣٥٩٢)، (٤٦٢/٢)، وقال:"وقد اختلفت الروايات عن الْأَعْمَشِ في إسناد هذا الحديث...وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلا". قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٦/٨) معلقاً على قول الحاكم: "ولكن مدارها كلها إمَّا على رجل لم يسم؛ فهو مجهول، وإمَّا على أبي ثابت؛ فهو مجهول أيضاً؛ أورده ابن أبي حاتم في الكنى برواية الأعمش عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً". وأخرج الحديث أيضاً البَيْهَقِيّ في البعث والنشور ص٨٣.

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٢٣/٦).

[٦] أخرجه بمعناه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٣٥/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٨/٢٠).

هذا القول الكناية في (منهم) تعود إلى قوله: ﴿عِبَادِنَا﴾. **والقول هو الأول**؛ لأنَّ الله تعالى ذكر الأصناف بعد الاصطفاء؛ ولأنَّه ختم ذكرهم بقوله:﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ [فاطر: ٣٣]»[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالظالم لنفسه في الآية:

القول الأول: أنَّ الظالم لنفسه مسلم من هذه الأمة، وعلى هذا القول الكناية في (منهم) تعود على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾، وهو مروي عن ابن عَبَّاس، وقال به مُقَاتِل -كما سبق-، وعُمَر بن الخَطَّاب[٢]، وعُثْمَان بن عَفَّانَ[٣]، وابن مَسْعُودٍ[٤]، وعَائِشَة[٥]، وكَعْب الْأَحْبَار[٦]. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن جُزَي، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٨]، وهو

---

[١] البسيط (٤٢٣/١٨).

[٢] أخرجه البَيْهَقِيّ في البعث والنشور ص٨٥، وابن كَثِيْر في مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأقواله على أبواب العلم (٦٠٣/٢).

[٣] أخرجه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠٨/٨)، والبَيْهَقِيّ في البعث والنشور ص٨٥.

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٥/٢٠)، وذكره ابن جُزَي في التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٧٥).

[٥] أخرجه الطَّيَالِسِيّ في مسنده (٩٢/٣)، والطَّبَرَانِيّ في المعجم الأوسط (١٦٧/٦).

[٦] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٣٦/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٦/٢٠).

[٧] ينظر: البسيط (٤٢٧/١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٠٥/٣)، والوجيز (٢/ ٨٩٣).

[٨] ينظر: جامع البيان (٤٦٩/٢٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٦٨/٤)، وبحر العلوم (١٠٣/٣)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣٥٨/٤)، ومعالم التنزيل (٤٢٣/٦)، ومفاتيح الغيب (٢١/٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٣٤٧/١٤)، ومدارك التنزيل (٨٨/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٥٨/٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٧٦/٢)، وطريق الهجرتين ص٢٩١، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر(٥٤٧/٦)، وفتح القدير (٤٩٦/٤)، وروح المعاني (١٩٧/٢٢)، ومحاسن التأويل (١٦٩/٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٨٩، وأضواء البيان (٤١٧/١)، والتحرير والتنوير (١٦٥/٢٢).

قول الجمهور[1].

واستُدل لهذا القول بما يلي:

١. ورود أحاديث كثيرة مرفوعة إلى النبي -ﷺ- من رواية جمع من الصحابة، ومن طرق يشد بعضها بعضاً[2]، تثبت أنَّ الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو من جملة المُصْطَفين، من ذلك حديث أبي الدَّرْدَاء السابق، وحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النبي -ﷺ- قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر:٣٢]، قال:« هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ[3]، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ»[4].

٢. السياق، فقوله تعالى في أول الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وكذا قوله في الآية التي تليها: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ يدل على أنَّ الظالم لنفسه من عباد الله المُصْطَفين، كما أنَّه يدخل في عموم من يدخلون الجنة[5].

---

[1] حكاه الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٦٨/٤)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٢٣/٦)، والنَّسَفِيّ في مدارك التنزيل (٨٨/٣)، وابن جُزَي في التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٦/٢)، وابن كَثِيْر في تفسير (٥٤٧/٦).

[2] أورد هذه الأحاديث البَيْهَقِيّ في البعث والنشور ص٨٣، وابن القيم في طريق الهجرتين ص٢٩١، وابن كَثِيْر في تفسيره (٥٤٧/٦).

[3] قال ابن كَثِيْر في تفسيره (٥٤٧/٦):" معنى قوله:« بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ » أي: في أنَّهم من هذه الأمة، وأنهم من أهل الجنة، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة".

[4] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري، (٢٧١/١٨)، وأخرجه الترمذي، كتاب التفسير، سورة الملائكة، رقم الحديث (٣٢٢٥)، (٣٦٣/٥)، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه". وضعفه شعيب الأرنؤوط لوجود من أُبْهِم في إسناده، فقال:" إسناده ضعيف لإبهام الرجل من ثقيف، والرجل من كنانة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين" ينظر: مسند أحمد (٣٦٣/٥)، وعلَّق عليه ابن كَثِيْر في تفسيره (٥٤٧/٦) بقوله: " وفي إسناده من لم يسمَّ ".

[5] ينظر: جامع البيان (٤٦٩/٢٠)، وبحر العلوم (١٠٣/٣)، ومفاتيح الغيب (٢٢/٢٦).

القول الثاني: أنَّ الظالم لنفسه كافر، وعلى هذا القول الكناية في (منهم) تعود على قوله: ﴿ عِبَادِنَا ﴾، وهو مروي عن ابن عَبَّاس[1]، وقال به الكَلْبِيّ، ومُجَاهِد -كما سبق-، وعِكْرِمَة[2]، والحَسَن، وقَتَادَة[3]. واختاره الفَرَّاء[4].

واستُدل لهذا القول بأدلة، منها:

١. أنَّ هذه الآية موافقة لقوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [الواقعة: ٨ – ٩]، قالوا: أصحاب الميمنة هم المقتصدون، وأصحاب المشأمة الكفار، والسابقون هم أهل الدرجات العلى.

ويجاب عنه: بأنَّه على التسليم بأنَّ أصحاب المشأمة المذكورين في سورة الواقعة هم الكفار، فإنَّ آية فاطر ليست مطابقة لآية الواقعة، بل هي خاصة في المُصْطَفين من عباد الله[5]. كما أنَّ أصحاب سورة فاطر في جنة عالية؛ لأنَّ الله ذكرهم بين فاتحة وهي قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾، وخاتمة وهي قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ ولا يصطفى إلا من يدخل الجنة[6].

٢. أنَّ الله -تعالى- لم يصطف من خلقه ظالماً لنفسه، بل المصطفون من عباده هم صفوته وخيارهم، والظالمون لأنفسهم ليسوا خيار العباد بل شرارهم[7].

---

[1] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٣٥/٣)، والبَيْهَقِيّ في البعث والنشور ص٨٧، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ هُوَ الْكَافِرُ»، لكن ذكر السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (١٠٣/٣) عن بعضهم أنَّه تأوَّل هذه الرواية بقوله:" يعني كفر النعمة، ومعناه: فمنهم من كفر بهذه النعمة، ولم يشكر الله – ﷻ- عليها".

[2] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٧/٢٠)، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٤٦/١٤).

[3] أخرجه عنهما عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٣٥/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٦٨/٢٠).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٦٩/٢).

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٥٨/٧)، وطريق الهجرتين ص ٣١٠.

[6] ينظر: التحرير والتنوير (١٦٥/٢٢).

[7] أورده القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٤٦/١٤)، وابن القَيِّم في طريق الهجرتين ص ٣٠٥.

وقد أجاب عنه ابن القَيِّم بقوله:«أن كون العبد مصطفى لله ووليا لله ومحبوباً لله، ونحو ذلك من الأسماء الدالة على شرف منزلة العبد وتقريب الله له لا ينافي ظلم العبد نفسه أحياناً بالذنوب والمعاصي، بل أبلغ من ذلك أن صديقيته لا تنافي ظلمه لنفسه، ولهذا قال صديق الأمة وخيارها للنبي -ﷺ-: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: قل:«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1]، وقد قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٥]، فأخبر سبحانه عن صفات المتقين، وأنَّهم يقع منهم ظلم النفس والفاحشة لكن لا يصرون على ذلك ...وقال موسى-عليه السلام-:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٦]...وإذا كان ظلم النفس لا ينافي الصديقية والولاية، ولا يخرج العبد عن كونه من المتقين، بل يجتمع فيه الأمران يكون ولياً لله صديقاً متقياً وهو مسيء ظالم لنفسه، علم أنَّ ظلمه لنفسه لا يخرجه عن كونه من الذين اصطفاهم الله من عباده وأورثهم كتابه، إذ هو مصطفى من جهة كونه من ورثة الكتاب علماً وعملاً، ظالم لنفسه من جهة تفريطه في بعض ما أمر به وتعديه بعض ما نهي عنه»[2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، رقم الحديث (٧٩٩)، (٢٨٦/١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم الحديث (٧٠٤٤)، (٧٤/٨).

[2] طريق الهجرتين ص ٣٠٦.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الصواب؛ لقوة أدلته، وضعف أدلة القول الثاني، ومناقشتها، ويُؤَيِّد قول الجمهور:

١. السياق القرآني، وهو قوله تعالى سباقاً: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ والاصطفاء لا يتفق مع الكفر، فسمى هؤلاء الأصناف مُصْطَفين، ثم بيَّن اختلاف درجاتهم. قال السّعْدِيّ:« كلهم اصطفاه اللّه -تعالى-، لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، فإنَّ ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان من وراثة الكتاب؛ لأنَّ المراد بوراثة الكتاب وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه»[١].

ويؤكد أنَّ الأصناف الثلاثة المذكورة في الآية كلهم من المُصْطَفين من عباده سبحانه، أنَّه أتى بالفاء الدالة على تفصيل ما أجمله أولاً.

يقول ابن القَيِّم في توضيح ذلك:« ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إمَّا أن يرجع إلى الذين اصطفاهم، وإمَّا أن يرجع إلى العباد، ورجوعه إلى الذين اصطفاهم لوجهين: أحدهما أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ إنَّما يرجع إلى المُصْطَفين لا إلى العباد؛ لأنَّ سياق الآية والإتيان بالفاء والتقسيم المذكور كله يدل على أنَّ المراد بيان أقسام الوارثين للكتاب لا بيان أقسام العبد، إذ لو أراد ذلك لأتى بلفظ يزيل الوهم ولا يلتبس به المراد بغيره»[٢].

وأيضاً يشهد لهذا القول قوله تعالى لحاقاً: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ فدخول الجنة عام لجميع الأصناف السابقة.

---

[١] تيسير الكريم الرحمن ص٦٨٩.

[٢] طريق الهجرتين ص ٣٠٦.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[١].

٢. كثرة الأحاديث والآثار التي احتج بها أصحاب القول الأول.

قال ابن كَثِيْر:«والصحيح أنَّ الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله -ﷺ-، من طرق يشد بعضها بعضاً»[٢].

ويقول الآلُوْسِيّ منتصراً لهذا القول:« والذي يعضده معظم الروايات والآثار أنَّ الأصناف الثلاثة من أهل الجنة، فلا ينبغي أن يلتفت إلى تفسير الظالم بالكافر إلا بتأويل كافر النعمة وإرادة العاصي منه»[٣].

٣. أنَّ الله - ﷻ - ذكر الكفار بعد الأصناف الثلاثة، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾ [فاطر: ٣٦]، مما يدل على أنَّ هذا الصنف لم يذكر سابقاً[٤].

يقول ابن القَيِّم محتجاً لهذا القول، وداحضاً لحجة من جعل الآية موافقة لآية الواقعة: «قالت الطائفة الأولى: لو تدبرتم القرآن حق تدبره، وأعطيتم الآيات حقها من الفهم، وراعيتم وجوه الدلالة وسياق الكلام؛ لعلمتم أنَّ الصواب معنا، وأنَّ هذه الأقسام الثلاثة من الأقسام التي خلقت للجنة، وهم درجات عند الله، وأنَّ هذا التقسيم الذي دلت عليه أخص من التقسيم المذكور في سورة الواقعة والإنسان والمطففين، فإنَّ ذلك تقسيم للناس إلى شقي وسعيد، وتقسيم السعداء إلى أبرار ومقربين، وتلك القسمة خالية عن ذكر العاصي الظالم لنفسه، وأمَّا هذه الآيات ففيها تقسيم الأمة إلى محسن ومسيء، فالمسيء هو الظالم لنفسه، والمحسن نوعان مقتصد وسابق بالخيرات، فإنَّ الوجود شامل

---

[١] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر(٥٤٧/٦).

[٣] روح المعاني (١٩٧/٢٢).

[٤] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٦٩/٢)، ومدارك التنزيل (٨٩/٣)، وطريق الهجرتين ص ٣٠٥.

لهذا القسم، بل هو أغلب أقسام الأمة، فكيف يخلو القرآن عن ذكره وبيان حكمه؟ ثم لما استوفى أقسام الأمة ذكر الخارجين عنهم، وهم الذين كفروا فعمت الآية أقسام الخلق كلهم، وعلى ما ذهبتم إليه تكون الآية قد أهملت ذكر القسم الأغلب الأكثر وكررت ذكر حكم الكافر أولا وآخراً»[1].

٤. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[2].

[1] طريق الهجرتين ص ٣٠٥.

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٥٨- المراد بالتعمير

في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد ثماني عشرة سنة، وهو قول قَتَادَة [١]. وقال الحَسَن: أربعين سنة [٢]...وقال ابن عَبَّاس في رواية مُجَاهِد: يعني ستين سنة [٣]. **وهذا أولى الأقاويل**؛ لما روى أبو هُرَيْرَة أنَّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إذا بَلَغَ الرجل سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ»[٤]» [٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالتعمير في الآية:

القول الأول: أنَّه سن ثماني عشرة سنة، وهو قول عَطَاء، وقَتَادَة -كما سبق-.

---

[١] ذكر هذا القول البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٢٥/٦)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٩٤/٦) عن عَطَاء وقَتَادَة. ولم أجد من نسبه إلى ابن عَبَّاس، والوَاحِدِيّ في الوسيط (٥٠٦/٣) ذكره عن عَطَاء.

[٢] ذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٥٥٣/٦) عن هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن، وذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٣١/٧) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن أبي حَاتِم.

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٣٨/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٧٧/٢٠).

[٤] أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة، رقم الحديث (٣٥٩٧)، (٤٦٣/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، رقم الحديث (٦٠٥٦)، (٢٣٦٠/٥).

[٥] البسيط (٤٣٢/١٨).

القول الثاني: أنَّه سن الأربعين، وهو رواية عن ابن عَبَّاس[١]، وقول مَسْرُوق[٢]، والحَسَن -كما سبق-. واختاره الطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس[٣].

القول الثالث: أنَّه سن الستين، وهو رواية عن ابن عَبَّاس -كما سبق-، وقول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ[٦]، وهو قول أكثر المفسرين[٧].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقرب للصواب القول الثالث، وهو أنَّ المراد بالتعمير في الآية ستون سنة، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. ما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَة عن النبي -ﷺ- قال: « أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»[٨]، وهذا الإعذار يتفق كماله مع الستين أكثر من اتفاقه مع سن الأربعين، فإن من بلغ الستين غالباً يتصف بكمال العقل، واكتمال الوازع، وكثرة التجارب، وقلة الدواعي، كما أنَّ شعوره بقرب أجله يجعله زاجراً له ورادعاً وداعياً لأن يرعوي ويعود إلى صوابه ورشده، ويستعد للقاء ربه، وهذا أبلغ في الإعذار.

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٤٧٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٤٧٧)، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٤/٣٥٣).

[٣] ينظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٧٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥/٤٦١).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٤٧٨)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٥٣).

[٥] ينظر: البسيط (١٨/٤٣٣)، وذكر الأقوال في الوسيط (٣/٥٠٦) ولم يرجح، واقتصر عليه في الوجيز (٢/٨٩٤).

[٦] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٥٥٣)، ومعترك الأقران (٣/٥١٣).

[٧] صرح بذلك السَّمْعَانِيّ في تفسيره (٤/٣٦١).

[٨] سبق تخريجه ص٦٢٢ من البحث.

وأما صاحب الأربعين ففي كمال الأشد وعنفوان القوة، وهذا في الغالب تكون دواعي الشهوة لديه قوية، والمؤاخذة مع توفر الدواعي ليست كالمؤاخذة مع انعدامها.

٢. أنَّ الرواية الواردة عن ابن عَبَّاس في أنَّ المراد بذلك سن الستين أصح من الرواية الواردة عنه بأنَّ المراد سن الأربعين. قال ابن كَثِيْر بعد أنَّ ذكر رواية الستين عن ابن عَبَّاس :« هذه الرواية أصح عن ابن عَبَّاس، وهي الصحيحة في الأمر نفسه أيضًا؛ لما ثبت في ذلك من الحديث[١] -كما سنورده - لا كما زعمه ابن جرير، من أن الحديث لم يصح؛ لأنَّ في إسناده مَنْ يجب التثبت في أمره» [٢]. ثم ساق عدة طرق للحديث السابق وقال بعدها:« فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق، فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت. وقول ابن جرير:(إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره)، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري، والله أعلم» [٣].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٤].

[١] يريد حديث أبي هُرَيْرَة السابق.

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٥٣/٦).

[٣] المصدر السابق (٥٥٥/٦).

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٥٩- المراد بالنذير

في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد النبي -ﷺ-[١]، وهو قول مُقَاتِل[٢] والجمهور. وقال آخرون: يعني به الشَّيْب...**والقول هو الأول**؛ لقوله تعالى في صفة محمد -ﷺ-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] »[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالنذير في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد به النبي -ﷺ-، وهو قول ابن زَيْد[٤]، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والنَّحَّاس، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، والسُّيوطِيّ، وابن عَاشُور[٦]، وهو قول جمهور المفسرين[٧].

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ، والذي ذكره المفسرون عنه أنه فسَّر النذير في الآية بالشيب كما سيأتي في القول الثاني.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٧٨).

[٣] البسيط (١٨/٤٣٣).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٤٧٨)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٥٣).

[٥] ينظر: البسيط (١٨/٤٣٣)، وذكر القولين في الوسيط (٣/٥٠٧)، والوجيز (٢/٨٩٤) ولم يرجح.

[٦] ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (٥/٤٦٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٧٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٥٥٦)، ومعترك الأقران (٢/٥٦٠)، والتحرير والتنوير (٢٢/١٧١).

[٧] حكاه الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٧٢)، والنَّحَّاس في معاني القرآن (٥/٤٦٢)، والوَاحِدِيّ في الوسيط (٣/٥٠٧)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٦/٤٢٥)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤/٥٠٧)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (١٦/١٤٩).

القول الثاني: أنَّ المراد به الشَّيْب، وهو قول ابن عَبَّاس[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأولى هو القول الأول، وهو أنَّ المراد بالنذير في الآية النبي -ﷺ-، وكل نبي نذير أمته، والنبي محمد -ﷺ- نذير للعالمين، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ هذا المعنى هو الذي غلب استعماله في القرآن الكريم، نحو قوله: ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحجر: ٨٩]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]. والقاعدة الترجيحية: أنَّه قد يحتمل اللفظ معانيَ عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن، فيقدَّم[2].

٢. يشهد لهذا القول عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨، ٩]. وقوله: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[الزخرف: ٧٧ – ٧٨] أي: لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل، فأبيتم وخالفتم، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥][3].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[4].

---

[1] أخرجه البَيْهَقِيّ في السنن الكبرى (٣/٣٧٠)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٥٦).

[2] ينظر: التحرير والتنوير (١٩/٢٠٧)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٢/٧٩٨).

[3] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٦/٥٥٦).

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٦٠- المراد بقوله: ﴿مِن جُندٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يس: ٢٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: الملائكة، قاله مُقَاتِل[١]. وقال ابن مَسْعُود: أي ما كابَدْناهم بالجُموع، أي: الأمر أيسر علينا من ذلك[٢]...وقال أبو إِسْحَاق[٣]: لم ننتصر للذي قتلوه بجند[٤]. هذا الذي ذكرنا قول جميع أهل العلم والتفسير. وقال مُجَاهِد: أي لم نبعث إليهم رسالة بعده من السماء ولا أتاهم نبي[٥]. **والقول ما عليه الناس**»[٦].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد ﴿مِن جُندٍ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: أنَّ الله لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنَّه أهلكهم بصيحة واحدة، وهو قول ابن مَسْعُود، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، وابن جُزَي، والشَّوكَانِيّ، والآلُوْسِيّ، وابن عُثَيْمِيْن[٨].

القول الثاني: أنَّ المعنى: أنَّ الله لم ينزل عليهم بعد ذلك رسالة، ولا بعث إليهم نبيًّا،

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٨٥).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥١١)، وأخرجه أيضاً في تاريخه (١/٣٨٠).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٨٣).

[٥] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٥٣٤)، وأخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥١٠).

[٦] البسيط (١٨/٤٧٢).

[٧] ينظر: البسيط (١٨/٤٧٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٥١٢)، وفي الوجيز (٢/٨٩٩).

[٨] ينظر: جامع البيان (٢٠/٥١١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/٢٨٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٨١)، وفتح القدير (٤/٥٢١)، وروح المعاني (٢٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة يس) ص٩٩.

وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-، وقَتَادَة[1].

واعترض على هذا القول الطَّبَرِيّ، بقوله:« أنَّ الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مُجَاهِد بذلك الرُّسُل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أنَّ الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنَّه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جندًا، وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم»[2].

كما عدَّ الكَرْمَانِيُّ هذا القول من غرائب التفسير، فقال:« الغريب قول مُجَاهِد ﴿مِن جُندٍ﴾ أي: من رسالة؛ لأنَّ الله قطع عنهم الرسالة حين قتلوا رسله»[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أولى وأظهر، وهو أنَّ الله - ﷻ - أهلكهم بصيْحَةٍ واحدة، ولم يحتَجْ في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء؛ لأنَّهم أهون من ذلك، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. السياق القرآني، فقوله تعالى لحاقاً: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، يدل على أنَّ الله أهلكهم سريعاً بصيحة واحدة بعد أن قتلوا وليه وكذبوا رسله، ولم يحتج إلى إرسال جنود من السماء لإهلاكهم، بل أمرهم أقل وأحقر من أن يبعث الله ملائكة من السماء تهلكهم.

قال الشَّوكَانيّ: «والظاهر أنَّ معنى النظم القرآني تحقير شأنهم وتصغير أمرهم: أي ليسوا بأحقاء بأن ننزل لإهلاكهم جنداً من السماء بل أهلكناهم بصيحة واحدة»[4].

---

[1] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٤١/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥١٠/٢٠).

[2] جامع البيان (٥١١/٢٠).

[3] غرائب التفسير وعجائب التأويل (٩٥٩/٢).

[4] فتح القدير (٥٢١/٤).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

٢. أنَّ القول الثاني لم يسلم من المعارضة، فالرسالة لا يقال لها جند، كما أن لفظ الجند في غالب استعمال القرآن يطلق على الملائكة لا على الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، وقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، وقال تعالى مخبراً عن غزوة الأحزاب: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩].

والقاعدة الترجيحية: أنَّه قد يحتمل اللفظ معانيَ عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن، فيقدَّم[2].

٣. أكثر المفسرين اقتصر في تفسير الآية على القول الأول، ولم يتعرض للقول الثاني مما يشعر بتضعيفه[3].

---

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[2] ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٧/١٩)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢).

[3] ينظر: تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣٧٤/٤)، ومعالم التنزيل (١٥/٧)، وأنوار التنزيل (٤٣١/٤)، ومدارك التنزيل (١٠١/٣)، ولباب التأويل (٧/٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٩٨/١٦)، ومحاسن التأويل (١٧٩/٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٩٥، والتحرير والتنوير (٢١٨/٢٢).

١٦١- المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١-٤٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد السفن مثل مركب نُوح[١]، وهذا قول مُقَاتِل[٢]، والحَسَن، وأبي صَالِح، والسُّدِّي عن أبي مَالِك كل هؤلاء قالوا: يعني السفن الصغار، فإنَّها عُمِلَت بعد سفينة نوح على صَنْعَتها[٣]. وقال آخرون: يعني الإبل، وهو قول عِكْرِمَة، وعبد الله بن شَدَّاد[٤]...**والظاهر القول الأول**؛ لأنَّه قال: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ والسفن هي التي تشبه ما عمله نُوح، وهي أيضاً من الخشب الذي هو من خشب سفينة نُوح. ومن ذهب إلى الإبل احتاج أن يجعل (مِنْ) زائدة، ويجعل الإبل مثل السفينة في أنَّها تحمل الإنسان في البر كما تحمله في البحر، فهو مثلها في العمل والحمل لا في الصورة والخلقة، ويدل على صحة القول الأول قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ [يس: ٤٣]، والإغراق يكون بالماء في البحر، والمراد بهذا أنَّ الله -تعالى- ذكر مِنَّته على أنَّه خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نُوح وركبوه للتجارات»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ في الآية:

---

[١] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥٢٣)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٨٠). عن عَطَاء عن سعيد بن جُبَير عن ابن عَبَّاس.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٨٧).

[٣] أخرج أقوالهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥٢٣)، وذكره عنهم ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/٢٢).

[٤] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥٢٤)، وذكره عنهما النَّحَّاس في معاني القرآن (٥/٤٩٩).

[٥] البسيط (١٨/٤٨٩).

القول الأول: أنَّها السفن مثل سفينة نُوح -عليه السلام-، وهو رواية عن ابن عَبَّاس، والحَسَن، وأَبِي صَالِح، وأبي مَالِك، ومُقَاتِل -كما سبق-، وقال به قَتَادَة[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، وابن جُزَي، وابن القَيِّم، وابن عُثَيْمِيْن[3].

واستُدل لهذا القول بقوله تعالى لحاقاً: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ [يس: ٤٣]؛ لأنَّ الغرق لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البرّ[4].

القول الثاني: أنَّها الإبل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، وهو رواية عن ابن عَبَّاس[5]، وقال به عِكْرِمَة، وعبد الله بن شَدَّاد -كما سبق-. واختاره النَّسَفِيّ، وابن عَاشُور[6].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الصواب؛ ويُؤَيِّده:

١. السياق القرآني؛ فقوله تعالى لحاقاً: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ [يس: ٤٣]، يَبْعُدُ أن يكون المراد بالآية الإبل؛ لأنَّه لا يتصور هذا في المركوبات غير السفن، فالغرق لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر.

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥٢٤)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/٢٢).

[2] ينظر: البسيط (١٨/٤٨٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٥١٤)، وفي الوجيز (٢/٩٠١).

[3] ينظر: جامع البيان (٢٠/٥٢٤)، ومعاني القرآن للفَرَّاء (٢/٣٧٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥/٤٩٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٨٣)، وبدائع الفوائد (١/١٥٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة يس) ص١٥٥.

[4] ينظر: جامع البيان (٢٠/٥٢٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥/٤٩٩)، والبسيط (١٨/٤٩٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٨٣).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥٢٤) من طريق العَوْفِي، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٧٩).

[6] ينظر: مدارك التنزيل (٣/١٠٥)، والتحرير والتنوير (٢٢/٢٣٧).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

٢. أنَّ الإبل لا تسمى (مثلاً) للسفن لا لغة ولا حقيقة، فإن المثلين ما سد أحدهما مسد الآخر، وحقيقة المماثلة أن يكون بين فلك وفلك، لا بين جمل وفلك[2].

٣. أنَّه لو كان المراد الإبل لكان قوله: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤٢]، فاصلاً بين متصلين، وهما قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [يس: ٤١]، وقوله: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ [يس: ٤٣] [3].

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[2] ينظر: بدائع الفوائد (١٥٩/١).

[3] ينظر: مفاتيح الغيب (٧١/٢٦).

١٦٢- المراد بقوله: ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[١]

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٦٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُقَاتِل: لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا طريق الهدى، ثم قال: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ يقول: فمن أين يبصرون طريق الهدى، ولم أعم عليهم طريق الكفر[٢]...القول الثاني: أنَّ معنى الآية لو نشاء لأعميناهم وتركناهم عمياً يترددون، وكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ وهذا قول الحَسَن[٣] وقَتَادَة[٤] والسُّدِّي[٥]. **وهو الاختيار**؛ لأنَّ الله -تعالى- يهددهم بهذه الآية كالتي بعدها، كما قال: ﴿**وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ**﴾ [البقرة:٢٠]، يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة »[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد عمى البصائر، فالمعنى: لو نشاء لأعمينا قلوبهم فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه، وهو قول ابن عَبَّاس[٧]، ومُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] الطَّمْس: طَمَسَ يَطْمِسُ وَيَطْمُسُ طُموساً درَسَ وامَّحى أَثَرُه، وَالْمَطْمُوسُ وَالطَّمِيسُ الْأَعْمَى الَّذِي لَيْسَ فِي عَيْنَيْهِ شَقٌّ. ينظر: تهذيب اللغة (٢٤٦/١٢)، ولسان العرب (١٢٦/٦)، مادة (طمس).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٩١/٣).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٥/٢٠)، وذكره عنه النَّحَّاس في معاني القرآن (٥١٣/٥).

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٤٥/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٥/٢٠).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٥)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٥٨٧/٦).

[٦] البسيط (٥١٢/١٨).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٤٥/٢٠)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٣٨١/١).

القول الثاني: أنَّ المراد الطَّمس على الأعين حقيقة وهو العمى، فالمعنى: لو نشاء أعميناهم فلو أرادوا المشي على الطريق لم يبصروه، وهو قول الحَسَن، وقَتَادَة، والسُّدِّي -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[2].

الترجيح:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الثاني أرجح وأظهر، أي: لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم، فأصبحوا يترددون لا يبصرون طريقاً، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ سياق الآيات في الكفار، فلا معنى لعماهم عن الهدى وهذا حالهم، قال الطَّبَرِيّ في معرض ترجيحه لهذا القول: «وهذا القول الذي ذكرناه عن الحَسَن، وقَتَادَة أشبه بتأويل الكلام؛ لأنَّ الله إنَّما تهدد به قومًا كفاراً، فلا وجه لأنْ يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنَّه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عمياً لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون له»[3].

٢. أنَّ هذه الآية فيها تهديد ووعيد للكفار كالآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾[يس: ٦٧]، والمسخ هو تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها [4]، فناسب أن يكون طمس أعينهم على حقيقته لمجانسة ما بعده[5].

---

[1] ينظر: البسيط (٥١٣/١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٥١٨)، والوجيز (٩٠٣/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٤٦/٢٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٩٣/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥١٣/٥)، وأنوار التنزيل (٤٣٩/٤)، ومدارك التنزيل (٣/ ١٠٩)، وإرشاد العقل السليم (١٧٦/٧)، ومحاسن التأويل (١٩٢/٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٩٨، والتحرير والتنوير (٢٥٧/٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة يس) ص٢٣٥.

[3] جامع البيان (٥٤٦/٢٠).

[4] ينظر: تهذيب اللغة (٩١/٧)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٢٣/٥)، مادة (مسخ).

[5] ينظر: الجواهر الحسان (١١/٤).

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[١].

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٦٣- عَوْد الضمير في ﴿وَهُمْ﴾ و﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [يس: ٧٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الكفار، ﴿لَهُمْ﴾ الآلهة ﴿جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾. وقال ابن عَبَّاس[١]، ومُقَاتِل[٢]: وهم لهم جند يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا. وهذا قول قَتَادَة والحَسَن، واختيار أبي إِسْحَاق[٣]. قال قَتَادَة: يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا ولا تدفع عنهم شرًّا إنَّما هي أصنام[٤]. وقال الحَسَن: محضرون لآلهتهم يدفعون عنهم ويمنعونهم[٥]. وقال أبو إِسْحَاق: أي هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم[٦]. **وهذا القول هو الاختيار**. وفيه قول آخر، وهو أنَّ المعنى: والآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار، يريد أنَّ العابدين والمعبودين كلهم مجتمعون في النار، فلا يدفع بعضهم عن بعض، ولا ينتفع الكفار بعبادتهم ورجائهم نصرتهم»[٧].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في ﴿وَهُمْ﴾ و ﴿لَهُمْ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ الضمير الأول ﴿وَهُمْ﴾ يعود على الكفار، والثاني ﴿لَهُمْ﴾ على الآلهة.

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول لابن عَبَّاس غير الوَاحِدِيّ.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٩٢).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٠/٥٥٢)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٦/٥٩٣).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٥/٥٧)، والسُّيوطِيّ في الدر المنثور (٧/٧٣) وعزاه إلى ابن أَبِي حَاتِم.

[٦] معاني القرآن وإعرابه (٤/٢٩٥).

[٧] البسيط (١٨/٥٢٤).

ونسب الوَاحِدِيّ هذا القول لابن عَبَّاس، وقال به الحَسَن، وقَتَادَة، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، وابن الجَوْزِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، وابن عُثَيْمِيْن[2].

قال الطَّبَرِيّ في سياق ترجيحه لهذا القول:«وهذا الذي قاله قَتَادَة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك؛ لأنَّ المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً حينئذ؟! ولكنَّهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم»[3].

القول الثاني: أنَّ الضمير الأول ﴿وَهُمْ﴾ يعود على الآلهة، والثاني ﴿لَهُمْ﴾ على الكفار.

واستبعده ابن عُثَيْمِيْن بقوله:«وهذا قول فيه بعدٌ عن ظاهر الآية، وعن المعنى»[4].

الترجيح:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الأظهر والأقرب؛ فالضمير الأول ﴿وَهُمْ﴾ يعود على المشركين، والثاني ﴿لَهُمْ﴾ على الآلهة، والمعنى: أنَّ المشركين كالجند والخدم لأصنامهم في التعصب لهم، والذبِّ عنهم، وفدائهم بالروح والمال، ويُؤَيِّد هذا القول:

---

[1] ينظر: البسيط (٥٢٤/١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٥١٩)، وفي الوجيز اقتصر على القول الثاني (٩٠٤/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٥٣/٢٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٩٥/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٥/ ٥١٩)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ص٣١٧، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٨٦/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٩٣/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة يس) ص٢٨٣.

[3] جامع البيان (٥٥٣/٢٠).

[4] تفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة يس) ص٢٨٣.

١. أنَّ هذا القول هو الأنسب لسياق الآية، وهو الذي ينادي عليهم بالسفه والضلال، فالله - ﷻ - حين ذكر جهلهم في أول الآيات، وبَيَّنَ بطلان آلهتهم التي اتخذوها معه؛ رجاء نصرها وشفاعتها، أكد سبحانه أنَّها في غاية العجز والضعف، فقال: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٧٤ - ٧٥]، في حين أنَّ واقع المشركين هو الدفاع عن هذه الآلهة، والتعصب لها، والحضور عندها لخدمتها، ورعايتها، وحفظها، فكيف ينصرك من هو مفتقر إلى نصرتك؟ وهذا في غاية التسفيه والتحقير، وهو أبلغ في تقبيح المشركين[١].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٨٦/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن عُثَيْمِيْن (سورة يس) ص٢٨٣.

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٦٤- القائل

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ [الصافات: ٥٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُقَاتِل: ثم قال المؤمن لإخوانه في الجنة: ﴿ **هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ** ﴾ إلى النار لينظر كيف منزلة أخيه[١]...وروى عَطَاء عن ابن عَبَّاس قال: تقول الملائكة: ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾[٢]. **والظاهر هو القول الأول**، وهو أنَّ قوله: ﴿ قَالَ ﴾ إخبار عن المؤمن الذي قص خبره مع القرين»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في القائل في الآية:

القول الأول: أنَّه من قول المؤمن لإخوانه في الجنة، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والرَّازِيّ، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والشَّوكَانِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٥].

القول الثاني: أنَّه من قول الملائكة، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّه من قول الله -تعالى-، واختاره ابن جُزَي[٦].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٩٩).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره ابن القَيِّم في حادي الأرواح ص١٧٩ عن ابن عَبَّاس من رواية عَطَاء.

[٣] البسيط (١٩/٥٤).

[٤] ينظر: البسيط (١٩/٥٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٥٢٦)، وفي الوجيز (٢/٩٠٩) اقتصر على القول الثالث.

[٥] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/٣٨٥)، وجامع البيان (٢١/٤٦)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٦/ ٣٠)، وبحر العلوم (٣/١٣٤)، ومفاتيح الغيب (٢٦/١٢١)، وحادي الأرواح ص١٧٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٧/١٦)، وفتح القدير (٤/٥٦٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٠٣، والتحرير والتنوير (٢٣/ ٣٧).

[٦] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٩٢).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأولى هو القول الأول، وهو أنَّ الكلام من قول المؤمن لإخوانه في الجنة، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. السياق القرآني، فالآيات: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات:٥٠-٧٥]، تتحدث عن أهل الجنة وسؤال بعضهم بعضاً عن أحوال كانت في الدنيا، فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة، ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه.

قال ابن القَيِّم:«والصحيح القول الأول، وأنَّ هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه، والسياق كله، والأخبار عنه، وعن حال قرينه»[١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

---

[١] حادي الأرواح ص١٧٩.

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٦٥- المراد بقوله: ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات: ١٠٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « وقوله: ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ قال أبو عُبَيْدَة: أي صرعه، وللوجه جَبِينان والجبهة بينهما[١]...وقال ابن قُتَيْبَة: صرعه على الأرض على أحد جَبِينَيْهِ[٢]. وقال ابن الأعرابي: التّلِيلُ والمتْلُول المَصْرُوع[٣]...قال ابن عَبَّاس: أضجعه على جَنْبَيْهِ على الأرض[٤]. وقال مُقَاتِل: كَبَّهُ لجَبْهَتِهِ[٥]...**والصحيح** أنَّه أضجعه على أحد شقيه؛ لأنَّ الجبين غير الجبهة كما ذكرنا»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه أضجعه على أحد جَبِينَيْهِ، أي: أحد جانبي الجبهة.

وهو قول ابن عَبَّاس-كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والرَّازِيّ، وابن عَادِل، وابن عَاشُور[٨].

القول الثاني: أنَّه كبَّه لجَبْهَتِهِ، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] ينظر: مجاز القرآن (١٧١/٢).

[٢] ينظر: غريب القرآن ص ٣٧٣.

[٣] ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٧٨)، مادة (تل)، ولسان العرب (١١/ ٧٨)، مادة (تلل).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٦١/٥)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٨/٧).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٩٩).

[٦] البسيط (٨٩/١٩).

[٧] ينظر: البسيط (٩٠/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٥٣٠)، والوجيز (٢/ ٩١٣).

[٨] ينظر: مفاتيح الغيب (١٣٧/٢٦)، واللباب في علوم الكتاب (٣٣٦/١٦)، والتحرير والتنوير (٦٦/٢٣).

وتَعَقَّبَهُ الرَّازِيّ بقوله: «وقال مُقَاتِل: كَبَّهُ على جَبْهَتِهِ، وهذا خطأ؛ لأنَّ الجبِين غير الجبهة»[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أن القول الأول هو الأقوى والأظهر؛ فإبراهيم -عليه السلام- امتثل لأمر الله -تعالى- فصرع ابنه على الأرض على جبِينه ليذبحه؛ ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ الجبِين في اللغة يختلف عن الجبهة، "فالجَبِينان: حَرْفانِ مُكْتَنِفَا الجَبْهَةِ مِن جانِبَيْها فِيمَا بَين الحاجِبَيْنِ مُصْعِداً إِلَى قُصاصِ الشَعَرِ"[2]، "والجَبْهَةُ مَا بينَ الجَبِينَيْنِ"[3].

والله -عز وجل- ذكر في الآية: ﴿ **وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ** ﴾ أنَّه صرعه على جبِينه لا على جبهته.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله -تعالى- على المعروف المشهور من كلام العرب دون الشاذ والمنكر[4].

٢. أنَّ أكثر المفسرين اقتصر على هذا القول، وفرَّق بين الجبين والجبهة، ولم يذكر القول الثاني مما يشعر بضعفه[5].

---

[1] مفاتيح الغيب (١٣٧/٢٦).

[2] تهذيب اللغة (٨٥/١١)، مادة (جبن).

[3] لسان العرب (٨٤/١٣)، مادة (جبن).

[4] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

[5] ينظر: مجاز القرآن (١٧١/٢)، وغريب القرآن ص ٣٧٣، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٠٨/٤)، ومعالم التنزيل (٤٨/٧)، والكشاف (٥٦/٤)، والمحرر الوجيز (٥٥٢/٤)، وزاد المسير (٧٦/٧)، ومدارك التنزيل (١٣١/٣)، ولباب التأويل (٢٨/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩٦/٢)، والبحر المحيط (٣٥٥/٧)، والجواهر الحسان (٢٣/٤)، وروح المعاني (١٣٠/٢٣)، ومحاسن التأويل (٢١٨/٨).

١٦٦- المراد بالجِنَّة، والنَّسب

في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات: ١٥٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾، اختلفوا في الجِنَّة، وفي هذا النسب الذي جعلوه. فروى السُّدِّي عن أبي صَالِح قال: الجِنَّة: الملائكة[١]. ورَوى عن أبي مَالِك قال: إنَّما سموا الجِنَّة لأنَّهم كانوا على الجِنَان[٢]. وقال مُقَاتِل: جعلوا نسباً بين الرب والملائكة حين زعموا أنَّهم بنات الله[٣]. وعلى هذا القول الجِنَّة هم الملائكة. سموا جِنَّة لاجتنانهم عن الأبصار، أو لأنَّهم خُزَّان الجنَّة كما ذكر السُّدِّي. وقال الكَلبِيّ: قالوا لعنهم الله: تزوج من الْجِنِّ فخرج منها الملائكة[٤]! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا. وقال قَتَادَة: قالوا: صاهر الْجِنّ، والملائكة من الْجِنِّ، فذلك قوله:﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾[٥]. وقال مُجَاهِد: قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ:« فمن أُمَّهَاتُهم؟ قالوا: سَرَوات[٦] الْجِنِّ»[٧]، وعلى هذا القول: الجِنَّة أولاد الْجِنِّ، والنسب هو المصاهرة. ورُوي قول آخر عن الحَسَن، قالوا: أشركوا الشيطان في عبادة الله،

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الآلُوْسِيّ في روح المعاني (٢٣/ ١٥١).

[٢] رواه إِسْرَائِيلُ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وذكره النَّحَّاس في إعراب القرآن (٤٤٤/٣) ووصفه بالغريب، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٥).

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ١٠٩).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/ ٦٣)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٥).

[٥] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ١٥٧)، والطَّبَرِيّ بمعناه في تفسيره (٢١/ ١٢١).

[٦] السَّرْوُ: المروءَةُ والشَّرَفُ، وسَرَاةُ كل شيء أعلاه، والمراد بسَرَوات الجن: الشريفات.
ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٣٨)، ولسان العرب (١٤/ ٣٧٧)، مادة (سرا).

[٧] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/ ٥٤٦)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/ ١٢١).

فهو النسب الذي جعلوه[١]، يعني: أنَّهم عبدوه مع الله وأطاعوه، وكأنَّهم جعلوا نسباً لله، حيث اعتقدوا طاعته. وفيه بُعْد. **والاختيار القول الأول**، وهو قول الفَرَّاء[٢]، وأبي إِسْحَاق[٣]، يدل عليه ما بعده من قوله:﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[الصافات: ١٥٨]، أي: قد علمت الملائكة أنَّ الذين قالوا هذا القول محضرون»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالجِنَّة، والنَّسب في الآية:

القول الأول: أنَّ الجِنَّة: الملائكة، والنسب الذي جعلوه: زعمهم أنَّهم بنات الله، وهو قول أبي صَالِح، ومُقَاتِل -كما سبق-، وقال به السُّدِّي[٥]، واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والفَرَّاء، والزَّجَّاج[٧]، وهو قول أكثر المفسرين[٨].

واعترض عليه الرَّازِيّ بقوله:« إنَّ الله -تعالى- قد أبطل قولهم: الملائكة بنات الله، ثم عطف عليه قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ والعطف يقتضي كون المعطوف مغايراً للمعطوف عليه، فوجب أن يكون المراد من هذه الآية غير ما تقدم»[٩].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٧٠)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/ ٦٣).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/٣٩٤).

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٣١٥).

[٤] البسيط (١٩/١٢١).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/ ١٢١)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٧١).

[٦] ينظر: البسيط (١٩/١٢٢)، واقتصر على القول الثاني في الوسيط (٣/ ٥٣٤)، وعلى الأول في الوجيز (٢/٩١٥).

[٧] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/٣٩٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/٣١٥).

[٨] حكاه النَّحَّاس في إعراب القرآن (٣/٤٤٤)، والسَّمْعَانِيّ في تفسيره (٤/ ٤١٨)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٣٤)، والشَّوكَانِيّ في فتح القدير (٤/ ٥٨٩).

[٩] مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٤٧).

ووافقه ابن عَاشُور بقوله: «وهذا تفسيرٌ فاسدٌ؛ لأنَّه يصير قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ إعادة لما تقدم من قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الصافات:١٥١- ١٥٢]، ومن قوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ [الصافات:١٥٠]» [١].

وضَعَّفه أيضاً ابن عُثَيْمِيْن بقوله:«وهذا القول ضعيف جداً؛ لأنَّ الجِنَّة اسم للجِنِّ لا للملائكة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٥-٦]، يعني الجن، وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ [المؤمنون:٧٠]، أي: جن أصابه بمس، ولا يمكن أن يعبر بالجنِّ الذين خلقوا من نار عن الملائكة الذين خلقوا من نور، وهم من أشرف خلق الله: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧] » [٢].

القول الثاني: أنَّ الجِنَّة: الْجِنّ، والنسب الذي جعلوه هو قولهم: إن الله تزوج بالجِنِّ فخرج منها الملائكة! سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله علواً كبيراً، وهو قول مُجَاهِد، وقَتَادَة، والكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره القَاسِمِيّ[٣].

واعترض عليه الرَّازِيّ بقوله:« وهذا عندي بعيد؛ لأنَّ المصاهرة لا تسمى نسباً» [٤].

وأجاب عنه ابن عَاشُور بقوله:« تفسير النسب بالمصاهرة تفسير بالمعنى، وليس المراد أنَّ النسب يطلق على المصاهرة، كما توهمه كثير؛ لأنَّ هذا الإطلاق غير موجود في دواوين اللغة فلا تغترر به» [٥].

---

[١] التحرير والتنوير (٢٣/ ٩٤).

[٢] تفسير سورة الصافات لابن عُثَيْمِيْن ص٣٢٩.

[٣] ينظر: محاسن التأويل (٨/ ٢٣٠).

[٤] مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٤٧).

[٥] التحرير والتنوير (٢٣/ ٩٤).

القول الثالث: أنَّ الجِنَّة: إبليس، والنسب الذي جعلوه هو قولهم: إنَّه -تبارك وتعالى- وإبليس أخَوانِ. قال ابن عَبَّاس -رضي الله عنه-: «زعم أعداء الله أنَّه -تبارك وتعالى- وإبليس أخَوانِ»[1]. وقال الماوَرْدِيّ: «وهو قول الزَّنَادِقَة[2]: إن الله - تعالى - وإبليس أخَوانِ، وأنَّ النور والخير والحيوان النافع من خلق الله، والظلمة والشر والحيوان الضار من خلق إبليس»[3]. واختار هذا القول الرَّازِيّ[4].

واستبعده الآلُوْسِيّ بقوله:« وَيَبْعُد هذا القول عندي أنَّ الظاهر أنَّ ضمير ﴿وَجَعَلُوٓاْ﴾ كالضمائر السابقة لقريش، ولم يشتهر ذلك عنهم بل ولا عن قبيلة من قبائل العرب، وليس المقام للرد على الكفرة مطلقا»[5].

وقريبٌ من هذا القول تفسير الحَسَن للنسب الذي جعلوه بأنَّهم أشركوا الشيطان في عبادة الله.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقرب للصواب هو القول الثاني، ويؤيده:

١. أنَّ الغالب في استعمال القرآن إطلاق لفظ الجِنَّة على الجِنِّ لا على الملائكة، قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس: ٦]، وقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/ ١٢١)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٩١/٧).

[2] الزَّنَادِقَة: كلمة فارسية معربة، أخذت من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، ومعناها: النفاق الأكبر، والإلحاد الأعظم، والزنادقة هم الذين لا يؤمنون بالآخرة، ووحدانية الخالق، ويقولون ببقاء الدهر، ثم أصبح هذا اللفظ يطلق على كل من أنكر أصلاً من أصول العقيدة وفي الإلحاد عموماً كما قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: من طلب العلم بالكلام تزندق. وقال يزيد بن هارون: من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق.
ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة ص ٥٨، خلق أفعال العباد ص٣٠، وتلبيس إبليس ص ٢١.

[3] النكت والعيون (٥/ ٧٠).

[4] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/ ١٤٧).

[5] روح المعاني (١٥١/٢٣).

[المؤمنون:٧٠]. والقاعدة الترجيحية: أنَّه قد يحتمل اللفظ معانيَ عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن، فيقدَّم[١].

٢. أنَّ الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلُوٓاْ﴾ لكفار قريش، كسائر الضمائر قبله، ولم يشتهر عنهم بل ولا عن قبيلة من قبائل العرب مقولة: (إن الله - تعالى - وإبليس أخَوانِ)، وفي جعل الضمير في غيرهم تشتيت للضمائر. والقاعدة الترجيحية: أنَّ توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٢].

قال القَاسِمِيّ بعد اختياره لهذا القول:«ولعل ما ذكرناه أولى؛ لخلوّه عن تشتيت الضمائر، ولموافقته للأغلب من استعمال الجِنّ والجِنَّة»[٣].

٣. الأثر الوارد عن مُجَاهِد أنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قالوا: «الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَأُمَّهَاتُهُنَّ بَنَاتُ سَرَوَاتِ الْجِنِّ» ذكره البخاري في صحيحه[٤]، ووَصَلَهُ الْفِرْيَابِيُّ مِنْ طَرِيق اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد بِهِ؛ وَفِيهِ: «فَقَالَ أَبُو بَكْر: مِمَّنْ أُمَّهَاتهمْ؟ قَالُوا: بَنَات سَرَوَات الْجِنّ»[٥].

فالقول الأول يدفعه السياق؛ لسبق الرد على قولهم أن الملائكة بنات الله واستنكاره، وكذا فإنَّ الغالب في استعمال كلمة (الجِنَّة) في القرآن إطلاقها على الجِنِّ. والقول الثالث فيه تشتيت للضمائر.

---

[١] ينظر: أضواء البيان (١٨٩/١)، والتحرير والتنوير (٢٠٧/١٩)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢).

[٢] ينظر: المحرر الوجيز (٨/٥)، والبرهان للزركشي (٣٥/٤)، والإتقان (٣٩٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[٣] ينظر: محاسن التأويل (٢٣٠/٨).

[٤] كتاب بدء الخلق، باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم، (١١٩٩/٣).

[٥] ينظر: تغليق التعليق (٥١٤/٣).

١٦٧- المراد بالذكر

في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات: ١٦٧- ١٦٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال السُّدِّي: قالوا: لو أنَّ عندنا كتاباً من كتب الأنبياء[١]...وقال أبو إِسْحَاق[٢]: كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٣]، وعلى هذا في الآية مضاف مقدر على تقدير: ذكر من الكتب الأولين. وقال مُقَاتِل: يعني خبر الأمم الخالية كيف أهلكوا وما كان أمرهم[٤]، ولا يحتاج على هذا إلى تقدير المضاف. **والقول هو الأول**؛ لقوله - ﷻ -:﴿ **أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ** ﴾[الأنعام: ١٥٧]»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالذكر في الآية:

القول الأول: أنَّه كتاب من كتب الأولين، وهو قول ابن عَبَّاس[٦]، والضَّحَّاك[٧]، والسُّدِّي -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٨].

القول الثاني: أنَّه خبر الأمم الخالية، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢٩/٢١)، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥٥٩/٤).

[٢] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣١٦/٤).

[٤] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١١٠/٣).

[٥] البسيط (١٢٦/١٩).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٣٠/٢١)، وذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٧/ ١٣٩) وعزاه إلى ابن مَرْدَوَيْه.

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٢٩/٢١)، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥٥٩/٤).

[٨] ينظر: البسيط (١٢٧/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/ ٥٣٥)، والوجيز (٢/ ٩١٦).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني يدخل في القول الأول؛ فالقرآن الكريم فيه ذكر لأخبار الأمم السابقة، والقرون الماضية، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ القرآن الكريم يسمى ذكراً، وقد وردت آيات كثيرة تشهد لذلك، منها قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[الأنبياء:٥٠]، وقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، وقوله: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص:١]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[آل عمران:٥٨]، إلى غير ذلك من الآيات. يقول الطَّبَرِيّ في وجه تسميته القرآن بالذكر:« فإنَّه محتمل معنيين: أحدهما: أنَّه ذكرٌ من الله جل ذكره، ذكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائرَ ما أودعه من حُكمه. والآخر: أنَّه ذكرٌ وشرف وفخرٌ لمن آمن به وصدَّق بما فيه، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[سورة الزخرف: ٤٤]، يعني به أنَّه شرفٌ له ولقومه»[١]. والقاعدة الترجيحية: أنَّه قد يحتمل اللفظ معانيَ عدة، ويكون أحدها هو الغالب استعمالاً في القرآن، فيقدَّم[٢].

٢. أنَّ كفار قريش كانوا يتمنون قبل بعثة النبي محمد -ﷺ- لو أنزل عليهم كتابٌ من السماء كالتوراة والإنجيل، يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى، كقوله: ﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾[الأنعام: ١٥٧]، والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[٣].

---

[١] جامع البيان (٩٩/١).

[٢] ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٧/١٩)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٧٩٨/٢).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

٣. أكثر المفسرين اقتصر على القول الأول[١]، ولم يذكر القول الثاني؛ لدخول أخبار الأمم السابقة فيما أخبر عنه القرآن الكريم.

[١] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦١٧٨/٩)، والكشف والبيان (١٧٢/٨)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٢٠/٤)، ومعالم التنزيل (٦٤/٧)، والكشاف (٦٩/٤)، وزاد المسير (٩٣/٧)، ومفاتيح الغيب (١٤٩/٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١٥)، وأنوار التنزيل (٣١/٥)، ومدارك التنزيل (١٤٠/٣)، وغرائب القرآن (٥٧٨/٥)، ولباب التأويل (٣٩/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩٦/٢)، والبحر المحيط (٣٦٣/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٣٥٨/١٦)، وإرشاد العقل السليم (٢١٠/٧)، وفتح القدير (٥٩٠/٤)، وروح المعاني (١٥٥/٢٣)، ومحاسن التأويل (٢٣٣/٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٨، والتحرير والتنوير (٩٩/٢٣).

١٦٨- المراد بالصيحة

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص: ١٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ رُوي عن ابن عَبَّاس أنَّها النفخة الأخيرة... ورُوي عنه أنَّها النفخة الأولى[١]. وهو قول مُقَاتِل[٢]. **والأول أقرب**؛ لأنَّ النفخة الأخيرة هي للبعث، والثانية غير بعيد؛ لأنَّها من أشراط قيام الساعة»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالصيحة في الآية:

القول الأول: أنَّها النفخة الأخيرة، أي: نفخة البعث، ونسب الوَاحِدِيّ هذا القول لابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والثَّعْلَبِيّ، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي[٥]، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ[٦].

القول الثاني: أنَّها النفخة الأولى، أي: نفخة الفزع والصعق، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] لم أجد من نسب ذلك لابن عَبَّاس غير الوَاحِدِيّ، وورد في تنوير المقباس ص٣٨١، قوله: أنَّها نفخة البعث.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١١٤/٣).

[٣] البسيط (١٦٤/١٩).

[٤] ينظر: البسيط (١٦٤/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٤٢/٣)، والوجيز (٩٢٠/٢).

[٥] مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم المَحَلِّي الشافعي، أصولي، مفسر، كان مهيباً صداعاً بالحق، مولده ووفاته بالقاهرة، من كتبه: (تفسير الجلالين) الذي أتمه الجلال السيوطي على نمطه، وكنز الراغبين في شرح المنهاج، والبدر الطالع في حل جمع الجوامع، توفي سنة ٨٦٤ هـ. ينظر: الضوء اللامع (٣٩/٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (٨٤/٢).

[٦] ينظر: الكشف والبيان (١٨١/٨)، وتفسير الجلالين ص٥٩٩، وإرشاد العقل السليم (٢١٨/٧)، وروح المعاني (١٧٢/٢٣).

واختاره الطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والماوَرْدِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر[1].

واعترض عليه أبو السُّعُوْد بقوله: « وأمَّا ما قيل من أنَّها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلاً؛ لما أنَّه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من كان حياً عند وقوعها»[2].

القول الثالث: أنَّها صيحة يهلكون بها في الدنيا[3].

وتَعَقَّبه أبو السُّعُوْد بقوله:« أنَّ تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي -ﷺ- بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] »[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أظهر وأولى، وهو أنَّ المراد بالصيحة هنا النفخة الثانية التي ينفخها إِسْرَافِيل في الصور، فيقوم الخلائق من قبورهم للحساب والجزاء، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ في الآية قرينة تؤَيِّد أنَّ المراد بالصيحة نفخة البعث، وهو قوله: ﴿**مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ** ﴾ ليس لها رجعة [5]، فلا يمكن أن يعودوا مرة أخرى للدنيا، فهذه النفخة لا تعاد مرة أخرى، فإذا كانت نفخة فزع أتت بعدها نفخة الموت، وإذا كانت نفخة موت أتى بعدها نفخة البعث والعرض على الله- ﷻ -؛ ليجازى المحسن والمسيء حسب عقيدته وصدقه.

---

[1] ينظر: جامع البيان (١٦٠/٢١)، وبحر العلوم (١٥٣/٣)، والنكت والعيون (٨٢/٥)، وأنوار التنزيل (٣٩/٥)، ومدارك التنزيل (١٤٧/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٠٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٦/٧).

[2] إرشاد العقل السليم (٢١٨/٧).

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم (٢١٨/٧)، وروح المعاني (١٧٢/٢٣).

[4] إرشاد العقل السليم (٢١٨/٧).

[5] ينظر: معالم التنزيل (٢١٨/٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٥٦/١٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٠٣/٢).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[1].

٢. أنَّ هذا القول سَلم من الاعتراض الوارد على القولين الآخرين. فالنفخة الأولى لا يشاهد هولَها، ولا يصعَق بها إلا مَن كان حيًّا عند وقوعها، وكفار قريش قد ماتوا وقتها. ومشركو العرب لم يهلكوا بعذاب استئصال من عند الله في الدنيا؛ إكراماً لرسول الله -ﷺ-، كما يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

[1] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

١٦٩- المراد بالغسَّاق

في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال مُقَاتِل: حميم: يعني الحار الذي قد انتهى حره، وغسَّاقاً: يعني البارد الذي قد انتهى برده، يُنطلق بهم من الحر إلى البرد، فتتقطع جلودهم، ويحرق البارد كما يحرق الحار[١]. وروى لَيْثٌ عن مُجَاهِد قال: هو الذي لا يستطيعونه من برده[٢]...وحكى أهل اللغة أيضاً هذا القول، قال الفَرَّاء: ذكروا أن الغسَّاق بارد يحرق كإحراق الحميم[٣]. وحكى الزَّجَّاج أن معنى غساقاً: الشديدُ البرْدِ الذي يُحْرِقُ من بَرْدِه[٤]، وذكر الأَزْهَرِيّ أنَّ الغاسق: البارد، قال: وقيل لليل غاسق؛ لأنَّه أبرد من النهار[٥].

القول الثاني في تفسير الغسَّاق: أنَّه النَّتْن...وروي مرفوعاً: «لَوْ أنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَراقُ فِي الدُّنْيا لأنْتَنَ أهْلَ الدُّنْيا»[٦]. وحكى أبو إِسْحَاق[٧]: ولو قَطَرَتْ منه قطرة في

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ١٢٢).

[٢] أخرجه هَنَّاد في الزهد (١/ ١٨٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/ ١٦٥).

[٣] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢/ ٤١٠).

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣٣٩).

[٥] ينظر: تهذيب اللغة (٣١/٨)، مادة (غسق).

[٦] أخرجه ابن المبارك في الزهد في زيادات نعيم بن حماد (٩٠/٢)، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، (٣٣١/١٧)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم الحديث (٢٥٨٤)، (٤/ ٧٠٦)، وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الأهوال، رقم الحديث (٨٧٧٩)، (٤/ ٦٤٤)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور، باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم، رقم الحديث (٥٥٠)، ص٣٠٥ ، كلهم من طريق عمرو بن الحارث عن درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديث غريب. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص٢٦٢، وضعيف الجامع الصغير ص ٦٩٣، رقم الحديث (٤٨٠٣).

[٧] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

المغرب لأَنْتَنَتْ أهل المشرقِ[١]. القول الثالث في الغسَّاق: أنَّه ما سال من جلود أهل النار. وهو قول قَتَادَة[٢]، والسُّدِّي[٣]، وعَطِيَّة[٤]...وقال إِبْرَاهِيم، وأبو رَزِين[٥]: هو ما يسيل من صديدهم[٦]. وعلى هذا هو من قولهم: غَسَقَتْ عينه تَغْسِقُ غَسْقاً وغَسَقاناً، وَهُو هَمَلانُ العينِ بالغَمَص وَالماءِ...وقال ابن الأَعْرَابِيّ: غَسَقَتْ عينُه: إذا انصبّتْ، والغَسَقانُ: الانصباب، وغَسَقَتِ السّماءُ: أَرشَّتْ، ومنه قول عُمَرَ: (حين غسَقَ الليلُ على الظِّرابِ)، أي: انصبَّ الليلُ على الجِبالِ[٧]. وهذا آخر قولين في تسمية الليل الغاسق، وهذا القول في الغاسق هو **الاختيار لموافقته اللغة**، وقول من قال: إنَّه المنتن البارد داخل في هذا؛ لأنَّ ما سال من صديدهم اجتمع فنتن وصار بارداً»[٨].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالغسَّاق في الآية:

القول الأول: هو البارد الزمهرير الذي قد انتهى برده، وهو قول ابن عَبَّاس[٩]، وأَبِي العَالِيَة[١٠]، ومُجَاهِد، ومُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٣٩/٤).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (١٦٨/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢٦/٢١).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢٦/٢١)، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥٨١/٤).

[٤] أخرجه هَنَّاد في الزهد (١/ ١٨٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/ ١٦٤).

[٥] مَسْعُوْدُ بنُ مَالِكٍ الأَسَدِيّ الْكُوفِيّ، أبو رَزِين، ثقة فاضل، روى عن أبي هُرَيْرَةَ وغيره، وحديثه عند البخاري ومسلم والأربعة، توفي سنة ٨٥هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢٨٨/٢)، ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار(٣٣/٣).

[٦] أخرج قولهما هَنَّاد في الزهد (١/ ١٨٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٤/٢٤).

[٧] ينظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣١)، ولسان العرب (١٠/ ٢٨٨)، مادة (غسق).

[٨] البسيط (٢٣٥/١٩).

[٩] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٥/٢٤)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٩٩/٧).

[١٠] أخرجه هَنَّاد في الزهد (١/ ١٨٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٦٥/٢٤).

واختاره الشَّوكَانيّ فقال:« وتفسير الغسَّاق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب، ومنه قول الشاعر: إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْحَيَاةَ وَطِيبَهَا ... إِلَيَّ جَرَى دَمْعٌ مِنَ اللَّيْلِ غَاسِقُ[1].

أي: بارد. وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم»[2].

القول الثاني: هو المُنْتِن، وهو قول عبد الله بن بُرَيدة[3].

القول الثالث: هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم، وهو قول إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وأبي رَزِين، وعَطِيَّة العَوْفِيّ، وقَتَادَة، والسُّدِّي -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والبَيْضَاوِيّ، والقَاسِمِيّ[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ جميع التفسيرات صحيحة، وجائز اجتماعها في معنى الغسَّاق، فالغسَّاق هو صديد أهل النار المنتِن الذي بلغ النهاية في بُرودَته أعاذنا الله من ذلك.

فشراب أهل النار -والعياذ بالله - إمَّا حار يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء، كما قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] وإمَّا صديد منتن، كما وصفه الله في قوله:﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٦].

وقد جمع الطَّبَرِيّ بين هذه الأقوال فقال:« والغسَّاق عندي: هو الفعَّال، من قولهم: غَسَقَت عين فلان: إذا سالت دموعها، وغَسَق الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق: ٣]. يعني بالغاسق: الليل إذا لَبِسَ الأشياء

---

[1] البيت من البحر الطويل، وهو لعمران بن حِطَّان يعبِّر فيه عن حبه للدنيا، أورده ابن الأنباري في الأضداد ص٥، لكنَّه ذكر لفظ (العين) في البيت بدل (الليل).

[2] فتح القدير (٤/ ٦٢٧).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢٧/٢١).

[4] ينظر: البسيط (٢٣٨/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٤٢/٣)، والوجيز (٢/ ٩٢٥).

[5] ينظر: أنوار التنزيل (١٦٤/١٩)، ومحاسن التأويل (٨/ ٢٦٩).

وغطاها، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء، هجوم السيل السائل. فإذا كان الغسَّاق هو ما وصفت من الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنَّهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدّة برده النَّتَنَ...فإن قال قائل: فإنَّك قد قلت: إنَّ الغسَّاق: هو الزمهرير، والزمهرير: هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلاً؟ قيل: إنَّ البرد الذي لا يستطاع ولا يطاق، يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد»[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها[2].

[1] جامع البيان (١٦٦/٢٤).

[2] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١)، وأضواء البيان (٤٥٧/٢)، والتحرير والتنوير (٩٨/١)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ - ص٥٩- ٥٦٧.

١٧٠- المراد بالحسنة

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قال ابن عَبَّاس: وحدوا الله[١]، وقال مُقَاتِل: أحسنوا العمل في هذه الدنيا[٢]. قوله تعالى: ﴿حَسَنَةٌ﴾ قالا[٣]: يريد الجنَّة، كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، وعلى هذا قوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ ظرف لإحسانهم وهو عملهم وتوحيدهم. وقال السُّدِّي: معنى الحسنة ها هنا: الصحة والعافية[٤]، يقول: لهم في هذه الدنيا الصحة والعافية، وعلى ما قال: (في هذه الدنيا) ظرف للحسنة لا للإحسان، **والقول هو الأول**؛ لأنَّ المحسن بالتوحيد والأعمال الصالحة وُعِد الأجر في الآخرة لا في الدنيا، وأمَّا نعمة الدنيا من الصحة والمال فإنَّها تسيغ للكافر، ولا تحلو لمؤمن دنياه»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالحسنة في الآية:

القول الأول: أنّ الحسنة في الآخرة، وهي الجنَّة، وهذا القول نسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس، وقال به مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن عَطِيَّة،

---

[١] لم أقف على من نسب هذا القول لابن عَبَّاس عدا الوَاحِدِيّ في البسيط، وقد ذكره في الوسيط (٣/٥٧٤)، والوجيز (٢/٩٣٠) دون نسبة.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل (٣/ ١٢٩).

[٣] يريد ابن عَبَّاس ومُقَاتِل، أمَّا قول ابن عَبَّاس فلم أقف عليه. وقول مُقَاتِل في تفسيره (٣/١٢٩).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/ ٢٦٩)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/١١١).

[٥] البسيط (١٩/٢٧٨).

[٦] ينظر: البسيط (١٩/٢٧٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٥٧٤)، والوجيز (٢/٩٣٠).

وابن جُزَي، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، والثَّعَالِبِيّ، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ[1].

القول الثاني: أنّها في الدنيا، وهي الصحة والعافية، وهو قول السُّدِّي -كما سبق-.

واعترض عليه بأنَّ نعيم الدنيا من الصحة والأمن وسعة العيش وغيرها، حاصلة للكفار؛ فكيف تجعل جزاء للمؤمن المتقي؟ [2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية تحتمل القولين، فالذين أحسنوا في عبادة الله -سبحانه-، وأحسنوا لعباد الله لهم الجزاء الحسن في دنياهم وأخراهم. ويُؤَيِّده:

١. أنَّ لفظ (حسنة) نكرة مطلقة؛ فهو يختلف عن تفسرها بالحسنى في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فـ(حسنة) هنا تعم مجازاتهم بإحسانهم في الدنيا والآخرة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] [3]. والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[4].

٢. أنَّ الكافر وإن شارك المؤمن في نعيم الدنيا المادي، إلا أنَّ المحسن ينال بإحسانه حياة طيبة من حيث راحة الضمير، وصفاء النفس، وانشراح الصدر، والثناء الحسن، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، بخلاف الكافر الذي قال الله - ﷻ - عنه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

---

[1] ينظر: بحر العلوم (١٧١/٣)، والمحرر الوجيز (٥٩٣/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢١٨/٢)، وتفسير الجلالين ص٦٠٧، والجواهر الحسان (٤/ ٥١)، وفتح القدير (٤/ ٦٤٥)، وروح المعاني (٢٣/ ٢٤٨).

[2] ينظر: البسيط (٢٧٩/١٩)، ومفاتيح الغيب (٢٢٠/٢٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٦١٨).

[3] ينظر: التحرير والتنوير (٤١/٢٤).

[4] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

١٧١- المراد بقوله: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ [الزمر: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد ارحلوا من مكة[١]، وهذا حث لهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأْمَنُون. وقال الكَلْبِيّ: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ يعني: المدينة واسعة آمنة[٢]، فخص الأرض ها هنا بالمدينة. **والظاهر** أنَّها غير مختصة بها على ما ذكر ابن عَبَّاس؛ لأنَّ جعفراً وأصحابه لم يهاجروا إلى المدينة، ولو كان المراد بالأرض الواسعة المدينة لهاجروا إليها، ولكنَّها على الإطلاق الذي ذكر»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّها الهجرة من مكة إلى حيث يأْمَنُون، فالآية على هذا عامة في الحث على الهجرة إلى أي بلد يأمن فيه؛ إذا كان المسلم في مكان لا يتمكن فيه من إقامة شرائع الدين، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والنَّحَّاس، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي،

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (١١١/٧)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٧١/١٣).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٣/ ١٧١).

[٣] البسيط (٢٧٩/١٩).

[٤] ينظر: البسيط (٢٧٩/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٧٤/٣)، والوجيز (٩٣٠/٢).

وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[1].

القول الثاني: أنَّها الهجرة من مكة إلى المدينة، فالآية على هذا مخصوصة بالهجرة إلى المدينة، وهو قول الكَلْبِيّ -كما سبق-، ومُقَاتِل[2].

واعترض عليه بأنَّ المسلمين هاجروا مرتين إلى الحبشة، ثم هاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم؛ ولو كان المراد بالأرض الواسعة المدينة لهاجروا إليها؛ فدلَّ ذلك على أنَّها أي بلد يأمن فيها على دينه دون تقيدها ببلد معين[3].

القول الثالث: أنَّها أرض الجنَّة رَغَّبَهُمْ فِي سَعَتِهَا وَسَعَةِ نعيمها[4].

واعترض عليه ابن عَطِيَّة بقوله: «وفي هذا القول تحكم، لا دليل عليه» [5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في الحث على الهجرة إذا كان المسلم في مكان لا يتمكن فيه من إقامة شرائع الدين، فعليه أن يهاجر إلى بلاد يقدر فيها على الاشتغال بالطاعات والعبادات كما هي سنة الأنبياء والصالحين في هجرتهم من بلادهم إلى غيرها؛ ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم، ويُؤَيِّد هذا القول:

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢٦٩/٢١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٤٧/٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٦٠/٦)، والكشاف (١١٩/٤)، والمحرر الوجيز (٥٩٣/٤)، ومفاتيح الغيب (٢٢١/٢٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤١/١٥)، وأنوار التنزيل (٦٠/٥)، ومدارك التنزيل (١٧٢/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢١٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨٩/٧)، والجواهر الحسان (٥١/٤)، واللباب في علوم الكتاب (٤٨٧/١٦)، وإرشاد العقل السليم (٢٤٦/٧)، وفتح القدير (٦٤٥/٤)، وروح المعاني (٢٣/ ٢٤٨)، ومحاسن التأويل (٢٨٢/٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٢٠، وأضواء البيان (٣٥٥/٦).

[2] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ١٢٩).

[3] ينظر: البسيط (٢٧٩/١٩).

[4] هذا القول نسبه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/ ١١٩) لابن عيسى.

[5] المحرر الوجيز (٥٩٣/٤).

١. النظائر القرآنية؛ فقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾[النساء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦][(١)].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[(٢)].

٢. أنَّ الآية عامة فيجب حملها على عمومه.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[(٣)].

٣. أنَّ القولين الآخرين لم يسلما من المعارضة بخلاف هذا القول.

٤. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[(٤)].

(١) ينظر: أضواء البيان (٣٥٥/٦)، والتحرير والتنوير (٤١/٢٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٧٢- المراد بالصبر

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد الصابرين على دينهم، يقول: سيكرمون في الآخرة بما لا يهتدي إليه عقل عاقل ولا وصف واصف ولا يهتدي إليه حساب الحاسب ولا يعرف[١]. قال أبو إِسْحَاق[٢]: أي من صبر على طاعة الله أعطي أجره بغير حساب[٣]، فمعنى ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا على توحيد الله وطاعته وقاسوا البلاء ولم يفارقوا دينهم، كجعفر وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم حين اشتد عليهم الأمر صبروا وهاجروا. وقال الكَلْبِيّ: الصابرون على المرَازِي[٤]. **والقول هو الأول** الذي يليق بسياق الآية»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالصبر في الآية:

القول الأول: أنَّه الصبر على الطاعة، ونسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والبَيْضَاوِيّ[٧].

القول الثاني: أنَّه الصبر على المصائب، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ -كما سبق-.

---

[١] لم أقف عليه، وذكر الشَّوكَانِيّ في فتح القدير (٤/٦٤٥) قولاً قريباً من هذا، لكن نسبه إلى عَطَاء.

[٢] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] معاني القرآن وإعرابه (٤/٣٤٨).

[٤] لم أقف عليه، والمرَازِي: المصائب، والرُّزْء: المصيبةُ، والاسم الرَّزِيئة والمرْزئة، يقال: ما رَزأَ فلانٌ فلاناً شيئاً، أي: ما أصاب من ماله شيئاً، ولا انتقَصَ منه. وفلان رزأته رزيئة، أي: أصابته مصيبة.

ينظر: تهذيب اللغة (١٣/١٧٠)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٢/ ٥٨)، مادة (رزأ).

[٥] البسيط (١٩/٢٨٠).

[٦] ينظر: البسيط (١٩/٢٨٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٣/٥٧٤)، والوجيز (٢/٩٣٠).

[٧] ينظر: بحر العلوم (٣/ ١٧١)، وأنوار التنزيل (٥/ ٦١).

القول الثالث: أنَّه الصبر على الغربة والخروج من الوطن فِرَارًا بدينهم[١].

وتعقبه الآلُوْسِيّ بقوله: «وهو محمول على العموم شامل للصبر على كل بلاء غير مخصوص بالصبر على المهاجرة؛ لكنَّه إنَّما جيء به في الآية لذلك، وليشمل الصابرين على ألم المهاجرة شمولا أولياً»[٢].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في جميع أنواع الصبر، الصبر على طاعته الله تعالى، والصبر عن المعاصي، والصبر على المصائب، فصيغة العموم في قوله: ﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ يشمل كل من صبر على مشقة في القيام بواجبات الدين، وامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، والصبر على المصائب[٣].

قال السّعْدِيّ:« قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار اللّه المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعد اللّه الصابرين أجرهم بغير حساب»[٤].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٥].

---

[١] ينظر: تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤/٤٦٢).

[٢] روح المعاني (٢٣/٢٤٨).

[٣] ينظر: التحرير والتنوير (٢٤/٤١).

[٤] تيسير الكريم الرحمن ص٧٢٠.

[٥] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

١٧٣- عَوْد الضمير ﴿ هُمْ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ يعني: نفخة البعث، وهو قوله:﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ ﴾ يعني الخلق كلهم. وقال مُقَاتِل: فإذا هم قيام على أرجلهم ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلى البعث الذي كذبوا به في الدنيا[١]، وعلى هذا المراد بقوله: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ ﴾ الذين ينكرون البعث **والقول هو الأول**»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير ﴿ هُمْ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّهم جميع الخلق. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، وجمهور المفسرين على أنَّ القيام هنا لجميع الخلق، يقومون من قبورهم أحياء بعد نفخة البعث[٤].

القول الثاني: أنَّهم الذين ينكرون البعث، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الصواب، ويُؤَيِّده:

١. الحديث الصحيح في مسلم الذي جاء فيه:« ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ، أَوْ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا،

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٣٩/٣).

[٢] البسيط (٣٤١/١٩).

[٣] ينظر: البسيط (٣٤١/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٥٩٤/٣)، وفي الوجيز (٢/ ٩٣٨).

[٤] ينظر: جامع البيان (٣٣٤/٢١)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٨١/٤)، ومعالم التنزيل (١٣١/٧)، وزاد المسير (٧/ ١٩٧)، ومفاتيح الغيب (١٧/٢٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٨١)، والبحر المحيط (٤٢٣/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١١٦/٧)، واللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٥٤٩)، وفتح القدير (٦٧٦/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٢٩، وأضواء البيان (٦/ ٢٩٧)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ١٣٣).

كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ[1] فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ...»[2].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[3].

٢. النظائر القرآنية، فما تضمّنته هذه الآية الكريمة من أن جميع أهل القبور يقومون أحياء عند النفخة الثانية، جاء موضحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٥٣]، وهذه الصيحة هي النفخة الثانية، وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [ق: ٤٢]، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الصافات: ١٩]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[المطففين: ٦][4].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[5].

٤. أنَّ قول مُقَاتِل بأنَّ الآية مختصة بمنكري البعث، لا دليل عليه، ولم يقل به أحد من المفسرين.

---

[1] هذا شك من النُّعْمَان بْنِ سَالِمٍ أحد رواة الحديث، وهم: (قال الإمام مسلم: حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو...) الحديث.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه، رقم الحديث (٧٥٦٨)، (٨/ ٢٠١).

[3] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، قواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[4] ينظر: أضواء البيان (٣٦٧/٦).

[5] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٧٤- سبب نزول

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ ﴾ قال الكَلْبِيّ[١]، ومُقَاتِل[٢]: نزلت في أبي جَهْلٍ، وهو الذي بينه وبين النبي -ﷺ- عداوة، فأمر النبي -ﷺ- أن يقابل من يلقى منه المكروه بالعفو والصفح. وقال مُقَاتِل بن حَيَّان: هو أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ[٣]، **وهذا أولى**؛ لأنَّه لان للمسلمين بعد عداوته بالمصاهرة التي وقعت بينه وبين النبي -ﷺ-، ثم أسلم وصار ولياً في الإسلام حميماً بالقرابة، وأبو جَهْل -لعنه الله - لم يصر بهذه الصفة حتى قتل كافراً »[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في سبب نزول الآية:

القول الأول: أنَّها نزلت في أَبِي جَهْلِ بن هِشَامٍ، وهذا القول نسبه الواحدي للكَلْبِيّ، وقال به مُقَاتِل بن سُلَيْمَان -كما سبق-.

واعترض عليه بأنَّ أبا جَهْلٍ استمرت عداوته للنبي -ﷺ- حتى قتل كافراً[٥].

---

[١] لم أقف على من نسب هذا القول للكَلْبِيّ عدا الوَاحِدِيّ، وذكره الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٨٢/٥) دون نسبة.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٦٧/٣).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٧٤/٧)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١٥).

[٤] البسيط (٤٦٢/١٩).

[٥] ينظر: البسيط (٤٦٢/١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١٥).

القول الثاني: أنَّها نزلت في أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وهو قول مُقَاتِل بن حَيَّان -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والقُرْطُبِيّ[2].

واستُدل لهذا القول بأنَّ أَبِا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ كان معادياً للنبي -ﷺ-، ثم لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي -ﷺ-، ثم أسلم فصار وليًّا بالإسلام وحميماً بالقرابة [3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في الحث على مقابلة الإساءة بالإحسان؛ فيقابل الكلام السيئ بالطيب، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والقطع بالصلة، والفظاظة بالسماحة...فهذا المعاملة الطيبة من شأنها أن تقلب العداوة صداقة، والبغض مودة، فيصير عدوك الذي أساء إليك، كأنَّه قريب منك؛ لأن من شأن النفوس الكريمة أنَّها تحب من أحسن إليها، ومن عفا عنها، ومن قابل شرها بالخير.

فالآية عامة في الحث على مقابلة الإساءة بالإحسان، ويدخل فيها أَبُو سُفْيَانَ دخولاً أولياً. والقاعدة الترجيحية: أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[4]، وأنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[5].

---

[1] ينظر: البسيط (٤٦٢/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٦/٤)، ولم يذكر سبب النزول في الوجيز (٩٥٦/٢).

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١٥).

[3] ينظر: البسيط (٤٦٢/١٩)، ومعالم التنزيل (١٧٤/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١٥)، والبحر المحيط (٤٧٦/٧).

[4] ينظر: جامع البيان (٢٨٣/١٧)، ومفاتيح الغيب (١٤٧/٤)، (٢٥/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٨/٣١)، والبحر المحيط (٦٢٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٩/٣)، والكليات ص٩٥٥، ومحاسن التأويل (١٤٧/٤)، والقواعد الحسان لتفسير القرآن ص١١، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤، وأضواء البيان (٣٠٢/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨١/٢).

[5] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

قال الشَّوكَانيّ مرجحاً القول بالعموم: « قال مُقَاتِل: نزلت في أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، كان معادياً للنبي -ﷺ- فصار له ولياً بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه، ثم أسلم فصار ولياً في الإسلام حميماً بالمصاهرة، وقيل غير ذلك، والأولى حمل الآية على العموم»[1].

[1] فتح القدير (٤/٧٣٤).

١٧٥- المراد بالحسنة والسيئة

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال عِكْرِمَة عن ابن عَبَّاس: الحسنة لا إله إلا الله، والسيئة الشرك[١]. وعنه أيضاً قال: الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة[٢]، وهذا **هو القول** لدلالة ما بعده عليه، وهو قوله: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ معناها: ادفع السيئة بالتي هي أحسن كدفع الغضب بالصبر والإساءة بالعفو»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالحسنة والسيئة في الآية:

القول الأول: أنَّ الحسنة: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك، وهو رواية عن ابن عَبَّاس -كما سبق-.

القول الثاني: أنَّ المراد الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، وهو رواية أخرى عن ابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤].

القول الثالث: أنَّ الحسنة: حب آل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والسيئة: بغضهم، وهو قول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب [٥].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/ ٢٥٧)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٤٧٦/٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٧١/٢١)، والبَيْهَقِيّ في السنن الكبرى (٤٥/٧). وهي رواية عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة عن ابن عَبَّاس.

[٣] البسيط (٤٦١/١٩).

[٤] ينظر: البسيط (٤٦٢/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٣٥)، وفي الوجيز (٢/ ٩٥٦).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه المَاوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٨٢/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣٦١/١٥).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الحسنة تعم جميع أفراد جنسها، وكذا السيئة، وما ذكره المفسرون تمثيل لبعض أفراد العام.

قال أبو حيَّان بعد ذكره للأقوال في المسألة:« وهذه أمثلة للحسنة والسيئة، لا على طريق الحصر»[1].

وقال الشَّوكَانيّ:« أي لا تستوي الحسنة التي يرضى الله بها ويثيب عليها، ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها. ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات، وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي، فإنَّ اللفظ أوسع من ذلك»[2].

وفسَّر السّعْدِيّ أيضاً الآية بالعموم فقال: «لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله - تعالى -، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها»[3].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[4].

---

[1] البحر المحيط (٤٧٦/٧).

[2] فتح القدير (٧٣٤/٤).

[3] تيسير الكريم الرحمن ص٧٤٩.

[4] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

١٧٦- المراد بآيات الآفاق والأنفس

في قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ قال مُجَاهِد ﴿ فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾: ما يفتح من القرى، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فتح مكة[١]...وقال مُقَاتِل: سنريهم آيات عذابنا في البلاد إذا مروا بها، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني: القتل ببدر[٢]...وقال ابن زَيْد: ﴿ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ يعني: الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والبحار، ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وسبيل الغائط والبول، واختلاف مجاريها مع اتفاق موضع الأكل والشرب [٣]. وقال أبو إِسْحَاق[٤]: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ من أنَّهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عِظاماً ثم كُسِيَتْ لحماً، ثم نقلوا إلى التمييز والعقل[٥]. **والاختيار** قول مُجَاهِد، يقول: تفتح القرى ومكة على محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى يعرفوا أن الذي أتى به من القرآن هو من عند الله؛ لأنَّهم بذلك يعرفون أنَّه مؤيد من قبل الله بعدما كان واحداً لا ناصر له، وإنَّما كان الاختيار هذا القول؛ لأنَّهم لم يكونوا رأوا فتح القرى ومكة ثم رأوه فيما بعد، وأمَّا الشمس والقمر وهلاك الأمم، فهو مما قد رأوه فلا يقال فيه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ إلا أن يحمل على معنى سنعرفهم ونفتح أبصار قلوبهم حتى يستدلوا بها على توحيد صانعها، وليس يليق هذا المعنى بما قبله وهو قوله: ﴿ إِن كَانَ مِنْ عِندِ

---

[١] أخرجه بمعناه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٩/٣)، وذكره النَّحَّاس في معاني القرآن (٢٨٥/٦).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٧١/٣).

[٣] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٩٣/٢١)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/ ٢٦٨).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٩١/٤).

ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ [فصلت: ٥٢] - والمراد به القرآن - ولا بما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ »[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بآيات الآفاق والأنفس في الآية:

القول الأول: أنَّ الآيات في الآفاق: هي ما يفتح الله - ﷻ - من القرى والبلاد على النبي محمد -ﷺ- والمسلمين، والآيات في أنفسهم: فتح مكة، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-، والسُّدِّي[٢]. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، وابن عَطِيَّة، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، والقَاسِمِيّ[٤].

القول الثاني: الآيات في الآفاق: هي ما أخبر به من حوادث الأمم الماضية وآثار عذابهم، والآيات في أنفسهم: القتل ببدر، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

القول الثالث: الآيات في الآفاق: يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك، والآيات في أنفسهم: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-.

واعترض على القولين السابقين الوَاحِدِيّ، وكذا الطَّبَرِيّ، وابن جُزَي؛ لأنَّهم جعلوا الآية خاصة بأهل مكة، فقالوا: غير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم الله - ﷻ - ما قد رأوه من النجوم والشمس والقمر، وهلاك الأمم، بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه

---

[١] البسيط (١٩/٤٧٧).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٤٩٣)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/١٧٩).

[٣] ينظر: البسيط (١٩/٤٧٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٤٠)، وفي الوجيز (٢/ ٩٥٩).

[٤] ينظر: جامع البيان (٢١/٤٩٣)، وإعراب القرآن للنَّحَّاس (٤/٦٨)، والمحرر الوجيز (٥/٢٢)، ومدارك التنزيل (٣/٢٤٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٤٣)، ومحاسن التأويل (٨/٣٤٧).

لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه من قبل من ظهور النبيّ -ﷺ- على أطراف بلدهم وعلى بلدهم[1].

وتعقبه الآلُوْسِيّ بقوله:« وأجيب: بأنَّ القوم وإن كانوا قد رأوا تلك الآيات إلا أن العجائب التي أودعها الله -تعالى- فيها مما لا نهاية لها، فهو سبحانه يطلعهم عليها زماناً قريباً حالاً فحالاً فإن كل أحد يشاهد بنية الإنسان إلا أن العجائب المودعة في تركيبها لا تحصى، وأكثر الناس غافلون عنها، فمن حمل على التفكير فيها بالقوارع التنزيلية والتنبيهات الإلهية كلما ازداد تفكراً ازداد وقوفاً، فصح معنى الاستقبال»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّه لا تعارض بين الأقوال السابقة، وإن كان القول الأول أظهرها من حيث مناسبته لسباق الآيات ولحاقها.

ومع ذلك فالقول بالعموم تحتمله الآية، وله حظ من القوة والوجاهة والنظر؛ فالعجائب التي أودعها الله -تعالى- في آياته وخلقه لا نهاية لها، والقرآن الكريم معجزة متجددة على مر العصور، والمنكرون له ولرسالة محمد -ﷺ- في كل زمان ومكان، وهم على مذاهب شتى، وطرق مختلفة، والقرآن الكريم معجزة عظيمة، يظهر إعجازه لكل هؤلاء.

قال ابن كَثِيْر بعد ذكره للأقوال في الآية:«ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع -تبارك وتعالى -، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحِيَله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها»[3].

---

[1] جامع البيان (٤٩٣/٢١)، والبسيط (٤٧٨/١٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٤٣/٢).

[2] روح المعاني (٢٥/ ٧).

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٨٧/٧).

وقال الشَّنْقِيطِيّ:« والآفاق: جمع أفق وهو الناحية، والله - ﷻ - قد بين من غرائب صنعه، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنَّه هو الرب المعبود وحده كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك»[1].

[1] أضواء البيان (٣٧٦/٦).

١٧٧- المراد بالذكر

في قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «واختلفوا في معنى الذكر هاهنا، فقال أبو صَالِح[١]، ومُجَاهِد[٢]: يعني: ذكر العذاب، والمعنى: يكذبون بالقرآن ولا يعاقبون. قال أبو إِسْحَاق[٣]: المعنى: أفنضرب عنكم ذكر العذاب بأن أسرفتم، قال: والدليل على أن المعنى هذا قوله: ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الزخرف: ٨][٤]...وقال آخرون: معنى: الذكر هاهنا القرآن والتذكير به...قال الكَلبِيّ: يقول الله لأهل مكة: أفنترك عنكم الوحي صفحًا فلا نأمركم بشيء ولا ننهاكم ولا نرسل إليكم رسولاً أن كنتم قومًا مشركين[٥]، والمعنى على هذا: أفنمسك عن إنزال القرآن ونتركه من أجل أنكم لا تؤمنون به، وهذا معنى قول قَتَادَة: والله لو كان هذا القرآن رُفع حين ردَّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة[٦]...**والاختيار هذا القول**؛ لأنَّه أليق بما بعده من قوله: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾»[٧].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٧/٢١)، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤١/٥).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٥٧٩/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٧/٢١).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٩١/٤).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٢٨/٨)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٠٦/٧).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٨/٢١)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢٠٦/٧).

[٧] البسيط (٩/٢٠).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالذكر في الآية:

القول الأول: أنَّه العذاب، وهو قول ابن عَبَّاس[١]، ومُجَاهِد، وأبي صَالِح -كما سبق-، والسُّدِّي[٢]. واختاره الطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج[٣].

وعلل الطَّبَرِيّ اختياره بقوله:« لأنَّ الله - تبارك وتعالى - أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم»[٤].

القول الثاني: أنَّه القرآن والتذكير به والوعظ، وهو قول الكَلبِيّ، وقَتَادَة-كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، وابن تَيْمِيَّة، وابن جُزَي، وابن كَثِيْر، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٦].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّه لا تعارض بين القولين السابقين؛ فالقرآن الكريم يتضمن الوعظ والتذكير بالعذاب والتخويف من العقاب؛ فالآيات في بدايتها تحدثت عن القرآن الكريم، ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضي أن لا يترك عباده هملاً

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٨/٢١)، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦٢/١٦).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٦٧/٢١)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٢١٨/٧).

[٣] ينظر: جامع البيان (٥٦٨/٢١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٩١/٤).

[٤] جامع البيان (٥٦٨/٢١).

[٥] ينظر: البسيط (١١/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٦٤/٤)، وفي الوجيز (٩٧٠/٢).

[٦] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٤٩٥/١٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢١٨/٧)، وتفسير الجلالين ص ٦٤٧، وإرشاد العقل السليم (٤٠/٨)، وروح المعاني (٢٥/ ٦٥)، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٧٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٦٢، والتحرير والتنوير (٢١٤/٢٥).

لا يرسل إليهم رسولاً ولا ينزل عليهم كتاباً، كما في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦]، بل أنزل عليهم القرآن ليهتدي به من قدّر هدايته، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته، فليس الأمر كما يُظن أنَّهم يتركون بلا تذكير ولا عقاب بعد أن ظهرت لهم البراهين والحجج، وسياق الآيات لحاقاً يشهد لذلك، وهو قوله: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الزخرف:٦-٨].

وقد جمع النَّحَّاس بين القولين فقال:« وهذه الأقوال وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإنَّ معانيها متقاربة، فمن قال: الذكر العذاب قدَّره بمعنى ذكر العذاب، وذكر العذاب إذا أُنزل قرآن، ومن قال: معناه: أفنذرُ عنكم الذكر فنجعلكم سُدى، قدَّره: أفنترك أن ينزل عليكم الذكر الذي فيه الأمر والنهي فنجعلكم مهملين، قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسنٌ صحيح بيّن، أي: أفنهملكم فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نعاقبكم على كفركم بعد أن ظهرت لكم البراهين؛ لأن كنتم قوماً مسرفين»[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها[2].

[1] إعراب القرآن للنَّحَّاس (٤/٩٨).

[2] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/٤٥٧)، والتحرير والتنوير (١/٩٨)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ - ص٥٩- ٥٦٧، وقواعد التفسير لخالد السبت (٢/٨٠٧).

١٧٨- المراد بالجزء

في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ١٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ذكر المفسرون في هذا قولين: أحدهما: قال ابن عَبَّاس: يريد حيث جعلوا الملائكة بنات الله[١]، وعلى هذا معنى الآية حكموا بأنَّ بعض العباد وهم الملائكة له أولاد، فمعنى الجعل هنا الحكم بالشيء، وحُذِفَ من الكلام مفعولٌ هو مراد على تقدير: وجعلوا له من عباده جزءًا ولدًا أو بنات. القول الثاني: أنَّ معنى الجزء هاهنا العدل والشبيه؛ وذلك أنَّهم عبدوا الملائكة والجن، فجعلوهم لله عدلًا وشبيهًا، وهذا معنى قول مُقَاتِل[٢]، وقَتَادَة [٣]، وتقدير هذا القول كتقدير القول الأول؛ لأنَّ المعنى: وجعلوا له من عباده جزءًا عدلاً، فحذف أحد المفعولين، وذكر أبو إِسْحَاق[٤] في الجزء قولاً آخر فقال: أنشدني بعض أهل العلم بيتًا يدل على أنَّ معنى الجزء الإناث، ولا أدري البيت قديمٌ أم مصنوع وهو:

إنْ أَجْزأَتْ حُرَّةٌ يومًا فلَا عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أَحْيَانَا[٥]

أي: إن ولدت أنثى[٦]، قال الأَزْهَرِيّ: واستدل قائل هذا القول بقوله - ﷻ -: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩]، قال: وهذا القول ليس بشيء، والجزء بمعنى الإناث غير موجود في كلام العرب، والشعر القديم الصحيح لا يعبأ

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الوَاحِدِيّ في الوسيط (٤/٦٦).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٤٧٨).

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ١٩٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/ ٥٧٨).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] البيت من البحر البسيط، ولم أجده منسوباً، ولم أقف عليه في دواوين الشعر، وقد ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١١/١٠٠)، وابن منظور في لسان العرب (١/٤٥)، مادة (جزأ) نقلاً عن الزجاج.

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٦).

بالبيت الذي ذكره؛ لأنَّه مصنوع[١]، ومعنى الآية: أنَّهم جعلوا لله من عباده نصيبًا، على معنى أنَّهم جعلوه نصيب الله من الولد، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، أي: وصفوهم بالأنوثة، وكذبوا في المعنيين جميعًا: في قولهم إنَّهم بنات الله، وفي إنَّهم إناث. **والاختيار القول الأول**؛ لقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ ﴾ [الزخرف: ١٩]»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالجزء في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد بالجزء الولد، والمقصود به هنا خصوص البنات؛ لقولهم: إنَّ الملائكة بنات الله! تعالى الله عن ذلك، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-، ومُجَاهِد[٣]، والسُّدِّي[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٦]، وهو قول أكثر المفسرين[٧].

القول الثاني: أنَّ المراد به العَدْل والنظير، يعني: الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله، وهو قول قَتَادَة، ومُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] ينظر: تهذيب اللغة (١١/١٠٠)، مادة (جزأ).

[٢] البسيط (٢٠/١٨).

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٥٨٠)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٧٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٧٧).

[٥] ينظر: البسيط (٢٠/١٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٦٦)، والوجيز (٢/٩٧١).

[٦] ينظر: جامع البيان (٢١/ ٥٧٨)، والكشاف (٤/٢٤٥)، ومدارك التنزيل (٣/٢٦٧)، ولباب التأويل (٦/١٣١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٥٥)، وتفسير الجلالين ص٦٤٨، ومحاسن التأويل (٨/٣٨١)، وأضواء البيان (٧/٨٨)، والتحرير والتنوير (٢٥/٢٢٥).

[٧] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/ ٤٣)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٤/ ١٢٣).

وتعقبه الشَّنْقِيطِيّ بقوله:« قول قَتَادَة ومن وافقه: إنَّ المراد بالجزء العدل والنظير الذي هو الشريك غير صواب أيضاً؛ لأنَّ إطلاق الجزء على النظير ليس بمعروف في كلام العرب»[1].

القول الثالث: أنَّ المراد بالجزء الإناث[2].

وردَّه الزَّمَخْشَرِيّ بقوله:« ومن بدع التفاسير: تفسير الجزء بالإناث، وادعاء أنّ الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مُسْتَحْدَثٌ مُتَحَوَّلٌ»[3].

واستغربه السَّمِين الحَلَبِيّ بقوله:« وأغربُ ما قيل هنا: أنَّ الجُزْء الأنثى»[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الصحيح، وهو أنَّ المراد بالجزء الولد، والمقصود به خصوص البنات؛ لقولهم: إنَّ الملائكة بنات الله، ويُؤَيِّد ذلك:

١. السياق القرآني؛ فمعنى الجزء المذكور لله من عباده هو بعينه الذي أنكره الله إنكاراً شديداً، وقرع مرتكبه تقريعاً شديداً في قوله تعالى بعده مباشرة: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾[الزخرف:١٦ – ١٩]، ففي سياق الآيات عموماً في هذا الموضع كلها يتكلم الله على ما هو معروف من بغض العرب للإناث، وكيف أنَّهم نسبوا البنات -وهن أقل النوعين أهل في نظرهم- إلى الله – ﷻ -.

---

[1] أضواء البيان (٨٨/٧).

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٦).

[3] الكشاف (٢٤٥/٤).

[4] الدر المصون (٥٧٧/٩).

٢. أنَّ إطلاق الجزء على الولد معروف في العربية، فولد الرجل جزء منه؛ لأنَّ الفرع كأنَّه جزء من أصله والولد كأنَّه بضعة من الوالد، ومنه قول النبي -ﷺ-: « إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي»[١].

٣. أمَّا القول الثالث، وهو أنَّ المراد بالجزء الأنثى فهو ضعيف، وقد رده الزَّمَخْشَرِيّ -كما سبق-، وتبعه على ذلك جمع من المفسرين، وكون المراد بذلك البنات معلوم من أدلة أخرى، وليس من لفظ الجزء؛ ولذلك لم يرد عن السلف تفسير الجزء بالبنات.

٤. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله -ﷺ- ومنقبة فاطمة - رضي الله عنها -، رقم الحديث (٣٥١٠)، (١٣٦١/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي - ﷺ -، رقم الحديث (٦٤٦١)، (١٤١/٧).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٧٩- المراد بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال قَتَادَة: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها[١]، وقال أبو إِسْحَاق[٢]: إنَّ الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين[٣]، والمعنى: أنَّهم نسبوا إلى الله ما يكرهونه، ومن لا يكاد يقوم بحجته أو يستوفيها، وهذا في ظاهره استفهام وهو إنكار وردٌّ، وهو الذي ذكرنا من أنَّ المراد بالآية البنات، وهو قول جماعة أهل التفسير. وقد قال ابن زَيْد: هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب وينشئونها في الحلية ثم يعبدونها[٤]، **والقول هو الأول**، قال أبو إِسْحَاق: والأجود أن يكون يعني به المؤنث[٥]»[٦].

▪ الدراسة

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد البنات، وهو قول ابن عَبَّاس[٧]، ومُجَاهِد[٨]، والسُّدِّي[٩]، وقَتَادَة -كما سبق-.

---

[١] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ١٩٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٨٠).

[٢] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٨٠)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٢٢٠).

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٠٧).

[٦] البسيط (٢٠/٢٢).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٧٩)، وذكره عنه النَّحَّاس في معاني القرآن (٦/٣٤٣).

[٨] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٥/١٦٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٧٩).

[٩] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٨٠)، وذكره عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٨/١٠).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والبَغَوِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[2].

القول الثاني: أنَّ المراد الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله، فقد كانوا يتخذون كثيراً منها من الذهب والفضة، كما كانوا يزينونها بالحلي، وهو قول ابن زَيْد-كما سبق-.

واستبعده أبو حيَّان؛ لقوله تعالى بعده:﴿ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[الزخرف:١٨][3].

وتَعَقَّبه الآلُوْسِيّ بقوله:« وعندي أنَّ هذا القول بعيد في نفسه، وأنَّ الكلام أعني قوله سبحانه: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾[الزخرف:١٦] إلى هنا، واردٌ لمزيد الإنكار في أنَّهم قوم من عادتهم المناقضة ورمي القول من غير علم، وفي المجيء بأم المنقطعة وما في ضمنها من الإضراب دليل على أن معتمد الكلام إثبات جهلهم ومناقضتهم لا إثبات كفرهم، لكنَّه يفهم منه»[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الصحيح؛ ويُؤَيِّد ذلك:

١. السياق القرآني؛ فقد قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١٥-١٧]؛

---

[1] ينظر: البسيط (٢٣/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٦٧/٤)، وفي الوجيز (٢/ ٩٧٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٨٠/٢١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤٠٧/٤)، ومعالم التنزيل (٢٠٨/٧)، وأنوار التنزيل (١٤٢/٥)، ومدارك التنزيل (٢٦٨/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٦/٢)، والبحر المحيط (١٠/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٢٣/٧)، وروح المعاني (٧٠/٢٥)، ومحاسن التأويل (٣٨٢/٨)، وأضواء البيان (٩١/٧)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ٢٢٨).

[3] ينظر: البحر المحيط (١٠/٨).

[4] روح المعاني (٧١/٢٥).

فالآيات السابقة فيها إنكار شديد وتقريع عظيم لمشركي العرب؛ إذ كيف ينسبون البنات إلى الله -ﷻ-، وهن الأضعف والأنقص، مع ما هو معروف من بغضهم للإناث، ثم أتبع الله - سبحانه - ذلك بقوله: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٨-١٩]؛ فالآيات في سباقها ولحاقها تتحدث عن افتراءات المشركين ونسبتهم البنات لله - ﷻ -.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [١].

قال الطَّبَرِيّ:« وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك الجواري والنساء؛ لأنَّ ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فإتباع ذلك من الكلام ما كان نظيراً له أشبه وأولى من إتباعه ما لم يجر له ذكر» [٢].

٢. وصفه تعالى لمن يُنَشَّأُ في الحلية، بقوله: ﴿ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ يَبْعُد أن يراد بذلك الأصنام[٣].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [٤].

---

[١] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[٢] جامع البيان (٢١/ ٦٠٩).

[٣] ينظر: البحر المحيط (١٠/٨)، وروح المعاني (٧١/٢٥).

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٨٠- المراد بالرحمة

في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال مُقَاتِل: يعني الجَنَّة للمؤمنين خير مما يجمع الكفار من الأموال[١]، وهذا القول اختيار أبي إِسْحَاق[٢] فقال: أعلم الله أنَّ الآخرة أحظ من الدنيا[٣]، وقال ابن عَبَّاس: والنبوة من ربك خير مما يجمعون من الدنيا[٤]، والرحمة على هذا القول: النُّبوة، **وهو أولى** لقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ولم يختلفوا أنَّها بمعنى النُّبوة، كذلك التي في آخر الآية، والمعنى على هذا: أن النُّبوة لك يا مُحَمَّد من ربك خير من أموالهم التي يجمعونها»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالرحمة في الآية:

القول الأول: أنَّها الجنَّة، وهو قول قَتَادَة، والسُّدِّي[٦]، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، والخَازِن، وابن عَادِل[٧].

القول الثاني: أنَّها النُّبوة، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-.

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/١٩٠).

[٢] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤١٠).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/٤٧)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/٣١٣).

[٥] البسيط (٢٠/ ٣٦).

[٦] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٥٩٦)، وذكره عنهما ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/٤٧).

[٧] ينظر: جامع البيان (٢١/ ٥٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤/٤١٠)، والكشف والبيان (٨/٣٣٣)، ومعالم التنزيل (٧/٢١٢)، ولباب التأويل (٦/١٣٤)، واللباب في علوم الكتاب (١٧/٢٥٥).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وابن الجَوْزِيّ [2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ المراد برحمة الله أعم مما ذكر، فهي تشمل النُّبوة وما يتبعها من الاهتداء بهدي الأنبياء، وما يناله المهتدون يوم القيامة من الجزاء والنعيم في الآخرة، كما تشمل الأمن وسعة الرزق وغيرها.

وفسَّر ابن كَثِيْر رحمة الله هنا بالعموم فقال:«رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا»[3].

وقال الشَّوكَانِيّ:« يعني بالرحمة ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة، وقيل: هي النُّبوة؛ لأنَّها المراد بالرحمة المتقدمة في قوله: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ولا مانع من أن يراد كل ما يطلق عليه اسم الرحمة إمَّا شمولاً أو بدلاً»[4].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[5].

وأيضاً فإنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[6].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٠/ ٣٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٦٤/٤)، وفي الوجيز (٩٧٠/٢).

[2] ينظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب ص٣٤٥.

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٢٦/٧).

[4] فتح القدير (٧٨٨/٤).

[5] ينظر: جامع البيان (٢٨٣/١٧)، ومفاتيح الغيب (١٤٧/٤)، (٢٥/٥)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٨/٣١)، والبحر المحيط (٦٢٢/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٩/٣)، والكليات ص٩٥٥، ومحاسن التأويل (١٤٧/٤)، والقواعد الحسان لتفسير القرآن ص١١، وتيسير الكريم الرحمن ص٦٤، وأضواء البيان (٣٠٢/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨١/٢).

[6] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

١٨١- المراد بالمشرقين

في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ [الزخرف: ٣٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال مُقَاتِل: يتمنى الكافر أن بينهما بُعْد المشرقين، وأطول يوم في السنة إلى مشرق أقصر يوم في السنة [١]. ويقال: إنَّه أراد المشرق والمغرب فقال: المشرقين، **وهذا أشبه الوجهين بالصواب**؛ لأنَّ العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما كما قال الفَرَزْدَق: لنا قَمَرَاها والنّجومُ الطَّوَالِعُ [٢].

يريد: الشمس والقمر، ويقولون للكوفة والبصرة: البَصْرَتَان...ومثله كثير، واختاره أبو إِسْحَاق[٣] فقال: غَلَّبَ لفظ المشرق، كما قالوا سُنَّة العُمَرَيْن يراد: سنة أبي بَكْرٍ وَعُمَر - رحمة الله عليهما - [٤]» [٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمشرقين في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد مشرق الصيف ومشرق الشتاء، أي: مشرقها في أطول يوم في السنة، ومشرقها في أقصر يوم فيها، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (١٩٠/٣).

[٢] البيت من البحر الطويل، هذه القصيدة للفرزدق يهجو بها جريراً ومعناه: يقول الفرزدق إنَّ آفاق السماء لنا ولنا القمر والشمس والنجوم، أي: كل مشهور وشريف فهو منا ولنا لا لكم.
ينظر: ديوان الفَرَزْدَق ص٣٦١. وصدر البيت: أخَذْنا بِآفَاقِ السّمَاءِ عَلَيْكُمُ.

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤١٢/٤).

[٥] البسيط (٤٦/٢٠).

واستبعده الرَّازِيّ بقوله:« وهذا بعيد عندي؛ لأنَّ المقصود من قوله: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ المبالغة في حصول البعد، وهذه المبالغة إنَّما تحصل عن ذكر بُعْدٍ لا يمكن وجود بُعْدٍ آخَرَ أَزْيَدَ منه، والبعدُ بين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ليس كذلك، فَيَبْعُدُ حملُ اللفظِ عليه»[1].

وضعفه النَّيْسَابُوْرِيّ؛ لأنَّه لا يفيد المبالغة[2].

القول الثاني: أنَّ المراد المشرق والمغرب، فغَلَّبَ المشرق على المغرب.

واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والفَرَّاء، والزَّجَّاج، والبَغَوِيّ، والزَّمخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، وابن عَاشُور[4]، وهو قول أكثر المفسرين[5].

واستُدل لهذا القول بأنَّ العربَ قدْ تجمعُ الاسمينِ على تسميةِ أشْهَرِها، مثل إطلاق القمرين على الشمس والقمر، والأسودين على التمر والماء، والعُمَرَيْن على أبي بَكْرٍ وَعُمَر[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني أولى بالصواب، فالمراد ببُعْد المشرقين المسافة التي بين المشرق والمغرب، ويُؤَيِّد ذلك:

---

[1] مفاتيح الغيب (١٨٣/٢٧).

[2] ينظر: غرائب القرآن (٩٢/٦).

[3] ينظر: البسيط (٢٠/ ٤٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٧٣/٤)، وفي الوجيز (٩٧٤/٢).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣٣/٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٤١٢/٤)، ومعالم التنزيل (٢١٤/٧)، والكشاف (٢٥٦/٤)، وأنوار التنزيل (١٤٦/٥)، ومدارك التنزيل (٢٧٣/٣)، ولباب التأويل (١٣٥/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢١٨/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٢٦٣/١٧)، وإرشاد العقل السليم (٤٧/٨)، وفتح القدير (٧٩٢/٤)، والتحرير والتنوير (٢٥٤/٢٥).

[5] حكاه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٨٣)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٤/ ١٢٨).

[6] ينظر: المصادر السابقة.

١. أنَّ هذا القول تؤيده اللغة، فمن عادة العرب تسمية الشيئين المتقابلين باسم أحدهما[١] من باب تغليب الأشهر، وهو أسلوب شائع فيها.

٢. أنَّ هذا القول يفيد المبالغة في حصول البعد، فالكافر يتمنى يوم البعث أن يكون بينه وبين قرينه مسافة في غاية البعد، ولاشك أن المسافة بين المشرق والمغرب أبعد من المسافة بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف[٢].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٨٣).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٨٣)، والجواهر الحسان (٤/ ١٢٨).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٨٢- عَوْد الضمير في قوله: ﴿مِنْهُم﴾ و ﴿عَلَيْهِم﴾

من قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ قالوا: وقد أُرِيَ ذلك يوم بدر، والمعنى: أنَّ الله -تعالى- يقول لنبيه مطيبًا قلبه: إن ذهبنا بك انتقمنا لك منهم بعدك، أو نرينك في حياتك ما وعدناهم من العذاب على تكذيبك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ متى شئنا عذبناهم، ثم عذبوا يوم بدر، وهذا قول ابن عَبَّاس[١]، ومُقَاتِل[٢]. وذهب قوم من المفسرين إلى أن هذا في المسلمين، وهو مذهب قَتَادَة، والحَسَن[٣]، قال قَتَادَة: أكرم الله نبيه وذهب به ولم ير في أمته ما كان من النقمة بعده، **والقول هو الأول؛** لأنَّه في ذكر المشركين»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في عَوْد الضمير في قوله: ﴿مِنْهُم﴾ و ﴿عَلَيْهِم﴾ من الآية:

القول الأول: أنَّه يعود على الكفار، وهو قول ابن عَبَّاس، ، ومُقَاتِل -كما سبق-، وقال به السُّدِّي[٥]. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والطَّبَرِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ،

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣١٧/٧)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٩٢/١٦).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ١٩١).

[٣] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٠٨/٢١)، وذكره عنهما السَّمْعَانِيّ في تفسيره (١٠٤/٥) وسيأتي قول قَتَادَة.

[٤] البسيط (٤٩/٢٠).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٠٩/٢١)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٧/ ٢٢٩).

[٦] ينظر: البسيط (٢٠/ ٤٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٧٤/٤)، والوجيز (٥٠٠/٢).

والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[1]، وهو قول أكثر المفسرين[2].

القول الثاني: أنَّه يعود على المسلمين، وهو قول أَنَس بن مَالِك[3]، والحَسَن، وقَتَادَة -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أولى بالصواب؛ فالآية فيها تهديد ووعيد للكفار، والمعنى: إن عجلنا وفاتك يا مُحَمَّد قبل الانتقام منهم، فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك، وإن أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإنا عليهم مقتدرون، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر، وفتح مكة وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا، أو يريد به عذاب الآخرة[4]، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. السياق القرآني؛ فالآيات تتحدث عن المشركين، فقد قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزخرف: ٣٩-٤٠]، وقال سبحانه

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢١/ ٦٠٩)، والكشاف (٢٥٧/٤)، ومفاتيح الغيب (١٨٥/٢٧)، ومدارك التنزيل (٢٧٤/٣)، وغرائب القرآن (٩٣/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٩/٢)، وإرشاد العقل السليم (٤٨/٨)، وفتح القدير (٧٩٣/٤)، وروح المعاني (٨٤/٢٥)، ومحاسن التأويل (٨/ ٣٩٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٦٦، وأضواء البيان (١٥٩/٢)، والتحرير والتنوير(٢٥/ ٢٥٩).

[2] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٣٦/٨)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٢١٤/٧)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥٠/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٩٢/١٦)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (١٨/٨)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٧٩٣/٤).

[3] أخرجه البَيْهَقِيّ في شعب الإيمان (٢/ ١٨٢)، وذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٧/ ٣٧٩) وعزاه إلى ابن مَرْدَوَيْه.

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٩/٢)، ومعترك الأقران (٩٩/٣).

بعـــــدها: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له [١].

قال الطَّبَرِيّ معللاً اختياره لهذا القول:« وذلك أنَّ ذلك في سياق خبر الله عن المشركين؛ فلأن يكون ذلك تهديداً لهم أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يجر له ذكر» [٢].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه [٣].

[١] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[٢] جامع البيان (٢١/ ٦٠٩).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٨٣- المراد بالمثل المضروب

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد لما ذكر عِيْسَى، وقدرة الله -تعالى- فيه، وخلقه إياه من غير ذَكَر، وما كان يفعل من إحياء الموتى وغير ذلك، إذا ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ يريد: يَضِجُّونَ[١]...وقال مُجَاهِد في هذه الآية: قالوا: إنَّما يريد محمدٌ أن نعبده كما عبدَ قومُ عِيْسَى عِيْسَى[٢]. وقال قَتَادَة: لما ذكر عِيْسَى بن مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: ما يريد مُحَمَّد إلا أن يُصنع به كما صنعت النَّصَارَى بابن مَرْيَمَ[٣]. هذا قول هؤلاء، وأريد بهذا المثل قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وهي مذكورة في آل عمران بعد ما ذكرت أحوال عِيْسَى، وما أظهر الله على يده من المعجزات...وذكر أكثر المفسرين أنَّ هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزِّبَعْرَى[٤] مع النبي -ﷺ- لما نزل قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]،

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/٥٤)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٨/٢٥).

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٥٨٣)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٦٢٤).

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣/ ١٩٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١/٦٢٤).

[٤] عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن قَيْس السَّهْمِيّ، أحد شعراء قريش، كان شديدًا على المسلمين في الجاهلية، يهجوهم ويحرِّض عليهم كفار قريش في شعره، فلما فتحت مكة هرب إلى نجران، فقال فيه حسان بيتًا فلما بلغه عاد إلى مكة وأسلم، واعتذر ومدح النبي -ﷺ-، وحسن إسلامه، وشهد ما بعد الفتح.
ينظر: الاستيعاب (٣/٩٠١)، والإصابة (٤/٨٧).

وقد ذكرنا تلك القصة[1]، وهذا قول ابن عَبَّاس في رواية الكَلبِيّ[2] ومُقَاتِل[3]، وعلى هذا القول معنى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ لما وصف ابن مريم شبهًا في العذاب في الآلهة، أي: فيما قالوه وعلى زعمهم؛ لأنَّ الله لم يذكر في تلك الآية عِيْسَى، ولم يرده بقوله: ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، إنَّما أراد أوثانهم، ولكنَّهم ألزموه جدلاً وعتبًا، ومعنى: ﴿يَصِدُّونَ ﴾ على هذا القول صحيح الجدال والمخاصمة أو صحيح السرور، حيث ظنوا أنَّهم خصموه بتسويتهم بينه وبين آلهتهم، فقد قال بعض المفسرين: يَضِجُّون، ولا يتوجه الاعتراض على هذا القول، ويدل على صحة هذا القول الثاني في الآية قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وذلك أنَّهم قالوا: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عِيْسَى، فإن كان في النار بأنَّه يعبد من دون الله، فكذلك آلهتنا...**والقول الثاني أظهر** وسياق الآيات عليه أَدَلّ»[4].

---

[1] أخرج الوَاحِدِيّ في أسباب نزول القرآن ص٤٩٩ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: آيَةٌ لَا يَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْهَا، لَا أَدْرِي أَعَرَفُوهَا فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَوْ جَهِلُوهَا فَلَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، شَقَّ عَلَى قريش، فقالوا: أيشتم آلِهَتَنَا؟ فَجَاءَ ابْنُ الزِّبَعْرَى فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا يَشْتُمُ آلِهَتَنَا، قَالَ: فَمَا قَالَ؟ قَالُوا: قَالَ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ قَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَلَمَّا دُعِيَ النَّبِيُّ -ﷺ- قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَيْءٌ لِآلِهَتِنَا خَاصَّةً أَوْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ لِكُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: خُصِمْتَ وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ – يَعْنِي الْكَعْبَةَ– أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ صَالِحُونَ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ وَأَنَّ عُزَيْرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَهَذِهِ النَّصَارَى يَعْبُدُونَ عِيسَى -عليه السلام-، وَهَذِهِ الْيَهُودُ يَعْبُدُونَ عُزَيْرًا، قَالَ: فَصَاحَ أَهْلُ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ الْمَلَائِكَةُ وَعِيسَى وَعُزَيْرٌ - عليهم السلام- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠١].

[2] أخرجه الطَّحَاوِيّ في شرح مشكل الآثار (١٨/٣)، وضياء الدين في الأحاديث المختارة (٣٤٥/١١) من رواية عكرمة.

[3] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ١٩٤).

[4] البسيط (٦٤/٢٠).

الدراسة

أقوال المفسرين في المراد بالمثل المضروب في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد بهذا المثل ما جاء في قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ وذلك أنَّ كفار قريش لما سمعوا النبي -ﷺ- يذكر عِيْسَى وقدرة الله - تعالى - في خلقه إياه من غير أب، قالوا: ما يريد محمد إلا أن نعبده كما عبدت النَّصَارَى عِيْسَى، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، ومُجَاهِد، وقَتَادَة -كما سبق-. واختاره الطَّبَرِيّ[1].

القول الثاني: أنَّ هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزِّبَعْرَى مع النبي -ﷺ- لما نزل قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[الأنبياء: ٩٨]، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ[3]، وهو قول أكثر المفسرين[4].

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني هو الأظهر والأولى، وهو أنَّ الآية نزلت في مجادلة ابن الزِّبَعْرَى مع النبي -ﷺ-، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ في سياق الآيات قرينة ترجحه على القول الآخر، وهي بناء فعل: ﴿ ضُرِبَ ﴾ للمجهول؛ لأنَّ الذي جَعَل عِيْسَى مثلاً لمجادلته هو ابن الزِّبَعْرَى، وليس من عادة القرآن تسمية أمثاله، ولو كان المثل مضروباً في القرآن، لقال: ولما ضربنا ابن مريم مثلاً، كما قال

---

[1] ينظر: جامع البيان (٦٢٤/٢١).

[2] ينظر: البسيط (٦٨/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٧٨/٤)، والوجيز (٩٧٦/٢).

[3] ينظر: مدارك التنزيل (٢٧٧/٣)، ولباب التأويل (١٣٨/٦)، وفتح القدير (٧٩٨/٤)، وروح المعاني (٩٢/٢٥).

[4] حكاه السَّمْعَانِيّ في تفسيره (١١٠/٥)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/ ٢١٨)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٢٣/٧)، والشَّنْقِيطِيّ في أضواء البيان (١٢٣/٧)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (٢٧٤/٢٥).

بعده: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩] ، كذلك تعدية فعل ﴿يَصِدُّونَ﴾ بحرف (من) الابتدائية دون حرف (عن)[١]، وأيضاً قوله لحاقاً:﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾[الزخرف: ٥٨]، أنسب وأدلّ على هذا القول.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].

٢. أنه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

[١] ينظر: التحرير والتنوير (٢٧٤/٢٥).

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٨٤- المراد بالاسم الموصول: ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « المفسرون على أنَّها نزلت في عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام...**والصحيح** أنَّ الآية نزلت في كافر عاق لوالديه، قال الزَّجَّاج: قول من قال الآية نزلت في عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ قبل إسلامه، يبطله قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾[الأحقاف: ١٨] الآية، أعلم الله أنَّ هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعَبْد الرَّحْمَنِ مؤمن من أفاضل المسلمين[١]، لا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالاسم الموصول: ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد به شخص بعينه، وهم على قولين:

١- أنَّه عَبْد الله بن أَبِي بَكْرٍ[٣] قبل إسلامه، وهو قول مُجَاهِد[٤].

---

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٤٤٣).

[٢] الوسيط (٤/١٠٨).

[٣] عَبْد اللَّهِ بن عبد الله بن عثمان بن عامر التَّيْمِيّ القُرَشِيّ، صحابي جليل، من العقلاء الشجعان، شقيق أسماء - رضي الله عنهما - أسلم قديماً، وكان يحمل الطعام وأخبار قريش إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر في الغار، شهد فتح مكة وحنيناً والطائف، أصيب يوم الطائف بسهم، فدمل جرحه حَتَّى انتقض به فمات منه في خلافة أبيه سنة ١١هـ. ينظر: الاستيعاب (٣/٨٧٤)، والإصابة (٤/٢٧).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٢٨٠)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/٣٨٠).

٢- أنَّه عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ قبل إسلامه، وهو قول مَرْوَان بن الحَكَمِ[١]، والسُّدِّي[٢]، ومُقَاتِل[٣].

واعتُرض على هذا القول بما ذكره الزَّجَّاج سابقاً.

القول الثاني: أنَّ الآية عامة في كل كافر عاق لوالديه مكذب بالبعث، وهو قول الحَسَن، وقَتَادَة[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، وابن عَادِل، والشَّوكَانيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٦].

واستدل لهذا القول بسباق الآيات ولحاقها[٧].

---

[١] أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأحقاف، رقم الحديث (٤٥٥٠)، (٤/ ١٨٢٧) عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، قَالَ: كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ فَخَطَبَ فَجَعَل يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا، فَقَالَ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ ﴾ فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي.

ومَرْوَان هو: مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ بنِ أَبِي العَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ الأُمَوِيُّ، خليفة أموي، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان جعله في خاصته واتخذه كاتباً له، بويع بالخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد، توفي سنة ٦٥هـ. ينظر: الاستيعاب (١/ ١٣٨٧)، والإصابة (٦/ ٢٥٧).

[٢] ذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/ ٢٨٠)، وعزاه القَاسِمِيّ في محاسن التأويل (٨/٤٤٧) لابن أبي حَاتم.

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٢٢٣).

[٤] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ١١٨)، وذكره عنهما البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/ ٢٥٩).

[٥] ينظر: الوسيط (٤/ ١١٧)، والبسيط (٢٠/ ١٨٦)، واقتصر عليه في الوجيز (٢/ ٩٩٦). وعبارة الوَاحِدِيّ في الوسيط أقوى حيث اقتصر في البسيط على تضعيف القول الآخر؛ لذا ذكرت نص ترجيحه في الوسيط.

[٦] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ١١٨)، والمحرر الوجيز (٥/ ٨٧)، ومفاتيح الغيب (٢١/٢٨)، وأنوار التنزيل (١٨١/٥)، ولباب التأويل (٦/ ١٦١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٧/٢)، والبحر المحيط (٦١/٦)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٨٣/٧)، واللباب في علوم الكتاب (٣٩٨/١٧)، وفتح القدير (٢٩٢٩/٥)، وروح المعاني (٢٠/٢٦)، ومحاسن التأويل (٤٤٧/٨)، وأضواء البيان (٢٢٤/٧)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٣١).

[٧] ينظر: المصادر السابقة.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ سياق الآيات سباقها ولحاقها يدل على العموم، فالله -تعالى- وصف الولد البار بأبويه في الآية المتقدمة بقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾[الأحقاف: ١٥]، ثم عَقَّبَ بوصف الولد العاق لأبويه في هذه الآية، فقال: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ والذي بمعنى الذين، بدليل قوله تعالى بعده: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ بصيغة الجمع؛ فهو صريح بأنَّ المراد بالذي العموم لا الإفراد، ومعلومٌ أنَّ الموصولات من صيغ العموم، فالمراد كل من اتصف بالصفات المذكورة، ولا حاجة إلى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين[١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

٢. أنَّ الله -ﷻ- صرح بأنَّ الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[السجدة: ١٣].

ومعلوم أنَّ عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ -رضي الله عنهما- أسلم وحسن إسلامه، وهو من خيار المسلمين وأفاضل الصحابة، فلا يكون ممّن حقَّت عليهم كلمة العذاب.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٣].

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٢١/٢٨)، وأضواء البيان (٧/ ٢٢٥).

[٢] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

[٣] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

قال ابن عَطِيَّة:« والأصوب أنْ تكون الآية عامة في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عَبْد الرَّحْمَن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ وكان عَبْد الرَّحْمَن -رَحِمَهُ اللَّهُ- من أفضل الصحابة، ومن الأبطال»[1].

٣. ما جاء في صحيح البخاري أنَّ عائشة - رضي الله عنها - أنكرت على مَرْوَان بن الحَكَمِ قوله بأنَّ المراد بالآية أخوها عَبْد الرَّحْمَن.

قال ابن حَجَر:« نفي عَائِشَةَ أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسناداً، وأولى بالقبول»[2].

٤. أنَّ المعهود من استعمال القرآن الكريم أنَّ من أسلم وحسن إسلامه، لا يُذم ولا يُعاب بما صدر منه قبل إسلامه، فالإسلام يجب ما قبله.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن، ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك[3].

والقول في عَبْد الله بن أَبِي بَكْرٍ كالقول في أخيه عَبْد الرَّحْمَنِ فإنَّه أيضاً أسلم وحسن إسلامه[4].

٥. أنَّه قول أكثر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[5].

---

[1] المحرر الوجيز (٥/ ٨٧).

[2] فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧٧).

[3] ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٩٦)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٠/٢)، والتبيان في أقسام القرآن ص١٠٣، ومحاسن التأويل (٣٩٦/٨)، وأضواء البيان (٥/ ٥١٦)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٥٣/١).

[4] ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧٧).

[5] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٨٥- المراد بقوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾

في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[الأحقاف: ٣٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم كما قال: {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ}[إبراهيم:٥٢] الآية، والبلاغ بمعنى التَّبْلِيغ، وهذا مذهب المفسرين والقراء، من أن قوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ ابتداء كلام آخر، وقال مُقَاتِل في قوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ يقول: كأنَّهم تبلَّغوا فيها، والبلاغ على هذا القول بمعنى التَّبْلِيغ[١]، والمعنى: أن طول لبثهم في الدنيا كأنه تبلَّغ. **والقول هو الأول**»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ هذا القرآن بلاغٌ، فالقرآن وما فيه من البيِّنات والهدى بلاغ من الله إليكم. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والثَّعْلَبِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والرَّازِيّ، والخَازِن، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور[٤].

واستُدل لهذا القول بآية إبراهيم، يقول الشَّنْقِيطِيّ:« والتحقيق -إن شاء الله- أن أصوب القولين في قوله: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أنَّه خبر مبتدأ محذوف تقديره، هذا بلاغ، أي هذا

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٧٨/٣).

[٢] البسيط (٢٠٦/٢٠).

[٣] ينظر: البسيط (٢٠٧/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١١٧)، والوجيز (٩٩٩/٢).

[٤] ينظر: الكشف والبيان (٩/ ٢٧)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٥/ ١٦٥)، ومعالم التنزيل (٧/ ٢٧٣)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ص ٣٥٤، ومفاتيح الغيب (٣١/٢٨)، ولباب التأويل (٦/ ١٧٢)، وأضواء البيان (٢٤٢/٧)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٥٨).

القرآن بلاغ من الله إلى خلقه، ويدل لهذا قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله في الأنبياء: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، وخير ما يفسر به القرآن القرآن»[١].

القول الثاني: أنَّ ذلك اللُّبْث بَلَاغٌ، بمعنى: ذلك بَلَاغٌ لهم في الدنيا إلى أجلهم، ثم حذف (ذلك لبْث)، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

واستظهره أبو حيَّان، فقال: «والظاهر رجوعه إلى المدة التي لبثوا فيها، كأنَّه قيل: تلك الساعة بلاغهم، كما قال تعالى: ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ [آل عمران: ١٩٧]»[٢].

واعترض عليه الشَّنْقِيطِيّ بقوله:« أمَّا القول بأنَّ المعنى، وذلك اللُّبْث بلاغ، فهو خلاف الظاهر كما ترى»[٣].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الأظهر والأنسب، وهو أنَّ المراد بالبلاغ القرآن الكريم، ويُؤَيِّده:

١. النظير القرآني؛ فقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٦]، بيَّن أنَّ هذا القرآن بلاغ لجميع الناس؛ ليستيقظوا من غفلتهم وليتعظوا به.

وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن، فهو أشرف مراتب التفسير وأصحها. والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[٤].

---

[١] أضواء البيان (٢٤٢/٧).

[٢] البحر المحيط (٨/ ٦٨).

[٣] أضواء البيان (٢٤٣/٧).

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

٢. من سياق الآيات يظهر أنَّ البلاغ هو القرآن الكريم؛ لأنَّه هو الذكرى والموعظة.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[١].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٨٦- المراد بالذين كفروا

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[محمد: ٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ قال الكَلْبِيّ: يعني: كفار قريش[١]، وقال قَتَادَة: هي للكفار خاصة[٢]، **وهذا أشبه**؛ لأنَّ قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ [محمد: ٧]، يَعُمُّ المؤمنين كلهم، كذلك ما بعده من حكم الكفار»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالذين كفروا في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد بهم كفار قريش، وهذا القول نسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ -كما سبق-.

القــول الثــاني: أنَّ المراد بهم عامة الكفار، وهو قول قَتَادَة -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي[٥].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في الكفار، ولا تختص بفئة معينة، ويُؤَيِّده سياق الآيات، فقوله تعالى سباقاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول للكَلْبِيّ سوى الوَاحِدِيّ.

[٢] الذي أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢/٢٢٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٦٢) عن قَتَادَة أنَّه قال: هي عامة للكفار. ولعل قوله: (هي للكفار خاصة) تصحيف.

[٣] البسيط (٢٠/٢٢٦).

[٤] ينظر: البسيط (٢٠/٢٢٦) ، ولم يذكر المسألة في الوسيط (٤/ ١٢١)، والوجيز (٢/ ١٠٠١).

[٥] ينظر: تفسير الجلالين ص٦٧٣.

﴿ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، خطاب عام لجميع المؤمنين، كذلك ما بعده من حكم الكفار عام وليس مخصوصاً[١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

[١] ينظر: البسيط (٢٢٦/٢٠).

[٢] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

١٨٧- عَوْد ضمير الغائب في قوله: ﴿أَمْثَالُهَا﴾

من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال مُجَاهِد: أمثال ما دمَّر به القرون الأولى، وعيد من الله لهم[١]، وقال مُقَاتِل: وللكافرين من هذه الأمة أمثالها من العذاب[٢]...قال أبو إِسْحَاق[٣] أي: أمثال تلك العاقبة من الهلاك، فأهلك الله - ﷻ - بالسيف من أهلكه من كفار هذه الأمة[٤]، هذا **هو الصحيح** في تفسير هذه الآية، وهو أن هذا الوعيد قد لَحِقَهُمْ. وقال مُقَاتِلُ بنُ حَيَّانَ في قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ يعني: عذاباً ينزل من السماء يصيب قرناً ولم يكن بعد[٥]، وإنَّما حمله على هذا القول أن عذاب الذين كانوا من قبلهم نزل من السماء كالصيحة والرجفة والغرق، ولم يكن بيد المؤمنين، ولما قال الله -تعالى-: ﴿أَمْثَالُهَا﴾ حملها على ما ينزل من السماء كشأن ما قبلها من عذاب الأمم، **والصحيح هو الأول**؛ لأنَّ الله -تعالى- أراد أمثالها في الإهلاك والتَّدمير»[٦].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾:

---

[١] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٥٩٩)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/١٦٣).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٢٣٥).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٨).

[٥] لم أجد من نسب هذا القول لـمُقَاتِلِ بنِ حَيَّانَ سوى الوَاحِدِيّ، وذكره النَّحَّاس في إعراب القرآن (٤/١٨١) عن ابن عَبَّاس من رواية الضَّحَّاك.

[٦] البسيط (٢٠/٢٣٠).

القول الأول: أنَّ المراد إهلاكهم بالسيف، وقد لَحِقَهُمْ هذا الوعيد.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن عَادِل، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، والشَّوكَانيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[2].

القول الثاني: أنَّ المراد عذاباً ينزل عليهم من السماء يصيب قرناً، ولم يكن بعد. ونسب الوَاحِدِيّ هذا القول لمقَاتِل بن حَيَّانَ -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الأصح والأظهر، ويُقَوِّي هذا القول:

١. رجوع الضمير إلى مذكور وملفوظ بخلاف القول الثاني فهو مفهوم من التدمير. والقاعدة الترجيحية: أنَّ إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مفهوم[3].

كما أنَّ المراد بالكافرين في الآية كفار قريش، المكذبين بالنبي -ﷺ- السائرين على درب سابقيهم في الكفر والضلال والطغيان، فلهم أمثال تلك العاقبة السيئة، وقد حلَّ بهم العذاب عدة مرات.

قال ابن عَاشُور:« إنَّ الله - ﷻ - استأصل الكافرين مرات حتى استقر الإسلام، فاستأصل صناديدهم يوم بدر بالسيف، ويوم حنين بالسيف أيضاً، وسلط عليهم الريح يوم الخندق فهزمهم، وسلط عليهم الرعب والمذلة يوم فتح مكة، وكل ذلك مماثل لما سلطه على الأمم في الغاية منه، وهو نصر الرسول -ﷺ- ودينه، وقد جعل الله ما نصر به

---

[1] ينظر: البسيط (٢٣٠/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (١٢٢/٤)، والوجيز (١٠٠١/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (١٦٣/٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٨/٥)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٧١/٥١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٨١/٢)، والبحر المحيط (٨/ ٧٧)، واللباب في علوم الكتاب (٤٣٧/١٧)، وتفسير الجلالين ص٦٧٣، وفتح القدير (٤٧/٥)، ومحاسن التأويل (٤٦٩/٨)، والتحرير والتنوير (٧٤/٢٦).

[3] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٣١/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٨١/٢)، والبحر المحيط (٧٧/٨)، واللباب في علوم الكتاب (٤٣٧/١٧).

رسوله -ﷺ- أعلى قيمة بكونه بيده وأيدي المؤمنين مباشرة بسيوفهم وذلك أنكى للعدو»[1].

٢. أنَّ أكثر المفسرين اقتصر على هذا القول ولم يذكر القول الآخر، مما يشعر بضعفه.

[1] التحرير والتنوير (٢٦/٧٤).

١٨٨- المراد بقوله: ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد أنَّ المؤمنين يسألون ربهم أن ينزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله يحرض فيها المؤمنين[١]، وقال في رواية الكَلْبِيّ: كان المؤمنون إذا أبطأ عليهم الوحي اشتاقوا إلى نزوله فقالوا: هلا أنزلت سورة على محمد -ﷺ-[٢]، **والقول هو الأول** أنَّهم أحبوا أن ينزل سورة فيها ذكر القتال، ألا ترى أنَّ الله -تعالى- قال: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾:

القول الأول: أنَّ المراد سورة مشتملة على الأمر بالجهاد، وهذا القول نسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، وأكثر المفسرين على أنَّ المؤمنين كانوا حريصين على الجهاد يتمنونه، ويقولون: لولا نُزِّلَتْ سورة تأمرنا بالجهاد[٥].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الوَاحِدِيّ في الوسيط (١٢٦/٤).

[٢] لم أجد من نسبه لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ، وذكره السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٢٨٧/٣) دون نسبة.

[٣] البسيط (٢٤٧/٢٠).

[٤] ينظر: البسيط (٢٤٧/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (١٢٦/٤)، ولم يذكره في الوجيز (١٠٠٣/٢).

[٥] ينظر: غريب القرآن ص ٤١١، وجامع البيان (١٧٤/٢٢)، والكشف والبيان (٣٥/٩)، ومعالم التنزيل (٢٨٦/٧)، والمحرر الوجيز (١٠٣/٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٣/١٦)، وأنوار التنزيل (١٩٣/٥)، ومدارك التنزيل (٣٢٧/٣)، وغرائب القرآن (١٣٥/٦)، ولباب التأويل (١٨٠/٦)، والبحر المحيط (٨٠/٨)، وتفسير القرآن لابن كَثِيْر (٣١٧/٧)، وفتح القدير (٥٤/٥)، وإرشاد العقل السليم (٩٧/٨)، وروح المعاني (٢٦/ ٦٦)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٨٨، وأضواء البيان (٧٥/٤)، والتحرير والتنوير (٩٠/٢٦).

القول الثاني: أنَّ المراد أيّ سورة كانت يتعبدون بتلاوتها، ويعملون بما فيها، دون تخصيصها بأمرٍ معين، ونسب الوَاحِدِيّ هذا القول لابن عَبَّاس -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ المؤمنين سألوا ربهم أن ينزل عليهم سورة تأمرهم بمجاهدة العدو؛ حرصاً منهم على القتال في سبيل الله، ويُؤَيِّد ذلك:

١. السياق القرآني؛ فقوله تعالى بعده: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ يبيِّن أنَّ السورة التي تمنوا نزولها مشتملة على شرعية الجهاد.

قال ابن عَاشُور:« وحذف وصف ﴿ سُورَةٌ ﴾ في حكاية قولهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ لدلالة ما بعده عليه من قوله: ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ أي: كما تمنوا، اقتضى أنَّ المسؤول سورة يشرع فيها قتال المشركين، فالمعنى: لولا نزلت سورة يذكر فيها القتال وفرضه، فحذف الوصف إيجازا»[١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي يؤيده السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].

٢. النظير القرآني؛ فالله -تعالى- أخبر في آية النساء أنَّ المؤمنين تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله -ﷻ-، وأمر به نَكَلَ عنه كثير من الناس، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧][٣]، فهذه الآية في معنى آية محمد.

---

[١] التحرير والتنوير (٢٦/٩٠).

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

[٣] ينظر: الكشاف (٤/٣٢٧)، وتفسير القرآن لابن كَثِيْر (٧/٣١٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٨٨.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[1].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[2].

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/٣٤)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٨١).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٨٩- المراد بالذين كفروا

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد:٣٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾الآية، قال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء: يريد قُرَيْظَة والنَّضِير[١]. وقال مُقَاتِل: يعني اليهود[٢]. وقال الكَلبِيّ: نزلت في المُطْعِمين[٣] يوم بدر[٤]، **والقول** أنَّها نزلت في اليهود؛ لقوله: ﴿ **مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ** ﴾ بعد ما بين لهم في التوراة، وهذا لا يصح في وصف المشركين من أهل مكة»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين بالذين كفروا في الآية:

القول الأول: أنَّهم يهود بني قُرَيْظَة والنَّضِير، وهذا القول نسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس، وقال به مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، واستدل له بقوله تعالى بعده: ﴿ **مِنۢ**

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ، والقول الذي ذكره المفسرون عنه أنَّ الآية نزلت في المُطْعِمين يوم بدر.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٢٤٠).

[٣] ذكر بعض المفسرين أنَّ المُطْعِمين يوم بدر: اثنا عشر رجلاً أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا حجاج، وأبو البحتري ابن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحرث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر.

ينظر: الكشف والبيان (٤/٣٥٥)، وأنوار التنزيل (٣/١٠٦)، والبحر المحيط (٤/٤٨٧).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٣/٢٩٠).

[٥] البسيط (٢٠/٢٦٨).

[٦] ينظر: البسيط (٢٠/ ٢٦٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١٢٩)، ولم يذكر المسألة في الوجيز (٢/١٠٠٥).

﴿ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ وفسره بأنَّ اليهود عادوا النبي محمد -ﷺ- وخالفوه بعد معرفتهم بصفته، وأمر نبوته في التوراة، وهذا لا يصح في وصف المشركين من أهل مكة.

القول الثاني: أنَّهم رؤساء قريش من المُطْعِمين يوم بدر، وهو قول ابن عَبَّاس[1]، والكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره النَّسَفِيّ[2].

القول الثالث: أنَّهم المنافقون[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية عامة في كل من كفر وصد عن سبيل الله - ﷻ - وشاق الله ورسوله؛ لأنَّ لفظ الآية عام ولا حاجة لتخصيصه بفئة معينة، وأمَّا ما ذكر من بعض الفئات الواردة في الأقوال السابقة فهم داخلون تحت اللفظ العام دخولاً أولياً.

وسياق الآيات لا دليل فيه على تخصيص طائفة بعينها، فقوله تعالى بعده: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ يشمل كل من ظهرت له البراهين والحجج على صدق نبوته -ﷺ-، سواء كان اليهود بما يجدونه في التوراة من نعته -ﷺ-، أو غيرهم بما شاهدوه من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة على أنَّه نبي مرسل من عند الله - ﷻ -.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[4].

---

[1] لم أجده مسنداً، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/٢٩٠)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/١٠٧)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٥٤).

[2] ينظر: مدارك التنزيل (٣/٣٣٠).

[3] ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٠٧)، ومفاتيح الغيب (٢٨/ ٦٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٨٤).

[4] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

١٩٠- المراد بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾

وقوله: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾

في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: يريد مواعيد الله؛ لأنَّ الله -تعالى- جعل خيبر لأهل الحديبية خاصة[١]، ولم يجعل لأحد من الناس فيها شيئاً إلا لمن تخلف عنها لعذر. وقال مُقَاتِل: يعني: يغيروا كلام الله الذي أمر النبي -ﷺ- أن لا يسير معه منهم أحد[٢]، قال أبو إِسْحَاق[٣]: يعني بقوله:﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قوله -ﷻ-: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة:٨٣]، فأرادوا أن يأتوا بما ينقض هذا، فأعلم الله -ﷻ- أنَّهم لا يفعلون ولا يقدرون على ذلك، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾[٤]، قال ابن عَبَّاس: يريد: في الحديبية[٥]، وقال مُقَاتِل: يعني: هكذا قال الله بالحديبية من قبل خيبر أن لا تتبعونا[٦]. وقال غيره: من قبل مرجعنا إليكم، أخبرنا الله أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، فعلى هذا القول الذي ذكرنا يعني: قول الله -تعالى- من قبل ما سبق من وعده بالغنيمة لأهل الحديبية. وقال الكَلبِيّ:

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٧/٤٣٠).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٢٤٩).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/٢٤).

[٥] وهو في معنى قوله السابق.

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٢٤٩).

لما قالوا لهم: لن تتبعونا، قالوا: والله ما أمركم الله بذلك وما بكم إلا الحسد[1]، فقال لهم المؤمنون: كذلكم قال الله لنا حين انصرفنا من الحديبية، إنَّهم سيقولون لكم إذا لم تأذنوا لهم إلى خيبر: إن بكم إلا الحسد كما قلتم لنا فهو بمعنى قوله:﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ واختار الفَرَّاء هذا القول، فقال: إنَّهم قالوا لرسول الله: ذرنا نتبعك، قال: نعم، على أن لا نسهم لكم، فإن خرجتم على ذا فاخرجوا، فقالوا للمسلمين: كذلكم قال الله من قبل تقولون قد أخبرنا بما تقولون قبل أن تقولوه[2]، وعلى هذا معنى قوله: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ قوله:﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ **والأول أظهر**؛ لأنَّ ذكر الحسد لم يتقدم قبل قوله: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ وإنما ذكر بعد»[3].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وقوله: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى يريدون أن يغيروا وعد الله - ﷻ - لأهل الحديبية بغنيمة خيبر؛ وذلك أن الله -تعالى- جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن فتح مكة إذا رجعوا من الحديبية على صلح، وعلى هذا معنى قوله: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: أنَّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون من تخلَّف، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-، ومُجَاهِد، وقَتَادَة[4].

واختاره الوَاحِدِيّ[5]، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، والرَّازِيّ، والقُرْطُبِيّ،

---

[1] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الفَرَّاء في معاني القرآن (٣/ ٦٦).

[2] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٦٦).

[3] البسيط (٢٠/٢٩٨).

[4] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٢١٥)، وذكره عنهما ابن كَثِيْر في تفسيره (٧/٣٣٧).

[5] ينظر: البسيط (٢٠/٢٩٩)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١٣٨)، والوجيز (٢/ ١٠٠٩).

والخَازِن، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وابن عَادِل، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[1]، وهو قول جمهور المفسرين[2].

القول الثاني: أنَّ المعنى إرادتهم الخروج مع النبيّ -ﷺ- في غزواته، فهو مفسَّر بقوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾[التوبة:٨٣]، أي: منعهم من السير معه -ﷺ- إلى غزواته، وعلى هذا معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: أنَّكم لن تتبعونا في الغزوات، وهو قول ابن زَيْد[3]، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الزَّجَّاج[4].

واعترض عليه بأن آية التوبة نزلت حين رجع رسول الله -ﷺ- من غزوة تبوك، وهي بعد فتح خيبر بمدَّة[5].

القول الثالث: أنَّ المراد بقوله: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ وذلك أنَّهم قالوا لرسول الله: ذرنا نتبعك، قال: نعم، على أن لا يُسْهَم

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٢١٥)، والكشف والبيان (٤٦/٩)، ومعالم التنزيل (٣٠٢/٧)، والمحرر الوجيز (١١٦/٥)، ومفاتيح الغيب (٧٩/٢٨)، والجامع لأحكام القرآن (٢٧١/١٦)، ولباب التأويل (٦/ ١٩٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٨/٢)، والبحر المحيط (٩٤/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٣٧/٧)، والجواهر الحسان (١٧٥/٤)، واللباب في علوم الكتاب (٤٩١/١٧)، وإرشاد العقل السليم (١٠٨/٨)، وفتح القدير (٥/ ٧٠)، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٩٣، والتحرير والتنوير (١٤٢/٢٦).

[2] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٤٦/٩)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٠٢/٧)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٧٩/٢٨)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٧١/١٦)، والخَازِن في لباب التأويل (٦/ ١٩٣)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٩٤/٨)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٤٩١/١٧).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢١٦/٢٢)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/ ٣١٥).

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٤/٥).

[5] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٢١٥)، والكشف والبيان (٤٦/٩)، ومعالم التنزيل (٣٠٢/٧)، والمحرر الوجيز (١١٦/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٨٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٣٧/٧)، والتحرير والتنوير (١٤٢/٢٦).

لكم، فإن خرجتم على ذا فاخرجوا، فقالوا للمسلمين: والله ما أمركم الله بذلك وما بكم إلا الحسد، فقال لهم المؤمنون: كذلكم قال الله لنا حين انصرفنا من الحديبية، إنهم سيقولون لكم إذا لم تأذنوا لهم إلى خيبر: إن بكم إلا الحسد، وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الفَرَّاء[1].

وردَّ هذا القول الوَاحِدِيّ؛ لأن ذكر الحسد لم يتقدم قبل قوله: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ وإنَّما ذكر بعده.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الأصوب والأوجه؛ ويُؤَيِّد ذلك:

١. أنَّ هذا القول هو الموافق لنزول الآية، بخلاف قول ابن زَيْد؛ لأنَّ قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ نزل على النبي -ﷺ- عند انصرافه من غزوة تبوك، وقد وقعت هذه الغزوة في آخر عمره -ﷺ-، وسورة الفتح نزلت عام الحديبية.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير[2].

قال الطَّبَرِيّ:«وهذا الذي قاله ابن زَيْد قول لا وجه له؛ لأنَّ قول الله - ﷻ -: ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ إنما نزل على رسول الله -ﷺ- مُنْصَرَفَه من تَبوك، وعُنِي به الذين تخلَّفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله -ﷺ- أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضاً، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا مَعْنِيًّا بقول الله:﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؟ وهو خبر عن المتخَلِّفِينَ عن المسير مع رسول

---

[1] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٦٦).

[2] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٢١٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٣١).

الله -ﷺ-، إذ شخص معتمراً يريد البيت، فصدّه المشركون عن البيت، الذين تخلَّفوا عنه في غزوة تبوك، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية، ولا كان أُوحِيَ إلى رسول الله -ﷺ- قوله: ﴿ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾»[1].

٢. أنَّه الأنسب والأوفق للسياق، فالآيات تتحدث عن المخَلَّفِينَ من الأعراب، الذين دعاهم النبي -ﷺ- إلى الخروج معه إلى مكة؛ ولكنَّهم جَبُنُوا عن لقاء قريش، واعتذروا، وحين علموا بخروجه -ﷺ- ومن معه إلى خيبر، قالوا: ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ ونشهد معكم القتال؛ لأنَّهم يرون ضعف يهود خيبر، ويريدون بذلك أن يشاركوهم في الغنائم التي خصها سبحانه بأهل الحديبية دون من تخلف؛ لذا أمر رسوله -ﷺ- أن يقول لهم: ﴿ لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ فقالوا بعد ذلك: ما منعتمونا من الخروج معكم إلا حسداً لنا، وهذا يبعد قول من فسَّر: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ بقوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾؛ لأنَّ ذكر الحسد جاء متأخراً؛ كما أنَّ قوله تعالى بعده: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [الفتح: ١٦]، ينافي قول ابن زَيْد أنَّ المراد منعهم من السير معه -ﷺ- إلى غزواته؛ لأنَّ الله أمر نبيه -ﷺ- أن يدعوهم في المستقبل إلى جهاد قوم أصحاب قوة وشدة في الحرب؛ ليختبر إيمانهم[2].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي يؤيده السياق مقدَّم على ما خالفه[3].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[4].

---

[1] جامع البيان (٢٢/ ٢١٧).

[2] ينظر: التحرير والتنوير (١٤٢/٢٦).

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٩١- المراد بالمغانم الكثيرة

في قوله تعالى: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:١٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، هذا قول الأكثرين. وقال ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء والكَلبِيّ: يريد مغانم فارس والروم مما هم أخذوها ولم يأخذوها بعد[١]، **والقول هو الأول**؛ لأنَّ سائر المغانم قد وُعِدُوها وذكرت بعد هذه الآية»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالمغانم الكثيرة في الآية:

القول الأول: أنَّها مغانم خيبر.

واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والطَّبَرِيّ، والثَّعْلَبِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، والخَازِن، وأبو السُّعُود، والشَّوكَانيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور[٤]، وهو قول أكثر المفسرين[٥].

القول الثاني: أنَّها مغانم الروم وفارس.

وهذا القول نسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس -كما سبق-.

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ، وذكره دون نسبة القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٧٨/١٦)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٩٦/٨).

[٢] البسيط (٣٠٦/٢٠).

[٣] ينظر: البسيط (٣٠٦/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (١٤٠/٤)، والوجيز (٢/ ١٠١١).

[٤] ينظر: جامع البيان (٢٢٨/٢٢)، والكشف والبيان (٤٨/٩)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٢٠٢/٥)، ومعالم التنزيل (٣٠٦/٧)، والكشاف (٣٤٢/٤)، وزاد المسير (٤٣٥/٧)، وأنوار التنزيل (٢٠٤/٥)، ومدارك التنزيل (٣٣٩/٣)، وغرائب القرآن (١٤٩/٦)، ولباب التأويل (١٩٧/٦)، وإرشاد العقل السليم (١١٠/٨)، وفتح القدير (٧٣/٥)، ومحاسن التأويل (٤٩٩/٨)، والتحرير والتنوير (١٤٨/٢٦).

[٥] حكاه الوَاحِدِيّ في البسيط (٣٠٦/٢٠)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (١٠٨/٢٦).

القول الثالث: أنَّها مغانم هَجَر[1][2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأولى بالصواب هو القول الأول أنّ المراد بالمغانم بالآية مغانم خيبر، ويُؤَيِّد ذلك:

١. سياق الآيات؛ فالحديث في الآية قبلها في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨]، عن بيعة الرضوان، وقد كانت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة، وغزوة خيبر في شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة، والمسلمون لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله -ﷺ- بالحديبية من فتح خيبر وغنائمها، فليس بينهما سوى شهر ونصف[3].

كما أنَّ الآيات بعد هذه الآية ذكرت سائر المغانم التي وعدها الله - ﷻ - للمسلمين[4].

قال ابن عَاشُور:« فعلم أنَّ الآية أشارت إلى ثلاثة أنواع من المغانم: نوع من مغانم موعودة لهم قريبة الحصول وهي مغانم خيبر، ونوع هو مغانم مرجوة كثيرة غير معين وقت

---

[1] هَجَر: بفتح أوله وثانيه، اسم يطلق على بلاد البحرين، والبحرين كان اسماً لسواحل نجد بين قطر والكويت، وقد يطلق هَجَر على عاصمتها، وهي الهفوف اليوم وقد تسمى « الحسا » ثم أطلق على هذا الإقليم اسم الأحساء حتى نهاية العهد العثماني، وانتقل اسم البحرين إلى جزيرة كبيرة تواجه هذا الساحل من الشرق، وهي إمارة البحرين اليوم. وعندما تكونت المملكة العربية السعودية أطلق على هذا الإقليم اسم المنطقة الشرقية وجعلت مدينة الدمام قاعدتها، والإقليم من الأقاليم العامرة، كثير المدن والمياه والسكان.

ينظر: معجم البلدان (٥/ ٣٩٣)، وآثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٠، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص٤٠، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٩٣.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (٨٣/٢٨)، والبحر المحيط (٩٦/٨)، وروح المعاني (١٠٩/٢٦).

[3] ينظر: محاسن التأويل (٤٩٩/٨)، والتحرير والتنوير (١٤٨/٢٦).

[4] ينظر: البسيط (٣٠٦/٢٠)، والتحرير والتنوير (١٥٢/٢٦).

حصولها، ومنها مغانم يوم حنين وما بعده من الغزوات[١]، ونوع هو مغانم عظيمة لا يخطر ببالهم نوالها قد أعدها الله للمسلمين[٢]، ولعلها مغانم بلاد الروم وبلاد الفرس»[٣].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي يؤيده السياق مقدَّم على ما خالفه[٤].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٥].

[١] وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ٢٠].

[٢] وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الفتح: ٢١].

[٣] التحرير والتنوير (١٥٢/٢٦).

[٤] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٩٢- المراد بكلمة التقوى

في قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح:٢٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ قال مُقَاتِل: ألزم المؤمنين كلمة الإخلاص وهي: لا إله إلا الله[١]، وهذا قول جماعة المفسرين، ورواية أُبَيِّ بن كَعْبٍ عن النبي -ﷺ- أنَّه قال في تفسيرها: هي لا إله إلا الله[٢]، وزاد عَلِيّ[٣] وابن عُمَر[٤]: والله أكبر. قال عَمْرُو بن مَيْمُونٍ[٥]: ما تكلم الناس بشيء أعظم عند الله من لا إله إلا الله، وهي الكلمة التي ألزمها الله أصحاب محمد[٦]. وقال الزُّهْرِيّ: هي بسم الله الرحمن الرحيم[٧]، يعني أنَّ المشركين لما أبوا أن يقروا بهذا خص الله بهذه الكلمة المؤمنين[٨]، **والقول هو الأول**؛ لأنَّ معنى كلمة التقوى هي التي يتقى بها من الشرك وهي: لا إله إلا الله»[٩].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٢٥٣).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الفتح، رقم الحديث (٣٢٦٥)، (٣٨٦/٥)، وأخرجه الطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٩٩/١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٣/٢٢). وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٣٢/٣).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٣/٢٢)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (١/ ٢٦٤).

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٢٩/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٥/٢٢).

[٥] عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ، أبو عبد الله الكوفي، أسلم في حياة النبي -ﷺ- ولم يلقه، كان ثقة عابداً كثير الحج، وتوفي سنة ٧٤ هـ. ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٠٥)، والإصابة (٥/ ١٥٤).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٢٥٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ١٤٩).

[٧] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٢٩/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٥/٢٢).

[٨] وذلك في صلح الحديبية حين منع المشركون علي بن أبي طالب أن يكتب في الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم. ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦٩٦٨/١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٧/ ٣٤٥).

[٩] البسيط (٣٢٠/٢٠).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بكلمة التقوى في الآية:

القول الأول: أنَّها كلمة التوحيد لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وهو قول عُمَر بن الْخَطَّاب[١]، وابن عَبَّاس[٢]، وعَمْرِو بن مَيْمُونٍ -كما سبق-، ومُجَاهِد[٣]، وعِكْرِمَة، والضَّحَّاك[٤]، وقَتَادَة[٥]، وابن زَيْد[٦]، ومُقَاتِل[٧]. واختاره الوَاحِدِيّ[٨]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والشَّوكَانيّ، السّعْدِيّ[٩]، وهو قول جمهور المفسرين[١٠].

وزاد عَلِيّ، وابن عُمَر: والله أكبر. وزاد عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ: محمّد رسول الله[١١].

وزاد عَطَاء بن أَبِي رَبَاحٍ: وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير[١].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، مسند الصحابة بعد العشرة (١/ ٤٩٩)، والحاكم في مستدركه (٥٠٢/١).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/٢٢)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (١/ ٢٦٦).

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٦٠٣/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٢٥٤).

[٤] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/٢٢)، والطَّبَرَانِيّ في الدعاء ص ٤٦٣.

[٥] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٢٢٩)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/٢٢).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/٢٢)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٤٤١/٧).

[٧] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢٥٣/٣).

[٨] ينظر: البسيط (٣٢١/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١٤٤)، وذكر القولين في الوجيز (٢/ ١٠١٢) دون ترجيح لأحدهما.

[٩] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٨/ ٦٨)، وغريب القرآن ص٤١٣، وجامع البيان (٢٥٣/٢٢)، وبحر العلوم (٣٠٣/٣)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ص٣٦١، وفتح القدير (٧٨/٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٩٤.

[١٠] حكاه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٢١/٧)، وابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (١٢٢/٥)، والنَّسَفِيّ في مدارك التنزيل (٣٤٢/٣)، وابن جُزَي في التسهيل لعلوم التنزيل (٢٩١/٢)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٥٠٦/١٧)، والسُّيوطِيّ في معترك الأقران (٢٣٢/٢)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٧٨/٥).

[١١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٥/٢٢)، والطَّبَرَانِيّ في الدعاء ص ٤٦٣.

قال ابن عَطِيَّة بعد ذكر الأقوال السابقة:« وهذه كلها أقوال متقاربة حسان؛ لأنَّ هذه الكلمة تقي النار فهي كلمة التقوى»[٢]. ووافقه في قوله ابن جُزَي، والسُّيوطِيّ[٣].

واستُدل لهذا القول بحديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ السابق[٤].

القول الثاني: أنَّها بسم الله الرحمن الرحيم، وهو قول الزُّهْرِيّ -كما سبق-.

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الأولى والأوفق، وهو أنَّ المراد بـ(كلمة التقوى) كلمة التوحيد لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، ويُؤَيِّد ذلك:

١. أنَّ تفسير (كلمة التقوى) بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه قد رُوي مرفوعاً إلى النبي -ﷺ-.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ الأقوال إذا تعددت في تفسير آية من كتاب الله -تعالى-، فالقول الذي يؤيده خبر عن النبي -ﷺ- مقدمٌ على غيره[٥].

٢. أنَّ هذا القول استفاض فيه النَّقل عن الصحابة والتابعين، والقاعدة الترجيحية:« أنْ تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم، وإن كان غيره محتملاً»[٦].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٦/٢٢)، والبَيْهَقِيّ في الأسماء والصفات (٢٦٦/١).

[٢] المحرر الوجيز (١٢٢/٥).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٩١/٢)، والسُّيوطِيّ في معترك الأقران (٢٣٢/٢).

[٤] ينظر: البسيط (٣٢٠/٢٠)، ومعالم التنزيل (٣٢١/٧)، والمحرر الوجيز (١٢٢/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢٩١/٢).

[٥] ينظر: جامع البيان (٢/ ٣٤٤)، (١٠/ ٢٦٧)، وتحفة المودود ص١٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٧١/١).

[٦] ينظر: جامع البيان (٢/ ٢٥٩)، (٥/ ٢٧٦)، (٩/ ٤٨٠)، ومحاسن التأويل (١٤٦/١)، وقواعد التفسير لخالد السبت (٨٠٤/٢).

٣. أنَّ تفسيرها بكلمة التوحيد، يوافق معنى (كلمة التقوى)؛ لأنَّ كلمة التوحيد لا إله إلا الله هي التي يتقى بها من الشرك بالله[١].

قال الطَّبَرِيّ:« ألزمهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بها النار، وأليم العذاب»[٢].

٤. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

[١] ينظر: جامع البيان (٢٥٣/٢٢)، والبسيط (٣٠٦/٢٠)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٥/ ٢٠٦)، ومعالم التنزيل (٣٢١/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٢٨٩/١٦).

[٢] جامع البيان (٢٥٣/٢٢).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٩٣- المراد بقوله: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[ق: ٢٨-٢٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال مُجَاهِد: قد قضيت ما أنا قاض[١]، وقال مُقَاتِل: يقول الذي قلت لكم في الدنيا من الوعيد قد قضيته عليكم فلا تبديل له [٢]، فعلى هذا معنى الآية: لا تبديل لقول الله فيما ذكر من وعيد الكفار. قال المفسرون، وهو قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[هود: ١١٩، السجدة: ١٣]. وقال أبو إِسْحَاق[٣]: يعني قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الأنبياء: ١٦٠] [٤]. وذكر الكَلبِيّ في الآية قولاً آخر فقال: معنى الآية: ما يغير القول عندي بالكذب [٥]، يعني من كذب عندي فالغيب لا يخفى علي، وعلى هذا (القول) هو قول العبد لا قول الله -تعالى-. واختار الفَرَّاء وابن قُتَيْبَة هذا القول، قال الفَرَّاء: معناه: ما يكذب عندي للعلم بالغيب[٦]، وقال ابن قُتَيْبَة: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ أي: لا يُغير عن جهته ولا يُحَرّف، ولا يزاد فيه ولا ينقص؛ لأنِّي أعلم كيف ضلوا وكيف أضللتموهم[٧]. وهذا القول كأنَّه **أظهر**؛ لأنَّه قال ﴿ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ ولم يقل (قولي). وهذا

---

[١] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/ ٦١٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٣٥٩).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٢٧٢).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٦).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٦١/٧)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٨/٨).

[٦] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٧٩).

[٧] ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٩.

كما يقال: لا تكذب عندي، ولو قال قائل: لا يغير القول لديّ، فهم من كلامه أنَّه يقول: لا يكذب عندي بل يؤدي القول عندي على وجهه»[1].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المعنى: ما يغير القول، وهو وعيد للكافرين بالعذاب.

وهذا قول مُجَاهِد، ومُقَاتِل -كما سبق-. وقال به أكثر المفسرين[2]، على تعدد أقوالهم في المقصود بالقول:

١. أنَّ المراد قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[هود: ١١٩، السجدة: ١٣]، وهو اختيار الطَّبَرِيّ[3].

٢. أنَّه قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٦٠]، وهو اختيار الزَّجَّاج[4].

القول الثاني: أنَّ المعنى: ما يغير القول عندي بالكذب والتلبيس، بل يُؤدي على وجهه؛ لعلمه سبحانه بالغيب، وعلى هذا (القول) هو قول العبد لا قول الله -تعالى-، وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-.واختاره الوَاحِدِيّ[5]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والخَازِن[6].

واستُدل لهذا القول بأنَّه سبحانه قال: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ ولم يقل:(ما يبدل قولي)[7].

---

[1] البسيط (٢٠/٤٠٤).

[2] حكاه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/ ١٨).

[3] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٣٥٩).

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٦).

[5] ينظر: البسيط (٢٠/٤٠٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١١٧)، والوجيز (٢/٩٩٩).

[6] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٧٩)، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٣٩، ولباب التأويل (٦/ ٢٣٧).

[7] ينظر: المصادر السابقة.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ المراد بالقول في الآية حكم الله – ﷻ – على الكافرين بالنار، وحكمه تعالى على المؤمنين بالجنة، ويَعُمُّ ذلك ما ذكره المفسرون من الآيات التي استدلوا بها على وعد الله ووعيده[1]، أمَّا القول الثاني فله وجه من النظر؛ لكن القول الأول أظهر وأقرب، ويُؤَيِّده:

١. السياق القرآني؛ فالآيات قبل ذلك تتحدث عَمَّن جعل مع الله إلهاً آخر، ومصيره في الآخرة، فقال تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ [ق: ٢٤-٢٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ثم أتبعه بذكر أحوال أهل النار، وأحوال أهل الجنة، ومآل الفريقين، فقال: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٠-٣١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما؛ إلا بدليل يجب التسليم له[2].

وكذلك تؤيده قاعدة:أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[3].

---

[1] قال الشَّنْقِيطِيّ في أضواء البيان (٢٧٦/٥) في معرض تفسيره لهذه الآية:« ما أوعد الله به الكفار لا يخلف بحال...أمَّا ما أوعد به عصاة المسلمين، فهو الذي يجوز ألا ينفذه وأن يعفو، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]».

[2] ينظر: جامع البيان (٦/ ٥٨٢)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع فتاوى ابن تَيْمِيَّة (٩٤/١٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١١١/١).

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

٢. جاءت آيات مبينة للقول المبهم في الآية السابقة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]، وقوله: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[(١)].

❁ ❁ ❁ ❁

[(١)] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/٣٤)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٨١).

١٩٤- المراد بالمقسمات

في قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ قال الكَلبِيّ[١]، ومُقَاتِل[٢]: يعني الملائكة: جِبْرِيل ومِيكَائِيل وإِسْرَافِيل وملك الموت، يقسمون الأمر بين خلقه في الأرض، وهم المدبرات أمراً...وقال الفَرَّاء: جِبْرِيل صاحب الغِلْظَةِ، وَمِيكَائِيل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت [٣]، هؤلاء سمّوا هذه الأربعة من الملائكة في تفسير المقسِّمات. وغيرهم ذكروا الملائكة على العموم والإطلاق، قالوا في: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ إنَّهم الملائكة، **وهذا أولى** من تخصيص الأربعة؛ لقوله: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ﴾ ومعناه: فالجماعات المقسِّمات، يعني جماعات الملائكة الذين وُكِّلُوا بالأمور يقسمونها على ما أمروا به. وتفسير هذه الآيات على ما ذكرنا مروي عن أمير المؤمنين عَلِيّ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-[٤]، وتبعه المفسرون في ذلك فقالوا بقوله»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمقسِّمات في الآية:

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٣٦١).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٢٧٥).

[٣] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٨٢).

[٤] أخرج عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣/ ٢٤١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٣٩٢)، والحاكم في مستدركه (٢/٥٠٦) وصححه، ووافقه الذهبي، عن أبي الطُّفَيل قال: رأيت أمير المؤمنين عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قام على المنبر، فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي. قال: فقام ابن الْكَوَّاءِ فقال: يا أمير المؤمنين، ما ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح، قال: فما ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ قال: السحاب، قال: فما ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ قال: السفن، قال: فما ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة.

[٥] البسيط (٢٠/ ٤٢٦).

القول الأول: أنَّ المراد الملائكة التي تقسّم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، وهو قول عُمَر بن الْخَطَّابِ[١]، وعَلِيّ بن أَبِي طَالِب -كما سبق-، وابن عَبَّاس[٢]، ومُجَاهِد[٣].

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والبَغَوِيّ، وابن عَطِيَّة، وابن تَيْمِيَّة، وابن جُزَي، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والآلُوْسِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ[٥].

واستدلوا لهذا القول بتفسير عَلِيّ بن أَبِي طَالِب السابق.

القول الثاني: أنَّ المراد أربعة من الملائكة، وهم: جِبْرِيل ومِيكَائِيلُ وإِسْرَافِيل وملك الموت، وهو قول الكَلبِيّ، ومُقَاتِل، والفَرَّاء-كما سبق-.

القول الثالث: أنَّ المراد الرياح. واختاره الرَّازِيّ، وابن عَاشُور[٦].

---

[١] أخرج الْبَزَّار في مسنده (٤٢٣/١)، وابن كَثِيْر في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٤٢٣/٢) عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: جَاءَ صَبِيغٌ التَّمِيمِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله -ﷺ- يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله -ﷺ- يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾، قال: «هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله -ﷺ- يقوله ما قلته...». قال الْبَزَّار: وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن النبي -ﷺ- من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه، وإنما أتى من أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ فِيمَا أَحْسَبُ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَيِّنُ الْحَدِيثِ، وَسَعِيدُ بْنُ سَلَّامٍ لم يكن من أصحاب الحديث. وقال ابن كَثِيْر: هذا الحديث ضعيفٌ رفعه، وأقرب ما فيه أنَّه موقوف على عمر، فإنَّ قصة صَبِيغ بن عسل مشهورة مع عُمَر بن الْخَطَّابِ.

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٣٩٣)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٤١٤/٧).

[٣] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/ ٦١٥)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣/ ٩٦٥).

[٤] ينظر: البسيط (٢٠/ ٤٢٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١٧٣)، والوجيز (٢/ ١٠٢٧).

[٥] ينظر: غريب القرآن ص٤٢٠، وجامع البيان (٢٢/ ٣٩١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥١/٥)، ومعالم التنزيل (٣٧١/٧)، والمحرر الوجيز (١٥٣/٥)، والجواب الصحيح (٢٠٩/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٠٦/٢)، والتبيان في أقسام القرآن ص ٢٧٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤١٣/٧)، والجواهر الحسان (٢٠٤/٤)، وروح المعاني (٣/٢٧)، ومحاسن التأويل (٣٤/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٠٨، وأضواء البيان (٤٣٥/٧).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (١٦٨/٢٨)، والتحرير والتنوير (٩٤/٢٨).

وضَعَّفَهُ الشَّوكَانيّ[١]. وعدَّه الكَرْمَانِيُّ من غرائب التفسير[٢].

وتَعَقَّبَ الآلُوْسِيّ قول الرَّازِيّ: بأنَّ الأقرب أن تحمل الصفات الأربع في الآية على الرياح[٣] بقوله: «وهذه جَسَارَة عظيمة على ما لا يسلم له، وجَهل منه بما رواه ابن الْمُسَيِّب من الخبر الدال على أن ذلك تفسير النبي -ﷺ- فأين منه الإمام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -»[٤].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأولى والأظهر هو القول بعموم قوله: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ في الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ هذا التفسير مروي عن الصحابة: عُمَر بن الْخَطَّابِ، وعَلِيّ بن أَبِي طَالِب، وابن عَبَّاس - رضي الله عنهم -، وهم أعلم بمعاني القرآن، وأدرى بأسباب نزوله.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ قول الصحابي مُقدَّم على من هو دونه في التفسير[٥].

٢. أنَّ ظاهر الآية العموم، قال ابن عَطِيَّة:« ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ الملائكة، والأمر هنا اسم الجنس، فكأنَّه قال: والجماعات التي تقسم أمور الملكوت من الأرزاق والآجال والخلق في الأرحام وأمر الرياح والجبال وغير ذلك؛ لأنَّ كل هذا إنَّما هو بملائكة تخدمه، فالآية تتضمن جميع الملائكة؛ لأنَّهم كلهم في أمور مختلفة»[٦].

---

[١] ينظر: فتح القدير (١١٧/٥).

[٢] ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١١٣٧/٢).

[٣] ينظر: مفاتيح الغيب (١٦٨/٢٨).

[٤] روح المعاني (٣/٢٧).

[٥] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ١٠٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وإعلام الموقعين (١٦٢/٤)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١٨٦/١).

[٦] المحرر الوجيز (١٥٣/٥).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[1].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[2].

[1] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٩٥- المراد بقوله: ﴿ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الذاريات:٤٣-٤٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« وقوله: ﴿ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ أي يرون ذلك، والمعنى: أخذتهم الصاعقة عيانًا، وهو معنى قول عَطَاء: قد رأوا العذاب[١]، وقال مُجَاهِد: فجأة[٢]، وعلى هذا معنى (ينظرون)[٣]؛ وذلك أن صالحًا قد ضرب لهم الأجل للعذاب ثلاثة أيام، وجعل لنزول العذاب بهم علامات في تلك الأيام، وظهرت تلك العلامات فانتظروا العذاب في اليوم الرابع. **وهذا هو الصحيح**؛ لأنَّه قد ذكر في قصتهم أنَّهم تحنطوا في اليوم الرابع، ولبسوا الأكفان»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه من النَّظر، أي: ينظرون بأعينهم.

واختاره الثَّعْلَبِيّ، والبَغَوِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وابن جُزَي، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[٥].

---

[١] لم أقف على قوله، وذكر في معالم التنزيل (٣٧٨/٧)، وزاد المسير (٩٨/١٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣١٠/٢)، واللباب في علوم الكتاب (١٨/ ٩٨) دون نسبة.

[٢] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٦٢٠/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٤٣٦).

[٣] كأن في الكلام سقطاً - والله أعلم -.

[٤] البسيط (٤٥٨/٢٠).

[٥] ينظر: الكشف والبيان (٩/ ١١٨)، ومعالم التنزيل (٣٧٨/٧)، وأنوار التنزيل (٢٤٠/٥)، ومدارك التنزيل (٣٧٨/٣)، ولباب التأويل (٦/ ٢٤٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣١٠/٢)، وإرشاد العقل السليم (١٤٢/٨)، وفتح القدير (٥/ ١٢٨)، ومحاسن التأويل (٤٣/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨١١، والتحرير والتنوير (٣٤/٢٧).

القول الثاني: أنَّه من الانتظار، أي: ينتظرون نزول العذاب، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، وابن كَثِيْر[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية تحتمل القولين، فيجوز أنَّهم انتظروا العذاب الذي وُعِدُوهُ قبل نزوله بثلاثة أيام، كما جاء الخبر في آية هود: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾[هود:٦٥]، فظهرت العلامات في ثلاثة الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بالعذاب ينتظرون حلوله[3]، فحلَّ بهم صبيحة اليوم الرابع بُكْرَة النهار، وهم يشاهدونه عياناً، والنَّظر إلى العذاب وانتظاره أشد من العذاب.

قال الشِّرْبِينِيُّ:« ويجوز مع كونه من النَّظر أن يكون أيضاً من الانتظار؛ فإنَّهم وُعِدوا نزول العذاب بعد ثلاثة أيام، وجعل في كل يوم علامة، وقعت بهم، فتحققوا وقوعه في اليوم الرابع»[4]. وجوَّز ابن عَطِيَّة، والثَّعَالِبِيّ المعنيين معاً[5].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها[6].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٠/٤٥٩)، واقتصر على القول الأول في الوسيط (٤/ ١٧٩)، ولم يفسرها في الوجيز (٢/١٠٣١).

[2] ينظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٣٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧١٠٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٧/ ٤٢٤).

[3] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧١٠٢).

[4] السراج المنير (٤/ ٦٧).

[5] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٧١٠٢).

[6] ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٦٣)، والجواهر الحسان (٤/٢١٠).

١٩٦- المراد بالكتاب المسطور

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾ [الطور:١-٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« أكثر المفسرين على أنَّ المراد بالكتاب هاهنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم، وهو قول مُقَاتِل[١]، ومُجَاهِد[٢]، والكَلبِيّ[٣]، والزَّجَّاج[٤]. وذُكر فيه أنَّه اللوح المحفوظ. وقيل: هو ما كتبه الله لمُوْسَى من التوراة. **والصحيح هو القول الأول؛** لقوله تعالى: ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾ ولم يثبت أنَّ اللوح المحفوظ من الرَّقّ، ولا أنَّ ما كتب لمُوْسَى كان على الرَّقّ»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالكتاب المسطور في الآية:

القول الأول: أنَّه صحائف أعمال الخلق، وهو قول مُقَاتِل، ومُجَاهِد، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والزَّجَّاج[٧].

واستُدل بنظيره من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء:١٣]، وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾ [التكوير:١٠].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٢٨٢/٣).

[٢] أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٤٧، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٤٥٤).

[٣] لم أجد من نسب هذا القول للكَلبِيّ غير الوَاحِدِيّ، والذي ذكرته كتب التفسير عنه أنَّ المراد بالكتاب التوراة. ينظر: الكشف والبيان (١٢٣/٩)، ومعالم التنزيل (٣٨٢/٧)، والجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٧).

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٦١/٥).

[٥] البسيط (٤٧٥/٢٠).

[٦] ينظر: البسيط (٤٧٦/٢٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ١٨٤)، والوجيز (٢/ ١٠٣٣).

[٧] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٩١/٣)، وغريب القرآن ص٤٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه (٦١/٥).

القول الثاني: أنَّه اللوح المحفوظ.

وقالوا هو الأنسب لما بعده من قوله: ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾ [الطور:٤-٥]، وَضَعَّفَهُ الوَاحِدِيّ، وابن القَيِّم بأنَّ اللوح المحفوظ ليس برَقّ[١].

القول الثالث: أنَّه التوراة، وهو قول الكَلبِيّ[٢]. واختاره النَّيْسَابُوْرِيّ، وابن عَاشُور[٣].

وحجتهم في ذلك أنَّ الكتاب جاء مقرناً بالطور[٤].

يقول ابن عَاشُور:« والقسم بالطور توطئة للقسم بالتوراة التي أنزل أولها على مُوْسَى في جبل الطور»[٥].

واعترض عليه بأنَّ التوراة كانت في ألواح، كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ ﴾ [الأعراف:١٥٠]، ولم تكن في رَقّ[٦].

القول الرابع: أنَّه القرآن الكريم. واختاره ابن القَيِّم، والشَّنْقِيطِيّ[٧].

واستدلوا بما يلي:

١. أنَّ الله - ﷻ - ذكر الطور الذي أوحي منه إلى مُوْسَى -عليه السلام-، وذكر الكتاب الذي هو القرآن الذي أوحي إلى مُحَمَّد -ﷺ-، فيكون الله - تبارك وتعالى - ذكر أشرف الرسالات في بني إسرائيل إيماء بذكر الطور، وذكر أشرف الرسالات التي بعث بها من بني إسماعيل مُحَمَّد -ﷺ-. وغالباً ما يأتي الربط بين سيدنا مُوْسَى -عليه السلام- وبين سيدنا

---

[١] ينظر: البسيط (٢٠/٤٧٦)، والتبيان في أقسام القرآن ص ٢٦٥.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٩/١٢٣)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٧/٣٨٢).

[٣] ينظر: غرائب القرآن (٦/١٩٣)، والتحرير والتنوير (٢٧/٥٣).

[٤] ينظر: غرائب القرآن (٦/١٩٣)، والتحرير والتنوير (٢٧/٥٣)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (الحجرات - الحديد) ص ١٧٤.

[٥] التحرير والتنوير (٢٧/٥٣).

[٦] ينظر: البسيط (٢٠/٤٧٥)، والتبيان في أقسام القرآن ص ٢٦٥.

[٧] ينظر: التبيان في أقسام القرآن ص ٢٦٥، وأضواء البيان (٧/٤٥١).

مُحَمَّد -ﷺ-، وبين الأمة المحمدية وأمة بني إسرائيل، وبين التوراة وبين القرآن الكريم، وهذا كثير في القرآن الكريم، كقوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين:١-٣]، فأقسم بالطور حيث كلم مُوْسَى -عليه السلام-، ثم أقسم بمكة حيث أنزل الوحي على النبي -ﷺ-[١].

٢. أنَّ الله - ﷻ - أقسم بالقرآن في أكثر من موضع في كتابه، كقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[الزخرف:١-٢]، وقوله:﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[يس:١-٢].

وَضَعَّف هذا القول ابن عَاشُور بقوله: «وليس مراد بكتاب مسطور القرآن؛ لأنَّ القرآن لم يكن يومئذ مكتوباً سطوراً، ولا هو مكتوباً في رَقّ»[٢].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل جميع الأقوال السابقة، وهذا الذي يوافق ظاهر التنزيل؛ فالله - ﷻ - لم يقيد نوع الكتاب المسطور فيبقى على إطلاقه. واختلاف العلماء في المراد بالكتاب المسطور مبني على اختلافهم في معنى الرَّقّ، فالرَّقّ في اللغة يطلق على كل ما يكتب فيه[٣]، كما يطلق على الجلد الذي يكتب فيه[٤].

فعلى الإطلاق الأول يكون عاماً يشمل كل ما يكتب فيه من جلد وورق وعظم وحجر وغير ذلك. وعلى الإطلاق الثاني يكون خاصاً بما يكتب فيه من الجلود[٥].

---

[١] ينظر: تفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (الحجرات - الحديد) ص١٧٤.

[٢] التحرير والتنوير (٥٤/٢٧).

[٣] ينظر: تهذيب اللغة (٨/ ٢٣٠)، مادة (رق).

[٤] ينظر: جمهرة اللغة (١/ ١٢٥)، مادة (رقق).

[٥] قال ابن عُثَيْمِيْن عند تفسيره لهذه الآية من سورة الطور ص١٧٣:«﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ الكتاب المسطور في الرَّقّ، اختلف فيه العلماء، وهذا الخلاف ينبني على كلمة (رَقّ) هل الرَّقّ كل ما يكتب فيه من جلد وورق وعظم وحجر وغير ذلك؟ أو هو خاص بما يكتب فيه من جلود ونحوها؟ إن قلنا بالأول صار المراد بالكتاب عدة أشياء، منها اللوح المحفوظ، ومنها الكتب التي بأيدي الملائكة، ومنها القرآن الكريم، ومنها التوراة، فيشمل

وعلى ذلك فالقول بجميع الأقوال ما دام أنَّها محتملة أولى من طرح بعضها.

يقول أبو حيَّان بعد عرضه لهذه الأقوال :«ولا ينبغي أن يحمل شيء منها على التعيين، إنَّما تورد على الاحتمال»[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ اللفظ في الآية إذا احتمل عدة معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجميع صح الحمل عليها [2].

عدة كتب، وإذا قلنا إن الرَّقّ هو الورق وشبهه مما يكتب فيه عادة، فاللوح المحفوظ لا يدخل في هذا، وإنما المراد به إما التوراة، وإما القرآن».

[1] البحر المحيط (١٤٣/٨).

[2] ينظر: جامع البيان (٣١٥/١)، وأضواء البيان (٤٥٧/٢)، والتحرير والتنوير (٩٨/١)، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله - ﷻ - ص٥٩- ٥٦٧، وقواعد التفسير لخالد السبت (٨٠٧/٢).

١٩٧- المراد باللَّمم

في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[النجم:٣٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ اختلفوا فيه على قولين: أحدهما: أنَّ اللَّمَمَ صغار الذنوب، مثل النظرة والغمزة والقبلة...القول الثاني: أنَّه الذنب يُلمّ به الرجل ثم يتوب...عَنْ عَطَاء عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: يُلِمُّ بالذنب مرة ثم يتوب منه ولا يعود. قال: وكان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول:

إنْ تَغْفِر اللَّهمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأَيُّ عَبْدٍ لك لا أَلَمَّا[١].

ومعنى اللَّمَم على هذا القول ما تِيبَ منه وإن عظم وكبر...وقال قوم: اللَّمَمُ على القول الثاني من جنس الفواحش والاستثناء وقع من الجنس، ومعنى الآية: إلا أن يُلِمّ بالفاحشة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي، واسم اللَّمَم يدل على التوبة والانتهاء؛ لأنَّه إنَّما يسمى لَمَمًا إذا لم يُمْعِن فيه، **والصحيح هو الأول**؛ لأنَّ هذا يؤدي إلى إباحة اللَّمَم»[٢].

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم، رقم الحديث (٣٢٨٤)، (٣٩٦/٥)، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق. وأخرجه البزار في مسنده، مسند ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، (٢٠٦/١١)، وقال عنه: هذا الحديث لا نعلم أحدا أسنده غير زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، ولا نعلمه يروى عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من وجه متصل إلا من هذا الوجه. وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٥/٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٩/٣).

والبيت من الرجز، وهو لأميّة بن أبي الصّلت، قال البغدادي في خزانة الأدب (٢٩٥/٢): "زعم العيني أنَّه لأبي خِرَاش الهُذلِيّ...وهذا خطأ فإن هذا البيت مفرد لا قرين له، وليس هو لأبي خِرَاش، وإنما هو لأميّة بن أبي الصّلت قاله عند موته، وقد أخذه أبو خراش وضمه إلى بيت آخر، وكان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة".

لا أَلَمَّا: لم يُلمّ بذنب. ينظر: العين (٣٢١/٨)، وتهذيب اللغة (٢٥٠/١٥)، باب اللّام والميم، (لم).

[٢] البسيط (٥٥/٢١).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد باللَّمَم في الآية:

القول الأول: أنَّ اللَّمَمَ صغار الذنوب، مثل النظرة والغمزة والقبلة، فهي دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإنَّ ذلك معفوّ عنه، وعلى هذا القول فالاستثناء في قوله: ﴿**إِلَّا ٱللَّمَمَ**﴾ منقطع، لأنَّ اللَّمَمَ الصغائر فلا تدخل تحت ما قبلها، وهو قول ابن مَسْعُودٍ[1]، وأبي هُرَيْرَةَ[2]، وابن عَبَّاس في رواية طَاوُوْس[3]، ومَسْرُوق، والشَّعبيّ[4]. واختاره الوَاحِدِيّ[5]، والفَرَّاء، وأبو عُبَيْدَةَ، والطَّبَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن القَيِّم، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[6]، وهو قول جمهور المفسرين[7].

واحتجوا بحديث ابن عَبَّاس -رضي الله عنه- في الصحيحين قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَى أَدْرَكَ

---

[1] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٢٥٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٥٣٤).

[2] أخرجه مُسَدَّدٌ كما في المطالب العالية (٢٨٣/١٥)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٥٣٤).

[3] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٢٥٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٥٣٤).

[4] أخرجه عنهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٤/٢٢)، وذكره عنهما ابن كَثِيْر في تفسيره (٤٦٠/٧).

[5] ينظر: البسيط (٦٠/٢١)، وذكر القولين الأول والثاني في الوسيط (٢٠١/٤) دون ترجيح لأحدهما، واقتصر عليه في الوجيز (١٠٤١/٢).

[6] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٠٠/٣)، ومجاز القرآن (٢٣٧/٢)، وجامع البيان (٢٢/ ٥٣٨)، وأنوار التنزيل (٢٥٨/٥)، ومدارك التنزيل (٣٩٤/٣)، ومدارج السالكين (١/ ٣١٧)، وإرشاد العقل السليم (٨/ ١٦٢)، ومحاسن التأويل (٧٩/٩)، وأضواء البيان (٧٦/٧)، والتحرير والتنوير (١٢٤/٢٧)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (الحجرات – الحديد) ص ٢٣٣.

[7] حكاه ابن القَيِّم في مدارج السالكين (٣١٧/١)، والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٤/ ٢٢٨)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٥/ ١٥٩)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٢٧/ ٦٢).

ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَى الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَى اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ» [1][2].

القول الثاني: أنَّها كبائر الذنوب، التي يفعلها العبد المرة الواحدة ثم يتوب منها ولا يعود لها، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء[3]، ومُجَاهِد[4]، والحَسَن[5].

القول الثالث: ما ألمُّوا به من الشرك والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإنَّ الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به، وهو قول زَيْد بن ثَابِت، وابن عَبَّاس في رواية عَلِيّ بن أبي طَلْحَة، وزَيْد بن أَسْلَم، وابنه زَيْد[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الراجح من الأقوال القول الأول، وهو أنَّ المراد باللَّمَم في الآية صغار الذنوب، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. حديث ابن عَبَّاس –رضي الله عنه– السابق المتفق عليه في رواية طَاوُوْس، وهي أصح الروايات عنه فيما ذُكر من الأقوال المتقدمة لورودها في الصحيحين.

٢. النظير القرآني؛ فقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، دلَّ على أن اجتناب الكبائر

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، رقم الحديث (٥٨٨٩)، (٢٣٠٤/٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم الحديث (٦٩٢٤)، (٥٢/٨).

[2] ينظر: بحر العلوم (٣٤٤/٣)، والبسيط (٥٥/٢١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٦٠/٧)، وأضواء البيان (٧٦/٧).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٦/٢٢)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٤٦١/٧).

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٥٣٥/٢٢)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٠٠/٥).

[5] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٢٥٦)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٥٣٦).

[6] أخرج آثارهم الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/ ٥٣٢)، وذكره عنهم أبو حيَّان في البحر المحيط (٨/ ١٦٢).

سبب لغفران الصغائر، وخير ما يفسر به القرآن بالقرآن[١].

قال الطَّبَرِيّ:« وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإنَّ ذلك معفوّ لهم عنه، وذلك عندي نظير قوله - جلّ ثناؤه -: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ فوعد - جلّ ثناؤه- باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللَّمَم الذي قال عنه النبي -ﷺ- :« الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ»[٢]، وذلك أنَّه لا حدَّ فيما دون ولوج الفرج في الفرج، وذلك هو العفو من الله في الدنيا عن عقوبة العبد عليه، والله - جلّ ثناؤه - أكرم من أن يعود فيما قد عفا عنه»[٣].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[٤].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٥].

---

[١] ينظر: محاسن التأويل (٧٩/٩)، وأضواء البيان (٧٥/٧).

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة - رضي الله عنه -، رقم الحديث (٨٥٣٩)، (٢١٨/١٤)، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، رقم الحديث (٦٤٢٥)، (٣٠٩/١١).

[٣] جامع البيان (٥٣٨/٢٢).

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

١٩٨- المراد بالدُّسُر

في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال أبو إِسْحَاق[١]: الدُّسُر: المسَامِير، والشُرُط[٢] التي تُشَدّ بها الألواح، وكل شيء كان نحو السَّمْرُ وإدخال شيء في شيء بقوة وشدة فهو الدُّسُر، يقال: دَسّرْت المسمار في الخشبة أدْسُرُه وأدسِرُه دَسْرًا، والدُّسُرُ واحدها دِسَار، نحو حِمَار وحُمُر[٣]. قال ابن عَبَّاس[٤]، ومُقَاتِل[٥]، والكَلْبِيّ[٦]، وجماعة المفسرين: يعني المسَامِير والشُرُوط، وكل ما شدت به السفينة. وذُكِر في الدُّسُر قولان آخران:

أحدهما: أنَّ الدُّسُر هو دفعها الماء بكَلْكَلها[٧]...والثاني: أنَّ الدُّسُر هو صدرها الذي ترفع به الماء وتَدْسُرُ، وهو جُؤْجُؤُها[٨]... **والقول هو الأول**»[٩].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالدُّسُر في الآية:

---

[١] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٢] الشُّرط: جمع شريطة، والشَّرِيطةُ: شِبْه خُيوطٍ تُفْتل من الخُوص واللِّيفِ، وقِيل: هُوَ الحَبْلُ مَا كانَ، سُمِّيَ بذلك لأنَّه يُشْرَطُ خُوصُه، أَي يُشَقُّ، ثمَّ يُفْتَلُ. ينظر: العين (٦/ ٢٣٤)، ولسان العرب (٧/ ٣٢٩)، مادة (شرط).

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/٨٧).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٧٩)، وورد في صحيفة عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة ص٤٧٣.

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٢٩٧).

[٦] لم أجد من نسب هذا القول للكَلْبِيّ سوى الوَاحِدِيّ.

[٧] الكَلْكَل: الصَّدْر من كُلِّ شَيْء. ينظر: جمهرة اللغة (١/٢٢٢)، وتهذيب اللغة (٩/٣٣٣)، مادة (كلكل).

[٨] الجُؤْجُؤ: صَدْرُ السَّفينة، والجمع الجآجِئ.

ينظر: تهذيب اللغة (١١/١٦١)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٢/٤١)، مادة (جأجأ).

[٩] البسيط (٢١/٩٩).

القول الأول: المسَامِير والشُرُط التي تُشَدُّ بها الألواح، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة، ومُقَاتِل -كما سبق-، والْقُرَظِيّ[1]، وقَتَادَة[2]، وابن زَيْد[3]. واختاره الوَاحِدِيّ[4]، والفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[5]، وهو قول جمهور المفسرين[6].

القول الثاني: صَدْر السفينة؛ لأنَّه يدفع الماء ويدْسُرُه، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية العَوْفِيّ عنه[7]، والحَسَن البَصْرِيّ[8].

القول الثالث: عَوارِض السفينة، أي: الخشبات التي تعرض في وسطها، وهو قول مُجَاهِد في رواية[9].

القول الرابع: أضلاع السفينة، وهو قول مُجَاهِد في رواية[10].

القول الخامس: طرفاها وأصلها، وهو قول الضَّحَّاك[11].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٧٩)، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٣٣).

[2] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٢٥٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٧٩).

[3] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٧٩)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٤١٢).

[4] ينظر: البسيط (٢١/١٠٠)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٢٠٩)، والوجيز (٢/ ١٠٤٧).

[5] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/١٠٦)، وجامع البيان (٢٢/٥٧٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/٨٧)، ومفاتيح الغيب (٢٩/٣٥)، ومدارك التنزيل (٣/٤٠٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣٢٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٢٥، والتحرير والتنوير (٢٧/١٧٧).

[6] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/١٩٥)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٨/١٧٦) والثَّعَالِبِيّ في الجواهر الحسان (٤/٢٣٥)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٢٧/٨٢)، والشَّنْقِيطِيّ في أضواء البيان (٧/٤٧٨).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٨٠)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٧/٤٧٧).

[8] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٢٥٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٨٠).

[9] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٨٠)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٤١٢)، من طريق سفيان عن الحصين.

[10] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٦٣٦)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٨٠)، من طريق ابن أبي نجيح عنه.

[11] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٢/٥٨٠)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥/٤١٢).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ المراد بالدُّسُر هو ما تُشَدُّ به الألواح من المسَامِير وغيرها، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّه الظاهر المتبادر إلى الذهن حين ترد لفظة (السفينة) وتذكر معها الألواح المصنوعة منها فيرتبط بها وجود ما يَشُدّها من مَسَامِير وخيوط وغيرها، فالله – ﷻ – ذكر في هذه الآية مادة صنع السفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسُرٍ﴾ وأنَّها من الأخشاب والمسَامِير، أو الروابط التي تربط بين تلك الأخشاب؛ ليكون ذلك تعليماً للبشر أن يصنعوا السفن على هذا النحو.

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[١].

❁ ❁ ❁ ❁

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

١٩٩- المراد بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ قال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد أنَّ قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر[١]. وقال الكَلبِيّ عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا واحدة كطرف البصر[٢]...وعلى هذا يختص الكلام بأمر الساعة...**والأحسن** في معنى الآية أنَّ هذا عام في كل ما يخلقه الله -تعالى- ويريد تكوينه»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد العموم في كل ما يخلقه الله -تعالى- ويريد تكوينه، أي: إنَّما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلاً موجوداً كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عَطَاء -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤].

القول الثاني: أنَّه خاص بالساعة، أي: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية الكَلبِيّ -كما سبق-.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٣٦/٧)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٠٢/٨).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٣٦/٧)، وابن عَادِل في اللباب (٢٨٤/١٨).

[٣] البسيط (٢١/ ١٢٦).

[٤] ينظر: البسيط (١٢٦/٢١)، وذكر القولين في الوسيط (٢١٦/٤) دون ترجيح لأحدهما، واقتصر عليه في الوجيز (١٠٥١/٢).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأحسن والأولى حمل الآية على العموم في كل شيء يريد الله – ﷻ – تكوينه وإيجاده، فيشمل الساعة وغيرها، وقد دلَّ على ذلك قوله – تعالى –: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، ومثله قوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، وخص الله – سبحانه – الساعة التي هي من جملة أمره بقوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ [النحل:٧٧]. فسبحان من لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض.

يقول الطَّبَرِيّ عند تفسيره لهذه الآية:« وما أمرنا للشيء إذا أمرناه وأردنا أن نكوّنه إلا قولة واحدة: كُنْ فيكون، لا مراجعة فيها ولا مرادّة كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ، يقول جلّ ثناؤه: فيوجد ما أمرناه، وقلنا له: كُنْ كسرعة اللمح بالبصر لا يُبطئ ولا يتأخر»[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[2].

[1] جامع البيان (٢٢/ ٦٠٧).

[2] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

٢٠٠- المراد بالنَّهر

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾[القمر:٥٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« أكثر أهل التفسير والمعاني على أنَّه أراد (وأنهار)، يعني: أنهار الجنَّة من الماء والخمر واللبن والعسل، وَوُحِّدَ؛ لأنَّه قابل الفواصل فصار كقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[القمر:٤٥]، والواحد قد يُنْبِئُ عن الجميع...وذكر قوم أنَّ معنى (نَهَر) ضياء وسَعَة، قالوا: ومنه النَّهار لضيائه، وأَنْهَرْتُ الْجُرْحَ وسَّعْتُه، وهو قول الضَّحَّاك[١]، وذكره الفَرَّاء[٢]، وابن قُتَيْبَة[٣]، **والقول هو الأول**»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالنَّهر في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد أنهار الجنَّة من الماء والخمر واللبن والعسل، وَوُحِّدَ النَّهر في اللفظ، ومعناه الجمع؛ لرعاية الفواصل، وهو قول ابن جُرَيْجٍ[٥]. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، وأبو عُبَيْدَةَ، والزَّجَّاج، والسَّمَرْقَنْدِيّ، وابن جُزَي، والسُّيوطِيّ، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[٧].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٣٧/٧)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/ ١٠٤).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١١١/٣).

[٣] ينظر: غريب القرآن ص ٤٣٥.

[٤] البسيط (٢١/ ١٢٧).

[٥] لم أجده مسنداً، وذكره عنه المَاوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٢٠/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/١٧).

[٦] ينظر: البسيط (١٢٨/٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢١٦/٤)، وذكر القولين في الوجيز (٢/ ١٠٥١) دون ترجيح.

[٧] ينظر: مجاز القرآن (٢٤١/٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٩٣/٥)، وبحر العلوم (٣٥٦/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٢٦/٢)، ومعترك الأقران (٢٩/١)، وإرشاد العقل السليم (١٧٥/٨)، ومحاسن التأويل (٩٨/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٢٨، وأضواء البيان (٤٨٦/٧)، والتحرير والتنوير (٢١٢/٢٧).

واستُدل لهذا القول بنظائر هذه الآية، فعادة القرآن الجمع بين الأنْهار والجنَّات[1].

القول الثاني: أنَّ المراد الضياء والسَعَة، وهو قول الضَّحَّاك -كما سبق-.

واستبعده أبو حيَّان بقوله: «وقيل: نَهَر جمع نَهار، ولا ليل في الجنَّة، وهو بعيد»[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر والأنسب للسياق القرآني أنَّ المراد بالنَّهر في الآية الأنْهار، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. النظائر القرآنية؛ فقد أوضح تعالى ذلك في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[محمد:١٥]، وقوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٨].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[3].

فكثرة مجيء الأنهار مع الجنَّات هي عادة القرآن في الربط بينهما في كثيرٍ من الآيات.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ حمل معاني كلام الله -على الغالب - من أسلوب القرآن، ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك[4].

---

[1] ينظر: أضواء البيان (٤٨٦/٧)، والتحرير والتنوير (٢١٢/٢٧).

[2] البحر المحيط (٨/ ١٨٢).

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[4] ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٩٦)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣٠/٢)، والتبيان في أقسام القرآن ص١٠٣، ومحاسن التأويل (٣٩٦/٨)، وأضواء البيان (٥/ ٥١٦)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٥٣/١).

٢. أنَّ هذا المعنى هو المتبادر للذهن؛ لأنَّ الأشهر في اللغة أنَّ النَّهر بمعنى جمع الأنهار، لا بمعنى الضياء والسعة.

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله -تعالى- على المعروف المشهور من كلام العرب دون القليل والشاذ[١].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

[١] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢٠١- المراد بقوله: ﴿بِحُسۡبَانٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال جماعة المفسرين: يجريان بحساب ومنازل لا يَعْدُوانِها، والمعنى فيه أنَّهما يدلان على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات...وروى السُّدِّي عن أبي مَالِك في هذه الآية قال: لهما حساب وأجل كأجل الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا[١]، وعلى هذا معنى الحساب حساب أيام جريهما إلى الانقضاء، **والقول هو الأول**»[٢].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿بِحُسۡبَانٍ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّهما يجريان بحساب ومنازل لا يَعْدُوانِها، والمعنى فيه أنَّهما يدلان على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات، وهو قول ابن عَبَّاس[٣]، وقَتَادَة[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ[٦].

القول الثاني: أنَّ لهما حساباً وأجلاً كأجل الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا، وعلى هذا معنى الحساب حساب أيام جريهما إلى الانقضاء، وهو قول السُّدِّي -كما سبق-.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٧٧/٩)، والماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤٣٨/٨)، والسَّمْعَانِيّ في تفسيره (٣٢٣/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٥٣/١٧).

[٢] البسيط (١٣٥/٢١).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٢٢)، والحَاكم في مستدركه (٢/ ٥١٥).

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٢٦٢/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٩/٢٢).

[٥] ينظر: البسيط (١٣٥/٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢١٧/٤)، والوجيز (٢/ ١٠٥٢).

[٦] ينظر: جامع البيان (١٠/٢٢).

القول الثالث: أنَّهما يجريان بقدر، وهو قول الضَّحَّاك[1].

القول الرابع: أنَّهما يدوران في مثل قطب الرَّحى، وهو قول مُجَاهِد[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأقوال السابقة ترجع إلى معنى القول الأول، فالشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب وعددٍ مُقَنَّن لا يختلف ولا يضطرب لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها؛ فكونهما يجريان إلى الانقضاء ويحسب بهما الدهر فهذا أثر من آثار دورانهما.

أمَّا قول مُجَاهِد فهو يشير إلى أنَّ الشمس والقمر يدوران فعاد إلى معنى القول الأول، وإنْ لم يكن من باب التفسير المطابق، فالأقوال السابقة ليس بينها تضاد؛ وإنَّما اختلاف عبارة، وإن كان القول الأول أوضح وأصرح في التفسير.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ ﴾ [يونس:٥]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [الإسراء:١٢]، وقال: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام: ٩٦].

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠/٢٢)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٤٢/٧).

[2] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/ ٦٣٩)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (١٠/٢٢).

٢٠٢- المراد بالبرزخ

في قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ أي: حاجز من قدرة الله -تعالى-، فلا يبغي الملح على العذب فيفسده، ولا يبغي العذب على الملح فيختلط به، والمعنى لا يطلبان أن يخرجا مما حدَّ لهما، هذا قول مُقَاتِل[١]، وأكثر المفسرين. وقال الحَسَن[٢]، وقَتَادَة[٣]: (برزخ) يعني الأرض التي بينهما وهي الحاجز. ﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يَطِمَّان على الناس بالغرق، **والقول هو الأول**؛ لقوله -تعالى- في سورة الفرقان: ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣]»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالبرزخ في الآية:

القول الأول: أنَّه حاجز من قدرة الله -تعالى-، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والزَّجَّاج، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو حيَّان، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، والخطيب الشِّرْبِينِيّ، والقَاسِمِيّ[٦]، وهو قول أكثر المفسِّرين[٧].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٣٠٥).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٢٦٣)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٨/٤٣٨).

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/٢٦٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣/٣١).

[٤] البسيط (٢١/١٥٤).

[٥] ينظر: البسيط (٢١/١٥٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٢٢٠)، والوجيز (٢/ ١٠٥٤).

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/١٠٠)، والكشاف (٤/ ٤٤٥)، وتذكرة الأريب ص٣٨٣، ومدارك التنزيل (٣/٤١٢)، والبحر المحيط (٨/١٨٩)، وتفسير الجلالين ص ٧٠٩، والسراج المنير (٤/ ١٠٩)، ومحاسن التأويل (٩/ ١٠٤).

[٧] حكاه الوَاحِدِيّ في البسيط (٢١/١٥٤)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٦/٩٦).

القول الثاني: أنَّه حاجز من الأرض، وهو قول الحَسَن، وقَتَادَة -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الأظهر والأقرب، وهو أنَّ المراد بالبرزخ في الآية حاجز من قدرته تعالى، تحجز بين الماءين الحلو والمالح، فلا يختلط هذا بهذا، بل يستمر العذب عذباً، والمالح مالحاً، كما تحجز بين البحرين المالحين فيحتفظ كل منهما بخصائصه[1]، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ في سياق الآية قرينة تشهد لهذا القول، وهو قوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ فالآية أوضحت أنَّ المقصود أنَّ الماء حين يكون مجاوراً للماء تكون بينهما منطقة البرزخ أو هذا الحاجز، وإذا كان بينهما البرزخ من الأرض فليس هذا التقاءً، ولا تظهر بذلك آية؛ وإنما الآية العظمى في أن يلتقيا بالفعل دون أن يبغي أحدهما على الآخر ويضمحل فيه.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[2].

٢. ثبت بالمشاهدة والتجارب العلمية التقاء الماء المالح بالعذب دون أن يختلط أحدهما بالآخر. قال بعض أهل العلم: إنَّه يوجد الآن في عمق البحار عيون عذبة تنبع من الأرض، حتى إنَّ الغواصين يغوصون إليها، ويشربون منها كأعذب ماء، ومع ذلك لا تفسدها مياه البحار[3].

---

[1] وهذه الحقيقة تتضح في لقاء البحر الأحمر ببحر العرب الذي هو جزء من المحيط الهندي، ذلك أن مياه البحر الأحمر أشد ملوحة، وأكثر حرارة من تلك التي في بحر العرب، فلا يمتزج ماؤهما عند اللقاء، وإنما يجلف ماء البحر الأحمر- لطبيعته السالف ذكرها- إلى أسفل مياه بحر العرب، كما قرر العلماء المختصون بعلوم البحار.
والظاهرة نفسها تتكرر عند لقاء مياه البحر الأبيض المتوسط عند خليج جبل طارق بمياه المحيط الأطلنطي الكبير. ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٨٥٤).

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[3] تفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن (سورة الرحمن) ص٣٠٩، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم لعبد السلام اللوح ص٢١٤.

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[١].

[١] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٢٠٣- المراد بالواقعة

في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس: إذا قامت القيامة[١]. وقال أبو عُبَيْدَةَ، والأَخْفَش: اسم للقيامة كالآزفة وغيرها[٢]، وهذا هو **الصحيح**؛ لأنَّ المعنى أنَّها ستقع، وأمَّا ما قال مُقَاتِل في تفسير الواقعة: أنَّها الصيحة، وهي النفخة الأخيرة[٣] فبعيد؛ لأنَّ الله -تعالى- وصفها بعد بقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة:٣]، وهي من صفة القيامة لا من صفة الصيحة»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالواقعة في الآية:

القول الأول: أنَّها اسم للقيامة، كالآزفة وغيرها، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، وأبو عُبَيْدَةَ، والزَّجَّاج، والزَّمَخْشَرِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن كَثِيْر، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عُثَيْمِيْن[٦]، وهو قول أكثر المفسرين[٧].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨٧/٢٣) عن طريق عَلِيّ بن أبي طَلْحَة، وأخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١٣٦/٧) عن طريق عِكْرِمَة.

[٢] ينظر: مجاز القرآن لأبي عُبَيْدَةَ (٢٤٧/٣). ولم أجده في معاني القرآن للأَخْفَش.

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٩٣).

[٤] البسيط (٢١٠/٢١).

[٥] ينظر: البسيط (٢١٠/٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٢٣١)، والوجيز (٢/ ١٠٥٨).

[٦] ينظر: مجاز القرآن (٢٤٧/٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٠٧/٥)، والكشاف (٤٥٤/٤)، وأنوار التنزيل (٢٨٣/٥)، ومدارك التنزيل (٤١٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥١٣/٧)، وتفسير الجلالين ص٧١٣، وإرشاد العقل السليم (١٨٨/٨)، ومحاسن التأويل (١١٩/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٢، وأضواء البيان (٥٠٨/٧)، وتفسير الحجرات - الحديد لابن عُثَيْمِيْن ص ٣٢٧.

[٧] حكاه السَّمْعَانِيّ في تفسيره (٣٤١/٥).

القول الثاني: أنَّها الصيحة، وهي النفخة الأخيرة، وهو قول الضَّحَّاك[1]، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الخطيب الشِّرْبِينِيّ[2].

القول الثالث: أنَّها صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة.

وردَّه الآلُوْسِيّ بقوله:«الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة، وليس بشيء»[3].

وَضَعَّفَهُ ابن جُزَي، واسْتَبْعَدَهُ الوَاحِدِيّ، والسُّيوطِيّ[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ التعبير عن الواقعة بأنَّها الصيحة أو أنَّها اسم من أسماء يوم القيامة، ليس من باب اختلاف التضاد؛ لأن هذين الأمرين متلازمان، فلا تقوم القيامة إلا بالصيحة، فإذا جاءت الصيحة قامت القيامة، وقد جاء بيان ذلك في آية الحاقة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٣-١٦].

لذا اعتبرها ابن الجَوْزِيّ قولاً واحداً فقال :«والواقعة: القيامة، وكل آت يتوقع يقال له إذا كان قد وقع، والمراد بها ها هنا النفخة في الصور لقيام الساعة»[5].

أمَّا القول بأنَّ الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة فقد ردَّه وضعفه جمعٌ من المفسرين.

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٨٧/٢٣)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٢١٦/٥).

[2] ينظر: السراج المنير (٤/ ١٢١).

[3] روح المعاني (٢٧/ ١٢٩).

[4] ينظر: البسيط (٢١٠/٢١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٠٥)، ومعترك الأقران (٣/ ٣٥١).

[5] زاد المسير (١٣٠/٨).

٢٠٤- المراد بالولدان

في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:١٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« المراد بالولدان: الغلمان، وهم وإن لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم هذا الاسم؛ لأنَّ العرب تسمي الغلمان ولدانًا، وبعضهم احترز فجعل الولدان هاهنا ولدان المسلمين الذين يموتون ولا حسنة لهم ولا سيئة، وهذا القول يُروى عن عَلِيّ والحسن، قالا: لأنَّ الجنَّة لا ولادة فيها[١]. **والقول هو الأول**»[٢].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالولدان في الآية:

القول الأول: أنَّ هؤلاء الولدان أنشأهم الله لأهل الجنَّة، يطوفون عليهم كما شاء، من غير ولادة. اختاره الوَاحِدِيّ[٣]، وابن تَيْمِيَّة، والخَازِن، وابن القَيِّم، والسّعْدِيّ[٤].

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنهما القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٠٣/١٧)، وابن القَيِّم في حادي الأرواح ص١٤٧. وقد ذهب بعض العلماء إلى أن العبد إذا تمنى في الجنة أن يكون له ولد، فإن الله يحقق أمنيته بذلك، واستدلوا على ذلك بما رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء لأدنى أهل الجنة من الكرامة، رقم الحديث (٢٥٦٣)، (٦٩٥/٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«المُؤْمِنُ إِذَا اشتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ، كَمَا يَشْتَهِي»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٦٦٤٧)، (١١٢٩/٢). ومسألة هل في الجنة حمل وولادة أم لا؟ فصَّل فيها ابن القيم في حادي الأرواح ص١٦٦.

[٢] البسيط (٢٢٢/٢١).

[٣] ينظر: البسيط (٢٢٣/٢١)، ولم يذكر المسألة في الوسيط (٤/ ٢٣٣)، والوجيز (٢/ ١٠٥٩).

[٤] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣١١/٤)، ولباب التأويل (١٦/٧)، وحادي الأرواح ص١٤٨، وتيسير الكريم الرحمن ص٩٠١.

القول الثاني: أنَّهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة، وهو قول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب، والحَسَن البَصْرِيّ -كما سبق-.

وضعفه الرَّازِيّ، والخَازِن بأنَّ الله -تعالى- قد أخبر أنَّه يلحقهم بآبائهم؛ ولأنَّ من المؤمنين من لا ولد له، فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبي الخادم[1].

القول الثالث: أنَّهم أطفال الكفار يكونون خدم أهل الجنَّة، وهو قول سَلْمَان الفَارِسِيّ[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الأول أصوب من القولين الآخرين، وهو أنَّ الولدان المخلدون قد أنشأهم الله -سبحانه - في الجنَّة لخدمة أهلها، كما أنشأ الحور العين، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. أنَّ الله - ﷻ - قال في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾[الطور:٢١]، فأخبر سبحانه أنَّه يلحقهم بآبائهم، كما أنَّ من تمام كرامة الله -تعالى- لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم، ولا يجعلهم غلماناً لهم[3].

وقد سئل ابن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن الولدان: هل هم ولدان أهل الجنَّة؟ فأجاب: «الولدان الذين يطوفون على أهل الجنَّة خلق من خلق الجنَّة؛ ليسوا بأبناء أهل الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنَّة يكمل خلقهم كأهل الجنَّة؛ على صورة آدم أبناء ثلاث وثلاثين سنة، في طول ستين ذراعا» [4].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب (١٣١/٢٩)، ولباب التأويل (١٦/٧).

[2] أخرجه البَيْهَقِيّ في القضاء والقدر ص ٣٥٥، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٠٣/١٧).

[3] ينظر: حادي الأرواح ص١٤٨.

[4] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٣١١/٤).

٢. أنَّ النبي -ﷺ- سئل عمَّن يموت وهو صغيرٌ من أولاد المشركين، فقَالَ:«اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ »[١]. فجوابه -ﷺ- يدفع ما ذُكر في القول الثالث عن أولاد الكفار.

٣. أنَّه قد ثبت في الصحيحين أنَّ الجنَّة يبقى فيها فضل عن أهل الدنيا، فينشئ الله لها خلقاً آخر[٢] فيسْكِنهم الجنَّة. فإذا كان يسْكِن من ينشئه من الجنَّة من غير ولد آدم في فُضُولِ الجنَّة، فكيف بمن دخلها من ولد آدم وأسْكِنَ في غير فُضُولِها؟ فليسوا أحق بأنَّ يكونوا من أهل الجنَّة؛ ممن يَنْشَأُ بعد ذلك ويسْكُن فُضُولَها [٣].

❁ ❁ ❁ ❁

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم الحديث (٦٢٢٦)، (٦/٢٤٣٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم الحديث (٦٩٣١)، (٨/ ٥٣).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة ق، رقم الحديث (٤٥٦٩)، (٤/١٨٣٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث (٧٣٥٤)، (٨/ ١٥١). والحديث جاء فيه: « وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ - ﷻ - يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

[٣] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٤/٢٧٩).

٢٠٥- المراد بالسَّلام

في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾[الواقعة:٢٥-٢٦]

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«قال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد: يُحَيِّي بعضهم بعضًا بالسَّلام[١]، وزاد الكَلبِيّ عنه: وتُحَيِّيهِمُ الملائكة بالسَّلام ويرسل إليهم ربهم بالسَّلام[٢]. وقال مُقَاتِل: يعني كثرة السلام من الملائكة[٣]. فالمفسرون جعلوا السَّلام هاهنا بمعنى التحية. **والوجه ما قال الزَّجاج** من أن المراد بالسَّلام أن قولهم يسلم من اللغو[٤]؛ ويدل على ذلك أن مسموع أهل الجنة لا يكون مقصورًا على التحية فقط، بل يسمعون غيرها مما لا لغو فيه ولا تأثيم»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالسَّلام في الآية:

القول الأول: أنَّ السَّلام بمعنى التحية، وهو قول ابن عَبَّاس، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره السَّمْعَانِيّ، وأبو السُّعُود[٦].

القول الثاني: أن السَّلام هنا بمعنى الكلام الطيب المشتمل على التحية ونحوها، فهم لا يسمعون كلاماً لا فائدة منه، ولا كلاماً يأثم به الإنسان، فمجالسهم منزهة عن جميع الآفات التي ذكرت.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٠٦/١٧).

[٢] لم أجد من نسب هذه الزيادة لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ، وهو موجود في التفاسير دون نسبة.

[٣] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣١٣).

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٢).

[٥] البسيط (٢١/ ٢٢٧).

[٦] ينظر: تفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٥/ ٣٤٧)، وإرشاد العقل السليم (٨/ ١٩٢).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، وابن كَثِيْر، وابن القَيِّم، والسّعْدِيّ، وابن عُثَيْمِيْن[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الآية تشمل المعنيين، فالله – ﷻ – قد أخبر في كتابه أنَّ أهل الجنَّة يُحَيِّي بعضهم بعضًا بالسَّلام، كقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم:٢٣]، وتسلم عليهم الملائكة: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣- ٢٤]، ويسلم عليهم ربهم ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، كما أخبر – ﷻ – أنَّهم يتبادلون الأحاديث في الجنَّة، ويتساءلون عن أحوالهم التي كانت في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٥- ٢٨].

فهذا القول هو الذي يجمع بين الآيات السابقة؛ لأنَّه جعل السَّلام في الآية بمعنى: أنَّ قولهم يسلم من اللغو فلا يقولون إلا خيراً، كما أنَّ مسموعهم لا يكون مقصوراً على التحية فقط، بل يسمعون غيرها من الكلام الذي لا لغو فيه ولا تأثيم.

[1] ينظر: البسيط (٢٢٧/٢١)، وذكر القولين في الوسيط (٤/ ٢٣٤) دون ترجيح، واقتصر عليه في الوجيز (١٠٦٠/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (١٠٨/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٥٢٥/٧)، وبدائع الفوائد (٥٧٦/٣)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٣٣، وتفسير الحجرات – الحديد لابن عُثَيْمِيْن ص٣٣٥.

٢٠٦- المراد بالبينات

في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [الحديد:٢٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ قال مُقَاتِل بن حَيَّان: البينات: الإخلاص لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة إلى ذلك دعت الرسل[١]. فالبيِّنات على قول ابن سُلَيْمَان الحجج[٢]، وعلى قول ابن حَيَّان الأحكام في العبادة، **والأول الوجه**[٣]؛ لقوله: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ والكتاب يتضمن الأحكام»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالبيِّنات في الآية:

القول الأول: أنَّها الآيات والحجج والبراهين القاطعة على صحة ما يدعون إليه، وهو قول مُقَاتِل بن سُلَيْمَان -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والرَّازِيّ[٦].

القول الثاني: أنَّها الأحكام في العبادة، وهو قول مُقَاتِل بن حَيَّان -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الأولى بالصواب؛ فهو أعم وأشمل، ويدخل فيه القول الثاني، ويُؤَيِّده:

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٢٠٩/٢٩)، وذكره دون نسبة القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠/١٧).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٢٦).

[٣] يظهر من قول المؤلف "والأول الوجه" سقط في العبارة، قبل قوله: (قال: مُقَاتِل بن حَيَّان). ولعل العبارة كما في تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٢٦)، هكذا: (قال مُقَاتِل بن سُلَيْمَان: البينات: يعني الآيات).

[٤] البسيط (٣٠٩/٢١).

[٥] ينظر: البسيط (٣٠٩/٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٢٥٣)، والوجيز (٢/ ١٠٧١).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٩/ ٢٠٩).

١. السياق القرآني، فقوله تعالى لحاقاً: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ دلالة على أنَّ الكتاب أخص من البيِّنات، فالكتاب هنا اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله - ﷻ - على رسله لهداية الخلق وإرشادهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم[١]، فهي تتضمن الأحكام وشرائع الدين، أمَّا البيِّنات فهي تعمّ جميع الحجج والبراهين القاطعة على صحة ما يدعون إليه من الكتب وغيرها.

ومن القواعد الترجيحية التي تقَوِّي هذا القول:

- أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].
- إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[٣]؛ لإفادته معنى جديد لم يسبق إليه الكلام.

٢. أنَّ هذا القول هو الذي جرت عليه عبارات أكثر المفسرين، واقتصروا على ذكره[٤]، مما يشعر بضعف القول الثاني والرغبة عنه.

---

[١] ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٢.

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٣] ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢١٩، وأحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (١٩٣/١)، والإحكام للآمدي (٢٧٦/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٠/٢).

[٤] ينظر: معالم التنزيل (٤١/٨)، والكشاف (٤٧٨/٤)، وأنوار التنزيل (٣٠٤/٥)، ومدارك التنزيل (٤٤١/٣)، ولباب التأويل (٣٧/٧)، والبحر المحيط (٢٢٥/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٧/٨)، وتفسير الجلالين ص ١٤٢، وإرشاد العقل السليم (٨/ ٢١٢)، وفتح القدير (٧/ ٢٥١)، وروح المعاني (١٨٨/٢٧)، ومحاسن التأويل (١٥٣/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٢.

٢٠٧- المخاطب بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المجادلة:٩].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«نهى المنافقين عن التناجي فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد آمنوا بزعمهم[١]، وقال مُقَاتِل: يعني المنافقين[٢]. وذكر بعض المفسرين أنَّ هذه الآية خطاب للمؤمنين، وأنَّهم نهوا أن يفعلوا كفعل المنافقين واليهود، وهو اختيار أبي إِسْحَاق[٣]، قال: يقول: ولا تكونوا كاليهود والمنافقين[٤]. **والأول الوجه**»[٥].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المخاطب بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ الخطاب للمنافقين، وسموا مؤمنين باعتبار ظاهر أحوالهم، وهذا القول نسبه الوَاحِدِيّ لابن عَبَّاس، وقال به عَطَاء[٦]، ومُقَاتِل – كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٧]، والخَازِن[٨].

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول لابن عَبَّاس سوى الوَاحِدِيّ في البسيط، ونسبه إلى عطاء في الوسيط.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٣٣٢).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/١٣٨).

[٥] البسيط (٢١/٣٤٤).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٨/٥٦)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/١٩٠).

[٧] ينظر: البسيط (٢١/٣٤٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٢٦٤)، ولم يذكره في الوجيز (٢/١٠٧٦).

[٨] ينظر: لباب التأويل (٧/٤٩).

القول الثاني: أنَّ الخطاب للمؤمنين.

واختاره الطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والثَّعْلَبِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، وأبو السُّعُوْد، والشَّوكَانيّ، والسّعْدِيّ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني هو الأنسب والأقرب لظاهر الآية، ويُؤَيِّده:

١. ظاهر الآيات؛ فالله -تعالى- لما ذكر ما يحصل من الذين نهوا عن النجوى من المنافقين واليهود في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة:٨]، أعقب ذلك بتنبيه المؤمنين بأن لا يقعوا في مثل ما وقع فيه هؤلاء فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ والقاعدة الترجيحية: أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه[2].

٢. أنَّ الغالب في استعمال القرآن نداء المؤمنين بلفظ (الذين آمنوا)، أمَّا المنافقين فالغالب أن يصرح بهم، كما في قوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾[آل عمران:١٦٧]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[التوبة:٧٣]، ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[الأحزاب:٦٠]، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾[الحشر:١١].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢٣/ ٢٤١)، ومعاني القرآن وإعرابه (١٣٨/٥)، والكشف والبيان (٢٥٨/٩)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٥/ ٣٨٧)، وأنوار التنزيل (٣١١/٥)، ومدارك التنزيل (٤٤٨/٣)، والبحر المحيط (٢٣٤/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٤/٨)، والجواهر الحسان (٢٧٧/٤)، وإرشاد العقل السليم (٨/ ٢١٩)، وفتح القدير (٢٦٤/٥)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٥.

[2] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٤٣/٧)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣٠٧/٥)، ومفاتيح الغيب (٨٣/٣٠)، وأضواء البيان (٢٦٠/٢) (٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

والقاعدة الترجيحية: أنَّ حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن، ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك[1].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[2].

[1] ينظر: جامع البيان (١٧/ ٢٩٦)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢/ ٣٠)، والتبيان في أقسام القرآن ص١٠٣، ومحاسن التأويل (٨/٣٩٦)، وأضواء البيان (٥/ ٥١٦)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٥٣).

[2] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٢٠٨- المراد بالاسم الموصول في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ يعني: التابعين، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة. ثم ذكر أنَّهم يدعون لأنفسهم بالمغفرة ولمن سبقهم بالإيمان بقوله: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ أي: غشًا وحسداً وبغضًا، فكل من لم يترحم على جميع أصحاب محمد -ﷺ- وكان في قلبه غل على أحد منهم فإنَّه ليس ممن عناه بهذه الآية[١]...وقال الكَلبِيّ: نزلت في المهاجرين[٢]. **والصحيح** ما عليه الناس؛ لقوله: ﴿ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ والأنصار لم يسبقوا المهاجرين بالإيمان»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالاسم الموصول في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾:

القول الأول: أنَّهم التابعون، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، وهو قول مُقَاتِل[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والبَغَوِيّ، والقُرْطُبِيّ، والخَازِن، وابن كَثِيْر،

---

[١] قال ابن كَثِيْر في تفسيره (٧٢/٨): استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسبّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في الآية.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه المَاوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥٠٧/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٣١/١٨).

[٣] البسيط (٣٨٣/٢١).

[٤] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٤١/٣).

[٥] ينظر: البسيط (٣٨٤/٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٧٥/٤)، والوجيز (١٠٨٣/٢).

والسّعْدِيّ[1]. وهو قول الجمهور[2].

القول الثاني: أنَّهم المهاجرون، الذين هاجروا من بعد المهاجرين الأوَّلين حين قَوِي الإسلام. وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الطَّبَرِيّ[3].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ الآية تشمل كل من جاء بعد المهاجرين والأنصار ممن أسلم، فيدخل فيه من هاجر من الصحابة - رضي الله عنهم - بعد ما قَوِي الإسلام وظهر، ومن تأخر إسلامهم في عصر النبوة ممن أسلم عام الفتح وبعد ذلك، ومن أسلم بعدهم عبر القرون من التابعين وأتباع التابعين، وكل من يولد على الإسلام من الأجيال المتعاقبة إلى قيام الساعة.

ونظير هذه الآية، آية براءة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟﴾[التوبة: ١٠٠].

قال سَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ[4]: « النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ، فَمَضَتْ مَنْزِلَتَانِ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ، فَأَحْسَنُ مَا أَنْتُمْ كَائِنُونَ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونُوا عَلَى الَّتِي بَقِيَتْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨]، هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ، وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

---

[1] ينظر: معالم التنزيل (٧٩/٨)، والجامع لأحكام القرآن (٣١/١٨)، ولباب التأويل (٦٤/٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٧٢/٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٥١.

[2] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/ ٢٦٢)، وأبو حيَّان البحر المحيط (٢٤٧/٨).

[3] ينظر: جامع البيان (٢٨٧/٢٣).

[4] سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ بنِ أُهَيْبٍ القُرَشِيُّ، أبو إسحاق، صحابي مشهور، أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتًا، روى عن النبي -ﷺ- كثيرًا، كان فارسًا شجاعًا، من أهل الشورى الستة، وعرف بإجابة الدعوة، توفي على الأشهر سنة ٥٦ هـ. ينظر: الاستيعاب (٦٠٦/٢)، والإصابة (٧٣/٣).

خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩]، قَالَ: وَهَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ، وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ قَدْ مَضَتْ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠]، قَدْ مَضَتْ هَاتَانِ، وَبَقِيَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ، فَأَحْسَنُ مَا أَنْتُمْ كَائِنُونَ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونُوا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي قَدْ بَقِيَتْ» [١].

قال الشَّوكَانيّ عند تفسيره لهذه الآية:« ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ هم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة. وقيل: هم الذين هاجروا بعد ما قَوِي الإسلام. والظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة المتأخر إسلامهم في عصر النبوة، ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة إلى يوم القيامة؛ لأنَّه يصدق على الكل أنَّهم جاءوا بعد المهاجرين الأولين والأنصار» [٢].

❁ ❁ ❁ ❁

[١] أخرجه الحَاكِم في مستدركه (٥/٢٨٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/١٣٢٥).

[٢] فتح القدير (٥/٢٨٤).

٢٠٩- المراد بقوله: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾

في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ قال ابن عَبَّاس: بعضهم فَظٌّ[١] على بعض، والمعنى أن بعضهم عدو لبعض[٢]. وقال مُجَاهِد: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ قال: بالوعيد، يقولون لَنَفْعَلَنَّ كذا وكذا[٣]، والمعنى على هذا أنَّهم يهددون المؤمنين ببأس شديد من وراء الحيطان والحصون، ثم يجبنون عن البروز للقتال، فبأسهم شديد فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين المؤمنين، فكان **القول الأول أظهر**»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد عداوتهم فيما بينهم شديدة، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن عَطِيَّة، والبَيْضَاوِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وأبو حيَّان، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والشَّوكَانيّ،

---

[١] الفظُّ: الخَشِنُ الكلام، ورجل فَظٌّ ذو فَظَاظَةٍ، وهو الذي فيه غِلَظٌ في مَنْطِقِه.
ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٦١)، ولسان العرب (٧/ ٤٥١)، مادة (فظظ).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٢٥٢/٢٩)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٢٨٦/٦).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥٠٨/٥)، والسَّمْعَانِيّ في تفسيره (٤٠٥/٥).

[٤] البسيط (٢١/ ٣٨٨).

[٥] ينظر: البسيط (٣٨٨/٢١)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٧٦/٤)، والوجيز (١٠٨٤/٢).

والآلُوْسِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[1].

القول الثاني: أنَّ المراد وعيدهم للمسلمين لَنَفْعَلَنَّ كذا وكذا، بمعنى أنَّهم إذا لم يلقوا عدوًّا نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس، وإذا لقوا العدو انهزموا، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الأنسب والأقرب لظاهر الآية، ويُؤَيِّده:

١. سياق الآيات لحاقاً؛ فقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ يدل على أن اجتماعهم؛ إنَّما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن، وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم[2].

٢. قول ابن عَاشُور:«﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي: متسلط من بعضهم على بعض، وليس بأسهم على المسلمين، وفيه تهكم. ومعنى:﴿بَيْنَهُمْ﴾ أن مجال البأس في محيطهم فما في بأسهم من إضرار فهو منعكس إليهم، وهذا التركيب نظير قوله تعالى:﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩]»[3].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان (٢٩٢/٢٣)، وبحر العلوم (٤٠٧/٣)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٠٥/٥)، والكشاف (٥٠٦/٤)، والمحرر الوجيز (٢٦٤/٥)، وأنوار التنزيل (٣٢٢/٥)، ومدارك التنزيل (٤٦١/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٦٢/٢)، والبحر المحيط (٢٤٧/٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٧٥/٨)، والجواهر الحسان (٢٨٦/٤)، وفتح القدير (٢٨٧/٥)، وروح المعاني (٥٨/٢٨)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٥٢، والتحرير والتنوير (٩٤/٢٨).

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (٢٥٢/٢٩)، وفتح القدير (٢٨٧/٥).

[3] التحرير والتنوير (٩٤/٢٨).

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢١٠- المراد بـ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« يجوز عند الزَّجَّاج أن يكون المعنى: وتجارة أخرى عطفًا على قوله: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ ﴾ [الصف:١٠]، ثم قال: وتجارة أخرى، ويجوز أن يكون المعنى: ولكم تجارة أخرى وهي نصر من الله[١]. وعند الفَرَّاء معنى الآية: وخصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة، ثم ذكرها فقال: ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾، وهو مُفَسِّرٌ للأخرى[٢]. **وهذا هو القول**؛ لأنَّه لا يحسن أن يكون نصر من الله تفسيرًا للتجارة؛ إذ ليس نصر الله تجارة لنا كما يكون الإيمان والجهاد، بل هو ربح للتجارة، والله -تعالى- ذكر ثواب الآخرة جزاء لما دلَّ عليه من التجارة، وهو قوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[الصف:١٢] إلى آخر الآية. ثم ذكر ما يعطينا أيضًا في العاجل مما نحبه جزاء أيضًا لتلك التجارة، وهو النصر والفتح»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بـ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد وتجارة أخرى، وهو قول الزَّجَّاج -كما سبق-.

وضُعِّف هذا القول؛ لأنَّ النصر والفتح ليس تجارة، وإنَّما هو ربح لهذه التجارة[٤].

القول الثاني: أنَّ المراد وخصلة أخرى، أو وخلَّة أخرى، وهو قول الفَرَّاء -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ،

---

[١] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٦٦/٥).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٥٤/٣).

[٣] البسيط (٢١/ ٤٣٨).

[٤] ينظر: جامع البيان (٣٦٤/٢٣)، والبسيط (٢١/ ٤٣٨)، والمحرر الوجيز (٢٨٠/٥)، والبحر المحيط (٢٦١/٨)، والجواهر الحسان (٢٩٧/٤).

[٥] ينظر: البسيط (٢١/ ٤٣٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٢٩٣/٤)، والوجيز (١٠٩٣/٢).

والسّعْدِيّ[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني هو الأولى بالصواب والأنسب للسياق، ويُؤَيِّده:

١. أنَّه لا يحسن أن يكون قوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ تفسيرًا للتجارة؛ إذ ليس نصر الله تجارة لنا كما يكون الإيمان والجهاد، بل هو ربح للتجارة، فهو مما أعطى ثمناً وجزاءً على الإيمان والجهاد بالنفس والمال. فيكون المعنى على هذا القول أنَّ الله – ﷻ – وعدهم على إيمانهم وجهادهم بخلتين، واحدة في الآخرة وهي غفران الذنوب ودخول الجنات والمساكن الطيبات في جنات عدن، والأخرى في الدنيا وهي النصر والفتح والغنيمة [2]. قال الطَّبَرِيّ بعد ذكر القولين في الآية:« والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني، وهو أنَّه معنيّ به: ولكم أخرى تحبونها؛ لأنَّ قوله:﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ مبينٌ عن أن قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ في موضع رفع، ولو كان جاء ذلك خفضًا حسن أن يجعل قوله:﴿وَأُخْرَىٰ﴾ عطفاً على قوله:﴿تِجَٰرَةٍ﴾، فيكون تأويل الكلام حينئذ لو قرئ ذلك خفضًا، وعلى خلة أخرى تحبونها، فمعنى الكلام إذا كان الأمر كما وصفت: هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله، يغفر لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولكم خلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها نصر من الله لكم على أعدائكم، وفتح قريب يعجله لكم»[3].

٢. أنَّ القول الأول ضَعَّفَهُ جمعٌ من المفسرين بخلاف هذا القول فقد سَلِمَ من ذلك.

---

[1] ينظر: جامع البيان (٣٦٤/٢٣)، ومعالم التنزيل (١١٠/٨)، والكشاف (٤/ ٥٢٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٢٩٧)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٦٠.

[2] ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٧٤٤٤/١١).

[3] جامع البيان (٣٦٤/٢٣).

٢١١- المراد بقوله: ﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾

في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة :١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع بقوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ قال مُقَاتِل: أحل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة فمن شاء خرج إلى تجارته ومن شاء لم يفعل[١]. وقال مُجَاهِد: إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل[٢]. وقال الضَّحَّاك: هو إذن من الله إذا فرغ إن شاء خرج، وإن شاء قعد في المسجد[٣]. **والأحسن** في الابتغاء من فضل الله أنه طلب الرزق، وذُكر أوجه من طلب الولد، وطلب العلم، وعيادة المريض، وحضور الجنازة، **والظاهر هو الأول**؛ لأنَّه إباحة ما منع، وهو البيع. ورُوى أنَّ عِرَاك بن مَالِك[٤] كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال:« اللَّهُمَّ، أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ[٥] »[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ في الآية:

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٣٦١).

[٢] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١/ ٤٨٢)، وذكره عنه الآلُوْسِيّ في روح المعاني (٢٨/ ١٠٣).

[٣] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١/ ٤٨٢)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٦/١٠).

[٤] عِرَاكُ بن مالك الغِفَارِيّ الْمدنِي، ثقة فاضل، من جلة التابعين، مات في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد المائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/٦٣)، والوافي بالوفيات (١٩/٣٥٦).

[٥] ذكره ابن كَثِيْر في تفسيره (٨/١٢٢) وعزاه إلى ابن أبي حَاتِم.

[٦] البسيط (٢١/ ٤٥٨).

القول الأول: أنَّ المراد طلب الرزق، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والرَّازِيّ، وابن كَثِيْر، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور[2].

القول الثاني: أنَّ المراد طلب الولد[3].

القول الثالث: أنَّ المراد طلب العلم، وهو قول سَعِيْد بن المسَيِّب، والحَسَن[4].

القول الرابع: أنَّ المراد ما عند الله من الأجر بعمل الطاعات، كعيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة الأخ في الله -تعالى-، وهو قول ابن عَبَّاس[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأقوال السابقة كلها صحيحة، فالابتغاء من فضل الله يشمل جميع ما ذُكر؛ ولكن عند النظر للسياق نجد أنَّ القول الأول هو الأقرب، والأنسب؛ فالله - ﷻ - قال قبل هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة :٩]، فنهاهم عن البيع بعد النداء لصلاة الجمعة، ثم أحل لهم ذلك، فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[6]. فعُلم أنَّ المراد إباحة طلب الرزق بالتجارة بعد المنع.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[7].

---

(1) ينظر: البسيط (٢١/ ٤٥٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٤٠٠)، والوجيز (٢/١٠٩٦).

(2) ينظر: بحر العلوم (٣/٤٢٦)، ومفاتيح الغيب (٣٠/٥٤٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨/١٢٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٦٣، والتحرير والتنوير (٢٨/٢٠٤).

(3) ينظر: البسيط (٢١/ ٤٥٨)، ومفاتيح الغيب (٣٠/٥٤٢).

(4) ذكره عنهما ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/٢٦٨)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٠٩).

(5) لم أجده مسنداً، وذكره القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٠٩)، وابن عَادِل في اللباب (١٩/٩٢).

(6) ينظر: بحر العلوم (٣/٤٢٦)، والبسيط (٢١/ ٤٥٨)، وزاد المسير (٨/٢٦٨).

(7) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

٢١٢- سبب تكذيب المنافقين

في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وسمَّاهم الله كاذبين؛ لأنَّ قلوبهم كانت تخالف ألسنتهم فيما يقولون. وقال قوم: لم يكذبهم الله في قوله: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وإنَّما أَكْذَبَهُمْ بغير هذا مما وجد منهم من الكذب الذي أخبر الله عنهم في قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٤] الآية، وقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦] **والقول هو الأول**»[١].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في سبب تكذيب المنافقين في الآية:

القول الأول: أنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - وصفهم بالكاذبين لمخالفة قلوبهم ألسنتهم فيما يقولون. واختاره الوَاحِدِيّ[٢].

القول الثاني: أنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - وصف أيمانهم بالكذب، لا سائر مقولتهم[٣].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الأول هو الأولى بالصواب، والأنسب للسياق، فالحديث في أول الآية عن المنافقين وشهادتهم بصدق الرسالة المحمدية،

---

[١] البسيط (٢١/ ٤٦٧).

[٢] ينظر: البسيط (٢١/ ٤٦٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٠٢/٤)، والوجيز (١٠٩٨/٢).

[٣] ينظر: البسيط (٢١/ ٤٦٧)، ومفاتيح الغيب (١٢/٣٠).

التي أكدها الله - ﷻ - بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، ثم اتبع الله - سبحانه - ذلك بفضح سرائرهم فكذبهم في دعواهم؛ لأنَّهم يقولون ما لا يعتقدون، فما جرى على ألسنتهم يخالف ما في قلوبهم.

وهذا القول هو الذي جرت عليه عبارات المفسرين[1].

قال الطَّبَرِيّ:« ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في إخبارِهم عن أنفسهم أنَّها تشهد إنَّك لرسول الله، وذلك أنَّها لا تعتقد ذلك ولا تؤمن به، فهم كاذبون في خبرهم عنها بذلك»[2].

وقال ابن كَثِيْر:« أي: فيما أخبروا به، وإن كان مطابقًا للخارج؛ لأنَّهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم»[3].

أمَّا القول الثاني فلم أجد - فيما وقفت عليه - من المفسرين من ذكره إلا ما حكاه الوَاحِدِيّ، مما يشعر بِضَعْفِهِ والرغبة عنه.

[1] ينظر: جامع البيان (٣٩٠/٢٣)، والكشف والبيان (٣١٩/٩)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٤٤٠/٥)، ومعالم التنزيل (١٢٦/٨)، وزاد المسير (٢٧٤/٨)، وأنوار التنزيل (٣٤١/٥)، وغرائب القرآن (٣٠٤/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٧٧/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٢٥/٨)، وإرشاد العقل السليم (٢٥١/٨)، وفتح القدير (٣٢٢/٥)، ومحاسن التأويل (٢٣٤/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٦٤، والتحرير والتنوير (٢١١/٢٨).

[2] جامع البيان (٣٩٠/٢٣).

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٢٥/٨).

٢١٣- المراد بصالح المؤمنين

في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال ابن عَبَّاس: يريد أبا بَكْرٍ وَعُمَر مُوَالِيَيْنِ للنبي -ﷺ- على من عاداه، وناصرينِ له[١]، وهو قول الْمُقَاتِلَين[٢]، وعِكْرِمَة[٣]. ورُوى ذلك عن عبد الله مرفوعًا أنَّ النبي -ﷺ- قال: «إنَّ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -رضي الله عنهما-»[٤]. وقال المُسَيَّب بن شَرِيك[٥]: هو أَبُو بَكْرٍ[٦]. وقال سَعِيْد بن جُبَيْر: هو عُمَر[٧]. وقال الضَّحَّاك: يعني به خيار المؤمنين[٨]. ولفظ الآية على ما قال، ونحو

---

[١] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/٢٥٠)، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٣٠/٤٠).

[٢] أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ٤١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٤٥) عن مُقَاتِل بن سُلَيْمَان، وذكره عن مُقَاتِل بن حَيَّان الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٣٠/٤٠)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٨/١٦٤).

[٣] أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (١/ ١٢٨)، وابن المقرئ في معجمه ص٣٥٧.

[٤] أخرجه الطَّبَرَانِيّ في المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٥)، وأبو نعيم الأصبهاني في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم ص١٠٠، وأخرجه البغدادي في تاريخه (١/ ٣٠٤) من نفس الطريق، لكن بنص:"من صالح المؤمنين أبو بكر وعمر". أي: أنَّ الآية ليست خاصة بأبي بكر وعمر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٢٧): "وَفِيه عَبْد الرَّحِيمِ بْن زَيْدٍ الْعَمِّيّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ". وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٨/٢٤٤):" وهذا موضوع؛ آفته الْعَمِّيّ هذا".

[٥] المُسَيَّب بن شَرِيك التَّمِيمِي، أَبُوسعيد، أَصله من بُخَارى، سكن الْكُوفَة، ووُلِّي بيت المال لهارون الرشيد، كان ضعيفاً في الحديث لا يحتج به، توفي سنة ١٨٦هـ.

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣٣٢)، والمجروحين لابن حبان (٣/٢٤).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٩/٣٤٨)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٨٩).

[٧] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٨٥)، وابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (٦/٣٥٦).

[٨] أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (١/ ١٦٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣/٤٨٦). من طريق عُبَيْد بن سُلَيْمَانَ، ونص قوله: "خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ".

ذلك قال الكَلْبِيّ: هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين[١]. قال الفَرَّاء: وصالح المؤمنين مثل أبي بَكْرٍ وعُمَر، الذين ليس فيهم نفاق[٢]، وقال الزَّجَّاج: وصالح المؤمنين هاهنا ينوب عن الجميع، كما تقول: يفعل هذا الخيرُ من الناس؛ تريد كل خير[٣]، هذا كلامهما. وقد حصل أن قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوز أن يراد به الواحد والجماعة، ثم الكلام في التعيين، والتفصيل يكون إلى المفسرين على ما حكينا عنهم. وقال قَتَادَة[٤]، وسُفْيَان[٥]: صالح المؤمنين هم الأنبياء، وعلى هذا معنى الآية: أنَّ الأنبياء يوالونه وهم له أولياء، كما أن الله -تعالى- وليه، وجِبْرِيل وليه، أي: فلا يضره معاداة من عاداه. **وأظهر هذه الأقوال** قول من قال: إنَّ المراد بصالح المؤمنين أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر؛ لأنَّ الخطاب في هذه الآية لابنتيهما عَائِشَة وَحَفْصَة[٦]، وكأنَّه قيل لهما: إن تعاونتما على إيذاء النبي -ﷺ- فإن أبويكما لا يُوَافِقَانِكُمَا، وَلا يَتَظَاهَرَانِ مَعَكُمَا، فَإِنَّهُمَا وَلِيَّا رسول الله»[٧].

▪ الدراســـة

أقوال المفسرين في المراد بصالح المؤمنين في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد أبو بَكْرٍ الصديق، وَعُمَر بن الخَطَّاب -رضي الله عنهما-، وهو قول عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ، وابن عَبَّاس -رضي الله عنهم-، وعِكْرِمَة، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان، ومُقَاتِل بن

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٤٨/٩)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (١٦٨/٨).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (١٦٧/٣).

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١٩٣/٥).

[٤] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٣٠٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٧/٢٣).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٨٧/٢٣)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٤١/٦).

[٦] حَفْصَةُ بنت عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم-، أم المؤمنين، كانت قبل الرسول -ﷺ- عند خُنَيس بن حذافة السهمي هاجرت معه إلى المدينة فمات عنها، فتزوجها الرسول -ﷺ- بعد عائشة، وطلقها تطليقة ثم ارتجعها، أمره جبريل -عليه السلام- بذلك، وقال:" إنَّها صوامة قوامة، وإنَّها زوجتك في الجنة"، توفيت سنة ٤٥هـ.
ينظر الاستيعاب (١٨١١/٤)، والإصابة (٥٨١/٧).

[٧] البسيط (٢٢/ ١٧).

حَيَّان -كما سبق-، والضَّحَّاك[1]. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، وأبو السُّعُوْد[3].

القول الثاني: أنَّ المراد أَبُو بَكْرٍ الصديق -رضي الله عنه-، وهو قول المُسَيَّب بن شَرِيك-كما سبق-.

القول الثالث: أنَّ المراد عُمَر بن الخَطَّاب -رضي الله عنه-، وهو قول سَعِيْد بن جُبَيْر-كما سبق-.

القول الرابع: أنَّ المراد عَلِيّ بن أَبِي طَالِب -رضي الله عنه-، وهو قول مُجَاهِد[4].

القول الخامس: أنَّ المراد المخلصون الذين ليسوا بمنافقين، وهو قول الكَلْبِيّ -كما سبق-.

القول السادس: أنَّ المراد الأنبياء -رضي الله عنهم-، وهو قول العَلاَء بن زِيَادِ[5]، وقَتَادَة، وسُفْيَان الثَّوري -كما سبق-.

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن -والله أعلم- أنَّ الأولى حمل الآية على العموم في كل صالحٍ من المؤمنين، وما ذكر من الأقوال السابقة فهي أمثلة لصالحي المؤمنين، ويدخلون في الآية دخولاً أولياً.

---

(1) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (١/ ١٦٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣/٤٨٦).

(2) ينظر: البسيط (٢٢/ ١٨)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٣٢٠)، والوجيز (٢/١١١٢).

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٢/ ١٨).

(4) لم أجده مسنداً، وذكره عنه السَّمْعَانِيّ في تفسير (٥/٤٧٤)، وابن كَثِيْر في تفسيره (٨/١٦٤) من رواية اللَّيْث بن أبي سليم.

(5) ذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/٣١١)، وذكر ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٢١) أن النقَّاش أخرجه في تفسيره عن العَلاَء بنُ زِيَاد.

والعَلاَءُ هو: العَلاَءُ بنُ زِيَادِ بنِ مَطَرِ بنِ شُرَيْحٍ العَدَوِيُّ، تابعي، من أفاضل أهل البصرة وعبادهم، توفي في آخر ولاية الحجاج سنة ٩٤هـ. ينظر: مشاهير علماء الأمصار ص١٤٦، وسير أعلام النبلاء (٤/٢٠٢).

ويؤيد ذلك ما رواه مسلم من حديث عُمَر بن الخَطَّاب -رضي الله عنه- لَمَّا اعْتَزَلَ النبي -صلى الله عليه وسلم- نِسَاءَهُ، وفيه فَقُلْتُ:« يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللهَ بِكَلَامٍ، إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، آيَةُ التَّخْيِيرِ:﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم: ٥]، ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[التحريم:٤] »[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[2].

قال النَّحَّاس: «واختلفوا في صالح المؤمنين، فمن أصح ما قيل فيه أنَّه لكل صالح من المؤمنين، ولا يخص به واحد إلا بتوقيف»[3].

وقال الطَّبَرِيّ:« والصواب من القول في ذلك عندي: أن قوله:﴿ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كان في لفظ واحد، فإنَّه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر:٢]،فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنَّه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تقْرِيَنّ إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحدًا، فمعناه الجمع؛ لأنَّه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يَقْرِيَه، واحدًا كان أو جماعة»[4].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم الحديث (٣٧٦٤)، (٤/ ١٨٨).

[2] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

[3] إعراب القرآن للنَّحَّاس (٤/٤٦١).

[4] جامع البيان (٢٣/٤٨٧).

٢١٤- عَوْد ضمير الغائب ﴿لَهَا﴾

في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك :٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ قال مُقَاتِل: صوتًا مثل أول صوت الحمار[١]. وقال عَطَاء: يريد: سمعوا لأهلها شهيقًا[٢]. فجعل الشهيق لأهل جهنم دونها. **والقول هو الأول**»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد ضمير الغائب ﴿لَهَا﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه يعود على جهنم، وهو قول ابن عَبَّاس[٤]، ومُقَاتِل-كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ[٦].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٨٢).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٥٦/٣٠)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٨).

والشَّهِيقُ: ضِدُّ الزفير، فالشهيق: رَدُّ النفس، والزفير: إخراج النّفَس. والشَّهِيقُ أَقبحُ الأصوات، وشهيق الحمار: آخر صوته، وزفيره: أوله. يقال: شَهَقَ يَشْهَقُ ويَشْهِقُ شهيقاً- لغتان-. والشهقة كالصيحة، يقال: شهق فلان شهقة فمات. ينظر: تهذيب اللغة (٥/ ٢٥٤) والصحاح للجَوْهَرِيّ (٥/ ١٩١)، مادة (شهق).

[٣] البسيط (٢٢/ ٤٦).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥٣/٦)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢١١/١٨).

[٥] ينظر: البسيط (٢٢/ ٤٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٢٧/٤)، والوجيز (١١١٧/٢).

[٦] ينظر: جامع البيان (٥٠٨/٢٣)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣١١/٥)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٦/ ٩)، ومفاتيح الغيب (٥٦/٣٠)، ومدارك التنزيل (٥١٢/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٩٥/٢)، وإرشاد العقل السليم (٤/٩)، وروح المعاني (١٠/٢٩).

القول الثاني: أنَّه يعود على أهل النار، وهو قول عَطَاء -كما سبق-.

واستُدل لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٞ ﴾ [هود :١٠٦].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أظهر وأولى، وهو أنَّ ضمير الغائب في قوله: ﴿ لَهَا ﴾ يعود على جهنم، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. النظير القرآني، وهو قوله سبحانه: ﴿ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾[الفرقان:١٢-١٣]؛ فالآيات تتحدث عن النار يوم القيامة حين ترى الكفار عن بُعد، حيث يسمعون لها صوتاً هائلاً؛ لشدة توقدها وغليانها؛ غضباً على من عصى الله - ﷻ -.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك [١].

٢. السياق القرآني، فالآيات تصف النار عند إلقاء الكفار فيها، والضمائر في السابق واللاحق تعود على جهنم في قوله تعالى:﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾ وفي جعل الضمير يعود على أهل النار تشتيت لمرجع الضمائر.

والقاعدة الترجيحية: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها [٢].

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[٢] ينظر: المحرر الوجيز (٨/٥)، والبرهان للزركشي (٣٥/٤)، والإتقان (٣٩٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

٢١٥- المراد بقوله: ﴿تَدَّعُونَ﴾

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك :٢٧].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ قال الكَلبِيّ: تَسألون في الدنيا [١]. وقال مُقَاتِل: تَمَنّون في الدنيا [٢]...وقال عَطَاء عن ابن عَبَّاس: يريد تكذبون[٣]. قال أبو إِسْحَاق[٤]: تأويله في اللغة: هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُونَ الأباطيل والأكاذيب، أي: تدعون أنَّكم إذَا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أَنَّكُمْ لا تُخْرَجُونَ[٥]؛ ونحو هذا قال أبو عُبَيْدَةَ: تكذبون وتردّون[٦]. ومعناه ما ذكره أبو إِسْحَاق...**والقول هو الأول** بدليل قراءة من قرأ تَدْعُونَ[٧] من الدعاء. وهذا لا يحتمل التكذيب، ومعناه: كنتم به تستعجلون وتَدْعُونَ الله بتعجيله»[٨].

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول للكَلبِيّ سوى الوَاحِدِيّ، وذكر عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٥٧/٦) أنَّه قال: تشكّون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٨٥)، ولفظه: تمترون في الدنيا.

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٢١/١٨)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٢٥٨/١٩).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٠١/٥).

[٦] ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٦٢).

[٧] تَدْعُونَ: بسكون الدال، وهي قراءة شاذة، قرأ بها أبو رجاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن يسار بن مسلم، وسلاَّم، ويعقوب. ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص١٦٠، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (٣٢٥/٢). وقراءة الجمهور (تَدَّعُونَ) بتشديد الدال. ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر ص ٥٨٦، والنشر في القراءات العشر (٣٨٩/٢).

[٨] البسيط (٦٢/٢٢).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿ تَدَّعُونَ ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّ تَدَّعُونَ بالتشديد بمعنى تَدْعُونَ بالتخفيف، وهو تفتعلون من الدعاء. فالمعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدْعُونَ الله بتعجيله، كقَوْلهم: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال :٣٢]، وقوله تعالى عنهم فِي آيَة أُخرى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص :١٦]، وهو قول الكَلبِيّ، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[١]، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والنَّحَّاس، وابن جُزَي[٢]، وهو قول أكثر المفسرين[٣].

القول الثاني: أنَّ تَدَّعُونَ من الدعوى، فالمعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُون الأباطيل والأكاذيب. أي: تدعون أنَّكم إذا متم لا تبعثون، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-.

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل القولين، فقراءة الجمهور (تَدَّعُونَ) بالتشديد تحتمل المعنيين، إلا أنَّ القول الأول يترجح، لأمور:

---

[١] ينظر: البسيط (٦٣/٢٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٣١/٤)، والوجيز (١١١٩/٢).

[٢] ينظر: غريب القرآن ص٤٧٥، وجامع البيان (٢٣/ ٥١٨)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (٤/ ٤٧٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٩٧/٢).

[٣] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٣٦١/٩)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٢٠/١٨)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٢٥٨/١٩)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٣٧٠/٥).

١. أنَّ قراءة (تَدْعُونَ) بالتخفيف تؤيد المعنى الأول، فهي بمعنى الدعاء، وهنا يتحد معنى القراءتين، وحمل الآية على المعنى المتفق عليه بين القراءتين أولى[١].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٢].

❁ ❁ ❁ ❁

[١] ينظر : أضواء البيان (٥/٥٣٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٩٢).
قال أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٢٥: القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها.

[٢] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٢١٦- المراد بقوله: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم :٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أكثر المفسرين وأهل المعاني يقولون: غير منقوص ولا مقطوع...وقال مُجَاهِد: غير محسوب[١]...وقال مُقَاتِل: لَا يُمَنُّ به عليك[٢]. وقال الكَلبِيّ: غير مُكَدَّرٍ عليك في الجنَّة[٣]. **والقول هو الأول**»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ في الآية:

القول الأول: غير منقوص ولا مقطوع.

واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والرَّازِيّ، والخَازِن، وابن كَثِيْر[٦]، وهو قول أكثر المفسرين[٧].

القول الثاني: غير محسوب، وهو قول مُجَاهِد -كما سبق-.

القول الثالث: غير مكدر بالمنِّ، وهو قول مُقَاتِل، والكَلْبِيّ -كما سبق-.

---

[١] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/ ٧٧٠)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣/ ٥٢٨).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٨٦).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٣٠/٧١).

[٤] البسيط (٢٢/ ٧٤).

[٥] ينظر: البسيط (٢٢/ ٧٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٣٣٣)، والوجيز (٢/١١٢٠).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/٧١)، ولباب التأويل (٧/١٣٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨/١٨٨).

[٧] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/٣٤٦)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (٣٠/٧١)، والنَّيسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/٣٣٥).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أظهر وأولى؛ لأنَّه قول أكثر المفسرين، وهو أن المراد بقوله: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ في الآية: غير مقطوع، فهو نظير قوله سبحانه: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] فالنبي -ﷺ- له الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغه رسالة ربه إلى الخلق، وصبره على أذاهم.

أمّا قول مُجَاهِد بأنَّ المعنى: غير محسوب؛ فهو يرجع إلى ما سبق[1]؛ لأنَّه إذا كان غير محسوب، فمعناه أنَّه كثير متتابع، فهو غير مقطوع. والشيء الذي يحسب ويحصى هو القليل المحصور، ولهذا مضى الكلام في عدد من المناسبات حينما يذكر الله - ﷻ - جزاء المؤمنين أنَّه يوفيهم أجورهم بغير حساب، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

وما ذكره بعض المفسرين من أنَّ المعنى في الآية: غير ممنون به عليك، فمرادهم ما كان من جهة الخلق، أي: لا منّة عليك فيه لأحد من الناس، بأنَّ يذكره على سبيل اللوم والتقريع، فيحصل بذلك التأذي، فهو أجر لا تنغيص فيه، ليس معه ما يكدره[2].

وأمَّا الله - ﷻ - فإنَّه يمنّ على نبيه المصطفى وعلى عباده تفضلاً وإنعاماً بما يعطيهم في الدنيا والآخرة، ومنَّته لا يلحقهم فيها معرة أو نقيصة، كما جاء ذلك في آيات كثيرة، كقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله: ﴿قَالَ أَنَا۟ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف:٩٠]، وقوله: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[الطور :٢٧].

---

[1] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (١٨٨/٨).

[2] ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٤٦)، والتحرير والتنوير (٢٩/ ٥٩).

وقد فسَّر الزَّمخْشَرِيّ الآية على مذهبه، فقال:«غير ممنون عليك به؛ لأنّه ثواب تستوجبه على عملك[1]، وليس بتفضل ابتداء؛ وإنَّما تمنّ الفواضل لا الأجور على الأعمال»[2].

وأنكر أبو حيان قول الزَّمخْشَرِيّ ووصفه بأنَّ فيه دسيسة الاعتزال[3].

وتَعَقَّبَهُ صاحب الانتصاف بقوله:« ما كان النبي -ﷺ- يرضى من الزَّمخْشَرِيّ بتفسير الآية هكذا، وهو -ﷺ- يقول:« لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ »[4]. ولقد بلغ بالزَّمخْشَرِيّ سوء الأدب إلى حد يوجب الحد، وحاصل قوله: أنَّ اللّه لا منة له على أحد ولا فضل في دخول الجنة؛ لأنَّه قام بواجب عليه- نعوذ باللّه من الجرأة عليه -»[5].

[1] قوله: «لأنَّه ثواب تستوجبه على عملك» وجوب الثواب عليه -تعالى- مذهب المعتزلة، وهذا يتصل بأصل من أصولهم، وهو الوعد والوعيد، يقول الشهرستاني في الملل والنحل ص٤٥، في توضيح مضمون هذا الأصل عند المعتزلة:«واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة، استحق الثواب والعوض، والتفضل معنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها، استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط: وعدا ووعيدا».

[2] الكشاف (٤/٥٩٠).

[3] ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٠٣).

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله -تعالى-، رقم الحديث (٧٢٩٤)، (٨/١٤٠).

[5] الانتصاف لابن المنيّر (٤/٥٨٥).

٢١٧- المراد بقوله: ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾[الحاقة: ٩-١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ قال الكَلبِيّ: يعني مُوسَى بن عِمْرَانَ[١]. وقال مُقَاتِل: يعني لُوطًا[٢]. فذهب الكَلبِيّ بقوله: {عَصَوْا} إلى فِرْعَوْن وقومه، وذهب مُقَاتِل إلى المؤْتَفِكَاتُ[٣]، **والوجه** أن يقال: المراد بالرسول كلاهما للخبر عن الأمتين بعد ذكرهما بقوله:﴿فَعَصَوْا﴾، فيكون كقوله:﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:١٦]»[٤].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وعليه فالضمير في قوله: ﴿فَعَصَوْا﴾ عائد إلى فِرْعَوْن وقومه، وهو قول الكَلبِيّ -كما سبق-.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/٣٣٠)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٦٢).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٣٩٣).

[٣] المؤتَفِكَاتُ: جمعُ مُؤْتَفِكَةٍ، والائتفاك الانقلاب. والمراد بهم: قرى قوم لوط، وقد أهلكهم الله بما أمطر عليهم من الحجارة. وسميت مؤتفكات؛ لأنَّها انقلبت بهم حتى صار عاليها سافلها.
ينظر: تهذيب اللغة (١٠/٢١٥)، مادة (أَفك)، وجامع البيان (٢٣/٥٧٥)، والبسيط (٢١/٧٩).

[٤] البسيط (٢٢/ ١٤٦).

القول الثاني: أنَّه لُوط -عليه السلام-، وعليه فالضمير في قوله: ﴿ فَعَصَوْاْ ﴾ عائد إلى قوم لُوط، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره النَّسَفِيّ[1].

القول الثالث: أنَّ المراد مُوسَى ولُوط - عليهما السلام -، وعليه فالضمير في قوله: ﴿ فَعَصَوْاْ ﴾ عائد إلى قومهما. واختاره الوَاحِدِيّ[2]، والبَغَوِيّ، والخَازِن[3].

القول الرابع: أنَّ المراد بالرسول جنسه، أي: كل من هؤلاء كذب الرسول الذي أرسله الله إليهم. واختاره الطَّبَرِيّ، وابن الجَوْزِيّ، والبَيْضَاوِيّ، وابن كَثِيْر، والبِقَاعِيّ، وأبو السُّعُوْد، والآلُوْسِيّ، والسّعْدِيّ[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – القول الرابع هو الراجح، وهو أنَّ المراد بقوله: ﴿ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ هو الرسول المرسل إلى كل قوم من هؤلاء، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ العصيان في قوله: ﴿ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ ينطبق على من سبق ذكرهم من فِرْعَوْن وقومه، ومَن سبقه من الأمم التي كفرت برسلها، وأهل قرى قوم لُوط الذين انقلبت بهم ديارهم بسبب الفعلة المنكرة من الكفر والشرك والفواحش، فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، ولا ينبغي التخصيص بقوم دون مخصَّص.

٢. إفراد الرسول في قوله: ﴿ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ يجاب عنه بجوابين:

أولًا: أنَّ الرسول مفرد مضاف، وهذا يفيد العموم، يعني عصوا رسل ربهم.

---

[1] ينظر: مدارك التنزيل (٣/٥٢٩).

[2] ينظر: البسيط (٢٢/ ١٤٦)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٣٤٤)، ولم يذكره في الوجيز (٢/ ١١٢٧).

[3] ينظر: معالم التنزيل (٨/٢٠٨)، ولباب التأويل (٧/١٤٣).

[4] ينظر: جامع البيان (٢٣/٥٧٦)، وزاد المسير (٨/٣٤٨)، وأنوار التنزيل (٥/٣٧٩)، ونظم الدرر (٨/١٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨/٢١٠)، وإرشاد العقل السليم (٩/٢٣)، وروح المعاني (٢٩/٤٢)، وتيسير الكريم الرحمن ص٨٨٢.

ثانياً: أنَّ من كذب برسول فهو مكذب بجميع الرسل، ويكون ذلك في كل قوم مع رسولهم، فمعني ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾: أنَّ قوم نُوح -عليه السلام- عصوا رسول ربهم، وهكذا ثَمود، وقوم لُوط، كل هؤلاء عصوا الرسول الذي أرسل إليهم. كما قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥] مع أن نُوحاً -عليه السلام- هو أول رسول أرسل إلى أهل الأرض؛ لأنَّ من كذب رسولًا فهو مكذب لجميع الرسل[١].

قال ابن كَثِيْر:« قوله: ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ هذا جنس، أي: كُلّ كذّبَ رسول الله إليهم، كما قال: ﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾[ق:١٤]، ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع، كما قال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥]، ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٢٣]، ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٤١]، وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾»[٢].

٣. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

[١] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨/٢١٠)، ونظم الدرر (٨/١٢٤).

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٨/٢١٠).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

٢١٨- عَوْد ضمير الغائب في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢]

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: « قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ قال الفَرَّاء: لنجعل السفينة لكم تذكرة وعظة، وليس هذا بالوجه[١]، **والوجه** ما قال أبو إِسْحَاق[٢]: لنجعل تلك الفعلة من إغراق قوم نُوح، ونجاة من آمن معه تذكرة لكم[٣]، أي: عبرة وموعظة. ويدل على صحة هذا الوجه قوله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عَوْد ضمير الغائب في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه يعود على السفينة، وهو قول قَتَادَة[٥]. واختاره الفَرَّاء، والطَّبَرِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب[٦].

وَضَعَّفَ هذا القول الرَّازِيّ[٧].

القول الثاني: أنَّه يعود على الفعلة، التي هي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين.

واختاره الوَاحِدِيّ[٨]، والزَّجَّاج، والرَّازِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن جُزَي، والسُّيوطِيّ[٩].

---

[١] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ١٨١).

[٢] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢١٥).

[٤] البسيط (٢٢/١٥٠).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٣/٥٧٨)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٨/٢١٠).

[٦] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/١٨١)، وجامع البيان (٢٣/٥٧٨)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/٧٦٧٠).

[٧] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٠/ ٩٤).

[٨] ينظر: البسيط (٢٢/١٥٠)، وذكر القولين في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، واقتصر عليه في الوجيز (٢/ ١١٢٧).

[٩] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢١٥)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ٩٤)، وغرائب القرآن (٦/٣٤٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٠٥)، ومعترك الأقران (٢/١٢٢).

واستُدل لهذا القول بإتحاد مرجع الضميرين في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾، وقوله بعده: ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ [1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الثاني هو الراجح، ويُؤَيِّده:

١. إتحاد مرجع الضمائر في الآية، فالضمير في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ عائد إلى ما عاد إليه الضمير الأول في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ فكلاهما يعودان إلى الواقعة والحالة التي هي نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين؛ إذ لا يمكن عود الضمير في ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ إلى السفينة؛ فكذا الضمير الأول.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها [2]، وهذه القاعدة مقدمة على قاعدة: إعادة الضمير إلى أقرب مذكور[3].

٢. أنَّه قول أكثر المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[4].

❁ ❁ ❁ ❁

---

[1] ينظر: البسيط (١٥٠/٢٢)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ٩٤)،)، وغرائب القرآن (٣٤٦/٦).

[2] ينظر: المحرر الوجيز (٨/٥)، والبرهان للزركشي (٣٥/٤)، والإتقان (٣٩٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[3] ينظر: الأشباه والنظائر للسبكي (٢٣٦/٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٣٢/٢).

[4] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢١٩- المراد بالرسول الكريم

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني القرآن، والرسول الكريم هو جِبْرِيْل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، في قول الكَلْبِيّ[١]، ومُقَاتِل[٢]، ويكون المعنى: إنَّه لرسالة رسول كريم، فسمى رسالته: قولاً. وقال الحَسَن: هو مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-[٣]، وعلى هذا معناه: إنَّه لتلاوة رسول كريم، وتلاوته: قوله. **وهذا هو الأظهر**؛ لقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾ وهم إنَّما نسبوا مُحَمَّداً -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أنَّه شاعر، لا جِبْرِيْل»[٤].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالرسول الكريم في الآية:

القول الأول: أنَّه جِبْرِيْل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وهو قول الكَلْبِيّ، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واستُدل لهذا القول بآية التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير:١٩-٢٠]، وأنَّ المراد بهما واحد وهو جِبْرِيْل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-[٥].

وأجيب: بأنَّ آية الحاقة تختلف في سياقها عن آية التكوير[٦].

القول الثاني: أنَّه النبي مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٨٦/٦)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٥٤/٨).

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣٩٥/٣).

[٣] لم أعثر على مصدر لقوله.

[٤] البسيط (١٨٦/٢٢).

[٥] ينظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٤١/١٩)، وفتح القدير (٤٠٠/٥).

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠٣/٣٠)، وتفسير الحجرات - الحديد لابن عُثَيْمِيْن ص٧٩.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والبَغَوِيّ، وابن تَيْمِيَّة، والخَازِن، وابن القَيِّم، وابن كَثِيْر، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عُثَيْمِيْن[2]. وهو قول أكثر المفسرين[3].

واحتجوا بأنَّ الله -تعالى- ذكر بعده أنَّه ليس بقول شاعر ولا كاهن، والقوم ما كانوا يصفون جِبْرِيْل بالشعر والكهانة؛ وإنَّما يصفون مُحَمَّداً -ﷺ- بهذين الوصفين[4].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر - والله أعلم - أنَّ القول الثاني أصوب وأنسب للسياق، وهو أنَّ المراد بالرسول الكريم في الآية النبي مُحَمَّد -ﷺ-، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. واقع الحال والسياق القرآني، فالله - ﷻ - لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ أتبعه بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فنفى عنه الوصف بالشاعر والكاهن، والمشركون ما كانوا يصفون جِبْرِيْل -عليه السلام- بالشاعر والكاهن، بل كانوا يصفون بهما مُحَمَّد -ﷺ-.

كذلك العطف بقوله: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة:٤٤]، يقتضي أنَّ المراد بالرسول الكريم مُحَمَّد -ﷺ-؛ لأنَّه المتهم من المشركين بالتَّقوُّلِ على الله الكذب؛ لكونه المبلغ لهم دون جِبْرِيْل -عليه السلام- حيث لم يتهمه المشركون بذلك؛ لعدم ارتباطهم به.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[5].

---

[1] ينظر: البسيط (١٨٧/٢٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٤٨/٤)، والوجيز (٢/ ١١٢٩).

[2] ينظر: جامع البيان (٥٩٢/٢٣)، ومعالم التنزيل (٢١٤/٨)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٦٥/١٢)، ولباب التأويل (١٤٧/٧)، والتبيان في أقسام القرآن (١٧٧/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢١٧/٧)، ومحاسن التأويل (٣١٣/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٨٤، وتفسير جزء عمَّ لابن عُثَيْمِيْن ص ٧٩.

[3] حكاه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٣٥٤/٨)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٠٣/٣٠)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٣٥١/٦)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥/ ٣٢١)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٥٢/٢٩).

[4] ينظر: مفاتيح الغيب (١٠٣/٣٠)، ولباب التأويل (١٤٧/٧)، والبحر المحيط (٣٢١/٨).

[5] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح (٢٦٩/١).

٢. أنَّ سياق الآيات في سورة التكوير يختلف عنه في سورة الحاقة؛ فلا قياس مع الفارق.

يقول الرَّازِيّ في الفرق بين سياق الآيتين: « ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ واعلم أنَّه تعالى ذكر في سورة التكوير مثل هذا الكلام، والأكثرون هناك على أنَّ المراد منه جِبْرِيْل -عليه السلام-، والأكثرون هاهنا على أنَّ المراد منه مُحَمَّد -ﷺ-، واحتجوا على الفرق بأنَّ هاهنا لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ ذكر بعده أنَّه ليس بقول شاعر ولا كاهن، والقوم ما كانوا يصفون جِبْرِيْل -عليه السلام- بالشعر والكهانة بل كانوا يصفون مُحَمَّداً بهذين الوصفين. وأما في سورة التكوير لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ ثم قال بعده: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾[التكوير:٢٥]، كان المعنى إنَّه قول ملك كريم لا قول شيطان رجيم، فصح أنَّ المراد من الرسول الكريم هاهنا هو مُحَمَّد -ﷺ-، وفي تلك السورة هو جِبْرِيْل -عليه السلام-»[١].

ويقول ابن عُثَيْمِيْن: « فالرسول هنا في سورة التكوير رسول ملكي، أي: من الملائكة، وهو جِبْرِيْل -عليه السلام-، والرسول هناك رسول بشري، وهو مُحَمَّد -ﷺ-، والدليل على هذا واضح. هنا قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير:١٩-٢٠]، وهذا الوصف لجبْرِيْل؛ لأنَّه هو الذي عند الله، أمَّا مُحَمَّد -ﷺ- فهو في الأرض»[٢].

٣. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب (١٠٣/٣٠).

[٢] تفسير الحجرات – الحديد لابن عُثَيْمِيْن ص٧٩.

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢٢٠- المراد بالمرض

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٣١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: شك ونفاق من منافقي المدينة...وذُكر عن الْحُسَيْن بن الْفَضْل[١] أنَّه قال: هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق. فالمرض في هذه الآية لا يكون بمعنى النفاق[٢]. وقول المفسرين **صحيح** وإن أنكره؛ لأنَّه كان في معلوم الله -تعالى- أنَّ النفاق سيحدث، فأخبر عما يكون»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمرض في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد مرض النفاق، وفي ذلك إخبار بما سيكون في المدينةِ بعد الهجرة، وهو قول قَتَادَة[٤]. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، ومَكِّيّ بن أبي

---

[١] الحُسَيْنُ بنُ الفَضْلِ بنِ عُمَيْرٍ البَجَلِيُّ الكُوْفِيُّ، أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُوْرِيّ، إمام عصره في معاني القرآن، كان من العلماء الكبار العابدين، توفي سنة ٢٨٢هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٤١٤/١٣)، وطبقات المفسرين للسُّيوطِيّ ص٣٧.

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/ ٤٠٨)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٣٦٩/٨).

[٣] البسيط (٤٤٠/٢٢).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣١/٢٤)، وذكره السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٣٣٤/٨) وعزاه إلى عَبْد بن حُمَيْد وابن المُنْذِر.

[٥] ينظر: البسيط (٤٤٠/٢٢)، وذكر القولين في الوسيط (٣٨٥/٤)، وفي الوجيز (١١٥٠/٢).

طَالِب، وابن كَثِيْر[1]، وهو قول أكثر المفسرين[2].

القول الثاني: أنَّ المراد مرض الشك والاضطراب[3]. واختاره ابن عَاشُور[4].

واحتجوا بما ذكره الْحُسَيْن بن الْفَضْل بأنَّ المنافقين ما ظهروا إلا في المدينة بعد الهجرة والآية مكية.

يقول ابن عَاشُور بعد أن ذكر الآية السابقة:«المرض في القلوب: هو سوء النية في القرآن، والرسول -ﷺ-، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشرك...وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض المنافقون؛ لأنَّ المنافقين ما ظهروا إلا في المدينة بعد الهجرة والآية مكية»[5].

وأجيب: بأنَّ ذلك إخبار عما سيكون في المدينة بعد الهجرة من وجود النفاق[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر - والله أعلم - أنَّ الآية تحتمل المعنيين من غير تضاد، فيحتمل أن المراد مرض النفاق؛ وذلك لأنَّه كان في معلوم الله -تعالى- أنَّ النفاق سيحدث فأخبر عما سيكون، وعلى هذا تصير هذه الآية معجزة؛ لأنَّه إخبار عن غيب سيقع، وقد وقع على وفق الخبر فيكون معجزاً، ويحتمل أيضاً أن يراد بالمرض الشك؛ لأنَّ أهل مكة كان أكثرهم شاكين، وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب.

---

[1] ينظر: جامع البيان (٣١/٢٤)، وبحر العلوم (٤٩٤/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٧٨٣٨/١٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٢٦٩/٨)، وتفسير الجلالين ص٧٧٧.

[2] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠/ ٧٤)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٨/ ٤٠٨)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٢).

[3] ينظر: زاد المسير (٨/ ٤٠٨)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ١٨٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٢)، ومدارك التنزيل (٣/ ٥٦٦)، ومحاسن التأويل (٩/ ٣٥٧).

[4] ينظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٩٥).

[5] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٩٥).

[6] ينظر: الكشاف (٤/ ٦٥٤)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ١٨٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٢)،

قال الزَّمَخْشَرِيّ :« فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، والسورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، وإنما نجم بالمدينة؟ قلت: معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة، وَالْكَافِرُونَ بمكة مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بهذا مَثَلاً؟ وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب؛ وذلك لا يخالف كون السورة مكية. ويجوز أن يراد بالمرض: الشك والارتياب؛ لأنَّ أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب»[1].

والكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرف معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحجة يجب التسليم لها، والأولى حملها على جميع تلك المعاني[2].

[1] الكشاف (٤/ ٦٥٤).

[2] ينظر: جامع البيان (١/٣١٥)، وأضواء البيان (٢/ ٤٥٧).

٢٢١- المراد بالكافرين

في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال مُقَاتِل: يعني مشركي العرب[١] وقال عَطَاء، والكَلبِيّ: يعني الكفار من اليهود والنَّصارى[٢]. **والقول قول مُقَاتِل؛** لأنَّ اليهود والنصارى يؤمنون بما في كتابهم، فلا ينكرون عدد خزنة النار»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالكافرين في الآية:

القول الأول: أنَّهم كفار العرب من أهل مكة وغيرهم، وهو قول مُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والثَّعْلَبِيّ، ومَكِّيّ بن أبي طَالِب، والبَغَوِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، والنَّسَفِيّ، والخَازِن، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، والشَّوكَانِيّ[٥].

---

[١] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤١٨/٣).

[٢] لم أجد من نسب هذا القول لهما سوى الوَاحِدِيّ، ووجدته دون نسبة في الجامع لأحكام القرآن (٨٢/١٩)، واللباب في علوم الكتاب (٥٢٤/١٩).

[٣] البسيط (٤٤٠/٢٢).

[٤] ينظر: البسيط (٤٤١/٢٢)، واقتصر عليه في الوسيط (٣٨٥/٤)، ولم يذكره في الوجيز (١١٥٠/٢).

[٥] ينظر: جامع البيان (٣١/٢٤)، وبحر العلوم (٤٩٤/٣)، والكشف والبيان (٧٥/١٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٧٨٣٨/١٢)، ومعالم التنزيل (٢٧١/٨)، والكشاف (٤/ ٦٥٤)، ومدارك التنزيل (٥٦٦/٣)، ولباب التأويل (٧/ ١٧٨)، وتفسير الجلالين ص٧٧٧، وفتح القدير (٥/ ٤٦٢).

القول الثاني: أنَّهم الكفار من اليهود والنَّصارى.

ونسبه الوَاحِدِيّ لعَطَاء، والكَلبِيّ – كما سبق-.

- **الترجيح**:

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول أظهر وأنسب للسياق من القول الثاني؛ فاليهود والنَّصارى قال الله عنهم قبل ذلك: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فأهل الكتاب يؤمنون بما في كتبهم، فلا ينكرون عدد خزنة النار ككفار قريش، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنَّه منزل من الله -تعالى-؛ لمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله.

كما أنَّ أكثر المفسرين قالوا بهذا القول، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[2].

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

٢٢٢- المراد بقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١-٥].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد على أثر وعيد، ونحو هذا قال عَطَاء، والكَلبِيّ [١]، أنَّ الآيتين وعيد للمشركين، على معنى: سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور. وقال الضَّحَّاك: الآية الأولى للكفار، والثانية للمؤمنين[٢]، أي: سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم، وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم، **والقول هو الأول**؛ لأنَّ المراد بالتكرير تأكيد التهديد»[٣].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المقصود بقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾:

القول الأول: أنَّ الآيتين وعيد للمشركين، وهو قول الحَسَن[٤]، ونسبه الوَاحِدِيّ لعَطَاء، والكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٥]، والطَّبَرِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والزَّمَخْشَرِيّ، وابن كَثِيْر، والثَّعَالِبِيّ، والسّعْدِيّ[٦].

---

[١] لم أجد هذا القول منسوباً لعَطَاء والكَلبِيّ إلا في البسيط للوَاحِدِيّ، ووجدته منسوباً للحسن في النكت والعيون (١٨٣/٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٢١/١٨).

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/ ١٥١)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٨/ ٣٠٩).

[٣] البسيط (١١٣/٢٣).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (١٨٣/٦)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٢١/١٨).

[٥] ينظر: البسيط (١١٤/٢٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٤١٢/٤)، والوجيز (١١٦٥/٢).

[٦] ينظر: جامع البيان (١٥١/٢٤)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٣٥/٦)، والكشاف (٦٨٥/٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣٠٢/٨)، والجواهر الحسان (٣٨٠/٤)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩٠٦.

القول الثاني: أنَّ الآية الأولى للكفار، والثانية للمؤمنين، أي: سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم، وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم، وهو قول الضَّحَّاك -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ المعْنِيّ بالآيتين هم الكفار، ويُؤَيِّده:

١. أنَّه الأنسب للسياق، فالله -تعالى- يخبر عمَّا يتساءل عنه كفار قريش من الإقرار بنبوة الرسول -ﷺ-، والتصديق بما جاء به من عند الله -تعالى-، والإيمان بالبعث، فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ ثم قال: ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ أي ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المختلفون في النبأ، وسيعلمون عاقبة اختلافهم إذا ما عاينوا بأنفسهم حقيقة ما كانوا ينكرون، وتنقطع عنهم الريبة، حين يسأل كل عامل عما عمل، ويفصل بين الخلائق، وكرَّر الوعيد لتأكيده، فالسياق يدل على أن المتسائلين هم كفار لا مؤمنون؛ إذ فيه تقريع شديد لا يليق إلا بالكفار[١].

لذا قال الشَّوكَانيّ:« ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ ردع لهم وزجر؛ وهذا يدل على أنَّ المختلفين فيه هم الكفار، وبه يندفع ما قيل إنَّ الخلاف بينهم وبين المؤمنين، فإنَّه إنَّما يتوجه الرَّدع والوعيد إلى الكفار»[٢].

٢. أنَّ القول الثاني مبني على قراءة الضَّحَّاك[٣]، وقد ضعَّف الطَّبَرِيّ هذه القراءة، وبناء على ذلك ضعَّف المعنى[٤].

---

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٣١/ ٤)، وفتح القدير (٥/ ٥١١).

[٢] فتح القدير (٥/ ٥١١).

[٣] قرأ الضَّحَّاك الآية الأول ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ بتاء الخطاب، والثاني بياء الغيبة ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾.
ينظر: شواذ القراءات للكرماني ص٥٠٠.

[٤] ينظر: جامع البيان (٢٤/ ١٥١).

٢٢٣- المراد بالمرء

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ [النبأ :٤٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«**والظاهر** أنَّ (المرء) عام في كل أحد؛ لأنَّ كل أحد يرى ذلك اليوم ما كسب، وما قدَّم وأخَّر من خير وشر مثبتاً عليه في صحيفته. وقال عَطَاء: هو أُبَيّ بن خَلَف، وعُقْبَة بن أَبِي مُعَيْط[١]. وقال الحَسَن: هو المرء المؤمن يرى عمله، فيرجو ثواب الله على صالح عمله، ويخاف العقاب على سوء عمله[٢]، وأمَّا الكافر فإنَّه يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾»[٣].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالمرء في الآية:

القول الأول: أنَّه عام في المؤمن والكافر.

واختاره الوَاحِدِيّ[٤]، والبَغَوِيّ، والرَّازِيّ، وابن جُزَي، وجَلَال الدِّين المَحَلِّي، وأبو حيَّان، والبِقَاعِيّ، والآلُوْسِيّ، والسّعْدِيّ، والشَّنْقِيطِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[٥].

---

[١] عُقْبَة بن أَبِي مُعَيْط، واسم أبي مُعَيْط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، يكنى أبا الوليد، وكان من أشد الناس أذى لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعداوة له وللمسلمين، أُسر ببدر فقتل صبراً قتله عاصم بن ثابت الأنصاري.
ينظر : المحبَّر ص١٥٧، والكامل في التاريخ (٥٩٥/١)، والبداية والنهاية (٣٥٠/٣).
والأثر لم أجده مسنداً، وذكره دون نسبة القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٨٨/١٩)، والشَّوكَانِيّ في فتح القدير (٥٢١/٥).

[٢] أخرجه بمعناه ابن أبي الدنيا في الأهوال ص١٣١، والطَّبَرِيّ في تفسيره (١٨٠/٢٤).

[٣] البسيط (١٥٠/٢٣).

[٤] ينظر: البسيط (١٥٠/٢٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٤١٧/٤)، والوجيز (١١٦٨/٢).

[٥] ينظر:معالم التنزيل (٣١٨/٨)، ومفاتيح الغيب (٢٤/٣١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٤٧/٢)، والبحر المحيط (٤٠٧/٨)، وتفسير الجلالين ص٧٨٨، ونظم الدرر (٣٠٦/٨)، وروح المعاني (٢٢/٣٠)، وتيسير الكريم الرحمن ص٩٠٧، وأضواء البيان (٤١٤/٨)، والتحرير والتنوير (٥٢/٣٠)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن جزء عمّ ص ٣٨.

واستُدل لهذا القول بأنَّ كل أحد يرى ذلك اليوم ما كسب[1].

القول الثاني: أنَّ المراد به المؤمن، وهو قول الحَسَن -كما سبق-. واختاره الطَّبَرِيّ، والسَّمَرْقَنْدِيّ، والشَّوكَانيّ[2].

واستُدل بقوله تعالى بعده: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ فالكافر المذكور في آخر الآية مقابل (المرء) المؤمن في أول الآية[3]. وَضَعَّفَهُ الآلُوْسِيّ[4].

القول الثالث: أنَّ المراد به الكافر، وهو قول عَطَاء -كما سبق-. واختاره الزَّمَخْشَرِيّ[5]. واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ فهي تخص الكافر.

وأجيب: بأنَّ الإنذار عامٌ للفريقين، ولا دلالة على اختصاصه بالكافر[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الأظهر والأولى، ويُؤَيِّده:

١. السياق القرآني، فالآيات السابقة تحدثت عن أحوال المؤمنين والكافرين، ومآلهما، فناسب أن تتناول السورة في خاتمتها كلا الفريقين؛ لذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[النبأ: ٣٩-٤٠][7].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٣/ ١٥٠)، ومفاتيح الغيب (٢٤/٣١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٤٧/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (١٧٩/٢٤)، وبحر العلوم (٥١٧/٣)، وفتح القدير (٥٢١/٥).

[3] ينظر: فتح القدير (٥٢١/٥).

[4] ينظر: روح المعاني (٢٢/٣٠).

[5] ينظر: الكشاف (٦٩١/٤).

[6] ينظر: روح المعاني (٢٢/٣٠).

[7] ينظر: المصدر السابق (٢٢/٣٠).

٢. أنَّ الله - ﷻ- أخبر في آيات كثيرة أنَّ أعمال الإنسان تحصى، وأنَّها تعرض عليه يوم القيامة خيرها وشرها، كما في قوله: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا**﴾[آل عمران: ٣٠]، وقوله: ﴿**وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا**﴾[الإسراء: ١٣]، و(كل) من ألفاظ العموم. فكل أحد يرى ما عمل، وما قدَّم وأخَّر في ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿**يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾ [القيامة: ١٣]، وقوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾[الزلزلة: ٦-٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

والقاعدة الترجيحة: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عُدِم ذلك[١].

٣. لا دليل على تخصيص لفظ (المرء) بالمؤمن أو الكافر.

والقاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

❁ ❁ ❁ ❁

[١] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[٢] ينظر: جامع البيان (١٣٤/١٣)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٦٦/٢).

٢٢٤- المراد بقوله: ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ قال الكَلبِيّ: يصلح فيعمل خيرًا [١]، قال الفَرَّاء: أي بما أراد أن يتعلمه من عِلمك[٢]. والمعنى: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، والانتفاع بما يتعلم منك. وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المعنى: يتطهر من الشرك بالإسلام، وهو قول: ابن زَيْد[٣]، ومعنى قول عَطَاء[٤]. **والصحيح هو الأول**؛ لأنَّه كان قد آمن من قبل هذه القصة قاله الكَلبِيّ »[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بقوله: ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ في الآية:

القول الأول: أنَّه يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلبِيّ -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[٦]، والطَّبَرِيّ، وأبو حيَّان، والشَّوكَانيّ[٧].

---

[١] لم أجد من نسب هذا القول للكَلبِيّ سوى الوَاحِدِيّ، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (١٠/ ١٣١).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٢٣٦).

[٣] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/ ٢١٩)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٨/ ٣٣٦).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٠٢/٦) وعبارته: « يؤمن ».

[٥] البسيط (٢١١/٢٣).

[٦] ينظر: البسيط (٢١٢/٢٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٢٢/٤)، وفي الوجيز اقتصر على القول الثاني (١١٧٣/٢). وعبارته: «لعلَّ الأعمى ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ يتطهَّر من ذنوبه بالإسلام، وذلك أنَّه أتاه يطلب الإسلام، ويقول له: علِّمني ممَّا علمك الله».

[٧] ينظر: جامع البيان (٢١٩/٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٩)، وفتح القدير (٥٣٩/٥).

القول الثاني: أنَّ يتطهر من الشرك بالإسلام، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-، ومُقَاتِل بن سُلَيْمَان[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القول الأول هو الراجح، ويُؤَيِّده:

١. ظاهر سياق الآيات لحاقاً، فقوله تعالى :﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ [عبس: ٨-١٠][2]، حيث أثبت الله - ﷻ- له عبادة الخشية.

٢. الرواية الصحيحة المسندة في سبب نزول الآية من حديث أم المؤمنين عَائِشَة - رضي الله عنها - قَالَتْ: «أُنْزِلَتْ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ[3] الْأَعْمَى، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رسول اللَّهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رسول الله -ﷺ- رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رسول الله -ﷺ- يُعْرِضُ عَنْهُ ويُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ، ويقول: «يَا فُلَانُ أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا» فَيَقُولُ: لَا؛ ففي هذا أنزل»[4].

فقوله:«يَا رسول اللَّهِ أَرْشِدْنِي» يدل على أنَّه قد أسلم قبل نزول الآية.

---

[1] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٤٥١).

[2] ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٩٦).

[3] عَمْرو بن أُمّ مَكْتُوْمٍ القُرَشِيُّ العَامِرِيُّ، ويقال: اسمه عبد الله، وعمرو أكثر، وهو بنُ قَيْسِ بنِ زَائِدَةَ بنِ الأَصَمِّ، وأمُّه عَاتِكَةُ المِخْزُوْمِيَّةُ، أسلم قديماً بمكة، وهو من المهاجرين الأولين، كان النبي -ﷺ- يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس، قال الواقدي: شهد القادسية معه الراية، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها، ولم نسمع له بذكر بعد عمر - رضي الله عنه -. ينظر: الاستيعاب (٣/٩٩٧)، الإصابة (٤/ ٦٠٠).

[4] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة عبس، رقم الحديث (٣٣٣١)، (٥/٤٣٢)، وأخرجه الحَاكم في المستدرك كتاب التفسير، باب سورة عبس، رقم الحديث (٣٨٩٦)، (٢/٥٥٨)، وصححه الحَاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه الوَاحِدِيّ في أسباب النزول ص٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم الحديث (٣٣٣١)، (٣/٣٦٣).

أمَّا الرواية الأخرى التي جاء فيها: « يَا مُحَمَّدُ اسْتَدْنِينِي[1] »[2] والتي فيها إشارة إلى عدم إسلام ابن أُمّ مَكْتُومٍ؛ لأنَّه لم يناديه بصفة النبوة أو الرسالة، فقد علق عليها ابن عبد البر بقوله: «وهذا الحديث لم يختلف الرواة عن مالك في إرساله»[3]. فهي مخالفة للرواية الصحيحة المسندة.

٣. أنَّ أكثر المفسرين اقتصر على هذا القول[4]، مما يشعر بضعف القول الآخر، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[5].

---

[1] دَنا من الشيء دُنُوّاً ودَناوَةً: قَرُبَ، وسمِّيت الدنيا لأنَّها دَنَتْ وتأخَّرَت الآخرةُ ، وكذلك السماء الدنيا هي القُرْبى إلينا. واسْتَدْنِينِي: قَرِّبْنِي مِنْ نَفْسِكَ.
ينظر: تهذيب اللغة (١٣٣/١٤)، ولسان العرب (١٣٣/١٤)، مادة (دنا).

[2] أخرجه مالك في موطأه (٢٠٣/١).

[3] التمهيد (٣٢٤/٢٢).

[4] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٣٥/٣)، والهداية إلى بلوغ النهاية (٨٠٥٤/١٢)، وأنوار التنزيل (٤٥١/٥)، ومدارك التنزيل (٣/ ٦٠١)، ولباب التأويل (٢٠٩/٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٥٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٣١٩/٨)، وتفسير الجلالين ص٧٩٢، وروح المعاني (٤٠/٣٠)، وتيسير الكريم الرحمن ص٩١٠، والتحرير والتنوير (٩٦/٣٠)، وتفسير القرآن لابن عُثَيْمِيْن جزء عمّ ص ٦٠.

[5] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢٢٥- المراد بالخُنَّس[١] الجوار الكنَّسِ[٢]

في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [التكوير:١٥-١٦].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-« قوله تعالى: ﴿ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ أكثر المفسرين على أنَّ المراد بها النُّجوم...وقال عَبْدِ اللَّه بن مَسْعُود: هي بقرُ الوَحْش[٣]، وهو قول إِبْرَاهِيم[٤]. وقال سَعِيْد بن جُبَيْر: هي الظِّباء[٥]. **والقول هو الأول**»[٦].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالخُنَّس الجوار الكنَّسِ في الآية:

القول الأول: أنَّها النُّجوم أو الكواكب، وهو قول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب[٧]، وابن عَبَّاس في رواية عِكْرِمَة[٨]، والحَسَن[٩]، ومُجَاهِد في رواية عنه[١٠]، وقَتَادَة، وابن زَيْد[١١].

---

[١] الخُنَّس: الخُنُوسُ: الانقباض والاستخفاء، وخَنَسَ الرجل إذا توارى وغاب، والخَنَسُ في الأَنف: تأَخره إِلى الرأْس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مُشْرِف، وقيل الخَنَسُ: قريب من الفَطَسِ، وهو لُصُوق القَصَبة بالوَجْنَةِ وضِخَمُ الأَرْنَبَةِ. ينظر: العين (١٩٩/٤)، ولسان العرب (١٧/٦)، مادة (خنس).

[٢] الكنَّس: جمع كَانِسٍ وَكَانِسَةٍ، يُقَالُ: كَنَسَ إِذَا دَخَلَ الْكِنَاسَ، وَهُوَ مَقَرُّ الوَحْشِ، يُقَالُ: كَنَسَ الظِّبَاءُ فِي كُنُسِهَا، وَتَكَنَّسَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا دَخَلَتْ هَوْدَجَهَا.

ينظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٨)، ولسان العرب (١٩٧/٦)، مادة (كنس).

[٣] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٣٥١)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٢/٢٤).

[٤] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٣/٢٤)، وذكره ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤١٧/٥).

[٥] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٣/٢٤)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٤٩/٨).

[٦] البسيط (٢٦٣/٢٣).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥١/٢٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦١).

[٨] أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١٢١٢/٤)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٨/ ٣٣٦).

[٩] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣/ ٣٥٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٢/٢٤).

[١٠] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥١/٢٤) من طريق الأعمش، وذكره عنه النَّحَّاس في إعراب القرآن (١٦٠/٥).

[١١] أخرجه قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥١/٢٤)، وذكره عنهما النَّحَّاس في إعراب القرآن (٥/ ١٦٠).

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، وأبو عُبَيْدَةَ، والزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ، والرَّازِيّ، والنَّيْسَابُوْرِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن القَيِّم، وابن عَادِل، والشَّوكَانِيّ، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[2]. وهو قول أكثر المفسرين[3].

واستُدل لهذا القول بالسياق بعده، وهو قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٧-١٨]، فهو أليق بالنجوم[4].

القول الثاني: أنَّها بقرُ الوَحْش، وهو قول عَبْد اللَّه بن مَسْعُود، وإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ -كما سبق-، ومُجَاهِد في رواية عنه[5].

القول الثالث: أنَّها الظِّباء، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية العَوْفِيّ[6]، وسَعِيْد بن جُبَيْر -كما سبق-، ومُجَاهِد في رواية عنه[7]، والضَّحَّاك[8].

واسْتَبْعَدَ هذا القول والذي قبله جمعٌ من المفسرين؛ لأنَّه لا يناسب السياق[9].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٦٧/٢٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٤٣٠)، والوجيز (٢/ ١١٧٨).

[2] ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٩١/٥)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (١٦٩/٦)، ومفاتيح الغيب (٦٦/٣١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٥٥/٦)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٢٧٣/١١)، والتبيان في أقسام القرآن (١١٦/٢)، واللباب في علوم الكتاب (١٨٧/٢٠)، وفتح القدير (٥٥١/٥)، ومحاسن التأويل (٤١٨/٩)، والتحرير والتنوير (١٣٦/٣٠)، وتفسير جزء عم لابن عُثَيْمِيْن ص ٧٥.

[3] حكاه الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٩١/٥)، والوَاحِدِيّ في البسيط (٢٦٣/٢٣)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٩/ ٤٢)، وابن عَاشُور في التحرير والتنوير (١٣٥/٣٠)،

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩١/٥)، ومفاتيح الغيب (٦٦/٣١)، غرائب القرآن (٤٥٥/٦)، والتبيان في أقسام القرآن (١١٦/٢)، وفتح القدير (٥٥١/٥)، والتحرير والتنوير (١٣٦/٣٠).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥١/٢٤) من طريق الصَّلت بن راشد.

[6] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٣/٢٤)، وذكره البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٣٤٩/٨).

[7] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥١/٢٤) من طريق ابن أبي نجيح.

[8] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٥٤/٢٤)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٨/ ٣٣٧).

[9] ينظر: مفاتيح الغيب (٦٦/٣١)، وغرائب القرآن (٤٥٥/٦)، والتبيان في أقسام القرآن (١١٦/٢)، وفتح القدير (٥٥١/٥)، والتحرير والتنوير (١٣٦/٣٠).

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يظهر – والله أعلم – أنَّ القول الأول أظهر وأقرب، أمَّا القول الثالث فهو قريب في معناه من القول الثاني؛ لأنَّ الظِّباء من الوحوش، ولاتفاقهما في الوصف المذكور، والآية وإن كانت تحتمل جميع الأقوال السابقة؛ لأنَّ الوصف في قوله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ صالحٌ لأكثرِ من موصوف، غير أن القول الأول أرجح، ويُؤَيِّده ما يلي:

١. موافقة السياق، حيث ذُكر في لحاقِها آيات كونية، وهي قوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ والنجوم والكواكب آيات كونية، فهي أنسبُ لهذا المعنى اللحاقي من أن تكون بقر الوحش والظباء[١].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[٢].

٢. أنَّ الغالب على أقسام القرآن أن يكون القسم بما هو ظاهرٌ للناس، أو له آثار ظاهرة، والنجومُ والكواكب أظهر وأشهر للخلق من بقر الوحش والظباء[٣].

٣. أنَّ محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى، ولا شك أنَّ الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش[٤].

٤. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٥].

---

[١] ينظر: مفهوم التفسير والتأويل لمساعد الطيار ص ١١٥.

[٢] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

[٣] ينظر: التبيان في أقسام القرآن (١١٨/٢).

[٤] ينظر: مفاتيح الغيب (٦٦/٣١)، والتبيان في أقسام القرآن (١١٨/٢).

[٥] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢٢٦- المراد بالنجم الثاقب

في قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق:٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ اسم جنس، وأُريد به العموم في قول أهل المعاني، وأكثر أهل التفسير، وهو قول الكَلْبِيّ[١]، ومُقَاتِل[٢]، وقَتَادَة[٣]، والحَسَن[٤]، والفَرَّاء[٥]، والزَّجَّاج[٦]، وقال ابن زَيْد: أراد به الثُّرَيَّا، والعرب تسميه النجم[٧]...وروى أبو الجَوْزَاء[٨] عن ابن عَبَّاس أنَّه زُحَل[٩]. **والقول هو الأول**»[١٠].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالنجم الثاقب في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد جنس النجوم الثواقب، أي: كل ما يظهر في السماء من نجوم، تثقب بضوئها أديم السماء المعتم، وهو قول الحَسَن، وقَتَادَة، ومُقَاتِل، ونسبه الوَاحِدِيّ للكَلْبِيّ -كما سبق-.

---

[١] لم أجد قول الكَلْبِيّ في المصادر التي وقفت عليها.

[٢] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/ ٤٧٣).

[٣] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٣/ ٥٤٦).

[٤] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/٤٣٦)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٨/٤٤٨).

[٥] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٢٥٤).

[٦] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣١١).

[٧] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/٣٥٢)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٦/٢٤٦).

[٨] أوْس بن عبد الله الرَّبَعِيُّ البصري، من كبار العلماء، تابعي ثقة، يرسل كثيراً، وحديثه عند الجماعة، توفي سنة ٨٣ هـ. ينظر: الأنساب (٥/٢٥٣)، وسير أعلام النبلاء (٤/٣٧١).

[٩] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٩/٨١)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٢٣/ ١٠٧).

[١٠] البسيط (٢٣/ ٤٠٤).

واختاره الوَاحِدِيّ[١]، والفَرَّاء، والزَّجَّاج، وابن القَيِّم، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ[٢].

قال الْقُشَيْرِيُّ[٣]:«وَالْمُعْظَمُ على أن الطارق والثاقب اسم جنس أريد به العموم»[٤].

القول الثاني: أنَّ المراد بالنجم الثُّرَيَّا، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-.

القول الثالث: أنَّ المراد بالنجم زُحَل، وهو قول عَلِيّ بن أَبِي طَالِب[٥]، وابن عَبَّاس -كما سبق-.

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول بالعموم هو الأولى والأظهر، فاللفظ جاء عاماً من غير تخصيص لنجم دون نجم، بل وصف بكونه طارقاً ثاقباً، والنجوم كلها تظهر بالليل فهي طوارق، وكلها مضيئة فهي ثواقب، وما ورد من التخصيص بنجم معين، فهو على سبيل التمثيل لا الحصر، ويُؤَيِّد ذلك القاعدة الترجيحية: أنَّ نصوص الوحي يجب حملها على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٦].

---

[١] ينظر: البسيط (٢٣/ ٤٠٥)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٤٦٤)، والوجيز (٢/١١٩٢).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/٢٥٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/٣١١)، والتبيان في أقسام القرآن (٢/١٠١)، ومحاسن التأويل (٩/٤٤٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص٩١٩.

[٣] عبد الكريم بن هَوَازِن بن عبد الملك النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ، أبو القاسم، من علماء نيسابور، أصولي، فقيه، مفسر، صنّف التيسير في علم التفسير، ويقال له: التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير، توفي سنة ٤٦٥هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٨/٢٢٧)

[٤] الجامع لأحكام القرآن للْقُشَيْرِيّ (٢٠/ ٣).

[٥] ذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٦/٢٤٦)، وابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (٩/٨١).

[٦] ينظر: جامع البيان (١٣/١٣٤)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠١، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٦٦).

قال ابن القَيِّم: «﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ الذي يثقب ضوؤه، والمراد به الجنس لا نجم معين، ومن عينه بأنَّه الثُّرَيَّا أو زُحَل فإن أراد التمثيل فصحيح، وإن أراد التخصيص فلا دليل عليه»[1].

[1] التبيان في أقسام القرآن (٢/ ١٠١).

٢٢٧- المراد بالرَّجْع

في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ [الطارق:١١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:«﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ قال أبو عُبَيْدَةَ: الرَّجْع في كلام العرب: الماء[١]...قال الفَرَّاء: تبتدئ بالمطر، ثم ترجع به في كل عام[٢]، وقال أبو إِسْحَاق[٣]: الرَّجْع: المطر؛ لأنَّه يجيء ويرجع ويتكرر[٤]...وهو قول مُقَاتِل[٥]، وسَعِيْد بن جُبَيْر[٦]، وعِكْرِمَة عن ابن عَبَّاس[٧]، ومُجَاهِد[٨]، قالوا: ذات المطر تمطر، ثم تمطر، ثم ترجع تمطر بعد مطر. وقال أهل المعاني: رجع السماء إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالًا بعد حال على مرور الأزمان، ترجعه رجعة، أي تعطيه مرة بعد مرة. وقال ابن زَيْد: هو أنَّها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما[٩]، **والقول هو الأول**»[١٠].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالرَّجْع في الآية:

القول الأول: أنَّ الرَّجْع المطر؛ وسمى المطر رجعاً؛ لأَنَّهُ يرجع مرّة بعد أُخْرَى، وهو قول ابن عَبَّاس، وسَعِيْد بن جُبَيْر، ومُجَاهِد، ومُقَاتِل -كما سبق-، وعِكْرِمَة،

---

[١] ينظر: مجاز القرآن (٢/٢٩٤).

[٢] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٢٥٥).

[٣] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٤] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/٣١٢).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٤٧٤).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السُّيوطِيّ في الدر المنثور (٨/ ٤٧٧) وعزاه عَبْد بن حُمَيْد.

[٧] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣/٣٦٥)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٤/١٢٦٣).

[٨] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٢/٧٥٠)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/٣٦٠).

[٩] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٢٤/٣٦١)، وذكره عنه النَّحَّاس في إعراب القرآن (٥/٢٠١).

[١٠] البسيط (٢٣/ ٤١٧).

والضَّحَّاك[١]، وقَتَادَة[٢]. واختاره الوَاحِدِيّ[٣]، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، والطَّبَرِيّ، والزَّجَّاج، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وأبو السُّعُوْد، والقَاسِمِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[٤]، وهو قول جمهور المفسرين[٥].

القول الثاني: أنَّ الرَّجْع الشمس والقمر والنجوم، وسميت رجعاً؛ لأَنَّها تطلع وتغيب، وترجع من المغرب إلى المشرق، وهو قول ابن زَيْد -كما سبق-.

وعدَّ الكَرْمَانِيُّ هذا القول من غرائب التفسير[٦].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الراجح هو القول الأول، ويُؤَيِّده:

١. أنَّ الرَّجْع عند أهل اللغة المطر، والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف المشهور من كلام العرب دون القليل والشاذ[٧].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٨].

---

[١] أخرج قولهما الطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦٠/٢٤).

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (٣٦٥/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٣٦١/٢٤).

[٣] ينظر: البسيط (٤١٨/٢٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٦٧/٤)، والوجيز (١١٩٣/٢).

[٤] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٢٥٥/٣)، وغريب القرآن ص٥٢٣، وجامع البيان (٣٥٩/٢٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣١٢/٥)، ومفاتيح الغيب (١٢٠/٣١)، ومدارك التنزيل (٦٢٨/٣)، وإرشاد العقل السليم (١٤٢/٩)، ومحاسن التأويل (٤٥٢/٩)، والتحرير والتنوير (٢٣٧/٣٠)، وتفسير جزء عم لابن عُثَيْمِيْن ص ١٥١.

[٥] حكاه النَّحَّاس في إعراب القرآن (٢٠١/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٠)، وابن جُزَي في التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٢/٢)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٤٥١/٨)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٣٠/ ٩٩).

[٦] ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل (١٣٢٨/٢).

[٧] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

[٨] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢٢٨- المراد بالنَّجدين

في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس[١]، والمفسرون: يريد بَيَّنَّا له طريق الخير، وطريق الشر. وهو قول عَبْد اللَّهِ[٢]، وعَلِيّ[٣]، ومُجَاهِد[٤]، ومُقَاتِل[٥]، والكَلبِيّ[٦]، قالوا: يعني سبيل الخير والشر، والطاعة والمعصية، كقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣] قال أبو إِسْحَاق[٧] المعنى: ألم نُعرّفه طريق الخير والشر، وَنُبَيِّنْهُ لَهُ كَتَبْيِينِ الطَّرِيقَيْنِ الْعَالِيَيْنِ[٨]. وروى عِيْسَى بن عِقَال[٩]، عن أبيه[١٠] عن ابن عَبَّاس في قوله: ﴿ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ قال: الثديين[١١]. وهو قول سَعِيْد بن المُسَيِّب[١٢]،

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٨/٢٤)، وهي رواية علي بن أبي طلحة والعَوْفِيّ عنه.

[٢] أخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٧٤/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٧/٢٤).

[٣] أخرجه الفَرَّاء في معاني القرآن (٢٦٤/٣)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٧٧/٦).

[٤] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٧٦٠/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٨/٢٤).

[٥] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٨٦/٣).

[٦] لم أجده مسنداً، وذكره عنه السَّمَرْقَنْدِيّ في بحر العلوم (٥٦٠/٣).

[٧] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٨] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٢٩/٥).

[٩] عِيْسَى بن عِقَال البَجَلِيُّ، الكوفي، من الطبقة السادسة فما دونها، روى عن أبيه عِقَال، ورَوَى عَنه القاسم بْن مالك، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤٠٣/٦)، والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٤٤٢/١).

[١٠] عِقَال البَجَلِيُّ، الكوفي، من الطبقة الرابعة، أو الخامسة، روي عن ابن عَبَّاس، وروى عَنْهُ ابنه عِيسَى بن عقال، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (٢٤٤/٦)، والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري (٧٨٣/٢).

[١١] أخرجه ابن أبي حَاتِم كما في تفسير ابن كَثِيْر (٤٠٥/٨)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٩/٢٤) من طريق عِيْسَى بن عِقَال، وأخرجه عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٧٤/٣) من طريق آخر عن ابن عَبَّاس.

[١٢] لم أجده مسنداً، وذكره الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٠٩/١٠)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٣١/٨).

والضَّحَّاك[1]. **والقول هو الأول**؛ لبعد أن يراد بالنَّجدين الثديان، ومن قال ذلك ذهب إلى أنَّهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه، والله تعالى هدى الطفل الصغير حتى ارتضعهما، فهو قوله: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾»[2].

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في المراد بالنَّجدين في الآية:

القول الأول: أنَّ النَّجدين طريق الخير والشر، والمعنى: هديناه وبيَّنا له سبيل الخير والشر، والهدى والضلال، وهو قول ابن مَسْعُودٍ، وعَلِيّ بن أَبِي طَالِب، وابن عَبَّاس في رواية عنه، ومُجَاهِد، ومُقَاتِل، والكَلبِيّ -كما سبق-.

ورُوي مرسلاً من طريق الحَسَن[3]، وقتادة[4] إلى النبي - ﷺ - أنَّه قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا نَجْدانِ: نَجْدُ خَيْرٍ، ونَجْدُ شَرٍّ، فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟»[5].

---

[1] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٩/٢٤)، وذكره عنه ابن الجَوْزِيّ في زاد المسير (١٣٢/٩).

[2] البسيط (٢٢/٢٤).

[3] أخرج عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٧٤/٣) عن الحَسَن في قوله:﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾قال: قال النبيّ -ﷺ-: «إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرّ أحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ». وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٨/٢٤) من خمسة طرق كلها مرسلة.

[4] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٩/٢٤)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٤٠٥/٨).

[5] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٢/٨)، والشهاب في مسنده (٢٣٥/٢) من طريق فَضَال عن أبي أُمَامَة مرفوعاً إلى النبيّ -ﷺ-، وفَضَالة بن جبير ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٦/١٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٧٠/٢)، وأخرجه ابن راهويه في مسنده (٤٠٣/١)، والطبراني في مسند الشاميين (٣١٤/٣)، من طريق عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبيّ -ﷺ-، وهو ضعيف للإرسال، فعطاء لم يسمع من أبي هريرة، وأخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٣٥٦/٣) من طريق سنان بن سعد عن أنس بن مالك مرفوعاً إلى النبيّ -ﷺ-، ولعله يرتقي إلى مرتبة الحسن لتعدد طرقه.

واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، وابن كَثِيْر، والشَّوكَانيّ، والقَاسِمِيّ[2]، وهو قول أكثر المفسرين[3]. واستُدل لهذا القول بالنظير القرآني، وهو قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4].

القول الثاني: أنَّ النَّجدين هما الثديان، والمعنى: دَلَلْناه على ما فيهما غذاؤه، فإنَّهما نَجْدان لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه الله - تعالى - إليهما، وهو رضيع لا يعرف شيئاً، وهو قول ابن عَبَّاس في رواية عنه، وسَعِيْد بن المُسَيِّب، والضَّحَّاك -كما سبق-.

وقد ردَّ هذا التفسير الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ[5] فقال: « أمَّا إنَّهما ليسا بالثديين »[6].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ الأولى ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنَّ المراد بالنجدين طريق الخير والشر، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. النظير القرآني، فالله - ﷻ- عدد نعمه على عباده في سورة الإنسان بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، ثم اتبعه بذكر هدايته إيَّاه إلى سبيل الخير التي هي من أكبر النعم، فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا

---

[1] ينظر: البسيط (٢٤/٢٤)، واقتصر عليه في الوسيط (٤٩٠/٤)، والوجيز (١٢٠٤/٢).

[2] ينظر: جامع البيان (٤٣٩/٢٤)، وتفسير القرآن العظيم لابن كَثِيْر (٤٠٥/٨)، وفتح القدير (٦٢٩/٥)، ومحاسن التأويل (٤٧٧/٩).

[3] حكاه الثَّعْلَبِيّ في الكشف والبيان (٢٠٩/١٠)، والسَّمْعَانِيّ في تفسيره (٢٢٨/٦)، والبَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٣١/٨)، والرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٦٦/٣١)، والنَّيْسَابُوْرِيّ في غرائب القرآن (٦/ ٥٠٣).

[4] ينظر: الكشف والبيان (٢٠٩/١٠)، ومعالم التنزيل (٤٣١/٨)، ومفاتيح الغيب (١٦٦/٣١).

[5] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٣٨/٢٤)، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٢٧٧/٦).

[6] الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْمِ بنِ عَائِذٍ، أبو يَزِيْدَ الثَّوْرِيُّ الكُوْفِيُّ، أحد الأعلام، يُعدُّ من عقلاء الرجال، أدرك زمان النبي -ﷺ-، وأرسل عنه، روى عن عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم، توفي قبل سنة ٦٥هـ. ينظر: حلية الأولياء (١٠٥/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٢/٤).

﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، فهذه الآيات نظير قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد :٨-١٠].

قال الطَّبَرِيّ:«وأولى القولين بالصواب في ذلك عندنا: قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ، وذلك أنَّه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله -تعالى ذكْره- إذ عدَّد على العبد نِعَمه بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ إنَّما عدَّد عليه هدايته إيَّاه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله:﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾»[١].

والقاعدة الترجيحة: أنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدَّم على ما عدم ذلك[٢].

٢. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٣].

أمَّا القول الثاني أنَّ المراد بالنجدين الثديان فله حظ من النظر؛ لأنَّه يناسب المنَّة بجعل العينين واللسان والشفتين للإنسان، فالله - سبحانه - هداه لرضاعة لبن أمه، وهو لا يدرك، ولا شك أن من هداه لهذا الأمر الذي به حياته، فإنَّه سيبيِّن له طريق الخير والشر كما قاله الآخرون[٤].

---

[١] جامع البيان (٤٣٩/٢٤).

[٢] ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤/١٠)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، ومقدمة في أصول التفسير لابن تَيْمِيَّة ص١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨١/١).

[٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

[٤] ينظر: تفسير جزء عم للشيخ لمساعد الطيار ص١٥٠.

٢٢٩- المراد بالعقبة[١]

في قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: ١١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال عَطَاء: يريد عقبة جهنم، وقال الكَلبِيّ: هي عقبة بين الجنة، والنار[٢]. وقال ابن عُمَر: هي جَبَلٌ زُلَالٌ [٣] في جهنم[٤]. وقال الضَّحَّاك، ومُجَاهِد: هي الصراط يضرب على جهنم[٥]، وهو معنى قول الكَلبِيّ: عقبة بين الجنة والنار. وقال قَتَادَة: إنَّها قُحْمَةٌ شديدة، فاقْتِحموها بطاعة الله[٦]. هذا كلام المفسرين في تفسير هذه العقبة المذكورة هاهنا. قال المُبَرِّد[٧]، والفَرَّاء[٨]، وأبو عُبَيْدَة[٩]، والزَّجَّاج[١٠] معنى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ﴾ فلم يقتحم. وأمَّا مَا ذكرنا عن المفسرين في تفسير العقبة، فغير متوجه هاهنا؛ لأنَّه من المعلوم أن هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم، ولا جاوزوها، فإذًا لا معنى لحملها على عقبة في الآخرة، ولكن **الصحيح** أنَّ ذكر العقبة هَاهنا مثل ضربه الله -تعالى-

---

[١] العَقَبَةُ: طَرِيقٌ في الجَبَل وَعْرٌ يُرْتَقَى بمَشقةٍ، وجمعُه عَقَبٍ وعِقابٌ.
ينظر: العين (١/ ١٨١)، ولسان العرب (١١/ ٦١٩)، مادة (عقب).

[٢] لم أجد قولهما مسنداً، وذكره عنهما الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٦٧/٣١)، وابن القَيِّم في التبيان في أقسام القرآن (٤٣/٢).

[٣] جبل زُلَالٌ: جبل زَلِق، يقال: زَلَّ عن الصَّخْرة، ويَزِلُّ، ويَزَلُّ زَلا، وزَلِيلاً، ومَزِلَّةً: زَلِقَ.
ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٦/٩)، ولسان العرب (١١/ ٣٠٦)، مادة (زلل).

[٤] أخرجه ابن أَبِي شَيْبَة في مصنفه (١١٨/٧)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٤٠/٢٤).

[٥] لم أجد قولهما مسنداً، وذكره عنهما الرَّازِيّ في مفاتيح الغيب (١٦٧/٣١)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦٧/٢٠).

[٦] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٤٠/٢٤)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٤٠٥/٨).

[٧] لم أجد قوله في كتب اللغة، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٦٦/٢٠)، والشَّوكَانيّ في فتح القدير (٦٣٠/٥).

[٨] ينظر: معاني القرآن للفَرَّاء (٣/ ٢٦٤).

[٩] ينظر: مجاز القرآن (٢٩٩/٢).

[١٠] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٢٩).

لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر، وهذا مذهب الحَسَن، ومُقَاتِل. قال الحَسَن: عقبة الله شديدة، ومجاهدة الإنسان نفسه، وهواه، وعدوه الشيطان[1]. وقال مُقَاتِل: هذا مثل ضربه الله؛ يريد أن المعتق رقبة، والمطعم تَقَاحم نفسه وشيطانه، مثل من يتكلف صعود العقبة، فشبه المعتق رقبة في شدته عليه بالمتكلف صعود العقبة[2]. وهذا مذهب أبي عُبَيْدَةَ، فقد قال: لم يقتحم العقبة في الدنيا[3]، فبيَّن أنَّ هذه العقبة في الدنيا، وهي مَا ذكر الله من بعد، فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴾ [البلد: ١٢]»[4].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالعقبة في الآية:

القول الأول: أنَّها عقبة حقيقية في الآخرة، وهو قول ابن عُمَر، ومُجَاهِد في رواية، والضَّحَّاك، وعَطَاء، وقَتَادَة، والكَلْبِيّ -كما سبق-. واختاره ابن القَيِّم[5].

القول الثاني: أنَّها عقبة معنوية في الدنيا، فالعقبة هنا مثل ضربه الله -تعالى- لمجاهدة النفس، والشيطان في أعمال البر، وهو قول مُجَاهِد في رواية أخرى[6]، والحَسَن، ومُقَاتِل -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[7]، وأبو عُبَيْدَةَ، والرَّازِيّ، والنَّسَفِيّ، وابن جُزَي،

---

[1] لم أجده مسنداً، وذكره عنه الماوَرْدِيّ في النكت والعيون (٦/٢٧٨)، والنَّسَفِيّ في مدارك التنزيل (٣/ ٦٤٥).

[2] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٣/٤٨٦).

[3] ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٩٩).

[4] البسيط (٢٤/٢٤).

[5] ينظر: التبيان في أقسام القرآن (٢/٤٣).

[6] ذكر البخاري في صحيحة، كتاب التفسير، باب سورة البلد، (٤/ ١٨٨٦) عن مُجَاهِد أنَّه قال: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ فلم يقتحم العقبة في الدنيا، ثم فسر العقبة، فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٍ ﴾ [البلد:١٢-١٤].

[7] ينظر: البسيط (٢٤/٢٧)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/٤٩١)، والوجيز (٢/١٢٠٤).

والثَّعَالِبِيّ، والقَاسِمِيّ، والسّعْدِيّ، وابن عَاشُور، وابن عُثَيْمِيْن[1].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ القولين بينهما تلازم، فالعبد إن لم يستطع صعود عقبة الدنيا بفعل هذه الأعمال الصالحة المذكورة، فلن يستطع سلوك عقبة الآخرة، وإن لم يستطع صعود عقبة الآخرة؛ فهذا يدل على أنَّه لم يقدِّم هذه الأعمال الصالحة، التي مَنْ عَمِلَها جازَ هذه العقبة.

والأظهر والأليق بالسياق هو القول الثاني؛ لأنَّ العقبة جاءت مفسَّرة بما بعدها: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾ [البلد:١٢-١٦]، أي: أفلا دخلَ في هذا الطريقِ الصَّعب؟ وما أعلمكَ عن هذا الطريق؟ إنَّه القيام بهذه الأعمالِ الصالحةِ الشاقة على النفس، المذكورة بَعْد هذه الآية[2].

ولا شك أن أولى ما يفسر به القرآن هو القرآن، وهو أشرف مراتب التفسير وأصحها.

ومما يؤيد هذا القول أنَّه موافق للمعهود من استعمال القرآن لقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ حيث يأتي ما بعده مبيِّناً له.

قال صاحب المفردات: « وكلّ موضع ذكر في القرآن وَما أَدْراكَ، فقد عقّب ببيانه، نحو: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [القارعة:١٠-١١]، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ

---

[1] ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٩٩)، ومفاتيح الغيب (١٦٧/٣١)، ومدارك التنزيل (٦٤٥/٣)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٨٤/٢)، والجواهر الحسان (٤١٦/٤)، ومحاسن التأويل (٤٧٨/٩)، وتيسير الكريم الرحمن ص ٩٢٤، والتحرير والتنوير (٣١٥/٣٠)، وتفسير جزء عم لابن عُثَيْمِيْن ص ٢١٥.

[2] ينظر: تفسير جزء عم للشيخ لمساعد الطيار ص١٥٠.

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر:٢-٣]، ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة:٣-٤]، ﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار:١٨] »[1].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[2].

[1] المفردات في غريب القرآن ص ٣١٣.

[2] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤/٦)، وأضواء البيان (٢١٨/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٦٩/١).

٢٣٠- المراد بالإلهام

في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس:٨].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس في رواية عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة: بَيَّن لها الخير والشر[١]، وهذا كقوله: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[البلد: ١٠]. وقال في رواية عَطِيَّة: علَّمها الطاعة والمعصية [٢]...وقال ابن زَيْد: جعل فيها ذلك بتوفيقه إياه للتقوى، وخذلانه إياه للفجور[٣]، واختار أبو إِسْحَاق[٤] هذا الوجه، وحمل الإلهام فيهما على التوفيق والخذلان[٥]. وقال مُقَاتِل: عرفها الضلالة والهدى[٦]. **والاختيار** قول ابن زَيْد، وسَعِيْد بن جُبَيْر، وهو الموافق لمعنى الإلهام، فإن التَّبيين، والتَّعريف، والتَّعليم دون الإلهام، والإلهام أن يوقع في قلبه، ويجعل فيه...وأصل معنى الإلهام من قولهم: لَهِمَ الشيء، والتهَمَهُ إذا ابْتَلَعَه، وأَلْهَمْته ذلك الشيء إذا أبْلَغْتهُ[٧]. هذا هو الأصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله في قلب العبد؛ لأنَّه كالإبلاغ، والتَّفسير الموافق لهذا الأصل قول ابن زَيْد، وهذا صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه، وفي الكافر، والذي يؤكد هذا ويُبَيِّنَهُ قوله:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[الشمس:٩]»[٨].

---

[١] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٤/٢٤)، وورد في صحيفة عَلِيّ بن أَبِي طَلْحَة ص٥٣٤.

[٢] أخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٤/٢٤)، وذكره عنه البَغَوِيّ في معالم التنزيل (٤٣٨/٨).

[٣] أخرجه بمعناه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٥/٢٤)، وذكره عنه ابن كَثِيْر في تفسيره (٤١٢/٨).

[٤] أراد بأبي إِسْحَاق: الزَّجَّاج.

[٥] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٣٢/٥).

[٦] ينظر: تفسير مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (٤٨٨/٣).

[٧] ينظر: تهذيب اللغة (١٦٩/٦)، ولسان العرب (٥٤٧/١٢)، مادة (لَهِم).

[٨] البسيط (٥٤/٢٤).

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالإلهام في الآية:

القول الأول: أنَّه التَّبيين والتَّعريف، والمعنى: بَيَّن لها الخير والشر، وهو مروي عن ابن عَبَّاس -كما سبق-، ومُجَاهِد[1]، والضَّحَّاك، وقَتَادَة[2].

القول الثاني: أنّهَ الإلقاء في القلب، وجعل ذلك فيه بتوفيقه إياه للتقوى، وخذلانه إياه للفجور، وهو قول ابن زَيْد، ومُقَاتِل -كما سبق-.

واختاره الوَاحِدِيّ[3]، والزَّجَّاج، والسَّمْعَانِيّ، وابن تَيْمِيَّة، وابن القَيِّم[4].

واستُدل لهذا القول باللغة. قال ابن تَيْمِيَّة:«في قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ قيل: هو البيان العام، وقيل: بل أَلْهَم الفاجر الفجور والتقي التقوى، وهذا في تلك الآية أظهر...لأنَّ الإلهام استعماله مشهور في إلهام القلوب، لا في التَّبيين الظاهر الذي تقوم به الحجة»[5].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الثاني هو الأولى والأظهر في الآية، ويُؤَيِّده ما يلي:

١. أنَّ الإلهام في اللغة العربية فوق مجرد التَّعريف والإعلام، فأصل معنى الإلهام من قولهم: لَهِمَ الشيء، والتهَمَهُ إذا ابْتَلَعَه، وأَلْهَمْته ذلك الشيء إذا أبْلَغْتهُ، هذا هو الأصل ثم

---

[1] ينظر: تفسير مُجَاهِد (٧٦٣/٢)، وأخرجه الطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٥/٢٤).

[2] أخرجه عنهما عَبْد الرَّزَّاق في تفسيره (٣٧٦/٣)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٤٥٥/٢٤).

[3] ينظر: البسيط (٥٥/٢٤)، واختاره في الوسيط (٤٩٥/٤)، واقتصر على القول الأول في الوجيز (١٢٠٦/٢).

[4] ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٣٢/٥)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٢٣٣/٦)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤٥/١٦)، وشفاء العليل ص٥٥.

[5] مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٤٥/١٦).

استعمل ذلك فيما يقذفه الله في قلب العبد؛ لأنَّه كالإبلاغ، فالإلهام هو أن يوقع الله -ﷻ- في قلب العبد شيئاً، وإذا أوقع في قلبه شيئاً فقد ألزمه إياه. فهذا المعنى هو الموافق للغة.

قال صاحب المفردات:«الْإِلْهَامُ: إلقاء الشيء في الرُّوعِ[1]، ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله -تعالى-، وجهة الملأ الأعلى»[2].

والقاعدة الترجيحية: أنَّه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف المشهور من كلام العرب دون القليل والشاذ[3].

٢. حديث عِمْرَان بن حُصَيْن[4] -رضي الله عنه- في صحيح مسلم أنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ[5] أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ:« لاَ بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ

---

[1] الرُّوع: بالضم النَّفْس وَمَا خَطَرَ فِيهَا، يقال: وقع ذلك في رُوعِي: أَي في نَفْسي وخَلَدِي وبالي، والرَّوْع بالفتح الفزع والخوف. ينظر: جمهرة اللغة (٧٧٥/٢)، وتهذيب اللغة (١١٤/٣)، والصحاح للجَوْهَرِيّ (٣٥٨/٤)، مادة (روع).

[2] المفردات في غريب القرآن ص ٧٤٨، مادة (لَهِم).

[3] ينظر: جامع البيان (٥٠٩/٧)، (٤٨٢/٨)، (٨٧/١٤)، ومعاني القرآن للنَّحَّاس (١٣٢/٥)، والمحرر الوجيز (٣٣٤/١)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والبحر المحيط (١٧٠/٣)، ومجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (١٠٦/٧)، والصواعق المرسلة (١٨٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٢٤/٢).

[4] عِمْرَان بن حُصَيْن بْن عُبَيْد بْن خَلَف، أَبُو نُجَيْدٍ الخُزَاعِيُّ، أسلم عام خيبر، وكان معه راية خزاعة يوم الفتح، من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وممن اعتزل الفتنة، سكن البصرة، ومات بها سنة ٥٢هـ فِي خلافة مُعَاوِيَة.
ينظر: الاستيعاب (١٢٠٨/٣)، والإصابة (٧٠٥/٤).

[5] قبيلة عربية مُضَرية عدنانية، كانت مساكنهم بين المدينة ووادي القرى. وقد قاتلت مُزينة مع النبي -ﷺ- في غزوة حنين، واشتركوا في فتح مكة مع خالد بن الوليد.
ينظر: جمهرة أنساب العرب (٢٠١/١)، ومعجم قبائل العرب (١٠٨٣/٣).

ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ - ﷻ - : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧-٨] »[١].

فقراءته -ﷺ- هذه الآية بعد إخباره بتقديم القضاء والقدر السابق، يدل على أنَّ المراد بالإلهام استعمالها فيما سبق لها، لا مجرد تعريفها فإن التَّعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر[٢].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه [٣].

قال ابن القَيِّم:« ومن ذلك إخباره سبحانه بأنَّه هو الذي يُلْهِم العبد فجوره وتقواه، والإلهام الإلقاء في القلب لا مجرد البيان والتَّعليم، كما قاله طائفة من المفسرين إذ لا يقال لمن بيَّن لغيره شيئاً وعلمه إياه أنَّه قد ألهمه ذلك، هذا لا يعرف في اللغة البتَّة، بل الصواب ما قاله ابن زَيْد قال: جعل فيها فجورها وتقواها، وعليه حديث عِمْرَان بن حُصَيْن...»[٤].

٣. سياق الآيات اللاحقة يدلَّ على هذا المعنى، فالله - ﷻ- قال:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ثم فسَّر هذا الإلهام بقوله بعد ذلك: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٩-١٠]، والمعنى : قد أفلحت نفس زكاها الله وأصلحها، وخابت

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدميِّ في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث (٦٩٠٩)، (٤٨/٨)، وأخرجه أحمد في مسنده، مسند عمران بن حصين، رقم الحديث (١٩٩٣٦)، (١٦١/٣٣)، بزيادة: «قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُونَ إِذًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « مَنْ كَانَ اللهُ خَلَقَهُ لِوَاحِدَةٍ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لِعَمَلِهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ... »

[٢] شفاء العليل ص٥٥.

[٣] ينظر: جامع البيان (٤٦٣/١١)، والعدة لأبي يعلى (١٠٤٦/٣)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٨٣/١).

[٤] شفاء العليل ص٥٥.

وخسرت نفس أضلها الله وأغواها[1]. ويدل على هذا المعنى قوله -ﷺ-: « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»[2].

والقاعدة الترجيحية: أنَّ القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدَّم على ما خالفه[3].

[1] ينظر: البسيط (٢٤/٥٩)، والوسيط (٤/٤٩٥).

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم الحديث (٧٠٨١)، (٨/٨١).

[3] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة (٦/١٤)، وأضواء البيان (٣/٢١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/٢٦٩).

٢٣١- عدد الفِيَلَة

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل:١].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قوله: ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ يعني الذين غزوا البيت، وقصدوا تخريب الكعبة من الحبشة[١]، والفيل معروف، ويجمع على الفِيَلَةِ، والأَفْيَالِ...وأكثر أهل التاريخ على أنَّهم لم يكن معهم غير فيل واحد، وكان فيلًا كبيرًا للنجاشي، لم ير مثله في الأرض عظمًا وجسمًا وقوة، واسم الفيل محمود. وقال الضَّحَّاك: كانت الفيلة ثمانية[٢]، وعلى هذا الفيل اسم الجنس، **والصحيح هو الأول**، يدل عليه قول أبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ[٣] يذكر تلك القصة.

إنَّ آيَاتِ رَبِّنا بَيِّنَاتٌ ما يُماري بهنَّ إلا الكفُورُ

حَبَسَ الفيلَ بالْمُغَمَّسِ حتّى ظَلَّ يَحْبو كأنَّهُ مَعْقُورُ[٤]

أخبر عن فيلٍ واحد»[٥].

---

[١] تنظر قصة أصحاب الفيل في السير والمغازي لابن إسحاق ص٦١، وسيرة ابن هشام (٤٣/١)، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص١٤٤، وأعلام النبوة للماوردي ص٢٤٠، والبداية والنهاية (١٧٠/٢).

[٢] لم أجده مسنداً، وذكره عنه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٥/ ٤٩٣)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥١١/٨).

[٣] رَبِيعَة بن أَبِي رَبِيعَة وَهْب بن عِلَاجٍ الثَّقَفِيُّ، وقيل: عبد اللَّه بن رَبِيعَة بن عَوْف بن عُقْدَة، شاعر جاهلي، من أهل الطائف، وهو أبو أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت. ينظر: تاريخ دمشق (٢٥٥/٩)، والإصابة (٢٥١/١).

[٤] الأبيات من البحر الخفيف، وهي في سيرة ابن هشام (٦٠/١) نسبها ابن إسحاق لأبي الصَّلْت بن أبي ربيعة الثقفي، وقال ابن هشام: وتروي لأمَيَّة بن أبي الصَّلْت، برواية: (ثاقبات) بدلًا من (بينات)، ووردت في الحيوان للجاحظ (١١٩/٧) منسوبة لأبي الصَّلْت. الْمُغَمَّس: بضم أوّله، وفتح ثانيه، بعده ميم أخرى مشددة مفتوحة، وادٍ ما زال معروفاً شرقي الحرم، يشرف عليه من الشرق جبل كَبْكَبٍ، وعرفة في نهاية الْمُغَمَّس من الجنوب، وهو الموضع الذي ربض فيه الفيل حين جاء به أبرهة. ينظر: معجم ما استعجم (١٢٤٨/٤)، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٣٠٠، ومعالم مكة التأريخية والأثرية ص٢٨٠.

[٥] البسيط (٣٢٢/٢٤).

- **الدراســـة**

أقوال المفسرين في عدد الفيلة في الآية:

القول الأول: أنَّه فيل واحد.

واختاره الوَاحِدِيّ[١]، والطَّبَرِيّ، وأبو حيَّان [٢]، وهو قول جمهور المفسرين[٣].

القول الثاني: أنَّها مجموعة من الفيلة، وأصحاب هذا القول اختلفوا في عددهم:

فقيل: ثمانية فيلة، وهو قول الضَّحَّاك -كما سبق-.

وقيل: اثنا عشر فيلاً.

وقيل : ألف فيل[٤].

وردَّ هذا القول ابن عَطِيَّة [٥].

وتعقبه أيضاً أبو حيَّان بقوله:« وهذه أقوال متكاذبة»[٦].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن – والله أعلم – أنَّ الأظهر في الآية أنَّه فيل واحد، ويُؤَيِّد هذا القول:

١. ظاهر السياق القرآني، فقوله تعالى: ﴿بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾ يدل على أنَّه فيل واحد.

---

[١] ينظر: البسيط (٣٢٣/٢٤)، ولم يذكر المسألة في الوسيط (٥٥٤/٤)، والوجيز (١٢٣٣/٢).

[٢] ينظر: جامع البيان (٦٠٩/٢٤)، والبحر المحيط (٥١١/٨).

[٣] حكاه ابن عَطِيَّة في المحرر الوجيز (٤٩٣/٥)، والقُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (١٩٣/٢٠)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥١١/٨)، والآلُوْسِيّ في روح المعاني (٢٣٤/٣٠).

[٤] ينظر للأقوال في معالم التنزيل (٥٤٠/٨)، والكشاف (٨٠٣/٤)، ومفاتيح الغيب (٩١/٣٢)، والبحر المحيط (٥١١/٨).

[٥] ينظر: المحرر الوجيز (٤٩٣/٥).

[٦] البحر المحيط (٥١١/٨).

والقاعدة الترجيحية: أنَّه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل يجب الرجوع إليه [١].

٢. في الصحيحين أنَّ رسول الله -ﷺ- قال يوم فتح مكة: « إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي»[٢]. فظاهر قوله -ﷺ- أن الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة ساقوا معهم فيلاً واحداً وليس مجموعة منها.

٣. قول عَائِشَة - رضي الله عنها -: «رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وسائسه أعميين يستطعمان بمكة»[٣].

فلم تذكر - رضي الله عنها - إلا فيلاً واحداً، وهو الذي رأت قائده وسائسه بعد ذلك في مكة.

٤. أنَّه قول جمهور المفسرين، وقول الأكثر أقوى في الظن وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب من قول الأقل؛ وهذا يقتضي ترجيحه[٤].

---

[١] ينظر: أحكام القرآن لابن العَرَبِيّ (٢٤٣/٧)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٣٠٧/٥)، ومفاتيح الغيب (٨٣/٣٠)، وأضواء البيان (٢٦٠/٢) (٧٠/٣)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٢/١).

[٢] أخرجه البُخَارِيّ في صحيحه، كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة، رقم الحديث (٢٣٠٢)، (٨٥٧/٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة، رقم الحديث (٣٣٧١)، (١٠٩/٤).

[٣] رواه ابن إسحاق في السير والمغازي ص٦٥، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة، وإسناده صحيح، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٥/٣): رجاله ثقات. وأخرجه خليفة بن خياط في تاريخه ص٥٣، والْبَزَّار في مسنده (٢٥٧/١٨)، من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث.

[٤] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

٢٣٢- المراد بالتسبيح

في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣].

قال الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قال ابن عَبَّاس:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ صَلِّ لربك واحمده[١].

وقال آخرون: نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك إياه. **وهذا هو الأولى** لما روى عبد الله[٢]، وعَائِشَة[٣]، وأُمّ سَلَمَة[٤] أنَّ النبي -ﷺ- كان يكثر أن يقول: سبحان الله وأستغفره، وأتوب إليه بعد نزول هذه السورة»[٥].

- **الدراسة**

أقوال المفسرين في المراد بالتسبيح في الآية:

القول الأول: أنَّ المراد به الصلاة، أَيْ: صَلِّ لربك، وهو قول ابن عَبَّاس -كما سبق-.

---

[١] لم أجده مسنداً، وذكره عنه القُرْطُبِيّ في الجامع لأحكام القرآن (٢٣١/٢٠)، وابن عَادِل في اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٥٤٢).

[٢] أخرج عَبْد الرَّزَّاق في مصنفه (١٥٦/٢)، والطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٧١/٢٤)، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] كَانَ رسول الله -ﷺ- يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ».

[٣] أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة النصر، رقم الحديث (٤٦٨٣)، (١٩٠٠/٤)، عن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: مَا صَلَّى -ﷺ- صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١]، إِلَّا يَقُولُ فِيهَا سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي.

[٤] أخرج الطَّبَرِيّ في تفسيره (٦٧٠/٢٤) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي آخِرِ أَمْرِهِ لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ، وَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَجِيءُ إِلَّا قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُكْثِرُ مِنْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، لَا تَذْهَبُ وَلَا تَجِيءُ، وَلَا تَقُومُ وَلَا تَقْعُدُ إِلَّا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، قَالَ: «إِنِّي أُمِرْتُ بِهَا» فَقَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ".

[٥] البسيط (٤٠٢/٢٤).

القول الثاني: أنَّ المراد به التَّنْزِيهُ، أَيْ: نَزِّهْهُ عما لا يجوز عليه مع شكرك إياه.

وهو مروي عن ابن مَسْعُودٍ، وعَائِشَة، وأُمّ سَلَمَة -كما سبق-. واختاره الوَاحِدِيّ[1]، والطَّبَرِيّ، والسَّمْعَانِيّ، والقُرْطُبِيّ، والشَّوكَانِيّ[2].

- **الترجيح:**

بعد النظر والتأمل يتبيَّن - والله أعلم - أنَّ القول الثاني هو الأولى لعمومه، ودخول القول الأول فيه؛ ولكثرة الأخبار الواردة عن النبي -ﷺ- أنَّه كان يُكثر من التَّسبيح والاستغفار بعد نزول سورة النصر، والآثار في ذلك كثيرة - إضافة إلى ما سبق - منها، ما روته عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أنَّها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَاكَ تُكْثِرُ من قَوْلَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، فَقَالَ: «خَبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]»[3].

والقاعدة الترجيحة: أنَّ الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[4].

---

[1] ينظر: البسيط (٢٤/٤٠٣)، واقتصر عليه في الوسيط (٤/ ٥٦٦)، والوجيز (٢/ ١٢٣٨).

[2] ينظر: جامع البيان (٢٤/٦٦٨)، وتفسير القرآن للسَّمْعَانِيّ (٦/٢٩٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/٢٣١)، وفتح القدير (٥/٧٢٦).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث (١١١٦)، (٢/٥٠).

[4] ينظر: جامع البيان (١١/٤٦٣)، والعدة لأبي يعلى (٣/١٠٤٦)، والإشارة إلى الإيجاز ص٢٢٠، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٨٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه وتوفيقه تقضى الحاجات، وبفضله ترفع الدرجات، وبعفوه تغفر السيئات والزلات، أمَّا بعد:

فقد عشت مع الإمام الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في دراسة اختياراته في تفسيره مدة من الزمن، وقد أعانني الله -بحمده وامتنانه- على الانتهاء من هذا البحث، ويطيب لي أن أُجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

١- سعة علم الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وتبحره في كثير من العلوم مع براعته ودقته في تحرير المسائل، والعمق في التفكير، وإقباله على العلم؛ مما أدى إلى كثرة شيوخه، ومن ثم توافد التلاميذ عليه للأخذ عنه والإفادة منه.

٢- ظهور قيمة تفاسير الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فهي تعدُّ مصدراً أصيلاً من تفاسير القرن الخامس الهجري نقل عنها كثير ممن جاء بعده من المفسرين، كما أن (البسيط) مرجع هام لنصوص كثيرة من كتب مفقودة.

٣- غالباً ما يستوعب الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- الأقوال في "البسيط" فيذكرها بطولها، ويبيِّن اختلاف وجوهها مع الاستدلال والترجيح في الغالب، في حين نجده يختصر ذلك في "الوسيط"، ويقتصر في "الوجيز" على قول واحد معتمد لابن عباس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أو من هو في مثل درجته، كما بسط الوَاحِدِيّ البحث في "البسيط" في مجال اللغة والقراءات تدقيقاً وتحقيقاً ومناقشة وتوجيهاً، في حين نجد هذين الجانبين مختصرين على وجه كاف في "الوسيط"، ولم يعرِّج عليها في "الوجيز".

٤- تأثُّر جملة من المفسرين، والفقهاء، وغيرهم، بأقوال الوَاحِدِيّ وترجيحاته، وقد كان للإمام الرَّازِيّ الحظ الأوفر في ذلك، ولا يخفى هذا على من اطلع على تفسيره مفاتيح الغيب.

٥- امتازت شخصيته بالاستقلالية في الرأي والتفكير؛ حيث ظهر ذلك جلياً من خلال مناقشاته العلمية واستدراكاته على من سبقه.

٦- استنباط الفرق بين مصطلحي الاختيار والترجيح، وتميز أحدهما عن الآخر يحتاج إلى استقراء عمل المفسرين. والذي ظهر لي بعد هذا البحث أنَّ المفسرين - فيما وقفت عليه من تفاسيرهم - لا يفرقون بينهما في الاستعمال، بل إنَّهم يوقعون أحدهما بمعنى الآخر، ويعبرون بهما معاً في بعض المواضع، وبعد استقراء تفاسير الإمام الوَاحِدِيّ اتضح لي أنَّه لا يفرق بينهما بل نجده يستعمل لفظ الاختيار في محل الترجيح بين قولين متضادين.

٧- تنوعت صيغ الترجيح وألفاظه عند الوَاحِدِيّ، فتارة يصرح باختياره، وتارة ينص على ضعف القول الآخر ليحصر الصواب فيما عداه، وكلما كان القول المختار ظاهر الرجحان كانت العبارة أقوى بخلاف عبارة اختيار قولٍ من جملة أقوالٍ كلُّها متقاربةٌ في القوة.

٨- تباين الطرق والأساليب التي سلكها الوَاحِدِيّ في التعبير عن ترجيحاته وتعددها، شأنه في ذلك شأن من سبقه من المفسرين، فتارة ينص على ترجيحه مع تأييده بالدليل والعلة، وتارة يكتفي بأحدهما وهو الغالب، وقد يطوي سبب اختياره ؛ لشهرته وظهوره، وأحياناً لا يصرح بترجيحه بل يكتفي بإيراد ما يقويه، وقد يضيق بين دائرة الاختلاف فيجمع بين ما قيل في الآية من معانٍ.

٩- كان لتضلع الإمام الوَاحِدِيّ في اللغة أكبر الأثر في تفسيره وترجيحاته، فيحتج بذكر أصول الكلمات واشتقاقها، والفرق بينها مع الاستشهاد بالشعر في بعض المواضع إلا أنَّه قد يطيل ويتوسع في ذلك أحياناً.

١٠- تعددت الوجوه التي استند إليها الوَاحِدِيّ في ترجيحاته، وقد يجمع بين أكثر من وجه ليؤيد به القول الذي اختاره.

١١- استناده في ترجيحاته على القواعد المعتبرة في الترجيح المقررة لدى علماء التفسير، ولم يخالفهم في شيء منها؛ فقد اعتمد في الترجيح على الكتاب والسنة، وأقوال السلف، واستعان بالقواعد اللغوية في معرفة الأقوال الصحيحة في تفسير كلام الله - ﷻ -.

١٢- ترجيحه بدلالة ظاهر لفظ الآيات وسياقها، وبلغة العرب هو الغالب على منهجه.

١٣- اعتماده في مرحلة الترجيح كثيراً على قول الجمهور، فلا تخرج ترجيحاته في الغالب عن قول أكثر المفسرين وعامتهم.

١٤- اكتساب ترجيحاته أهمية من حيث كثرتها وتنوعها واحتكامها إلى مجموعة من الأسس القوية.

١٥- وافقت الإمام الوَاحِدِيّ في ترجيحاته في (١٦٢) ترجيحاً من ترجيحاته، وخالفته في (٢٣) ترجيحاً، وكان قوله ضمن الأقوال التي تندرج تحت عموم الآية، أو تحتملها دون تضاد في (٤٧) مسألة.

١٦- دراسة القواعد الترجيحية تعطي الباحث رصيداً علمياً غزيراً، وتكسبه مَلَكة واسعة في مقارنة أقوال المفسرين، وسَبْرها، ومناقشتها، والوقوف بذلك على أرجح الأقوال.

وأختم بذكر بعض التوصيات:

١- دراسة الأحاديث والآثار المروية عن الصحابة والتابعين التي أوردها الإمام الوَاحِدِيّ في تفاسيره لاسيما في " البسيط" و" الوسيط"؛ بتخريجها والحكم على سندها ومتنها؛ يجعل هذه التفاسير تكتسي بحلّة أجمل، وتكمل فائدتها للقارئ.

٢- دراسة كل قاعدة من قواعد الترجيح على حدة في ضوء ما كتبه المفسرون دراسة استقرائية.

٣- دراسة قواعد الترجيح بين المفسرين دراسة موازنة، لبيان الأكثر استعمالاً والأجدر عناية، والعمل على ترتيبها من حيث قوتها وضعفها؛ لتكون حاضرة أمام الباحثين.

٤- ضرورة التوجه إلى الأقوال في التفسير وتقويمها في ضوء قواعد الترجيح؛ بغية تنقية كتب التفسير من رديء الأقوال، وضعيف الروايات، وشواذ المسائل.

ولا يسعني قبل الختام إلا أن أخبت لربي شاكرة له على أن يسر لي إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في موازين حسناتي، وحسنات من قرأه، وصحح خطأه، وأن يعفو عما فيه من تقصير وزلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهـــــــارس

فهرس الآيات المستشهد بها

الفاتحة		
﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	٢٢٨
البقرة		
﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾	٢٠	٦٣٣
﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾	٢٥	٧٥١
﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾	٤٦	٣٤٠
﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾	٥٠	٦٠٠
﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾	٥٧	٧٤، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾	٦١	١٠٣
﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾	٧٤	٤١ (هامش:١)، ١٠٨
﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾	٩٧	٤١٦
﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	٦٥
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾	١١٦	١١٥
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ ﴾	١١٨	١١٣

كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾		
﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٢٤	١١٨، ١١٩، ١٢٠
﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾	١٢٥	١٢٢، ١٢٤
﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	١٤٢	١٢٨
﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾	١٤٤	١٢٨
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾	١٦٤	٦٠٠
﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾	١٦٦	٤٥٥
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	١٧٤	١١٩
﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ ﴾	١٨٠	٥٢٨

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ ﴾	١٨٢	٤٢٨
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٣٣٤
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	١٨٨	١٣٥، ١٣٧
﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾	١٨٩	٩٣، ١٣٨، ١٣٩
﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾	٢٠٠	١٩٧
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾	٢٠١	٦٥٩
﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	٢٠٣	١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾	٢٢٨	١٤٧، ١٤٨
﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٢٣٧	١٨٩، ١٩١
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾	٢٥٣ (هامش:٢)	٣٣٤
﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾	٢٨٢	٥٢، ١٥٢، ١٥٣
﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾	٢٨٤	٤٦٨ (هامش:٨)

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾	٢٨٦	٤٦٨ (هامش:٨)
آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	٦	١٤٨
﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٨	٢٠٧
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾	٣٠	٨١٠
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	٣٧	١٥٥
﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾	٤٩	٣٣٧
﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	٥٥	١٥٧
﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	٥٨	٦٤٩
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾	٥٩	٦٩٤
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾	٨١	٤٩، ١٦١
﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ	١٣٣ ١٣٥،	٦١٨

﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾		
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٧٩١
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١٦٥	١٦٤، ١٦٦
﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾	١٦٧	٧٦٨
﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾	١٦٨	٤٧٤
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	١٩١	١٩٨
﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾	١٩٧	٧٠٣
النساء		
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾	٣	٨٧ ، ١٦٧، ١٧٠
﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾	١٢	١٧١
﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾	١٧	١٧٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾	١٩	١٨٤، ١٨٥
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ	٢٣	١٧٧، ١٧٩

وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾		
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ ﴾	٢٦	٣٣٤(هامش:٣)
﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾	٢٧	١٨١، ١٨٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾	٢٩، ٣٠	١٨٣
﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾	٣١	٧٤٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾	٣٨	١٨٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ	٤٣	١٨٩

عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴾		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٤٨	٧٢٩ (هامش:١)
﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾	٧٧	٧١١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾	٩٤	١٩٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾	٩٧	٦٦٢
﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾	١٠٣	١٩٦، ١٩٨
﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾	١١٦	٢٢٨
﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾	١١٩	١٩٩
﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾	١٢٥	٢٠٣

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	١٤٢	١٨٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾	١٤٤	٢٠٥
﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾	١٥٣	١١٥، ١١٦
﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٦٣ ١٦٥،	٢٥٦، ٢٦٠، ٣٧٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾	١٦٨	٢٠٨
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ ﴾	١٧١	٢٢٩، ٢٣٠، ٣٦٤
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾	١٧٦	١٧٤، ٢١٧
المائدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا	٢	٢١٠

ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾		
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٣	٢١٣، ٢١٥
﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾	٢٢	٣١٥
﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٣	٢٢٢
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾	٤٤	٢٢٥
﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾	٤٥	٢١٨، ٥٠، ٢٢٢
﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٤٦	٢٢٢، ٢٢٥
﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾	٤٧	٢٢١,٢٢٣
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ	٤٨	٢٢٤، ٢٢٥

﴿ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾	٥١	٢٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٥٧	٢٠٧
﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٦٠	٢٢٩
﴿ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾	٦٦	٦٠٦
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾	٦٨	٢٢٣
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٧٧	٢٢٧
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾	٧٨	٢٣٠
﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾	٩٦	٢٣١، ٢٣٢، ٦٠١
﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾	١٠٩	٢٣٨
﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا	١١٥	٤٢، ٢٣٤،

﴿ لَآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾		٢٣٥،٢٣٦،٢٣٧
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾	١١٦	٦٩ ،٨٧، ٢٣٨، ٣١٩
﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	١١٧	٢٤١
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	١١٨	٢٤٠
﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾	١١٩	٦٩،٨٨، ٢٣٨، ٢٣٩
الأنعام		
﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾	٨	٢٥١، ٢٥٣
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾	٢٤	٣٥٣
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	٢٥	٢٤٥
﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	٢٦	٢٤٣، ٢٤٦
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٧	٢٤٥
﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	٤٤	٤٧٠
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾	٥٢	٥٨٦

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	٧٣	٢٤٧
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	٨٢	٦٦
﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾	٩٦	٧٥٤
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ﴾	١٢٣	٢٥٢
﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣
﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾	١٢٥	٣٣٤
﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾	١٣٠	٢٥٥، ٢٦٠
﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾	١٣١	٢٥٩، ٢٦٠
﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾	١٤١	٢٦٢، ٢٦٥
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾	١٥٣	٣٧٠
﴿ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن	١٥٧	٦٤٨، ٦٤٩

كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۚ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	١٥٩	٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩
﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾	١٦٠	٧٢٧، ٧٢٨
﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١٦١	٢٦٩
الأعراف		
﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾	٢٠	٥٤، ٦١، ٤٦٩، ٤٧٠
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾	٣٤	٢٧٠
﴿ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ﴾	٣٧	٣٥٣
﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٤٤	٦٩، ٢٣٨، ٢٤٠، ٥٦١
﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾	٥١	٣٨٠
﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾	٥٥	٦٠٣
﴿ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾	٨١	٣٢٧

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	١٣٠	٤١٨
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾	١٣٣	٤١٩
﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾	١٣٧	٣١٥
﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾	١٥٠	٧٣٨
﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾	١٥٥	٣٩
﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾	١٦٣	٣٩٣ (هامش:٤)
﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	١٦٤	٢٧٣، ٢٧٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾	١٩٤ ١٩٥،	٥٣، ٦١، ٦٢، ٢٧٦، ٢٧٧

الأنفال		
﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾	٧	٢٧٩
﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	٢٧٨
﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٩	٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾	٢٠	٢٨٢
﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ ﴾	٢٦	١٩٥، ٥٤٣
﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣٢	٧٨٨
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾	٣٣	٦٥٢، ٦٥٣
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾	٣٠	٤٠٧
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	٣٥	٢٨٥، ٢٨٦
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٣٩	٢٨٨
﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا	٤٣	٢٩٠، ٢٩١

﴿ لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٤٥	١٩٨
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾	٤٧	١٨٨، ٦٧٥ (هامش:٢)
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	٥١	٢٦٠
التوبة		
﴿ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾	١٣	٤٠٧
﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾	٢٤	٥٠، ٢٩٣
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾	٢٦	٣٠٤
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾	٣٠	١١٦
﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	٣٤	٤٧، ٧٩، ٢٩٥
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ	٤٠	٤٢، ٣٠١، ٤٠٧

﴿ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾		
﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	٦٧	٤٧٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾	٧٣	٧٦٨
﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾	٧٤	٧٧٩
﴿ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾	٨٣	٧١٥، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩
﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ ﴾	٨٤	٥٢٠(هامش:١)، ٥٢٣
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	١٠٠	٧٦، ٧٧١
﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	١٠٣	٢٦٢
﴿ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	١١٠	٣٠٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	١١١	٣٠٧، ٣٠٨
﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ	١١٢	٣٠٩

﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾		
يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ ﴾	٥	٧٥٤
﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	٢٦	٦٥٩
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾	٨٨	٤١٨ (هامش:٢)
﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	٩٣	٣١، ٣١٢، ٣٣٠
﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾	٩٤	٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٩٦	٣١٩
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾	٩٩	٣١٩
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	١٠٤	٣١٨

هود		
﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾	٤	٣٢٣
﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	٥	٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣
﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾	٣٤	٣٣٤
﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾	٥٨	٤٩، ٩٨، ٣٢٤، ٣٢٥
﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	٦٠	٣٢٥
﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ ﴾	٦٥	٧٣٦
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾	٧٨	٣٢٦
﴿ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾	٧٩	٣٢٦
﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾	١٠١	٢٠٩
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾	١٠٣	٢٦١
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٞ ﴾	١٠٦	٧٨٦
﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾	١٠٨	٧٩١
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾	١١٠	٣٢٩
﴿ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ ﴾	١١١	٣٣٠
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾	١١٧	٢٥٩

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾	١١٨، ١١٩	٣٣١، ٣٣٣، ٧٢٧، ٧٢٨
يوسف		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾	٢	٨٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	٦	٣٣٦
﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾	٢٠	١٤٢
﴿ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾	٣٣	١٧٥
﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾	٣٧	٣٣٥
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾	٤١	٣٤١
﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾	٤٢	٣٣٩، ٣٤١
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا	٤٣، ٤٥	٣٣٦

﴿ نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾		
﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾	٥٧	٣٤٣، ٣٤٤
﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	٨٠	٣٤٦
﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ﴾	٩٠	٧٩١
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	١٠٠، ١٠١	٣٣٦
الرعد		
﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾	١٠	٣٥٥، ٣٥٧
﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾	١٤	٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣
﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ	٢٣،٢٤	٧٦٤

عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾		
إبراهيم		
﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠، ١١	٣٩٩
﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾	١٦	٦٥٦
﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾	٢٣	٧٦٤
﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٢٥	٣٥٨
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٥٢	٧٠٢، ٧٠٣
الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٦٤٩
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾	٢٩	٢٤٩
﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾	٤١	٩٨، ٣٦٨
﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾	٤٢	٤٥٧
﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾	٨٩	٦٢٦

النحل		
﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾	٢	٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤
﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	٧	٣٦٥
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٩	٩٨، ٣٦٨
﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٥، ١٨	٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٥
﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾	٢٧	٢٤٢
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٤٠	٧٤٩
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	٧٠
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾	٥٧	٣٧٧
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	٦١	٣٧٤
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ	٦٢	٣٧٦، ٣٧٨

﴿ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾		
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾	٧٢	٣٨١
﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾	٧٧	٧٤٩
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٩٧	٥٢، ٣٨٥، ٣٨٧، ٦٥٩
﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	١٠٢	٣٦٤، ٤١٧
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾	١٠٣	٣٩٦
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾	١١٢ ١١٣،	١٦٢
﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	١١٤	٣٨٩
﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾	١٢٤	٥٣، ٣٩٢
الإسراء		
﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾	١٢	٧٥٤
﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا	١٣	٧٣٧، ٨١٠

يَلْقَهُ مَنشُورًا ﴾		
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٢٦٠، ٣٧٠، ٦٢٦
﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾	٤٤	١٠٩
﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾	٤٧	٣٩٦
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾	٤٨	٣٩٧، ٣٩٨
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾	٦٠	٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾	٦٧	٦٠١
﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٧٦	٤٠٥
﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	٧٩	٩٢، ٤٠٨، ٤١٠
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٣٦٤، ٤١٣
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ	٩٠، ٩٣	١١٣، ١١٤، ٢٥١، ٢٥٣

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا		
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾	١٠١ ١٠٢،	٣٩٦، ٣٩٩، ٤١٨، ٤٢١
وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا	١١٠	٦٠٣
الكهف		
سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا	٢٢	٤٣،٤٤
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا	٣٦	٣٧٧
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا	٤٧	٩٤، ٤٢٢، ٤٢٤
فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا	٦٥	٤٢٨ (هامش:٥)
قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا	٧٣	٤٢٥
وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا	٨٠	٤٢٨

﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾	٨١	٤٢٨، ٤٨١
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾	٨٦	٤٣٢
﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾	٧٨، ٨٨	٤٣٣
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾	٩٠، ٩١	٩٦، ٤٣٤
﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾	٩٩	٢٤٧، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾	١١٠	٤٤٠، ٤٤١
مريم		
﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾	٣	٦٠٣
﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾	٥	٤٤٣
﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	٦	٩١، ٤٤٦، ٤٤٩
﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾	١٢	٤٤٩
﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٤٥٠، ٤٥١
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾	٨١، ٨٢	٨٣، ٤٥٣

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾	٨٣	٤٥٧
﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾	٩٠	٥٩٧
طه		
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾	١١،١٣	٣٩، ٤٦١
﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾	٧٧	٦٠١
﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾	٨٧	٤٦٣
﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾	٨٨	٤٦٣، ٤٦٥
﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾	٩٥	٤٦٥
﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾	٩٦	٤٦٥
﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾	٩٧	٤٦٦، ٤٦٧
﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾	١٠٢	٥٤١
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾	١٠٥ ١٠٧،	٤٢٢
﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	١١٥	٤٦٨،٦٠،٥٤

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	٤٦٨
﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾	١٢٤	٦٥٩
﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾	١٢٦	٤٧٠
الأنبياء		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٧	٥٨، ٤٧١
﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	٢٢	٥٩٧
﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾	٢٦، ٢٧	٦٤٥
﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾	٣١	٤٧٥، ٨٢، ٧٩
﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾	٣٧	٥٦٠
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ ﴾	٤٥	٣٦٤
﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	٥٠	٦٤٩
﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	٦٩	١٢١
﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾	٨٤	٤٧٧، ٤٧٨
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾	٨٧	٩٢،٤٨٠
﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ	٩٠	٧٩، ٤٨٥

﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾		
﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾	٩١	٢٤٩
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٩٦،٩٧	٤٣٨،٦٠، ٤٨٧
﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾	٩٨	٤٥٦، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾	١٠١	٤٥٦ (هامش:١)، ٦٩٥ (هامش:١)
﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	١٠٤	٢٤١
﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾	١٠٥	٤٩٠
﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴾	١٠٦	٧٠٣
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٢٧١
الحج		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾	١٧	٦٢، ٦٣ (هامش:١)، ٤٩٤ (هامش:١)، ٤٩٧
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٨	١٠٩، ٤٩٤، ٤٩٧
﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ	١٩	٦٢، ٤٩٤، ٤٩٦، ٤٩٧

ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾	٢٣	٤٩٦، ٤٩٧
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾	٣٢	٥٠١
﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	٣٣	٧١، ٤٩٩
﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾	٤٠، ٤١	٥٠٢، ٥٤٤
﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾	٥٥	٤٧، ٥٠٥
﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾	٥٦، ٥٧	٥٠٦، ٥٠٧
المؤمنون		
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾	١٤	١٤٨، ١٤٩
﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾	٢٠	٥٠٨

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾	٦٠	٨٦
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾	٦٤	٥٩، ٥١١
﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾	٧٠	٦٤٥، ٦٤٦
﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	٧٥	٥١٣
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾	٧٦	٥١٢، ٥١٤
﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾	٨٩	٣٩٨
﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾	١٠٨	٣٥٤
النور		
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	٤	٥١٧ (هامش:٣)
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٥	٥٢٤
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٦، ٩	٥١٥، ٥١٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	١١	٧٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٢٣	٥٢٤، ٥٢٥ (هامش:٢)

﴿ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾	٢٦	٥٢٥
﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٣٣	١٣٠، ٥٢٧
﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣٥	٥٣١
﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾	٣٦، ٣٧	٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩
﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	٣٨	٧٩١
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	٥٥	١٦٠,٥٤٢

الفرقان		
﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾	٥	٥٩٠
﴿ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾	١٢، ١٣	٧٨٦
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾	٢١	١١٤
﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴾	٢٤	٣٤٣
﴿ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ ﴾	٥٣	٨٩، ٧٥٥
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾	٦٨، ٦٩	١٨٦
الشعراء		
﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٦	٧٩٣
﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٨٦	٢٢٨
﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴾	٩١، ٩٥	٨٠، ٢٤١، ٥٤٥، ٥٤٦
﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	١٠٥	٧٩٥
﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴾	١١١، ١١٣	٥٤٧، ٥٤٨

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١٢٣	٧٩٥
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	١٤١	٧٩٥
﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾	١٩٣	٤١٧
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٢١٧،٢١٩	٥٤٩
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	٥٥٢، ٥٥٤
النمل		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	١٨	٥٥٥، ٥٥٦
﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾	٤٢	٥٥٨
﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٤٤	٥٥٩
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٣	٥٦٠
القصص		
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٧	٥٠، ٥٦٣، ٥٦٦
﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٠	٥٦٥
﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾	١٢	٥٦٨

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	٢٠	٥٧٠
﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾	٢٣	٥٦٨، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦
﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾	٣٤	٥٧٧، ٥٧٨
﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾	٣٥	٥٧٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٤٣	٥٧٩، ٥٨٠
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾	٥٧	٥٢
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٨، ٥٩	٥٨١، ٥٨٣
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	٦٣	٧٣٠
﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٨٨	٥٨٤،٦٥، ٥٨٧
العنكبوت		
﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ	٢٥	٤٥٥

﴿ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾		
﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾	٢٧	٢٥٦
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٦، ٤٧	٥٩٠، ٥٩٤
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾	٤٨	٤٧، ٥٨٩، ٥٩٤
﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٩	٥٩٢، ٥٩٤
﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾	٥٠، ٥١	٥٩١، ٥٩٤
﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٦٦٢
﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾	٦٤	٣٨٧
الروم		
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾	٣٠	١٩٩
﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم	٤١	٥٩٦، ٥٩٩

بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾		
لقمان		
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾	١٢	٦٧ (هامش:١)
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	٢٦١،٦٧
﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾	١٤	٦٧
﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾	١٩	٦٠٢
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾	٣٢	٦٠٥، ٦٠٦
السجدة		
﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	١٣	٧٠٠، ٧٢٧، ٧٣٠
﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾	١٤	٤٧٠
﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٢١	٥١، ٦٠٨
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾	٢٧	٤٩،٨٩، ٦١١
الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ	١، ٢	٣١٧، ٣١٨

﴿ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿٢﴾ ﴾		
﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾	٩	٦٢٩
﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾	١٠	٥٤٠
﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	١٩	٥٤٠
﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾	٤٤	٧٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	٤٥	٥٧، ٦٢٥، ٦٢٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾	٤٩	١٩٠
﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾	٦٠	٧٦٨
﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾	٧٢	١٠٩
سبأ		
﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴾	١٠	١٠٩
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾	٥١	٢٤٠
فاطر		
﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾	٩	٩٠، ٦١٣
﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ	٣٢	٦٠٦، ٦١٤، ٦١٦

هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾		
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾	٣٦	٦٢٠
﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾	٣٧	٥٧، ٧١، ٦٢٢، ٦٢٥
يس		
﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	١،٢	٧٣٩
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ ﴾	١٤	٢٥٧
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾	٢٨	٦٢٧
﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾	٢٩	٦٢٨
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾	٤١،٤٣	٥٦، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾	٥١	٤٨٧، ٦٦٦
﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾	٥٣	٦٦٦
﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾	٦٦	٦٣٣
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾	٧٤، ٧٥	٦٣٦، ٦٣٨
﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٨٢	٧٤٩
الصافات		
﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾	١٩	٦٦٦

﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	٢٢، ٢٣	٤٥٦
﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٢٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾	٥٠، ٥٧	٦٤٠
﴿ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾	٥٤	٦٣٩
﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ ﴾	٦٢، ٦٤	٤٠٢، ٤٠٤
﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	١٦٧، ١٦٩	٦٤٨
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	٩٦	٤٥٩
﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾	١٠٣	٦٤١
﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾	١٥٠، ١٥٢	٦٤٥
﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾	١٥٨	٦٤٣، ٦٤٤
﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾	٢٧٣	٦٢٩
ص		
﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾	١	٦٤٩
﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾	١٥	٦٥١

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾	١٦	٧٨٨
﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾	٥٧	٦٥٤
الزمر		
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٦٥٨، ٦٦٠، ٦٦٣
﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾	٤٧	٥٤١
﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾	٦٨	٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٦٦٥
غافر		
﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾	١٥	٣٦٣، ٣٦٤
﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ** ﴾	١٨	٥٤٠
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾	٤٩، ٥٠	٣٥٤
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	٦٠	٣٥١
﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾	٦٤	٢٤٧
فصلت		
﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ ﴾	٢٥	٤٥٧
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾	٢٦	٢٤٦، ٢٨٦

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾	٣٤	٥٨، ٦٦٧، ٦٧٠
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾	٣٩	٩٠، ٦١٣
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	٤٦	٢٦٠
﴿ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ ﴾	٥٠	٣٧٧
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾	٥٢،٥٣	٥٦،٥٧، ٥٦١، ٦٧٢، ٦٧٣
الشورى		
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾	٥٢	٣٦٣، ٤١٧
الزخرف		
﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾	١، ٢	٧٣٩
﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴾	٥	٦٧٦
﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ ﴾	٦، ٨	٦٧٦، ٦٨٦

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	١٥، ١٩	٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥
﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٢٥٣
﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٣٢	٦٨٦
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾	٣٦	٤٥٧
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾	٣٨	٦٨٨، ٦٨٩
﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	٣٩، ٤٠	٦٩٢
﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾	٤١، ٤٢	٦٩١
﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾	٤٤	٦٤٩
﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾	٤٥	٦٩٣
﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾	٥٧	٦٩٤
﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ	٥٨، ٥٩	٦٩٥، ٦٩٧

خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾		
﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾	٧٧، ٧٨	٦٢٦
الدخان		
﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	١٠، ١٥	٥١٢(هامش:٤)
﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾	٤٣، ٤٤	٤٠٠
الجاثية		
﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾	٣٤	٣٨٠
الأحقاف		
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾	٥، ٦	٤٥٥
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ	١٥	٦٧، ٧٠٠

صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾		
﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	١٧	٤٦، ٦٩٨
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾	١٨	٦٩٨
﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾	٢٩	١٥٥، ٢٥٧
﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾	٣٥	٧٠٢
محمد		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	٧	٥٤٣، ٧٠٥
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٨	٧٠٥
﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴾	١٠	٧٠٧
﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ ﴾	١٣	٤٠٧
﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى ﴾	١٥	٦٥٦، ٧٥١
﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ	٢٠	٧١٠

نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾	٣٢	٧١٣
الفتح		
﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾	٩	٣٠٣
﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	١٥	٧١٥
﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾	١٦	٧١٩
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾	١٨	٧٢١
﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٩	٧٢٠ (هامش:١)، ٧٢٢
﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾	٢١	٧٢٢ (هامش:٢)
﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾	٢٦	٧٢٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾	٢٨	٤٥٩

الحجرات		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾	٣	٦٠٣
ق		
﴿ تُبَّعٖۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾	١٤	٧٩٥
﴿ فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾	٢٢	٥٤١
﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾	٢٤، ٢٦	٧٢٩
﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	٢٨، ٢٩	٧٢٧
﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴾	٣٠، ٣١	٧٢٩
﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾	٤٢	٦٦٦
الذاريات		
﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾	٤	٧٣١
﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	٢٠، ٢١	٥٦١
﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾	٤١	٤٦٠
﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾	٤٣، ٤٤	٧٣٥
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٣٣٤

الطور		
﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾	١، ٣	٧٣٧
﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾	٤، ٥	٧٣٨
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾	٢١	٧٦١
﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾	٢٥، ٢٨	٧٦٤، ٧٩١
النجم		
﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾	٣٢	٧٤١، ٧٤٤
القمر		
﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾	١٣	٧٤٥
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾	٣١	٤٦٠
﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾	٥٠	٧٤٨
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴾	٥٤	٧٥٠
الرحمن		
﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾	٥	٧٥٣
﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴾	١٩، ٢٠	٨٩، ٧٥٥
﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾	٢٢	٢٥٧

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	٢٦، ٢٧	٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧
الواقعة		
﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾	١	٦٢، ٧٥٨
﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾	٣	٦٢، ٧٥٨
﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾	٨، ٩	٦١٤، ٦١٧
﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾	١٧	٧٦٠
﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾	٢٥، ٢٦	٧٦٣
﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾	٦٠	٤٨١
﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾	٨٣	٤١٧
﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾	٨٩	٣٦٤
الحديد		
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾	٢٥	٧٦٥
المجادلة		
﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾	٣	١٨٩
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾	٨	٧٦٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	٩	٧٦٧

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾	٢٢	٣٦٤
الحشر		
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾	٨	٧٧١
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾	٩	٧٧١
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٠	٧٧٠، ٧٧٢
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾	١١	٧٦٨
﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾	١٤	٧٧٣
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾	٢١	١٠٩
الممتحنة		
﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾	١	٤٠٧
الصف		
﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾	٦	١٥٩

﴿ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ ﴾	١٠	٧٧٥
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾	١٢	٧٧٥
﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	١٣	٧٧٥
الجمعة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ﴾	٩	٧٧٨
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	١٠	٧٧٧، ٧٧٨
المنافقون		
﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١	٧٧٩، ٧٨٠
الطلاق		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾	١	٣١٨
﴿ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ ﴾	٦	٥٧٢
﴿ قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ ﴾	٧	٤٨١
التحريم		
﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ﴾	٤	٧٨١، ٧٨٤
﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴾	٥	٣١٢، ٧٨٤
﴿ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾	١٢	٣٦٤

الملك		
﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴾	٧	٧٨٥، ٧٨٦
﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾	٨، ٩	٦٢٦، ٧٨٦
﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾	٢٧	٧٨٧
القلم		
﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾	٣	٧٩٠
﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ ﴾	١٧، ٢٠	٢٦٤
الحاقة		
﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴾	٣، ٤	٨٢٩
﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴾	١٠، ٩	٧٩٣، ٧٩٥
﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴾	١٢	٧٩٦، ٩٦
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴾	١٣، ١٦	٧٥٩
﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴾	٢٠	٣٤٠

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٠، ٤٢	٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠
﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴾	٤٤	٧٩٩
﴿ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴾	٤٦	٣٠٦
نوح		
﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا ﴾	١٦	٢٥٧
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾	١٩، ٢٠	٤٧٦
الجن		
﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾	١٩	٥٥٠
المزمل		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	١، ٢	٥٥٠
المدثر		
﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۖ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴾	٣١	٦٢٩، ٨٠١، ٨٠٤، ٨٠٥
﴿ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴾	٥٢	٢٥١، ٢٥٣
القيامة		
﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾	١٣	٨١٠
﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾	٣٦	٦٧٨

الإنسان		
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٢	٨٢٤، ٨٢٥
﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	٣	٨٢٢، ٨٢٤
﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾	٨، ٩	٥٨٦
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	١٩، ٢٠	٥٨٥
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	٣٠	٤٥٩
النبأ		
﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾	١، ٥	٨٠٦، ٨٠٧
﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾	٣٨	٣٦٤
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾	٣٩، ٤٠	٨٠٧، ٨٠٩
النازعات		
﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾	١٣، ١٤	٦٦٦
عبس		
﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾	٣	٨١١
﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾	٨، ١٠	٨١٢
التكوير		
﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾	١٠	٧٣٧

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾	١٥، ١٦	٨١٤، ٨١٦
﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	١٧، ١٨	٨١٥، ٨١٦
﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾	١٩، ٢٠	٧٣، ٧٩٨، ٨٠٠
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴾	٢٥	٨٠٠
الانفطار		
﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾	١٨	٨٢٩
المطففين		
﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٦	٦٦٦
الانشقاق		
﴿ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴾	٤	٩٥، ٤٢٢
الطارق		
﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾	٣	٨١٧، ٨١٩
﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾	١١	٨٢٠
الأعلى		
﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	٣	٤٨١
الفجر		
﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ ﴾	١٦	٤٨١
البلد		
﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾	٨، ١٠	٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٥، ٨٣٠
﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾	١١	٨٢٦

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾	١٢، ١٦	٨٢٧، ٨٢٨
الشمس		
﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾	٧، ٨	٨٣٠، ٨٣٣
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	٩، ١٠	٨٣٠
الليل		
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴾	١٧	٧٥
التين		
﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾	١، ٣	٧٣٩
القدر		
﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾	٢، ٣	٨٢٩
البينة		
﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾	٨	٧٥١
الزلزلة		
﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾	٦، ٨	٨١٠
القارعة		
﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾	١٠، ١١	٨٢٨

العصر		
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾	٢	٧٨٤
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾	٣	٥٧
الفيل		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾	١	٨٣٥
﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾	٣	٤٦٠
النصر		
﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١	٨٣٩
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾	٣	٧٠، ٨٣٨
الفلق		
﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾	٣	٦٥٦
الناس		
﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾	٥، ٦	٦٤٥، ٦٤٦

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
« أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ »	٥٢٥
« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ... »	٥٢٦
«إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ»	٤٥٩
«إذا بَلَغَ الرجل سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ »	٧١ ، ٦٢٢
« إذا نكح الرجلُ المرأة، فلا يحل له أن يتزوج أمَّها...»	١٧٧
« ارْكَبْهَا بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى تَجِدَ ظَهْرًا »	٥٠١
«ارْكَبْهَا، فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فقَالَ: ارْكَبْهَا وَيْحَكَ، أَوْ وَيْلَكَ»	٧٢، ٤٩٩
« أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»	٦٢٣
«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ...»	٣٣٢ (هامش:٢)
« اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ »	٧٦٢
« اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»	٨٣٤
« اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا »	٣٨٥
« اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ »	٥١١ (هامش:٧)، ٦٠٨ (هامش:٧)

«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»	٦١٨
«اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ»	٥١٢ (هامش:٤)
« أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا»	٥٧٦
«إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ...»	٣٥١
«أنزلت المائدة من السَّماءِ خبزًا ولحماً، وأُمِروا أن لا يخُونُوا ولا يدَّخِرُوا لغدٍ، فَخَانوا وادَّخَروا ورفعوا لغدٍ، فمسخوا قردةً وخَنَازِير»	٢٣٤، ٢٣٥
«إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»	٣١٠
«إِنَّ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - رضي الله عنهما -»	٧٨١
«إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَوَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»	٤٤٨
« إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِى لَهُ ...»	١٣٦
«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».	٤٦٨ (هامش:٧)
« إِنَّ اللَّهَ - تعالى - اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا»	٢٠٤
«إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي... »	٨٣٧
«إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»	٥٤٤
« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْجُمْعَةَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ وهَدَانَا اللَّهُ له، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»	٣٩٢

« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ...»	٧٤٢
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ»	٣٨٨
«إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّد حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ في شعره»	٧٨، ٥٢٠
«إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا يُنَافِحُ أَوْ يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-»	٥٢٠ (هامش: ٣)
« إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي»	٦٨٢
«إِنِّي أُمِرْتُ بِهَا...»	٨٣٨ (هامش: ٤)
« إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإِنَّهم أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ»	٢٠٠
« إني لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إني لأَعْرِفُهُ الآنَ»	١٠٩
«أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه»	١٤٥
«الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»	٥١٦
« بَيِّنَتُكَ » ، قَالَ: لَيْسَ لِي بَيِّنَةٌ، قَالَ: « يَمِينُهُ »، قَالَ: إِذًا يَذْهَبُ بِهَا	١٣٥
« تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فإني مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ »	١٧٠
«تنح عني، قال: ولم؟ قال: دخلت من الباب وأنت محرم! فوقف	١٣٨
« ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ، أَوْ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا، كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى...»	٦٦٥

« ثوبي حَجَرُ ثوبي حَجَرُ »	١١٠
«خَبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ...»	٨٣٩
«الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكًا بَعْدَ ذَلِكَ»	٥٤٣
« خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ...»	٢٦٦، ٢٩٧
« خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ »	٧٧
«رَحِمَ اللهُ أخِي زَكَرِيَّا، ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةِ مالِهِ»	٤٤٧
« السَّائِحُونَ هُمُ الصَّائِمُونَ»	٣٠٩
«السَّابِقُ وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»	٦١٤
« سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»	٥٧
« العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»	٥٩٨
« الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ»	٧٤٤
«قَالَ اللَّهُ -تعالى-: أَنَا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»	٤٤٠
« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَرُزِقَ الْكَفَافَ وَقَنَعَ بِهِ »	٣٨٨
« قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ»	٥١٧
« قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»	٢٤٨

« قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي »	٣٨٥
« كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا »	٤٤٥ (هامش:١)، ٤٤٩ (هامش:٢)
«كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»	٤٩٢
« الْكَمْأَةُ، مِنْ الْمَنِّ»	١٠٠، ١٠٢، ١٠٣
« كَيَّةٌ، قَالَ ثُمَّ تُوُفِّيَ آخَرُ فَتَرَكَ دِينَارَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كَيَّتَانِ»	٢٩٨
«كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ...»	٢٤٩
« لاَ بَلْ شَيءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ...»	٨٣٢
«لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...»	٤٢٠
« لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ »	٤٤٤، ٤٤٨
« لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ...»	٨٦
« لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ »	٧٩٢
« لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَراقُ فِي الدُّنْيا لأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيا»	٦٥٤
« لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»	١٦٢
« ليس ذلك، إنَّما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لُقْمَان لابنه وهو يعظه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].	٦٧، ٢٩١

«مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا وَلَا قَرْنًا وَلَا أُمَّةً وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ مُنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ... »	٥٨٠
«مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّى زَكَاتَهُ... »	٣٠٠
«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»	٢٠٠، ٢٠١
« مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ »	٢٩٨
«المؤْمِنُ إِذَا اشتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ، كَمَا يَشْتَهِي»	٧٦٠ (هامش: ١)
« الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ »	٤٤ (هامش:١)
« مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»	٢٩٦
« مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ»	٧٩، ٢٩٥
« مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا لَقِي اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ »	١٣٦
« مَنْ تَصَدَّقَ عَنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ كَفَّرَ اللَّهُ - تعالى - عَنْهُ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ »	٢١٩
« مَنْ كَانَ اللهُ خَلَقَهُ لِوَاحِدَةٍ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ يُهَيِّئُهُ لِعَمَلِهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ... »	٨٣٣ (هامش: ١)
« نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ...»	٣٩٤
« نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْرجلِ الصَّالِحِ »	٧٩، ٢٩٥، ٢٩٧
«هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»	٥٢٣

« هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ»	٦١٦
« هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ »	١١٠
«هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ»	٤٠٨
« هِيَ الشَّفَاعَةُ »	٤١٠
« وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ - ﷻ - يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»	٧٦٢ (هامش: ٢)
«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ »	٥٦١
«وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ...»	٤٨٩
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ... »	٢٤١
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدُ خَيْرٍ، ونَجْدُ شَرٍّ، فَمَا يَجْعَلُ نَجْدَ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ؟»	٨٢٣
« يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً...»	٣٣٣
« يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي »	٢٦١
« يَا عُمَرُ أَلاَ تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ»	١٧٣
«يَا فُلَانُ أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا»	٨١٢
«يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟»	٥١٧(هامش: ٣)
« يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي لأ حُلَّةً حَمْرَاءَ...»	٤١٠
« يُجْلِسُنِي عَلَى الْعَرْشِ »	٤٠٨ (هامش:٣)

« يَرْحَمُ اللهُ زَكَرِيَّا ومَا عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَتِهِ»	٤٤٧
« يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ...»	٤٨٨

فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
«آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- آيَةُ الرِّبَا»	عبد الله بن عباس	٢١٧
«آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةَ وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ:﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾»	البراء بن عازب	٢١٧
«إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ»	عبد الله بن عباس	٨٠
« اسْتَلَمَ رسول الله -ﷺ- الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلاَثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- ... »	جابر بن عبد الله	١٢٤
«أكرم الله نبيه وذهب به ولم ير في أمته ما كان من النقمة بعده»	قَتَادَة	٦٩١
«اللَّهُمَّ، أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»	عِرَاك بن مالك	٧٧٧
«ألا ترى أنَّه يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال:﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤]...»	عَلِيّ بن أبي طالب	٦٧
« أمَّا إنَّهما ليسا بالثديين »	الربيع بن خثيم	٨٢٤
«أمَّا الذي تولى كبره منهم، فعَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ ابْنُ سَلُول الخبيث...»	ابن زَيْد	٥٢٣

«أمسك خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- سنتين، وخلافة عمر -رضي الله عنه- عشر سنين...»	سَفِينَة مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-	٥٤٣ (هامش: ٣)
«أُنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاء، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ»	عبد الله بن عباس	٣٢٣
«إن الله خيره، فاختار إحياء أهله في الآخرة، ومثلهم في الدنيا، وأوتي على ما اختار...»	عِكْرِمَة	٤٧٧
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَبَّلَ بَعْضَ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»	عائشة بنت أبي بكر	١٩٠
«إن رؤساء أهل مكة كَلَّمُوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين جَهِدُوا، قالوا: عَادَيْتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟»	الكَلْبِيّ	٣٨٩
«أُنْزِلَتْ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى...»	عائشة بنت أبي بكر	٨١٢
«إِنْ عَلِمْتُمْ لَهُمْ حِيلَةً، وَلَا تُلْقُوا مَؤُنَتَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ»	عبد الله بن عباس	٥٢٧(هامش: ١)
«إِنَّمَا عبارة الرؤيا على الظن، فيبطل الله ما يشاء ويحق ما يشاء»	قَتَادَة	٣٣٩
«إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا تَقُولُ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ...»	عبد الله بن عمر	٤١١
«إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ...»	أَنَس بن مَالِك	٥١٦، ٥١٩
«آيَةٌ لَا يَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْهَا، لَا أَدْرِي أَعَرَفُوهَا فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا، أَوْ جَهِلُوهَا فَلَا يَسْأَلُونَ عَنْهَا؟...»	عبد الله بن عباس	٦٩٥

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافة، عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ...»	أَبُو بَكْر الصديق	٥٥٣
«بلغنا أن رسول الله -ﷺ- قال: لاَ أَشُكُ وَلاَ أَسْأَلُ»	قَتَادَة	٣١٨(هامش: ٧)
«بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِي -ﷺ- فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ...»	عبد الله بن مسعود	٤١٥
« تَدَعِينَ مِثْلَ هَذَا يَدْخُلُ عَلَيْكِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾...»	مَسْرُوق	٥٢٢
«جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، فَقَدْ أَكَلْنَا الْعِلْهِزَ...»	عبد الله بن عباس	٥١٤
«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ-، فَقَالَ:« يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصَدَّقُ بِالصَّدَقَةِ أَلْتَمِسُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ...»	مُجَاهِد	٤٤١(هامش:٥)
«جاء رجل، فقال: يا نبيّ الله إني أحبّ الجهاد في سبيل الله، وأحبّ أن يرى موطني، ويرى مكاني...»	طَاوُوْس	٤٤١
«حسدت اليَهُوْد مقام النبي -ﷺ- بالمدينة فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبياً فالحق بها... »	عبد الله بن عباس	٤٠٥
«الحَفَدَة: الخدم من ولد الرجل هم ولده، وهم يخدمونه... »	ابن زَيْد	٣٨٤
«حين غسَقَ الليلُ على الظِّرابِ»	عمر بن الخطاب	٦٥٥

«دَخَلَتْ عَلَي بَرِيرَة، فَقَالَتْ: إِنَّ أهلي كاتبوني عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ في تِسْعِ سِنِينَ في كُلِّ سَنَةٍ أُوقِيَّةٌ فَأَعِينِينِي»	عائشة بنت أبي بكر	٥٣٠
«دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ -ﷺ- وَأَنَا مَرِيضٌ فَتَوَضَّأَ فَصَبَّ عَلَيَّ أَوْ قَالَ صُبُّوا عَلَيْهِ فَعَقَلْتُ»	جابر بن عبد الله	١٧٢
«رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وسائسه أعميين يستطعمان بمكة»	عائشة بنت أبي بكر	٨٣٧
«رُميتُ بِمَا رُميتُ بِهِ وَأَنَا غَافِلَةٌ، فَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ...»	عائشة بنت أبي بكر	٥٢٥
«الروح خَلْقٌ ليسوا بملائكة على صُوَر بني آدم، يأكلون، ولهم أيدٍ وأرجل ورؤوس»	مُجَاهِد	٤١٣
«زعم أعداء الله أنَّه تبارك وتعالى وإبليس أخَوانِ»	عبد الله بن عباس	٦٤٦
«سأل كل واحد من القوم أن يخص بالوحي والرسالة»	الضحاك	٢٥١
«سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي...»	عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ	٧٣١ (هامش:٤)
«صنفان ناجيان وصنف هالك قال: وهذه الآية كالتي في الواقعة...»	مُجَاهِد	٦١٤
«الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ هُوَ الْكَافِرُ»	عبد الله بن عباس	٦١٧(هامش:١)

«فمنهم ظالم لنفسه في الكفر وذلك في النار»	الكَلْبِيّ	٦١٤
«فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾»	علي بن أبي طالب	٤١٥
«قَالَتْ قُرَيْشٌ لِليَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ... »	عبد الله بن عباس	٤١٥
«قالت كفار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ:« فمن أُمَّهَاتُهم؟ قالوا: سَرَوات الْجِنِّ»	مُجَاهِد	٦٤٧
« قالوا: إنَّما يريد محمدٌ أن نعبده كما عبدَ قومُ عِيْسَى»	مُجَاهِد	٦٩٤
«قبلة إِبْرَاهِيم تحت المِيزاب يعني في الحِجر»	عبد الله بن عمر	١٢٨
«قتل ابن آدم أخاه في البَرِّ، وأخذ الملك السفن غصباً في البحر»	مُجَاهِد	٥٩٦
«قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها»	قَتَادَة	٦٨٣
«كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها، قال: فجاء رجل من الأنصار...»	البراء بن عازب	١٣٩
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِي آخِرِ أَمْرِهِ لَا يَقُومُ وَلَا يَقْعُدُ، وَلَا يَذْهَبُ وَلَا يَجِيءُ إِلَّا قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»	أُمّ سَلَمَة	٨٣٨ (هامش:٤)

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»	عائشة بنت أبي بكر	٨٣٩
«كَانَ الْمُسْتَفْتِحَ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا الرَّحِمَ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ فَأَحْنِهِ»	عبد الله بن ثعلبة	٢٨١
«كان المشركون حين خرجوا إلى النبي -ﷺ- من مكة، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله»	السُّدِّي	٢٨٢
«كان وراثتُه علماً، وكان زَكَرِيَّا من ذرّية يعقوب»	مُجَاهِد	٤٤٨
«كذلك كنتم من قبل تستخفون بإيمانكم عن قومكم كما استخفى هذا الراعي بإيمانه عن قومه...»	سعيد بن جبير	١٩٣
«كُلُّ حَجَرٍ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْمَاءُ، أَوْ يَنْشَقُّ عَنْ مَاءٍ أَوْ يَتَرَدَّى مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ فهو من خَشْيَةِ اللَّهِ»	مُجَاهِد	١٠٨
«كل ساعة ليلاً أو نهاراً، شتاءً وصيفاً، تؤكل في جميع الأوقات، كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الأوقات كلها»	الضَّحَّاك	٣٥٨
«كل ما ذكر الله في القرآن من السياحة هم الصائمون»	عبد الله بن عباس	٣١١
«لا أُوتَى برجلٍ غيرِ عالمٍ بلغةِ العربِ يفسرُ كتابَ اللهِ إلا جعلتُه نكالاً»	مالك بن أنس	٨٠
«لا يفرض على عبادة فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذرٍ، غير الذكر...»	عبد الله بن عباس	١٩٦ (هامش:٣)

« لا ينزل ملك إلا ومعه روح »	مُجَاهِد	٣٦٣
« لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ»	ابن مسعود	٢٠٠
«لما ذكر عِيْسَى بن مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: ما يريد مُحَمَّد إلا أن يصنع به كما صنعت النَّصَارَى بابن مَرْيَم»	قَتَادَة	٦٩٤
لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[النصر: ١] كَانَ رسول الله -ﷺ- يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ...»	عبد الله بن مسعود	٨٣٨ (هامش:٢)
« لما هاجر النبي -ﷺ- إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس...»	عبد الله بن عباس	١٢٨
« لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم، ابتلاه الله بكلمات، فأتمهن»	عبد الله بن عباس	١١٨
« لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم رسلهم فينهاهم فإن رجعوا وإلا أتاهم العذاب»	الكلبي	٢٥٩
« مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي»	عائشة بنت أبي بكر	٦٩٩ (هامش:١)
«مَا سَمِعْتُ بِشَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ، وَمَا تَمَثَّلْتُ بِهِ إِلَّا رَجَوْتُ لَهُ الْجَنَّةَ...»	عائشة بنت أبي بكر	٥٢٠(هامش:٣)
«مَا صَلَّى -ﷺ- صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[النصر: ١]،إِلَّا يَقُولُ فِيهَا سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...»	عائشة بنت أبي بكر	٨٣٨ (هامش:٣)
«ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال»	جابر بن عبد الله	٥١٨

«المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا...»	سُفْيَان بن عُيَيْنَة	٣٤٤
«الْمُبَاشَرَةُ وَالْمُلاَمَسَةُ وَالْمَسُّ جِمَاعٌ كُلُّهُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ - وَجَلَّ - يُكْنِي مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ»	عبد الله بن عباس	١٩٠
«الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»	عبد الله بن عباس	٥٣٦
«المعدودات يوم النحر ويومان بعده اذبح في أيها شئت»	علي بن أبي طالب	١٤٤
«من الجن رسل كما من الإنس رسل»	الضحاك	٢٥٥
« مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلٌ لَهُ؛ إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكَاةُ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ»	عبد الله بن عمر	٢٩٨
« مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا فَوَيْلٌ لَهُ، مَا أُبَالِي لَوْ كَانَ لِي أُحُدٌ ذَهَبًا أَعْلَمُ عَدَدَهُ وَأُزَكِّيهِ وَأَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »	عبد الله بن عمر	٧٩، ٢٩٥
«النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ، فَمَضَتْ مَنْزِلَتَانِ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ، فَأَحْسَنُ مَا أَنْتُمْ كَائِنُونَ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونُوا عَلَى الَّتِي بَقِيَتْ... »	سعد بن أَبِي وَقَّاص	٧٧١
«نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ برسول الله -ﷺ- ثنى صدره، وظهره، وطأطأ رأسه...»	عبد الله بن شَدَّاد	٣٢١
«هذه قبلة إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل، لا أعبد حجراً ولا أصلي له»	زيد بن عمرو	١٢٨
«هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله -ﷺ- يقوله ما قلته...»	عمر بن الخطاب	٧٣٢ (هامش:١)

« وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...»	عمر بن الخطاب	١٢٢، ١٢٤
«واللّه لا نؤمن به، ولا نتبعه أبداً إلاّ أن يأتينا وحي كما يأتيه»	أبو جَهْل	٢٥٢
« واللّه لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك؛ لأنيَّ أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً»	الوَلِيد بن المغِيرَة	٢٥٢
«وإن الله أثنى على زَكَرِيَّا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الآية»	أبو بكر الصديق	٤٨٥,٧٩
«وإنما عبارة الرؤيا بالظنّ، فيحقُّ الله ما يشاءُ ويُبْطِل ما يشاء»	قَتَادَة	٣٣٩
«وجعلنا من الجبال طرقاً؛ حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار للتجارات وغيرها»	عبد الله بن عباس	٤٧٥
«﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ عَبْد اللَّهِ بن أُبَيّ ابن سَلُول»	عائشة بنت أبي بكر	٥٢٢
« يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَمَلَائِكَتَهُ...»	عمر بن الخطاب	٧٨٤
«يجلس معه على العَرْش»	مُجَاهِد	٤٠٨
يريد شهدت لهم بهذه الشهادة وهذا الثواب في التوراة والإنجيل والقرآن الذي أنزل على محمد -ﷺ-"	عبد الله بن عباس	٣٠٧
«يريد لما ذكر عِيْسَى، وقدرة الله تعالى فيه، وخلقه إياه من غير ذَكَر، وما كان يفعل من إحياء الموتى وغير ذلك»	عبد الله بن عباس	٦٩٤

«يقعده على العَرْش»	عبد الله بن مسعود	٤٠٨
«يُلِمُّ بالذنب مرة ثم يتوب منه ولا يعود»	عبد الله بن عباس	٧٤١

فهرس الأعلام المترجم له

اسم العلم	الصفحة
(أ)	
إبراهيم بن أحمد بن محمد (المروَرُّوذِي)	١٧
إبراهيم بن عمر (البِقَاعِيّ)	١٥٨
إبراهيم بن محمد بن السَّرِيّ (الزَّجَّاج)	٣٤
إبراهيم بن يزيد النَّخَعِيّ	١٤٧
أُبَيّ بن كعب بن قيس الأنصاري	٢٨٠
أحمد بن عبد الحليم الحرَّاني (ابن تيمية)	٢٦
أحمد بن علي الرَّازِيّ (الجصَّاص)	١٢٣
أحمد بن عليّ بن محمّد (ابن حجر)	١١٦
أحمد بن محمد (أبو الفضل الميداني)	١٧
أحمد بن محمد بن إبراهيم (الثَّعْلَبِيّ)	١٤
أحمد بن محمد بن إبراهيم (ابن خَلِّكَان)	٢١
أحمد بن محمد بن إسماعيل (النَّحَّاس)	٣٧
أحمد بن محمد بن عبدالله (العروضي)	١٥
أحمد بن يحيى بن زيد (ثعلب)	١٦٩

أحمد بن محمد بن المهدي (ابن عجيبة)	٣١
أحمد بن يوسف بن محمد (السمين الحلبي)	٣٠
إسماعيل بن حمَّاد التركي (الجوهري)	١٠٥
إسماعيل بن عبد الرحمن (السُّدِّيّ)	٦٩
إسماعيل بن عمر (ابن كثير)	٧٤
أنس بن مالك	٢٠١
أوْس بن عبد الله	٨١٧
(ب)	
باذان مولى أم هانئ (أبو صالح)	١١٨
البراء بن عازب	١٣٩
البراء بن مالك	٥١٦
بريدة الأسلمي	٥٥٥
بَرِيرَة مولاة عَائِشَة بنت أبي بكر الصديق	٥٣٠
بَكْرُ بن مُحَمَّد بن العَلاَء (القُشَيْرِيّ)	٣٥٩
(ث)	
ثابت بن دينار (أبو حمزة الثُّمَالِيّ)	٥٢٤
(ج)	
جابر بن عبد الله	١٢٤
جمال الدين بن محمد سعيد (القاسمي)	١٥٨
جندب بن جنادة (الغفاري أبو ذر)	٢٩٨
جُوَيْبِر بن سعيد الأَزْدِيّ	٣٥٢

(ح)	
حبيب بن أبي ثابت	٣٠٢
حذيفة بن اليَمَان	٤٠٩
حَسَّان بن ثَابِت	٧٨
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (أبو علي الفارسي)	٢٧
الحسن البصري	٦٣
الحسن بن علي بن أبي طالب	٦٠٩
حسن بن محمد بن حسين (النيسابوري)	٢٩
الحسن بن يحيى بن نصر (أبو علي الجرجاني)	٣٧
الحسين بن الفضل	٨٠١
الحسين بن محمد (الرَّاغِب الأصْفَهَانِيّ)	١٢٣
الحسين بن مسعود بن محمد (البغويّ)	١٠٨
الحكم بن أبي العاص	٤٠٠
الحكم بن عُتَيبَة	١٧٢
حماد بن زيد الأَزْدِيُّ	٢٦٤
حفصة بنت عمر بن الخطاب	٧٨٢
(خ)	
خالد بن زهير الهذلي	١٠٥
خالد بن زيد بن كليب (أبو أيوب الأنصاري)	٢٣٢

(ر)	
الربيع بن أنس	١٠٠
الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْمٍ	٨٢٤
رَبِيعَة بن أَبِي رَبِيعَة (أبو الصَّلْت)	٨٣٥
ربيعة بن جُشَم النَّمَرِيّ	٥٧٠
رفيع بن مهران (أبو العالية)	١٧٥
(ز)	
زيد بن أسلم العَدَوِيّ	١٦٨
زيد بن ثابت	١٧٨
زيد بن عمرو بن نفيل	١٢٨
(س)	
سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ	٧٧١
سعد بن عبادة	٥١٧
سعد بن مالك بن سنان (أبو سعيد الخدري)	٢٤٩
سعيد بن أحمد السمسار	١٢
سعيد بن جبير	١٢٣
سعيد بن مَسْعَدَةَ (الأَخْفَشُ)	٣٦
سعيد بن المسيَّب	٢٣١
سعيد بن محمد الْحِيرِيُّ	١٥

سفيان بن عُيَيْنَةَ	٣٠٦
سفيان الثَّوري	٥٨٤
سلمان الفارسي	٤٠٩
سُلَيْمَان بن أَبِي جَعْفَر (أبو الرَّبِيْع)	٣٨٥
سُلَيْمَانُ بن مِهْرَانَ (الأَعْمَش)	٤٧٢
سهل بن سعد السَّاعِدِيُّ	٤٠٣
(ش)	
شَرِيكُ بن سَحْمَاءَ	٥١٥
شقيق بن سلمة	٥٥٥
(ص)	
صخر بن حرب (أبو سفيان)	٥٩
صَفْوَان بن عَسَّال المُرَادِيّ	٤٢٠
(ض)	
الضَّحَّاكُ بن مُزَاحِمٍ	٥٩
(ط)	
طَاوُوْسُ بن كَيْسَانَ	١٦١
طلحة بن عبيد الله	٢٩٧
(ع)	
عاصم بن عدي	٥١٥

عَامِرُ بن شَرَاحِيْلَ (الشَّعبيّ)	٢١٨
عبد الجبار بن محمد (الخُوَاري)	١٨
عبد الحق بن غالب (ابن عطية)	٧٤
عبد الرحمن بن أحمد الواحدي	١٢
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	٤٦
عبد الرحمن بن أبي بكر (السيوطي)	٣٠
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	١٠١
عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هُرَيْرَة)	٧١
عبد الرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي)	٢٧
عبد الرحمن بن عوف	٢٩٧
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (الثعالبي)	٣٠
عبد الرحمن بن ناصر السعدي	١٠٢
عبد الرزاق بن رزق الله (الرَّسْعَنِيّ)	٥٧٣
عبد العزيز بن عبد (العز بن عبد السلام)	٤٨
عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر	١٨
عبد الكريم بن هَوَازِنَ	٨١٨
عبد الله بن أبي بكر	٦٩٨
عبد الله بن أبي سلول	٧٨

عبد الله بن أحمد بن محمود (النَّسَفِيّ)	١٠٢
عَبْدُ اللهِ بن بُرَيْدَة	٥٣٤
عبد الله بن ثعلبة العُذْرِيُّ	٢٨١
عبد الله بن حبيب (أبو عبد الرحمن السلمي)	٢٣٥
عبد الله بن الزِّبَعْرِي	٦٩٤
عبد الله بْن الزُّبَيْر بْن العوام	١٧٨
عَبد الله بن سَلِمَة	٤٢١
عبد الله بن شَدَّاد اللَّيْثِيُّ	٣٢١
عبد الله بن عباس	٢٧
عبد الله بن عثمان (أبو بكر الصديق)	٤٢
عبد الله بن عمر بن الخطاب	١٤٩
عبد الله بن عمر بن محمد (البَيْضَاوِيّ)	١٠٢
عبد الله بن عمرو بن العاص	٢١٨
عبد الله بن مسعود	٥٧
عبد الله بن مسلم بن قتيبة	٣٦
عبد الله بن يسار (ابن أبي نَجِيْح)	٤٥٠
عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جُرَيْج)	١٨٣
عبد مناف بن عبد المطلب (أبو طالب)	١٢٥

عبد المنعم بن محمد (ابن الفَرَس)	٢١١
عبيد بن عمير الليثي	٤٨١
عَبِيدَةُ بن عَمْرو السَّلْمَانِيّ	٥٢٩
عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح)	٢٦
عِرَاكُ بن مالك	٧٧٧
عروة بن الزبير	٥٢١
عطاء بن أبي رباح	٥٣
عطاء الخراساني	٢٨٠
عطية بن الحارث الهمداني (أبو رَوْق)	٣٠٦
عطية بن سعد العَوْفِيُّ	٢٦٥
عِقَال البَجَلِيُّ	٨٢٢
عُقْبَة بن أَبِي مُعَيْط	٨٠٨
عكرمة بن عبد الله (أبو عبد الله البَرْبَرِيّ)	٦٣
العَلاء بن زياد بن مطر	٧٨٣
علقمة بن وقاص	٥٢١
علي بن أبي طالب	٦٧
علي بن أحمد البستي	١٥
علي بن أحمد بن محمد (الوَاحِدِيّ)	١١
علي بن الحسن بن علي (الباخرزي)	٢٠

علي بن حمزة الكسائي	١٦٨
علي بن خلف (ابن بطال)	٢٩٩
علي بن ربيعة بن نَضْلَة (الوَالِبِيّ)	٣٨١
علي بن محمد بن إبراهيم (القُهُنْدُزِى)	١٦
علي بن محمد البغدادي (الخازن)	٢٩
علي بن محمد (الماوَرْدِيّ)	٤٩
علي بن محمد (أبو الحسن الفارسي المقرئ)	١٦
علي بن محمد بن علي (إلْكِيا الهرَّاسي)	١٤٣
علي بن يوسف بن إبراهيم (القفطي)	١١
عمر بن عبد العزيز	٤٨١
عمر بن الخطاب	٦٧
عمر بن عبدالله بن أحمد (الأَرْغِياني)	١٩
عمر بن علي بن عادل (ابن عادل)	٣٠
عَمْرو بن أُمّ مَكْتُوْمٍ	٨١٢
عِمْرَان بن حُصَيْن الخُزَاعِيُّ	٨٣٢
عمران بن موسى	١٦
عمرو بن شُرَحْبِيل	١٧٣
عمرو بن عثمان بن قَنْبَرٍ (سيبويه)	٣٧

عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ	٧٢٣
عمرو بن هشام بن المغيرة (أبو جهل)	٥٨
عُوَيْمِرُ بن زَيْد بن قَيْس (أبو الدَّرْدَاء)	٦١٤
عويمر العجلاني	٥١٥
عياض بن موسى (القاضي عياض)	٢٩٩
عِيْسَى بن عِقَال البَجَلِيُّ	٨٢٢
(غ)	
غَزوَان الْغِفَارِيّ (أبو مَالِك)	٣٨٥
(ف)	
فُضَيْل بن مَرْزُوق الْأَغَر الرواسِي	٥٩٩
(ق)	
القاسم بن سلَّام البغدادي (أبو عبيد)	٣٧
القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي	٢٤٥
قتادة بن دعامة السَّدُوسي	٥٢
(ك)	
كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ (كَعْب الْأَحْبَار)	٤٧٧
كعب بن مالك	٤١٠
(ل)	
لَيْثُ بنُ أَبِي سُلَيْمٍ	٤٥٠

(م)	
مالك بن أنس الأصبحي	٨٠
مجاهد بن جبر	٥٦
محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية)	٢٩
محمد بن أحمد الشربيني	٣١
محمد بن أحمد (القُرْطُبِيّ)	٧٤
محمد بن أحمد بن الأزهر (الأزهري)	٣٥
محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي)	٢١
محمد بن أحمد (ابن جُزَي الكلبي)	٤٣
محمد بن أحمد (جَلَال الدِّين المَحَلِّي)	٦٥١
محمد بن إدريس (الشَّافعي)	٧١
محمد بن إسحاق بن يسار	٣٢٦
محمد بن إسماعيل البخاري	٣٢٢
محمد الأمين بن محمد المختار الشَّنقيطي	٦٨
محمد بن بهادر بن عبد الله (الزَّرْكَشِيّ)	٣٠
محمد بن جرير الطبري (ابن جرير)	٣٤
محمد بن زياد (ابن الأعرابي)	١٠٧
محمد بن السائب بن بشر (الكلبي)	٥٨

محمد الطاهر بن عاشور	٧٥
محمد بن عبد الرحمن بن السَّمَيْفَع	٥٩٣
محمد بن عبدالله بن أحمد (الأَرْغِياني)	١٩
محمد بن عبد الله بن جبريل	١١
محمد بن عبد الله (أبو الحسين ابن اللبان)	١٧٢
محمد بن عبد الله بن محمد (ابن العربي)	١٢٤
محمد بن علي بن أبي طالب (محمد بن الحنفية)	٢٤٤
محمد بن علي بن إسماعيل (القَفَّال)	٢٠٦
محمد بن علي بن محمد (الشَّوكَاني)	٧٤
محمد بن عمر بن الحسين (الرَّازِيّ)	٢٨
محمد بن القاسم بن بشار (ابن الأنباري)	٣٤
محمد بن كعب بن سليم (الْقُرَظِيّ)	٣٧١
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (الزبيدي)	٦٥
محمد بن محمد بن محمد (الغزالي)	٢٤
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	٣١
محمد بن مسلم بن عبيد الله (الزهري)	١٧١
محمد بن المستنير بن أحمد (قطرب)	٦٩
محمد بن ميمون المَرْوَزِيّ (أَبُو حَمْزَةَ)	٣٨١

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (الْمُبَرِّدُ)	٣٧
محمد بن يوسف بن علي (أبو حيَّان)	٢٩
محمود بن حمزة بن نصر(الكَرْمَانِيّ)	٣٧٢
محمود بن عبد الله (الآلُوْسِيّ)	٣١
محمود بن عمر (الزَّمَخْشَرِيّ)	٢٦
مَرْوَان بن الحَكَمِ	٦٩٩
مسروق بن الأجدع	١٩٣
مسعود بن مَالِكٍ الأَسَدِيّ (أبو رَزِين)	٦٥٥
مسلم بن الحجاج	٤٨٩
المُسَيَّب بن شَرِيك	٧٨١
مَطَر الوَرَّاق	٤١٩
مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّيْرِ	٢١٠
معمر بن المثنى (أبو عبيدة)	٣٣
مقاتل بن حيَّان	١٣١
مقاتل بن سليمان	٣٣
مَكِّيُّ بن أبي طالب	١٠١
منصور بن محمد بن عبد الجبار (السَّمْعَانِيّ)	١٢٤
مُؤرِّج بن عمرو السدوسي	١٠٥

(ن)	
نصر بن محمد بن أحمد (السمرقندي)	١٠١
النعمان بن ثابت (أبو حنيفة)	١٣١
النَّمِر بن تَوْلَب العُكْلِيّ	٥٧٠
نوف بن فَضَالَةَ الشامي	٥٥٥
(هـ)	
هلال بن أمية	٥١٥
هند بنت أبي أمية بن مغيرة (أم سلمة)	٥٧
(و)	
الوليد بن المغِيرة	٢٥٢
وهب بن منبه	١٠١
(ي)	
يحيى بن زياد (الفَرَّاء)	٣٣
يحيى بن شرف النووي (النووي)	٢٨
يوسف بن علي بن جُبارة	١٩
يوسف بن عمر (ابن عبد البر)	٦١

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القائل	البحر	الصفحة
لو أَشْرَبُ السُّلْوان ما سَلِيتُ ما بي غنىً عنك وإن غَنِيتُ	رؤبة بن العجاج	السريع	١٠٦
هَلاَّ بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ	عمران بن حطَّان	الكامل	٥٤٠
أصْبَحَ يَهْوَى حُرَّةً مِعْطَارَهْ إيَّاكِ أعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَهْ	سَهْل بن مالك الفَزَاري	الرجز	٣١٧
فقالت يَمِينُ الله أَفْعَلُ إنَّني رأَيْتُك مَسْحُوراً يَمِينُك فاجِرَه	النَّابِغَة الذُّبْيانيّ	الطويل	٣٩٦
أحَارِ بنْ عَمْرٍو كأنِّي خَمِرْ وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ	رَبِيعَة بن جُعْشُم النَّمِرِيّ مختلف فيه	المتقارب	٥٧٠
أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرُ	النَّمِر بن تَوْلَب	المتقارب	٥٧٢
وقاسمها بالله جَهداً لأنتُم أَلَذُّ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها	خالد بن زهير الهذلي	الطويل	١٠٥
إنَّ آيَاتِ رَبِّنا بَيِّنَاتٌ ما يُماري بهنَّ إلا الكفُور حَبَسَ الفيلَ بالْمُغَمَّسِ حتّى ظَلَّ يَحْبو كأنَّهُ مَعْقُورُ	أبو الصَّلْت الثَّقَفِيّ	الخفيف	٨٣٥

فأثارَ فَارِطُهُم غَطَاطاً جُثَّماً أصواتُها كتَراطُنِ الفُرْسِ	طَرَفَة بن العبد	الكامل	٣٧٩
تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا تُطَلِّقه حيناً وحيناً تُراجِعُ	النَّابِغَة الذُّبْيانيّ	الطويل	٣٥٩
أخَذْنا بِآفَاقِ السّمَاءِ عَلَيْكُمُ لنا قَمَرَاها والنّجومُ والطَّوَالِعُ	الفَرَزْدَق	الطويل	٦٨٨
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْحَيَاةَ وَطِيبَهَا إِلَيَّ جَرَى دَمْعٌ مِنَ اللَّيْلِ غَاسِقُ	عمران بن حِطَّان	الطويل	٦٥٦
وَمَوْطِئُ إِبْرَاهِيْمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةٌ عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ	أبو طالب	الطويل	١٢٥
ومُفْرهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لساقها فَخَرَّت كما تتَّايَع الرّيحُ بالقَفْلِ	أبو ذؤيب الهذلي	الطويل	٤٨٠
أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهُ رَبُّ العِبادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ	لا يعرف قائله	البسيط	٥٨٤
إِنْ تَغْفِرِ اللَّهمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأَيُّ عَبْدٍ لك لا أَلَمَّا	أميّة بن أبي الصّلت	الرجز	٧٤١
النَّاطِقُ المَبْرُوزُ وَالمخْتُومُ ومُذهَّبٌ جُدَدٌ على أَلْوَاحِهِ	لبيد بن ربيعة	الكامل	٤٢٢
إِنْ أَجْزأَتْ حُرَّةٌ يومًا فلاَ عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَارُ أَحْيَانَا	لم ينسب	البسيط	٦٧٩
اعْلَمَنْ أَنْ كلَّ مُؤْتَمَرٍ مُخْطِئٌ فِي الرَّأي أَحْيَانَا	النَّمِر بن تَوْلَب	المديد	١٧١

فهرس الألفاظ الغريبة

اللفظ الغريب	الصفحة
أحار	٥٧٠
أَحْنِه	٢٨١
أَقْرَع	٢٩٦
الْإِلْهَامُ	٨٣١
انْتَزَى	١٣٥
البَاقِعَةُ	١٦
البِرْطِيل	١٣٧
البَرْدِيُّ	٥٦٣
تتابع	٤٨٠
التَّرَنْجَبِين	١٠٠
التِّلِيلُ	٦٤١
الجامس	١٠٠
الجبِين	٦٤٢
جُثا	٤١١
جَثَم	٣٧٩
جَدَث	٤٨٧
جُدَد	٤٢٢
الجُرُز	٦١١
جَمْعَاءَ	٢٠٠
الجُؤْجُؤْ	٧٤٥
الحَيْنُ	٣٥٩
الخَتَن	٣٨١

خَمِرْ	٥٧٠
خنَّق	١٥
الخنس	٨١٤
دَنا	٨١٣
ذَبَرْتُهُ	٤٩١
الذَّكاةُ	٢١٤
الرَّبِيبَة	١٧٧
رَذْل	٤٠٨
الرِّسْل	٧١
رَسَن	٣٧٩
رَطَنَ	٣٧٩
الرُّفْغ	١١٨
الرَّقّ	٧٣٩
الركية	٣٧٩
الرُّوعِ	٨٣٢
الرِّيفُ	٦٠١
زَبِيبَتَان	٢٩٦
الزفير	٧٨٥
زُلَالٌ	٨٢٦
السباق	٨٥
سبط	١٢٧
سَرَوات	٦٤٣
السَّمُرُ	٢١٠
الشُّجَاع	٢٩٦

الشُّرط	٧٤٥
الشَّهِيقُ	٧٨٥
شِيمَة	٥٧٢
الصَّرْح	٥٩٥
الصَّرْمُ	٢٦٤
الطَّمْس	٦٣٣
عنس	٤٨٠
العَقَبَةُ	٨٢٦
العِلْهِز	٥١٤
عين السُّلْوان	١٠٦
الغَرَب	٢٠
غساق	٦٥٤
الغَطاط	٣٧٩
الفَجُّ	٤٧٥
الفَرْق	١١٨
الفظُّ	٧٧٣
الفَلَج	٢٠٠
فَوَارِه	٤٨٠
القَبِيلُ	٩٧
القَفْل	٤٨٠
قهندز	١٦
القِير	٥٦٣
الكَشُوث	٤٠١
الكَلْكَل	٧٤٥

الْكَمْأَةُ	١٠٠
الكنس	٨١٤
اللِحَاءُ	٢١٠
اللحاق	٨٥
المبروز	٤٢٢
المختوم	٤٢٢
مُذْهَبٌ	٤٢٢
المرَازِي	٦٦٣
المَرْحَلَة	٤٠٥
المسخ	٦٣٤
مفرهة	٤٨٠
المؤتَفِكَاتُ	٧٩٣
الميرَةُ	٣٨٩
المِيزاب	١٢٨
الناطق	٤٢٢
نَشِبَتْ	٥٣٩
نشُورُها	١٠٥
نَضَب	٢٣١
النَّمَصُ	٢٠٠
الوَتِينُ	٣٠٦
الْوَشْمُ	٢٠٠
يُؤْتَمَرُ	٥٧٢
يَنْبُو	٤٣١

فهرس الفرق والقبائل

الفرقة أو القبيلة	الصفحة
الأشاعرة	١٣
الأَنْصَار	١٣٩
بنو قَيْنُقَاع	٣١٢
الحُمْس	٩٣
الخوارج	١٨٦
الزَّنَادِقَة	٦٤٦
سَامِرَة	٤٦٣
القَدَرِيَّة	٤٥٧
قُرَيْظَة	٢٠٥
كِنَانَة	١٠٦
مُزَيْنَةَ	٨٣٢
المعْتَزِلَة	١٨٦
النَّضِير	٢٠٥

فهرس البلدان والأماكن

البلد أو المكان	الصفحة
أَرْغِيان	١٩
أَرِيحَا	٥٣٤
أَيْلَةُ	٥٠٩
سَاوَه	١١
سيناء	٥٠٨
مرو	١٧
الْمُغَمَّس	٨٣٥
نيسابور	١١
هَجَر	٧٢١

ثبت المصادر و المراجع

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

٣- آثار البلاد وأخبار العباد، زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر – بيروت.

٤- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، لأبي عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٥- الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٦- أحكام أهل الذمة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٧- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٨- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٩- أحكام القرآن، لعلي بن محمد الطبري المعروف بإلكيا الهراسي، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٠- أحكام القرآن، لأبي الفضل بكر بن محمد القشيري، دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد الماجد، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٥هـ.

١١- أحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٢- أحكـــام القـــرآن، لأحمـد بـن علـي الـرازي الجـصاص، تحقيـق: محمـد الـصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٣- أحكام القرآن، لعبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس، تحقيق: طه بن علي بوسريح وغيره، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

١٤- أحكام القرآن، لمحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٥- أحكام القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: د. سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي - استانبول، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٦- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٧- اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير دراسة موازنة من أول القرآن الكريم إلى آخر سورة الإسراء، إعداد: محمد عبد الله القحطاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٦هـ.

١٨- الأدب المفرد، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

١٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٠- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢١- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، رواية: بدر الدين أبي نصر محمد بن عبد الله الأرغياني، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٢٢- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٢٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن عز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، دار الفكر - بيروت.

٢٥- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

٢٦- الأسماء والصفات، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٧- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري، تحقيق: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٨- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، تحقيق: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٩- الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

٣٠- الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢هـ.

٣١- أصول في التفسير، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن تيمية - القاهرة، ١٤١٠هـ.

٣٢- الأضـداد، لمحمـد بـن القاسـم الأنبـاري، تحقيـق: محمـد أبـو الفـضل إبـراهيم، المكتبـة العصرية- بيروت.

٣٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي الجكني، دار الفكر – بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٤- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لعبد السلام حمدان اللوح، آفاق - فلسطين، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٣٥- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٣٦- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

٣٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.

٣٨- أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٣٩- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٤٠- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ.

٤١- الإكليل في استنباط التنزيل، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: د. عامر بن علي العرابي، دار الأندلس الخضراء - جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٣- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لأبي نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٤- الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٤٥- أمثال العرب، للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٤٦- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطِي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٧- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبدالله بن عمر البارودي، دار الجنان - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٤٨- أنوار التأويل وأسرار التنزيل، لعبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، دار الفكر - بيروت.

٤٩- الأهوال، لأبي بكر عبد الله بن محمد الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر - مصر، ١٤١٣هـ.

٥٠- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: أيمن السيد عبد الفتاح وغيره، دار الفلاح - مصر، الطبعة الثانية١٤٣١هـ.

٥١- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم بن علي القاسمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٥٢- إيجاز البيان عن معاني القرآن، لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٥٣- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار المنارة - جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٥٤- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.

٥٥- البحر المحيط، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيَّان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٥٦- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٥٧- البحر المديد، لابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ.

٥٨- بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي، وأشرف أحمد الج، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٥٩- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف - بيروت.

٦٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة - بيروت.

٦١- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.

٦٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ١٤١٦هـ.

٦٣- البصائر والذخائر، لأبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، دار صادر - بيروت، تحقيق: د. وداد القاضي، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ.

٦٤- البعث والنشور، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٥- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٦٦- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٦٧- تاج التراجم في طبقات الحنفية، لأبي العدل زين الدين قاسم بن قلطوبغا الحنفي، تحقيق: محمد خير بن رمضان يوسف، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٦٨- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهدية.

٦٩- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

٧٠- تاريخ الأمم والرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧١- تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٢- تاريخ جرجان، لأبي القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

٧٣- تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم - دمشق، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٧٤- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق العربي، لعبد المجيد أبو الفتوح.

٧٥- التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد.

٧٦- تاريخ المدينة، لعمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ.

٧٧- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر- بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٨- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكي الحنفي، تحقيق : علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٧٩- التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم، لأبي عبد الله المقدمي محمد بن أحمد، تحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الكتاب والسنة، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٨٠- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٨١- التبيان في آداب حملة القرآن، أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع - دمشق، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

٨٢- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

٨٣- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لأبي القاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

٨٤- تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان - عمان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٨٥- تحرير ألفاظ التنبيه، أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٦- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨٧- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٨٨- تخريج الفروع على الأصول، لمحمود بن أحمد الزنجاني أبو المناقب، تحقيق: د. محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٨٩- التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ.

٩٠- تذكرة الأريب في تفسير الغريب، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٩١- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٩هـ.

٩٢- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، ليحيى بن الحسين الشجري الجرجاني، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

٩٣- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٩٤- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٩٥- التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري القرطبي الحنفي، تحقيق: د. سعد عبد المقصود ظلام، دار المنار- القاهرة.

٩٦- تغليق التعليق على صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، دار عمار - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٩٧- تفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد الوَاحِدِيّ، دراسة وتحقيق: مجموعة من الباحثين، أشرف على طباعته وإخراجه: د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود، و أ.د. تركي بن سهو العتيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي عام ١٤٣٠هـ.

٩٨- تفسير البسيط سورة الفاتحة والبقرة إلى ٧٤، لأبي الحسن الوَاحِدِيّ، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح الفوزان، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٩هـ.

٩٩- تفسير البسيط من آية ٧٥ إلى آخر سورة البقرة، لأبي الحسن الوَاحِدِيّ، دراسة وتحقيق: محمد بن عبدالعزيز الخضيري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٣هـ.

١٠٠- تفسير ابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز - مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

١٠١- تفسير جزء عم، لمساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثامنة ١٤٣٠هـ.

١٠٢- تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة.

١٠٣- تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٤- تفسير السمعاني، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٠٥- تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠٦- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٠٧- تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٨ هـ.

١٠٨- تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، لعلي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.

١٠٩- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدِّمشقي، دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١١٠- تفسير القرآن العظيم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١١١- تفسير القرآن العظيم جزء عم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

١١٢- تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية - بيروت.

١١٣- تفسير المشكل من غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. علي حسين البوَّاب، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٦هـ.

١١٤- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١١٥- تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١٦- تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١١٧- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١١٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٣٨٧هـ.

١١٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

١٢٠- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

١٢١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلّا اللويحق، مركز فجر للطباعة - القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢١هـ.

١٢٣- الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

١٢٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ.

١٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٢٦- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لأبي سعيد صلاح الدين خليل الدمشقي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١٢٧- جامع الرسائل، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار المدني - جدة.

١٢٨- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢٩- جمهرة الأمثال، لأبي الهلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

١٣٠- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

١٣١- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٣٢- الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: د.علي بن حسن، د.عبد العزيز العسكر، د.حمدان الحمدان، دار العاصمة الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٣٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٣٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

١٣٥- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري المعروف بالبُرِّي، نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي، دار الرفاعي - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٣٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٧- حاشية تهذيب مختصر سنن أبي داود للمنذري، لابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٣٨- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .

١٣٩- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

١٤٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٤١- الحيوان، أبي عثمان الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

١٤٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

١٤٣- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب — بيروت، الطبعة الرابعة.

١٤٤- خلق أفعال العباد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف - الرياض.

١٤٥- درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض ١٣٩١ هـ.

١٤٦- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد - الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

١٤٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق:د. أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق.

١٤٨- الدر المنثور في التفسير المأثور، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.

١٤٩- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

١٥٠- دلائل النبوة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١٥١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٥٢- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، إعداد: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٠هـ.

١٥٣- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لعلي بن الحسين الباخرزي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٥٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥٥- ديوان امرِئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.

١٥٦- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٥٧- ديوان الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٥٨- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٥٩-ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية.

١٦٠- ديوان النمر بن تولب العكلي، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠م.

١٦١- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لمحمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق: د. محمد بن شريفة، ود. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت.

١٦٢- الرد على الجهمية والزنادقة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٦٣- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الرابعة١٤٠٦هـ.

١٦٤- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الرزاق بن رزق الله عز الدين الرسعني، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٦٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لمحي الدين النووي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦٧- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

١٦٨- الزهد، لهَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر التميمي الكوفي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٦٩- الزهد، لوكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٧٠- السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

١٧١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٧٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٧٣- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ.

١٧٤- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

١٧٥- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي بيروت.

١٧٦- سنن النسائي الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٧٧- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

١٧٨- السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٠هـ.

١٧٩- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٨٠- السيرة النبوية، لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ.

١٨١- السير والمغازي، لابن إسحاق محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

١٨٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحيّ ابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٨٣- شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكري، تحقيق: عبد الستار أحمد الفراج، مكتبة دار العروبة - القاهرة.

١٨٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ.

١٨٥- شرح صحيح البخارى، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

١٨٦- شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا محيي النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

١٨٧- شرح العقيدة السفارينية، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٨٨- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

١٨٩- شرح الكوكب المنير، لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي، ود.نزيه حماد، جامعة أم القرى - معهد البحوث العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

١٩٠- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

١٩١- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٠هـ.

١٩٢- شعر الخوارج، د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م.

١٩٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٩٤- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٩٥- شواذ القراءات، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ - بيروت.

١٩٦- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.

١٩٧- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٩٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٩٩- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.

٢٠٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٢٠١- صحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف — الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٠٢- صحيح سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف — الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٠٣- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة — بيروت.

٢٠٤- الصحيح المسند من أسباب النزول، لمقبل بن هَادِي الهَمْدَاني الوادعِي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.

٢٠٥- صفة الصفوة، لأبي الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمود فاخوري، ود.محمد روّاس قلعَه جي، دار المعرفة - بيروت.

٢٠٦- الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بَشْكوَال، عنى بنشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار الحسيني، مكتبة المثنى - بغداد، ومكتبة الخانجي- القاهرة.

٢٠٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي محمد الدخيل الله، دار العاصمة - السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٠٨- الضعفاء، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة ابن عباس، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٢٠٩- ضعيف الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.

٢١٠- ضعيف الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٢١١- ضعيف سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ.

٢١٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة - بيروت.

٢١٣- طبقات الحفاظ، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٢١٤- طبقات الحنابلة، لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

٢١٥- طبقات الشافعية، لأحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢١٦- طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السُبْكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٢١٧- طبقات الشافعية، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢١٨- طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

٢١٩- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٢٢٠- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٢١- طبقات المفسرين، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٢٢٢- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الدودي، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٢٣- طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر.

٢٢٤- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، لأبي حفص عمر بن محمد النسفي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس - عمان، ١٤١٦هـ.

٢٢٥- العبر في خبر من غبر، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت - الكويت، ١٩٨٤م.

٢٢٦- العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٢٧- العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، تحقيق: د. أحمد بن علي المباركي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٢٢٨- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٢٩- العظمة، لأبِي الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٣٠- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي - بيروت.

٢٣١- علماء نجد خلال ستة قرون، لعبدالله البسام، مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٢٣٢- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٣٣- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي.

٢٣٤- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح محمد بن محمد بن اليعمري الربعي، تحقيق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٣٥- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٢٣٦- غرائب التفسير وعجائب التأويل، لأبي القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

٢٣٧- غريب الحديث، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٢٣٨- غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٢٣٩- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

٢٤٠- الغريب المصنف، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

٢٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة — بيروت.

٢٤٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سعيد محمد اللحَّام، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

٢٤٣- الفَرْقُ بين الفِرَق، لعبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٢٤٤-فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

٢٤٥- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١ م.

٢٤٦- فصول في أصول التفسير، لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٢٤٧- فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، تحقيق: صالح بن محمد العقيل، دار البخاري - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٤٨- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٤٩- فضائل القرآن، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: مروان العطية، وغيره، دار ابن كثير- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٥٠- فضل عشر ذي الحجة، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: عمار بن سعيد الجزائري، مكتبة العمرين العلمية - الشارقة.

٢٥١- فـــوات الوفيـــات، لمحمـــد شـــاكر الكتـــبي، تحقيـــق: إحـــسان عبـــاس ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

٢٥٢- في جغرافية مصر، د. محمد فريد فتحي، دار المعرفة - الإسكندرية، الطبعة الثانية.

٢٥٣- القـاموس المحـيط، لمجـد الـدين محمـد بـن يعقـوب الفـيروز آبـادي، تحقيـق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٢٦هـ.

٢٥٤- القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي- بيروت.

٢٥٥- قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

٢٥٦- القضاء والقدر، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى١٤٢١هـ.

٢٥٧- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، لأبي العباس أحمد بن علي القلقـشندي، تحقيـق: إبـراهيم الأبيـارى، دار الكتـاب المـصري - القـاهرة، دار الكتـاب اللبناني - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٥٨- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ.

٢٥٩- قواعـد التـرجيح عنـد المفـسرين، لحسين بـن علـي الحـربي، راجعـه وقـدَّم لـه: الشيخ منَّاع بن خليل القطَّان، دار القاسم - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.

٢٦٠- قواعـد التفـسير جمعـاً ودراسـة، لخالـد بـن عثمـان الـسبت، دار عفـان - الخبر - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٦١- القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٢٦٢- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٦٣- قيام رمضان، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية - الأردن، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

٢٦٤- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٦٥- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٢٦٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٦٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ومعه الانتصاف لابن المنير أحمد بن محمد، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٦٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م.

٢٦٩- الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

٢٧٠- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٧١- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٧٢- اللباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٧٣- اللباب في تهذيب الأنساب، لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر - بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٧٤- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

٢٧٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، لمحمد بن أحمد الأثري الحنبلي، مؤسسة الخافقين - دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٢٧٦- مجاز القرآن، لأبي عبيده معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة الخانجى - القاهرة، ١٣٨١هـ.

٢٧٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم البُستي محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

٢٧٨- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت.

٢٧٩- مجمع البيان، لأبي علي الفضل بن الحسن الطّبرسي، دار المرتضى - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٨٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٨١- المجموع شرح المهذب للشيرازي، لأبي زكريا محيي الدين شرف النووي، دار الفكر - بيروت ١٩٩٧م.

٢٨٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزَّار، وأنور الباز، دار الوفاء - مصر، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.

٢٨٣- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل، ودار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٨٤- المحبَّر، لأبي جعفر محمد بن حبيب، اعتنى به وصححه: د. إليزة ليختن شتيتر، دار الإفاق الجديدة – بيروت.

٢٨٥- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي وغيره، وزارة الأوقاف – القاهرة ١٤١٥هـ.

٢٨٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٨٧- المحصول في علم الأصول، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٢٨٨- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى١٤٢١هـ.

٢٨٩- مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، مكتبة لبنان – بيروت، ١٤١٥ هـ.

٢٩٠- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، اختصار: محمد بن الموصلي، خرج نصوصه وعلق عليه وقدم له: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

٢٩١- مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، د. إبراهيم بن سعيد الدوسري، دار الحضارة – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٢٩٢- مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي، اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٢٩٣- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لأبي عبد الله الحسين أحمد بن خالويه، مكتبة المتنبي - القاهر.

٢٩٤- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٩٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

٢٩٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِيّ، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٩٧- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٩٨- المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٩٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٠٠- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٠١- المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٣٠٢- مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣٠٣- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وغيره، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٣٠٤- مسند الشاميين، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

٣٠٥- مسند الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٠٦- مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٠٧- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٠٨- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٣٠٩- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٣١٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣١١- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣١٢- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وغيره، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٣١٣- معالم مكة التأريخية والأثرية، لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٣١٤- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣١٥- معاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء، دار المصرية - مصر، الطبعة الأولى.

٣١٦- معاني القرآن، لسعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش، دراسة وتحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣١٧- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣١٨- المعاني الكبير في أبيات المعاني، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣١٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٢٠- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

٣٢١- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٣٢٢- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٣٢٣- معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف . كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٣٢٤- المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، لأكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الدار الأثرية - الأردن، دار ابن عفان - القاهرة.

٣٢٥- معجـــم قبائـــل العـــرب القديمـــة والحديثـــة، لعمـــر رضـــا كحالـــة ، مؤســـسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٤هـ.

٣٢٦- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٣٢٧- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

٣٢٨- معجـــم مـــصطلحات علـــوم القـــرآن، لمحمـــد بـــن عبـــدالرحمن الـــشايع، دار التدمرية – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

٣٢٩- معجـم المعـالم الجغرافيـة فـي الـسيرة النبويـة، لعـاتق بـن غيـث البـلادي، دار مكة – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٣٠- معجـــم مقـــاييس اللغـــة، لأبي الحـسين أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا، تحقيـق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٣١- المعجم لابن المقرئ، لأبي بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني، المشهور بابن المقرئ، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى١٤١٩ هـ.

٣٣٢- المعجـم الوسـيط، مجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة، مكتبـة الـشروق، الطبعـة الرابعـة ١٤٢٥هـ.

٣٣٣- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٣٤- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الـذهبي، تحقيـق: بـشار عـواد معـروف، وشـعيب الأرنـؤوط، وصـالح مهـدي عبـاس، مؤسـسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٣٥- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لأبي محمد محمود بن أحمد الحنفي بدر الدين العينى، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٣٣٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر - بيروت.

٣٣٧- مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣٣٨- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٣٩- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٤٠- مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم - دمشق.

٣٤١- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٤٢- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، لمحمد بن عبد الرحمن المغراوي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ.

٣٤٣- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

٣٤٤- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٤٥- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية بهامش خزانة الأدب، لبدر الدين العيني، دار صادر - بيروت.

٣٤٦- مقدمة ابن الصلاح،لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مكتبة الفارابي، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٣٤٧- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، شرح : الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٣٤٨- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر - بيروت.

٣٤٩- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لعبد الغافر، انتخبه: إبراهيم الصَّرِيْفِيْنِيُّ، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر- بيروت، ١١٤هـ.

٣٥٠- المنهاج شرح صحيح مسلم، ليحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٣٥١- منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٥٢- منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح، د. حسين بن علي الحربي، دار الجنادرية- الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٣٥٣- الموافقات في أصول الفقه، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المشهور بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٥٤- الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة العلماء، مؤسسة أعمال الموسوعة - الرياض، الطبعة الثانية.

٣٥٥- الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، ١٤٢٣هـ.

٣٥٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية - الرياض، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ.

٣٥٧- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - مصر، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٥٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى١٣٨٢هـ.

٣٥٩- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٦٠- النُّبُوات، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ.

٣٦١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تَغْري بَرْدِي الأتابكي، دار الكتب – مصر.

٣٦٢- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٦٣- نسب عدنان وقحطان، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، صححه وضبطه وعارضه بالدواوين: عبدالعزيز الميمنيّ الراجكوتيّ، لجنة التأليف والترجمة والنشر - الهند.

٣٦٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٦٥- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٦٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحى، وطاهر أحمد الزاوى ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٦٧- النهر الماد والدر اللقيط بهامش البحر المحيط، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيَّان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية.

٣٦٨- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٦٩- الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، لمحمد ياسين مظهر صديقي، المترجم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار الصحوة للنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٧٠- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى١٤٢٩ هـ.

٣٧١- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، لأحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة — بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣٧٢- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٧٣- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٧٤- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٧٥- الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم : سعود بن إبراهيم الشريم، ومحمد بن جميل زينو، دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٧٦- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية - بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٧٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خَلّكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.

٣٧٨- ياقوت الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب، تحقيق: د. محمد يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

فهرس الموضوعات

المقدمة ١
أهمية الموضوع وأسباب اختياره..... ٢
أهداف البحث..... ٢
الدراسات السابقة..... ٣
مجال البحث وحدوده..... ٥
خطة البحث ٥
منهج البحث ٧
التمهيد..... ١٠
حياة الوَاحِدِيّ الشخصية والعلمية..... ١١
القيمة العلمية لتفسير الوَاحِدِيّ..... ٢٤
القسم الأول: منهج الوَاحِدِيّ في الاختيار والترجيح..... ٣٨
الفصل الأول: صيغ الاختيار والترجيح وأساليبه عند الوَاحِدِيّ..... ٣٨
المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح والفرق بينهما ٣٩
أهميتهما في مسائل الخلاف..... ٤٣
المبحث الثاني: صيغ الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ..... ٤٦
المبحث الثالث: أساليب الاختيار والترجيح وطرقه عند الوَاحِدِيّ..... ٥٥
الفصل الثاني: وجوه الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ..... ٦٤
المبحث الأول: الاختيار والترجيح بالقرآن الكريم..... ٦٦
المبحث الثاني: الاختيار والترجيح بالسنة النبوية..... ٧٠
المبحث الثالث: الاختيار والترجيح بالإجماع..... ٧٣
المبحث الرابع: الاختيار والترجيح بأقوال السَّلف..... ٧٦
المبحث الخامس: الاختيار والترجيح باللغة العربية..... ٨٠

الفصل الثالث: قواعد الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ ٨٤
المبحث الأول: قواعد الاختيار والترجيح المتعلق بالنص القرآني ٨٥
المبحث الثاني: قواعد الاختيار والترجيح المتعلق بالسنة والآثار ٩١
المبحث الثالث: قواعد الاختيار والترجيح المتعلق باللغة العربية ٩٤
القسم الثاني: الدراسة التطبيقية لاختيارات وترجيحات الوَاحِدِيّ في تفاسيره (البسيط والوسيط والوجيز) من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ٩٩
١. المراد بالمنِّ في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ١٠٠
٢. المراد بالسَّلوى في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ١٠٤
٣. خشية الحجارة لله -عَزَّوَجَلَّ- في قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ ١٠٨
٤. المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ١١٣
٥. المراد بقوله: ﴿ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ ١١٨
٦. المراد بـ(**مقام إِبْرَاهِيْم**) ١٢٢
٧. عَوْد الضمير في قوله: ﴿ قِبْلَتِهِمُ ﴾ ١٢٧
٨. المراد بالباغي والعادي ١٢٩
٩. المراد بقوله: ﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ ﴾ ١٣٥
١٠. المراد بقوله: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ ١٣٨
١١. المراد بالأيام المعدودات ١٤٢
١٢. الأمر الذي نهين عن كتمانه في: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ ١٤٧
١٣. عَوْد الضمير في قوله: ﴿ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ ١٥٢
١٤. هل الكلام في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ متصل بما قبله أم مستأنف؟ ١٥٥
١٥. المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ ١٥٧
١٦. المراد بالرسول في قوله: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ ١٦١

١٧. المراد بالمِثْلَيْن في قوله:﴿ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ ١٦٤
١٨. معنى قوله:﴿ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ ١٦٧
١٩. المراد بالكلالة في قوله:﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ ١٧١
٢٠. المراد بالجهالة في قوله:﴿ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ ١٧٥
٢١. هل يحرم نكاح أمهات الزوجات بمجرد العقد أم يشترط الدخول؟ ١٧٧
٢٢. المراد بمتبعي الشهوات في قوله:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ ١٨١
٢٣. المشار إليه في قوله:﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا ﴾ ١٨٣
٢٤. المراد بالاسم الموصول في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ ١٨٧
٢٥. المراد بالملامسة في قوله:﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ١٨٩
٢٦. المراد بقوله:﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ﴾ ١٩٣
٢٧. المراد بذكر الله في قوله:﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ ١٩٦
٢٨. المراد بخلق الله في قوله:﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ ١٩٩
٢٩. المراد بالخليل في قوله:﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ٢٠٣
٣٠. المراد بالكافرين في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ ٢٠٥
٣١. المراد بالظلم في قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ ﴾ ٢٠٨
٣٢. المراد بالقلائد في قوله:﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ ٢١٠
٣٣. عَوْد الاستثناء في قوله:﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ ٢١٣
٣٤. المراد بإكمال الدين في قوله:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ٢١٥
٣٥. عَوْد الضمير (له) في قوله:﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ ٢١٨
٣٦. وقت الأمر في قوله:﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ٢٢١
٣٧. المراد بالشرعة والمنهاج في قوله:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ٢٢٤

٣٨. المخاطب بقوله:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، والمراد بالقوم المنهي عن اتِّباعهم..... ٢٢٨
٣٩. المراد بطعام البحر في قوله:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾..... ٢٣١
٤٠. حقيقة تنزل المائدة..... ٢٣٤
٤١. وقت وقوع هذه المقالة لعِيْسَى- عليه السلام-..... ٢٣٨
٤٢. مرجع الضميرين ﴿ وَهُمْ ﴾ و﴿ عَنْهُ ﴾ في قوله:﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾..... ٢٤٣
٤٣. المراد بالصُّور في قوله:﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾..... ٢٤٧
٤٤. المراد بقوله:﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾..... ٢٥١
٤٥. المراد بالرسل في قوله:﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾..... ٢٥٥
٤٦. المراد بقوله: ﴿ بِظُلْمٍ ﴾..... ٢٥٩
٤٧. المراد بالحق في قوله:﴿ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾..... ٢٦٢
٤٨. المراد بالذين فرقوا دينهم في قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾..... ٢٦٧
٤٩. المراد بالأجل في قوله:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾..... ٢٧٠
٥٠. كم فرقة كانت أهل القرية؟ في قوله:﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ ﴾..... ٢٧٣
٥١. المراد بالاسم الموصول (الذين) في قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾..... ٢٧٦
٥٢. عَوْد الضمير في :﴿ وَمَا جَعَلَهُ ﴾..... ٢٧٨
٥٣. المخاطب بقوله:﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾..... ٢٨٠
٥٤. سبب فعلهم للمكاء والتصدية في قوله:﴿ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾..... ٢٨٥
٥٥. المراد بقوله: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾..... ٢٨٨
٥٦. المراد بقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾..... ٢٩٠
٥٧. المراد بأمر الله في قوله:﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾..... ٢٩٣
٥٨. المراد بالكنز في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾..... ٢٩٥

٥٩. عَوْد الضمير في (عليه) من قوله:﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ ٣٠١
٦٠. المراد بقوله:﴿ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ٣٠٥
٦١. المراد بالمؤمنين في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣٠٧
٦٢. المراد بالسائحين ٣٠٩
٦٣. المراد ببَنِي إِسْرَائِيْلَ، والمكان الذي بوَّأهم فيه،والعلم الذي اختلفوا فيه ٣١٢
٦٤. المخاطب بقوله:﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾ ٣١٧
٦٥. عَوْدُ الضمير في (منه) من قوله:﴿ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ ٣٢١
٦٦. المراد بالعذاب الغليظ في قوله:﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ٢٢٤
٦٧. المراد بالحق في قوله:﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ ٣٢٦
٦٨. عَوْدُ الضمير في (بينهم) من قوله:﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٣٢٩
٦٩. المشار إليه في قوله:﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ٣٣١
٧٠. المراد بقوله:﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ ٣٣٥
٧١. المراد بالظن في قوله:﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ ﴾ ٣٣٩
٧٢. الموصوف بالخيرية في قوله:﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ ٣٤٣
٧٣. المراد بكبيرهم ٣٤٦
٧٤. المراد بدعوة الحق في قوله:﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ ٣٤٩
٧٥. المراد بدعاء الكافرين في قوله:﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٣٤٩
٧٦. المراد بالمستخفي والسَّارِب في قوله:﴿ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ ٣٥٥
٧٧. المراد بالحين في قوله:﴿ كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ ٣٥٨
٧٨. المراد بالروح في قوله:﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ ٣٦٢
٧٩. المراد بالبلد في قوله:﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ ﴾ ٣٦٥

٨٠. المراد بقوله:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ٣٦٨
٨١. المراد بالعلامات في قوله:﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ ٣٧١
٨٢. المراد بالأجل في قوله:﴿ يُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ ٣٧٤
٨٣. المراد بالحسنى في قوله:﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ ٣٧٦
٨٤. المراد بالمفرطون في قوله:﴿ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴾ ٣٧٦
٨٥. المراد بالحَفَدَة في قوله:﴿ بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾ ٣٨١
٨٦. المراد بالحياة الطيبة في قوله:﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾ ٣٨٥
٨٧. المخاطب بالآية، والمراد بقوله:﴿ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ٣٨٩
٨٨. المراد بقوله:﴿ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ ٣٩٢
٨٩. المراد بقوله:﴿ مَّسۡحُورًا ﴾ ٣٩٦
٩٠. المراد بالشجرة الملعونة في قوله:﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ ٤٠٠
٩١. المشار إليهم بقوله:﴿ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ ﴾،والمراد بالأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها..... ٤٠٥
٩٢. المراد بالمقام المحمود في قوله:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ ٤٠٨
٩٣. المراد بالروح في قوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ ٤١٣
٩٤. المراد بالآيات التسع في قوله:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ ﴾ ٤١٨
٩٥. المراد ببروز الأرض في قوله:﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ ﴾ ٤٢٢
٩٦. المراد بقوله:﴿ وَلَا تُرۡهِقۡنِي ﴾ ٤٢٥
٩٧. عَوْدُ الضمير في قوله:﴿ فَخَشِينَآ ﴾ ٤٢٨
٩٨. المراد بقوله:﴿ وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴾ ٤٣٢
٩٩. عَوْدُ الإشارة في قوله:﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ ٤٣٤
١٠٠. عَوْد الضمير في قوله:﴿ بَعۡضُهُمۡ ﴾، والمراد بـ﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ ٤٣٧

١٠١. المراد بالشرك في قوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ ٤٤٠
١٠٢. المراد بقوله: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ ﴾ ٤٤٣
١٠٣. المراد بالإرث في قوله: ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ٤٤٦
١٠٤. المراد بقوله: ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ٤٥٠
١٠٥. المراد بالضِّدِّ في قوله: ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ ٤٥٣
١٠٦. المراد بالإرسال في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ ٤٥٧
١٠٧. المراد بقوله: ﴿ طُوَى ﴾ ٤٦١
١٠٨. المراد بقوله: ﴿ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ ٤٦٣
١٠٩. المراد بقوله: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ ٤٦٦
١١٠. المراد بقوله: ﴿ فَنَسِىَ ﴾ ٤٦٨
١١١. المراد بأهل الذكر في قوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ ٤٧١
١١٢. عَوْد الضمير في (فيها) من قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ ٤٧٥
١١٣. المراد بقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ ٤٧٧
١١٤. المراد بقوله: ﴿ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ ٤٨٠
١١٥. عَوْد الضمير في (إنهم) من قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ ٤٨٥
١١٦. عَوْد الضمير في (وهم) من قوله: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ ٤٨٧
١١٧. المراد بالزَّبُور، والذكر في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ ٤٩٠
١١٨. المراد بالخصمين في قوله: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ ٤٩٤
١١٩. المراد بقوله: ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ٤٩٩
١٢٠. المراد بالصَّلَوَات في قوله: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ ﴾ ٥٠٢
١٢١. المراد باليوم العقيم في قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ ٥٠٥

١٢٢. المراد بقوله:﴿ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ ٥٠٨
١٢٣. المراد بالعذاب في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ ﴾ ٥١١
١٢٤. سبب نزول آيات اللعان في قوله: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ٥١٥
١٢٥. المراد في قوله:﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ ٥٢٠
١٢٦. المراد بالمحصنات الوارد حكمهنّ في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ ٥٢٤
١٢٧. المراد بالخير في قوله: ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ ٥٢٧
١٢٨. المراد بقوله:﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ ٥٣١
١٢٩. المراد بالبيوت في قوله: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ ٥٣٤
١٣٠. المراد بالزكاة في قوله: ﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ ٥٣٧
١٣١. المراد بتقلب القلوب والأبصار في قوله: ﴿ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ... ٥٣٩
١٣٢. المراد بالمعْنِيِّون بالوعد في قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ ٥٤٢
١٣٣. المراد بالغاوين في قوله: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ ٥٤٥
١٣٤. المراد بقوله:﴿ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ٥٤٧
١٣٥. المراد بالقيام في قوله: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ٥٤٩
١٣٦. المراد بالذين ظَلَمُوا في قوله:﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ ٥٥٢
١٣٧. المراد بقوله:﴿ نَمْلَةٌ ﴾ ٥٥٥
١٣٨. عَوْد ضمير المتكلم في قوله:﴿ وَأُوتِينَا ﴾ و﴿ وَكُنَّا ﴾ ٥٥٨
١٣٩. المراد بالآيات في قوله:﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ٥٦٠
١٤٠. مدة إرضاع مُوْسَى قبل إلقائه في اليَمِّ المذكورة ٥٦٣
١٤١. عَوْد الضمير في (به) من قوله:﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ ٥٦٥
١٤٢. المراد بقوله:﴿ مِن قَبْلُ ﴾ ٥٦٨

١٤٣. المراد بقوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ ٥٧٠
١٤٤. المراد بقوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ ٥٧٤
١٤٥. عَوْد الضمير المستتر في قوله: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ ٥٧٧
١٤٦. المراد بالقرون الأولى في قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ ٥٧٩
١٤٧. المراد بقوله: ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ و ﴿أُمِّهَا﴾ ٥٨١
١٤٨. المراد بقوله: ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ ٥٨٤
١٤٩. المراد بقوله: ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ ٥٨٩
١٥٠. عَوْد الضمير المنفصل في قوله: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ ٥٩٢
١٥١. المراد بالفساد في قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ ٥٩٦
١٥٢. المراد بقوله: ﴿ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ ٥٩٩
١٥٣. المراد بقوله: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ﴾ ٦٠٢
١٥٤. المراد بالمقتصد في قوله: ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ﴾ ٦٠٥
١٥٥. المراد بالعذاب الأدنى في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ ٦٠٨
١٥٦. المراد بالأرض الجُرُز في قوله: ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ ٦١١
١٥٧. المراد بالظالم لنفسه في قوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ﴾ ٦١٤
١٥٨. المراد بالتعمير في قوله: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُمۡ﴾ ٦٢٢
١٥٩. المراد بالنذير في قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ ٦٢٥
١٦٠. المراد بقوله: ﴿مِن جُندٖ﴾ ٦٢٧
١٦١. المراد بقوله: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾ ٦٣٠
١٦٢. المراد بقوله: ﴿لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ ٦٣٣
١٦٣. عَوْد الضمير في (وهم) و (لهم) من قوله: ﴿وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾ ٦٣٦

١٦٤. القائل في قوله: ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ ٦٣٩
١٦٥. المراد بقوله: ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ ٦٤١
١٦٦. المراد بالجِنَّة، والنَّسب في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ ٦٤٣
١٦٧. المراد بالذكر في قوله: ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ٦٤٨
١٦٨. المراد بالصيحة في قوله: ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ ٦٥١
١٦٩. المراد بالغسَّاق في قوله: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ ٦٥٤
١٧٠. المراد بالحسنة في قوله: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ ٦٥٨
١٧١. المراد بقوله: ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ ٦٦٠
١٧٢. المراد بالصبر في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٦٦٣
١٧٣. عَوْد الضمير في (هم) من قوله: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ ٦٦٥
١٧٤. سبب نزول قوله: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ ٦٦٧
١٧٥. المراد بالحسنة والسيئة في قوله: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ ٦٧٠
١٧٦. المراد بآيات الآفاق والأنفس في قوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ ... ٦٧٢
١٧٧. المراد بالذكر في قوله: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ ﴾ ٦٧٦
١٧٨. المراد بالجزء في قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ ٦٧٩
١٧٩. المراد بقوله: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ ٦٨٣
١٨٠. المراد بالرحمة في قوله: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ٦٨٦
١٨١. المراد بالمشرقين في قوله: ﴿ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ ٦٨٨
١٨٢. عَوْد الضمير في قوله: ﴿ مِنْهُم ﴾ و ﴿ عَلَيْهِم ﴾ ٦٩١
١٨٣. المراد بالمثل المضروب في قوله: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ ٦٩٤
١٨٤. المراد بالاسم الموصول (الذي) في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ ٦٩٨

١٨٥. المراد بقوله:﴿ بَلَٰغٌ ﴾ ٧٠٢
١٨٦. المراد بالذين كفروا في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ ﴾ ٧٠٥
١٨٧. عَوْد ضمير الغائب في قوله:﴿ أَمۡثَٰلُهَا ﴾ ٧٠٧
١٨٨. المراد بقوله:﴿ نُزِّلَتۡ سُورَةٞ ﴾ ٧١٠
١٨٩. المراد بالذين كفروا في قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ٧١٣
١٩٠. المراد بقوله:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾وقوله:﴿ كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ ﴾ ٧١٥
١٩١. المراد بالمغانم الكثيرة في قوله تعالى:﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ ﴾ ٧٢٠
١٩٢. المراد بكلمة التقوى في قوله:﴿ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ ٧٢٣
١٩٣. المراد بقوله:﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾ ٧٢٧
١٩٤. المراد بالمقسمات في قوله:﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ ٧٣١
١٩٥. المراد بقوله:﴿ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ ٧٣٥
١٩٦. المراد بالكتاب المسطور في قوله:﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾ ٧٣٧
١٩٧. المراد باللَّمم في قوله:﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ ٧٤١
١٩٨. المراد بالدُّسُر في قوله:﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴾ ٧٤٥
١٩٩. المراد بقوله:﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ ﴾ ٧٤٨
٢٠٠. المراد بالنَّهر في قوله:﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴾ ٧٥٠
٢٠١. المراد بقوله:﴿ بِحُسۡبَانٖ ﴾ ٧٥٣
٢٠٢. المراد بالبرزخ في قوله:﴿ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴾ ٧٥٥
٢٠٣. المراد بالواقعة في قوله:﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ ٧٥٨
٢٠٤. المراد بالولدان في قوله:﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ٧٦٠
٢٠٥. المراد بالسَّلام في قوله:﴿ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾ ٧٦٣

٢٠٦. المراد بالبينات في قوله:﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ ٧٦٥
٢٠٧. المخاطب بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ٧٦٧
٢٠٨. المراد بالاسم الموصول في قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ ٧٧٠
٢٠٩. المراد بقوله:﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞ ﴾ ٧٧٣
٢١٠. المراد بـ﴿ وَأُخۡرَىٰ ﴾ في قوله:﴿ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ ﴾ ٧٧٥
٢١١. المراد بقوله:﴿ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ ٧٧٧
٢١٢. سبب تكذيب المنافقين في قوله:﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ٧٧٩
٢١٣. المراد بصالح المؤمنين في قوله:﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ ٧٨١
٢١٤. عَوْد ضمير الغائب (لها) في قوله:﴿ سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ ٧٨٥
٢١٥. المراد بقوله:﴿ تَدَّعُونَ ﴾ ٧٨٧
٢١٦. المراد بقوله:﴿ غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾ ٧٩٠
٢١٧. المراد بقوله:﴿ رَسُولَ رَبِّهِمۡ ﴾ ٧٩٣
٢١٨. عَوْد ضمير الغائب في قوله:﴿ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ ﴾ ٧٩٦
٢١٩. المراد بالرسول الكريم في قوله:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ ٧٩٨
٢٢٠. المراد بالمرض في قوله:﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴾ ٨٠١
٢٢١. المراد بالكافرين في قوله:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ٨٠٤
٢٢٢. المراد بقوله:﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾ ٨٠٦
٢٢٣. المراد بالمرء في قوله:﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ ﴾ ٨٠٨
٢٢٤. المراد بقوله:﴿ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ ٨١١
٢٢٥. المراد بالخُنَّس الجوار الكنَّسِ ٨١٤
٢٢٦. المراد بقوله:﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ ٨١٧

٢٢٧. المراد بالرَّجْع في قوله:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ ٨٢٠
٢٢٨. المراد بالنَّجدين في قوله:﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ ٨٢٢
٢٢٩. المراد بالعقبة في قوله:﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ ٨٢٦
٢٣٠. المراد بالإلهام في قوله:﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ ٨٣٠
٢٣١. عدد الفِيَلَة ٨٣٥
٢٣٢. المراد بالتسبيح في قوله:﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ ٨٣٨
الخاتمة ٨٤٠
الفهارس ٨٤٤
فهرس الآيات القرآنية ٨٤٥
فهرس الأحاديث النبوية ٩٠٣
فهرس الآثار ٩١١
فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٢١
فهرس الأبيات الشعرية ٩٣٥
فهرس الألفاظ الغريبة ٩٣٧
فهرس الفرق والقبائل ٩٤١
فهرس الأماكن والبلدان ٩٤٢
ثبت المصادر والمراجع ٩٤٣
فهرس الموضوعات ٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

هذا ملخص لرسالة الدكتوراه الموسومة بـ(اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته في التفسير جمعاً ودراسة).

إعداد: البندري بنت عبدالرحمن بن عبدالله الهويمل

إشراف: أ.د. العباس بن حسين بن علي الحازمي

الأستاذ في قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس، وبيانها على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومجال البحث وحدوده، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه:

- حياة الوَاحِدِيّ الشخصية والعلمية.
- القيمة العلمية لتفسير الوَاحِدِيّ.

القسم الأول: منهج الوَاحِدِيّ في الاختيار والترجيح؛ وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: صيغ الاختيار والترجيح وأساليبه عند الوَاحِدِيّ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاختيار والترجيح والفرق بينهما، وأهميتهما في مسائل الخلاف.

المبحث الثاني: صيغ الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ.

المبحث الثالث: أساليب الاختيار والترجيح وطرقه عند الوَاحِدِيّ.

الفصل الثاني: وجوه الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ؛ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاختيار والترجيح بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: الاختيار والترجيح بالسنة النبوية.

المبحث الثالث: الاختيار والترجيح بالإجماع.

المبحث الرابع: الاختيار والترجيح بأقوال السلف.

المبحث الخامس: الاختيار والترجيح باللغة العربية.

الفصل الثالث: قواعد الاختيار والترجيح عند الوَاحِدِيّ؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

المبحث الثاني: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بالسنة والآثار.

المبحث الثالث: قواعد الاختيار والترجيح المتعلقة بلغة العرب.

القسم الثاني: دراسة اختيارات الوَاحِدِيّ وترجيحاته في تفاسيره (البسيط والوسيط والوجيز) من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس، ومقارنتها بأقوال أئمة التفسير واختياراتهم، مع بيان القول الراجح في المسألة ووجه رجحانه.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ومنها:

١. سعة علم الوَاحِدِيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وتبحره في كثير من العلوم مع براعته ودقته في تحرير المسائل، والعمق في التفكير، وإقباله على العلم؛ مما أدى إلى كثرة شيوخه، ومن ثم توافد التلاميذ عليه للأخذ عنه والإفادة منه.

٢. وافقت الإمام الوَاحِدِيّ في ترجيحاته في (١٦٢) ترجيحاً من ترجيحاته، وخالفته في (٢٣) ترجيحاً، وكان قوله ضمن الأقوال التي تندرج تحت عموم الآية، أو تحتملها دون تضاد في (٤٧) مسألة.

وبعد ذلك تم تذيل البحث بفهارس فنية تخدم البحث.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره، وأثني عليه الخير كله على ما مَنَّ به عليَّ، ويسر وأعان على إتمام هذا البحث.

In the name of of Allah the Merciful

Praise be to Allah who descended the Criterion to his slave to be a vow to the worlds, and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad and his family and companions and recognized a lot.
After:

This is a summary of the doctoral thesis, entitled (**Al-Wahidi's Choices and its Implications for Interpretation and Study**).
Prepared by: Bandari bint Abdulrahman bin Abdullah Al Huwaimel
Supervision: Abbas bin Hussein bin Ali al-Hazmi
Professor in the Department of Quran and Sciences at the University of
Imam Muhammad bin Saud Islamic.

Search Plan

It consists of an introduction, a preface, two sections, a conclusion, and indexes, and its statement as follows:
Introduction: The importance of the subject, the reasons for its selection, research objectives, previous studies, research field and limits, research plan and research methodology.

Boot: In it:

• Personal and scientific life.
• The scientific value of Al-Wahidi interpretation.

Section I: Al-Wahidi approach to selection and weighting. It has three chapters:

Chapter I: Formulas of selection and weighting and methods at the same time, and three questions:

The first topic: the definition of choice and weight and the difference between them, and their importance in matters of disagreement.

The second topic: Selection and weighting formulas at the unit.

The third topic: methods of selection and weighting and methods at the Wahidi.

Chapter Two: The object of selection and weighting in the unit;

The first topic: selection and weighting of the Holy Quran.

The second topic: Selection and weighting of the Prophetic Sunnah.

The third topic: Selection and weighting unanimously.

The fourth topic: selection and weighting of advances.

The fifth topic: selection and weighting in Arabic.

Chapter three: Selection and weighting rules at the unit;

The first topic: Selection and weighting rules related to the Quranic text.

The second topic: Selection and weighting rules related to the year and the effects.

The third topic: Selection and weighting rules related to the Arabic language.

The second part is the study of Al-Wahidi's choices and their interpretations in his interpretations (simple, intermediate, and concise) from the first Surat Al-Fatihah to the last Surah Al-Nas, and comparing it with the sayings of the Imams and their choices.

• **Conclusion**: The most important findings reached through the research, including:

1 - the capacity of science Al - Wahidi -: - and sailing in many sciences with his proficiency and accuracy in the editing of issues, and depth in thinking, and his turn to science; which led to the large number of elders, and then the influx of students to take it and benefit from it.

2 - Imam al-Wahidi agreed in his weights in (162) of the weights weighted, and his successor in (23) likely, was saying within the words that fall under
the whole verse, or tolerated without conflict in (47) issue.

The search was followed by technical indexes that serve the research.
In conclusion, I thank God, and thank him, and I commend the whole good on what is Ali, and pleased and helped to complete this research.